

مجلة كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد

العدد الحادي عشر

حزيران ١٩٦٨

مطبعة الحكومة ــ بغداد

١٣٨٨ ــ ١٩٦٨

ثبت المجلـة

فوائد لغوية من شمس الأدب

لأبي سعيد السمناني

الدكتور ابراهيم السامرائي

المقدمــة :

هذا كتاب في اللغة أو قل إنه من معجمات المعاني ألفه ابو سعيد بن مهدي بن مهدي بن ابى سعد السمناني [1] • ولا نعرف من أمر المؤلف شيئاً ولا في أي عصر من العصور • وأكبر الظن أنه من المتأخرين وذلك لان حاجي خليفة في كشف الظنون هو الذي انفرد بذكر الكتاب وذكر اسم مؤلفه • ولعل كارل بروكلمان قد اهتدى الى الكتاب ومؤلفه مما ذكره صاحب كشف الظنون •

ويبدو ان هذا الذي بين ايدينا هو موجز الكتاب وليس الاصل وذلك لان المخطوطتين التي سنصفهما يحملان اسم الكتاب « من شمس الأدب » وليس « شمس الأدب » كما ورد في « الكشف » وفي « تاريخ الأدب » لبروكلمان •

يعرض الكتاب لموضوع المعاني وما ورد عليها من الفاظ في العربية وهو من هذه الناحية على غرار الكتب المشهورة التي ألفت في هذا الباب كالمخصص لابن سيده ، وفقه اللغة للثعالبي •

يتناول الكتاب ٢٢٠ باباً من الابواب ، منها ما نجده في كتاب الثعالبي ومنها ما نجده مبعثراً في كتب اللغة • ولهذا فقد كان من فضل المؤلف أن جمّع هذه المواد المتفرقة في هذا الموجز اللطيف ، وبذلك سهل تناولها والافادة منها •

والكثير من ابواب الكتاب يتصل بالمعاني الحضارية ولذلك فهي ذات قيمة للدراسات اللغوية الاجتماعية •

نسخ الكتاب [2] :

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ١٠٦٠/٢

(٢) جاء في « بروكلمان » GAL. S. 2. P. 914 ان في مكتبة دامان زادة نسختان برقم ١٥٥١ ، ١٥٥٢ •

١ ـ اعتمدنا على نسخة للكتاب ورمزها (ق) محفوظة في خزانة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد وهي ضمن مجموع برقم ١٢٢٧٥ يشتمل على:

١ ـ مجموع ما ألف في المثلث لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس .

٢ ـ رسالة في نظم المثلثات لابراهيم الازهري .

٣ ـ نظم مثلثات قطرب شعراً لسديد الدين أبي القاسم بن الحسين المهلبي المتوفى ٦٨٥ هـ .

٤ ـ مثلثات قطرب لابي علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب ٢٠٦ هـ .

٥ ـ من شمس الأدب وهو هذا الكتاب الذي ننشره اليوم ويقع في ٣١ ورقة وفي كل ورقة ١٩ سطراً وتم الفراغ من نسخها سنة ١١٠١ هـ .

٢ ـ نسخة مصورة ضمن مجموع في خزانة المجمع العلمي العراقي ورقمها ٩٦/م وهي عن اصل في دار الكتب المصرية برقم ١١٦ (انظر فهرست الكتب العربية الموجودة في الدار لغاية سنة ١٩٢١ الجزء الثاني) ورمزنا اليها « ج » ويضم المجموع :

١ ـ جزء من الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لابن الاثير .

٢ ـ سؤالات نافع بن الازرق لابن عباس .

٣ ـ المتشابه للثعالبي .

٤ ـ المثلثات لصاحب القاموس .

٥ ـ المثلث للازهري .

٦ ـ فوائد لغوية من شمس الادب .

ويقع هذا الاخير في ١٨ ورقة مكتوب بخط جميل نسخي . ومقاس الورقة ٢٦ × ١٥ ، وتشمل الورقة على ٢٩ سطراً . والنسخة غير مؤرخة .

والنسختان متشابهتان ويبدو أن أصلهما واحد وذلك أن المصورة أكمل من الأخرى ، واما ان تكون نسخة « ق » قد أخذت عن أصل « ج » المصورة .

وقد اجتهدنا في اكمال النص من الاثنين وفي تصحيحه وتحقيقه مع الاستعانة بكتب اللغة المختلفة .

(١)

في تفصيل التهيؤ من الأفعال

تماثل المريض ، اذا تهيّأ للمثول • أجهش الصبي ، اذا تهيّأ للبكاء • شال ثدي الجـارية اذا تهيأ للخروج • أبرقت المرأة ، اذا تهيّأت للرجـل • زافت الحمامة ، اذا تهيّأت للذكر • ابرألّ الديك ، اذا تهيّأ للهراش ، دفّ الطائر اذا تهيّأ للطيران • استذف الأمر اذا تهيّأ للانتظام • تشذّر(٣) الرجل للقتال ، اذا تهيّأ • تلبّب ، اذا تهيأ للعدو(٤) بمعنى لبس السلاح(٥) •تخيّلت السماء وتزهيأت ، اذا تهيّأت للمطر •

(٢)

في الحلي

الشنْف والقرْط والرعْثة للأذن • الوقْف والقلْب والسـوار للمعصم • الدملج للعضد ، الجبيرة(٦) للساعد • القلادة والمخنقة للعنق المرسلة للصدر • والخاتم للاصبع ، الخلْخال والخدمة للرجل • الفتْخة(٧) • ويحرك

(٣)

في أسماء السيوف وصفاتها

صفيحة •قضيب • مفصل مخذم •جراز • عضْب • حسام • قاضب • هذام مصمم مطبّق • صمصام كهام •

(٤)

في السرير

عرش • نعش • أريكة • نضيد •

(٥)

في الأولاد

ولد الفيل دغفل(٨) • ولد الناقة حوار • ولد الفرس مهْر • ولد

---

(٣) هكذا في ق ، في ج : تسدر

(٤) القاموس تلبب تتسمر

(٥) هكذا في ج ، في ق : السلام

(٦) هكذا في ق ، في ج : الحبيرة

(٧) هكذا في ق ، ولم تكن في ج . وهي غفل في (ق) من الشرح . وفي القاموس : خاتم كبير يكون في اليد او الرجل أو حلقة من فضة كالخاتم .

(٨) القاموس : الدغفل ولد الفيل او الذئب ، وفي « اللسان » : ولد الفيل .

الحمار جَحْش • ولد البقر عِجْل • ولد الشاة حَمَل • ولد العنز جَدْي • ولد الأسد شِبْل • ولد الكلب جَرو• ولد الظبي خِشْف• ولد الأُروِية[٩] عُفْر[١٠]• ولد الضَبُع فُرْعُل • ولد الدُّبّ دَيْسَم[١١] •
ولد الخنزير خِنَّوص[١٢] • ولد الثعلب هِجْرِس[١٣] • ولد الأرنب خِرْنِق • ولد الحية حِرْبِش[١٤] • ولد النعام رَأْل[١٥] • ولد الدجاجة فَرّوج • ولد كل طائر فرخ • ولد الفأر دَرْص[١٦] • ولد الضَبّ حِسْل[١٧] •

(٦)
في ترتيب البياض

أبيض ثم يَقَق ومُبْهِق[١٨] ثم واضِح وناصع ثم هِجان وخالص •

(٧)
في تقسيم البياض

رجل أزهر ، امرأة رُعبوبة ، شعر أشمط ، فَرَس أشهب ، بعير أعيَس[١٩] ، ثور لَهِق[٢٠] ، بقرة لَياح ، حمار أقمر ، كبش أملَح[٢١] ،

---

(٩) والاروية بكسر الهمزة عن اللحياني ، الانثى من الوعول .
(١٠) القاموس : والعفر – بالكسر – : ذكر الخنازير ويضم أو ولدها .
(١١) القاموس : الديسم – كحيدر – : ولد الثعلب من الكلبة ، أو ولد الذئب منها . والدب أو ولده . وفرخ النحل .
(١٢) القاموس : ولد الخنزير . والصغير من كل شيء .
(١٣) هكذا في القاموس . اما في ق : يحرش ، وفي ج : هجرس .
القاموس : الهجرس القرد . الثعلب . أو ولده . الدب ، أو كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع .
(١٤) القاموس : الحربش والحربشة وقد تشدد باؤهما ، فيقال حربش وحربشة : الافعى ، او الكبيرة منها ، او الخشناء في صوت مشيها .
(١٥) القاموس : الرأل ولد النعام أو حوليه . وهي بهاء والجمع أرؤل ورئلان ورئال .
(١٦) القاموس : الدرص ويكسر : ولد القنفذ والارنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .
(١٧) القاموس : الحسل ولد الضب يخرج من بيضته .
(١٨) القاموس : البهق بياض رقيق ظاهر البشرة لسوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم .
(١٩) القاموس : العيس الابل يخالط بياضها شقرة .
(٢٠) هكذا في القاموس ، أما في «ق» و «ج» لمهق .
(٢١) القاموس الملحة بياض يخالطه سواد كالملح محركة .

ظبي آدمَ ، ثوب أبيض ، فضة يقق ، خبز حُوّارى عنب مُلاحيّ[٢٢] ، عسل ماذيّ كل ذلك اذا كان أبيض .

(٨)

في ترتيب السواد

أسود وأسحم ، ثم جَون وفاحم ، ثم حالك وحانك[٢٣] ، ثم حُلْكوك وسُحكوك ، ثم خداريّ ودَجوجيّ ثم غِربيب وغُدافيّ .

(٩)

في ترتيب سواد الانسان

أسمر ، ثم أصحم ، ثم أسحم ثم أدلم[٢٤] .

(١٠)

في تقسيم السواد على الأشياء

ليل دَجوجيّ ، سحاب مدلهم ، شعر فاحم ، فرس أدهم ، عين دعجاء ، شفة لَعسَاء ، نبت أحوى ، وجه أكلف ، دخان يحموم .

(١١)

في سواد اشياء مختلفة

الحاتم[٢٥] ، السِلاب[٢٦] ، الوَين[٢٧] ، الحال[٢٨] .

(١٢)

في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان عليه

فرس أبلق ، تيس أخرج ، غراب أبقع ، سحاب نَمِر[٢٩] ، أفعوان أرقشر ، دجاجة رقطاء .

---

(٢٢) القاموس : الملاحي كغرابي وقد يشدد ، عنب أبيض طويل .

(٢٣) يبدو أن الاصل هو «حالك» و «حانك» على الابدال .

(٢٤) هكذا في القاموس ، اما في «ق» و «ج» أولم .

(٢٥) هكذا في «ق» ، اما في «ج» : الحالم . وفي القاموس : هو الغراب الاسود .

(٢٦) السلاب (بكسر السين) : الثياب السود .

(٢٧) الوين : العنب الاسود .

(٢٨) الحال : الطين الاسود .

(٢٩) المخصص : النمر من السحاب : قطع صفار متدان بعضها من بعض . وقال ابو حنيفة : النمرة أن تراها كجلد النمر من غيم صفار تكاد تتصل.

(١٣)
في تقسيم الحمرة

ذهب أحمر ، فرس أشقر ، رَجُل أقشر ، دم أشكل[٣٠]، لحم شَرِق[٣١] عيش أخضر[٣٢]، موت أحمر ، نعمة بيضاء[٣٣]، يوم أسود[٣٤] .

(١٤)
في الاتباع والتأكيد

أسود حالك ، أبيض ناصع ، أصفر فاقع ، أخضر ناضر ، أحمر قان .

(١٥)
في تفضيل النقوش

النقش في الحائط . الرقش في القرطاس ، الوشي في الثوب ، الوشم في اليد ، الوسم في الجلد ، الرشم[٣٥] على الحنطة ، الطبع في الطين ، الأثر في النصل .

(١٦)
في الآثار

النَدب أثر الجرح ، الخدش أثر الظفر ، الرسم أثر الدار ، الكي أثر النار ، الوَعكة أثر الحمّى ، النَهكة أثر المرض ، الرَدْع[٣٦] أثر الزعفران وغيره من الاصباغ .

(١٧)
الآثار على اليد على وزن فعلة

من اللحم غمرة[٣٧] ، ومن الشَحم زَهِمة[٣٨] ، ومن المسك[٣٩] صَمِرة[٤٠]

---

(٣٠) القاموس : الاشكل ما فيه حمرة وبياض مختلط ، أو ما فيه بياض يضرب الى الحمرة والكدرة .
(٣١) اللسان : الشرق من اللحم الاحمر الذى لا دسم له .
(٣٢) لم ينصرف « الاخضر » الى الحمرة بل يراد به السواد ، وعلى هذا فانه من الفاظ الاضداد . انظر القاموس .
(٣٣) لم يرد هذا المجاز في كتب ، وربما كان من سهو الناسخ .
(٣٤) لم يرد هذا المجاز كذلك في كتب اللغة .
(٣٥) اللسان : الرشم الاثر والختم . ورشمت الطعام أوشمه رشما ختمته .
(٣٦) هكذا في القاموس ، أما في « ق » : الروخ ، وفي « ج » : الردغ .
(٣٧) اللسان : الغمر بالتحريك : السهك وريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه. وقد غمرت يده فهي غمره .
(٣٨) القاموس : الزهومة والزهمه ريح لحم سمين منتن .
(٣٩) هكذا في «اللسان» أما في «ج» و «ق» السمك .
(٤٠) اللسان : الصمر رائحة المسك الطري .

ومن الزيت قَتَمة[41] ، ومن البيض زَهَكة [42] ، ومن الدهن زَنِخة [43] ومن الخل خَمَطة [44] ، ومن العَسَل لَزِقة [45]، ومن الزعفران رَدِعة[46] ، ومن العذرة طَفِسة[47] ، ومن البول وَشِلة[48] ، ومن الوسخ دَرِنة ، ومن العمل مَجِلة[49] ، ومن البَرْد صَرِدة .

(١٨)
في سن البقرة

أول سنة تبيع ، ثم جَذَع ، ثم ثِنْى ، ثم رَبَاع ، ثم سَدِيس ، ثم صالغ[50] .

(١٩)
في تقسيم الشعر

الشعر للانسان ، الصوف للغنم ، المِرْعزي للمَعَز ، الوَبَر للابل والسباع ، العِفاء للحمير[51] ، الزغَب للفرخ ، الزِف للنعام ، الهُلْب للخنزير .

---

(٤١) اللسان : القتمة بالتحريك رائحة كريهة . قال الازهري : ارى الذي اراده ابن المظفر القنمة بالنون ، يقال : قنم السقاء يقنم اذا اروح ، واما القتمة بالنار ، فهي في اللون الذى يضرب الى السواد ، والقنمة بالنون الرائحة الكريهة .

(٤٢) اللسان الزهك مثل السهك وهو الجش بين حجرين . وزهكته الريح تزهكه : كسهكته والسين اعلى . اما السهك بالتحريك والسهكة فقبح رائحة اللحم اذا خنز والسهك ايضا ريح السمك وصدأ الحديد .

(٤٣) اللسان : زنخ الدهن والسمن بالكسر تغيرت رائحته فهو زنخ .

(٤٤) اللسان : الخمطة الخمر التي اخذت شيئا من الريح كريح النبق والتفاح. وقيل : الخمطة الحامضة مع ريح .

(٤٥) لم أجدها في معاجم اللغة .

(٤٦) هكذا في «اللسان» اما في «ق» و «ج» ردغة .

(٤٧) اللسان : الطفس بالتحريك قذر الانسان اذا لم يتعهد نفسه بالتنظيف .

(٤٨) اللسان : الوشل الماء القليل .

(٤٩) اللسان : المجل بسكون الجيم أثر العمل في الكف يعالج بها الانسان الشيء حتى يغلظ جلدها .

(٥٠) القاموس : الصالغ من الشياه كالقارح من الخيل ، او دخلت في الخامسة او السادسة .

(٥١) اللسان : العفاء بالمد والكسر : ما كثر من الوبر والريش .

(٢٠)
في الحاجب

من محاسنه : الزجَج[٥٢] ، في الحاجب والبَلَج[٥٣] ، ومن معايبه : القَرَن[٥٤] والزَبَب[٥٥] والمَعَط[٥٦] وكذلك المَرَط[٥٧] .

(٢١)
في محاسن العين

الدَعَج ، البَرَج[٥٨] ، النَجَل ، الكَحَل ، الحَوَر ، الوَطَف[٥٩] ، الشُهْلة[٦٠] .

(٢٢)
في ترتيب البكاء

أجهش ، اغرورقتْ عينه ، ترقرقت : دمعت وهمعت ، رَفّت وهمت ، نحب ونشج من النحيب والنشيج فاذا صاح مع بكائه فهو أعول .

(٢٣)
في تقسيم الانوف

أنف الانسان ، مخطم البعير ، نُخرة [٦٢] الفَرَس ، خرطوم الفيل ،

---

(٥٢) الزجج : طول الحاجبين دقتهما وكونهما سابقين الى مؤخر العين (خلق الانسان للزجاج) .

(٥٣) البلج : الفرجة بين الحاجبين .

(٥٤) القرن : التقاء الحابين .

(٥٥) الزبب : كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين .

(٥٦) المعط : قلة الشعر وتساقطه .

(٥٧) المرط : خفة شعر الجسد والحاجبين والعينين .

(٥٨) البرج : تباعد ما بين الحاجبين .

(٥٩) البرج : الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين والاشفار مع استرخاء وطول .

(٦٠) اللسان : الشهلة في العين : ان يشوب سوادها زرقة .

(٦١) اللسان : رفت عينه ترُف وترِف بالضم والكسر اختلجت ، وفي «ق» و «ج» زمت .

(٦٢) النخرة مثال الهمزة : مقدم انف الحمار والفرس والخنزير .

هرثمة[٦٣] السبُع ، خِرنابة[٦٤] الجارح ، فِرطمة [٦٥] الطائر ، فنطيسة [٦٦] الخنزير .

(٢٤)

في تقسيم الشفاه

شفة الانسان ، مِشفَر البعير ، جحفلة الفرس ، خَطْم السَبع ، مِقَمّة الثور ، مِرَمّة الشاة ، منقار الطائر ، مَنسِر الجارح .

(٢٥)

في مـاء الفم

ريق ورُضاب (مادام في فم الانسان فاذا علك فهو)[٦٧] عَصْب[٦٨] ، (فاذا سال فهو)[٦٩] لعاب ، (فاذا رمى به)[٧٠] فهو بُزاق وبُصاق ، البُزاق للانسان ، اللُعاب للصبيّ اللُغام للبعير الرُؤال للدابّة .

(٢٦)

في تقسيم الضحك

التبسم أول مراتبه ، ثم الافترار ، ثم القهقهة ، ثم الكركرة ، ثم الاستغراب .

---

(٦٣) اللسان : الهرثمة : مقدم الانف ، وهي أيضا الوترة التي بين منخري الكلب . وهرثمة من أسماء الاسد ، وفي الصحاح : الهرثمة الاسد .

(٦٤) هكذا في «ق» و «ج» . أما في «اللسان» : الخنابة بضم الخاء وتشديد النون طرف الانف . وقال ابن سيده : الخنابة بالكسر الارنبة العظيمة ، وقيل : طرف الارنبة من أعلاها والخنابتان طرفا الانف من جانبيه .

(٦٥) هكذا في «ج» و «ق» . أما في «اللسان» الفرطومة بضم الفاء منقار الخف كالمنقار اذا كان طويلا محدد الراس . وفي « الصحاح » الفرطوم : طرف الخف كالمنقار .

(٦٦) اللسان : فنطيسة الخنزير خطمه وهي الفرطيسة أيضا .

(٦٧) ما بين القوسين زيادة في «ج» .

(٦٨) اللسان : عصب الفم يعصب عصبا وعصوبا اتسخت اسنانه من غبار أو شدة عطش او خوف . وعصب الريق بفيه ، بالفتح ، يعصب عصبا جف ويبس عليه ، قال ابن أحمر .

يصلي على من مات منا عريفنا ويقرأ حتى يعصب الريق بالفم

(٦٩) ما بين القوسين زيادة في «ج» .

(٧٠) ما بين القوسين زيادة في «ج» .

(٢٧)
في عيوب اللسان

الرُتّة ، اللُكْنة ، اللثغـة ، الفأْفـأة ، التَمتَـمة ، اللَفَف ، اللجلَجـةُ .

(٢٨)
في ترتيب العِيّ

رجل عَيّ ثم حَصِر ثم فَهِيه(٧٢) ثم مَفحَم ، ثم لجلاج ، ثم أبكم .

(٢٩)
في تقسيم العض

العض من كل حيوان ، الكدم من ذات الخف والحافز ، النقر والنسر من الطير ، اللسب من العقرب ، اللسع والنهش واللدغ من الحية .

(٣٠)
في اوصاف الاذن

الصَمَع صغرها ، السَكَك كونها في غاية الصغرَ . الخَطَل عِظَمها ، القَنَف استرخاؤها وإقبالها الى الوجه وهو من الكلاب الغضف(٧٣) .

(٣١)
في ترتيب الصمم

في اذنه وَقْر ، فاذا زاد فهو صمم ، فاذا زاد فهو طَرَش ، فاذا لم يسمع الرعد فهو صَلَخ(٧٤) .

---

(٧١) اللسان : اللفف في الكلام ثقل وعي مع ضعف . ورجل الف بين اللفف اي عيي بطيء والكلام اذا تكلم ملأ لسانه فمه .

(٧٢) اللسان : الفه (بتشديد الهاء) : الكليل اللسان العيي عن حاجته ، والانثى فهة بالهـاء . والفهية الفهفه كالفه .

(٧٣) اللسان : غضفت الاذن غضفا وهي غضفاء : طالت واسترخت وتكسرت ، وقيل : اقبلت على الوجه ، وقيل ادبرت الى الراس وانكسر طرفها ، وقيل : هي التي تتثنى اطرافها على باطنها ، وهي في الكلاب اقبال الاذن على القفا .

(٧٤) اللسان : صلخ سمعه وصلج ، الاخيرة عن ابن الاعرابي : ذهب فلا يسمع شيئا البتة . ورجل اصلخ بين الصلخ .
قال ابن الاعرابي : فاذا بالغوا بالاصم قالوا : اصم اصلخ .

(٣٢)
في تقسيم الصدور

صدر الانسان ، كِركِرة[٧٥] البعير ، لَبان الفرس ، زَوْر السَبُع ، قص الشاة ، جؤجؤ الطائر ، جَوْشن الجرادة .

(٣٣)
في تقسيم الأظفار

ظُفْر الانسان ، مَنسِم البعير ، سُنبكِ الفرس ، ظِلْف الثور ، بُرثُن السبع ، مِخلَب[٧٧] الطائر .

(٣٤)
في تقسيم أوعية الطعام

المعدة من الانسان ، الِكرش[٧٨] من كل ما يجتر ، الحوصلة من الطير .

(٣٥)
في الأصوات التي لاتفهم

اللغطاء[٧٩] اصوات مبهمة لا تفهم ، التغمغم الصوت بالكلام الذي لا يَبين ، وكذلك التجمجم ، اللجَب صوت العسكر ، الضوضاء واجتماع اصوات الناس والدوابّ وكذلك الجَلَبة .

(٣٦)
في حكايات أقوال متداولة في الالسنة

البسملة حكاية قول: بسم الله ، السبحلة حكاية قول : سبحان الله ، الهيللة حكاية قول : لا إله الا الله ، الحولقة حكاية قول : لا حول ولا قوة ، الحيعلة حكاية قول : حيَّ على الصلاة ، الطلبقة حكاية قول : أطال الله بقاك ، الدمعزة حكاية قول : أدام الله عزك .

---

(٧٥) اللسان : والكركرة رحى زور البعير والناقة ، وهي احدى الثفنات الخمس ، وقيل : هو الصدر من كل ذي خف .

(٧٦) اللسان : الزور الصدر ، وقيل : وسط الصدر ، وقيل : أعلى الصدر ، وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت ، وقيل : هو جماعة الصدر من الخف .

(٧٧) لم يرد في «ق» وهو في «ج» .

(٧٨) الكرش والكِرش مثل والكِبد والكَبد . بفتح الكاف وكسرها .

(٧٩) لا يوجد في «اللسان» اللغطاء وكذلك في سائر كتب اللغة . وفيها «اللغط» .

(٣٧)
في تفصيل الأصوات من الأعضاء

الشخير من الفم ، النَّخير من المِنخرين ، القَفْقَفَة(٨٠) من الحنك عند اضطرابها ، الفرقعة من الاصابع عند غَمز المفاصل ، الكرير من الصدر وهو من المختنق ، الزمجرة من الجوف ، القرقرة من الامعاء ، الخقخقه من الفرج عند النكاح ، الافاخة من الدُبرُ عند خروج الريح ، وفي الحديث كل بائلة تُفيخ •

(٣٨)
في أصوات الخيل

الصهيل صوت الفرس في أكثر أحواله ، الضَبح (٨١) صوت نفَسه اذا عدا ، القَبْع صوت يردده من منخريه الى حلقه اذا نفر من شيء أو كرهه ، الحمحمة صوته اذا طلب العلف ورأى صاحبه فاستأنس اليه ، (الخضيعَة (٨٢) والوقب (٨٣) صوت بطنه)(٨٤) ، الرعيق والرعاق صوت يسمع من قنْبه الوعيق(٨٥) من ثَفَر الرَمَكة (٨٦) •

(٣٩)
في أصوات البغل والحمار

الشحيج للبغل ، النهيق للحمار ، السحيل (٨٧) أشـد منه ، الزفير أوله ، الشهيق آخره •

(٤٠)
في أصوات السباع والوحوش

الصئي للفيل(٨٨) ، الزئير للأسد ، العواء والوعوعة للذئب ،

---

(٨٠) اللسان : عن الليث : أن القفقفة اضطراب المنكبين واصطكاك الاسنان من الصرد أو من نافض الحمى .

(٨١) اللسان : وضبحت الخيل في عدوها تضبح ضبحاً : أسمعت من افواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة . وفي التزيل : والعاديات ضبحا .

(٨٢) هكذا في فقه اللغة ، أما في «ق» «ج» : الخضبقة .

(٨٣) اللسان : الوقب : صوت يخرج من قنب الفرس .

(٨٤) ما بين القوسين زيادة في «ق» .

(٨٥) الوعيق : والوعاق الذي يسمع من بطن الدابة وهو صوت جردانه اذا تقلقل في قنبه ، قال الليث : يقال منه وعق يعق وعيقا ووعاقا وهو صوت يخرج من حياء الدابة اذا مشت .

(٨٦) الثفر : تحت ذنب الدابة ، الرَمَكة : الفرس .

(٨٧) السحيل والسحال الصوت الذي يدور في صدر الحمار .

(٨٨) اللسان ! الصئي على فعيل : صوت الفرخ للطائر وصوت الفأر والخنزير والسنور والكلب والفيل .

الضُباح[89] للثعلب ، القِباع للخنزير ، المُواء للهرة ، الضِحك للقرد ، النزيب للظبي وكذلك البغوم، الضغيب[90] للأرنب ، الخوار للبقر ، الثغاء للغنم ، البعار للمعز ، النبيب للتيس ، الهبيب [91] صوته اذا أراد السفاد .

(٤١)
(في صوت الكلب)

النُباح صوته في أكثر أحواله ، الضُغاء صوته اذا جاع ، الوقوقة صوته اذا خاف ، الهرير صوته اذا أنكر شيْئاً أو كرهــه .

(٤٢)
(في اصوات الطيور)

العِرار [92] للظليم ، الصَرصَرة للبازي ، الفقفقة [93] للصقر ، الصفير للنسر ، الهديل للحمام ، السـجع للقمـري ، الشَقشقة للعصفور ، النعيق والنعيب للغراب ، قال بعضهم : نعيقه بالخير ونعيبه للشر ، والضُغاء [94] والزُقاء والسقاع للديك والحمامة ، القَوقأة والنَقنَقة للدجاجة ، الانقياض صوتها اذا أرادت البيض .

(٤٣)
في اصوات الحشرات

فحيح الحية نعيبها ، كشيشها بجلدها ، النقيق للضفِدع ، الصئي للعقرب والفأرة ، الصرير للجرادة .

(٤٤)
في سياقة اصوات مختلفــة

هزيز الريح ، هزيم الرعــد ، عزيف الجن ، حفيف الشجر ، وسوسة الحلي ، جعجعة الرحى ، صرير الباب والقلم ، قلقَلة القفل والمفتاح ، خفق

---

(٨٩) اللسان : الضباح الصهيل للخيل .
(٩٠) اللسان : الضغيب والضغاب صوت الارنب والذئب .
(٩١) اللسان : هب التيس يهب هبيبا وهبابا وهبهب : هـاج ونب للسفاد ، وقيل الهبهبة صوته عند السفاد .
(٩٢) فقه اللغة للثعالبي : والنعام يعار عرارا ويقال ذلك للظلم .
(٩٣) اللسان : الفقفقة : نباح الكلب عند الفرق ، والفقفقة حكاية عواءا لكلاب .
(٩٤) اللسان : ضغا الذئب والسنور والثعلب يضغو ضغوا وضغـاء : صوت وصاح ، وكذلك الكلب والحية ثم كثر حتى قيل للانسان اذا ضـرب واستغاث .

ألنعل ، صريف ناب البعير ، مُكاء [٩٥] النافخ في يده ، طنطنة الأوتار .

(٤٥)
في الأصوات المشتركة

النشيش : صوت غليان المقلي والشراب ، الرنين : صوت الثكلى والقوس ، القصيف : صوت الرعد ، الهدير : صوت البحر والفحل ، النقيق : صوت الدجاج والضفدع ، الجرجرة : صوت الفحل ، القعقعة : صوت السلاح والجلد اليابس والقرطاس ، الغرغرة : صوت غليان القدر وتردد النفس في صدر المحتضر ، العجيج : صوت الرعد والحجيج [٩٦] ، الزفير : صوت النار والحمار والمكروب اذا امتلأ صدره غماً فزفر به ، الخشخشة والشخشخة : صوت حركة القرطاس والثوب الجديد والدروع ، الجلجلة : صوت السبع والرعد ، الصليل والصلصلة : صوت الحديد واللجام والسيف والدراهم والمسامير ، الطنين : صوت الذباب والبعوض والطنبور ، الاطيط : صوت الناقة والمحمل (الرحل اذا أثقله ما عليه ، الدوي : صوت الرعد والمطر ، الانقاض [٩٧] : صوت المحجمة اذا شدها الحجام بمصه ، التغريد : صوت المغني والحادي والطائر ، الزمزمة : صوت لهيب النار ، الازيز : صوت المرجل عند الغليان ، الغطغطة والغطمطة : صوت غليان القدر ، العَجْعَجة [٩٨] : صوت لَهَيب النار اذا شب بالضِرام ، الخرير : صوت الماء الجاري ، القسيب : [٩٩] صوته تحت ورق ، العقيق : صوته اذا دخل في مضيق ، البقبقة : حكاية صوت الجرة والكوز في الماء ، القصيف : صوت الرعد والبحر ، الهدير للفحل .

---

(٩٥) اللسان : المكاء مخفف : الصفير . مكا الانسان يمكو مكوا ومكاء صفر بفيه : قال بعضهم : هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها في فيه ثم يصفر فيها . وفي التنزيل العزيز : وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية .

(٩٦) لم يرد هذا المعنى في مادة « حجج » .

(٩٧) اللسان : صويت مثل النقر . وانقاض العلك تصويتـه وهو مكـروه . وانقض أصابعه : صوتبها . قال الاصمعي : يقال انقضت بالعَير والفرس ، قال : وكل ما نقرت به فقد انقضت به .

(٩٨) هذا هو الصحيح اما في «ق» و «ج» : العمعمة . وفي «اللسان» : عج الماء يعج عجيجا وعجعج كلاهما : صوت .

(٩٩) اللسان : القسيب : صوت الماء . قال ابن السكيت : مررت بالنهر ولـه قسيب أي جرية . وفي « التهـذيب » : القسيب صوت الماء تحت ورق أو قماش . قال عبيد :

أو جدول في ظلال نخل ... للماء من تحتـه قسيب .

(٤٦)
في ترتيب جماعات الناس وتدريجها من القلة الى الكثرة

نَفَر ورهط ولمّة وشِرْذِمة ثم قبيل وعُصبة وطائفة ثم ثُبَة وثُلّة ثم فوج وفرقة ثم حزب وزمرة ثم فئام [١٠٠] وفريق [١٠١] ثم جيل .

(٤٧)
في ضروب جماعات الناس

اذا كانوا أخلاطاً وضروباً متفرقين فهم أفناء وأوزاع وأوباش وأعناق[١٠٢] وأشائب ، فاذا احتشدوا في اجتماعهم فهم حَشْد ، فاذا كانوا فرساناً فهم موكب ، فاذا كانوا بني أبٍ واحد فهم قبيلة ، فاذا كانوا بني أب واحد وأم واحدة فهم بنو الاعيان ، فاذا كان أبوهم واحد وامهاتهم شتى فهم بنو العَلاّت فاذا كانت امهم واحدة وآباؤهم شتى فهم بنو الاضياف .

(٤٨)
في تدريج القبيلة من الكثرة الى القلة

الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ، وفي مثل ذلك الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العشيرة ثم الذريّة ثم العترة ثم الاسرة .

(٤٩)
في تفصيل جماعات شتى

جيل من الناس ، كوكبة من الفرسان ، جوقة من الغلمان ، حاصب[١٠٣] من الرجالة كبكبة من الرجال ، لُمة من النساء ، رعيل من الخيل ، صِرمة من الابل ، قطيع من الغنم ، عَرجلةَ [١٠٤] من السباع ، سرب من الظِباء ، عصابة من الطير ، رَجل من الجراد ، خَشْرَم من النحل .

(٥٠)
في ترتيب العساكر

أقل العساكر الجريدة، وهي قطعة جُرّدت من سائرها لامرٍ ما ، ثم السريّة

---

(١٠٠) هكذا في «ج» ، أما في «ق» : قيام .
(١٠١) هكذا في «ق» ، أما «ج» : خريق .
(١٠٢) اللسان : الاعناق ، الرؤساء .
(١٠٣) ينصرف «الحاصب» الى عدة معان منها «الرماة» كما في قول الاعشى :
لنا حاصب مثل رجل الدبى
وجاءواء تبرق عنها الهيويا
(١٠٤) هكذا في «ج» ، أما في «ق» : غرملة . والعرجلة في «اللسان» القطعة من الخيل وقيل : الجماعة من الناس ، وقيل : منا لمعز .

أكثر منها وهي خمسون الى اربعمائة ، ثم الكتيبة وهي من مائة الى الف ، ثم الجيش وهو من ألف الى أربعة آلاف ، وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس وهو من أربعة آلاف الى اثني عشر الفاً والعسكر يجمعها .

(٥١)
في سياقات جماعات مختلفة

جماعة النساء والظباء والقطا سرب ، جماعة البقر الوحشية والظباء إجل وربرب ، جماعة البقرة الوحشية خاصة صوار ، جماعة الحمر الوحشية عانة ، جماعة النعام خيط (١٠٥) ، جماعة الجراد رجل ، جماعة النحل دبر (١٠٦) .

(٥٢)
من الجموع التي لا واحد لها

النساء ، الابل ، الخيل ، الغور وهي الظباء ، المساويء ، المحاسن ، المقابح ، المقاليد ، الابابيل (١٠٧) ، المذاكير ، المسام (١٠٨) .

(٥٣)
في تقسيم القطع

جدع أنفه ، صلم أذنه ، شتر جفنه ، شرم شفته ، جذم يده ، جب ذكره .

(٥٤)
في تقسيم قطع الأطراف

قص جناح الطير ، حذف ذنب الفرس ، قد ريش السهم ، قلم الظفر ، قط القلم عصف الزرع ، خزم الانف وهو دون الجدع .

---

(١٠٥) والخيط والخيط جماعة النعام ، وقد يكون ، من البقر ، والجمع خيطان . وقالوا القطعة من الجراد .

(١٠٦) هذا هو الصحيح ، اما في «ق» و «ج» : وبر .

(١٠٧) : الابابيل جماعة في تفرقة واحدها أبيل وابول ، وذهب أبو عبيدة الى أن الابابيل جمع لا واحد له بمنزلة عبابيد وشماميط وشعاليل . قال الجوهري : وقال بعضهم ابيل ، قال : ولم أجد العرب تعرف له واحدا .

(١٠٨) لم ترد المسام في كتب اللغة ، وقد اقتصر في «اللسان» على شاهد وردت فيه الكلمة وهو ما انشده ثعلب :

ذاك ام حقباء بيدانة غربة العين جهاد المسام

وفسره فقال : المسام الذى تسومه اي تلزمه ولا تبرح منه . وليس من علاقة بين الشاهد والكلمة كما هي في النص في اعلاه .

(٥٥)
في تقسيم القطع على أشياء مختلفة

جذّ اللحم ، قص الشعر ، جز الصوف ، عضد الشجر ، قضيب الكرم ، قطف

جذّ اللحم ، قص الشعر ، جز الصوف ، عضد الشجر ، قضب الكرم ،
قطف العنب جرم النخل ، حصد النبات اليابس ، خضد الرطب ، قطع الثوب ، جاب الصخر ، قد السير ، جذّ النعل ، برى القلم ، فلح الحديد ، حذق[١٠٩] الحبل ، (بت الحكم) [١١٠] .

(٥٦)
في تفصيل الانقطاعات

عقمت المرأة اذا انقطع حيضها ، أقفت الدجاج اذا انقطع بيضها ، جُدّت [١١١] الشاة ، شصت [١١٢] الناقة اذا انقطعت ألبهانها ، أصفى الرجل اذا انقطع نكاحه ، أفحم الشاعر اذا انقطع الشعر عنه ، فَحمَ [١١٣] الصبي اذا انقطع صوته من البكاء ، خفت المريض اذا انقطع نفسه ، نضب الغدير اذا انقطع ماؤه .

(٥٧)
في ضروب الانقطاعات

نبا سيفه ، كلّ بصره ، كَسَلَ عُضوُه ، أعيا في المشي ، عيّ عن المنطق ، جفر عن الباه ، عجز عن العمل ، حاص عن القتال .

(٥٨)
في تفصيل القطع من أشياء مختلفة

كِسرة من الخبز ، فِدرة من اللحم ، فِلذة من الكبد ، لُمظة من الطعام ، صَبابة من الشراب ، نَسْفة من السويق ، فرزدقة من الخمير ، غرفة من المرق ،

---

(١٠٩) هكذا في «ج» ، أما في «ق» : فلح .

(١١٠) ما بين القوسين زيادة في «ج» .

(١١١) اللسان : جدت أخلاف الناقة اذا أصابها شيء يقطع أخلافها . وناقة جدود وهي التي انقطع لبنها . وقال شمر : الجداء الشاة التي انقطعت أخلافها .

(١١٢) اللسان : الشصوص : الناقة التي لا لبن لها ، وقيل : القليلة اللبن ، وقد أشصت . ابن سيده : شصت الناقة والشاة تشِص وتشَص واشصت فهي شصوص .

(١١٣) اللسان : فحم الصبي بالفتح يفحم وفحم فحما وفحاما وفحوما وفحم وأفحم كل ذلك اذا بكى حتى ينقطع نفسه وصوته .

(١١٤) اللسان : ابن الاعرابي : أجفر الرجل وجفَر وجفَّر المجتفر انقطع عن الجماع .

دِرة من اللبن ، كتلة من التمر ، صُبْرة (115) من الحنطة ، نُقرة من الفضة ، كُبَّة من الغزل ، خُصْلة من الشعر ، زُبْرة من الحديد ، جَذْوة من النار ، كِسْفة من السحاب ، قَزَعة من الغيم ، خِرْقة من الثوب ، فِرْصة(116) من القطن فِرصة من القطن ، فِلعة من الجلد ، فلقة من الحديد ، رُمّة من الحبل ، فِصمة من السواك ، حشوة من التراب ، نُبْذة من المال ، مُسْكة من المعيشة ، هزيع من الليل .

(٥٩)
في القطع المضمومة والمجموعة

ضِغْث من حشيش ، طُن(117) من قصب ، باقة من بقل ، حُزْمة من حطب ، كارة من ثياب ، إضبارة من كتب .

(٦٠)
في تفصيل الشق في اشياء مختلفة

الخَق(118) في الارض ، الهزم(119) في الصخر ، الشق في الثوب ، الصدع في الزجاجة ، النملة في حافر الفرس ، الصير في الباب ، وفي الحديث : من نظر في صِير باب فقد دَمَّر .

(٦١)
في تقسيم الشق

فَلَع الرأس ، بعج البطن ، عط الثوب ، بط الجرح ، شق الجيب ، شك الدرع ، هتك الستر ، بزل(120) الدن ، فلق الفستقة ، نقف الحنظلة ، فَصَدَ العرق ، ذبح فارة المسك ، تشققت الارض ، تفلقت الطينة ، تفلّعت البطيخة ، تفقأت البيضة ، تزلّعت اليد ، تكلّعت (121) الرجل ، تفتّق النور .

---

(115) اللسان : الصبرة ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض.

(116) اللسان : الفِرصة والفَرصة والفُرصة القطعة من الصوف او القطن ، وقيل :هي قطعة قطن أو خرقة تتمسح بها المراة من الحيض .

(117) اللسان الطن الحزمة من الحطب والقصب ، قال ابن دريد : لا أحسبها عربية صحيحة .

(118) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» : اللخق .

(119) في الحديث : عرستم فاجتنبوا هزم الارض فانها مأوى الهوام ، وهو ما تهزم منها أي تشقق .

(120) هكذا في «ج» ، أما في «ق» : بزك .

(121) هكذا في «ق» أما في «ج» تكلفت .

(٦٢)
في تقسيم الكسر

شجّ الرأس ، هشم الانف ، هتم السن ، وقص العنق ، قصم الظهر ، حطم العظم ، هد الركن ، دكّ الجبل ، رتم الحجر ، قصف الحطب ، هصر الغصن ، هضم القصب ، شدخ رأس الحية ، ثقف الهامة ، ثرد الخبز ، فقص البيض ، فدغ(١٢٢) البصل ، فضخ البطيخ ، رضخ النوى ، فضّ الختم ، رضّ الحب ، فصم السوار والخلخال •

(٦٣)
في شـــق الأعضـــاء

اذا كان الرجل مشقوق الشفة العليا فهو أعلم ، وفي الشفة السفلى فهو أفلح ، واذا كان مشقوقهما فهو أشرم ، واذا كان مشقوق الانف فهو أخزم ، فاذا كان مشقوق الاذن فهو أخرب (١٢٣) ، فاذا كان مشقوق الجفن فهو أشتر •

(٦٤)
في تقسيم النقب

نقب الحـــائط ، ثقب الـــدر ، قوّر البطيخ والثوب ، ثلم الانـــاء ، خَزَمَ (١٢٤) الكتاب اذا ثقبه •

(٦٥)
في تقسيم النقب

خُرْمة الاذُن ، خُرْتة (١٢٥) الفَأس ، سَمّ الابرة ، ثُقبة الـــدر ، كُوّة السقف والحائط •

(٦٦)
في تقسيم النسج

نسج الثوب ، رَمَل (١٢٦) الحصير ، سف (١٢٧) الخوص ، ضفر الشعر ،

---

(١٢٢) في «النهاية» لابن الاثير : الفدغ الكسر والشق اليسير . وفي«اللسان» : الفدغ كسر الشيء الرطب .

(١٢٣) هكذا في «اللسان» ، أما في «ق» و «ج» : أحرب .

(١٢٤) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» : خرم

(١٢٥) في «اللسان» : ... والخرته بالتاء في الحديد من الفأس والابرة .

(١٢٦) اللسان : رمل السرير والحصير يرمله رملا : زينه بالجوهر ونحـــوه . وقال ابو عبيد : رملت الحصير وأرملته فهر مرمول ومرمل اذا انسجته وسففته .

(١٢٧) هذا هو الصحيح ، أما «ق» و «ج» : سعف .

فتل الحبل ، جدل السير ، حاك الكلام .

(٦٧)
في تقسيم الخياطة

خاط الثوب ، خرز الخف ، خصف النعل ، كتب القربة ، كلب المزادة ، سرد الدرع ، حاص [١٢٨] عين البازي .

(٦٨)
في تفصيل الخيوط

النصاح [١٢٩] للابرة ، السلك للخرز ، السمط للجواهر ، الرتمة [١٣٠] للاستذكار ، المطمر لتقدير البناء ، السباق لرجل الطائر ، الصرار لضرع الناقة ، العصابة للرأس ، الوشاح للصدر ، النطاق للخصرة ، الازار لما تحت السرة ، الزنار لوسط الذمي السحا للكتاب ، الرباط للخريطة ، الوكاء للقربة ، الزيار لجحفلة الدابة ، العكام للعكم ، الحزام للسرج ، الوضين للهودج ، النطاق للقتب ، السفيف للرحل .

(٦٩)
في تفصيل ضروب الثياب

المسحل [١٣١] من القطن ، الحرير من الابريسم ، الخنيف [١٣٢] ما غلظ من الكتان ، والشرب [١٣٣] مارق منه ، والردن ما غلظ من الخز ، والسكب [١٣٤] مارق منه ، واللبادة من اللبود .

(٧٠)
في ترتيب الخمار

البخنق خرقة تغطى بها المرأة رأسها ، ثم الغفارة فوقها ودون الخمار ، ثم

---

(١٢٨) اللسان : حاص الثوب يحوصه حوصا خاطه .

(١٢٩) اللسان : النصاح السلك يخاط به .

(١٣٠) اللسان : الرتمة خيط يعقد على الاصبع للتذكر . وفي « الصحاح » خيط يشد على الاصبع لتستذكر به الحاجة ، وقال ابن بري : قال علي حمزة الرتمة هي الرتيمة .

(١٣١) هذا هو الصحيح ، أما ، «ق» و «ج» : السحل .

(١٣٢) هذا هو الصحيح ، أما في «ج» الحنيف .

(١٣٣) لم أجد هذا المعنى في مادة «ش رب» ولعله مصحف « الشذب » وهو متاع البيت من قماش وغيره .

(١٣٤) اللسان : السكب بالتحريك ضرب من الثياب .

الخمار أكبر منها ، ثم النصيف وهو كالنصف من الرداء ثم المِقنَعة ، ثم المِعَجز وهو أصغر من الرداء وأكبر منه المِقنَعة .

(٧١)
في الأكسية

الاضريج كساء من الخز ، الخميصة[١٣٥] كساء مُعْلَم ، البُرجُد كساء غليظ مخطط ، المِرْط كساء من خز أو صوف ، المِطرف كساء في طرفيه علمان .

(٧٢)
في الفرش

الزَرْبِية للبساط ، الحِلس بساط المجلس ويقال : فلان حلس بيته اذا كان لا يخرج منه ، العبقري كل فراش فاخر ، القِرام الستر ، الكِلة الستر الرقيق .

(٧٣)
في تفصيل الوسائد

المِخَدّة للرأس ، النِمْرقة واحدة النمارق ، المِسوَرة التي يتكأ عليها، والوِسادة تجمعها .

(٧٤)
في الأولاد

ولد كل سبع جُرو ، ولد كل طائر فَرخ ، ولد كل وحشية طَلا ، ولد كل انسان طِفل .

(٧٥)
في الضوارب

كل ضارب بمؤخرة يلسع كالعقرب والزنبور ، وكل ضارب بفيه يلدغ كالحية وسام أبرص ، وكل قابض بأسنانه ينهش كالكلب وسائر السباع .

(٧٦)
في صغار الأشياء

الحصى صغار الحجارة ، الفسيل صغار الشجر ، الأشاء صغار النخل ، الفَرْش صغار الابل النَقَد صغار الغنم ، الحشرات صغار دواب الارض ، الدُخَّل صغار الطير ، الغوغاء صغار الجراد ، الذر صغار النمل ، الزَغَب صغار ريش الطائر ، القِطقِط صغار المطر اللمم صغار الذنوب ، الضغابيس

---

(١٣٥) اللسان : الخميصة برنكال أسود معلم من المرعزي والصوف ونحوه .

صغار القثّاء ، وفي الحديث : « إنه عليه السلام أهـدي ضغابيس فقبلها وقبّلها وأكلها .

(٧٧)
مثلـه

القرن الجيل الصغير ، الحِفْش (١٣٦) البيت الصغير ، الجدول النهـر الصغير ، القُمقُم (١٣٧) القدح الصغير ، الكنانة الجعبة الصغيرة ، الشَكْوة القِربة الصغيرة ، الخَصاص ، الثَقبة الصغيرة ، القارب السفينة الصَغيرة ، الرَسْل (١٣٨) الجارية الصغيرة .

(٧٨)
في تفصيل الكبير

اليَفَن الشيخ الكبير ، (١٣٩) اللطلط العجوز الكبيرة ، الخليج النهر الكبير ، الرَس البئر الكبير ، الشاهين المِيزان ، الخِنجَر السكين الكبير .

ومثلـه

الشارع الطريق العظيم ، السور الحائط العظيم ، الرِتاج الباب العظيم ، الصخرة الحجر العظيم ، الصَراة (١٤٠) الحوض العظيم ، الفيلق الجيش العظيم الدوحة الشجرة العظيمة ، السَحْبل (١٤١) القربة العظيمة ، الغَرْب الـدلو العظيم ، الثعبان الحية العظيمة ، القِرمِيد الآجرة العظيمة ، الدَلدَل القنفـذ العظيم ، القَمَع الذباب الازرق العظيم الحَلَمة القراد العظيم ، الفادر الوعل العظيم ، البَقّة البعوضة العظيمة .

---

(١٣٦) اللسان : الحفش وعاء المغازل ، الليث : الحفش ما كـان من أسـقاط الاواني التي تكون أوعيـة في البيت الطيب ونحـو . والحفش : البيت الصغير .

(١٣٧) هذا هو الوجه ، أما في «ق» و «ج» : الغمم .

(١٣٨) اللسان : جارية رسل اذا كانت صغيرة لا تختمر قال عدي بن زيد :

ولقد ألهو ببكر رسل   مسها الين من مس الردن .

(١٣٩) اللسان : قيل للعجوز لطلط اذا اسقطت اسنانها وكذلك الناقة المسنة . اما في «ق» و «ج» القلط .

(١٤٠) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» : المصراة . وفي «اللسان» : كل ماء مجمع صرى ، ومنه الصراة .

(١٤١) اللسان : السحبل من الاودية الواسع . في «ق» و «ج» السخبل .

(٧٩)
في معظم الأشياء

المحجة والجادة معظم الطريق ، حومة القتال معظمة وكذلك من البحر والرمل ، جُمّة الماء معظمه ، القيروان معظم العسكر ومعظم القافلة .

(٨٠)
في تفصيل الأشياء الضخمة

العَلْكوم الناقة الضخمة ، الجأب[١٤٢] العير الضخمة ، الخَذَرْنق[١٤٣] العنكبوت الضخمة ، الجندب الجرادة الضخمة ، الهِراوة العصا الضخمة ، القلس[١٤٤] الحبل الضخم ، الرَفْد[١٤٥] القدح الضخم ، الهِلَّوف اللّحية الضخمة .

(٨١)
في ترتيب ضخم المرأة عن الأصمعي

اذا كانت ضخمة على اعتدال فهي رِبَحْلة[١٤٦] فاذا زاد ضخمها ولم يقبح سِبَحلة ، فاذا دخل ضخمها في حدْ ما يكره فهي مُفاضة ، فاذا أفرط مع استرخاء لحمها فهي عِفضاج .

(٨٢)
في ترتيب الطول

رجل طويل ثم طُوال ، فاذا زاد فهو شَوْذَب[١٤٧] وشوقَب ، فاذا زاد عَشَنَّط وعَشَنَّق ، فاذا أفرط طوله وبلغ النهاية فهو سَلَعْلَع[١٤٨] وعَنَطْنَط[١٤٩] .

(٨٣)
في تقسيم الطول

رجل طَوِل[١٥٠] ومقدود ، جارية شطبة وعطبول ، فرس أشق وأمق

---

(١٤٢) اللسان : الجأب : الحمار الغليظ والخذرنق ذكر العناكب .
(١٤٤) لم اهتد الى هذا اللفظ .
(١٤٥) اللسان : الرَفد والرِفد والمِرفَد والمَرفِد : القدح العظيم .
(١٤٦) اللسان : جارية سبحلة ربحلة : ضخمة لحيمة جيدة الخلق في طول
(١٤٧) اللسان : الشوب من الرجال الطويل الحسن الخلق .
(١٤٨) لم أجده في كتب اللغة ومعجماتها المطولة .
(١٤٩) لم أجده كذلك .
(١٥٠) اللسان : رجل طويل وطوال فاذا زاد طوله قيل طُوّال بضم الطاء وتشديد الواو .

وسَرحوب ، بعير شيظم وشَعشَعان ، ناقة جَسَرة وقيدود ، نخلة باسقة وسَحوق ، شجرة عَيدانة وعميمة ، جبل شاهق وشامخ وباذخ ، شعر فينان ووارد .

(٨٤)
في ترتيب القصر

رَجُل قصير ، ثم دحداح ثم حنبَل ، وحزَنبل ، وحِنزاب ، وكَهَمَّس ، ثم بُحْتُر وحَبْتَر ، فاذا كان مفرط القصر يكاد الجلوس فهو حبتار وحَبْتَل(١٥١) ، فاذا كان القيام يزيد في قدّه فهو جَنَزَفرة(١٥٢) عن ثعلب.

(٨٥)
في تقسيم العرض

وعاء عريض ، رأس فِلطاح ، حجر صَلَدَح ، سيف مُصفَّح .

(٨٦)
في اليبس

الكَعْك الخبز اليابس ، القَديد اللحم اليابس ، القَسْب التمر اليابس ، القَشَع الجلد اليابس ، الحشيش الكلأ اليابس ، الجَزْل الحطب اليابس ، الصَلْد الحجر اليابس ، البَعْر الروث اليابس العصيم(١٥٣) العَرَق اليابس ، الصِلصال الطين اليابس .

(٨٧)
في الرطب

الرُطَب التمر الرطب ، العشب الكلأ الرطب ، الفِصفِصة القت الرطب ، الثُرْمُطة الطين الرطب ، الأُرنة الجُبْن الرطب .

(٨٨)
في اللينة

السهل مالان من الارض ، الرَغام مالان من الرمل والتراب ، الزَغْفة مالان من الدروع ، الألوقة من الأطعمة ، الرغد من العيش ، الحوقَلة(١٥٤) من الامتعة .

---

(١٥١) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» حيدل .

(١٥٢) لم اهتد الى هذه الكلمة في كتب اللغة .

(١٥٣) اللسان : العصيم العرق ، قال الازهري : قال ابن المظفر : العصيم الصدأ من العرق والهناء والدرن والوسخ .

(١٥٤) اللسان : الحوقلة الغرمول اللين وقيل الحوفلة بالفاء .

(٨٩)

فصــل

ثوب لين ، رمح لَدْن ، لحم رخص ، بنانــة طَفْل ، شعر سَــخام ، غصن أملود ، فراش وثير ، ريح رُخاء ، أرض رمثة ، امرأة لميس[١٥٥] .

(٩٠)

في تفصيل الشدة

الأولة[١٥٦] شدة حر الشمس ، الوديقة شدة الحر ، الصر شدة البرد ، الانهلال صوت المطر ، الغيهب شدة سواد الليل القشم[١٥٧] شدة الأكــل ، القَحْف شدة الشرب ، الدحم شدة النكاح ، الخفَر شدة الحيــاء ، السُعار شدة الجوع ، الصدى شدة العطش ، المحك شدة اللجاج ، الهدّ شدة الهدم ، القحل شدة اليبس ، المأق شدة البكاء ، الزراح شدة الهزال ، الصَلَف شدة الصياح ، الشنف شدة البغض ، الوَصَب شدة الوجع ، الحَقْحَقة شــدة السير ، الهلع شدة الجزع ، اللدَد شدة الخصومة ، الحسّ شدة القتــل ، البث شدة الحزن ، النَصَب شدة التعَب الحسرة شدد الندامة .

(٩١)

فيما يوصف بالشدة

رجل صَمَحْمَح شديد القوة ، ليل دامس شــديد الظلمة ، أســد ضُبارم شديد القوة امرأة صَهصَلق شديد الصوت ، رجل أقشر شــديد الحمق ، رجل خصِم شديد الخصومة ، شعر قَطَط شديد الجعودة ، مــاء زُعاف ، شديد المُلوحة ، يوم مَعمعاني شديد الحر ، عود دَعِر كثير الدخان .

(٩٢)

في الأوصاف بالشدة

يوم عصيب ، داء عضال ، داهية عنقفيز ، سير حَقحاق ، ريح عاصف ، مطر وابل ، سيل راعب ، برد قارص ، حرلافح ، شتاء كَلِب ، حَجَر صيخود .

---

(١٥٥) في «ق» و «ج» : مليس .

(١٥٦) جاء في «اللسان» : الألة الشدة .

(١٥٧) في «ق» و «ج» القثم .

(٩٣)
في تفصيل الاشياء الكثيرة

الدَّثَر المال الكثير ، الغَمْر الماء الكثير ، المَجْر الجيش الكثير ، الخَشْرَم النخل الكثير ، الدَّيلم النمل الكثير ، الحَفال الشعر الكثير ، الغيطل الشجر الكثير ، الحَيل(١٥٨) الجماعة الكثير .

(٩٤)
في الكثرة

ماء غَدَق ، مال لَبَدَ ، جيش لجِب ، مطر عُباب ، فاكهة كثيرة .

(٩٥)
مثلـه

رجل ثرثار كثير الكلام ، رجل جُراضم(١٥٩) كثير الأكل ، رجل خِضْرم(١٦٠) كثير العطية ، فرس غمر كثير الجري ، امرأة نثور كثيرة الاولاد، عين ثرة كثير الماء ، رجل علاّمة كثير العلم ، رجل ضُحَكة كثير الضحك واللعب ، رجل عيّابة كثير العيب للناس ، رجل أشعر كثير الشعر ، بة كبش أصوف كثير الصوف ، رجل تامر لابن كثير التمر واللبن .

(٩٦)
في القلـة

الثَمَد والوشَل الماء القليل ، ناقة عَزَوَّر(١٦١) قليلة اللبن ، شاة جَدود قليلة الدر ، امرأة نَزور قليلة الولد ، امرأة قنين(١٦٢) قليلة الاكل ، شاة زَمِرة قليلة الصوف ، رجل زَمِر قليل المروءة(١٦٣) ، رجل جَحْد قليل الخير، رجل مقل قليل المال ، رجل أزعر قليل الشعر ، رجل قضيف قليل اللحم .

(٩٧)
في تقسيم القلـة

ماء وَشَل ، عطاء وَتح(١٦٤) ، مال زهيد ، شرب غشاش ، نوم غِرار .

---

(١٥٨) اللسان : الحيلة بالفتح : جماعة ، وقال اللحياني : القطيع من الغنم .
(١٥٩) اللسان : ومن الغنم الاكول .
(١٦٠) في «ق» و «ج» حضرم .
(١٦١) لم أجد هذا المعنى في الكلمة .
(١٦٢) لم أجد هذه الصيغة في مادة (ق ن ن) .
(١٦٣) في «ق» و «ج» : المودة .
(١٦٤) ج «ق» و : ويح ، وفي «ج» ومح .

(٩٨)
في السعة

ارض واسعة ، دار قوراء ، بيت فسيح ، طريق مهيَع ، عين نجلاء ، عيش رفيع ، قَدَح رَحراح سير عنَق ، صدر رحيب ، بطن رغيب ، قميص فِضفاض ، سراويل مُخرَنْفجة .

(٩٩)
في تقسيم الضيق

مكان ضيق ، صدر حرَج ، معيشة ضنك ، طريق لزَب .[١٦٥] ،

(١٠٠)
في تقسيم الجدة والطراء

ثوب جديد ، برد قشيب ، لحم طري ، شراب حديث ، شباب غض .

(١٠١)
فيما يوصف بالخلوقة والبلى

الطِمْر الثوب الخَلق ، السَحْق البرد الخَلَق ، النير[١٦٧] الفروالخَلق ، الشَنّ القَربة البالية ، الرِمة العظم البالي .

(١٠٢)
في تقسيم الخلوقة والبلى

شيخ هِمّ ، ثوب هِدْم ، عظم نخِر ، كتاب فارس[١٦٨] ربيع داثر ، رسم طامس .

(١٠٣)
في تقسيم القدم

دينار عتيق ، بناء قديم ، رجل دَهْري ، شيخ قِنَّسري عجوز قَنْفَرِش ، مال مقلد ، خمر عاتق ، قوس عاتكة .

(١٠٤)
في الجيد من الأشياء

مطر جَود ، فرس جواد ، درهم جيّد ، ثوب فاخر ، متاع نفيس ،

---

(١٦٥) هكذا في «ق» أما في «ج» : لذب .
(١٦٦) هكذا في «ق» أما في «ج» : طراءة .
(١٦٧) اللسان في « الصحاح » النير علم الثوب ولحمته أيضا .
(١٦٨) هكذا في «ق» و «ج» ويبدو لي ان الوجه فيه «طرس» والطرس هو الكتاب الممحو الذي يستطاع ان تعاد عليه الكتابة . ومثله الطلس باللام .

غلم فاره سيف جرّاز ، درع حصداء ، أرض عذاة اذا كانت كريمة المنبت •

(١٠٥)
في خيار الأشياء عن الأئمة

سروات الناس ، حمر النعَم ، جياد الخيل ، عتاق الطير ، أحرار البقول ، عقيلة المال ، حرّ المتاع والضياع •

(١٠٦)
في تقسيم الخالص من الأشياء

السَيْراء الخالص من البرود ، الرحيق الخالص من الشراب ، الأثْر الخالص من السمن ، اللظى الخالص من اللهب ، النضار الخالص من الذهب ، اللباب الخالص من كل شيء ، وكذلك الصميم •

(١٠٧)
في تقسيم الخالص

حسب لباب ، مجد صميم ، عربي صريح أعرابي قح ، رستاقي لح ، ذهب إبريز ، ماء قراح لبن محض ، خبز بحت ، دم عبيط ، خمر صراح •

(١٠٨)
فيما يناسبه

نقاوة الطعام ، صفوة الشراب ، خلاصة السمن ، لباب البر •

(١٠٩)
فيما يناسبه

دقيق محوّر ، ماء مصفق ، شراب مُروّق ، كلام منقح ، حساب مهذب•

(١١٠)
في اختصاص بعض الشيء وفي الخالص

سواد العين ، سويداء القلب ، مخ العظم ، محّ البيضة ، زبدة المخيض ، سلاف العَصير قلب النخلة ، لب الجوزة ، واسطة القلادة ، بيت القصيدة •

(١١١)
فيما لاخير فيه من الاشياء الرديئة والفضلات

خُشارة(١٦٩) الناس ، حُشاش الطير ، نُفاية الدراهم ، قُشامة الطعام ، حثالة المائدة ، عَكَر الزيت ، حشافة التمر ، رذالة المتاع ، غسالة الثياب ، قُمامة البيت ، قلامة الظفر ، خَبَث الحديد والفضة •

---

(١٦٩) هكذا في «ق» أما في «ج» : حشارة .

(١١٢)
في تفصيل اسماء تقع على الحسان

الوَضّاح الرجل الحسن الوجه ، الغانية المرأة الحسناء ، المطهَّم الفرس الحسن الخلق ، العيطل الناقة الحسنة الخلق .

(١١٣)
في تقسيم الحسن

الصباحة في الوجه ، الوضاءة في البشرة ، الجمال في الانف ، الحلاوة في العين ، الملاحة في الفم ، الظرف في اللسان ، الرشاقة في القدّ ، اللباقة في الشمائل ، كمال الحسن في الشعر .

(١١٤)
في تقسيم القبح

وجه دميم ، خُلُق شتيم ، كلمة عوراء ، فِعْلة شنعاء ، امرأة سوداء ، أمـر فظيع .

(١١٥)
في تقسيم السِمَن

رجل سمين ، ثم لحيم ، ثم بَلَنْدَح (١٧٠) وعكَوَّك (١٧١) ، امرأة سمينة ثم رَضراضة ثم خَدَلَّجة .

(١١٦)
في ترتيب سِمَن الدابة

يقال : بغل مهزول ، ثم مَشِق (١٧٢) اذا سمن قليلاً ثم شَنُون (١٧٣) ثم ساخ (١٧٤) ثم مُشْرَطِمّ (١٧٥) .

(١١٧)
في تقسيم السِمَن عن الليث

صبي حَفَنْضَج (١٧٦) غـلام سـمهدر (١٧٧) ، رجـل تارّ ، امـرأة

---

(١٧٠) في « ج » يلندح . والبلندح السمين القصير .
(١٧١) العكوك : الغليظ الصلب .
(١٧٢) هكذا في «ق» أما في «ج» : منق .
(١٧٣) الشنون : المهزول من الدواب .
(١٧٤) لم أجد في مادة (سخخ) ومادة (سوخ) ما يقرب من هذا المعنى .
(١٧٥) المشرطم : المتناهي السمن من الدواب .
(١٧٦) في «ق» و «ج» خنفح . والحفضج والحفضاج والحفاضج : الضخـم البطن والخاصرتين المسترخي اللحم .
(١٧٧) السمهدر : الكثير اللحم السمين .

مُتَرَبِّلة[178] ، فرس مِشياط[179] ، ناقةٌ مُكدِنة[180] ، شاة ممخة[181] .

(١١٨)
في ترتيب الهزال

رجل هزيل ، ثم أعجف ، ثم ضامر ، ثم ناحل ، بعير مهزول ، ثم نضو ، ثم رازح ، ثم رازم وهو الذي لا يتحرك هُزالاً .

(١١٩)
في ترتيب الغنى وترتيبه

الكفاف ، ثم الغِنى ، ثم الثروة ، ثم الاكثار ، ثم الاتراب ، ثم القَنطَرة[182]

(١٢٠)
في تفصيل الأموال

التلاد ، الطارف ، الركاز ، الضمار ، الصامت ، الناطق ، العقّار .

(١٢١)
في تفصيل الفقر وترتيبه

أفلس ، أعدم ، أدقع اذا ذلّ حتى لصِق بالدَقعاء .

(١٢٢)
في ترتيب الشجعان

شجاع ، ثم بطل ، ثم صِمّة[183] ، وبُهمة ثم زِمِرّ[184] ، نَكَل[185] ، ثم نَهيك ومحرِب ثم حَلِس وحَلَبس[186] ، ثم أهيَس أليَس غشمشم وأيهم .

(١٢٣)
في أوصاف الجبان وترتيبها

رجل جبان وهيّابة ، ثم مفؤود ، ثم وَرَع ضِرع ، ثم هاع لاع[187] ، ثم رعديدة ورعشيشة .

---

(١٧٨) هكذا في «ج» أما في «ق» متريثة .
(١٧٩) المشياط من الابل السريعة السمن .
(١٨٠) الناقة المكدنة ، ذات الكدنة وهي السنام او الشحم واللحم .
(١٨١) أمخت الشاة سمنت .
(١٨٢) لعلها «الغضارة» وصحفت الى القنطرة .
(١٨٣) الصمة بالكسر الشجاع ، ومن اسماء الاسد .
(١٨٤) اللسان : رجل زمر شديد .
(١٨٥) اللسان : رجل نكل (بفتحتين) قوي شجاع .
(١٨٦) اللسان : الحلبس والحبلبس والحلابس الشجاع .
(١٨٧) قوله : «هاع لاع» من باب الاتباع في الالفاظ .

(١٢٤)
في تقسيم الملأ والامتلاء

فلك مشحون ، كأس دهاق ، بحر طام ، واد زاخر ، نهر طافـح ، عين ثرّةٌ ، جفن مترع ، فؤاد ملآن كيس أعجر(١٨٨) ، واناء مفعم ، مجلس غاص .

(١٢٥)
في ترتيب كمية ما يشتمل الاواني

قَعْران ثم نَصفان وشَطْران ، ثم قَرْبان(١٨٩) ، ثم نَهْدان (١٩٠) .

(١٢٦)
في تقسيم الخلاء

أرض قفر ومَرْت وجُرُز وارض خاوية(١٩١) ، غمام جَهام ، إناء صفر ، بطن طاو ، بئر نَزَح ، شُهدة هِفَّة (١٩٢) ، قلب فارغ ، خدّ أمرد ، امرأة عُطْل ، بعير عُلُط (١٩٣) ، محبوس طَلْق ، شجرة سَلُب ، جارية زلاّء ، رجل أقلف ، رجل قرحان ، رجل صرورة (١٩٤) ، رجـل غير (١٩٥) ، سـيف خشيب ، درة عذراء ، ناقة قضيب ، امرأة بِكر ، روض أنف ، أرض فَلٌّ (١٩٦)

(١٢٧)
ما يناسب ما تقدم من الوصف بالخلو

رجل حاف ، عريان ، حاسر ، أعزل ، أكشف ، أميل ، أجم ، أنكب .

(١٢٨)
مما يقاربه في الخلو

شاة جمّاء ، سطح أجمّ ، قَرية جلحاء ، امرأة أيمّ ، رجل عزَب ، أيّل هَمَل ، المِنجاب(١٩٨) : سهم لا ريش له ، الفتخة خاتم لا فص له .

---

(١٨٨) اللسان : كيس اعجر وهميان اعجر ممتلىء .
(١٨٩) اللسان : اناء قربان قارب الامتلاء .
(١٩٠) اللسان : واناء نهدان وقصعة نهدى ونهدانة الذى قد علا واشرف .
(١٩١) الصحيح «أرض خاوية» ، أما في «ق» و «ج» ارخاوية .
(١٩٢) شهدة هفة : لا عسل فيها .
(١٩٣) اللسان : ناقة علط لا سمة فيها .
(١٩٤) اللسان : رجل صرورة لم يحج قط .
(١٩٥) هكذا في «ج» أما في «ق» : غير .
(١٩٦) اللسان : أرض فل اي جدبة .
(١٩٧) اللسان : البنيان الاجم الذي لا شرف له .
(١٩٨) المخصص (٥/٦٧) المنجاب السهم بلا ريش ولا نصل .

(١٢٩)
في خلاء الأعضاء من شعورها

رأس أصلع ، حاجب أمرط ، جفن أمعط ، خدّ أمرد ، عارض أثطّ ، جناح أحصّ ، ذنَب أجرد ، ركب أدقع ، بدن ألمط كل ذلك اذا كان لاشعر عليـــه .

(١٣٠)
في تفصيل أمكنة الناس

الحِل والمحلة مكان الحلول ، الثغر مكان المخافة ، الموسم مكان سوق الحجيج ، المدرس مكان درس الكتب ، المحفل مكان اجتماع الناس ، المأتم مكان اجتماع النساء ، النادي مكان اجتماع الناس للحديث والسمر ، المصطبة مكان اجتماع الغرباء ، الخان مكان المسافرين ، الحانوت مكان البيع والشراء، الحانة مكان في منازل الخمارين (١٩٩) ، المشوار المكان الذي تعرض فيـه الدواب ، المعسكر مكان العسكر ، المعركة مكان الحرب ، المرقد مكان الرقاد، المرقب مكان الديدبان ، الطِراز المكان الذي تنسج فيـه الثياب الفاخرة ، المَرْبع مكان الحي في الربيع .

(١٣١)
في تفصيل امكنة الحيوانات

وطن الناس ، مراح الابل ، اصطبل الدوابّ ، زَرْب الغنـم ، عرين الاسد ، وِجار الضب (٢٠٠) والضبع ، كناس الوحش ، عشّ الطير ، قرية النمل ، نافقاء اليربوع ، كور الزنابير ، خَلِيَّة النحل ، جُحْر الضب والحية.

(١٣٢)
في تفصيل أماكن الطيور

اذا كان مكان الطير على الشجر فهو وَكْر ، وان كان في جبل أو جدار فهو وَكْن ، فاذا كان على وجه الارض فهو أُفحوص ، والأُدحِيّ (٢٠١) ، للنعام خاص .

(١٣٣)
في بيوت العَرب

خباء من صوف ، بجاد من وَبَر ، فِسطاط من شعر ، خيمة من غَزَل ،

---

(١٩٩) هكذا في «ق» أما في «ج» : مكان التسوق في الخمر .

(٢٠٠) في «ج» أما في «ق» : الذئب .

(٢٠١) في في «ق» : الادعي ، وفي «ج» الارضي .

قَشَعَ من جلود ، طِراف من أديم ، قبّة من لَبِن ، سُترة من مدر •

(١٣٤)
في ترتيب الحصاة والأحجار

الحصاة ، النَبِلة ، المقذاف والرُجمة ، يَهْيَرةٌ (٢٠٢) ، فِهر ، ثم جندل ، ثم جلمد ، ثم صخرة ، النِشْفة (٢٠٣) ، الرَبيعة •

(١٣٥)
في ترتيب النبات من ابتدائه الى انتهائه

أول ما يبدأ النبت فهو رياض ، فاذا تحرك قليلاً فهو جميم فاذا عمّ الارض فهو عميم ، فاذا اصفر ويبس فهو هائج ، فاذا كان بعضه يابساً وبعضه أخضر فهو شميط فاذا تهشم وتحطم فهو هشيم حطام •

(١٣٦)
في تفصيل أحوال النار

كبا يكبو ، صلد يصلد وري يري أثقفتها حضأتها وأرثتها وسجرتها واججتها ، جاحمة خامدة بائدة هابية •

(١٣٧)
في الدواهي

وقد جمع حمزة بن الحسن ما يزيد على اربعمائة • ومن ذلك : نزلت بهم نازلة ، ونائبة (٢٠٤) وحادثة ثم آبدة وداهية وباقعة ثم بائقة وحاطمة وفاقرة ثم غاشية وواقعة وقارعة ثم حاقّة وطامّة وصاخة •

(١٣٨)
في تقسيم الوصف بالبعد

مكان سحيق ، فجّ عميق ، رجع بعيد ، دار نازحة ، شاق مُغرب ، نوىً شَطون ، سفر شاسع ، بَلَد طروح •

(١٣٩)
في الدمـاء

التامور دم الحياة ، المهجة دم القلب ، الرُعاف دم الانف ، الفصيد دم الفصد ، القِصة دم العُذرة ، الطَمث دم الحيض ، العَلَق الدم الشديد الحمرة ، النجيعَ دم يضرب الى السواد ، الحَسْد الدم اليابس •

---

(٢٠٢) المخصص (٩٣/١٠) اليهير حجر ملء الكف •

(٢٠٣) اللسان : الحجر الذى يتدلك به •

(٢٠٤) في «ج» ، اما في «ق» : نابتة •

(١٤٠)

في تقسيم الجلود

الشوى جلدة الرأس ، الصفاق جلدة البطن ، الصَفَن جلدة البيضتين، السِلاء الجلدة التي فيها الولد ، الجُلبة الجلدة التي تعلو الجرح عند البرد .

(١٤١)

في تقسيم الجلود أيضاً

مَسْك (٢٠٥) الثور والثعلب ، مِسلاخ البعير والحمار ، إهاب الشاة ، شَكوة السَخْلة خِرْشاء الحية دُواية اللبَن .

(١٤٢)

في القشور

القمطير قشرة النواة ، الفتيل القشرة في شق النواة ، القَيض (٢٠٦) قشرة البيض ، الكِرْفِيء(٢٠٧) القشرة التي تحت القيض ، القِرفة قشرة القرحة المندملة ، اللحاء قشرة العود ، الليط قشرة القصب .

(١٤٣)

في ماء الصُلْب

المَني ماء الانسان ، العَيس ماء البعير ، اليَبرون (٢٠٨) ماء الفرس ، الراجل (٢٠٩) للظليم .

(١٤٤)

في البيض

البيضة للطائر ، المَكْن للضب ، المازن للنمل ، الصُؤاب للقمل ، السِرو (٢١٠) للجراد .

(١٤٥)

فيما يتولد من بدنه الانسان من الفضول والأوساخ

اذا كان في العين فهو رَمَص ، فاذا جف فهو غَمَص ، فاذا كان في الانف فهو مُخاط ، فاذا جف فهو نَغَف ، فاذا كان في الاسنان فهو حَفَر فاذا كان

---

(٢٠٥) في «اللسان» المسك للثور والجمل والسخلة .

(٢٠٦) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» : الفرقي ، وفي «ج» « الفرقيء» ، وفي المخصص (١٢٥/٨) قشر البيضة الاعلى .

(٢٠٨) هكذا في «اللسان» وفي ، اما في «ج» : السيرون .

(٢٠٩) لم أجد هذا اللفظ في هذا المعنى فيما بين يدي من المظان .

(٢١٠) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» : السرد ، وفي «اللسان» : السرو الجراد أول ما ينبت حين يخرج من بيضه .

في الشدقين عند الغضب وكثرة الكلام كالزبد فهو زَبَب [٢١١] ، فاذا كان في الاذن فهو أُفٌّ ، فاذا كان في الاظفار فهو تُف ، فاذا كان في سائر البدن فهو دَرَن •

(١٤٦)
فصل في سائر الروائح الطيبة والكريهة

العرف للطيب ، القُتار للشواء ، الزُهومة للحم ، الوَضَر للسمن ، الشِياط للقُطنة أو الخِرقة المحترقة ، العَطَن للجلد غير المدبوغ •

(١٤٧)
في تغير الماء واللحم

أجَن الماء اذا تغير غير أنه شروب ، أسن اذا نتن فلم يقدر على شربه ، خمَّ اللحم وأخمَّ اذا تغيّرت ريحه وهو شواء أو قديد ، وصلّ وأصلّ اذا تغيرت ريحه وهو نيّء •

(١٤٨)
في أوصاف التغير والفساد على أشياء مختلفة

أروح اللحم ، أسِن الماء ، ختر [٢١٢] الطعام ، سَنِخ السمن ، زَنِخ الدهن ، قنِم [٢١٣] الجوز ، مذِرت البيضة ، دَخِن الشراب ، تخّ العجين ، أرِق الزرع ، صدِيء الحديد ، نغل الاديم ، طَبِع السيف •

(١٤٩)
في أوعية الموائع [٢١٤]

السقاء والقربة للماء ، الزِق والرَكوة للخمر والخل ، الوَطب والمِحقَن للبن ، العُكة والنِحي للسمَن والعسل ، الحَميت للزيت •

(١٥٠)
في اجناس الاقداح

القدح من زجاج ، العس من خشب ، العلبة من أدم ، الطِرْجَهارة من صفر أو شبهه ، والمِركَن من فضة وذهب في قول بعض المفسرين •

(١٥١)
في سائر الأوعية

القمطر وعاء الكتب ، العيبة [٢١٥] وعاء الثياب ، المزوَد وعاء المسافر ،

---

(٢١١) هكذا في «ج» ، أما في «ق» ذبب ، وتزبب الرجل امتلأ غيظا .
(٢١٢) اللسان : الختر الفساد « للشراب » .
(٢١٣) اللسان : قنم الطعام واللحم والثريد والدهن فسد وكذلك قنم الجوز .
(٢١٤) هذا هو الصحيح ، أما في «ق» و «ج» : نفل .
(٢١٥) هكذا في «ق» أمافي «ج» : المائعين .

الخُرج وعاء آلات المسافر ، الكِنف وعاء آلات الصائغ ، العَتيدة وعاء الطيب [216] ، الجُونة للعطار الصِوان للبزّاز .

(١٥٢)
في أطعمة الدعوات

طعام الضيف القرى ، طعام الدعوة المأدبة ، طعام الزائر التحفة ، طعام العرس الوليمة ، طعام الولادة الخُرس ، وعند حلق شعر المولود العقيقة ، طعام الختان الاعذار ، طعام القادم من سفر النقيعة ، طعام البناء الوكيرة [217] ، طعام المتعلل قبل الغداء اللهنة ، طعام المستعجل قبل ادراك الطعام العُجالة ، طعام الكرامة القفى والزلة .

(١٥٣)
في تفصيل أسماء الخمرة وصفاتها

الخمر اسم جامع واكثر ما سواه صفات وهي : المشمومة ، الرحيق ، الخندريس ، الحميا العُقار ، القرقف ، الخرطوم ، الراح ، المدامة ، القهوة ، السُلاف ، الكمية الباذق [218] ، الطلا .

(١٥٤)
في تقسيم أجناسها

الصهباء ، السكر ، القنديد ، النبيذ ، البتَع ، السكركة ، الفضيخ ، الجعـة .

(١٥٥)
في ترتيب السكر

نشوان ، ثمل ، سكران .

(١٥٦)
في وصف أسماء المطر

الحيا ، الغيث ، الديمة ، الجَود ، الهطل والتهتان ، الوَدَق ، الرَجْع ، الوابل ، القِطقِط .

(١٥٧)
في تقسيم خروج الماء وسيلانه

سحّ من السحاب ، نبع من الينبوع ، انبجس من الحجر ، فاض من النهر ، وكف من السقف ، سرب من القربة ، رشح من الاناء ، انسكب من العين ، نطف من الذكر ، ثع من الجرح .

---

(٢١٦) في « ق » و « ج » : الطبيب .
(٢١٧) الوكيرة : طعام يتخذه الرجل عند فراغه من بنيانه فيدعو اليه .
(٢١٨) كذا في «ج» أما في «ق» : البازق .

(١٥٨)
في أسماء الطريق

المرصاد ، والنجد والصراط والجادة والمنهج واللقم والمحجة الشارع ، الشِعب ، الخل (٢١٩) ، المنحرف (٢٢٠) ، الطريق في الاشجار •

(١٥٩)
في تفصيل أسماء الحفر

هوة ، نقرة ، مرداة ، أرّة ، انقوعــة ، نقيرة ثغرة الغُنُبة ، النونة في حديث عثمان (رضى الله عنه) نظر الى صبيٍ مليح فقال : « وسمّوا نونته أي سوّدوها لئلاّ تصيبها العين •

(١٦٠)
في تقسيم الذكور

أَيْر الرجل ، زُبّ الصبي ، مِقلَم البعير ، جُرْدان الفرس ، غُرمول الحمار ، قضيب التيس عُقدة الكلب ، نِزْك الضب •

(١٦١)
في تقسيم الفروج

الكعثب والفرج للمرأة ، الحَياء لكل ذات خُف وظِلف ، الظبية لكل ذات حافر ، الثَغَر لكل ذات مِخلَب وربما استعير لغيرها •

(١٦٢)
في تقسيم القاذورات

خرء الانسان ، بعر البعير ، نمط (٢٢٣) الفيل ، روث الدابة ، خِثي البقرة ، جعر السبع ، ذرق الطائر ، سَلح الحبارَى ، صوم النعام ، وَنَم (٢٢٤) الذباب ، عِقي المولود ، وَذح (٢٢٥) المهر والجحش ، الضرطة •

(١٦٣)
في تقسيم البيض

البيضة للطائر ، المَكن للطائر ، المازن للنمل الصؤاب للقمل السِرو للجراد •

---

(٢١٩) لم اهتد الى هذا اللفظ .
(٢٢٠) في «ج» ، اما في «ق» : منحرف .
(٢٢١) كذا ، اما في «ق» : المغنبة ، وفي «ج» الغنية .
(٢٢٣) لم اهتد الى اصل هذا اللفظ .
(٢٢٤) كذا اما في «ق» و «ج» : ينم .
(٢٢٥) كذا اما في «ق» و «ج» : روخ .
(٢٢٦) تقدم ذكره في رقم (١٤٤) .

(١٦٤)
في الادواء والأدوية

اعلم ان أكثر أسماء الادواء والاوجاع في كلام العرب على (فُعال) كالصُداع والسُعال والزُكام والدُوار والصُغار والكُبار والكُزاز والخُناق والفُواق . كما ان اكثر اسماء الادوية على فَعول كالوَجور [٢٢٧] واللَدود [٢٢٨] والسَعوط واللَعوق والسَنون [٢٢٩] ، والبَرود [٢٣٠] والذرور [٢٣١] والسَفوف [٢٣٢] والغَسول والنَطول [٢٣٣] .

(١٦٥)
في ترتيب أحوال العليل

عليل ، ثم سقيم ومريض ثم وقيذ [٢٣٤] ثم دنف ثم حَرَض وهو الذي لا حيٌّ فيرجى ، ولا ميت فينسى فُيرجى .

(١٦٦)
في تقسيم أوجاع الأعضاء وادواتها وترتيبها

اذا كان في الرأس فهو صُداع ، وفي شق الرأس فهو شقيقة ، وفي العين فهو رَمَد ، وفي اللسان فهو قُلاع ، وفي الحلق فهو سُعال ، وفي الكبد كُباد ، وفي الجسد كله فهو رُداع ، وفي المثانة فهو حصاة ، وهي حجر يتولد فيها من خلط غليظ يستحجر .

(١٦٧)
فصل في الحميات عن الائمة

اذا اخذت الانسان الحمى بحرارة وإقلاق فهي مليلة ، فاذا اشتدت حرارتها فهي صالب ، فاذا أرعدت فهي نافض ، فاذا عَرَّقت فهي الرُحَضاء فان كان معها برسام فهي ألموم .

---

(٢٢٧) اللسان : الوجور : الدواء يوجر في وسط الفم .
(٢٢٨) اللسان : اللدود : ما يصب بالمسعط من السقي والدواء في احد شقي الفم فيمر على اللديد .
(٢٢٩) اللسان : السنون : ما استكت به . أو ما تستن به من دواء مؤلف لتقوية الاسنان وتطريتها .
(٢٣٠) اللسان : البرود : كحل تبرد به العين .
(٢٣١) اللسان : الذرور : ما يذر في العين وعلى القرح .
(٢٣٢) اللسان : السفوف : اسم لما يستف .
(٢٣٣) اللسان : النطول : وهو أن تجعل الماء المطبوخ بالادوية ثم تصبه على رأسه قليلا قليلا .
(٢٣٤) الوقيذ والموقوذ : الشديد المرض .

(١٦٨)
في اصطلاحات الحميات

اذا كانت الحمى لا تدوم بل تكون نوبة واحدة فهي حمى يوم فاذا كانت نائبة كل يوم فهي الورد ، فاذا كانت تنوب يوماً فيوماً لا فهي الغِب، فاذا كانت تنوب يوماً ويومين لا ثم تعود في الرابع فهي الربع ، فاذا دامت وأقلعت ولم تقلع فهي المطبقة ، فاذا قويت واشتدت حرارتها فهي المحرقة ، فاذا دامت مع الصداع والثقل في الرأس والحمرة في الوجه فهي البرسام فاذا دامت ولم تقلع ولم تكن قوية الحرارة وانتهى الانسان منها الى ضنىً وذبول فهي الدِق .

(١٦٩)
في تقسيم اسباب الموت

اذا مات الانسان من علة شديدة قيل : أراح ، فاذا مات بعلة قيل : فاضت نفسه ، فاذا مات في شبابه قيل : مات عبطة واحتُضِر ، فاذا مات فجأة قيل : فاضت نفسه فاذا مات بعد الهرم قيل قضى نحبه ، فاذا مات من غير قتل قيل : مات حتف انفه .

(١٧٠)
في تقسيم الموت

مات الانسان ، نفق الحمار ، طفس البرذون ، تنبّل[٢٣٥] البعير ، همدت النـــار .

(١٧١)
في ترتيب الجن عن الجاحظ (٢٣٦)

العرب تنزل الجن مراتب فاذا ذكروا الجنس قالوا : جن ، فاذا ارادوا أنــه يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عـمّار ، فاذا كان ممن يتعرض للصبيان قالوا : أرواح ، فان خبث وتعرم قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك قيل مارد فاذا زاد على القوة قالوا : عفريت ، فان طهر ونظف وصار خيراً كله فهو مَـلك .

---

(٢٣٥) كذا في «فقه اللغة» للثعالبي ، ولم نجد هذا المعنى في مادة (ن ب ل) في المعجمات المطولة ، وفي «المخصص» : عصد البعير : هلك .

(٢٣٦) كذا في «فقه اللغة» للثعالبي .

(١٧٢)
في ترتيب صفات المجنون(٢٣٧)

اذا كان الرجل يعتريه أدنى جنون فهو موسوس ، فاذا ازاد ما به قيل: به رَئيٌّ ، فاذا زاد ذلك فهو ممرور ، فاذا كان به لمم ومس من الجن فهو ملموم وممسوس ، فاذا استمر ذلك فهو معتوه ومألوق ومألوس ، فاذا تكامل ما به فهو مجنون .

(١٧٣)
في صفات الأحمق

اذا كان بالانسان أدنى حمق وأهونه فهو أبله ، فاذا زاد مابه من ذلك وانضاف اليه عدم الرفق في أموره فهو أخرق ، فاذا كان به مع ذلك تسرع وفي قدّه طول فهو أهوج ، فاذا كان عقله قد أخلق وتمزق واحتاج الى أن يرقع فهو رقيع ، فاذا زاد حمقه فهو بومة ، فاذا اشتد حمقه فهو هِلباجة .

(١٧٤)
في الكبر وترتيب أوصافه

رجل معجب ، ثم تائه ، ثم مزهوٌّ ومنخوٌّ من الزهو والنخوة ، ثم باذخ، ثم أصيد اذا كان لا يلتفت يمنةً ويسرة من كبره ، ثم متغطرف اذا كان تشبه بالغطارفة ، ثم متغطرس اذا زاد على ذلك .

(١٧٥)
في البخل وترتيب أوصافه

رجل بخيل اذا كان ضد الكريم ثم لحِز اذا كان ضيق النفس ، شديد البخل ، ثم شحيح اذا كان مع بخله حريصاً ، ثم فاحش اذا كان متشدداً في بخله ، ثم جِلِّز (٢٣٩) اذا كان في نهاية البخل .

(١٧٦)
في كثرة الكلام وترتيبه(٢٤٠)

رجل مِسْهَب ومهذار ، ثم ثَرثار وَوَعواع ، ثم بَقياق ، وفَقفاق ، ثم لَقّاعة وتِلقاعة (٢٤١) .

---

(٢٣٧) كذا في «فقه اللغة» . و

(٢٣٨) هذا هو الوجه ، أما في «ق» و «ج» : ري .

(٢٣٩) هذا هو الوجه ، أما في «ق» و «ج» : جلز .

(٢٤٠) اقتباس من «فقه اللغة» للثعالبي .

(٢٤١) لم أجده في المعجمات المطولة .

(١٧٧)
في تفصيل الأوصاف بكثرة الأكل

اذا كان الرجل حريصاً على الأكل فهو نَهِم ، فاذا زاد حرصة فهو شرِه، فاذا كان مع شدة أكله غليظ الجسم فهو جعظري ، واذا كان يأكل أكل الحوت الملتقم فهو تِلقامة وجُراضم •

(١٧٨)
في تفصيل السيد(٢٤٢)

الحُلاحِل السيد الشجاع ، الهمام السيد البعيد الهمة،القَمقام السيد الجواد، الغطريف السيد الكريم ، الصنديد السيد الشريف ، الأروع السيد الذي له جسم وجهارة ، البَهلول السيد الحسن البِشر ، المعمم المسود في قومه •

(١٧٩)
في الكرم والجود(٢٤٣)

الغيداق الكريم الواسع الخُلُق الكثير العطية،السَمَيدَع والجَحجاح نحوه، الأريحي الذي يرتاح للندى ، الخِضرم الكثير العطية ، اللهموم الواسع الصدر •

(١٨٠)
في تقسيم الأوصاف والفضل

عالم نحرير ، فيلسوف نقريس ، فقيه طبِن ، طبيب نطاسي ، سيد أيّد ، كاتب بارع خطيب مِصقَع ، صانع ماهر ، قاريء حاذق ، دليل خِرِّيت ، شجاع أهيَس أليَس ، فصيح مِدرَه ، شاعر مفلق ، داهية باقعة ، رجل مِعَنّ مِفَنّ (٢٤٤) ، ظريف عبق لَبِق ، فارس ثقِف لَقِف (٢٤٥) •

(١٨١)
في ترتيب الجوع

أول مراتب الحاجة الى شرب الماء العطش ، ثم الظمأ ثم الصدى ثم الغُلّة ثم الهيام ثم لأوام (٢٤٦) ثم الجُواد (٢٤٧) وهو القاتل •

---

(٢٤٢) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٤٣) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٤٤) رجل مِعَن مِفَن : ذو عَنَن واعتراض وفنون من الكلام .
(٢٤٥) أكبر الظن ان مجيء الصفات المزدوجة على هذا النحو لون من «الاتباع» اللغوي .
(٢٤٦) هذا هو الوجه ، أما في «ق» و «ج» : الارام .
(٢٤٧) كذا في «ق» ، أما في «ج» : الجوار .

(١٨٢)
في تقسيم الشهوات

فلان جائع الى الخبر ، قرِم الى اللحم ، عطشان الى الماء ، بَرِد [٢٤٨] الى التمر ، [٢٤٩] عَيمان الى اللبن حَعِم الى الفاكهة ، شبِق الى النكاح •

(١٨٣)
في تقسيم شهوة النكاح على الذكور والاناث

اغتلم الانسان ، هاج الجمل ، قطم الفرس ، هب التيس ، استودقت الرمَكة ، استضبعت الناقة ، استحرمت الشاة ، استويلت النعجة ، استَدرَّت [٢٥٠] العنز ، استقرَعَت البقرة ، استجعلت الكلبة وكذلك إناث السباع •

(١٨٤)
في ترتيب شرب الأوقات

الجاشرية[٢٥١] شرب السحر ، الصبوح شرب الغداة ، القَيل شرب نصق النهار ، الغبوق شرب العشي •

(١٨٥)
في تقسيم النكاح

نكح الانسان ، كام الفرس ، باك الحمار ، قاع الجمل ، نزا التيس والسبع عاظل الكلب سفد الطائر ، قمط الديك •

(١٨٦)
في تقسيم الحبل

امرأة حبلى ، ناقة خَلِفة ، رَمَكة عقوق ، أتان جامع ، شاة تتوج ، كلبة مُجِح •

(١٨٧)
في تقسيم الولادة

ولدت المرأة نُتِجَتْ الناقة والشاة ، وضعت الرمكة والأتان •

---

(٢٤٨) كذا في «فقه اللغه» للثعالبى أما في «ق» و «ج» : قرد .
(٢٤٩) هذا هو الوجه ، اما في «ق» و «ج» غيمان .
(٢٥٠) كذا في «فقه اللغة» أما في «ق» و «ج» : استذرت .
(٢٥١) كذا في «فقه اللغة» ، اما في «ق» و «ج» : الحاشرية .
(٢٥٢) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٥٣) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٥٤) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٥٥) كذا في «فقه اللغة» .

(١٨٨)
في تقسيم حداثة النتاج

امأة نُفَساء ، ناقة عائذٍ أتان فريش ، نعجة رغوث ، عنز رُبىً •

(١٨٩)
في ترتيب العداوة(٢٥٦)

البغض ، ثم القلى ، ثم الشنئان ، ثم الشَنَف َ ثم المقت ، ثم البغضة وهي أشد البغض فأما الفرك فهو بغض المرأة زوجها وبالعكس لا غير •

(١٩٠)
في تفصيل أوصاف الغضب(٢٥٧)

أول مراتبها السُخط وهو خلاف الرضى ، ثم الاخرِنطام وهو غضب مع تكبر ورفـع رأس ثم البرَطَمة ، ثم الغيظ ، ثم الحرَدَ ، ثم الحنَق ، الاحتلاط وهو شدة الغضب •

(١٩١)
في ترتيب السرور(٢٥٨)

أول مراتبه الجذل والابتهاج ، ثم الاستبشار والاهتزاز ، ثم الارتياح والابرنشاق ، ثم الفرح والمرح وهو كالبطر •

(١٩٢)
في تفصيل أوصاف الحزن(٢٥٩)

الكمد حزن لا يستطاع إمضاؤه ، البث أشدّ الحزن ، الكرب الغمّ الذي يأخذ بالنفس ، السَدَم هم في نَدَم ، الأسى واللَهف حزن على شيء يفوت ، الوجوم حزن يسكت صاحبه ، الاسف حزن مع غضب ، الكآبة سوء الحال والانخزال من الحزن ، التَرح ضد الفرح •

(١٩٣)
في تقسيم المشي على ضروب من الحيوان(٢٦٠)

الرجل يسعى ، المرأة تمشي ، الصبي يدرج ، الشاب يخطر ، الشيخ يدلف ، الفرس يجري ، البعير يسير ، الظليم يهدِج ، الغراب يحجِل ، العصفور ينقر ، الحية تنساب ، العقرب تدب •

---

(٢٥٦) كذا في «فقه اللغة» .

(٢٥٧) كذا في «فقه اللغة» .

(٢٥٨) كذا في «فقه اللغة» .

(٢٥٩) كذا في «فقه اللغة» .

(٢٦٠) كذا في «فقه اللغة» .

(١٩٤)
في تقسيم مشي الانسان(٢٦١)

الدبيب ، ثم المشي ، ثم السعي ، ثم الهرولة ، ثم العدو ، ثم الشدّ .

(١٩٥)
في تقسيم العدو(٢٦٢)

عدا الانسان ، احضر الفرس ، أرقل البعير ، خف النعام ، عسل الذئب، مَزَعَ الظبي .

(١٩٦)
في تقسيم الوثب(٢٦٣)

طفر الانسان ، ضبر الفرس ، وثَب البعير ، قفز الصبي ، نزا التيس ، نفر الظبي .

(١٩٧)
في تفصيل ضروب الوثب(٢٦٤)

القفز ، انضمام القوائم في الوثب ، النقز انتشارها ، الطمور وثب من أعلا الى أسفل عن ثعْلب ، الطفر وثب من أسفل الى فوق ، الضبر أن يثب الفرس فتقع قوائمه مجموعة ، النزو وثب التيس على العنز .

(١٩٨)
في ترتيب عدو الفرس (٢٦٥)

الخبب ثم التقريب ، ثم الاحضار ثم الارخاء،ثم الاهذاب ، ثم الاهماج.

(١٩٩)
في تفصيل ترتيب سير الابل

أول السير الدبيب ثم الذميل ، ثم الرسيم ، ثم الوخد ، ثم العسيج ، ثم الوسيج ، ثم الوجيف ، ثم الاجمار ، ثم الارقال ، ثم الادرنفاق[٢٦٦] وهو غاية جهدها في السير .

---

(٢٦١) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٦٢) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٦٣) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٦٤) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٦٥) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٦٦) كذا في «فقه اللغة» أما في «ق» و «ج» ، : الادرنفاق .

(٢٠٠)
في تقسم الجلوس

جلس الانسان ، برك البعير ، ربضت الشاة ، أقعى السبع ، جثم الطائر ، حضنت الحمامة على بيضها ومنه حق الحضانة للولد •

(٢٠١)
في ترتيب النقاب

اذا أدنت المرأة نقابها الى عينيها فتلك الوصوصة ، فان انزلته دون ذلك المحجر فهو النقاب ، فان كان على طرق الانف فهو اللفام ، وعلى طرف الشفة فهو اللثام •

(٢٠٢)
في ضروب الضرب

الضرب بالراح على مقدم الرأس صقع ، وعلى القفا صفع ، وعلى الوجه صك ، وعلى الخد ببسط الكف لطم ، وبقبض الكف لكم ، وبكلتا اليدين لدم ، وعلى الذقن والحنك وهز ولَهْز(٢٦٧) وعلى الصدر والجنب بالكف وَكْز ، ولَكْز ، وعلى الجنب وَخْز ، وعلى الصدر والبطن بالركبة زبن ، وبالرجل ركل ورفس ، وعلى العجز نخس ، وعلى الأست بظهر القدم ضَفَن •

(٢٠٣)
في الضرب باشياء مختلفة(٢٦٨)

قنَّعَهُ بالمقرعة ، ذقنه بالعصا ، علاه بالدِرة ، خفقه بالنعل ، ضربه بالسيف ، طعنه بالرمح ، وجأه بالسكين ، دمغه بالعمود •

(٢٠٤)
في أشكال هيئات المضروب(٢٦٩)

ضربه فجدّله اذا القاه على الأرض ، قطره اذا القاه على أحد قطريه أي جانبيه ، أتكاه اذا القاه على هيأة المتكيء ، سَلقَه اذا القــاه على ظهره ، بطحه اذا القاه على صدره ، نكَتَه اذا نكسه على رأسه ، كبَّه اذا القاه على وجهه ، وكذلك تلّه ، ومنه قوله تعالى : « وتلّه للجبين » كوّره اذا قلعه من الأرض •

---

(٢٦٧) الزيادة من « فقه اللغة » •
(٢٦٨) كذا في « فقه اللغة » •
(٢٦٩) كذا في « فقه اللغة » •

(٢٠٥)
في تفصيل الرمي(٢٧٠)

خذفه بالحصى ، حذفه بالعصا ، قذفه بالحجر ، رجمه بالحجارة ، رشقه بالنبل ، زرقه بالمزراق ، حثاه بالتراب ، نضحه بالماء ، لقعه بالبعرة .

(٢٠٦)
في ضروب من الرمي

الطحر [٢٧١] رمي العين بقذاها ، الخَذف الرمي بحصاة أو نواة ، الدهدهة ، رمي الحجارة من اعلا الى أسفل ، اللفظ الرمي بشيء كان في فيك ، المجّ الرمي بالريق ، النبذ الرمي بشيء من يدك ، التنث الرمي بشيء في صدرك .

(٢٠٧)
في تفصيل الأصوات الشديدة (٢٧٢)

الصياح صوت كل شيء اذا اشتدّ ، الصراخ والصرخة الصيحة الشديدة عند الفزعة او المصيبة وقريب منها ، الزعقة والصلقة ، الصَخَب الصوت الشديد عند الخصومة والمناظرة ، العجّ رفع الصوت بالتلبية وكذلك الاهلال ، التهليل رفع الصوت بلا إله الا الله محمد رسول الله ، الاستهلال صياح الصبي عند الولادة ، الزَجَل رفع المطرب الصوت ، النقع الصراخ المرتفع ، الهيعة الصوت عند الفزَع ، الواعية الصراخ على الميت ، النعير صياح الغالب بالمغلوب النعيق صوت الراعي بالغنم الهدّ والهديد صوت شديد يسمع منه سقوط ركن أو ناحية جبل ، الصديد كالضجيج صوت شديد .

(٢٠٨)
في تقسيم اسماء الاجرة (٢٧٣)

العُقر أجرة بضع المرأة اذا وطئت بشبهة ، الشُكْم [٢٧٣] أجرة الحجّام الحُلوان أجرة الكاهن ، البُسلة أجرة الراقي ، الجُعل أجرة الفيج ، الخراج أجرة العامل ، الجَذْر أجرة المغني وهو دخيل البُرْكة اجرة الطحان .

---

(٢٧٠) كذا في «فقه اللغة» .

(٢٧١) كذا في «فقه اللغة» ، أما في «ق» و «ج» الطخ .

(٢٧٢) الزيادة من « فقه اللغة » .

(٢٧٣) لم يختص «الشكم» بما يعطى للحجام في «كتب اللغة» وهو يعني العطاء والعوض والجزاء .

(٢٠٩)
في العطايا والهدايا (٢٧٤)

الحُذَيّا هدية المبشر ، العُراضة هدية يهديها القادم من سفر ، المصانعة هدية العامل الاتاوة هدية الملك الشُكدُ العطية اذا كانت جزاءً فهو شُكم •

(٢١٠)
في تقسيم الخروج

خرج الرجل من داره ، برز الرجل من مكمنه، انسل فلان بين القوم ، دلق السيف من غمدِهِ فاحت منه ريح ، نوَّرِ النبت اذا اخرج زهره ، قلس الطعام اذا خرج من الجوف الى الفم ، صبأ فلان اذا خرج من دين الى دين ، تملصت السمكة من يد الصياد اذا خرجت منها ، الجحوظ خروج المقلة وظهورها من الحجاج ، الدَلَع خروج اللسان من الشفة ، الابدحاق(٢٧٥) خروج البطن ، البَجَر خروج السرة •

(٢١١)
في أوصاف تختلف معانيها

سيف كَهام أي كليل عن الضربة ، لسانه كهام أي عِيّ عن البلاغة ، وفي الخيل الذي لا يعرق فرس كهام ، المسيخ من الناس من لا ملاحة له ، ومن الطعام ما لا ملح لم ومن الفواكه ما لاطعم له ، الأُدم من الناس السود ، ومن الابل البيض ، ومن الظباء الحمر ، الصَلود ، الاعزل الرجل الذي يخرج للقتال بغير سلاح ، ومن السحاب ما لا مطر فيه ، ومن الدواب(٢٧٦) الذى يعزل ذنبه •

(٢١٢)
في تقسيم الجمع

جمع المال ، جبى الخراج ، كتب الكتيبة ، قمش القماش ، صحف المصحف ، قرى الماء في الحوض ، صرّى اللبن في الضرع ، عقص الشعر على الرأس ، ضفن الثياب في سرجه •

---

(٢٧٤) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٧٥) لم اهتد الى هذا اللفظ في المعجمات المطولة .
(٢٧٦) في «فقه اللغة» : من الخيل .

(٢١٣)
في الحبس

حبس اللص ، حقن اللبن ، قصر الجارية ، دَجَن الشــاة ، صَرَبَ البول ، كنز المال •

(٢١٤)
في السقوط (٢٧٧)

هوى النجم انقض الجدار ، خر السقف ، طاح الفَصّ •

(٢١٥)
في الصعود (٢٧٨)

صعِد السطح رقي الدرجة علا في الارض ، توقل في الجبل ، اقتحم العقبة تسلَق الجدار ، تسنم الرابية ، فرع الاكمة •

(٢١٦)
في الزيادة (٢٧٩)

أقمر الهلال ، نمى المال ، مدّ المــاء ربى النبت ، زكــا الزرع ، اراع الطعام •

(٢١٧)
في تفسيم التمام والكمال (٢٨٠)

عشرة كاملة ، نعمة سابغة ، حول محرّم ، شهر كريت ، ألنف صَتْم ، درهم واف ، رغيف حَادر ، خَلق عمم ، شاب عَبَنْعَب اذا كان تام الشباب•

(٢١٨)
في اللمعــان

لألاء الشمس والقمر ، لمعان الســراب والصبح بصيص(٢١٨) الــدر والياقوت ، وبيص المسك والعنبر ، بريــق السيف ، تألَق البرق ، رفيف

(٢٧٧) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٧٨) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٧٩) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٨٠) كذا في «فقه اللغة» .
(٢٨١) كذا في «فقه اللغة» اما في «ق» و «ج» بصيح .

اللون[٢٢٨] ، أجيج[٢٨٣] النار •

(٢١٩)

في المقاتلـة

المماصعة بالسيوف ، والمداعسة بالرماح ، المضاربة (تلقاء الوجــوه) ، المطاردة (أن يحمل كل منهما على الآخر) المحاحشة (أن يدفع كل واحــد منهما عن نفسه) ، المكافحة (المقاتلة بالوجوه وليس دونها ترس ولا غيرها) ، المكاوحة (المجاهرة بالممارسة) [٢٨٥] •

(٢٢٠)

في الدهاء وجودة الرأي

داهية ، باقعة ، نقّاب ، شهم ، لوذعي ، ألمعي ، مروّع ، ومحدّث •



(٢٨٢) كذا في « ق » و « ج » أما في « فقه اللغة » : الثغر •

(٢٨٣) لا يعني «الاجيج» اللمعان في المعجمات •

(٢٨٤) الزيادة من (فقه اللغة) •

شعر
بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

الدكتور حسين علي محفوظ

اطلعت قبل نحو من عشرين سنة على نسخة خطية قديمة ناقصة من ديوان بدرالدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ؛ كانت في خزانة صديقنا الفاضل الظريف الاديب الراوية الناقد الجمّاعة المرحوم ؛ الشيخ محمد رضا الخالصي الكاظمي . وهو الذي ميّز انتسابها الى الشاعر المذكور .

ثم أخذ النسخة — بالخيار — الصحفي الكتبي ، المؤلف المكثر ، الجامع البارع ، الشيخ علي الخاقاني . وهي — الآن — من طرائف نوادر خزانته (ظ ؟). ولا أدري لعلّه ينوي الاهتمام باخراجها ان شاء الله .

أما أنا ؛ فقد جمعت[1] من شعر ابن لؤلؤ ما تيسر التقاطه مما كنت علقت

---

(١) ومما كنت عنيت أيضا بعمل أشعاره — من الشعراء — جماعة ؛ منهم : عدي بن الرقاع العاملي ، والكميت بن زيد الاسدي . ودعبل الخزاعي ، وديك الجن ، وكشاجم ، وبهاء الدين العاملي ، وابن رحمة الحويزي ، والشيخ محمد جابر الكاظمي ، والشيخ عبدالمحسن الكاظمي ؛ شاعر العرب ، وشقيقه الشيخ محمد حسين الكاظمي ، والسيد عدنان البحراني ، والسيد محسن الاعرجي ، والشيخ عباس أسعد ، والشيخ عباس الكركي ، والشيخ محمد آل اسدالله ، والشيخ عبدالحسين آل اسدالله ، والشيخ محمد رضا آل اسدالله ، والسيد عيسى الاعرجي ، والسيد جعفر الاعرجي ، والسيد باقر بن السيد حيدر الحسيني ، والسيد يحيى الصائغ بن السيد هاشم أبي الورد ، ومحمد بن عبدالوهاب الهمذاني ؛ والجلال الدواني ، وابن يمين ، والمولوي ، وهمام التبريزي ، والخاقاني ، والهاتف .. وغيرهم من ذوي اللسانين .

هذا — وفي مسودات كتابي « شعراء الكاظمية وأدباؤها قديما وحديثا » من أخبار الشعراء وأشعارهم كل ما رويته ، أو استطرفته ،

الاشارة الى مظانه في جزازاتي ، عد عن القصائد التي ظفرت بها في أثناء المجموع الجامع من آثار جد والدتي السيد محسن الصائغ ابن السـيد هاشـم ابي الورد ؟ ــ رحمه الله ــ وها هي ذه :



شـــعر

بدرالدين ، أبي المحاسن ، يوسف بن لؤلؤ[2] بن عبدالله ؛ الذهبي ، الدمشقي ؛ المتوفى سنة ٦٨٠ هـ [3]



جمعـه

الدكتور حسين علي محفوظ

(٢) كان أبوه – لؤلؤ ؛ هـــذا – عتيق الامـير بدرالدين صاحب تل باشر . لاحظ النجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥١

(٣) الشيخ الامام الاديب البارع .. الشاعر المشهور ... كان .. فاضـلا شاعرا ماهرا . من كبار الدولة الناصرية ، ومن الادباء الظراف . توفي بدمشق في شهر شعبان ، سنة ٦٨٠هـ عن ثلاث وسبعين سنة . تراجع النجوم الزاهرة ج٧ ص ٣٥١ ، والسلوك ج١ ق٣ ص ٧٠٥ ، وشـذرات الذهب ج٥ ص٣٦٩ . ولاحظ الاعلام ج٩ ص٣٢٥ ، ومعجم المؤلفـين ج١٣ ص٣٢٦ .

القصائد

(١)

اهدي حمام الايك وجداً فناح ... ولم يطق كتمان سر فباح
أعرب عن أشجانه شجوه ... فصاح عن ألحان شوب فِصاح
بات يـاريني وأين الخليّ ... من الحزين المغتدى والمراح
وليس من ناح على أيكة ... كمن غدا من دمعه في نواح
وهبه قد قاسمني ما أنا ... فيه من الوجد وطول النياح
أليس اني قد كتمت الذي ... ما فيّ من سكر هوى وهو باح
ماذا على طائر أيك الحمى ... تبليغ ما بي من جوى والتياح
وما عليه من جناحٍ اذا ... أعارني نحو حبيبي جناح
لنا حديث يا حمام الحمى ... توضحه الاشواق أيّ اتضاح
فيا خليلي الى كم أرى ... دمعي وحبي دائما في انتزاح
أراقب الصبح وريح الصبا ... والموت من دون الصبا والصباح
وشاكياً ما زلت ممّن غدا ... من طرفه والقدّ شاكي السلاح
وجوهري الثغر قد أصبحت ... فيه أحاديث غرامي صحاح
مهفهف الاعطاف حلو اللمى ... لوى عهودي وأطاع اللواح
راضيته من بعد سخط به ... ورضته من بعد طول الجماح
فزارني والليل في شهبه ... غفل على غفلة واشٍ ولاح
نم عليه طيفه اذ سرى ... وهنا وأغرى بالوشاة الوشاح(٤)

(٢)

ترنح عطف البان في الحلل الخضر ... وغنى بألحان على عوده القمري
وراقت أزاهير الحدائق بالضحا ... نواظر عن أحداق نوّارها النضر
وأشرق خدّ الورد يبدي نضارة ... وأشرق جيد الغصن في لؤلؤ القطر

---

(٤) المجموع الجامع ص٦١ – ٦٢

وبات سقيط الطل في كل روضـــة ينبــه في أرجائهــا ناعس الزهر
وقد غض طرف النرجس الغض من حيـــا بــه والاقاحي منـــه مبتســـم الثغـــر

وما ذهبت شمس الأصيل عشـــية الى الغرب حتى أذهبت فضـة النهر
وغنت قيـــان الطـير في كل أيـكة وقد راق كحل الظل في مقل الغُدْر
قيان كساها الخد ديبـاج وجهـه وصاغت لها الاحداق طوقاً على نحر
أقامت لهـــا دوح الأراك أرائـكا وأرخت لها أوراق استارها الخضر
وأمسى أصيل اليوم ملقى من الضنى على فرش الازهار في آخر العمر
بكتـــه حمـامات الأراك وشققت عليه الصبا أثواب روضاتها النضر
فكم من نحيب للحمـائم بالضحـا عليه وللأنواء من دمعـة تجري[٥]

(٣)

وافى يميل بعطفـه وقـد انثنـى وسنان ساجي الطرف مهضوم الحشا
جـــذلان أوحش ناظري ومن لـه في القلب معنى قبل ما أن يوحشا
لاث القنـاع على الصبـــاح وانه يسبي العقول معمَّما ومسرفشـــا
ومشـــى بوادي المنحنـي فتعلمت باناته منـــه التثنـي اذ مشـــى
قد نمقت حسنا صحيفة خـــده من حيث شعَّرها العذار ونقَّشـا
وقريب عهـد بالنّصـــال مفوّقا ســهما بأهـداب العيون مريَّشـا
كـم عـــدته لمـــا رأيت جفونـه مرضى وذاك الصدغ منه مشوَّشا
يجنـي عليَّ بصدغـه فأرتَّب الـ ـعقرب لـه حتـــى أراه فأدهشـــا
فارفـــق بصب مغرم يا شـــادنا لولاك مـا عرف الغرام له حشـــا
واعطف على ذي لوعـــة وتلهف والى لقـــائك لم يزل متعطشـــا
فاذا خطـــرت له ترنَّـح مائـلا واذا ذكرت لـه ترنَّم وانتشـــى
يكنى بظبي الرمـل عنك مخـافة من كاشـح زاد الملام وما اختشى
فعد الوصـال لعلَّه يشـفي جوى بين الضلوع فلا تطـع واشٍ وشى

---

(٥) حلبة الكميت ص٣١٦

فالعمر أقصر والعذول على الهوى أدنى وأحقر أن يطـاع ويختشى
ولقد وقفت بذي الأراك معرّضـا والريح تعبث بالغصون تحرّشا[٦]

(٤)

بخـل الزمان بوقفـة التوديع هيهـات كيف يجود لي برجوع
رحلوا وقوّضت الخيـام وانما لعب الزمـان بشـملنا المجموع
كنـا بهـا والعيش غضّ ناعم والحب طوعي والزمـان مطيعي
والشمل غير مشتّت والشرب غيـر مكـدّر والسـرب غـير مروع
والدار دانيـة عليّ ظلالهـا والى أهاليهـا الشـباب شفيعي
خلّفت بعـدهم أكابد لوعـة مـا بين أطـلال لهـم وربوع
ولقد دعوت الصبر حين ترحّلوا ليجيبنـي فدعوت غـير سميـع
أركائب الأحباب وقفـة سـاعة تشـفي لواعج قلبـي المصـدوع
ما ضرّ من غربوا ببدر مشـرق في الليـل لو أذنوا له بطـلوع
أخفيت تبريح الفـؤاد وانّمـا نمّت بأسـرار الغرام دموعـي
ما كنت أعـلم ان عيني في الهوى عـين عـلى مـا تحتويه ضـلوعي
يا بـدر تـمّ راح غـير مودّع ووراءه الاشـواق في التشـييع
أوحشـت وادي النيرين وانمـا كنت الربيـع به وأيّ ربيـع
قاسمت بعدك فيـه كل حمـامة نغـم النحيب ورنّة الترجيـع
سـأقيم بعـدك في الديار بعبرة تشـفي لواعج قلبـي المصـدوع
أبـكي على عيش قطعت وانّمـا أبكي لحبـل وصـالنا المقطوع
يا ليلة ما كان أبعـد صبحهـا حتـى عدمت بهـا لذيذ هجوعي
طالت عـلى جفني القصـير وانمـا كابدت منهـا ليـلة الملسـوع
أبكي الخيـام وانمـا أبكي على مـا فتني مـن وقفـة التوديع
أترى الزمـان يردُّ من أحبتـه ليقـرّ قلبي أو يقـلّ ولوعـي
ان ردّه يومـاً عليّ فقـد أتى بـديع حسن بل أتى بـديع[٧]

(٦) المجموع الجامع ص١٣٢ ــ ١٣٣

(٧) المجموع الجامع ص١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٥)

رفقاً أذبت حشاشة المشتاق ... وأسلتها دمعا على الآماق
وأحلته من تسويف على الصـ ... ـبر الذي لم يبق منه بواقي
وطلبت منه في هواك موائقاً ... والقلب عندك في أشد وثاق
قلب بعين قد أصيب وعارض ... فأعده لي فالدمع ليس براقي
ألقي الدموع على الدموع وليتني ... أدري بما ألقي بها وألاقي
لا تلتقي فيها الجفون وانما ... لا أرتجي منها ومنك تلاقي
أشقيق بدر التم طال تلهفي ... وأطال فيك العاذلون شقاقي
أنفقت من صبري عليك وانه ... لرضاك لا لتملق ونفاق
فارفق بقلب فيه من يكفيه من ... فرق الصدور فلا ترع بفراق
فحرارة الانفاس قد دلت على ... ما في الحشا من لاعج الأشواق
وصبا بعثت بها اليك فلم تعد ... وأظنها حالت على الميثاق
وتشوّق سطّرته في مهرق ... فمحاه واكف مدمعي المهراق
وبمهجتي المتحملون عشيةً ... والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازاً عندما ... غنت وراء الركب من عشاق
وتنبهت ذات الجناح بسحرةٍ ... بالواديين فهيجت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت على ساق تطارحني الجوى ... من دون صحبي بالحمى ورفاقي[8]
أنّى تباريني جوىً وصبابة ... وكآبة وهوى وفيض اماق[9]
وأنا الذي أملى الهوى من خاطري ... وهي التي تملي من الأوراق[10]
ولقد صفحت عن الزمان بليلة ... عل الحبيب بها رجاد الساقي
بسلافة الاقداح ذا يسقى وذا ... يعطى سلافة فيه والاحداق
ولواحظ نحو القلوب رواشق ... ومعاطف هيف القدود رشاق

(٨) في خزانة الادب ص٣٢٦ : قامت تطارحنى الغرام جهالة
(٩) في خزانة الادب ص٣٣٦ : وأسى
(١٠) في خزانة الادب ص٣٢٦ : الجوى

رحلوا به عني الغداة وانّما ... رحلوا بلبّ حشاشة المشتاق
ووراءهم قلب يُسلق لمغرم ... متململ في ساقة وسياق
اني لأهواه على الملل الذي ... فيه ويكرهني على املاقي[11]

(٦)

قم فقد هبت نسيمات النعامى ... والندى نبّه بالروض الندامى
وسقيط الطل في سقط اللوى ... فضض الزهر وقد فضّ الكماما
وأصيل شمسه ما ذهبت ... عنه حتى ذهبت عنه الاكاما
والربيع الطلق قد مدّ له ... من هضاب الزهر في الروض خياما
قد توشت بالاقاحي وغدا ... طرد الوحش حواليها حياما
هزّ من غصن نضير ذابلا ... وانتضى من جدول الماء حساما
واتقى نبل الحيا لما ارتدى ... عطفه من حبب الغدران لاما
وحمام الأيك في الاشجار قد ... بثت الاشجان فيها والغراما
والصبا معتلة من كثر ما ... حملت من كل مشتاق سلاما
فاغنم العمر فاني ما أرى ... أبداً عيش الصبا الاّ مناما
آه ، وا لهفي على عيش مضى ... وزمان بالحمى لو كان داما
كلما ذكرني بان الغضا ... عهدنا ذكّره نوحي الحماما
فسقاها من عراص درست ... كل عرّاض يرويها انسجاما
وتجلى الأجرع الفرد ضحا ... بفريد القطر فرداً وتؤاما
من مغان غنيت أربعها ... بحيا الاجفان ان تشكو الأواما
وربوع كم وجدنا طيبها ... حين ضاع الشيخ فيها والخزامى
يا اُهيل الجزع ما أغناكم ... عن حيا الأنواء طلاّ وركاما
فابعثوا نحوي اِذن رائدكم ... ان نوء الطرف عندي قد أعاما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ... اِن أذنتم لجفوني أن تناما
ومدير لحظ عين كلمّا ... شام برق الشام أشتاق الشآما

(١١) المجموع الجامع ص ١٨١ – ١٨٢

مغـرم في سـاكنيها لم يـزل | مستهاما في هواهـا مسـتضاما
كيف يختار البقـا يوم النقـى | وهو من دون الحمى يلقى الحماما
ودمـوع شبههـا بل سحبهـا | يتبـارين رهـاناً ورهـاما
وبقيـا لوعـة بين الحشـا | زادت القلب اضطراباً واضطراما
ورشـيق قـدّه بل راشـق | لحظـه قـد ملأ القلب سهاما
وغرير ما نضـا عنـه تمـا | يمه الا ّ حكى البـدر التمـاما
أهيـف لام عـذاريه التـي | توضـح العـذر اذا العـاذل لامـا
بجفـون بين مرضـى نعَّس | مـذ سلبن النوم عني والسقاما
برد أسـلمني نـار هـوى | لم تـكن للقلب برداً وسـلاما
قهـوة في فمـه أبقـى لهـا | من أزاهـير ثنـاياه فدامـا
وبدا في خـده الخـال فقـل | خمرة صار لهـا المسك ختـاما
والى كم أشـتكي من هـاجري | ومن اللاحي مـلالاً وملامـا
واغتـراباً كلمـا قلت انقضى | نعبت غـربانه عـاماً فعـاما
دائـر كالنجـم في أفلاكـه | لا يرى فيها سكونا ما أقاما(١٢)

المقطوعات والنبذ والمثاني

هـلم يا صـاح الى روضـة | يجلو بهـا العـاني صـدا همـّه
نسـيمها يعثـر في ذيـله | وزهرهـا يضحـكِ في كمّـه(١٣)

*

مـا نظـرت مقلتـي عجيبـا | كاللـوز لمـا بـدا نواره
اشـتعل الرأس منـه شـيبا | واخضرّ من بعـد ذا عذاره(١٤)

*

(١٢) المجموع الجامع ص٢٢٩ ـ ٢٣١

(١٣) انوار الربيع ص٨٥ ، وحلبة الكميت ص٢٤١ ، وخزانة الادب ص٣٢٦ ، ونزهة الانام ص٢٤٢

(١٤) انوار الربيع ص٨٦ ، والغيث المسجم ج١ ص١٧٩ ، والكشكول ص٢٣١ ، ونزهة الانام ص٢٤٥

أحمامة الوادي بشرقيّ الغضـــا ان كنت مسعدة الـكئيب فرجّعي
فلقـد تقاسـمنا الغضـــا فغصونه في راحتيك وجمره في أضلعي(١٥)

*

وحديقـــة مطـلولة باكرتهـــا والشمس ترشفريق أزهار الربى
يتكسر المـــاء الزلال على الحصى فاذا عدا بين الرياض تشعبـا(١٦)

*

يا عـــاذلي فيـــه قـــل لي اذا بـــدا كيــف أســلو
يمـــرُّ بـــي كـــل وقـــتٍ وكلّمـــا مـــرَّ يحـــلو(١٧)

*

وبمهجتـــي المتحملون عشــية والركب بين تـــلازم وعنـــاق
وحداتهم أخـذت حجـازاً بعدما غنت وراء الركب في عشـاق(١٨)

*

عـــرج عـــلى الزهـــر يا نديمـــي ومـــل الى ظـــله الظليـــل
فالروض يلقـــاك بابتســـام والريح تلقـــاك بالقبـــول(١٩)

*

أدر كؤوس الراح في روضـــة قـــد نمقت أزهارهـــا السحب
الطـــير فيهـــا شـــيق مغرم وجـدول المـاء بهـــا صبّ(٢٠)

*

---

(١٥) انوار الربيع ص٩٩ ، وفى نزهة الجليس ج١ ص٩٣ : الحزين • انا تقاسمنا
(١٦) انوار الربيع ص١٤٩ ، وص٥٨٤ ، وحلبة الكميت ص٢٥١ ، وخزانـــة الادب ص ٩١ ــ ٩٢ ، وفي نزهة الانام ص٩٨ ، وخزانة الادب ص٣٢٥ : فاذا جرى •
(١٧) انوار الربيع ص١٥٠ ، وص٥٨٥ ، والغيث المسجم ج١ ص١٦٤ ، وخزانة الادب ص٣٢٨ . وفي النجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥٢ : حين
(١٨) انوار الربيع ص ٣٣٨ ، وص ٥٨٥ ، وخزانة الادب ص ٣٢٨ ــ وتراجع القصيدة الخامسة •
(١٩) أنوار الربيع ص٥٨٤ ، وخزانة الادب ص٣٢٥
(٢٠) انوار الربيع ص٥٨٤ ، وخزانة الادب ص٣٢٦ . وفي حلبة الكميت ص٢٤٩ : أردانها • ونسبها فى نزهة الانام ص٢٤١ الى محيى الدين ابن قرناص •

البرد قـد ولّـى فما لك راقداً يا أيهـا المدّثّر المزّمّـل
أوما ترى وجه الربيـع وحسنه والروض يضحك والحيا يتهلّل[٢١]

❋

حـلا نبـات الشعر يا عـاذلي لمـا بـدا في خـدّه الأحمـر
فشـاقني ذاك العذار الـذي نبـاته أحـلى من السكر[٢٢]

❋

شـوقي اليك على البعـاد تقاصرت
عنـه خطـاي وقصّـرت أقلامي
واعتلت النسمات فيمـا بيننـا
ممّـا أحمّلها اليـك سـلامي[٢٣]

❋

وذي قـوام أهيـف بين الندامى قـد بسـط
قـام يقـط شمعه فهـل رأيت البـدر قط[٢٤]

❋

رفقـا بصب مغـرم أبليتـه صـدّاً وهجـرا
وافاك سـائل أدمعـي فرددته في الحـال نهرا[٢٥]

❋

وجنـات ألفتهـا حـين غنت حولهـا الورق بكرة وأصيـلا
نهرهـا مسرعا جرى وتمشت في رباها الصبا قليـلاً قليـلا[٢٦]

❋

---

(٢١) أنوار الربيع ص٥٨٤ ، وخزانة الادب ص٣٢٧
(٢٢) أنوار الربيع ص٥٨٥ ، وخزانة الادب ص ٣٢٧ ، والنجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥٢ .
(٢٣) أنوار الربيع ص ٥٨٥ ، وخزانة الادب ص٣٢٧ .
(٢٤) أنوار الربيع ص٥٨٥ . وفي حلبة الكميت ص١٧٨ ، وخزانة الادب ص٣٢٧: قد نشط ، شمعة ، الظبي .
(٢٥) أنوار الربيع ص٥٨٥ ، وخزانة الادب ص٣٢٨ ، والنجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥٢ .
(٢٦) حلبة الكميت ص٢٤٣

وروضــــــة دولابهــــــا	الى الغصـــون قـد شـــكا
من حين ضـــاع نشـرها	دار عليــــه وبكـــى[٢٧]

❋

ورياض رقصــــت أزهـــارهـــا	فتمشـت نسـمة الريح اليهـــا
طالعت شمس الضحى أوراقهـــا	بعدما أن وقـع الورق عليهـــا[٢٨]

❋

ان ألح الغيث شـهرا هكـــذا	جـــاء بالطوفان والبحر المحيط
ما هـــم من قوم نوح يا ســـما	أقلعـي فهـــم من قوم لوط[٢٩]

❋

قلبـــك اليـــوم طــــائر	عنـك أم في الجـــوانح
كيـــف يرجـــى خلاصــــه	وهـــو في كف جـــارح[٣٠]

❋

خلصت طائر قلبك العاني الذي	من جـــارح يغـدو به ويروح
ولقد يسر خلاصـه ان كنت قـد	خلصتـــه منـــه وفيـــه روح[٣١]

❋

وأحـــوى فـــاتر الاجفـــان ألمي	رشـيق قـــده رخص البنـــان
تمـــلك قرطـــه والقلب منــــي	فصـــار له بذاك الخافقـــان[٣٢]

❋

---

(٢٧) حلبة الكميت ص٢٥٢ ، وخزانة الادب ص٣١٩ . وفي النجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥٢ ، ومطالع البدور ج١ ص٤١ : ضاع زهرها . وفى نزهة الانام ص١٨٥ : حاكورة .

(٢٨) حلبة الكميت ص٢٨٣ ، وفى خزانة الادب ص٣٢٥ : وقفت . الصبح .
طالعت أوراقها شمس الضحا بعـــد ان وقعت الورق عليها

(٢٩) شذرات الذهب ج٥ ص٣٦٩

(٣٠) شذرات الذهب ج٥ ص٣٦٩ ـ ٣٧٠ ، وخزانة الادب ص٣٢٨ ، والنجوم الزاهرة ج٧ ص٣٥١

(٣١) شذرات الذهب ج٥ ص٣٧٠ ، وخزانة الادب ص٣٢٨

(٣٢) الغيث المسجم ج١ ص٢٤٥ .

تعشــقته لدن القوام مهفهفـــا شهي اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهـه فيا حسنه وجهـا اليّ محببـا[٣٣]

❋

يا غصنا قد طاب لي منــه الجني ويا غزالاً لـذّ لي فيـه الغزل
طرفـك قبـل العــذل قد أبادني فما احتيالي، سبق السيف العذل[٣٤]

❋

لِمَ لا أميل الى الرياض وحسنها وأعيش منهـا تحت ظـل ضـافي
والزهــر يلقــاني بثغـر باسـم والمـاء يلقــاني بقلب صـافي[٣٥]

❋

صدّوا وقـد دبّ العذار بخدّه
ما ضـرهم لو أنهـم خبـروه
هـل ذاك غير نبـات خـد قد حـلا
لكنهـم لمـا حـلا هجـروه[٣٦]

❋

باكـر الى الروضـة تستجلهـا فثغرهـا في الصبـح بسـام
والنرجس الغض اعتراه الحيـا فغض طـرفاً فيـه اسـقام
وبلبل الدوح فصيح علـى الـ أيكـة والشـحرور تمتـام
والغصن فيـه الف قـد بـدا والنهـر في أرجائهـا لام
ونسـمة الريح على ضعفهـا لهـا بنـا مـرّ والمـام

(٣٣) الغيث المسجم ج٢ ص١٣٣ ، وخزانة الادب ص٤١ و٣٢٧ ، والنجـوم الزاهرة ج٧ ص٣٥٢ .
(٣٤) الغيث المسجم ج ٢ ص ٢١٧ .
(٣٥) عدها فى خزانة الادب ص٣٢٠ من لطائف ابن تميم . ثم قال : هــذان البيتان غراهما الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات للبدر يوسـف بن لؤلؤ الذهبي ،ونسبا أيضا لمحيي الدين بن قرناص فى مواضيع كثيرة .
(٣٦) خزانة الادب ص٣٢٥

فعـــاطني الصهبـــــاء مشـــمولة عـــــذراء فالواشـــــون نوّام
وأكتم أحـــاديث الهـوى بيننـــا ففي خـــلال الروض نمّـــام[37]

*

الروض أحســـن مـــا رأيـ ـت اذا تكـــاثرت الهمـــوم
تحنـــــو علـيَّ غصـــونه ويـرق لي فيـــه النســـيم[38]

*

لك مبســـم عـذب اللمى يفتر عن برد ، وسلسال الرضـاب مرادي
وفـــم يحـــاكي الميـــم الا أنـــه كم حوله عين تحوم كصـاد[39]

*

قد أنحلتني الغوادي غير راحمـة ومحقتني الليـــالي بعـــد ابـدار
فكم اواري غراماً من جوى وأسى زناده تحت أثناء الحشـــا واري
جيراننـــا كنتم بالرقمتـين فمذ بعدتم صار دمعي بعدكم جاري[40]

*

سارت لتقتص من قوم فما ربحت في حث كـــأس على الأوتار دواد
فالقوم من بعض قتـــلاها ومـا ظلمت
وانمـــا أخـــذت منهم بأوتار[41]

*

فلمـــا تفرقنـــا كأني ومالكـــا لطول اجتماع لم نبت ليـلة معـــا
فاتبعته قلبـــا مطيعـــا على الغضى وخليت لي جفنا على السفح أطوعا[42]

*

(37) خزانة الادب ص٣٢٦ ، نزهة الانام ص١٣٢ وفيه زيادة البيت الرابع ، واختلافات هي : نثغرها الاشنب • فصيحا غدا فى الايك •

(38) خزانة الادب ص٣٢٧

(39) خزانة الادب ص٣٢٧

(40) خزانة الادب ص٣٢٨

(41) خزانة الادب ص٣٢٨

أبدى الحباب لها خطا فأحسن ما قد كان حرر من ميم ومن هاء
قديمة ذاتها في روض جنتها كانت وكان لها عرش على الماء(٤٣)

❋

بروحي نجار حكى الغصن قده رشيق التثني أحور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعا بما جنت
وما سرقت من قدّه وهي أغصان(٤٤)

❋

طال نومي بالجامع الرحب والبر د مبيدي وليس منه خلاص
كيف أدفا فيه وتحتي بلاط ورخام حولي وفوقي رصاص(٤٥)

❋

رعى الله وادي النيربين فانني قطعت به يوماً لذيذاً من العمر
درى انني قد جبته متنزها فمدّ لأقدامي ثياباً من الزهر
وأوحى الى الأغصان قربي فأرسلت هدايا مع الأرياح طيبة النشر
وأخدمني الماء القراح وحيثما سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري(٤٦)

❋

ما فتّح النور الا أشرف النور فما اشتغالك والمنثور منثور
يا حبذا ودروع الماء تنسخها أنامل الريح لولا أنها زور(٤٧)

❋

والنهر كالمبرد يجلو الصدا ببرده عن قلب ظمآنه(٤٨)

❋

---

(٤٢) خزانة الادب ص٣٢٨
(٤٣) خزانة الادب ص٣٢٨ – ٣٢٩
(٤٤) خزانة الادب ص٣٢٩
(٤٥) عدهما ابن شاكر فى فوات الوفيات ج٢ ص٦٣٥ – من شعر ابن زيلاق .
ثم قال : أو هو ليوسف بن لؤلؤ الذهبي .
(٤٦) نزهة الانام ص٨١
(٤٧) نزهة لانام ص٩٥
(٤٨) نزهة الانام ص٩٨

ونهر بحب الدوح أصبح مغرما … يروح ويغدو هائماً بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره … جفاها وأمسى قانعا بخيالها[٤٩]

*

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها … عليه ولاحت في ملابسها الخضر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها … كأنا أرقنا فيه كأساً من الخمر[٥٠]

*

وحديقة ينساب فيها جدول … طرفي برائق حسنه مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه … فكأنما هو معصم منقوش[٥١]

*

يا حبذا النهر الذي أمواهه … تسبي العقول بحسن ما تبديه
هو في الحدائق غير ان عيوننا … ان لاحظته تر الحدائق فيه[٥٢]

*

ان البنفسج ترتاح النفوس له … ويعجز الوصف عن تحديد معجبه
أوراقه شعل الكبريت منظرها … وريحه عنبر تحيا النفوس به[٥٣]

*

ورمان رقيق القشر يحكي … نهود الغيد في أثواب لاد
اذا قشرته طلعت لدينا … فصوص من عقيق أو بجاد[٥٤]

*

قد قذف الدمع وهو شاهده … بما قضته يد النوى القذف
ومنذ أغنى عن وصف لوعته … لسانه قال للدموع صفي
والدمع والصبر أعوزا فلذا … لم يكف هذا ، وذاك لم يكف[٥٥]

---

(٤٩) نزهة الانام ص٩٩
(٥٠) نزهة الانام ص٩٩
(٥١) نزهة الانام ص٩٩
(٥٢) نزهة الانام ص١٠٠
(٥٣) نزهة الانام ص ١٣٥
(٥٤) نزهة الانام ص ٢١٩
(٥٥) النتيجة ص ١٣

ودمع العين صب مثل قلبي ... وراء ركائب الغيد الحسان
فيا لك سائلاً ردوه نهرا ... وتعثر في رداء الارجوان[56]

*

قالوا تباكى بالدموع وما بكى ... بدم على عيش تصرّم وانقضى
فأجبتهم هو من دمي لكنه ... لما تصعد صار يقطر أبيضا[57]

*

وأنكر صحبي كون دمعي أبيضا ... أيخفى عليهم شأنه كلما بدا
وما كان الا من دم القلب أحمرا ... فقطرته فابيض لما تصعدا[58]

*

فسرت ولي من قانيء الدمع قهوة ... أشعشعها صرفا على نغم الحدا
وقد كان دمعي فائضا يوم بينهم ... فقد غار لما أن رأى الركب أنجدا[59]

*

قد رفعت للعين بعد رحيلهم ... كلل غدت بمنطق ومكلل
ولكم سبقت حداءهم بمدامعي ... حتى جعلت قطارها في الأول[60]

*

تولى وغادر لي مدمعاً ... اذا ما سألت الحمى عنه سالا
فخل تخلى وعصر خلا ... وخلي تولى ودمعي توالى[61]

*

قلب بعين قد أصيب وعارض ... فاعده لي فالدمع ليس براقي
ألقي الدموع على الدموع وليتني ... أدرى بما ألقى وألاقي[62]

*

---

(٥٦) النتيجة ص ٣٨
(٥٧) النتيجة ص ٤٤
(٥٨) النتيجة ص ٤٤
(٥٩) النتيجة ص ٥٣
(٦٠) النتيجة ص ٦٩
(٦١) النتيجة ص ٧٢
(٦٢) النتيجة ص ٧٣

ما زلت اضمه إلى احشائي حتى فترت عن ضمه اعضائى
لو كنت رأيتنا لقلت اتحدا كالخمرة اذ مزجتها بالماء[٦٣]
وارقني خيال من حبيب تناءت داره لما أتاني
فمن سهري يلم فما أراه ومن سقمي يطوف فلا يراني[٦٤]

*

المراجع :

(١) الأعلام ـ الزركلي ٠ ط ٢

(٢) أنوار الربيع ـ السيد علي خان المدني (طهران ١٣٠٤ هـ)

(٣) حلبة الكميت ـ النواجي ٠ (مصر ١٢٧٦ هـ)

(٤) خزانة الأدب ـ ابن حجة الحموي (مصر ١٢٩١ هـ)

(٥) السلوك ـ المقريزي (مصر ١٩٣٩)

(٦) شذرات الذهب ـ ابن العماد (مصر ١٣٥٠ هـ)

(٧) الغيث المسجم ـ الصفدي (مصر ١٣٠٥)

(٨) فوات الوفيات ـ ابن شاكر (مصر ١٩٥١)

(٩) كشف الظنون ـ حاجي خليفة (تركية ١٣٦٠ ـ ١٣٦٢ هـ)

(١٠) الكشكول ـ بهاءالدين العاملي (مصر ١٣٠٥ هـ)

(١١) المجموع الجامع ـ مجهول٠ بخط السيد محسن الصائغ بن السيدهاشم أبي الورد ، سنة ١٢٩٨ هـ ٠

(١٢) معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحاله (دمشق ١٣٧٦ ـ ١٣٨١ هـ)

(١٣) مطالع البدور ـ الغزولي (مصر ١٢٩٩ هـ)

(١٤) النتيجة ـ مجهول (مخطوط سنة ١٢٦٧ هـ)

(١٥) النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي (مصر ١٣٥٧ هـ)

(١٦) نزهة الأنام في محاسن الشام ـ أبو البقاء البدري (مصر ١٣٤١ هـ)

(١٧) نزهة الجليس ـ السيد عباس المكي (مصر ١٢٩٣ هـ)

---

(٦٣) المجموع الجامع ص ٣٦٥

(٦٤) المجموع الجامع ص ٣٨٣ منسوباً الى لؤلؤ « كذا » ٠

الخطوط العامة في تطور الشعر العربي

من الجاهلية حتى العصر العباسي

داود سلوم

١ ـ الشعراء الجاهليون :

يعتبر الاغاني من المراجع الرئيسة في دراسة الشعر العربي الذي انتهى الى زمن المؤلف ابي الفرج الاصفهاني واعتمدنا عليه هنا اعتمادا كليا في استنباط هذه الخطوط العامة .

وقد انفرد ابو الفرج الاصفهاني بذكر خلاصة يضعها امام ترجمة الشاعر بعد ان يذكر نسبه ثم يتجه الى الروايات التي تؤكد الخلاصة وتوضحها وهذه الخلاصة هي موجز رأيه في المترجم له وما صح عنده من الرأي وعلى ذلك فما ورد في هذه الخلاصة من احكام هي خير ممثل للشاعر او منزلته او دوره في الحياة وانها تمثل ما يستنتج الباحث التالي لابي الفرج من آراء او وجهات نظر في العصر الذي يؤرخ له .

أ ـ دواعي الشعر في الجاهلية :

ومن خلاصة ما ترجم للشعراء الجاهليين يبدو ان ابا الفرج الاصفهاني يؤكد على سببين مهمين يبعثان على قول الشعر وهما : الحرب والحب . والظاهر ان اقتران الشعر بالحرب سببه ما يجيش في نفس المحارب من فخر ونجدة وبأس او احتقار للاعداء والذي يبدو ان الرجل يكون فارساً اولاً قبل ان يكون شاعرا وعلى هذا فان اغلب الفرسان هم من الشعراء وليس اغلب الشعراء هم من الفرسان وان الشاعر يقدمه اهلوه اذا كان شجاعا بالاضافة الى شاعريته وان الشعر وحده لا يؤهل صاحبه لقيادة القبيلة وهذا يفسر لنا نفرة العوائل المالكة في الجزيرة من قول ابنائها الشعر كما نرى ذلك من سيرة امرىء القيس .

وان الشـــعر كما يبدو في فترة طويلة من تاريخه كان يقال للحرب والحب فقط ولم يستخدم الشعر للاثابة والربح الا في فترة متأخرة وقد زعم العرب ان اول من تكسب بشعره انما هو الاعشى[١] !

ب ـ نشاط المديح :

لا شك ان الشعراء بدأوا يكسبون بالشعر في الوقت الذي بدأت فيه السلطات تتركز وحين ظهرت الدويلات العربية ففي القصص القديم ان الشعراء قصدوا سيف ابن ذي يزن مهنئين وانه اكرم شعراءهم وظهرت امثال هذه الوفادات على المناذرة والغساسنة فقد كان النابغة جليس النعمان وشاعره وقصد المناذرة طرفة والمتلمس وان قصة الجائزة والصحيفة التي قتل بسببها طرفة معروفة • وان حسان كان يفد كما يذكر التاريخ على الغساسنة وانهم ارسلوا له جائزة في الاسلام حين وفد وافد المسلمين الى القسطنطينية وقال حسان لعمر في المسجد : اني اشم عندك روائح آل جفنة !

واثر في الشعر الجاهلي الحب والغزل ودفعته حرية المرأة الجاهلية في علاقتها بالرجال فهي اكثر حرية من اختها المترمتة في الاسلام • فقد كان يباح لها من الصلات ما لا يباح للمرأة المسلمة وكان تطلق الرجل[٢] كما ان طرق تملكها بالقوة وسباءها ونهبها كانت طريقة سائدة متبعة وهي بذاتها المسؤولة عن وأد البنات لسلوكها بين المحافظين منهم كما يبدو •

جـ ـ الشعراء من غير العرب :

وفي العصر الجاهلي كان الشـعر اكثر شيوعاً بين غير العرب كاليهود وبين العرب من اصحاب الديانات المختلفة كما انه كان شائعاً بين عبيدهم على كثرة لأن الوثنية تتسع لكل هؤلاء ولم يتسع الاسلام لاصحاب الديانات الاخرى وقد ابعدهم الاسلام وعزلهم وكانت اللغة في الجاهلية منحصرة في جزيرتها وهي لغة القـوم كلهم على اختلاف الامر فاصبحت اللغة العربية لغة القرآن والدين وبفساد ألسن اهل الحواضر في الجزيرة انقطعت صلاتهم باللغـــة وماتت البواعث التي كانوا يقولون فيها الشعر • فلم يعد اليهود يغزون احداً ولم يبح لهم الغزل اذا كان في غير نساء اليهود وقتل بعض الشعراء او العشاق من اليهود الذين ضبطوا مع نســاء

عربيات كان أزواجهن في الفتوح ولم تبق في تغلب المسيحية الا صُبابة رأيناها في الاخطل وبعض الشعراء المخضرمين من المسيحيين وما كان العصر الاموي ينتهي حتى اختفى الشعراء النصارى من الافق الادبي ولم يبق منهم الا نماذج احصوا في كتاب « شعراء النصرانية في الاسلام » لشيخو ٠

٢ ـ الشعراء المخضرمون :

في هذه الفترة قلّ الشعر قلة ملاحظة واعطى الاقدمون عللا لا قيمة لها فانهم حدثونا عن اثر القرآن الكريم عليهم في قوة بيانه فالجم شعراءهم واخافهم لفخامة اسلوبه وعظمة بيانه وهذا قول اعتباطي لا قيمة له لاننا لو نظرنا الى ادب النثر المعاصر لهذه الفترة لرأينا ان القرآن قد اغنى تعابيرهم واعطاهم مادة جديدة ووسع في مفردات اللغة وهيأ لهم افكاراً وموضوعات لم يحلموا بها وفتح لهم آفاقاً واسعة اخرى ٠

الا ان السبب الحقيقي ان كافة الجيل المعاصر لهذه الفترة اعدّ للنفير العام واستخدم في الفتوح وكان العرب قد انشغلوا بهذا الشاغل الجديد عن رواية ونقل الاشعار وقد كادوا ان ينشغلوا عن القرآن نفسه وان يختلفوا في آياته لولا ان أسرعت الدولة الى تأليف لجنة رسمية في زمن عثمان وثبتت النص على صيغة واحدة ما اختلف المسلمون بعدها عليها ٠ والذي يلاحظ ان اكثر الشعر الذي بقي من شعر هذه الفترة انما هو شعر اولاد العوائل الراقية المتنفذة التي كانت تسود في الجاهلية على اساس النفوذ الاجتماعي والمالي الذى تملكه ورغم ان الاسلام اراد ان يستفيد من كافة العناصر الا ان الرسول اضطر لاسباب عدة ان يستخدم او يكرم او يؤلف قلوب طبقة كبيرة من المتنفذين واصحاب السلطان وهو قد ابقى الى حد ما القديم على قدمه فقد كتب الكتب لرؤساء الوفود الوثنية فرجعت هذه الوفود مسلمة على رأسها نفس الرؤساء الذين كانوا يحكمون قومهم في الجاهلية ولذلك لم تتأثر مصالح هذه الطبقات من قليل او بعيد وانما زادها دخولهم في الاسلام رسوخاً ٠

وحين ولي عمر قويت فكرة دولة العرب للعرب ولذلك فقد كان كل قادته عربا واغلبهم من قريش وكذلك ولاته وقضاته الا ما ندر ٠٠٠ وضاق هذا التفضيل في زمن عثمان حتى أصبح عائليا الى حد ما ٠ وبعد ان توسع الاسلام وانتشر عاد

الامويون فحصروه في العرب لسعة الرقعة واخرجت العناصر غير العربية من الحكم الى حد بعيد ...

وقد وردت فلتات من شعر الطبقات الدنيا من شعر الجنود من ابناء العوائل المسلمة الذين لا يملكون المجد الجاهلي يعلنون هذا الغضب وهذه الثورة على قريش بشكل خاص وبدأوا يشعرون انهم لا يحاربون للاسلام وانما لاشباع نهم رجالات قريش من القواد والامراء والجباة قال شاعر من المخضرمين في الحماسة :

وان امرأ يعطي الاسـنة نحره وراء قريش لا اعـد له عقـلا

يذمون لي الدنيا وقد ذهبوا بها فمـا تركوا فيها الملتمس ثُعلا

وقال آخر يتهم سعد بن ابي وقاص بانه لا يعرض نفسه للموت وانما يتمسك بالامارة ويتنعم بها :

نقـاتل حتى انـزل الله نصره وسـعد بباب القادسـية معصم

فابنا وقـد آمت نسـاء كثيرة ونسـوة سعد ليس فيهن أيم

وقال عمرو بن معد يكرب رغم جرأته في مطالبة عمر بزيادة عطائه :

اذا قتلنا فـلا يبـكي لنا احـد قالت قريش : أجل تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفـذ ولا سـوية اذ تعطى الدنانير !

وقال نافع بن الاسود التميمي :

ولما اتى الاسلام كانوا ائمـة وبادوا معـداً كلها بالجرائم !

وكتب يزيد بن الصقع الى عمر يخبره عن سلوك جباته :

نؤوب اذا أبوا ونغزوا اذا غزوا فانى لهم وفر ولسنا ذوى وفر

وامتد هذا الاحتجاج على هذا السلوك وظهر فى العصر الاموي ايضا على لسان شعراء القبائل التي حرم ابناؤها السلطة والمجد فقال جواس بن القعطـل الكلبي :

صبغت اميـه بالدماء رماحنـا وطـوت اميـه دوننـا دنياها

اسباب ضياع الشعر أو قلته : ـ

فلبعد الرقعة وكثرة القتل الذي وقع في الجيوش العربية وانشغال الناس بغير أمور الشعر تشتَّت نصوص كثيرة من هذا الشعر وتوزع ما بقي منه في بطون كتب التاريخ تحت عناوين المعارك وامن الشعراء من الرؤساء واولادهم الذين اقاموا في المراكز والامصار على شعرهم من الضياع وكذلك اولئك الذين لهم علاقة ما بالسلطة المركزية لطبيعة التاريخ الثيوقراطية عند المسلمين •

ومن الاسباب التي اضعفت هذا الشعر ان كثيرا من دواعيه حاربها الخلفاء المتزمتون • فقد نهى عمر عن رواية شعر كثير قيل في خصومة قريش في كفرها مع الاسلام ونهى الرسول عن رواية بعض القصائد الاخرى التي هجي فيها المسلمون واصبح الشعراء كذلك يعاقبون اذا نظموا الشعر فيما يحرمه الاسلام كشرب الخمر او القمار او ما شابه فما قيل من هذا الشعر اطرح للاسباب المذكورة آنفاً • وانصرف كثير من الشعراء عن طرق هذه الموضوعات خوف العقاب فأعقبهم طول السكوت الانصراف عن قول الشعر • فقد انصرف لبيد العامري مختاراً عن الشعر الى التأمل في القرآن • وقد يضطر الشعر الشاعر على القول رغم الخوف وقد سجل ذلك النعمان بن عدي بن نظلة وكان والي عمر على ميسان :

الاهل اتى الحسناء ان حليلها	بميسان يسقى من زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية	وصنَّاجة تجثو على حرف ميسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني	ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه	تنادمنا بالجوسق المتهدم

وفي هذه الفترة عزلت اديان اخرى عن المشاركة الثقافية لانعدام الدوافع التي تدفعهم الى نظم الشعر ولاعتبارهم في الحكم الجديد مواطنين ليس لهم نفس الامتيازات التي للمواطن المسلم ونريد بذلك بصورة خاصة ادب الشعراء اليهود ومما ساعد على ذلك شعور اليهود بغربتهم في الجزيرة ويهود الجزيرة كما تؤكد كتب الانساب لم يكونوا عربا وانما هم غرباء عن الجزيرة واستخدمهم النظام الجديد كعمال وفلاحين واطباء وصيادلة وما شاكل وابعدهم بذلك عن الفن ودائرته ولم

يلتفت الرواة صوبهم بعد الاسلام فلم يسجلوا ما نظموه الا ما ورد لعلاقته بحادثة او قضية ترتبط بالدولة ودينها ورعيتها فبعد ان سجل صاحب الاغاني اسماء عدة شعراء يهود في الجاهلية كغريض اليهودي والسموؤل بن عاديا وسعية بن غريض والربيع بن ابي الحقيق واوس بن ذبي القرظي[٣] لا يظهر اسم شاعر يهودي بين اسماء شعراء المخضرمين واستمر الشعراء المسيحيون من العرب يشاركون اخوانهم مشاركة غير فعّالة في ادبهم في هذه الفترة ولم يكن دورهم الادبي فعالاً او ذا قيمة •

٣ ــ الشعراء الامويون :

أ ــ البيئة الجديدة :

استقر المسلمون والعرب بعد الفتح وبعد تأسيس المدن في الامصار الجديدة وأصبحت المدينة هي التي تمثل المجتمع العربي الجديد ولم تعد البادية تمثل طابع الامة الجديدة المتحضرة •

فالمدينة او الكوفة او البصرة او دمشق اصبحت ترسم السياسة وتوجه الفقه ومنها تندفع الجيوش وفيها تحفظ الدواوين وتعطى الاعطيات وفي هذه المدن استقر أهل الفكر والقادة والرؤساء والصحابة والقراء والشعراء وأصبحت أهمية الشاعر البدوي ثانوية لانه بعيد عن الحوادث ومشاكل المجتمع الجديد فحُريث بن عتاب مثلا : « ليس بمذكور في الشعراء لانه كان بدويا »[٤] واصبحت اسماؤهم نادرة لا ترد الا في فترات متباعدة مثل تويث اليمامي[٥] ومن شابه •

ب ــ شخصية الشاعر الاموي :

وان الفترة التي مضت بين تمصير هذه البلدان والعصر الاموي هيأت نشوء جيل من الشعراء ولم يكن الشاعر الاموي يشابه الشاعر الجاهلي او الشاعر المخضرم الذى كانت حياته امتدادا لحياة زميله الشاعر الجاهلي •

فالشاعر الجاهلي كان يكسب قوته من الرعي او الغزو او الزراعة كما في الحواضر في الجزيرة العربية كالمدينة او اليمامة او من التجارة كما في مكة وكان بعضهم قادة عشائرهم وفرسانها فالشجاعة كانت الصفة المميزة لشاعر الجاهلية

والشاعر المخضرم وكان اسمه يرد في المعارك والغزوا اكثر مما يرد في اي مجال آخـر •

اما الجيل الاموي فانهم شعراء نشأوا في المدن الاسلامية الجديدة وفتحوا عيونهم على حياة مختلفة فيها النظام والقانون وفيها المسجد ـ المدرسة الكبرى في المجتمع الاسلامي ـ فظهر الشعراء الذين درسوا العلم أو الفقه أو الادب فهناك ابو الاسود الدؤلي النحوي(٦) وهو شاعر ايضاً واشتغل شريح قاضيا(٧) وهو شاعر أيضا وقد عمل الشاعر في حقول اخرى فقد كانوا ندماء ومستشارين للامراء في الامصار واصحاب آراء سياسية وكانت هناك جماعة من الشعراء بقيت تمثل اتجاه الصعاليك الجاهليين في الامصار الاسلامية ولما كانت طريقة عيش الصعاليك كنظام قد انتهت منذ زمن بعيد وأصبح القانون يلاحق الخارج عليه فقد اتجـــه هؤلاء الشعراء الى توسيع فن المدح والاسراف فيه واتخاذه مصدراً ثابتاً من مصادر العيش وهؤلاء هم الذين يكونون غالبية الشعراء الرسميين وهم شعراء يخدمون السلطة كفكرة مهما كانت هذه السلطة كالفرزدق وجرير وكثير والاخطل وكانوا يفيدون ايضاً من اثرياء المجتمع الاسلامي الذين زاد عددهم زيادة كبيرة وتركزوا في الامصار القديمة والجديدة ولظهور الحركة التعليمية ولتشـــجيع الاسلام للعلم ولانصراف عدد كبير من المسلمين الى قراءة القرآن والاهتمام بلغته ومقارنته بكلام العرب فقد بدأ النحو ينشأ في البصرة والكوفة وبدأ الرواة الذين يجمعون اللغـة والأدب يجمعون ما يقعون عليه يهيأون المادة للدارسين فنشأ علم العروض ونظرات في النقد والتذوق • ولكن الملاحظ ان الفترة هذه لم تقصد بقوانينها الفنية هـذه الا التسجيل والحفظ للغة ولم يقصد بها التعليم بذاته لان المجتمع العربي لا زال سليماً في لغته فالفرزدق مثلاً كان ينظم هذا الشعر الجيد الشديد الاسر وهو لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك فهو يقول لاهل النحو : علينا ان نقول وعليكم ان تعربوا • واذا قصد هؤلاء فيما جمعوا الى التعليم فانما هو للناشئة من غير العرب او لأولاد العرب الذين فسدت لغتهم لانقطاعهم كليا عن التأثير البدوي عليهم •

ولتيسر المعرفة بالنسبة لناشئة غير العرب فسرعان ما رأينا نجوم شعراء من اصول غير عربية تبزغ في المجتمع الجديد تكتب بلغة العرب وتصل بادبها الى مستوى

لائق مثل اسماعيل بن يسار الشاعر العجمي[٨] .

ج ـ الخلافات السياسية :

وظهرت في هذا المجتمع الجديد المتحضر خلافات فكرية وسياسية واتجاهات في العواطف على اساس غير الاساس القبلي القديم فقد بدأت الاحزاب تتشكل على أساس العقيدة فهناك احزاب سياسية كالعثمانية والترابية والزبيرية والخوارج وهناك افكار فلسفية بسيطة اخذت تتشكل كالقدرية والجبرية وبدأ الفكر العربي والاسلامي يتعرض لتيارات جديدة ومفاهيم غريبة لم يكن يألفها أصلا ...

وتبعا لهذا انقسم الشعراء ايضاً وراء هذه الاتجاهات المختلفة .

فمن شعراء الامويين : ابو العباس الاعمى[٩] وعبدالله بن الزبيرالاسدي[١٠] .

ومن المروانيين : عبدالله بن خارجة الاعشى «كان مرواني المذهب ...»[١١].

ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم[١٢] .

ومن شعراء الشيعة : الكميت وابو الطفيل الغنوي[١٣] .

ومن شعراء الزبيرية : عبدالله بن قيس الرقيات[١٤] .

ومن شعراء المرجئه : ثابت قطنة ، وغيرهم كثير .

د ـ تطور الرجز :

وقويت في هذا العصر بعض الفنون الشعرية التي لم يكن نطاق استعمالها كثيرا جدا في الازمان القديمة .

فبعد ان كان الرجز فناً لا ينظم فيه الشعراء بكثرة في الجاهلية وكان ادباً من أدب المعارك في الغالب فان ضخامة المعارك الاسلامية وعدد الجيوش الضخم وكثرة الفرسان في معارك ضخمة كبيرة جعلت من الرجز اللحن العسكري المفضل الذي يتغنى به الفارس فالقعقاع كان في الحملة يرتجز وهو يدفع باصحابه الى الحرب مرددا رجزه لاثارة حماسهم ونشاطهم .

وفي العصر الاموي وكأي فن من فنون الشعر الذي اصابه التطور كالغزل والهجاء فقد أصاب فن الرجز التطور ايضاً وظهر الشعراء الذين قصدوا الرجز وجعلوه بحرا لا ينظم فيه الشاعر البيت او البيتين في المعركة وانما جعلوه بحرا تنظم فيه القصائد والدواوين .

وظهر الاغلب العجلي الذي قيل عنه انه : « اول من رجز الاراجيز الطوال في العرب »[١٥] ومثله ابو النجم وقد خلفا وراءهما عددا ضخما من الاراجيز .

هـ ــ نشاط الهجـاء :

وفي العصر الاموي ولاسباب سياسية واجتماعية ولغرض تسلية المجتمع العربي في وسيلة من وسائل الاعلام المهمة آنذاك نشط الهجاء نشاطاً ملحوظاً وادى ذلك الى نشوء فكرة « المناقضات » واشتهر في هذا الفن جرير والفرزدق وان كانت المدرسة تمثل عدداً ضخماً من الشعراء الذين اشتركوا في هذا العرض الهائل من الحرب الصورية التي كانت القبائل تتراشق فيها بالكلمات عوضاً عن السهام وتغزو بعضها بعضاً بالقصائد وتنهب سمعة بعضها بعضاً بابيات الشعر ومن هذه المدرسة : غسان بن ذهيل والبعيث والاخطل وعمر بن لجأ وسراقة البارقي والبَلْتَع وراعي الابل النميري والعباس بن يزيد الكندي وجفنة الهمداني والمرار بن منقذ وحكيم بن مُعَيَّة وثور بن الاشهب النهشلي والدَّلَهْمَس[١٦] وغيرهم كثير .

والدليل القاطع على ان هذا الهجاء لم يكن الا غزواً صوريا وحرب كلمات كثرة المقابلة بين جرير والفرزدق في صحبـــة الخلفــــاء والامراء ومحاورتهم ومجالستهم وتحريض الخلفـاء والامراء بعضهم على بعض لغرض اثارتهم كي يتسلى أمير المؤمنين أو الوالي وكل يعرف ان جريراً رثى الفرزدق بعدموته وافتقده !

و ــ التحلل الاخلاقي :

وكرد فعل على السلوك الاسلامي المتزمت في العقود الاربعة الاولى ولتسلط خلفاء اشداء على الشعراء ومراقبة سيرهم فقد اندفع الشعراء في العصر الاموي نحو التحلل السريع من الالتزامات الاسلامية وبشكل خاص مسألة « الخمرة » والتسيب الخلقي خاصة وان مركز الخلافة اصبح بعيداً عن الامصار وان ولاة الامصار لم يكونوا متحمسين لمراقبة هذه المسألة مراقبة جادة فعالة .

فقد كثرت اسماء الشعراء المتحللين المعاقرين للخمرة في عصر الامويين كثرة فاحشة اذا ما قورن ذلك بالشعراء المخضرمين الذين اظلتهم خلافة الراشدين .

فهناك منهم :

الاقيشر[١٧] وعمـــار ذي كبار[١٨] وبكر بن خارجـة[١٩] وحمزة بن بيض[٢٠] والشمردل بن شريك[٢١] .

وسجل لأول مرة الشذوذ الجنسي في ســيرة الشـاعر العربي الابوين الاحوص[٢٢] وظهر فاشيا بين المخنثين والمغنيين في المدينة وهو يصور تطورا جديدا في المجتمع العربي وسجل الشعراء في اواخر العصر الاموي النمــاذج الاولى للغزل بالمذكر ...

ز ـ العصبية الجنسية والدينية :

وكرد فعل على الاسلام الذى ساوى بين الاجناس السوداء والبيضاء والسمراء نظريا حيث حاول محمد (ص) تطبيق هذه المساواة جهده فقد ظهر الاعتزاز القديم بالعنصر العربي ولاسباب تتعلق بالمحافظة على السلطة شجع الامويون هذا الاتجاه وانعكس ذلك على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والفنية . فقـد أصبح الزواج بالموالي مثلاً في عصر الامويين معرّة[٢٣] وأصبح مستحيلا تقريبا بين الاســود والعربية وتأثرت الاحكام الادبية بهذا أيضا فنصيب الشاعر مثلا هو « اشعر اهل جلدته » فقط !

وقتل سحيم ـ عبد بني الحسحاس لانه كان عبدا وقد تجرأ على الغزل ببنات العشيرة .

ومن خلال التيار الاسلامي اصبحت نظرة المسلم الى اخيه العربي من المسيحيين فيها شيء من « الحرج » ، فسرعان ما نما في نفس الشعب شيء من الطوطمية الدينية تتعلق بالنجاسة ممن يأكل او يشرب ما لا يحله الاسلام[٢٤] وقد اعتمد هجــاء جرير للاخطل على هذه النظرة الشعبية الجديدة للاديان الاخرى في الوقت الذي نرى علية القوم يعاشرون هؤلاء الناس[٢٥] . ومما يدل على وجود نظرتين مختلفتين للمسيحيين في المجتمع الاموي قول الاخطل .

« ان العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب اذا مرّ به البيت المعاير السائر الجيد امسلم قاله أم نصراني » .

ح ـ شعر الغزل :

وفي العصر الاموي تطور شعر الغزل الجاهلي وانشطر الشعراء في هذا العصر

الى شطرين : شطر يمثل الاتجاه التقليدي في الوصف والتشبيه التقليدي الذي عبر فيه الشاعر عن المظاهر الخارجية لجسد الانثى واهتم به كشيء موجود عليه ان يتشوق له ويصفه ويقارنه بظواهر البيئة التي يعيشها ويحياها .

واستمرت المدرسة الاسلامية التقليدية في هذا الاتجاه وان كانت قد جددت وطورته وقاربت فيه موضوع القصة الشعرية او الرومانس الشعري Poetical Romance تقريبا على يدي امام مدرسة المسلمين من الوصاف الحسيين : عمر بن ابي ربيعة . اما الشطر الآخر من هذه المدرسة : فقد أهتم بوصف تأثير عاطفة الحب نفسها كعاطفة في نفس الشاعر او في نفس المرأة وان هذا الخلاف في اسلوب التعبير لا علاقة له كما يبدو في السلوك الجنسي عند العرب السلوك الذي لم يتغير في الاسلام عما كان عليه في الجاهلية الا في بيئات ضيقة .

فالسلوك الجنسي عند الوثنيين العرب لم يكن متزمتا كما يخيل للانسان من أول وهلة فالمعاشرة والمخادنة والخيانة الجنسية والزنا كل ذلك معروف وسلوك موجود في تاريخهم وكان للجاهليين انواع من السلوك يأباها المتحضر الآن موجودة في كتب التاريخ .

وكان نهب المرأة المتزوجة والفتاة نظاماً معمولاً به وكذلك سبيها واسرها واستعبادها .

واراد الاسلام ان يغير سلوك المرأة العربية والرجل العربي فاوجد حلولا للزواج واباح تعدد المرأة وشدد النكير وجعل العقاب شديدا ولكن يبدو ان المجتمع العربي فضل ان يسير على العادات الجنسية الوثنية القديمة وخاصة المرأة المسلمة واشتد ذلك في العصر الاموي للترف والغنى ومزاحمة الجواري للمرأة العربية وكثرة الشعراء وتكاثف المجتمعات العربية في الامصار ... وحماية لسمعة الاسلام ولايجاد تفسير معقول لهذا السلوك الغريب الذي سجل بشكل متواتر في علاقة الشعراء بنساء متزوجات في الاسلام فقد حاول الشعراء انفسهم ان يخلقوا مثلاً جديدة غير جاهلية وتقاليد غرامية افلاطونية نظرية وراح بعض الاخلاقيين يؤكد وجودها بما نظم هؤلاء الشعراء الذين اخذوا يعفون على آثار جرائمهم حماية لانفسهم من العقاب ورفض بعض اهل الكلام ومنهم النظام التصديق بهذا العشق

الافلاطوني وان كل ما قاله الشعراء والقصاص ان هو الا تغطية وحماية وتعمية على هذا السلوك الوثني في البيئة الاسلامية الجديدة • وهـــذه التفسيرات في الغالب تفسيرات متأخرة •

فقد حاول ابن قيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) ان يشرح هذه النظريـــة الافلاطونية في (اخبار النساء) وان يؤكدها بشواهد نظمها الشعراء انفسهم الذين هم الخصم والحكم في الموضوع •

قال :

« وكان الشرط بين العاشق ومعشوقته اذا خلوا ان يكون له نصفها من الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولبعلها من سرتها الى اخمصها وانشد ابن الاعرابي في مثل ذلك :

فللخِل شـطر مطلق من عقاله ... وللبعل شـــطر ما يُرام منيع

وانشد ابو عمرو بن العلاء في نحوه :

لهـا نصفـــان من حـل وبـل ... ونصف كالبحيرة لا يهـــاج !

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبحيرة ـ فانها كانت في الجاهلية حراماً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء •

وانشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته :

فهل لك في البـــدال ابا زنيم ... واقنـــع بالاكارع والعجـوب !

ولم يصدق اهل الكلام هذه العلاقة الافلاطونية فقال ابراهيم بن بشـــارة النظام :

« قد يمكن الرجل ان يحتجز عن ذلك ما دام ليس هنـــاك الا الحديث والقبلة اما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلابد ان ••••• وينشط واذا •••• وهو في الازار معها انتقض العزم كما قال عبدالرحمن بن ام الحكم :

دعتني اخـــاها ام عمرو ولـم اكـن ... اخاهـا ولـم ارضـع لهـا بلبـــان

دعتني اخـــاها بعـد مـا كان بيننـــا ... من الامر ما لا يفعلالاخوان ! »(٢٦)

وفي علمي ان الاسلام لم يبح مثل هذا ولكن هذا السلوك كادت تجري عليه الغالبية الكبرى من النساء والشعراء في المجتمع الأسلامي الاموي في الحاضرة والبادية وفي قصة جميل بثينة امثلة تدل حتماً على ان جميل كان بدوياً جاهلياً في سلوكه ولم يكن اسلامياً يخضع لمثل الاسلام وليس شيء من الاسلام في سلوك بثينة ومعاونتها على هذا الحب الحرام وهي في عصمة رجل آخر وان الحب العذري او الافلاطوني ان هو الا اسطورة في مفهومها الاكاديمي المعاصر وان النسبة الى « عذرة » لم يكن في معنى « العفة » في الحب وانما معناه « التسامح » في الحب مقابل قبائل أخرى ربما كانت اكثر تعنتاً في هذه الامور ...

ط ـ اثر البيئات الاجنبية :

وآخر ما اصاب الشعر الاموي من تطور هو تلون البيئة واختلافها تبعاً لما اصاب المجد العسكري العربي من نصر فقد ضربت قدم الشاعر العربي مع الجيوش الزاحفة ارضاً لم تطرقها قدم عربية من قبل . وان سرابيل القتلى وجماجمهم وعظامهم تساقطت في اصقاع لم يحلم اصحابها انهم سوف يصلون اليها وقد وصف يزيد بن مفرّغ شوق المجاهد الزاحف مع الجيوش في اقطار العالم الواسع الى وطنه واشار الى ضياع الآلاف منهم وقال :

كم بالدروب وارض الهند من قدم	ومن جماجم قتلى ما هم قبروا
ومن سرابيل ابطال مضرجة	ساروا الى الموت ما خاموا وما ذعروا
بقندهار ومن تحتم منيته	بقُندهار يرجم دونه الخبر
اجد اهلك لا يأتيهم خبر	منا ولا منهم عين ولا اثر(٢٧) !

وهناك تعرف الشاعر الى بيئات جديدة وعادات اخرى واناس آخرين وترك ذلك كله اثره في الشعر الاموي وقد هيأت هذه الاجواء البعيدة عن السلطة نشوء ادب « الخمرة » ونشاطه وقد هيأ هؤلاء الرواد نماذج الشعر الخمري لشعراء الدولة العباسية ومن هؤلاء الشعراء الذين خرجوا عن الامصار القريبة والجزيرة الى الاقطار البعيدة في الامبراطورية الاسلامية : ابو حزابه[٢٨] والشمردل بن شريك[٢٩] والصمة القشيري[٣٠] وعبدالله بن الحشرج[٣١] ويزيد بن مفرّغ وغيرهم كثير ...

٤ ـ مخضرمو دولة بني امية ودولة بني العباس :

في الفترة التي تلت حكم هشام كانت جميع الثورات العلنيـــة قد همدت وفشلت وضعف امر الخوراج فضعف تبعا لذلك شعر الافكار السياسية وسكت شعراء الشيعة وغيرهم وانحاز الرجال الطامعون في السلطة الى التنظيم السري الذي نتجت عنه الدولة العباسية فيما بعد •

أ ـ ظواهر ادبية تختفي :

وبموت جرير والفرزدق ضعف كذلك الشعر القبلي وشعر المناقضات والمفاخرات ولم يبق منه شيء ذو بال وبدأت العصبيات القبلية كذلك تذوب وتضعف الى حد ما وفي هذه الفترة عاش آخر شـــعراء المسيحية العرب وهو القطامي[٣٢] وبموته اختفى الشعراء المسيحيون العرب تقريباً من ميدان الشعر العربي كما اختفى اليهود قبلهم في عهد الراشدين اما باسلامهم او بانعزالهم •

ب ـ خصائص شعراء العصر الجديد :

ولم يكن شعراء هذه الفترة التي صحبها الضعف السياسي من ذوي النباهة والمجد الفني فان العصر الذي خلق جرير والفرزدق غير العصر الذى عاش فيه هؤلاء الشعراء وان ذوي النباهة من شعراء هذه المدرسة انما حصلوا على شهرتهم في اول عصر العباسيين قبل ان يموتوا • ولاسباب لا علاقة لها بفنهم بقدر ما كانت ذات علاقة بالسياسة او الزندقة او السيرة الشخصية المتحللة او شهرة الشـــخصية بالنوادر والاضحاك كشخصية ابي دلامة[٣٣] •

ج ـ القلق السياسـي :

وتميز شعراء هذه الفترة بقلق التفكير السياسي من حيث وقوفهم في جانب السياسة الاموية او السياسة الجديدة في حكم بني العباس فقد أضطر بعض الشعراء عن التخلي عما مدحوا به من شعر وتنكر بعضهم لاســـيادهم الماضين مثل ابي نخيلة الحماني[٣٤] وابن هرمة[٣٥] وكان بعضهم قد انحجر وانعزل عن السياســة الجديدة كأبي عطاء السندي[٣٦] الذي هجا بني العباس •

وقد قوي في هذا العصر الميل الى شعر المجون والخلاعة والخمرة والغزل بالمذكر ومن شعراء الخمرة ابن هرمة وابن الخياط[٣٧] ومن شـــعراء التحلل

الخلقي مطيع بن اياس[٣٨] وحماد عجرد[٣٩] وغيرهما ...

د ـ الاسراف في المجون وظهور الزندقة :

وظهر فى هذا العصر الشك الديني وبدأت الافكار الفلسفية والديانات الغريبة تتخلل بين السطور الفنيّة فقد كان هناك عدد من الشعراء من ضعفاء الدين والايمان امثال ابي دلامة وابي الهندي[٤٠] وحماد عجرد ومطيع بن اياس وغيرهم وقد هيأت هذه المدرسة كثيرا من الاسس للمدرسة التي ظهرت شامخة في استقلالها الفكري عن اتجاه الدولة الديني وكان بين رجالها امثال بشار بن برد وابى نواس وغيرهما .

واذ توجه ابو نواس الى هذا التدقيق والتخصص فى وصف الخمرة فذلك يوحي دون شك الى واضعي الاسس فى هذه الموضوعات وقد ادرك ابو الفرج ومعاصروه ومن سبقهم ذلك الاثر في شعر شعراء المدرسة العباسية التي اعتمدت على شعراء الانتقال هؤلاء ولذلك فهذه المدرسة المخضرمة تعتبر حلقة الوصل بين شعراء البداوة والعروبة وبين شعر الحضارة والامية دون شك .

هـ ـ امية الادب العربي ونظرية وراثة الشعر :

وظهرت فى هذه الفترة كثرة كاثرة من ابناء الفرس والعبيد والامم التى دخلت فى الاسلام من الذين نظموا الشعر واجادوا واخذوا فيه الجوائز السنيّة او تركوا الاثر الجليل في الادب والرواية والنحو والفقه فمن الشعراء من غير العرب فى فترة المخضرمين العباسيين هذه : الحسين بن مطير وابن الخياط وابو دلامة وحماد عجرد وحماد الراوية وسديف مولى بني هاشم وابو عطاء السندي وابن المولى وابن ميادة (الذى كانت امه اجنبية) وابو الهندى وغيرهم كثير ...

وبهذا قد قضى ظهور هؤلاء في عالم الشعر على نظرية اعتقد بها العرب والمتعصبون لهم وحملة الشعر الجاهلي القديم ورواته وهي نظرية « وراثة الشعر » وضعفت هذه النظرية ضعفا بينا فى هذا العصر حتى لم تعد تذكر كثيرا الا في اشارة عند الكلام على ابن ميادة ومروان بن ابي حفصة .

ولما كان لم يسبق لاحد من مؤرخي الادب قبلنا ان تكلموا في هذا الموضوع فقد رأينا ان نجمع النصوص المتفرقة التي تدور هذه النظرية حولها . وسوف

نشهد انهيارها حين نرى ان اكثر شعراء بني العباس الفحول لم يكونوا من اصول عربيــــة •

فالجاهليون كما يبدو كانوا يعتبرون الخصائص النفسية والذكاء والكرم والنباهة والغفلة والشجاعة وكل هذه الصفات الاخرى تورث وتنتقل من الاب الى الابن او من الاخوال او الاعمام عن طريق الام او الاب ولذلك فقــد قالوا : « من شابه اباه فما ظلم » ومن امثالهم : « لا تلد الحية الا الحية » •

ومن النصوص القديمة التي تدلل على اعتقاد العرب بانتقال الصفات النفسية ما قاله اعرابي لعروة بن الورد :

قال :

« ان الذي رأيت من صرامتي من قبل اعمامي وهم هذيل وما رأيت من كعاعتي فمن قبل اخوالي وهم من خزاعة •• »(٤١) •

والظاهر ان العرب في الجاهلية صنفوا قبائلهم حسب النبل واللؤم والنذالة والكرم : فباهلة وسلول من القبائل الذليلة واستمر هذا الاعتقاد سائدا حتى في الاسلام حتى فضل احد الاعراب الا يكون باهليا وان تكون له الدنيا وخير في دخول الجنة على ان يكون باهليا فقبل بعد تردد على الا يُعلم اهل الجنة بنسبه واذا صح هذا عن الجاهليين فاعتقد ان كل ما ذكر عن وراثة الشــعر فمن صنع الرواة الاسلاميين في بداية العصر الاموي حيث اشـتدت الخصومة بين العرب والاجناس الاخرى والظاهر ان هذه النظرية التي تزعم وراثة الشعر انمـا هو جواب على تساؤل معاصر لهذا الخصومات خلاصته :

ــ هل يمكن لغير العربي ان يقول الشعر ؟ وكان الجواب الضمني : ان الشعر لا يقوله اعجمي وانما هو عربي وعربي لا يقوله كل عربي الا اولاد الشعراء وابناؤهم ومن تزوج فيهم او في قبائلهم ولذلك فقد اسموا الشاعر الذي يقول الشعر ولم يكن احد في اهله شاعراً « النابغة » • جاء في اللسان مادة (نبـغ) ما يلي :

« نَبَغ الرجل ينبُغ نَبْغا لم يكن في (ارثه) الشعر ثم قال فاجاد ومنه سمي الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما ••• »

وان من اقدم النصوص التي تتعلق بوجهة نظر الجاهليين بخصوص نظرية وراثة الشعر ما تركه الرواة من اخبار تقول : ان بشامة ابن الغدير خال زهير بن ابي سلمى لما حضره الموت جعل يقسم ماله في اهل بيته وبين بني اخوته فاتاه زهير فقال :

« يا خالاه ! لو قسمت لي من مالك ! فقال : والله يا ابن أخي لقد قسمت لك افضل ذلك واجزله. قال ما هو ؟ قال : شعري ورثتنيه ! وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر وقد كان اول ما قال فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به عليّ ؟ فقال بشامة : ومن اين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى انك جئت به مزينة وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم وقد رويته عني »[42] وكان محمد بن سلام بين الرواة ركنا مهما في وضع أسس هذه النظرية فهو قد سبق له ان قسم الشعراء الى طبقات وفاضل بينهم على أساس المفاهيم القبلية كالفروسية وكثرة الشعر والسؤدد بالاضافة الى قول الشعر وهذه المفاهيم او بعضها هي المسؤولة عن وضع امرىء القيس على رأس قائمة شعراء الجاهلية دون شك .

ويؤكد قولنا ما قاله محمد بن سلام عن وراثة الغزل عند عمر بن ابي ربيعة عن الاصول اليمانية قال :

« وام عمر بن ابي ربيعة ام ولد يقال لها : مَجْد ، سبيت من حضرموت ويقال من حمير . قال ابو مُحَلِّم ومحمد بن سلام هي من حمير ومن هناك اتاه الغزل يقال : غَزَلٌ يمانٍ ودَلٌّ حجازي »[43] وقبل محمد بن سلام كان شعراء القرن الاول قد ساعدوا كثيرا على رسوخ هذه النظرية واهمهم الفرزدق . فقد ورد اسمه مقروناً مع كثير من النصوص التي تشير الى وراثة الشعر عند العرب والفرزدق متعصب مغرق في تعصبه لمضر اولاً ثم للعرب ثانياً وهو محتقر لكل من لم يكن مضرياً . فقد رفض الخروج من السجن لان بكرياً اطلق قبله ولان الذي توسط له دعي او متهم في نسبه وهذا منتهى الاعجاب والتيه .

وهو نفسه يعترف ان الشعر انما اتاه من قبل خاله عن طريق امه قال :

« قيل للفرزدق مالك وللشعر • فوالله ما كان ابوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن اين لك هذا ؟ قال : من قبل خالي • قالوا : اي اخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظه(٤٤) •

واذا كان الفرزدق يقول بهذه النظرية ويطبقها على نفسه فقد حاول ان يراها تسري على الآخرين كذلك • قال :

« مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن ابى العاص الثقفي وهو يُنشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من اشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ! فقال : نعم ! اشهد ان عمتي ولدته ! وام يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر وامها هُنيدة بنت صعصعة بن ناجية وكانت بكرة اول عربية ركبت البحر فاخرج بها الى الحكم وهو بتوّجَ ! »(٤٥) •

فهو اذا قال الشعر بالوراثة المباشرة عن خاله فهو قد اورث الشعر غيره بالتأثير غير المباشر •

والظاهر ان اغلب شعراء العربية فى القرن الاول كانوا يعتقدون كعامة الرواة بهذا الميل فى وراثة الشعر ويميل الحطيئة الى الاعتقاد ان الوراثة الشعرية تتم عن طريق الاب وان الام تحمل خصائص الآباء الى ابنائهم فقط • فقد داعب الحطيئة الفرزدق وقال له :

« يا غلام ! انجدت امك ؟ قال : لا بل ابي ! اراد الحطيئة ان كانت امك انجدت فقد أصبتها فولدتك اذ شابهتني فى الشعر فقال الفرزدق : لا ، بل ابي • فوجده لقِناً »(٤٦) •

ويصدر نفس هذا القول عن الفرزدق لكُثير حين قال له :

« يا ابا صخر ، هل كانت امك ترد البصرة ؟ قال : لا ولكن ابي كان كثيرا يردها ••• »(٤٧) •

وتقل الاشارة الى هذه النظرية كلما تقدم الزمن واضعفها كما قلنا نجوم شعراء ليسوا عرباً ولكن مع ذلك نجد صداها يتردد وتعليل الظواهر الشعرية يعتمد احياناً عليها • وهذا ما قيل عن ابن ميـادة وامه فارسية او صقلبيـــة كما تروي

الاخبار قال : « اخبرنا يحيى • قال : حدثنا حماد عن ابيه (اسحق ابن ابراهيم الموصلي) عن ابى داود قال :

ام بني نوبان – وهو ابرد ابو ابن ميادة والعوبثان وقريض وناعضة – وكان العوبثان وقريض شاعرين امهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن ابي سُلمى ويقال : ان الشعر اتى ابن ميادة عن اعمامه من قبل جدهم زهير »[٤٨] •

وقيل مثل ذلك حين تكلم الرواة عن آل ابى حفصة وهم عائلة عريقة من الشعراء السلطانيين قال :

« قال محمد بن ادريس وحدثني ابى قال : كان مروان بن ابي الجنوب يقول : ام يحيى بن ابي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي وان الشعر اتى آل ابي حفصة بذلك السبب »[٤٩] •

والظاهر ان الذي حير الشعراء والرواة وهداهم الى هذه النظرية ملاحظتهم وجود عوائل شعرية في بعض القبائل وان تفسير وجود « ارومة شعرية »[٥٠] كما عبر عنها القدامى ومعناها الاصول والجذور ممكن ومقبول من غير تحميل الوراثة كل هذه المصاعب فان « البيئة » هي التي تساعد على تنمية القابليات الفنية وما احرى ان يكون اى شاعر انما نشأ متأثراً بالسماع والمعايشـــة والحفظ اضف الى ذلك الاحساس والاستعداد الفطري • وقد أشار بعض الرواة الى وجود الأُرومات الشعرية وذكروا العوائل التي ظهر فيها الشعر متتابعا بين الآباء والابناء وتفسير عامل التأثير والتأثر ميسور ومقبول • فقد قالوا عن النعمان بن بشـــير : « من المعرفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جده شاعر وابوه وعمه شاعران وهو شاعر واولاده واولاد اولاده شعراء »[٥١] •

وقالوا عن كعب بن مالك :

« ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل في الشـــعر ابنه عبدالرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبدالرحمن شاعر ومعن بن عمرو بن عبدالله بن كعب شاعر والزبير بن خارجة بن عبدالله بن كعب شاعر وعبدالرحمن بن عبدالله بن كعب ابو الخطاب شاعر ومعن بن وهب بن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم »[٥٢]

والملاحظ انهذه النظرية لم تدخل نطاق النقد الادبي وانما دخلتنطاق الاخبار

التاريخية وتاريخ الادب والانساب واختفت فى القرن الرابع والظاهر انها حملت ميتة عبر القرنين الثاني والثالث والظاهر ان النقاد اهملوها او تجاهلوها او انها فاتتهم فلم يشيروا اليها من قريب او بعيد نفياً او ايجاباً .

٥ - شعراء العصر العباسي :

هناك بعض الظواهر العامة فى العصر العباسي منها ما يخص الشعراء واشخاصهم وسيرتهم ومنها ما يخص الفن الشعري وما أصابه من تبدل ومن ظهور فنون شعرية جديدة او توسيع القول منها .

أ - خصائص المجتمع الامعي :

فمن ابرز الظواهر فى العصر العباسي ان الغالبية العظمى من الشعراء هم من سكان المدن وخاصة الحواضر الكبيرة لانها أصبحت المخازن الوحيدة التي استودع فيها ادب العرب ولغتهم ولان اللغة والادب العربيين اصبحا علماً يتعلمهما الطالب فى المسجد والحلقات وأصبح العروض فن يدرسه الشاعر كي يكون شاعراً وعلى هذا لم تعد السليقة وحدها هي التي تخلق الشاعر .

ولما كان اكثر ابناء المدن العباسية من الاعاجم والترك والروم والزنج وان العنصر العربي منها لا يشكل الا عنصر القيادة او الجند فان اكثر شعراء العصر العباسي هم من أصول غير عربية وان اعاظم شعراء العصر العباسي هم من اصول غير عربية كأبي نواس وابي العتاهية وبشار .

وهناك قائمة طويلة من اهل القلم لم يكونوا عرباً منهم :

ابان اللاحقي وابراهيم بن سيابه وابراهيم بن العباس - وهو يمثل العنصر التركي - واحمد بن يوسف الكاتب واسماعيل القراطيسي وحسن بن وهب وابو حفص الشطرنجي وخالد الكاتب وابن دراج الطفيلي وديك الجن وزياد الاعجم وسعد بن حميد الكاتب وسعد بن وهب وسلم الخاسر وسليمان بن وهب والعطوي وعلي بن جَبَلة وعنان الجارية وفضل الشاعرة ومحمد بن يسير ومسلم ابن الوليد وابن مناذر ونصيب الاصغر وهو يمثل العنصر الزنجي وغيرهم كثير .

وبهذا تكون نظرية الوراثة التي نشأت فى عصر التمييز العنصري زمن

الامويين قد ماتت نهائياً وقضى عليها بعد ان سببت كثيرا من المتاعب النفسية والاجتماعية والسياسية لاجيال من البشر خاصة الادباء واهل العلم فيهم .

ب ـ طبيعة المجتمع الامي :

ان الظاهرة التي تكاد تشمل المجتمع العباسي بمن فيه هو التحلل الخلقي والديني والتعهر والفجور نخص بذلك الرجال والنساء كافة والناس على مختلف مستوياتهم الخلفاء منهم او الفقهاء او الشعراء والنساء الحرائر منهن أو الجواري . وأصبح ـ بسبب هذا التحلل ـ ضروريا في العصر العباسي التمييز بين « الزندقة » وهي تهمة خطيرة وبين « التحلل والفساد » والحد بينهما ضئيل وقد استعمله الخلفاء للايقاع بخصومهم اذا ارادوا ذلك وقد يبررون سلوك من ارادوا النجاة به . فقد دافع المهدي عن مطيع بن اياس امام ابي جعفر المنصور وقال :

« انا به عارف ! اما الزندقة فليس من اهلها ولكنه خبيث الدين ، فاسق ، مستحل للمحارم »(٥٣) .

واباح احد الخلفاء من بني العباس الخمر لاحد شعرائه لانه كان منهوما بالشراب مغرماً به فاوصى اذا اتى به جلواز سكران ان يضرب الشاعر ثمانية والجلواز مائة فكان اذا رآه احدهم وهو سكران يقول : « من يشتري المائة بثمانين ؟ » .

والظاهر ان المرأة العباسية في هذا العصر بلغت من التحلل حداً كبيراً جداً واستخدمت حقوقها استخداماً فاحشاً خاصة نساء الطبقة الراقية والحاكمة فعُلية بنت المهدي كانت تشرب الشراب وتغني وتعشق وابيح لها اتخاذ الغلمان وما ملكت اليمين ولا يمكن ان يكون مفهوم النصوص التالية غير هذا :

« من أصبح وعنده طباهجة باردة ولم يصطبح فعليه لعنة الله ! »(٥٤) .

« كانت عُلَيَّة حسنة الدين وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ الا اذا كانت معتزلة الصلاة ... »(٥٥) .

وقال عن مغامراتها مع « طل » وهو غلام لاخيها وهبه الرشيد لها بعد هذه القصة :

« كانت عُلَيَّة تحب ان تراسل بالاشعار من تختصه فاختصت خادما يقال له : طلّ من خدم الرشيد فكانت تراسله بالشعر فلم تره اياماً فمشت على ميزاب وحدثته وقالت في ذلك :

قـد كان ما كلفته زمنـاً ... يا طلّ من وجد بكم يكفي

حتى اتيتـك زائراً عجـلا ... امشي على حتف الى حتفِ

فحلف عليها الرشيد الا تكلم طلا ولا تسميه باسمه فضمنت له ذلك واستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت الى قوله عزّ وجل « فان لم يصبها وابل فطل » وارادت ان تقول (فطل) فقالت : فالذي نهانا عنه امير المؤمنين. فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبت لك طلا ولا امنعك بعد هـذا من شـيء تريدينه !! »(٥٦)

اما (عريب) فقد بلغت في تحللها ومغامراتها وجرأتها القمة فقد هربت في اول شبابها من مالكها بسلم من حبال الى بيت حبيبها وكانت وهي في عصمة المأمون تخرج وتزور من تهوى من قواده بكل جرأة واندفاع وفي هذا النص ما يدل على جرأة المرأة المسلمة وتحررها المخيف الذي بلغته في عصر تعفن فيه كل شيء. قال الراوي :

« حدثني احمد بن حمدون عن ابيه قال : كنت حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لي المأمون : اركب الساعة على فرس النوبة وسر الى عسكر ابي اسحق – يعني المعتصم – فادّ اليه رسالتي في كيت وكيت قال : فركبت ولم تثبت معي شمعة وسمعت وقع حافر دابة فرهبت ذلك وجعلت اتوقاه حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فاضاءت وجه الراكب فاذا عريب. فقلت : عريب !؟ قالت : نعم. حمدون ؟ قلت : نعم. ثم قلت من اين في هذا الوقت ؟ قالت : من عند محمد بن حامد قلت : وما صنعت عنده ؟ قالت : – ياتكش. عريب تجيء في مثل هذا الوقت من عند محمد ابن حامد خارجة من مضرب الخليفة وراجعة اليه تقول اي شيء عملت عنده ؟ صليت معه التراويح ؟ او قرأت عليه اجزاء من القرآن ؟ او دراسته شيئا من الفقـه ؟

يا احمق ! تحادثنـا ، وتعاتبنـا ، واصطلحنا ، ولعبنا ، وشــربنا وغنينـا ، و...... وانصرفنا . فاخجلتني وغاظتني وافترقنا ومضيت ، فاديت الرسالة ثم عدت الى المأمون واخذنا في الحديث وتناشد الاشعار وهممت والله ان احدثه حديثها ثم هبته ! »[٥٧] .

واخذ الشعراء بنصيبهم من هذه الحياة المنهومة باللذة واللهو والفســق والفجور .

فقد كان محمد بن يسـير « مشــــغوفاً بالنبيذ .... ما بات قط الا سكران ... »[٥٨]

وكان ابن مناذر « في اول امره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة ... »[٥٩]

وكان عبدالله بن العباس الربيعي « لا يفارق الصبوح ابدا الا في يوم جمعة او شهر رمضان واذا حج »[٦٠] .

وابو شراعــة القيسي حلف بالطلاق ألا يعـود الى شرب الخمرة « ثم طلق امرأته وعاد الى شربها ... »[٦١]

وكان ابو شبل البرجمي « ماجناً فنفق عند المتوكل بايثاره العبث »[٦٢] .

وكان ابو الشيص يحب الغلمان وقتله غلام راوده عن نفسه فضربه بسكين .

وكان على بن ابي الجهم متهما بالشذوذ وهجاه البحتري بذلك وتحـامق ابو العبر الهاشمي زمن المتوكل ايضا وكان يميل الى السخرية والعبث حتى سخر من شاعره البحتري وشتمه الصيمري في بلاطه والخليفة يضحك ويصفق .

وتوجد قائمة طويلة من الشعراء المتحللين منهم على سبيل المثال :

ابراهيم بن سيابة وآدم بن عبدالعزيز واسماعيل القراطيسي وبشار بن برد وابو نواس والتيمي والحسين بن الضحاك ودعبل الخزاعي عدا من ذكرنا وغيرهم ايضا .

ج ضعف الشعر البدوي وظهور الشعر الفلسفي :

وفي العصر العباسي ضعف الشعر البدوي وكاد يختفي وأصبح الشعر شعر الحاضرة فقط والسبب في ذلك ان الشعر في العصر الاموي والاسلامي والجاهلي

كان يعتمد على العاطفة والخيال فقط وان الذهنية العباسية ذهنية قد ارهفتها المطالعة والتراجم والنقاش والفلسفة والمنطق ولذا أصبح لزاما على الشاعر الاطلاع على ما يدور حوله من علم وجدل ونقاش فيه ليواكب تطور المجتمع وقد هزت اقوال الشعراء في العصر العباسي الأول ضمائر المسلمين والمؤمنين لجرأتها وان سماع الشعر وروايته كان اكثر شيوعا من قراءة كتب الفلاسفة او حضور حلقات العلماء في مساجدهم وكان سفير العلم الجديد هو الشاعر الذي يأخذ ويقتبس من هذه الافكار الغريبة الجديدة الوافدة بينهم ويعرضها بفخر على انها « موضة » الفكر الحديث ولذلك نشأ عن هذا التجديد فى معاني الشعراء كثير من التهم وقاسى الشعراء كثيرا من السجن والعذاب ونجا الفلاسفة والمفكرون والمترجمون يجلودهم •

د ـ التجديد الشعري :

وجدد المعاصرون في معاني القصيدة وافتتاحها وقاد الحملة في ذلك ابو نواس وسخر من وقوف القدامى على الاطلال واغرق في سخريته حتى سخر من العرب ومن حياتهم الجافية القاسية ومن بيئتهم التي لا حضارة ولا ترف فيها ولم تعرف اللين والميوعة وتمكن الشعراء ان يفرضوا انفسهم على رواة الادب القديم وحملة الثقافة الادبية فدخلت اشعارهم في مروياتهم وكتبهم التي خصصت للغة العرب الاقحاح وادخلوها في شيء من الحياء على انها انماط جديدة من التفكير مستحسنة وفيها من الصور ما يجعلها تقرأ لجمالها لا على انها شواهد لغوية او نحوية ويظهر ذلك واضحا في اقوال المبرد في الكامل وبدأ مؤرخو الادب يؤرخون لهم ويدافعون عنهم وحمل لواء التراجم ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ودافع عن وجهة نظره في مقدمته كما اشار الى ذلك الجاحظ من قبل •••

هـ ـ الخروج على الاوزان :

وحاول الشعراء في هذا العصر بالذات الخروج لاول مرة على اوزان العرب القدامى ونظم الشعر في اوزان جديدة مستحدثة ومختصرة من الاوزان القديمة واشتهر بذلك ابو العتاهية ورزين العروضي ووضع الاخفش بحره العروضي الجديد •

و ـ شعر الزهد والافكار الاجنبية :

وتبعا لانغماس الشعراء في هذا التراث الفكري الوافد فقد اتجه بعضهم الى شعر الفلسفة والزهد ونظروا الى ما بين ايديهم من تراث نثري او اجنبي يمكن استخدام افكاره وارائه لهذا الغرض فقد نظم بعض الشعراء معاني لعلي بن ابي طالب في الزهد ونظم ابو العتاهية معاني فلسفية اغريقية وقد نبه على ذلك ابو الفرج الاصفهاني نفسه ودخلت الفاظ اهل الكلام والفلسفة في شعر ابي نواس وغيره ...

ز ـ شعراء البؤس والفاقة :

وبدأ شعراء البؤس والتطفيل والحماقة يظهرون منذ اول العصر العباسي وهم الذين مهدوا الدرب لشعراء القرن الرابع وهيأوا لادبهم الساخر المتحلل كما تعكسه يتيمة الدهر للثعالبي وقد سبق شعراء هذا العصر شعراء امويون على ندرة ولا يمكن ان نضع امام القارىء الا عمار ذي كبار الاعشى المؤسس لهذا الفن . فمن شعراء البؤس الفقراء ابن دراج الطفيلي (٦٣) وابو الشمقمق البائس ومنهم ايضا البخلاء من الشعراء الذين ساروا سيرة البائسين في حياتهم مثل مروان بن ابي حفصة (٦٤) وابي العتاهية (٦٥) رغم كسبهم الفاحش .

ومن المتحامقين : الصيمري وابو الشبل البرجمي (٦٦) وابو العبر الهاشمي (٦٧) .

ح ـ شاعر البلاط

ولأول مرة في الادب العربي تظهر شخصية شاعر البلاط الذي ينظم الشعر لاولاد الخلفاء ونسائهم ثم يدّعونه وينشرونه باسمائهم وشاعر البلاط العباسي هو « ابوحفص الشطرنجي » (٦٨) .

ومن شعراء البلاط شعراء المدرسة السياسية العباسية وهم شعراء لم يشبهوا غيرهم من الشعراء الامويين . فشعراء المدح الاموي كانوا يمدحون الخلفاء لا يضعون لهم النظريات فالشاعر الاموي يمدح ولا يناصر ولا يتعصب ولا يلتزم الا ما ندر والا ما جاء عن قربى او علاقة خاصة اما شعراء السياسة العباسية فانهم

جماعة قاموا على وضع نظرية وراثة السلطة والخلافة ونقلوها من الفقه الى رحاب الفن وخلاصتها :

ان العم يحجب البنت عن الميراث • ومعنى هذا ان عبدالله بن عباس يحجب فاطمة واولادها عن وراثة الحكم من محمد وائمة هذه المدرسة الشعرية عدد ضئيل من الشعراء اشهرهم : منصور النميري(٦٩) وقد عاد هذا فانقلب على النظرية واصحابها وكان يتشيع واراد الرشيد نبشه وحرقه بعد موته • وابان بن عبدالحميد اللاحقي(٧٠) وقد غاظه ما يناله مروان بن ابي حفصة من مال فنافسه في التبشير بهذه النظرية • ومروان بن ابي حفصة(٧١) وعائلته مروان الاصغر ومتوج وهم من اصول يهودية(٧٢) وجدهم مولى من موالى بني أمية وقد وجدوا متنفسا لحقدهم في شتم الجناح العلوي وعلي بن الجهم(٧٣) وهو حاقد على العلويين لاسباب تاريخية لان اجداده سباهم علي بن ابي طالب واستعبدهم كما هو معروف في في التاريخ •

وكان ثمن البيت الواحد الذي يتقاضاه شاعر النظرية السياسية الف درهم او مائة دينار عباسي اي اكثر من عشرة دنانير عباسية للكلمة الواحدة وهذا ثمن فاحش اذا قيس بمستوى الدعاية واجور صاحب الدعاية في هذا العصر •••

واني لا اعتقد ان اكثر كتاب الدعاية رواجاً يصل ما يقبضه من ثمن للكلمة الواحدة اكثر من نصف دينار او دينار في اكثر البلدان تقديرا لادب الدعاية والالتزام الحزبي •

ولا شك ان النشاط الحضاري في هذا العصر بلغ اقصاه واصبح الشعراء اكثر عدداً من ان يحصيهم كتاب واحد او سفر منفرد مهما بلغ من الضخامة وعدد الاجزاء ••••

النصـوص والمراجـع

(١) الاغاني ١٠٦/٩ قال عن الاعشى « هو أول من سأل بشعره وانتجع به اقاصي البلاد وكان يغني بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب » .

(٢) الاغانى ٢٩٦/١٧ قال « كان النساء او بعضعهن يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن انهن ان كن في بيت من شعر حولن الخباء ... فاذا رأى ذلك الرجل علم انها قد طلقته فلم يأتها ... »

(٣) الاغاني : راجع عن ابن ذبى فى ٩٧/٢٢ وعن الربيع بن ابى الحقيق فى ١٢٢/٣ و ٣٠٢/١٨ وعن السموأل ابن عادياء فى ١٠٨/٢٢ وعن غريض اليهودى فى ١١٠/٣ .

(٤) الاغانى ٣٦٤/١٤ .

(٥) الاغانى ٣٩/٢٣ .

(٦) الاغانى ٣٠١/١٢ .

(٧) الاغانى ١٤٥/١٧ .

(٨) الاغانى ٤١٣/٤ قال : « وكان اسماعيل شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر يفخر فيه بالاعاجم » .

(٩) الاغانى ٢٨٨/١٦ .

(١٠) الاغانى ٢٠٨/١٤ .

(١١) الاغانى ٧٠/١٨ .

(١٢) الاغانى ٣١/١٢ .

(١٣) الاغانى ١١٤/١٥ .

(١٤) الاغانى ٦٤/٥ .

(١٥) الاغانى ٣١/٢١ .

(١٦) الاغانى ١٥/٨ ـ ٢٧ .

(١٧) الاغانى ٤٨/١١ قال : « شرب يوما فى بيت خمار بالحيرة فجاء شرطى من شرطة الامير ليدخل الباب فغلق الباب دونه فناداه الشرطى : اسقنى نبيذاً وانت آمن فقال : والله ما آمنك . ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وانا اسقيك منه . ثم وضع له انبوباً من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل والشرطى يشرب من خارج الباب حتى سكر » .

(١٨) الاغانى ٣٦٧/٢٣ قال : « كان لين الشعر ، ماجناً خميِّراً معاقراً للشراب وقد حُدَّ فيه مرات وكان يقول شعراً ظريفاً يضحك من اكثره ، شديد التهافت ، جم السخف ، وله اشياء صالحة . وكان هو وحماد الراوية ومطيع ابن اياس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون وكلهم كان متهماً بالزندقة .... كانت له امرأة .... قد تخلقت بخلقه فى شرب الشراب

والمجون والسفه حتى صارت تدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش ثم حجت في أمارة يوسف بن عمر ۰۰۰!» ۰

(١٩) الاغانى ٦٦/٢٣ قال : « صرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان معاقراً للشرب فيمنازل الخمارين وحاناتهم وكان طيبالشعر مليحا مطبوعا طبعا ما جنا ... وحرم بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمارى الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة فى الرحاب والطرق فبكى طويلا ۰۰۰ » ۰

(٢٠) الاغانى ١٤٣/١٦ قال : « كان الشمردل مغرما بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان ۰۰۰ »

(٢١) الاغانى ٣٥٢/١٣ ۰

(٢٢) الاغانى ٢٣٨/٤ قال : « كان الاحوص يراود وصفاء للوليد خبـــازين عن انفسهم ويريدهم ان يفعلوا به ۰۰۰۰ فارسله الوليد الى ابن حزم بالمدينة وامره ان يجلده مائة ويصب على رأسه زيتا ويقيمه على البلس ففعل ذلك به ۰۰۰۰ ثم يصيره الى دهلك ۰۰۰ »

(٢٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١٦/٤ :

قال : « زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير يحيى بن ابى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم فعيِّر فقال :

فما تركت عشـــرون الفاً لقائل مقالاً فلا تحفِـــل مقـــالة لائـــم
فانأكُ قد زوجتموليفقد مضت به سُنة قبلِى وحب الدراهم !

(٢٤) ديوان جرير

قال ص ١١٣ :

ولم تمسح البيت العتيق اكفُها ولكن بقربان الصليب تمســح
يقئن صُبابات من الخمر فوقهـا صهير خنازير الســـواد المملحُ

وقال ص ١٩٤ :

حجوا الصليب وقـربوا قربانكم وخـــذوا نصيبكم من الخنزير

وقال ص ٢٦٠ :

الآكلون خبيث الزاد وحـــدهم والنازلون اذا واراهـم الخَمَر

وقال ص ٢٦٢ :

والمقرعين على الخنزير ميسرهم بئسالجزور وبئس القوم اذ يسروا

(٢٥) الاغانى ١١٨/١٢ :

قال : « كان ابو زُبَيد نصرانياً وعلى دينه مات ۰۰۰ ولما صار الوليد بن عقبة الى الرقة ۰۰۰۰ صار ابو زُبَيد اليه فكان ينادمه وكان يُحمل فى كل احد الى البيعة مع النصارى ۰۰ وان الوليد بن ابي مُعَيَط اوصى لما احتضر لابى زُبيد بما يصلحه فى فصحه واعياده من الخمر ولحوم الخنازير وما اشبه

ذلك فقال اهله وبنوه لابى زبيد : قد علمت انه لا يحل لنا هذا فى ديننا وانما فعله اكراماً لك وتعظيما لحقك فقدره لنفسك ما شئت ان تعيش وقوّم ما اوصى لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح اباءنا بهذا واحفظه واحفظنا فيه ففعل ذلك ابو زبيد ذلك وقبله منهم ... » .

(٢٦) اخبار النساء : ابن قيم الجوزية ص ٤٦/٤٧ .

(٢٧) الاغانى : ١٨/١٨ اخبار يزيد بن مفرغ فى خراسان ومغامراته .

(٢٨) الاغانى ٢٢/٢٧٣ .

(٢٩) الاغانى ١٣/٣٥٢ .

(٣٠) الاغانى ٦/٤ .

(٣١) الاغانى ١٢/٢٠ .

(٣٢) الاغانى ٢٣/١٧٥ وذكر لويس شيخو فى (شعراء النصرانية بعد الاسلام) عدة من شعراء النصرانية من غير العرب الا انه خَبَطَ خبطَ عشواء حيث جعل ابا تمام بين شعراء النصرانية والرجل متحمس لدينه فلا يخلو لذلك من عصبية قد تجره الى حماقات علمية .

(٣٣) الاغانى ١٠/٢٤٧ .

(٣٤) الاغانى ٢٠/٣٦١ قال : « اتصل الاغلب بمسلمة بن عبدالملك فاصطنعه واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدا بعد واحد واستماحهم له فاغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم وانقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بنى هاشم . فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى امية فاكثر ... » .

(٣٥) الاغانى ٤/٣٦٩ و ٥/٢٣٤ .

(٣٦) الاغانى ١٧/٢٤٧ قال : « كان ابو عطاء من شعراء بنى امية ومدّاحهم والمنصبىّ الهوى اليهم وادرك دولة بنى العباس فلم تكن له نباهة فهجاهم وفى آخر ايام المنصور مات » .

(٣٧) الاغانى ١٩/٢٧٣ قال : « وهو شاعر ظريف ماجن خليع هجاء خبيث » ١٩/٢٨١ عن ابنه يونس : « كان لابى صديق وكان يدعوه ليشرب معه فاذا سكر خلع عليه قميصه فاذا صحا من غد بعث اليه فاخذه ... » .

(٣٨) الاغانى ١٣/٢٧٧ قال : « كان ظريفا خليعا حلو العشرة مليح النادرة ماجنا متهما فى دينه بالزندقة » .

(٣٩) الاغانى ١٤/٣٠٢ قال : « كان خليعا ماجنا متهما فى دينه مرميا بالزندقة » .

(٤٠) الاغانى ٢٠/٢٩٣ قال : « كان جزل الشعر حسن الالفاظ لطيف المعانى وانما اخمله وامات ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان وشغفه بالشراب ومعاقرته اياه وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين واستفرغ شعره بصفة الخمرة وهو اول من وصفها من شعراء الاسلام فجعل وصفها وكده وقصده » .

(٤١) الاغانى ٣/٨١ .

(٤٢) الاغانى ١٠/٣١٩ .

(٤٣) الاغانى ١/٧٥ .

(٤٤) الاغانى ٢١/٤١٠ ٠
(٤٥) الاغانى ١٢/٢٩١ ٠
(٤٦) الاغانى ٢١/٣٤٨ ٠
(٤٧) الاغانى ٩/٣٣٦ ٠
(٤٨) الاغانى ٢/٢٣٤ ٠
(٤٩) الاغانى ١٠/٧٥ ٠
(٥٠) الاغانى ٢/٢٤٩ ٠
(٥١) الاغانى ١٦/١١٤ ٠
(٥٢) الاغانى ١٦/١٦٤ ٠
(٥٣) الاغانى ١٣/٣١٧ ٠
(٥٤) الاغانى ١٠/١٧١ ٠
(٥٥) الاغانى ١٠/١٧٢ ٠
(٥٦) لاغانى ٢١/٩١ ٠
(٥٧) الاغانى ٢١/٩١ ٠
(٥٨) الاغانى ١٤/١٨ ٠
(٥٩) الاغانى ١٨/١٠٣ ٠
(٦٠) الاغانى ١٩/٢١١ ٠
(٦١) الاغانى ٢٢/٤٣٩ ٠
(٦٢) الاغانى ١٤/١٨٤ ٠

(٦٣) الاغاني ١٦/١٨٦ « قال مرت بي جنازة ومعي ابنى ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول : بل يذهبون الى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ولا خبز ولا ماء ٠ فقال لى ابنى : يا ابت الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة ٠ فقلت : وكيف ويلك ؟ فقال لان هذه صفة بيتنا » ٠

(٦٤) الاغانى ١٠/٨٠ قال : « كان المهدى يعطى مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة وكان سلم يأتى باب المهدى على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم والسرج واللجام المقذوذين ولباسه الخزّ والموشى وما اشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ويجيء مروان وعليه فرو كبش وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كَبْل وكساء غليظ منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقدم اليه فاذا قدم ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله ٠٠٠٠ ١٠/٨٢ بلغنى ان مروان بن ابى حفصة قال : ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة الف وهبها لى امير المؤمنين المهدى فوزنتها فزادت درهما فاشتريت به لحما ٠٠٠٠ (و) اشترى مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ان ينضج دعاه صديق له فرده على القصاب بنقصان دانق فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان وظن انه يانف ذلك ٠ فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ما هذا ! قال : اكره الاسراف ! » ٠

(٦٥) الاغانى ١٨/٤ قال : (اتهمه صديق له بالشح فقال) : « يا ابا معن والله ان ما قلت لهو الحق ولكنى اخاف الفقر والحاجة الى الناس فقلت : وبم تزيد حال

من افتقر على حالك وانت دائم الحرص دائم الجمع ، شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله ثم قال لي والله لقد اشتريت فيوم عاشوراء لحما وتوابلة وما يتبعه بخمسة دراهم ! »

(٦٦) الاغانى ١٤/١٨٤ ٠

(٦٧) الاغاني ٢٣/٧٥ قال : « كان صالح الشعر مطبوعا يقول الشعر المستوي وهو غلام الى ان ولى المتوكل الخلافة فترك الجد وعدل الى الحمق والشهرة به ٠٠٠٠ وكسب بالحمق اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى عصره بالجد ونفق نفاقا عظيما وكسب فى ايام المتوكل مالا جليلا وله فيه اشعار حميدة يمدحه بها ٠

(٦٨) الاغانى ٢٢/٥٠ قال : « لما مات المهدى انقطع الى علَيّة ٠٠٠٠ وكان يقول لها الاشعار فيما تريده من الامور بينها وبين اخوتها وبين بنى اخيها فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه ٠٠٠ وكانت تأمر ان يقول الاشعار فى المعانى التى تريدها فيقولها وتغنى فيها ٠٠٠ ٢٢/٥٥ وكان الشطرنجى ينادم ابا عيسى ابن الرشيد ويقول له الشعر فينتحله ويفعل مثله ذلك باخيه صالح واخته وكذلك بعلَيّة عمتهم وكان بنو الرشيد جميعا يزورونه ويأنسون به » ٠

(٦٩) الاغانى ١٣/١٤١ قال : « عرف مذهب الرشيد فى الشعر وارادته ان يصل مدحه اياه بنفى الامامة عن ولد علي بن ابي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه فى ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن ابى حفصة وتفضيله اياه على الشعراء فى الجوائز فسلك مذهب مروان فى ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسبب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع واومأ ولم يحقق لانه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل ابى طالب وكان ينطق عن نيّة قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر » ٠

(٧٠) الاغانى ٢٣/٢٠ قال : « ان ابان بن عبدالحميد عاتب البرامكة على تركهم ايصاله الى الرشيد وايصال مديحه اليه فقالوا : وما تريد من ذلك ؟ قال : اريد ان احظى منه بمثل ما يحظى بـه مروان بن ابى حفصة فقالوا له : ان لمروان مذهبا فى هجاء آل ابى طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطى فاسلكه حتى نفعل ٠ قال : لا استحل ذلك قالوا : فما نصنع لا تجيء امور الدنيا الا بما لا يحل ٠٠٠ » ٢٣/٣٥ قال ابو عبيدة : « لقد اغفل السلطان كل شيء حين اغفل اخذ الجزية من أبان اللاحقى وهو واهله يهود وهذه منازلهم فيها اسفار التوراة وليس فيها مصحف واوضح الادلة على يهوديتهم ان اكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به » ٠

(٧١) الاغانى ١٠/٧٤ قال : « وكان مروان ابخل الناس على يساره وكثرة ما اصابه من الخلفاء ولا سيما من بنى العباس فانه كان رسمهم ان يعطوه بكل بيت يمدحهم به الف درهم ٠ » ١٠/١٠٠ « ٠٠٠ حدثنى صالح بن عطيه الاضجم قال لما قال مروان :

اني يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الاعمام

لزمته وعاهدت الله ان اغتاله فاقتله اى وقت امكننى ذلك ٠٠٠ حتى خلا لى

البيت يوما فوثبت عليه فاخذت بحلقه فما فارقته حتى مات فخرجت وتركته»

(٧٢) جاء فى « نور القبس فى مختصر المقتبس » ص ١٣٨ ٠

قال عنه الرشيد يذكره امام الاصمعى : « الا ترى هذا الدعى بن الدعى ٠ اليهودى بن اليهودى عبد بنى حنيفة مروان بن أبى حفصة ٠٠٠ الخ » ٠

(٧٣) الاغانى ١٠/٢١٦ قال : « كان ينحو نحو مروان بن ابى حفصة فى هجاء آل ابى طالب ٠٠٠٠٠ وسمعه ابو العيناء يوماً يطعن على علىٍّ ابن ابى طالب (ر) فقال له :

انا ادرى لم تطعن على عليّ امير المؤمنين ٠ فقال له : اتعنى قصة بيعه اهلى من مصقلة بن هبيرة ؟ قال لا ٠ انت اوضع من ذلك ولكن لانه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وخصّ بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لان كان كثير السعاية اليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه وينقصونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه بعد ان حبسه » ٠



العامة في أواخر العصر العباسي والعهد الايلخاني

(٥٧٥ هـ ـ ٧٣٨ هـ)

اكرم ضياء العمري

تمهيـــد :ـ

ان استعمال كلمة العامة بدأ في فترة متقدمة ، فقد ورد ذكر العامــة في احد الاحاديث الشريفة حيث جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة في الدخول عليه[١] . والنص يفيدنا الى جانب معرفة قدم استعمال الكلمة في بيان انقسام الناس الى عامة وخاصة منذ تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي ، ولاشك ان ذلك الانقسام كان على اساس تقواهم وعملهم وكفاءتهم فقادة الجيوش الاسلامية ومستشارو النبي (ص) وكبار الصحابة وأولوا السابقة كانوا يمثلون الخاصة في مجتمع المدينة المنورة ، وبقية الناس هم العامة .

ان هذا الاساس الذى وضعه الاسلام في تمييز الناس وتقديم بعضهم على البعض الاخر استمر يتحكم في مقاييس المجتمع الاسلامي فيما بعــد ، وعلى مر الزمن اخذت طبقة العامة تتبلور حتى اذا حل القرن السادس أصبحت للعامة سمات ظاهرة ومعالم بارزة وحدود معروفة ، ومن ثم نجد شــيوع استعمالها في كتب التاريخ والادب المؤلفة في هذه الفترة وفي الفترات التي تليها ، بل نجد ان اسم العامة يطلق على احد ابواب دار الخلافة الثلاثة وهو باب العامــة[٢] .

---

(١) ابن منظور لسان العرب ، ج١٥/٣٢١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٩/٣٠٨ .

تحديد معنى العامة :ـ

لعل خير تمييز لحدود هذه الطبقة ان نحدد ما تعنيه كلمة الخاصة في هذه الفترة حيث ان بقية الناس سيمثلون العامة . فالخاصة في هذه الفترة هم الخليفة وفيما بعد سلاطين المغول والامراء والولاة والقضاة والصدور والنظار والعلماء والكتاب وكبار التجار واشراف الناس كزعماء العلويين والهاشميين ومن في طبقة هؤلاء .

اما بقية الناس فهم الذين يندرجون تحت مصطلح العامة ؛ وهم في العادة يزاولون مهنا متنوعة في الزراعة والصناعة ، وربما يكون من المفيد هنا ان اذكر انواع المهن التى كان يمارسها العامة في هذه الفترة ، لقد ورد في مصادر هذه الفترة ذكر بعض المهن مثل الجليّة ــ أي المبيضين والصفّارين والباعة[3] المتجولين والقصابين وحراس الدروب والنوتية ــ أي الملاحين ــ والخياطين والصاغة والخدم والوساقية والبوابين والمؤذنين والطستدارية والسرندارية والمطربين والفراشين والسقايين والناقوسيين والوقادين للحمامات والنجارين والعطارين والريحانيين والنيارين[4] والمخلطين والمحفدارية والجمالين والنفاطين[5] والساقة والبراجين وصناع التنانير والفعلة والغسالين والحمالين ودلالي العقار والطباخين في الاسواق . فهذه المهن واشباهها هى التى كان يمارسها العامة في العراق في هذه الفترة .

ويجدر هنا ان اشير الى ان هذا التقسيم للناس الى طبقتين ؛ عامة وخاصة لا يعني ابدا وجود حواجز طبقية في المجتمع الاسلامي في هذه الفترة ، فقد كان المجتمع الاسلامي في هذه الفترة مجتمعا مفتوحا لا نجد

---

(٣) كان هناك متولي لامر الباعة . (الحوادث الجامعة /١٤٧) .

(٤) النيار : هو الذى يصلح سدى الثوب قبل حياكته فيدخل خيوطه فيما يشبه النير ليكون صالحا للحوك (مصطفى جواد ، هامش تلخيص مجمع الآداب ، قسم ١ ، ج٤/١٣٢) .

(٥) النفاط هنا يعني حامل الضوء (ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول / ٤٢٢ وانظر ابن القفطي في تاريخ الحكماء / ١٤٥) .

فيه تلك الحواجز الطبقية التى تطالعنا عند دراسة المجتمع الاوربي في العصور الوسطى فالعامي في المجتمع الاسلامي يستطيع الصعود في السلم الاجتماعي حتى يتبوأ مركزا يجعله من أخص الخاصة مثال ذلك ان الوزير مؤيد الدين محمد بن احمد بن القصاب هو أعجمي الاصل ، كان ابوه قصابا يبيع اللحم على رأس درب البصريين ببغداد ، ونشأ هو مشتغلا بالعلوم والاداب حتى اختاره الناصر لدين الله وزيرا له(٦) . واستمر انفتـاح المجتمع الاسـلامي ومرونته خلال العهد الايلخاني ، فهذا العميد شمس الدين علي بن الاعوج المتوفي سنة ٦٧٦ هـ كان حمالا وأميا ، ثم صار بائعا للغلة والتمور في الخانات ثم تولى تمغات بغداد فاثرت حاله واستعمل مع الناس والمتصرفين واهـل الثناآت والمروءة (٧) . وهكذا يظهر الواقع التاريخي مدى انفتاح المجتمع الاسلامي امام سائر افراده على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ومن ثم فـان هناك جسرا واسعا يصل بين العامة والخاصة ، وليس هناك ثمة حاجز صلب يقطع هذا الجسر ويمنع المرور عليه .

---

(٦) ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية /٢٨٩ .
(٧) الحوادث الجامعة /٣٩٦ .

الفصل الأول

العقائد والاعراف السائدة في حياة العامة

تميل العامة الى المبالغة والتهويل ، ومن ثم فاننا كثيرا ما نقرأ في اخبار هذه الفترة امورا كانت العامة تبالغ في الاعتقاد بصحتها . فحكايات الجن والأعيب السحر وكثرة الاولياء وعجائب الرؤى امور شاعت في اوساط الناس وبالغت العامة فيها . وسأستعرض في هذا الفصل جملة من تلك الحكايات والاخبار الطريفة ثم انتقل بعدها للتحدث عن بعض التقاليد الاجتماعية :

حكايات الجن :

كانت حكايات الجن تتناقلها السنة العامة . فبين فترة واخرى تظهر حكاية من هذه الحكايات التي كانت العامة تقوم لها وتقعد ، ومن غريب الحكايات ما حدث سنة ٦٤٦ هـ حين اصاب أهل بغداد مرض الخناق فمات الكثيرون بهذا المرض ، فزعمت امرأة انها رأت في المنام امرأة من الجن تكنى ام عنقود قالت لها « ان ابني مات في هذا البئر » واشارت الى بئر داخل سوق السلطان « ولم يعزني فيه احد فلهذا اختنقكم » [٨] . وشاع خبر رؤيا هذه المرأة في الناس فقصد العوام من الرجال والنساء والصبيان البئر المذكورة ، ونصبوا عند البئر خيمة واقاموا هناك العزاء وكانت النساء ينحن ويقلن .

اي ام عنقود اعذرينا	مات عنقود وما درينا
لما درينا كلنا قد جينا	لا تحردين منا فتخنقينا

والقى الناس في البئر الثياب والحلى والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلواء ، واشعلوا عندها الشموع ، فعاب العقلاء واكابر الناس ذلك وانكروه ، فحضر الشحنة الى هناك وقال « ان الديوان قد اقام ام عنقود من العزاء » وامر بسد البئر فتفرق الناس عنها [٩] وقد اورد ابن الوردي هذه القصة عن ابن الاثير في حوادث سنة ٦٠٠ هـ وذكر انها وقعت

---

(٨) ذكر ابن الساعي في الجامع المختصر /٩٢ مثل هذه الخرافة في حوادث سنة ٤٥٠ هـ ، حيث خرج أهل بغداد الى المقابر ينوحون ويلطمون على وفاة سيدوك ملك الجن المزعوم .

(٩) الحوادث الجامعة /ص٢٢٧ .

بالموصل[١٠] . ولم اجد هذه الرواية في ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٠ هـ ، وعلى اية حال فلا مانع من تكرار الحادثة فالعامة في كل مكان تستهويها أخبار الجن وتملك عليها حسَّها .

السحر :

كان السحر شائعا في المجتمع خلال هذه الفترة ، وكان المغول يكرهون السحر اشد الكراهية[١١] . اذ كانوا يخافون منه فقد ارتاع بعض امراء المغول الكبار مثل سونجاق آقا وأروق عندم اوجدوا بين امتعة مجد الملك قطعة من جلد الاسد عليها خط غير مقروء ، وقد كتب عليها شيء بالاصفر والاحمر ، وقد طلبوا من مجد الملك ان يشربها لكي يلحق به شرب السحر ولكنه أبى لانه خشى ان تكون التعويذة من سحر الشيخ عبدالرحمن ، ثم اقنعه الشيخ عبدالرحمن فشربها وقتل[١٢] والشيخ عبدالرحمن هذا كان اعظم سحرة هذا العصر ، ذكر ابن الفوطي أنه كان من جملة فراشي السّدة زمن المستعصم واسر في واقعة بغداد واتصل بالسلطان المغولى أباقاخان فقام باعماله السحرية ، وكان مولعا بالكيمياء والسيمياء وانواع الحيل حتى اعتقد به أباقاخان وقربه اليه وعظم شأنه عنده[١٣] .

عجائب واسرار :

كثيرا ما تضفى العوام على بعض الاماكن قدسية وتحيطها بالاسرار وتحيك حولها القصص مما يوحيه الخيال الخصب ، فقد كان في مدينة اربيل مسجد يسمى مسجد الكف ، لان فيه حجرا عليه اثر كف انسان ، ولاهل اربيل فيه أقاويل كثيرة[١٤] . ويقول القزويني لا ريب انه شيء عجيب . وهكذا احال اهل اربيل القصص واحاطوا الكف المطبوع على الحجر بالاسرار ، وكان في مسجد البصرة صومعة تتحرك بزعم أهل البصرة عند ذكر علي بن أبي طالب (رض)،والواقع ان في أحد اركانها مقبض خشب مسمر فيها فان حرك المقبض اهتزت الصومعة[١٥] .

---

(١٠) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ص ٣٧١ .
(١١) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج٢ ، ص ٩٥ .
(١٢) المصدر نفسه .
(١٣) الحوادث الجامعة /٤٣١ .
(١٤) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٢٩٠ .
(١٥) ابن بطوطة /١١٦ .

وكان فيما بين البصرة والابلة متعبد سهل بن عبـدالله التستري فاذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادى ويدعـون عند ذلك تبركا بهذا المولى (رضي)[16] • وفي الحلة يوجد المسجد عـلى بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عـاداتهم ان يخرج في كل ليلة مائة رجل من اهل المدينة وبأيديهم سيوف مشـهورة فيأتون امير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه فرسا مسرجا أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والانفار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمهـا خمسون رجلا منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها • ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله صاحب الزمـان باسم الله اخرج ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا اوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق والاطبال والأنفـار الى صلاة المغرب ، وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلـك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم ★ •

زيارة الاضرحة المقدسة :

كان الناس يزورون الاماكن المقدسة ، فكانوا يقصدون المشهد الكاظمي ويزدحمون فيه حتى مات من شدة الزحام سنة ٦٠١ هـ سبعة عشر رجـلا وامرأتان وقيل اكثر من ذلك وطارت عمائم الناس وذهبت مداساتهم[17] • وقد امر الخليفة المستنصر بعمل مزملة بالقرب من قبر أحمد من حنبل(رض) لاجل الزوار الواردين[18] •

وقد ذكر ابن بطوطة في زيارته بغداد سنة ٧٢٧ هـ زمن السلطان ابي سعيد بهادر خان ان اهل بغداد كانوا يزورون قبور الائمـة ابي حنيفـة واحمد بن حنبل ، وابي بكر الشبلي من ائمة المتصوفـة وسـري السقطي وبشر الحافي وداؤد الطائي ، وابي القاسم الجنيد ، فكان لاهل بغداد يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه وهكـذا الى آخر الاسبوع •

وكان من عادة اهل الموصل الخروج في كل ليلة جمعة الى رباط النبي

---

(١٦) المصدر السابق/ ١١٧ .

(*) المصدر السابق أيضا / ١١٩ .

(١٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ١٤٦ .

(١٨) الحوادث الجامعة /٩١ .

يونس عليه السلام في تل التوبة على نحو ميل من دجلة ، وفي هـذا التـل بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد ، وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر ينغلق دونه باب كريم مرصع كله يقال انه كان الموضع الذي وقف فيه يونس (ص) ومحراب هذا البيت يقال انه كان بيته الذي كان يتعبد فيه ، ويطيف بهـذا البيت شمع كانه جذوع النخل عظما[19] •

وكذلك كان الناس يقصدون دير الجبّ بين الموصل واربيل لدفع الصرع عنهم حسب مايعتقدون[20] •وفي كربلاء حيث الروضة المقدسة وعليها الحجاب والقَوَمة كان لا يدخـل أحـد الا عن اذنهـم فيقبل العتبة الشريفـة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضـة وعلى الابواب استار الحرير[21] • ولاهل الذمة في العراق اماكن يقدسونها ويزورونها اذ ذكر القزويني أن ببابل جب دانيال عليه السلام يقصده اليهود والنصارى ايام اعيادهـم[22] •

وبالاضافة الى زيارة الاضرحة المقدسة فان اهواء العوام قد تجعلهم يقدسون قبراً لمجرد ان احدهم زعم أنه رأى بالمنام احد اولاد الحسن فيه كما حدث ذلك سنة ٦٧٦ هـ حيث انهال الناس لزيارة قبر بمحله الهروية حيث زعم رجل انه قبر احد اولاد الحسن •ثم شرعوا في عمارته وتواترت بعد ذلك اخبار العوام يرون المنامات وكثرة الظواهر وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح اعين الاضراء • وترك الناس أعمالهم وانشغلوا بذلك فما كان من صاحب الديوان الا ان أمر بنقل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام فسكن العوام[23] • وقد سبق ان رأى رجل ببغداد في المنام سـنة ٦٧١ هـ ان بعض اولاد الحسن في موضـع بقراح ابى الشـحم • فاقاموا فيه قبرا وحضر خلق كثير للزيارة ، وكذلك زعم الناس ان قبر عبدالله الباهر في تل الزبيبه ، وبنوا عليه الابنية الجليلة ووضعوا عليـه ضـريحا ، وليس صحيحا ما زعموه فان عبدالله الباهر مات بالمدينة ودفن فيها •

---

(١٩) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢١١–٢١٢ وانظر ابن بطوطة /١٤٩ •
(٢٠) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٦٩ •
(٢١) ابن بطوطة /١٣٩ •
(٢٢) القزويني اثار البلاد واخبار العباد ، ص ٣٠٤ •
(٢٣) الحوادث الجامعة /٤٠٤–٤٠٥ •

عصبية المذاهب :

ينقسم سكان العراق الى طائفتين كبيرتين هما السنة والشيعة ، وكان السنة منقسمين الى حنابلة وشوافع وحنفية • وقد ادت جهالة العوام الى نشوب فتن في بعض السنين بين الحنابلة واتباع المذاهب الاسلامية الاخرى[٢٤] • وكذلك جرت فتن ومعارك بين السنة والشيعة في سنة ٦٠٣هـ[٢٥] زمن الناصر لدين الله • وفي سنة ٦٥٣هـ[٢٦] اي في اواخر حكم الخليفة المستعصم ، وقد سقطت فيها ضحايا كثيرة من الفريقين • وكذلك تجددت الفتنة سنة ٦٥٤ هـ وسفكت فيها دماء وتدخلت السلطة الى جانب أهل السنة[٢٧] • واشار أبو الفدا[٢٨] وكذلك ابن كثير[٢٩] الى وقوع فتنة بين الطائفتين سنة ٦٥٥ هـ ولكن الواقع ان الحوادث التي اشار اليها تتعلق بسنة ٦٥٤ هـ ، لان المؤرخين العراقيين وهم معاصرون للحادثة لم يشيروا الى وقوع حادثة سنة ٦٥٥ هـ •

هذا وقد حدثت فتن ايضا بين الطائفتين في واسط حتى اصبحت مألوفة لسكانها • ولقد عملت هذه العصبية المذهبية على تمزق المجتمع الاسلامي وفقدانه لوحدته وتماسكه ، فقد كان الرقع يتسع والمجتمع يتصدع والدولة تنهار وليس هناك من يلم الشعث ويرأب الصدع ويعيد للمجتمع وحدته وتماسكه وللدولة سلطانها وقوتها • وقد كان ضعف الخلافة العباسية قبيل سقوط بغداد عاملا اساسيا في انتشار الفتن والحروب بين الاهالي اذ يتجرأ الناس على ذلك لضياع هيبة الخلافة وضعفها •

عادة قتل السباع وعصبية المحلات :

وهذه ظاهرة غريبة كونتها عصبية العامة وجهالة الناس في هذه الفترة ، فاذا بسكان كل محلة يتعصبون لمحلتهم ، فتنشأ تكتلات في المحلات وتثور معارك دامية بين محلة واخرى لاتفه الاسباب ، فقد اعتاد

---

(٢٤) ابن خلدون : تأريخ العبر ، ج ٣ ، ق١/١١٠٥ •
(٢٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ج٩/٢٠١ •
(٢٦) الحوادث الجامعة /٢٧٧ •
(٢٧) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية /٢٤٤–٢٤٥ •
(٢٨) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، المجلد الثاني /٩٩ •
(٢٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٣/١٩٦ •
(٣٠) ابن الاثير : الكامل ، ج٩/٣٥٥ •

الناس الخروج لقتل السباع ، فاذا قتلوا سبعا طافوا به في محلات بغداد في مظاهرة تطغى عليها شعارات العصبية للمحلة . وكان هذا يثير المحلات الاخرى فيؤدي الى حدوث فتنة تسيل فيها دماء الطرفين . وساذكر نماذج لما يحدث بين المحلات من صدامات عنيفة مرجعها التعصب للمحلة . ففي ١٧ رمضان سنة ٦٠١ هـ حدثت فتنة بين اهل باب الازج واهل المأمونية . وسببها ان اهل باب الازج قتلوا سبعا وارادوا ان يطوفوا به ، فلما مروا بالمأمونية منعهم اهلها فوقعت بين الطرفين فتنة جرح فيها خلق كثير ، وفشل صاحب الباب في تسكين الفتنة وجرحت فرسه فعاد . وفي اليوم التالى تجدد القتال بين الطرفين بالسيوف والنشاب ونهبت الدور حتى اضطرت السلطة الى جعل الجند الاتراك يبيتون تحت المنظرة فسكنتت الفتنة بينهم . ولكن لم يمض على هذه الحادثة سوى ثلاثة ايام حتى نشبت الفتنة بين اهل قطفتا ومحلة القرية التى هى من محال الجانب الغربي ، اذ منع اهل محلة القرية الاخرين من الطواف بالسبع في محلتهم ولم تهدأ الفتنة الا بتدخل الديوان[٣٠] . وهكذا انقلبت عادة قتل السباع وهي رياضة مفيدة وتسلية جميلة الى عامل فتنة بسبب عصبية المحلات وجهالة العوام . ان معظم القتال الذى كان يدور بين المحلات لم يكن له سبب وجيه ، فرب خصام بين رجلين من محلتين يتطور الى القتال الدموى بين اهالى المحلتين كما حدث سنة ٦٠١هـ بين اهل سوق السلطان والجعفرية الذين تدخل الديوان بينهم وحسم الشر .

لقد أحس الخليفة والديوان بان هذه الفتن بين المحلات لا يمكن ان تستمر بهذا الشكل اذ ما أن تهدأ في مكان حتى تثور في آخر ، وهكذا دواليك . وكان في ذلك من الاشغال للدولة باطفاء الفتن ما فيه ، حتى عمد الخليفة الى تعيين امير كبير من مماليكه هو فخرالدين ايبك الارنباي شحنة بغداد ومعه جند كثيرون ، فطافوا في البلد وقتلوا من اشتبهوا به من مثيرى الفتن والقلاقل ، فسكن الناس[٣١] ولكن هل ماتت عصبية المحلات ؟ هل وعت العامة عظم المصاب من هذا الصراع ؟ .

ان الجواب على ذلك هو في استعراض الاحداث التالية ، ذكر ابن

---

(٣٠) ابن الاثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ١٤٦-١٤٨ .

(٣١) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٣٤٩ .

الفوطي في حوادث سنة ٦٢٩ هـ ان اهل باب الازج[٣٢] واهل المختارة[٣٣] جرت بينهم فتنة وترامو بالبندق والمقاليع والاجر وتجالدوا بالسيوف ، ولم تسكن الفتنة الا بتدخل السلطة بعد ان قتل وجرح جماعة من الفريقين . وقد قبض على جماعة من الطرفين فضربوا وقطعت اعصابهم وبذلك سكنت هذه الفتنة[٣٤] وفي زمن الناصر لدين الله كان الناصر يشجع عادة قتل السباع متأثرا بآرائه في الفتوة ، فكان ينعم على الشباب المشتركين بشيء من البر ، وكانوا عندما يخرجون الى الصيد يجتمع من كل محلة جوق ، ومعهم الدفوف والمزامير والمغاني وسائر الملاهي ويدورون في البلد . وفي سنة ٦٤٠ هـ منع اهل باب الازج اهل المأمونية من العبور اليهم وسيوفهم مشهورة ، فاقتتل الفريقان وضُرِبَ نائب باب النوبي بالاجر لانه انحاز الى اهل المأمونية ، وقد قتل عدد من الفريقين ونهبت دكاكين ودور كثيرة ، ولم يستطع الشحنة أن يكفهم عن القتال الذي استمر حتى قتل من الفريقين جماعة ، وخربت عدة دور من المأمونية وسبيت النساء ونهبت الاموال حتى نزل الجند الملبسين بالعدد فكفوهم . وبات تحت منظرة باب الحلبة عدة ليال خوفا من تجدد الفتنة في الليل ، ومع ذلك لم يمنعوا من الخروج لقتل السباع بل استمروا على خروجهم وبين ايديهم السيوف الكبيرة والمغاني وعظم الامر حتى خرجت النساء حواسر !! .. وقد وقعت حوادث اخرى بين اهل المختارة وسوق السلطان تدخل لحسمها الجيش بعد وقوع ضحايا كثيرة[٣٥] .

ومن الفتن الكبيرة التي حدثت بسبب العصبية للمحلات ما جرى سنة ٦٥٣ هـ بين اهل محلة أبي حنيفة واهل محلة الرصافة والخضيريين ، اذا أستظهر اهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة وطردوهم الى باب المحلة فتزاحموا عند الدخول حتى مات منهم ثلاثون رجلا وحاصروهم ومنعوا الماء عنهم حتى تدخل شحنة بغداد وكفهم عن الشر ، ولكن القتال تجدد بعد أيام وسقط قتلى وجرحى واتسع نطاق الفتنة بتدخل أهل البصرة

---

(٣٢) باب الأزج : محلة في بغداد الشرقية وكانت بموضع الشيخ عبدالقادر الجيلي اليوم الممتده الى دجلة (مصطفى جواد : حواشي الحوادث الجامعة) .
(٣٣) محلة في شرقي الميدان اليوم . (مصطفى جواد : حواشي الحوادث الجامعة) .
(٣٤) الحوادث الجامعة / ٣١ .
(٣٥) الحوادث الجامعة / ١٧٥ـ١٧٧ .

الى جانب اهل الرصافة واهل الكرخ الى جانب الخضيريين فحضر اصحاب الشحنة وكفوهم ، ثم اصلحوا بين الفريقين[٣٦] .

وفي العهد الايلخاني استمرت عادة قتل السباع وما تجره من فتن وما توقده من عصبيات بين اهل المحلات ، ففي سنة ٦٨٦ هـ كثر اهتمام العوام بقتل السباع وجرت حروب كثيرة فانكر الديوان ذلك وتقدم بمنع حرب السباع[٣٧] وهكذا اطفئت الفتنة بعد ان دامت فترة طويلة ذهبت خلالها ضحايا وسالت دماء .

والحق ان المرء ليعجب لماذا يقدم العباسيون على مثل هذا الاجراء فيحقنون الدماء ويزيلون الفتن ؟ ربما يعود ذلك الى الرغبة في كسب رضا العامة واجتناب غضبها وربما يعود الى تشجيع بعض الخلفاء عادة قتل السباع كرياضة مفيدة ذات صلة بالشجاعة وخصال الفتيان كما هو شأن الناصر لدين الله الذي كان يقدم العون لمن يمارس عادة قتل السباع .

ولم تقتصر عصبية المحلات على بغداد، بل كانت تحدث في مدن اخرى ايضا، فاهل مدينة الحلة كانوا كلهم امامية اثنى عشرية ومع ذلك فقد انقسموا الى طائفتين الاكراد وأهل الجامعين ، وكانت الفتنة بينهما متصلة والقتال قائماً ابدا[٣٨] . واهل كربلاء كانوا ايضا امامية وهم طائفتان اولاد رخيك واولاد فائز والقتال بينهما دائم[٣٩] .

والان وقد استعرضت احداث الصراع بين المحلات واوضحت السبب الكامن وراءها وهو العصبية. ولكن الامر المهم لماذا ظهرت عصبية المحلات بهذا الشكل العنيف ؟ وكيف يحدث في ظل حكومة قائمة مثل هذا القتال الدموي الرهيب الذي كان ما يكاد ينطفى في مكان حتى يتجدد في آخر ؟ ان الذى يتبادر الى الذهن ان ضعف السلطة هو الذي أضاع ولاء العامة لها فتحول الى الولاء للمحلة وجرأ العوام على ارتكاب تلك الاعمال . ان التفكك الذي حصل في المجتمع نتيجة الفتن الكثيرة حتى اذا ما عاينا حالة المجتمع اواخر العصر العباسي وجدناه في غاية الانحلال والضعف فقد هدمته عصبية

---

(٣٦) المصدر السابق /ص ٢٩٨-٢٩٩ .
(٣٧) المصدر السابق /٤٥٣ .
(٣٨) ابن بطوطة /١٢٩ .
(٣٩) المصدر السابق /١٣٩ .

المحلات وعصبية المذاهب والطوائف ، فلم يستطع الوقوف على قدميه امام قوة المغول المندفعة التى اسقطت العروش ودكت الحصون وهي بعد ذلك في قوتها وعنفوانها عندما حاصرت بغداد الجريحة التى انهكتها الفتن والانقسامات •

نماذج وصور من فعاليات المتصوفة :

نلاحظ شيوع التصوف في المجتمع بشكل بارز ، وعند قراءة مصادر الفترة تطالعنا مصطلحات المتصوفة وتعابيرهم ، فقد اثر المتصوفة في ادب عصرهم بشكل ملحوظ كما اثروا تأثيرا كبيرا في الحياة الاجتماعية • وعند مطالعة كتب التراجم لرجال ذلك العصر نجد عددا كبيرا منهم ينتسبون الى التصوف والتأله والمعرفة • ولست اريد هنا ان افصّل الكلام في التصوف خلال هذه الفترة الطويلة التى تمتد قرنا ونصف القرن من الزمان ، بل سأكتفي بعرض بعض اللقطات التي تصور جانباً من حياة المجتمع في هذه الفترة • ففي قرية ام عبيدة القريبة من مدينة واسط شاعت الطريقة الرفاعية التى تنتسب الى الشيخ احمد بن رفاعة المتوفي سنة ٥٧٨ هـ ، وكان سلطان العارفين في زمانه ، وانضم اليه خلق من الفقراء واحسنوا فيه الاعتقاد ويقال لهم الاحمدية والبطايحية وكان لهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول الى التنانير وهي تضرم والدخول الى الافرنة ، وينام احدهم في جانب الفرن والخباز يخبز من الجانب الاخر ويرقصون في السماعات على النيران الى ان تنطفىء[٤٠] •

وقد زار ابن بطوطة رباط المتصوفة في قرية ام عبيدة سنة ٧٢٥ هـ ، وذكر ان فيه آلاف الفقراء ووصف حفلة من حفلات المتصوفة شهدها بنفسه• فبعد صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا صلاة العشاء ، وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد كوجك حفيد الرفاعي جالس على سجادة جده المذكور ثم اخذوا في السماع وقد اعدوا احمالا من الحطب فاججوها نارا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بفمه حتى اطفأوها وهذا دأبهم وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا • ومنهم من يأكل الحية العظيمة فيعض باسنانه

(٤٠) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٦ (مخطوطة) ص ٩٣ •

على رأسها حتى يقطعه[٤١] . ويبدو ان الطرق الصوفية شاعت كثيرا في واسط ، ففي فم الدبل التي هي من قرى واسط يوجد المشايخ العيفية ، وفقراؤهم يدخلون النار ويأكلون الحيات[٤٢] وفي اربيل يوجد رباط فيه مائتا صوفي ، شغلهم الاكل والرقص في كل ليلة جمعة .

وبعد هذه اللقطات السريعة التي قدمت فيها نماذج من حياة المتصوفة اريد أن اوضح أن ذلك لا يعني ان سائر المتصوفة كانوا كذلك ، فالتصوف منهج للسمو الاخلاقي والروحي ، وكان كثير من العلماء والاشراف ينتسبون اليه ، فينقطعون الى العبادة والزهد وعمل الخير . ولكن العامة لا يمكنها الصعود الى هذا المستوى فتقوم بتلك الاعمال العجيبة وتنسبها الى الولاية والكرامة .

ومن جهالة العامة انهم كانوا ينسبون الولاية الى بعض البلهاء فقد كان حميد الزيزي رجلا ابله يمشي عريان مكشوف السوءة في الاسواق على أشنع ما يكون منظرا اسود اللون من القذر والرماد الذي كان ينام عليه ، ومع ذلك فقد كان العوام يعتقدون فيه ويظنونه وليا من اولياء الله تعالى . ولما توفى سنة ٥٩٥ هـ شدوا تابوته بالحبال وتبركوا به وتبع جنازته خلق كثير منهم واستمروا يزورون قبره وينذرون له النذور[٤٣] . وهكذا بلغت جهالة العامة حد السخف والهوس ، وقد استغل البعض ذلك فنجد احمد بن الهروي النحوي يظهر الجنون والبله ، فاذا برصيده يرتفع وبسوقه يروج[٤٤] . والعجيب ان الحكومة تسجنه لانه « اثقل البلد » عند العوام على تعبير ابن الفوطي ثم تطلق سراحه وتخصص له مبلغ ثلاثين دينار في كل سنة . وربما ارادت بذلك مداراة العامة وكسب رضاها ! وقد ضاعت المقاييس الدينية عند العامة فالجهالة لم تبق من الدين سوى اسمه ، فهذا ابراهيم بن سعيد الشاغوري المولّه مات سنة ٦٨٠ هـ ، كان على قاعدة المولهين من عدم التعبد بصلاة أو صيام أو طهارة ، والمفروض ان ذلك يسقطه في نظر المسلمين ، ولكن للعامة مقاييساً اخرى فقد كانت

---

(٤١) ابن بطوطة /١١٤ .
(٤٢) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٤٣١ .
(٤٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ /١٥ .
(٤٤) الحوادث الجامعة /١٧٧ .

تعتقد فيه اعتقادا يتجاوز الوصف لما يرون من كشفه وكلامه على الخواطر[٤٥] .

اخلاق العامة :

عندما ينظر المرء الى الجانب الخلقي من حياة العامة في هذه الفترة يطالعه اتجاهان : الاول :ـ اتجاه الاخلاق والتصوف ويميل الى التطرف في كثير من الاحيان والاتجاه الثاني يجنح الى التحلل من قيود الاخلاق والخروج على الاعراف والتقاليد الاجتماعية . ويظهر التطرف في كل من الاتجاهيين . فقد كان التناقض طابع العصر في تلك الفترة ، وهذا امر طبيعي يعلله علماء النفس بردود الفعل . فعندما يجنح المجتمع الى الفساد والخلاعة والمجون تبرز عناصر تميل الى التقوى والصلاح والخير . ولن ابحث هنا اخلاق العامة بصورة شاملة . وانما اكتفى بالاشارة الى بعض الخطوط العريضة للسلوك العام .

لقد وصف ابن جبير[٤٦] اخلاق اهل بغداد عندما زارها سنة ٥٨٠ هـ ، وشكا من كبرياء القوم واعتزازهم بانفسهم وببلدتهم واستصغارهم لغيرهم . وذكر شيوع التعامل بالربا فيهم ، وتطفيفهم في الموازين والمكاييل ، وذكر الخزرجي صاحب العسجد المسبوك شيوع المنكرات ببغداد وظهورها سنة ٥٧٧هـ ، بحيث اقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات[٤٧]. ونجد في رسالة ابي عبدالله محمد بن يحي بن فضلان الفقيه الى الناصر لدين الله ما يشير الى اخلاق اهل الذمة في بيوعهم ومعاملاتهم فقد وصفهم بالغش في الحوائج والدغل وبسرقة الذهب وذلك باستبداله بالنحاس وكذلك يفعلون بالفضة فيجعلون عوضها في الاماكن المستورة يحسب احتمالها[٤٨]. وقد سعت السلطة في بعض الفترات الى مكافحة الرذيلة وازالة المفاسد ، كما اشرت الى ذلك في عهد الناصر لدين الله ، وكذلك في الفترة الايلخانية فقد ذكر ابن الوردي في حوادث سنة ٧٢١ هـ القيام باصلاحات خلقية فقد استتابوا الخاطئات وزوجوهن واراقوا الشراب ومنعوا الناس من

---

(٤٥) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ص ٣٦٦ .
(٤٦) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢١٨ .
(٤٧) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ٩٢ .
(٤٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة /٦٦ـ٦٨ .

العصير ونودي ان من تخلف عنده شيء من الشراب حل ماله ودمه للسلطان فطلع بعد ذلك عند احدهم جره فقتلوه وعند آخر جرتان فقطعوا راسه[٤٩] . وجاء في عقد الجمان ابطل ابوسعيد ابن خربندا مكس الغلة ورسم على الخمارين والزمهم باحضار الخمور في الظروف فاجتمع نحو عشرة الاف ظرف فاهرقت واحرقت الظروف وفعل ذلك في جميع البلاد[٥٠] وكذلك حدث سنة ٧٣٤ هـ حيث اطلق ببغداد ضمان الخمر والفاحشة[٥١] وقد كثر اللصوص والطرارات ببغداد في اواخر العصر العباسي وزادت جرأتهم فكانوا يأتون بالعدة ويأخذون اموال الناس[٥٢] ولم تعد الطرق بين بغداد وغيرها من المدن امينة اذ كثر فيها قطاع الطرق واللصوص[٥٣] . وفي سنة ٦٧٧ هـ اى في اوائل العهد الايلخاني ظهر صبيان من الشطار يعرف احدهما بابن الحماس والاخر بالتاج الكفني وانضم اليهم جماعة من الجهال وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم فارعبوا الناس فاحتال صاحب الديوان عليهما واحضرهما وقربهما ليكفهما عن الشر فزاد فسادهم وجرأتهم على الناس واخذهم الاموال بالتهديد والاكراه ، فامر صاحب الديوان بقتلهم وطيف برأسيهما في بغداد .

والى جانب هذا التيار من التحلل والفساد نجد تيارا من الاصلاح يقوده العلماء وكانت مجالسهم عامرة بعلوم الفقه والحديث والرقائق طافحة بالايمان والحماس الملتهب ، وكان يحضرها عدد كبير من الناس ، فكان اثر هذه المجالس كبيرا جدا على عامة الناس ، اذ كانت تحدث في تلك المجالس توبة الناس وقلوبهم خاشعة ، وعيونهم دامعة ذارفة ، وقد حضر ابن جبير بعض هذه المجالس خلال زيارته لبغداد سنة ٥٨٠ هـ ووصفها في كتاب رحلته وصفا رائعا[٥٤] .

---

(٤٩) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .
(٥٠) العزاوي : العراق بين احتلالين ، ص ٤٧٤ .
(٥١) ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ،ج ٤ ، ص ١١٧ .
(٥٢) الحوادث الجامعة /٢١٣ .
(٥٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ص ٨٢٢ .
(٥٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢١٩-٢٢٢ .

الفصل الثاني

دور العامة في الحياة السياسية
او علاقة السلطة بالعامة

أهمية العامة :

ان التكتلات التى حدثت في صفوف العامة في هذه الفترة اكسبتها اهمية وقوة اذا أصبحت العامة أقدر على الشغب ومعاكسة الحكام في حالة السخط ، وعلى المساندة والمساعدة في حالة الرضى • وقد تكلمت عن طبيعة هذه التكتلات ومنشئها واثرها ، فأستعرضت التكتلات المذهبية والطائفية والمحلية ، وهنا اضيف تكتلا ذا طبيعة مغايرة وهو المتمثل بحركات

حركة الشطار والعيّارين

الشطار والعيّارين الذين كانوا يمثلون تكتلاتشعبية لا تلتزم بنظام أخلاقي ولا بعرف اجتماعي تعيث في الارض فسادا حتى خطا الناصر لدين الله خطوة كبيرة عندما سعى لتنظيمها • وبذلك استمرت حركات الشطار والعيارين

نظام الفتوة

ضمن حركة واحدة هي حركة « الفتوة » وكان يريد بذلك امتصاص الطاقة التى كانت مبعث شر وفساد وتحويلها لصالح المجتمع والدولة ، فكانت « الفتوة » امتدادا لحركة الشطار والعيارين ولكن ضمن اطار اخلاقي متين• وثمة أمر جديد في حركة الفتوة يميزها عن حركة الشطار والعيّارين وهو مشاركة الاكابر والاعيان فيها فهي لم تقتصر على العامة • وذلك لان الخليفة الناصر نفسه أعتبر رئيسا « للفتوة »[٥٥] • وكان كثيرا ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسيب • ويلبس سراويل الفتوة • وقد اعتبر ابن خلدون ذلك دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن اهلها[٥٦] • ولكن الواقع ان الناصر بحركته الجديدة جدد للدولة شبابها واعاد لها تماسكها الى حد ما بعد أن فقدته مدة طويلة •

---

(٥٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٣ •

(٥٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١١٠٢ •

وفي بداية نشوء الحركة لم يكن نظامها واضحا بل تبلور تدريجيا فلم تكن هناك شروط والتزامات منذ البداية ولكن حدث ان اختصم احد رفقاء فاخر العلوي المقرب من الوزير ناصر بن مهدي مع رفيق لعزالدين نجاح الشرابي وصارت فتنة عظيمة بمحلة قطفتا حتى تجالدوا بالسيوف ، فلما علم الناصر بذلك انكره وجمع رؤساء الاحزاب وقرأ عليهم نظام الفتوة وشروط العضوية وتقرر ان من يخالف ذلك تبطل فتوته(٥٧) . وقد تضمن نظام الفتوة الجديد(٥٨) ما يلي :

١ ــ اذا ارتكب الرفيق جريمة القتل فان رفيقه يتبرأ منه في جمع من الفتيان وبذلك يخرج عن دائرة الفتوة .

٢ ــ ان كل فتى يحوى قاتلا ويخفيه ويساعده على امره ويؤويه يتبرأ رئيسه منه .

٣ ــ ان الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب ان يؤخذ منه القصاص . فان كان القتيل ليس من الفتيان بل عونا من الاعوان او متعلقا بديوان في بلد الامام الناصر فان القاتل تسقط فتوته ويؤخذ القصاص منه وبذلك اصبحت الفتوة حركة منظمة ذات قواعد قانونية واسس اخلاقية ، وقد طبق النظام الجديد زمن الناصر لدين الله فعندما قام اثنان من الفتيان سنة ٦٠٤ هـ بقتل ابن حسان وكان احد النقباء بباب الشحنة اخذت سراويلات الفتوة منهما وقتلا (٥٩) ولكن يبدو ان حركة الفتوة فقدت حيويتها بعد الناصر لدين الله وعادت حركة الشطار والعيارين الى الظهور من جديد ، فقد ترأس العندي وكان من أولاد المماليك الناصرية جمعا كبيرا من الفتاك والعيارين ، وخرج هؤلاء على طاعة الخليفة فلاحقتهم السلطة وقتلت بعضهم فتفرقوا وسجن العندي فلما تولى المستعصم واطلق السجناء كان من جملتهم العندي الذي عاد الى الفساد وقاد جمعا من العيارين فطلبه ايبك الحلبي شحنة بغداد فهرب الى همذان وهناك قتله شحنة المدينة وحمل رأسه الى بغداد فعلق بظاهر سوق الظفرية سنة ٦٤٥ هـ (٦٠) .

---

(٥٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٣ .
(٥٨) المصدر السابق /ص ٢٢٣ــ٢٥٥ .
(٥٩) المصدر السابق / ص ٢٢٨ .
(٦٠) المصدر السابق أيضا ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

وفي خلافة المستعصم نشطت حركة العيارين ببغداد وساعدت ظروف المجتمع في هذه الفترة على ازدياد نشاط الشطار والعيارين واللصوص وذلك بسبب الفتن المذهبية والطائفية الكثيرة وظهور عصبية المحلات بشكل قوي وانشغال السلطة باطفاء الفتن مما أضعفها وانهكها فكان العيارون يعيثون ببغداد فسادا يسرقون الاموال وينهبون البيوت وبلغت بهم الجرأة الى مهاجمة دور الامراء (٦١) .

وقد اصاب الناس الهلع والخوف من العيارين ، فلم يعودوا يأمنوا على انفسهم واموالهم . ولعل مما يوضح نفسية الناس في خلافة المستعصم ما اورده صاحب الحوادث الجامعة عن محمد بن ابي الفرج بن رئيس الرؤساء فقد كان رجلا ساذجا سليم الصدر وله حكايات غريبة منها انه احضر بناءً وامره ببناء دار يكون حائطها في غاية الاحكام والعرض بحيث اذا شرع العيارون في نقبه من آخر الثلث الاول من الليل يفرغون منه وقت السحر ، فجعل البناء عرضه ست أجرات بالقالب الكبير ، فلما فرغ أمر جماعة ان ينقبوه من الثلث الاول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل فقال للبناء زد ثلاث أجرات اخرى (٦٢) .

ولئن كانت القصة نادرة من النوادر تصلح للتفكه فانها تعبر بنفس الوقت عن روح الخوف والهلع من الشطار والعيارين الذين نشطوا كثيرا في هذه الفترة .

مراقبة العامة والتجسس عليها .

ان كثرة الفتن والانقسام في المجتمع وحركات الشطار والعيارين جعلت الناصر لدين الله يعمد الى مراقبة العامة واحصاء حركاتها وسكناتها فكان من واجب الحراس بالدروب ان يكتبوا مطالعاتهم الى الخليفة وتتضمن كل صغيرة وكبيرة مما يتجدد في دروبهم فكان الخليفة يعرف دقائق احوال الرعية ، وقد تضايق الناس من ذلك كثيرا ، فقد كان فيه حجر عظيم على تصرفاتهم وتقييد كبير لحرياتهم ، ولكن ذلك لم يستمر فبعد وفاة الناصر لدين الله وخلافة الظاهر ابطل الخليفة الجديد ذلك وطلب أن لا يكتب اليه الا ما يتعلق بمصالح الدولة ، وقد نصحه البعض بابقاء ذلك لان في ازالته فساد العامة وتعاظم

---

(٦١) الحوادث الجامعة /٢٥٤ .

(٦٢) نفس المصدر /٢٥٦ .

شرها الا انه لم يقتنع بذلك (٦٣) .

وعلى أية حال فان التجسس على العامة قد يفيد في تخفيف شر الاشرار ولكنه ليس الحل الطبيعي للازمة الاخلاقية التي كان يمر بها المجتمع انذاك .

السلطة والحالة المعاشية للعامة

يروى عن الناصر لدين الله انه كان كثير الاقتصاد حتى رماه البعض بالبخل، وكان قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة فكان يقف على حافتها ويقول اترى اعيش حتى املأها ؟ (٦٤)

ولكن ذلك لم يمنعه من المساهمة بجزء وافر من معايش العامة وخاصة في شهر رمضان ففي سنة ٦٠٤ هـ أمر ببناء دور الضيافه في محلات بغداد ليفطر فيها الفقراء ويتولاها رجل امين فكان يطبخ فيها اللحم الضأن والخبز الجيد ويعطى كل انسان قدحا مملوءا من الطبيخ واللحم ومناً من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لايحصون كثرة (٦٥) . ومنذ شهر شعبان كانت الوظيفة الرمضانية تفرق على المدارس والاربطة والمشاهد وزوايا الفقراء من الدقيق والغنم والذهب لاجل الفطور وتفتح ابواب الضيافة في جانبي مدينة السلام (٦٦) .

وقد زادت مشاركة الحكومة في معايش الناس زمن المستنصر بسبب الكرم الذي طبع عليه هذا الخليفة فقد كان يقف على حافة بركة الذهب الذي جمعه الناصر ويقول : اترى اعيش حتى أنفقها (٦٧) . وفي زمنه اصبح بكل محلة من محال بغداد دار الضيافة للفقراء ولاسيما في شهر رمضان وكان في كل وقت يبرز لصلاته الوفاً متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات والارامل والأيتام وغيرهم (٦٨) . وكان المستنصر يطوف في ازقة بغداد ويلاحظ عامة الناس بعين الرعاية والعطف، (٦٩) . وكذلك كان حال الناصر من قبله اذ كان يحب الظهور للعامة والتحبب اليهم (٧٠) .

---

(٦٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٦٢ .
(٦٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ في ص ١٥٩ .
(٦٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ في ص ٢٩٨ .
(٦٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٤٠ .
(٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ١٣ . ص ١٥٩ .
(٦٨) المصدر السابق /١٥٩ .
(٦٩) المصدر السابق /١٥٩–١٦٠ .
(٧٠) ابن جبير /٢٢٧ .

وكان العامة يحترمون الخلفاء ويكنون لهم محبة فائقة ، فللعوام حساسية شديدة في تقدير من يحسن اليهم ، وعندما توفى ابي الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين‌الله وكان احب ولديه اليه والمرشح للخلافة بعده شاركت العامة الناصر في احزانه ووجدوا على ابنه وجداً شديداً ودامت المناحات عليه في اقطار بغداد ليلاً ونهارا ولم يبق ببغداد محلـة الا فيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن (٧١) .

وقد استمرت ذكرى الخلافة ومحبتها في قلوب العامة خلال العهـد الأيلخاني فعندما ماتت الست خديجة ابنة المستعصم ببغداد سنة ٦٧٦ تذكر الناس ايام والدها وبكوا وكثرت النوايح والنوادب ورُفعت الطراحات (٧٢) . وقد أحست العامة انها فقدت الكثير عندما اصبح الحكم للاجانب وساعدت اجراءات الايلخانيين على ذلك فبعد سقوط بغداد بسنة واحدة احصي سكان بغداد وكتبت اسماؤهم وقسموا الى مجاميع عليها أمراء وقرر على كل منهم ما يؤديه في كل سنة ، ولم يعفَ من ذلك إلا الصبيان والشيوخ ، واستمر الأمر حتى ولاية علاءالدين عطا ملك الجويني حيث اسقط ذلك عنهم(٧٣) .

ولم يتنفس الناس الصعداء بعد حتى أمر الأيلخانيون علاء الدين بأستيفاء خمسين الف دينار من بغداد واعمالها على وجه المساعدة فشرع بأستيفاء ذلك بالعسف والقهر حتى اخذ ايجار الدور عن شهرين سلفاً ، ولما طلبه الديوان وانفرد مجد الدين بن الاثير بأستيفاء المبلغ اغلقت الاسواق وهرب الناس فطولبت النساء بما قرر على رجالهن (٧٤) . وهكذا لاقى الناس الأمرين من الحكم الأجنبي ، وعندما قدم ارغون الى بغداد سنة ٦٨١ طولب اهل بغداد باجرة املاكهم عن ثلاثة أشهر فاستوفى من اكثرهم ثم اعفى الناس كافة(٧٥) . ومع ذلك كله فلا يخلو العهد الأيلخاني من بعض السلاطين والحكام الذين احسنوا الى الرعية ، فقد كانت العامة تكن لعلاء الدين الجويني محبة كبيرة حتى انهم عندما سمعوا بأعادته الى بغداد ايام السلطان احمد ــ وكان قد أقيل

---

(٧١) ابن الاثير : الكامل ج ٩ . ص ٣١٠ .

(٧٢) الصفدي : الوافي والوفيات ، ج ٨ (مخطوطة) ق ١١ .

(٧٣) الحوادث الجامعة /٢٣٩ .

(٧٤) المصدر السابق /٣٩٨-٣٩٩ .

(٧٥) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

من ولايته ـ سمع لهم دوي فرح وسرور بل عيد وابتهاج[٧٦] .

وحاول بعض السلاطين الايلخانيين أن يخفف العبء عن العامة كما فعل اباقاخان عندما زار بغداد سنة ٦٧٢هـ إذ أمر بالأحسان الى الرعايا وتخفيف التمغات وحذف الاثقال عنهم وكتب ذلك على باب جامع (المستنصرية [٧٧]) . وكذلك فعل السلطان كيخا توخان إذ أمر السكورچي والي العراق بازالة ما جدد على الرعية من الاثقال [٧٨] . وعندما سمع كيخا تو بما فعله بايدو بأهل عين التمر والكبيسات من نهبهم وأسر ثلاثين الف منهم غضب عليه وحبسه [٧٩] .

العامة والعنف

عندما تنقم العامة على أحد المسؤولين فانها تنتقم منه عاجلا أو آجلا، وقد تضطر السلطة تحت ضغط الشارع الى تنفيذ ما يريده العوام فتقيل الموظف وتسجنه في بعض الحالات كما حدث ذلك لشحنة بغداد فخرالدين ايبك الارنباي فقد قتل العوام أحد اتباعه ويدعى ابن محاسن وسحبوه وهو حي ثم القوه في دجلة ثم اخرجوه واحرقوه . فقصدهم الارنباي في عسكره فوثبوا عليه فما كان منه إلا ان اوقع فيهم وجرد اصحابه السلاح وقتلوا من العامة جماعة وجرحوا آخرين فهاج البلد وماج واغلق الناس دكاكينهم واقبلوا بقتلاهم في مظاهرة كبيرة الى باب البدرية الشريفة . فأقيل الشحنة وسجن[٨٥] . ولكن العامة لم تكتف بذلك بل ثارت على المسالحة بباب النوبي الشريف وقتلت جماعة منهم وهنا لم تقف السلطة مكتوفة الايدي بل احضرت اثنين من قتلوا ابن محاسن وصلبتهما على باب البدرية فارتدع العوام وكفوا عن تطاولهم[٨١] .

وكانت قوة العامة مدعاة لمحاولة كسبها من قبل بعض المسؤولين لاغراضهم الخاصة ففي سنة ٦٥٤ هـ وشى الوزير ابن العلقمي بمجاهد الدين الدواتدار واعلم الخليفة بما يريد الدواتدار من خلعه فما كان من مجاهدالدين

---

(٧٦) العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، ص ٣١٢ .
(٧٧) الحوادث الجامعة /٣٧٥-٣٧٦ .
(٧٨) المصدر نفسه /٤٧٥ .
(٧٩) المصدر نفسه /٤٧٦ .
(٨٠) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .
(٨١) المصدر السابق ص ٢٨٨ .

الدواتدار إلا ان جمع رنود بغداد وأوباشها حوله فكانوا يلازمونه ليل نهار حتى خشي الخليفة على نفسه وجمع جيشاً لدفع خطره واخيراً كذّب الخليفة امام الملأ ما نسب الى الدواتدار (٨٢) . وهكذا استطاع الدواتدار باستناده على الغوغاء ان يحتفظ بمركزه ويهزم الوزير في هذه المعركة .

وعندما تتعلق العامة بحاكم فانها تدافع عنه وتنتقم له من اعدائه فقد انتقموا لعلاءالدين صاحب الديوان من عدد من اعدائه ففي سنة ٦٧٧ هـ عذبوا ابن بقا الشربدار لانه طعن في الصاحب ثم قطعوا رأسه ووضعوا مكانه رأس معز باسلحته وطيف به واحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف به (٨٣) .

ان الوحشية تتجلى تماماً في غضبه العامة ، فهي لاتملك نفسها عند الغضب ولاتضبط سلوكها عندما تهيج . وكذلك مثلت العامة بجثة مجد الملك العدو اللدود للصاحب علاءالدين وذلك بعد قتله من قبل الصاحب ، بل إن الخربندية ارتكبوا ما هو افضع من ذلك إذ شَوَوا لحمه واكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه (٨٤) . وكذلك انتقم العوام من اتباع مجد الملك بقتلهم واحراق جثثهم .

إن للعوام حقداً لايزيله إلا الانتقام الشنيع ، وكثيراً ما تواتيهم الظروف للانتقام من المسؤولين الذين آذوهم . فقد حدث سنة ٥٧٥ هـ ان اقيل ابن العطار من وزارته وحوسب وقتل ، ولم يجرأ اهله على تشييعه فاخرجوه على ظهر حمّال سراً فغمز به بعض العامة الناس فثار به العامة وألقوه عن رأس الحمال ومزقوا كفنه وجردوه ومثلوا به تمثيلاً قبيحاً وسحبوه في البلد حتى اوصلوه الى المدينة فرموه فيها ثم اخرجوه وكانوا يضعون في يده عوداً ويقولون « يامولانا ظهير الدين وقع لنا » (٨٦) ومن العجب ان ابن العطار كان حسن السيرة فيهم (٨٧) ، فما سبب هذه الافعال الشنيعة معه ، قد يكون السبب اختلاف الناصر عليه ، وتعلق العامة بالناصر خاصة في بداية حكمه ،

---

(٨٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، ج ١ ، ص ٣٦٢-٣٦٤ .
(٨٣) الحوادث الجامعة /٤٠٢ .
(٨٤) الحوادث الجامعة /٤١٩ .
(٨٥) المصدر السابق /٤٢٢ .
(٨٦) ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ٣٢٣
(٨٧) الخزرجي : المسجد المسبوك ، ق/٩٠ .

وقد يكون الوزير قد أساء لاحدهم فقام هذا بتهيج العامة وما أسرع ما تهتاج العامة وتنفعل وللرأي الثاني ما يدعمه إذ ذكر ابن الطقطقى ان بعض الاتراك كان قد عمر حماماً فكانت مجراة مياهه تؤذي أحد الجيران فتقدم هذا الجار بشكوى الى الوزير ، إلا إنه نهره بقوله إن لم تسكت جعلت رأسك في المجراة. فلما سحب العوام جثة ابن العطار وقع منهم في تلك المجراة ، فتعجب الناس من ذلك، [88] وتعجب العوام هنا يشير الى إن قصة الشكوى كانت منتشرة بينهم ومؤثرة إذ لازالوا يذكرونها ولكن هل تكفي هذه الاسباب حتى لو اجتمعت بتبرير مثل هذه الأعمال الشنيعة ، ثم الا يكفي الموت لأطفاء الحقد والغضب . ولكنها العامة عندما تغضب فتنتقم .

ان الحالات التي استخدم العوام فيها العنف مع المسؤولين كثيرة جداً فعندما مات نائب الشرطة بباب النوبي الشريف وكان ظالماً تكرهه العامة اعلنت لعنه وهمّت بسحبه ، [89] وقد هجم العوام على دار جمال الدين على بن البوري من اعيان المتصرفين زمن الناصر لدين الله ونهبوها على أثر وفاة الخليفة الناصر [90] .

وعندما بويع المستعصم بالخلافة أمر وزيره باسقاط المكوس والتقسيطات والمؤن التي أحدثها عمال السوء ، فلما اراد حاجب باب النوبي العودة الى داره صحبه الوزير خوفاً عليه من العامة ، لانه كان يتولى اخذ المؤن ، وأرسل الأمير فلك الدين محمد سنقر لحراسة داره من العوام [91] .

وكثيراً ما كان يثب العوام ببعض المسؤولين فيقتلونهم ففي سنة ٥٩٧ هـ وثب اهل باب البصرة على حامي محلتهم المعروف باب الضراب فقتلوه وقتلوا ايضاً اربعة نفر وسحبوهم والقوهم في دجلة . وكذلك فعل اهل سوق الثلاثاء بحاميهم ، وكذلك اهل محلة الجعفرية [92] . لقد حدث قتل حماة المحلات في وقت متقارب وهذا يشير الى هياج العامة ضد السلطة نفسها وليس ضد حامي المحلة بذاته . وفي سنة ٦٥٣ هـ وثب اهل النيل على الشحنة بها فقتلوه لانه اساء السيرة فيهم ولم تأبه السلطة باحتجاجهم [93] .

---

(٨٨) ابن الطقطقي : الفخري : ص ٣٢٣ .
(٨٩) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ١٣٢ .
(٩٠) الحوادث الجامعة /١٤٦ .
(٩١) المصدر السابق /١٦٣ .
(٩٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٤٦ .
(٩٣) الحوادث الجامعة /٣٠٢ .

مواقف مشرفة للعامة :

لقد استعرضنا فيما سبق صوراً تمثل بعض النماذج الساقطة ادبياً من غوغاء الناس واوباشها وهم الذين كانوا يقومون بالأعمال الشنيعة المنافيه للمثل الاخلاقية والقيم الانسانية ، وهذه النماذج موجودة في كل عصر ومصر ، ولكن الى جانبها كانت توجد النماذج الانسانية الكريمة ، وقد سبق في الكلام عن الناحية الاخلاقية ان اوضحت وجود تيارين في العامة خلال هذه الفترة تيار يمثل الخير والصلاح وآخر يمثل الشر والفساد .

وهنا اريد ان اوضح بعض المواقف المشرفة التي وقفتها العامة الى جانب السلطة دفاعاً عن بلادها من الغزاة المعتدين أو حماية لها من اخطار الفيضان الذي كان يجتاحها بين آونة واخرى . حدث ذلك سنة ٦١٤ هـ عندما زادت دجلة زيادة عظيمة واشرفت بغداد على الغرق فلم يقف الناس مكتوفي الايدي بل اجتمع جمع عظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج وأعدوا السفن لينجوا فيها (٩٤) ، وقد حدثت مشاركة من العامة والخاصة في دفع هذا الخطر الداهم عن بلدهم ، فكانت مشاركة رائعة ظهر فيها الخليفة وهو يحث الناس على العمل . ومرة اخرى تعرضت بغداد وذلك سنة ٦٧٦ هـ في العهد الأيلخاني في ولاية الصاحب علاء الدين وهنا ايضاً يلعب العوام دوراً مشرفاً في حماية مدينتهم ويشاركهم صاحب الديوان في هذا العمل فيحمل باقة الشوك على فرسه (٩٥) .

وعندما شبت النار في دار الخليفة الناصر سنة ٦٠١ هـ حتى التهمت خزانة السلاح اجتمع جميع من ببغداد من السقائين والفراشين بالقرب والروايا والصناع والفعله واستمروا يوماً وليلة وهم يكافحون النيران فكانت محكاً لأخلاص العامة للخليفة آنذاك (٩٦) .

وفي عهد الايلخانين كان الرأي العام في الموصل ضدهم ، فعندما قدم ايلكا نوين الى الموصل سنة ٦٥٩ هـ خرج الملك الصالح منها الى دمشق فأمده الملك الظاهر بيبرس بجيش سار به الى الموصل وجعل سنجر على مقدمته ، فلما وصل سنجر الى الموصل منعه المغول من دخولها فوثب العوام وفتحوا

---

(٩٤) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ١٢٥ .
(٩٥) الحوادث الجامعة /٣٩٤ .
(٩٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، ق ٢ ج ٨ ، ص٥٢٣.

له باب الجسر فدخل منه ، ولكن المغول ارسلوا العساكر اليه فالتقوا عند نصيبين وتغابوا عليه فقتلوه ، وقدم الامير سنداغو الى الموصل فلم يستطع دخولها الا بعد حصار دام سنة [٩٧] وفي رواية اخرى ستة اشهر فقط وقد قام المغول بمجزرة استهدفت افناء سكان المدينة [٩٨] وليس صحيحاً ما ذكره رشيد الدين عن كره العوام لبني العباس ومللهم من حكمهم [٩٩] ففي سنة ٦٣٥ هـ وصل الخبر ان عساكر المغول قد سارت الى بغداد ، فخرج الجيش لملاقاتهم فهزموه عند القنيطرة ، فلما بلغ خبر الهزيمة بغداد خرج كافه الامراء والقواد والجند وخرج معظم العوام متسلحين للدفاع عن مدينتهم ضد المغول الغازين [١٠٠] .



(٩٧) الحوادث الجامعة / ٣٤٥ وانظر جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ، ٣٢٧ ،
(٩٨) رشيد الدين : جامع التواريخ ص ٣٣٠ .
(٩٩) المصدر السابق ، مجلد ٢ ج ١ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ .
(١٠٠) الحوادث الجامعة /١١٣ ، ١١٤ .

الخاتمـة

العامة في اواخر العصر العباسي وفي العهد الايلخاني طبقة متميزة لها حرفها واعمالها المهنية واعرافها ومعتقداتها الدينية واخلاقها وانماطها السلوكية.

والمجتمع الاسلامي لم يعرف تلك الحواجز الطبقية التي تطالعنا عند دراسة المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ، ذلك لأن المجتمع الاسلامي مجتمع مفتوح يستطيع العضو فيه ان يشق طريقه حسب كفاءته وجهده ، وليس هناك حاجز يفصل بين العامة والخاصة .

وكان تعصب العامة المذهبي والديني والمحلي ذا اثر سيء على كيان المجتمع الأسلامي الذي مزقته العصبيات ، فضاعت وحدته وانعدم تماسكه ولم يعد قادراً على الصمود امام الاعداء الطامعين .

كما كان لضعف السلطة العباسية اثر في انتشار حركة الشطار والعيارين وكثرة اللصوص والمجرمين . فلم يعد الناس يأمنون على انفسهم واموالهم ، وقد كان نظام الفتوة الجديد الذي ابتكره الناصر خطوة عظيمة لتوجيه طاقة العامة نحو الخير والصلاح ضمن اطار اخلاقي بعد ان كانت موجهة ضد الدولة.

وكانت الاساطير والخرافات تشيع في اوساط العامة ، فكانت تستهويها احاديث الجن والسمر والالغاز والاعاجيب وتضيف عليها من خيالها الخصب الشيء الكثير .

ويبرز في المجتمع الاسلامي في هذه الفترة اتجاهان متضادان : اتجاه اخلاقي معتدل يقوده العلماء وقد يجنح الى التطرف متمثلا في التصوف ، واتجاه لا اخلاقي متمثل بالأوباش واهل المجون والخلاعة ممن انغمسوا في حياة فاسدة داعرة .

وقد ظهرت القوة السياسية للعامة في هذه الفترة ، مما جعل الحكام يأخذونها بنظر الأعتبار فيراعون معتقداتها ويلبون رغباتها وتقرب العباسون اليها وساهموا في حياتها المعاشية ، فمالت اليهم العامة ، وقد بقى الحنين للحكم العباسي لدى العامة حتى بعد سيطرة الايلخانيين الذين فرضوا عليها من الضرائب ما ارهقها وان لم يخل عهدهم من بعض السلاطين الذين راعوا العامة وخففوا عنها .

وقد إستخدمت العامة العنف والقسوة مع اعدائها وعرفت الاضراب

والتظاهرات وكانت تملي رغبتها على الحكام في بعض الاحيان ، ولكن المرء يستفضع تلك الاعمال الشنيعة التي تمثلت بالقتل والسحل والتمثيل ، ولاشك ان هذه الاعمال انما قام بها الأوباش والسفلة ولا يمكن إلصاقها بعامة الناس .

وللعامة مواقف مشرفة في الدفاع عن بلادها ضد اخطار الفيضان وضد الغزاة المعتدين .

المصادر

ابن الأثير : الكامل ج٩ (مطبعة الاستقامة ، القاهرة) .

ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج١ (مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٩٣٨) .

ابن جبير : رحلة ابن جبير (ط٢ ، ليدن ١٩٠٧ م) .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ق١ (دار الكتاب اللبناني ١٩٥٧) .

ابن الساعي : الجامع المختصر في عناوين التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، (المطبعة السريانية بغداد ، ١٩٣٤) .

ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، (مطبعة الموسوعات ، بمصر ١٣١٧ هـ) .

ابن العبري : تأريخ مختصر الدول ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨) .

ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهبي في اخبار من ذهب ، ج٥ (مكتبة القدسي بمصر ١٣٥١ هـ) .

ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصفى جواد ، (ط ١ ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٦٢) .

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد (مطبعة الفرات بغداد ١٣١٥ هـ) .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ (مطبعة السعادة بمصر) .

ابن منظور : لسان العرب ، ج١٥ (ط١ ، المطبعة الاميرية ببولاق مصر ١٣٠٣ هـ) .

ابن الوردي : تأريخ ابن الوردي ، (مطبعة جمعية المعارف بمصر) .

أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، المجلد الثاني (دار الكتاب اللبناني بيروت).

الحسيني : غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، (مطبعة بولاق بمصر ١٩١٠) .

الخزرجي : العسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك (مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي) .

رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، ج١ ترجمة محمد صادق نشأت وفواد عبدالمعطي الصياد (دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠) .

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تأريخ الاعيان ، ق٢ ج٨ (ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ١٩٥٢) .

الصفـدي : الوافي بالوفيات ، ج٦ ، (مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية) .

القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، (دار صادر بيروت ١٩٦٠) .

اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج١ (ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند) .

المراجـع

عباس العزاوي : تأريخ العراق بين احتلالين ، ج١ (مطبعة بغداد ١٩٣٥) .

أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية

الدكتورة وديعة طه النجم
الاستاذة المساعدة
في قسم اللغة العربية

لقد اعتدنا أن نسمع – في الاصول القديمة كما في الابحاث المحدثة – ان فن الرسالة تطور ، لكن لا على يد الجاحظ بل على يد عبد الحميد الكاتب ، لأنه أول من أطال الرسالة واول من أطال التحميدات ونوّع فيها ، وانه اول من استعمل الفواصل ... الخ ، حتى اذا جئنا الى عصر الجاحظ ، لم يبق مجال للقــول في موضوع الرسالة أو اسلوبها .

ما هو أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرســالة كعمل فني ؟ وما الذي يميز الجاحظ عن بقية الكتّاب المعروفين في هذا الصدد ؟

قبل الدخول في هذا الموضوع لابد أن نحمل في اذهاننا حقيقة مهمة هي :

ان النماذج التي تتوفر لدينا وندرسها كنماذج للرسالة الفنية عبر العصور الاسلامية الاولى ، قبل الجاحظ ، لا تعدو ان تكون رسائل ديوانية كتبها كتّاب اشتغلوا في دواوين الرسالة الخاصة بالخلافة ، وكتبت لحاجة رسمية باســم الخليفة او من ينوب منابه ؛ وان هذه الرسائل كانت في اول امرها تملى على الكاتب املاءً ، ثم تطورت تطوراً بسيطاً فأعطيت للكاتب بعض حرية للتصرف في اختيار الاسلوب الملائم للموضوع المطلوب . وان الرسائل التي ندرسها في العصر الاموي كنماذج للرسالة ، ونسميها تجوّزاً رسالة ادبية ، هي في الواقع كتب رسمية يحاول بعض كتّابها ان يظهر بواسطتها مهارته الفنية في توجيه عبارتها وتنظيمها العام ؛ وهذا هو ما فعله عبدالحميد الكاتب ، ان كان قد قام فعلا بكل ما ينسب اليه . فقد يكون عبدالحميد كاتباً موهوباً لكنه كرّس قابلياته وموهبته لخدمــة الرســالة الديوانية ؛ والمصادر لا تذكر شيئاً عنه في كتابة الرسالة يخرج على نطاق الشكل

العام لها ، حتى وان كانت لعبد الحميد رسائل اخوانية خاصة تتدفق حيوية وعاطفة •

فابن خلكان يقول ان عبدالحميد قد مهد السبيل لكتابة الرسائل واتبعه في طريقته كتّاب الرسائل بعده « •••• وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في الترسّل •• وهو اول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده •• »[1] كما ينسب ابن خلكان الى عبدالحميد مجموعاً ضخماً من الرسائل يقول انها بلغت الف ورقة • وقد كان هذا الامر موضع نقاش ايضاً أداره الباحثون ، وأثاروا الشك حوله • والمهم أن ما وصلنا من رسائله لا يعدو بضع عشرة ورقة •

ويرجح البعض ان ابن المقفع كان اسبق من عبدالحميد في هذا المجال ، لكن صلة عبدالحميد بديوان الرسائل جعلته اشهر من سواه وجعلت الناس يقبلون على كتاباته ، فذاع صيته بذلك واشتهر[2] •

ومهما يكن من أمر فكل ما ينسب الى عبدالحميد في فن الرسالة لا يخرج على حقيقتين هما :

١ ـ ان الرسائل التي تخصص عبدالحميد بكتابتها هي رسائل ديوانية لانه نشأ في الديوان وتعلم أساليب الكتابة على أيدي كتّابه وانه سخّر جميع مواهبه الفنية في سبيل تطوير الرسالة الديوانية •

٢ ـ ان اهتمام عبدالحميد ينصبّ على (شكل) الرسالة ، وذلك لضيق مجاله في اختيار موضوعها او التصرّف فيه كما يشاء ، فيكون جهده منصبّاً على تحسين اسلوبها أو تطويره بقدر ما تسمح به موضوعاتها المعيّنة المحدودة •

ولا ينكر ان عبدالحميد قد كتب رسائل غير ديوانية ايضاً ،الا انها لا تخرج في اطارها العام عن الرسائل الاخرى ، بل هي قريبة منها حتى في نوع موضوعها ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات (مط السعادة) جـ٢ ص٣٩٤ •

(٢) محمد كرد علي : مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي (سنة ١٩٢٩) جـ٩ ص٥١٣ •

كرسالته الى الكتّاب او رسالته في الصيد او رسالته المشهورة الى وليّ العهد ـ وهي بلسان الخليفة ايضاً •

لقد اصبحت رسائل عبدالحميد منهجا لكتّاب الدواوين من بعده يجرون عليه ، وكلما مرّ الزمن زادت شخصيته اهمية عند هؤلاء الكتّاب حتى نجد انفسنا نواجه حقيقة تصبح امراً مسلّماً به عند الكتّاب المتأخرين ويتابعهم فيها بعدئذ دارسو النثر العربي ، تلك الحقيقة هي اعتبار الرسالة الديوانية نثراً فنّياً تدرس اصوله عند كتّاب الدواوين ، ولذلك فالدراسات النثرية تعنى بالرسائل الديوانية وبدراسة فواتحها وخواتمها وأشكالها •• الخ ، حتى العصور المتأخرة • ولابد ان بعض الباحثين في النثر الفني قد أحسّ بشيءٍ من التجنّي على مفهوم النثر الفني وهو يدرس هذه القوالب التي نسميها ـ تجوّزاً ـ فناً • لكن لا خيار للباحث في هذا وليس هناك من نماذج فن الرسالة الادبية غير الرسائل الرسمية ، وشيء لا يغني من الرسائل الاخوانيّة •

* * *

لكن الامر يختلف حينما نأتي الى عصر الجاحظ ، لان الرسالة عند الجاحظ تتخذ سبيلا اخرى ، وبهذا تنتقص الفكرة القائلة بأن المترسلين في الادب العربي هم كتّاب الرسائل الديوانيــة • ولعل الموقف الحازم الذي اتخذه الجاحظ من طبقة الكتّاب مظهر من مظاهر وعيه بهذه الحقيقة ، فكأنه ينقض هذا الوهم الذي اوشك أن يصبح ـ منذ عصره ـ تقليداً ملتزماً به • فليس الكاتب عند الجاحظ بالضرورة كاتباً في ديوان الرسائل أو كاتباً عند الخليفة ، وليست الرسالة وقفاً على كتّاب الرسائل الديوانية • ولذلك فالرسالة التي يقدمها الجاحظ لا تلتزم بقالب الرسالة المعروف ، بل تخرج عليه خروجاً جريئاً يدفع بهـا الى المجـال الادبي والفكري الواسع • وهكذا يخلق الجاحظ نماذج جـديدة تخرج الرسالة من مفهومها الضيق الى الافق العام الوسيع •

لم يعمل الجاحظ في ديوان الرسائل اكثر من ثلاثة ايام في زمن الخليفة

المأمون[٣] ، وما لبث ان ترك الديوان ليكون مؤلفاً وكاتباً يختار طريقته بحرية • لكنّ الجاحظ لا يكتفي بالبعد عن الديوان بل يشن هجوماً ساخراً على الكتّاب وأساليبهم وعلى طبيعة ثقافتهم الشخصية التي تمتاز ــ كما يرى الجاحظ ــ بالمظهر المعجب والمخبر التافه • ويلفت نظرنا ان الامثلة التي يأتي بها الجاحظ من الكتّاب ، شخصيات تعتبر من رواد النثر الفني ــ او في اقل تقدير فن الرسالة ــ عند اكثر دارسي أدب الرسالة • فسالم مولى هشام بن عبدالملك الذي تعدّه اكثر المصادر استاذاً لعبد الحميد الكاتب « كان اشدّ الناس غلطاً واضعفهم رأياً • وكان هشام يحضره فيسمع من ضعفه ويستميحه الرأي يهزأ به »[٤] •

اما عبدالحميد نفسه فقد « كان معلماً ، وبتحامله على نصر بن سيّار انتقضت خراسان وزال ملك بني مروان »[٥] •

اما ابن المقفع الكاتب المعروف فهو في غزارة علمه وكثرة روايته « كما قال الله عزّ ذكره ــ : كمثل الحمار يحمل اسفاراً ، قد أوهنه علمه وأذهله حلمه وأعمته حكمته وحيّرتْه بصيرته »[٦] •

فالجاحظ ينظر الى الرسالة نظرة جديدة تأخذ بحرية الاختيار أولا كما تأخذ نفسها بثقافة واسعة شاملة ، وكتّاب الرسائل الرسمية ــ في نظره ــ بعيدون عن هذا :

« •••• لا يحضر كاتب الرسائل لنائبة ولا يفزع اليه في حادثة فاذا أبرم الوزراء التدبير ووقفوا منها على التقدير ، طرحت اليه رقعة بمعاني الامر لينسق فيه القول ، فاذا فرغ من نظامه واستوى له كلامه احضر له محرراً فجلس في اقرب المواطن الى الخليفة وامتع المنازل من المختلفة فاذا انقضى ذلك فهما والعوام سواء »[٧] •

(٣) ياقوت : معجم الادباء (ط المأمون) جـ٦ ص٧٢ •
(٤) رسالة فى ذم اخلاق الكتاب : فى ثلاث رسائل (تحقيق فنكل) ص٤٧ •
(٥) المصدر نفسه •
(٦) المصدر نفسه ، ص٤٤ •
(٧) المصدر نفسه ، ص٤٩ •

وتنعكس نظرة الجاحظ بحرية الاختيار وسعة الثقافة في قولة له جاءت وهو في معرض الحديث عن التنويع في الادب والمعرفة ، اذ يميّز الجاحظ هنا بين صاحب العلم وصاحب الحرفة الذي يلتزم بنمط واحد من المعرفة ، فيقول :

« لأن النحوي الذي لا امتاع عنده كالنجار الذي يدعى ليعلّق باباً وهو أحذق الناس ، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له : انصرف . وصاحب الامتاع يراد في الحالات كلها »[8] .

وكم بين صورة هذا النجّار ، وكاتب الرسائل الذي ذكره الجاحظ في الفقرة السابقة من شبه !

ومع هذا فقد وردت اقوال للجاحظ في (بيانه) تدل على اعجاب بأساليب الكتّاب وطرائقهم ؛ وكأنّ الجاحظ ينقض رأيه بنفسه ، اذ يقول :

« قال ابو عثمان : أما أنا فلم أر قطّ امثل طريقة في البلاغة من الكتّاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعّراً وحشياً ولا ساقطاً سوقيّاً ...»[8] .

واظن ان تفسير هذين الموقفين هو في تفاوت درجات الكتّاب في عصره ، فقد دخل في الكتّاب جماعة وهم يجهلون اصول الكتابة حتى قيل عنهم : « الكتّاب قليل والمتسمّون بالكتّاب كثير ... »[10] .

يضاف الى ذلك ان الجاحظ كان يخشى ان تصبح الكتابة الديوانية مثالا يحتذى عند الناس ، وهي على حالٍ من افتقار في التنويع موضوعاً واسلوباً . الا ان ذلك لم يمنع الجاحظ ان يتشبه في اول حياته الادبية بمشاهير الكتّاب المعروفين كابن المقفع او سهل بن هرون ، فيكتب رسائله باسمائهم وينسبها اليهم ، لتذيع بين الناس وتشيع[11] . والسبب هنا واضح الا وهو اقبال الناس على هؤلاء لشهرتهم .

---

(8) البيان والتبيين : (ط. هرون) ، جـ١ ص ٤٠٣ .

(9) المصدر نفسه : جـ١ ص١٣٧ .

(10) عبدالله البغدادى : كتاب الكتاب المنشور فى مجلة :
B. E. O. vol. XIV (1952—4) :
ص١٢٨ ـ ص١٥٣ (دمشق)

(11) الجاحظ : ر. فى فصل ما بين العداوة والحسد : مجموعة الجاحظ (ط الساسى) ص١٠٨ ـ ١٠٩ .

لكن الجاحظ ـ وهو يستعين بثقافة واسعة ومتنوعة ، وبحرية في الاختيار ـ يخرج بالرسالة من نطاق الديوان الى مجال واسع من الاشكال والموضوعات التي لم يجرؤ كاتب سابق عليه في ادخالها في الرسالة • ورسائله خطوة كبيرة نحو فن المقالة الذي يشيع فيما بعد في الادب العربي •

وسأبين ـ قدر ما يسمح به المجال هنا ـ جانبين من جوانب هذا التطور في فن الرسالة عند الجاحظ ؛ هما :

١ ـ جانب لمضمون او الموضوع •

٢ ـ جانب الشكل أو الاسلوب •

* * *

المضمون أو الموضوع

ان أول ما يلفت نظرنا في العدد الضخم من الرسائل التي كتبها الجاحظ ، أنه لم يكد يترك موضوعا يخطر على بال دون أن يطرقه أو يدير حوله رسالته ، فقد كتب الجاحظ كتباً وكتب رسائل ولا تختلف رسائله من حيث طبيعة الموضوع عن كتبه الا بأشياء معلومة أهمها اقتصاره في الرسالة الواحدة على موضوع واحد في الغالب وعدم الميل الى الاستطراد كثيرا او الاطالة ، بينما كانت كتبه موساعات ادبية علمية ، يطرق في الكتاب الواحد اشتاتا من الموضوعات •

لقد ادخل الجاحظ الموضوعات العجيبة في مضمون الرسالة بجرأة يحسد عليها ، فلم تقتصر رسائله على الدين والفلسفة والاجتماع ، بل لقد حاول ادخال موضوعات هي من صلب فنون الشعر وموضوعاته ؛ حتى اذا جاء ليكتب في موضوعات طرقتها الرسائل قبله وعدّت من صلب عملها نجده يتفنن فيها تفننا ، فيخرج بها عن المألوف في كتابة الرسالة قبله • فهو يكتب ـ مثلا ـ رسالة في الشكر ، يقصد بها تقريض وزير المتوكل وشكر نعمه لديه ـ كما يقول القلقشندي(١٢) ـ فاذا به يخرج عن موضوع الشكر الى فلسفة الشكر ويصنّفه الى مراتب ويبحث في اصوله•

---

(١٢) صبح الاعشى (ط تراثنا) جـ١٤ ص١٧٣ •

أو يكتب رسالة في المعاد والمعاش الى محمد بن احمد بن ابي دؤاد فاذا به يفصل في امور تتصل بفلسفة المعتزلة وكأنه يكتب بحثا في الموضوع ؟ بل لقد أشار في الرسالة نفسها الى انه جمع مادتها من تصفح مصادر الاوائل ودراستها ، قائلا :

« ولم أزل ـ ابقاك الله ـ بالموضع الذي قد علمت من جمع الكتب ودراستها والنظر فيها ، ومعلوم أن طول دراستها انما هو تصفح عقول العالمين والعلم بأخلاق النبيين وذوى الحكمة من الماضين والباقين من جميع الامم وكتب اهل الملل ، فرأيت ان أجمع لك كتابا من الادب جامعا لعلم كثير من المعاد والمعاش اصف لك فيه علل الاشياء وأخبرك بأسبابها وما اتفقت عليه محاسن الامم .... »[١٣] .

فموضوع الرسالة واسع يصلح أن يكون في مقالة أو كتاب ، وهذا ما يمكن أن يقال عن اكثر رسائله التي بين ايدينا .

ان الامر الذي هيأ للجاحظ ان يفكر في هذه الموضوعات المختلفة المتعددة الجوانب ـ حتى في رسائله القصيرة فضلا عن كتبه الضخمة له اسباب ، من اهمها :

١ ـ اتصال الجاحظ بالحياة العباسية بجميع مظاهرها السياسية والاجتماعية والفكرية ، فتهيأ له الاتصال بشخصيات من العلماء والادباء ممن اختلفت مذاهبهم وآراؤهم في المسائل ، وكان لهم شأن في الخلافة العباسية . وكان اتصال الجاحظ بهؤلاء اتصالا شخصيا ، واتصال صداقة او منادمة ، او اتصال طاعة المرؤوس . ولقد كتب الجاحظ اكثر رسائله موجهة الى هؤلاء ، ولذلك نجده يجعل الرسالة وسيلة من وسائل عرض الفكرة ومناقشتها والنظر العميق في الامور . فيجتمع في رسائله موضوع المقالة الى اسلوب الرسالة .

٢ ـ ان الجاحظ معتزلي بميله وعقيدته ، والمعتزلة ترى طريق النقاش والجدل وسيلة للتوصل الى حقائق الامور . والجاحظ لا يفوت فرصة دون ان يستغل هذه القابلية في نفسه والى ابعد مدى . ولقد اتبع سبيل المحاورة

---

(١٣) ر . فى المعاد والمعاش ، مجموع رسائل الجاحظ (ط . كروس ـ الحاجرى) ص ٦ .

والخطاب ، حتى وان اضطره ذلك الى تخيل شخص يخاطبه او يوجه اليه كلامه .

ولقد صورت لنا بعض رسائله صورا حية لما كان يدور بين المعتزلة وخصومهم من مجادلات تفصيلية ، ولذلك يضعها بصيغة (قلنا له) و (قال لنا ..) كما فعل في رسالته الموسومة (في خلق القرآن) التي دار فيها الجدل بين المعتزلة وابن حنبل(١٤) .

وهذا يقودنا الى الحديث عن طبيعة تطويع الجاحظ لهذه الموضوعات .

٣ ـ الجاحظ بطبيعته وبميله اديب لا يلتزم طريقة معينة في الكتابة . وهو يتسامح مع نفسه في استعمال اي تعبير تقتضيه الفكرة التي يريد أن يؤديها ، وقلمه غزير مواتٍ لا يجبن امام الفكرة بل يطاوعها بمرونة مدهشة . ولقد حاول ابن المقفع قبل الجاحظ ان يخضع العبارة للفكرة ولم ينجح نجاحا تاما ، لان ابن المقفع تعلم لغتين كانتا تستويان في منزلتهما من ثقافته الشخصية هما الفارسية اولا ثم العربية . فكانت احداهما تدخل الضيم على الاخرى عند التعبير او الكتابة ، فصعب اسلوبه وكانت عبارته تسلك مسلكا وعرا تظهر فيها آثار الترجمة بوضوح . وكثيرا ما يلجأ ابن المقفع الى الاسلوب التعليمي المباشر الذي يؤدي به الى استعمال الامر والنهي في خطابه .

لكن ما فعله الجاحظ كان شيئا آخر . لقد استوعب الجاحظ شيئا عظيما من عناصر الثقافات الاجنبية ونقل وخلط بين مصادر عربية واجنبية ، فأدى ذلك الى غزارة في المادة وتنويع في الحديث دون أن يشوب عبارته شيء من لغة اخرى ، لأن الجاحظ ـ كما ارجّح ـ كان ينقل عن اصول مترجمة من قبل غيره في الغالب ، وقلّما يترجم بنفسه(١٥) . فاذا نظرنا الى عبارته نجدها تخرج على المألوف

(١٤) الجاحظ : رسالة في خلق القرآن في مجموعة عبيد الله بن حسان : المتحف البريطاني (Suppl. 1129) ورقة ١٢١ أ ـ ١٢٩ ب .

(١٥) ينقل الجاحظ احيانا شعرا بالفارسية او عبارات فارسية ويقوم بترجمتها الى العربية (البيان والتبيين جـ١ ص١٤٢ ـ ١٤٤) ولكن لا نستطيع مع ذلك ان ندعي المامه التام بالفارسية .

لانها مثقلة بالمعاني الغزيرة الناضجة ، وقد لا تفي عبارة واحدة بالمعنى فيضطر الرجل الى التكرار لكي يفي بحق تلك المعاني الجديدة على اللغة العربية ، وهذا ما جعله في كثير من الاحيان يكرر المعنى الواحد بألفاظ مختلفة أو عبارات متوازنة . فهو يقوم بشرح افكاره التي يجدها جديدة على الالفاظ والتعابير العربية .

ويقصد الجاحظ الى استغلال قابلياته العقلية في توجيه الخطاب في الرسالة ؛ لكنك لا تحس بتلك التعليمية التي تمتاز بالامر والنهي . وخير مثال على ذلك ، هذا الخطاب الذي يعاتب الجاحظ فيه محمد بن عبدالملك الزيات على غضبه عليه. فيبدأ بتعريف الغضب وأسبابه فيقول :

« .... ولولا ان الشيطان يريد الاّ يخلو من عمله ولا يقصر في عادته لما وسوس الى الغضبان ولا زين له ولا أغراه ولا فتح عليه ، اذ كان قد كفاه وبلغ اقصى مناه ... » .

وبعد حديث طويل في تحليل الغضب ودرجاته ، يقول :

« .. فلا تقف ــ حفظك الله ــ بعد مضيّك في عقابي التماساً للعفو عنّي ، ولا تقصّر عن افراطك من طريق الرحمة لي . ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ، ويعلم ان للعقل خصوما وللكرم اعداءً ، وان من النَصَف أن تنتصف لعقلك من خصمه وتنتصف لكرمك من عدوه ، وتُمسك امساك من لا يبرّي الهوى من الخطأ ؛ ولا تنكر لنفسك ان تزلّ ولعقلك أن يهفو ، فقد زلّ آدم عليه السلام وهفا ، وعصا ربّه وغوى وغرّه عدوّه وخدعه خصمه ... »(١٦) .

ولا تخفى الطبيعة الجدليّة ، والمقدّمات ونتائجها في هذا القول .

ورغم ان الجاحظ قد وجّه رسائله الى شخصيات معينة كالزيات وابن ابي دؤاد والحسن بن وهب ... الخ ، لكن يبدو كأنه قد قصد ان يضع هذه الرسائل لطبقة اكبر من الناس ؛ فموضوعاتها تصلح للمتعلم والمتكلم ، وكأن الجاحظ يتخذ

---

(١٦) الجاحظ : في الجد والهزل : مجموعة رسائل الجاحظ (كروس ــ الحاجري) ص٨٤ .

الرسالة وسيلة من وسائل عرض افكاره وقابلياته ، ولذلك لن نكون بعيدين جدا عن الصواب اذا قلنا بأن رسائله فتحت الطريق الى « فن المقالة » في الادب ، لأن موضوعاتها وطريقة عرضها تصلح لهذه الغاية .

على ان للجاحظ رسائل قد تشذ على كل مألوف في الرسالة او المقالة ولعل اغرب هذه الرسائل رسالته التي وجهها الى أحمد بن عبدالوهاب وهي (التربيع والتدوير) . فهي شيء فريد بين الرسائل الادبية لم يُسبق الجاحظ الى كتابة مثلها ، بل لم يلحقه احد في كتابة شبيه بها الا اذا نظرنا الى جانب السخرية والنقد فيها وفي كل من رسالتي ابن شهيد الاندلسي (التوابع والزوابع) أو ابي العلاء المعرّي (الغفران) .

فرسالة التربيع والتدوير جديدة في اسلوبها وموضوعها والقابليات التي تكشف عنها في كاتبها . فموضوعها ـ كما يدعي الجاحظ ـ هو رد الاعتبار للعلم والمعرفة من ادعاء المدعين ؛ لأن احمد بن عبدالوهاب الكاتب المعاصر للجاحظ قد ادعى لنفسه ما ليس لها فاضطر ذلك الجاحظ الى ان يكتب اليه هذه الرسالة يفضحه بأن يوجه اليه مسائل يعجز عن الاجابة عليها . فالرسالة هي عبارة عن جملة مسائل أثارت فضول الجاحظ وبعض معاصريه ؛ وقد أجاب الجاحظ نفسه على قسط كبير منها في اماكن مختلفة من كتبه ومؤلفاته . ولذلك نجده يفخر على احمد بن عبدالوهاب في الرسالة قائلا :

« وقد سألتك وان كنت اعلم انك لا تحسن من هذا قليلا ولا كثيرا فان اردت ان تعرف حق هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافة وما فيها محال ، وما فيها صحيح وما فيها فاسد ، فألزِم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي وابتديء بنفي التشبيه والقول بالبداء واستبدل بالرفض الاعتزال .. »(١٧)

اما الفن الذي طعم به الجاحظ النثر العربي في هذه الرسالة ، فقد كان معروفا كفنٍّ من فنون الشعر لا النثر ؛ واعني به فن الهجاء . ولست اظن كاتبا سابقا على الجاحظ قد تعرض لهذا الفن نثرا ، بل الشائع في الادب العربي ان

---

(١٧) التربيع والتدوير (ط شارل بيلا) ص٩٧ فقرة : ١٨٩ .

الهجاء فن من فنون الشعر • هذا فضلا عن ان الهجاء في هذه الرسالة يمتاز على الهجاء في الشعر العربي بالميل الى السخرية وتجنب السب والشتم المباشر الذي الفناه في ادب النقائض مثلا •

فالهجاء في هذه الرسالة يعتمد على افتعال المناقشة واظهار الاحترام الشديد الذي يدل على ضده ؛ وعلى الجمع بين المتناقضات التي لا يمكن ان تجتمع في مباديء العقل والمنطق ، لكي يتوصل عن هذه السبيل الى رسم صورة عجيبة تثير الضحك وتثير السخرية فتشويه الصورة الواقعية للمهجو تعتمد على هذا المبدأ ، وقد رأينا شيئا شبيها بهذا فيما بعد في هجاء ابن الرومي في الشعر العباسي •

فالجاحظ اذن قد فتح طريقا في الرسالة العربية لكي تتضمن شتى الفنون التي لم تعهدها من قبل ، كل ذلك باسلوب المخاطبة الذي نألفه عادة في كتابة الرسالة ، مما يوحي باستعانة الجاحظ قصدا بهذا الفن الادبي المعروف •

الاسلوب أو الشكل

لقد نُعتت مجموعة ضخمة مما كتبه الجاحظ من مقالات قصيرة بنعت (رسالة) • ولقد ظهر لنا في الحديث عن موضوعات هذه الرسائل انها لم تقتصر على صنف معين من الموضوعات ، بل طرقت كل موضوع ممكن • على ان هناك امورا تجمع بين رسائل الجاحظ والرسائل العامة اهمها انها توجه الى شخص معين ، ولذلك يقوم الجاحظ بكتابتها باسلوب خطابي يوحي بأنها كتبت موجهة الى شخص ما ؛ فضلا عن افتتاحها بالحمد والدعاء وختامها به ايضا • والحمد ليس من اسلوب الرسائل وحسب بل هو في مفتتح كل كتابة وفي اول كل مخاطبة ، ولذلك لا يمكن ان نخص به الرسائل فقط • وقد قال الجاحظ نفسه في ضرورة الحمد بأن الله قد جعله مستفتح كتابه وآخر دعوى اهل جنته[١٨] •

ومع ذلك لم يلتزم الجاحظ في كل هذه الامور قاعدة معينة ، فأول ما يلفت

(١٨) رسالة الجاحظ الى ابي الفرج الكاتب : رسائل الجاحظ (ط السندوبي) ص ٣٠٤ •

نظرنا ان فاتحة الرسالة عنده كثيرا ما تستخدم كوسيلة للتعريف بالموضوع ، وكأنها عنوان او تلخيص للرسالة التي يقدمها[19] .

وقد يعدل الجاحظ بالدعاء عن جهته التي يُقصد به اليها ويستعمله لغايات اخرى ، كما فعل في مخاطباته لاحمد بن عبدالوهاب في رسالة التربيع والتدوير ، اذ جعل الدعاء في اكثر ذكره له وسيلة لتوكيد سخريته . فهو يلهج بالدعاء مع السخرية ليزيد من أثرها ، فيقول مثلا :

« قد ـ والله ـ عافانا الله بك وابتلى وانعم بك وانتقم ؟ فترحا لمن زهد فيك ، وسقيا لمن رغب اليك ، وويل لمن جهل فضلك بل الويل لمن انكر فضلك ! . انك ـ جعلت فداك ـ كما لم تكن فكنت فكذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت في الدهر الطويل فكذا تنقص في الدهر الطويل ، اذ كل طويل فهو قصير ، وكل متناه فهو قليل ، فاياك ان تظن أنك قديم فتكفر ، واياك ان تنكر انك محدث فتشرك ! »[20] .

أو يقول مثلا :

« .. قد وجدتك ـ جعلت فداك ـ خفت ان تكون ابن صائد ورجوت ان تكون الدجال ، ولعلك دابّة الارض ! وما أدري لعلك شوشي ولست بحمد الله الخضر .. »[21]

أو يقول :

« .. وليس حسنك ـ ابقاك الله ـ الذي تبقى معه توبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد... هو ـ اعزّك الله ـ شيء ينقض العادة ويفسخ المنّة .. »[22]

وهكذا يمضي الدعاء في الرسالة على هذا المنوال في مناسبات لا تحصى ، وهذا الدعاء لا يزيد السخرية الا شدة .

---

(١٩) أمثلة في ر. في بني امية ، أو في الجد والهزل . أو المعاد والمعاش . أو التربيع والتدوير وغيرها .

(٢٠) التربيع والتدوير ص ٤٠ ـ ٤١ ، الفقرة : ٧١ .

(٢٢) المصدر نفسه ص٣٧ . الفقرة : ٦٥ .

(٢٢) المصدر نفسه ص٦٠ . الفقرة : ١٠٧ .

لقد كتب الجاحظ كثيرا من رسائله في سبيل الرد على آراء الفرق المختلفة ، وهو - وان وجهها الى شخصيات من رجال الدولة العباسية - أراد بها مجموعا اكبر من الناس - كما قلت سابقا - . ولذلك فاسلوب المحاججة والجدل هو الاسلوب الذي يختاره الجاحظ لهذه الرسائل ، وقد يوجه الجاحظ الحجة الى خصم معين ، فيعرض رأي ذاك الخصم اولا ، ثم يرد عليه بحجج المعتزلة التي يذهب الجاحظ مذهبها . وقد طغى هذا الاسلوب على الرسائل التي وجهها الى الخلفاء العباسيين ، سواء كانوا ممن يؤيد الاعتزال - كالمأمون أو المعتصم - أو ممن ينقضه كالمتوكل . فرسالته في الرد على النصارى توجه الى المتوكل وكأن المتوكل قد فصل للجاحظ في ذكر حجج النصارى في كتاب سابق ، ولذلك يكرر الجاحظ في الرسالة قوله (وذكرتم انهم قالوا - اي النصارى -) أو (وزعمتم انهم قالوا ..) أو (وسألتم عن قولهم ...)[٢٣] .. واكثر رسائله في الفرق لها هذا الطابع الجدلي .

ومع ذلك لا نستطيع ان نلزم الجاحظ باسلوب معين في جميع رسائله ونكون على حق في هذا التعميم . فقد امتاز - قبل كل شيء - بحرية واسعة في الاختيار ، ولذلك فالموضوع أو الفكرة هي التي تملي عليه اسلوبه بالدرجة الاولى . ولذلك تجيء بعض رسائله وكأنها شعر منثور ، تضاهي الشعر العربي . فهذه رسالته في مدح النبيذ تحوي وصفا للخمر قد لا نجده الا عند أشهر شعراء الخمر ممن شربها واختص بوصفها ، يقول في وصف النبيذ :

« .. فان القدح الثاني أسهل من الاول ، والثالث أيسر والرابع الذ والخامس أسلس والسادس أطرب الى أن يسلمك الى النوم الذي هو حياتك أو أحد أقواتك . ولا خير فيه اذا كان اسكاره تغلبا وأخذه بالرأس تعسفا حتى يميت الحس بحدته ويصرع الشارب بسورته ويورث البهر بكظته ولا يسري في العروق لغلظته ولا يجري في البدن لركوده ولا يدخل في العمق ولا يدخل في الصميم ،

(٢٣) ر. في الرد على النصارى : ثلاث رسائل (فنكل) : ص١١ . ص١٢ . ص٢٥ .. الخ .

ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويداعبه ويخادعه فيسره ثم يهسرّه ، فاذا امتلأ سرورا وعاد ملكا مجبورا خاتله السكر وراوغه وداراه وماكره وهازله وغانجه ..[٢٤] » .

ثم يعود الى تفضيل النبيذ على سواه من الاشربة وتظهر هنا قابلية مدهشة على الوصف والتشبيه الذي لا يقبل بالقريب الظاهر بل يذهب الى المعاني اللطيفة في العقل . وله طريقة جميلة في التشبيه يستعمل فيها فعل (أخذ) بدلا من ادوات التشبيه المعروفة ، يقول :

« .. وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها وخصال غيرها . وشرابك هذا قد أخذ من الخمر دبيبها في المفاصل وتمشيها في العظام ولونها الغريب ، وأخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار وحمرة خدك اذا خجلت ، وصفرة لونك اذا فزعت وبياض عارضيك اذا ضحكت ، وحسبي بصفاتك عوضا من كل حسن وخلفا من كل صالح .. »[٢٥] .

وهذا احتيال على المدح عجيب ... !

اما سخرية الجاحظ وروح الفكاهة والدعابة في اسلوبه فحدث عنها ولن تلام . فمنها دعابة خفية وتعريض ظريف ، ومنها صريحة جريئة . وقد نجد شيئا من مداعباته خلال الاحاديث والنوادر التي تنقل عنه ، لكن ما نجده في ثنايا اسلوبه من كتبه او رسائله لا يعوض بالروايات التي تروى عنه . وخير مثل هذه الخاتمة الظريفة لهذه الرسالة التي يخاطب فيها الحسن بن وهب الذي كان قد أهدى اليه شيئا من نبيذه ، يقول :

« .... وأنا رجل من بني كنانة ، وللخلافة قرابة ولي فيها شفعة . وهم بعد جنس وعصبة . فأقل ما أصنع ان أكثرت لي منه [اي من النبيذ] أن أطلب الملك ، وأقل ما يصنعون بي أن أنفى من الارض . فان اقللت فانك الولد الناصح. وان اكثرت فانك الغاش الكاشح ، والسلام »[٢٦] .

---

(٢٤) ر. في مدح النبيذ . رسائل الجاحظ (ط السندوبي) ص ٢٩٠ .
(٢٥) المصدر نفسه .
(٢٦) المصدر نفسه ص٢٩١ .

الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية

بقلم : الدكتور محسن جمال الدين
استاذ الادب الاندلسي المساعد كلية الآداب

بطولــة وأمجــاد :ــ

لا يستطيع الباحث المحقق ، بما يجده من فيض زاخر لتراث الاندلس العربي ، ان يصل الى اعماق ذلك الخضم الواسع الآفاق ، المترامي الاطراف ، من الثقافة العربية ، في تلك الديار ، نظرا لما ضمت آثاره من تراجم موفورة ، واخبار متنوعة ، واحاديث متضاربة ، عن أحوال الاندلس ، وما احاط تاريخها الفكري ، والادبي ، والاجتماعي ، من تناثر وضياع .

ومن أراد ان يكشف عما خفي من كنوزها في زوايا مصادرها المطبوعة والمخطوطة ، لاصابته الدهشة ، لما يلمسه من تزاحم اسماء الذين درسوا العلم وحصدوا من ثماره ، في داخل بلادهم او خارجها[1] . ثم وجب عليه ان يتعرف على أحوال العلماء البناة في أسس مجدها الثقافي . والذين كانوا الطلائع الاولى من المغامرين بأرواحهم ، وأموالهم ، والذين عاش بعضهم ، في ضنك العيش ، ولوعة الفراق ، ومرارة البعد ، ومتاعب الطريق !! يوم ان ركبوا البحار ، وقطعوا القفار ، وسارت قوافلهم تغذ السير قدما ، نحو منابع الثروة الفكرية الانسانية . فقصدوا مواطنها بصبر ، واناة ،وتضحية ، واقدام ، وشجاعة . وحماسة !! وشدوا نطقهم للهجرة ورآء حدود آفاق وطنهم عبر البحر المتوسط ، او صحارى افريقية ، او رمال البادية والجزيرة . وصلوا جبال (فارس) وغابات (الهند) واسوار (الصين) وقباب (بخارى)

(١) راجع / المكتبة الاندلسية .B.A.H التى نشرها (قديره) Codera وغيرها من كتب التراجم : شرقية ، أو اندلسية للتدليل على هذا القول.

و (سمرقند) وثلوج (سيبريا) • دون ان يعرفوا السأم ، او ينالهم الوصب أو يرجعهم شوق الاهل والديار ، عن مقاصدهم السامية !!! (٢)

الدروب والنهج التى سلكوها :ـ

كانت الدروب والنهج التى سلكوها في السفر الى المشرق العربي العربي مختلفة الاتجاهات متباينة الوسائل والوسائط • اكثرها مسلكا هو طريق البر عبر مجاز (جبل طارق)(٣) (او الجزيرة الخضراء)(٤) أو (جزيرة طريف) (٥) في سفن شراعية تقصد (سبتة)(٦) على الساحل الافريقي أو (القيروان)(٧) التونسية • ومنهم من يتجه بحرا صوب جزيرة (ميورقة)(٨) وشقيقتيها (منورقة) و (اليابسة)(٩) • او تسير بعض سفنهم نحو (صقلية) او (كريت) ومنها يقطعون البحر المتوسط قاصدين (الاسكندرية) كما ورد بعض هذا النهج في رحلة (ابن جبير الكناني)(١٠) الاندلسي الغرناطي • وقد حدد لنا هذا الرحالة الاندلسي المدة الزمنية التى مضت على رحلته

---

(٢) في رحلة (ابي حامد الغرناطي) ، وفي مشاهدات (ابن جبير) و (ابن سعيد المغربي) ما يثبت هذه البطولات العربية .

(٣) جبل طارق ـ او الذي سمي بعد ذلك باسم جبل الفتح . لان احد خلفاء بنى عبدالمؤمن الموحدي . بنى مدينة عليه . عام سنة ٥٥٦ ووصفته الشعراء ـ وهو أول جبل وصل اليه الفاتح طارق بن زياد وسمي باسمه حتى اليوم في جميع اللغات المعروفة .

(٤) الجزيرة الخضراء : وتسمى جزيرة ام حكيم ـ اقرب مدن الساحل مجازا الى العدوة راجع / الروض المعطار ص / ٧٥ •

(٥) جزيرة طريف : وهي التى نزل عليها (طريف) البربري مولى موسى بن نصير بحملة صغيرة عام سنة ٩١ هـ • تقع على الساحل الاسباني راجع / الروض المعطار ص/١٢٧ •

(٦) سبتة مدينة في المغرب العربي ـ مقابل جبل طارق والمسافة بعرض (١٦ كم) ومنها تجهز طارق بحملته الى الاندلس سنة ٩٢ هـ • راجع / المنجد ط ١٨ ص/٢٤٦ •

(٧) القيروان : مدينة في تونس ـ بناها عقبة بن نافع سنة ٦٠٧ م كانت مدينة صناعية ، ومحطة للقوافل بلغت مجدها في عصر الاغالبة . راجع / المنجد ص /٤٢٦ •

(٨) جزيرة ميورقة : جزيرة اسبانية قريبة من برشلونة فتحها المسلمون سنة ٢٩٠ هـ •

(٩) ميورقة واليابسة ـ بالقرب من مدينة برشلونة راجع الروض المعطار

(١٠) ابن جبير : رحالة اندلسي توفى بمصر سنة ٦١٤ هـ •

وهو في طريقة للمشرق ووصوله لميناء (الاسكندرية) • فكانت ثلاثين يوما • اي خلال شهر كامل • منذ ان فارق أرض وطنـه ، من (جزيرة طريف) حتى وصوله أرض مصر[11] • ويبدو للباحث ان هذه الرحلة كانت طويلة الزمن ، متشعبة المسالك • والسبب في ذلك يعود كما يظهر لاشتداد ازمة الحروب الصليبية ،وهجمات فرسانها وقرصانها ، في البر والبحر ، في منطقة الشـرق العربي الاسلامي •

وربما تتفاوت المدة الزمنية لقطع المسافات طولا او قصـرا ، سرعـة وابطاء ، ويعود ذلك لما يحيط المسافر نفسه احيانا من صحـة ، ومرض ، او من امان ، وخطر • أو قد تلذ له الاقامة في البلد الجديد لبضعـة ايام ، أو يغادره لتوه •

دوافـع الرحلـة :

للرحلـة التي يقـوم بهـا المسـلم الاندلسـي خاصـة ، أسـباب متعـددة لهـا صـلة وثيقـة بطـابع الحضـارة العربيـة الاسـلامية ، التي امتدت سيادتهـا يومذاك على دنيـا المشـارق والمغـارب • ولعـل للدين نفسه ولتعاليمه الكريمة ، الاثر المباشر في ازدياد الرحلات الاسلامية خلال العصور الوسطى • لان الدين يدعو الى المعرفة ، ولان القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الاعظم (ص) كلها تدعو لطلب العلم ، وفرضه على المسلمين والمسلمات وتجعل للعلماء منزلة سامية محترمة مرموقة ، هم موضع الاحترام والتبجيل !![11]

قال المرحـوم الدكتور زكي محمد حسن في كتابـه القيـم (الرحالة المسـلمون في العصور الوسـطى) «••• والحـق ان ازدهار الحضـارة الاسلامية ، وسيادة المسلمين في البر والبحر ، وطبيعة الدين الاسلامي ، كل ذلك من شأنه ان يشجع على الاسـفار والرحـلات ••»[12] « وطبيعي ان تكون الرحلات والاسفار من اول السبل لطلب العلم في تلك العصور»[13]

(11) راجع / رحلة ابن جبير ـ ط 1 / بغداد ـ ص/2 ، 6 .

(11) لم أرغب الاكثار من سرد الايات الكريمة ، والاحاديث الشـريفة . ففي القرآن الكريم ، واحاديث الرسـول (ص) المثبتـة في كتب الحـديث المشهورة ما يغنى عن الاستشهاد .

(12) راجع / الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ـ للدكتور زكي محمد حسن ط 1 /ص/6

(13) المصدر السابق ص/6 .

ويأتي على رأس كل الدوافع الرحلة الى (حج بيت الله الحرام) وزيارة قبر رسوله الكريم (ص) • والاماكن المقدسة التي تجاور الحرمين الشريفين •

ويمكننا ان نوجز اهم الدوافع لقيام المسلمين الاندلسين للرحلة الى المشرق ، على ضوء المصادر التى اشارت الى ذلك • واهمها :ــ (١٤)

١ ــ دوافع الدين والاخوة العربية والمعتقدات •

٢ ــ دوافع اللغة والفكر والثقافة وطلب المعرفة •

٤ ــ دوافع النزهة والاطلاع على الشؤون الادارية ، والزراعية ، والتجارية، والسياسية ، والسفارات •

٥ ــ دوافع الاضطهاد الفكري والديني • كما حدث للمسلمين العرب يوم ان تساقطت مدنهم بيد الاسبان واضطروهم للتنصر ، وجعلوا لهم محاكم التفتيش • وفي (نفح الطيب) والكتب المؤلفة في اللغات الاجنبية والعربية ما يشير الى ذلك ويقرره (١٥) •

ان طالب العلم المسلم اينما سار وحيثما وصل يجد العون الصادق في رعايته ، والحدب عليه ومد يد المساعدة لشخصه • بالرغم عن الحدود الوهمية التي أحدثتها السياسة • والتي حطمتها قوى المحبة والروابط الاخوية والدينية(١٦) • واستطاعت فتوحات العرب المسلمين ان تجعل الدولةالاسلامية في وحدة تامة ، وفي نطاق واحد محكم • لم تستطع الاحداث ان تفرقة أو تفصم من عراه قال مقدم رحلة (التطيلي) :ــ (١٧)

« فكان المسلم حيثما تنقل داخل حدود هذه المملكة يجد نفسه بين اخوان له • يظله ما يظلهم من دين ويسرى عليه ما يسرى عليهم من شرع

---

(١٤) راجع / رحلة بنيامين التطيلي ــ ط ١ / بغداد ــ ترجمة عزرا حداد المقدمة ص/١٠ وما بعدها .

كما يراجع / بحث الاستاذ الباحث الدكتور حسين مؤنس عن الجغرافية والجغرافين في الاندلس ــ مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ج ٧+٨ ص / ١٩٩ وما بعدها .

(١٥) راجع / محاكم التفتيش للاستاذ الباحث محمد عبدالله عنان .

(١٦) راجع / رحلة بنيامين ط ١ / بغداد ص/١٢ وما بعدها .

(١٧) راجع / المصدر السابق ص/١٢ وما بعدها .

كما يراجع / الفصل المختصرة عن (التأثيرات المشرقية في الاندلس ومدى اثرها في تكون الثقافة الاندلسية) للاستاذ الباحث الدكتور محمد علي مكي / مجلة معهد الدراسات الاسلامية / مدريد ج / ٩ + ١٠ ص / ٤٩٤ .

وعرف وعادات .

« وانما القى عصى الترحال من (اصبهان) و (بغداد) شرقا ، و (القاهرة) و (غرناطة) غربا ، وجد الجامع الذي يؤدي فيه فريضة الصلاة ، والرباط الموقوف على ايوائه واطعامه اذا جاع والمدرسة التي يتلقى فيها علوم الدين والدنيا ، والمارستان الذين يعالجه اذا ما لم به مرض . » [18]

ان العائلة العربية المسلمة في الاندلس كانت تجد لزاما عليها ان تدعوا ابناءها للتزود بزاد العلم والمعارف وتحثهم على التغرب والسفر والرحلات في سبيله ، والاستفادة من طلب الحديث واصول الفقه ودراسة العربية . وفي النصوص الاندلسية الباقية لدينا نجد بعض (الوصايا) امثال وصية (الباجي) وابن (سعيد) و (ابن الخطيب) . [19] منها جاءت نثرا ومنها وردت شعرا .

قال الباجي في الدعوى الى طلب العلم . « والعلم سبيل لا يفض بصاحبه الا الى السعادة ، ولا يقصر به عن درجة الرفقة والكرامة ، قليلة ينفع ، وكثيره يعلى ويرفع ، ولا يخاف عليه سارق ولا محارب فاجتهدا في طلبه ، استعذبا التعب في حفظه ، والسهر لدرسه ، وكل ذي ولاية وان جلّت ، وحرمة وان عظمت ، اذا خرج عن ولايته ، أو زال عن بلدته ، اصبح من جاهه عاريا ، ومن حاله عاطلا غير صاحب العلم . » [20]

اما (ابن الخطيب) الذي قارن بينه وبين (الباجي) الدكتور هلال فقد قال لابنائه : [21] .. « واعلموا ان بالعلم تستعمل وظائف هذه الالقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب ، .. والعلم هو السبيل في الآخرة الى السعادة ، وفي الدنيا الى المخلة عادة . والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره

(18) راجع / (تاريخ الادب الجغرافي العربي) للمستشرق الروسي (اغناطيوس كرانشكوفسكي) — ترجمة الاستاذ صلاح الدين عثمان هاشم ط ١ / الخرطوم ج ١ + ٢ .
ففيه تراجم وملاحظات ودراسات قيمة حول الرحلات والرحالة العرب في العصور الوسطى حتى القرون المتأخرة .

(19) راجع / البحث الطريف . وصية القاضي (ابي الوليد الباجي) لو لديه تحقيق وتعليق الاستاذ الدكتور جودة عبدالرحمن هلال / مجلة المعهد المصري مجلد / ٢ ص / ١٧ .

(20) راجع / المصدر السابق ص/٢٥ .

(21) راجع / المصدر السابق ص/٢٥ وص/٢٦ — كما يراجع (نفح الطيب) في ترجمة (ابن سعيد المغربي) وقصيدته التى أوصى بها ابناءه . ج/٣ ص/٢٩ وما بعدها .

ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ولا يبتزه الدهر اذا نال ، ولا يستأثر به البحر اذا هال • من لم ينله فهو ذليل ، وان كثرت آماله ، وقليل وان جم ماله • »

رواد ومغامرون :ـ

لم تتعرف ـ مع لاسف ـ حتى اليوم على هوية الرائد الاول من الاندلسين الذي زار المشرق طلبا للعلم واخذا من الثقافة العراقية العربية • ويرجح ان اسباب ذلك يعود الى فترة الولاة التي امتدت من ٩٢هـ ـ ١٣٨هـ (٧١١ م ـ ٧٥٦ م) حيث كانت فترة حروب مستمرة ، وقلق دائم للحكم والحكام • هذا وعلاقة الاندلسين بالعراق الذي لم تتكون فيه الحضارة العباسية والمدارس العلمية • الا بعد سنة ١٣٢ هـ في سقوط الدولة الاموية • مع ميل الاندلسين أنفسهم للشام ، ومركز الخلافة الاموية بدمشق ، جعل روادهم الاوائل ، لم يتوجهوا الى العراق الا نادرا • وكانت غالبية رحلاتهم العلمية تقصد (مصر) والشام • لوقوع الديار المصرية في طريقهم ولمحبتهم للارض السورية التى خرجت منها قوافلهم الاولى ، فاتحة ، وغازية ، ومحررة •

ولكن الدكتور حسين مؤنس ـ اشار الى بعض الزيارات التي قام بها بعض المسيحيين الزائرين الى المشرق عامة ، ودخول بيت المقدس ومما ذكره الدكتور مؤنس • نقلا عن المؤرخ سيمونيت Simonet قوله « ومن طريف ما يلاحظ ان نصارى الاسبان انتهزوا فرصة دخولهم في طاعة الدولة الاسلامية لكي يذهبوا الى بيت المقدس للحج ••• ولكن يبدو ان عدد هؤلاء الحجاج النصارى لم يكن كبيرا • » (٢٢)

اما بشأن حصة اهل العراق من الفتح العربي للاندلس فقد كانت حصة صغيرة من الطلائع الاولى للاجناد ، سكن بعضها في (غرناطة) والآخر في (اشبيلية) • ولكن من المفاخر المتميزة لتاريخ الحكم العربي في الاندلس أن (موسى بن نصير) القائد الحاكم صاحب الفكرة الاولى للفتح العربي هناك ، هو عراقي المنبت يرجع سكنى قبيلته واسرته الى (عين التمر) • والامير الشاعر (المعتمد بن عباد) واسرته المعروفة ينتسبون الى لخم بن عدي بن

(٢٢) راجع / فجر الاندلس • للدكتور حسين مؤنس ط ١ / ص/٥٠٧ •

الحارث بن مرة • وهم من ولد النعمان ابن المنذر صاحب (الحيرة) • [٢٣]

ان هؤلاء العراقين من الفاتحين الاولين لم تظهر لهم صفات متميزة عن غيرهم لان الاغلبية الكبرى من الشاميين الذين لهم الولاء والميل للامويين ، ويتبعهم من جنــود فلسطين ، والاردن ، واليمن ، ومصــر ، هذا ولم تبرز شخصيتهم الاجتماعية والعلمية ، الا لهجــرة (زرياب) [٢٤] (والقــالي) و (الموصلي) • ولكل من هؤلاء اثره •

فالاول : اختص بالناحية الفنية والطراز المعاشي والاجتماعي •

والثاني : بنشر الثقافة العلمية ودراسة آثار العرب الفكرية ، والمعارف العراقية •

والثالث : نشر جوانب الروح الفكاهية ، والادب الظريف ، والشمائل البغداديــة •

ان أول التاركين للاندلس والمتوجهين للمشرق بعد فتح البلادهـــم (موسى بن نصير) و (طارق بن زياد) و (مغيث الرومي) • وكان هؤلاء من قادة البلاد البارزين ، واصحاب النصيب البارز من التضحيات والفداء • حملوا الغنائم والخيرات (القوطية) من اسبانيا • قاصدين (دمشق) • مركز الخلافة الاسلامية يومئذ عام سنة ٩٤ هـ المصادف (٧١٢) م • أيام الوليد بن عبدالملك •

وقد امتدت المدة الزمنية لطارق وموسى بن نصير • وهما القــائدان البارزان في الاندلس ، على الوجه التالي • كمــا دونهــا بقائمــة الدكتور مؤنس [٢٥] •

---

(٢٣) يراجع / جمهرة انساب العرب لابن حزم . وفجر الاندلس للدكتور مؤنس ج/١ ونفح الطيب للمقري ج/١ ص/٢٧٧ ط ١ .
ويراجع / تاريخ الاندلس السياسي والاجتماعي . للدكتور حموده ص/٦٩ ط ١ . وفي دواوين : ابن دراج ، وابن زيدون ، وابن حمديس ما يشير الى نسبة المعتمد واسرته للخمين .

(٢٤) زرياب المغني البغدادي (توفى ٢٣٠ هـ ــ ٨٤٥ م) راجع دراستنا عنه في (ادباء بغداديون في الاندلس) . ص/٤٠
ابو علي القالي البغدادي (توفى ٣٥٦ هـ ــ ٩٦٧ م) راجع دراستنا عنه في (ادباء بغداديون في الاندلس) ص/١٢ .
صاعد الموصلي البغدادي (توفي بصقلية سنة ٤١٠ هـ) راجــع دراستنا عنه في مجلة كلية الآداب ــ بغداد العدد/٦ سنة ١٩٦٣ ص/٢٦٥ .

(٢٥) راجع / فجر الاندلس ط ١ ص/٦١٢ .

١ ـ طارق بن زياد
من رجب ٩٢ هـ ابريل ـ مايو ٧١١ م
الى رمضان ٩٣ هـ يونيو ٧١٢ م

٢ ـ موسى بن نصير
من رمضان ٩٣ هـ يونيو ٧١٢ م
الى صفر ٩٥ هـ اكتوبر ـ نوفمبر ٧١٣ م

علاقة الاندلس بالمشرق :ـ

هذا وفي غضون التاريخ الأندلسي ، نجد بان الديار الاندلسية لم تقطع الصلة يوما بديار المشرق عامة والشام والحجاز ومصر والعراق خاصة • فمنذ وطأت جيوش العرب أرضها عام ٩٢هـ/٧١١ م • لم تنس يوما انها وليدة تلك الام التي ارضعتها من نمير لغتها ومنحتها قبسا من روح دينها ، واعطتها جانبا من حنان امومتها • لان الاندلسين هم مشارقة في السمات والشمائل ، وهم عرب في اغلبيتهم الساحقة[٢٦] • الا ان زيهم قد اصابه التبدل ولسانهم قد حلت به الامالة ، والرطانة العامية • ولكنهم ظلوا اوفياء امناء على لغة القرآن الكريم • يصونونها ، ويحترمونها ، ويقدسونها ويتدراسونها ، ويؤلفون فيها شرحا وتفسيرا • وبيانا ، وفقها • ونحن نورد بعض النماذج لما ورد في هذا الشأن كما جاء في كتاب (النفح) للمقري[٢٧] قال : ـ « اما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التميز • فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ويربا بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس ، لان هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ، ويحال عليه • ويثنيه قدره وذكره عند الناس • ويكرم في جوار او ابتياع حاجة • »

ثم اردف قوله ـ وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقه رونق ووجاهة ، ولا مذهب لهم الا مذهب مالك •• سمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم

---

(٢٦) في وصف بلاد الاندلس ـ الاجتماعية ـ وفي زي اهل تلك البلاد يراجع / نفح الطيب ج ١ / ط ١ ص/٢٠٦ ، ٢٠٧ واول (الباب الاول) من الكتاب .

(٢٧) راجع / نفح الطيب ـ ج ١/ ص/٢٠٥ وما بعدها .

الذي يريدون تنويهه بالفقيه ، وهي الان بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم أرفع السمات . »

اما عن اهتمامهم بالنحو ، وانحراف كلامهم فقال :ـ [٢٨] .. « والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزاد مع هرم الزمان الاجدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه . »

مع ان كلام اهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه ارضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام (الشلوبيني) ابي علي[٢٩] المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقريء درسه لضحك بل فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ، والخاص منهم ، اذا تكلم بالاعراب واخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مرعى عندهم في القرآت والمخاطبات بالرسائل وعلم الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم ، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل . » ولما استقام عودهم ، ونضجت مداركهم ، وتوسعت آفاق معارفهم حاولوا الاستقلال بالادب بالنسب ، وسرد المكارم ورفع القيود التى كانت تشد بماضيهم القديم واصلهم الكريم . معتمدين على الحاضر ، ومشيدين للمستقبل . وهم بهذا قد اضعفوا مقاومتهم تجاه عددهم ، وكشفوا عن اخطائهم عند خصومهم. ولقد اشار الدكتور الاستاذ احمد هيكل في كتابه[٣٠] قوله « على أن من اهم خصائص الاندلسين من الناحية النفسية ، ذلك الاحساس الذي يكاد يكون مركب نقص عاناه الاندلسيون لسبب وضعهم من المشارقة فالمشارقة

---

(٢٨) راجع / المصدر السابق ص/٢٠٦ .

(٢٩) هذا نص مهم لدراسة الحياة الفكرية والادبية في الاندلس ولكن انحراف اللسان عند بعض علمائهم ليس عموما فيهم . ولعل في اختلاطهم بالامم الاخرى وازدواجية اللغة وتعدد اللهجة في محيطهم سبب في هذا الانحزاف .

(٣٠) رراجع / الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ط ٢ ص/٦٢ وما بعدها .

كما يراجع / الذخيرة لابن بسام ج/١ القسم الاول . وقلائد العقيان لابن خاقان ـ ومطمح الانفس كذلك . والمغرب في حلى المغرب ـ لابن سعيد

كانوا في مهد الثقافة الاسلامية وبلادهم منبع اللغة العربية ، واقاليمها مصدر الاتجاهات الادبية • فكل شيء عقيدي أو عقلي أو فني يظهر اولا في المشرق ويأخذ منه المشارقة ما يشاؤن ، ثم يفد بعد ذلك الى الاندلس • » ويورد الدكتور هيكل بعض النقاط الاخرى التي جعلتهم يتميزون عن أهل المشرق ومنها : تعصبهم للدين وتعصبهم للنحو ، وتعصبهم للأدب التقليدي • وهكذا نرى ذلك الاحساس بالنقص امام المشارقة كان يدفعهم الى كل ما يلاحظ في حياتهم من تقليدية في الدين والثقافة والادب • » • وعلل وجود البيئة النائية ، والاصل المولد ، والمجتمع المختلط ، والرخاء الاقتصادي ، والتطور الزراعي ، والصناعي • والتجاري • في انها سبب في اقبالهم على الثقافة وتعلقهم بالأدب ، واقتنائهم للكتب • ومن هنا كان المجتمع الاندلسي مجتمعا مثقفا متأدبا • » (٣١)

أما في مجال الانتفاضات السياسية وتعلق بعض الاندلسين بالعباسين ابناء العراق فيبدو ذلك في ثورة (العلاء بن مغيث اليحصبي) عام ١٤٦ هـ المصادف سنة ٧٦٣ م • ضد (عبدالرحمن الداخل) وقد حمل الثائر اليحصبي ، الراية العباسية ، وحارب (الداخل) • غير ان هذه الثورة لم يتحقق نجاحها ، وقتل قائدها ، وارسلت (الراية السوداء) مع رؤوس الثائرين الى سرادق (المنصور) العباسي ، وهو يحج في مكة المكرمة • وخص صاحب (النفح) هذا الموضوع بحديث طريف ، واشار فيه الى مقارنة المؤرخ (ابن حيان) الاندلسي بين (المنصور العباسي) و (الداخل الاموي) • وغالى بعض المؤرخين المتقدمين وتبعهم من المتأخرين بخوف (المنصور) وارتياعه من (الداخل) بعد فشل ثورة اليحصبي وأورد قول الخليفة العباسي « الحمد لله وقطع البر والبحر ، واقام ملكا قد أدبر وحده • »

---

(٣١) راجع / كتاب الدكتور هيكل المصدر السابق ص/٦٢ وما بعدها وص / ٦٤ . وقد اعتمد المؤلف على المؤرخ الاسباني بلنشيا Palancia في تاريخه (اسبانيا المسلمة) . ص/١٣٦ الصادر في (برشلونة) سنة ١٩٤٥ .

(٣٢) راجع / تاريخ الاندلس السياسي والاجتماعي ــ للدكتور حموده ص/١٢٠ ونفحح الطيب ج/١ ص/٣١٠ وما بعدها .

نحن نميل الى القول بان في (حكاية المنصور والداخل) وخوف الاول العباسي ــ من الاموي ــ جانبا من المغالات والدعاية الاندلسية .

ولم تكن النفوس الاندلسية ، بناسية اصلها المشرقي • فقد ظل الدعاء للخليفة العباسي قائما الى ان حصلت ثورة (العلاء اليحصبي) ضد الداخل الاموي ولم يجرأ الحكام الأندلسيون بتسمية أنفسهم بامراء المؤمنين• والتلقب بألقاب الخلافة الى ان ضعف الجانب العباسي السياسي ، وقام عبدالرحمن الناصر الاندلسي (٣٠٠ هـ ــ ٣٥٠ هـ) المصادف (٩١٢ م ــ ٩٦١ م) •

ويقابل هذا عنفوان الخلافة العباسية وقوة حلفائها من البناة الاوائل امثال (المنصور) و (الرشيد) و (المأمون) • وقد اورد (المقري) حديثا طريفا عن (هرون الرشيد) قال : « لما حضر بين يديه بعض اهل المغرب قال الرشيد : يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب • فقال الرجل : صدقوا يا امير المؤمنين ، وانه (طاووس) فضحك أمير المؤمنين الرشيد ، وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره • » [٣٣]

ان مراكز الحضارة العربية كما اورد المستشرق (اغناطيوس كراتشكوفسكي) كانت في الاندلس محصورة في الجنوب وكانت (قرطبة) اول مراكزها وتكاد تكون أمجدها • » يقابل ذلك (بغداد) وما فيها من مفاخر علمية ، وثقافية ، وحضارية • قال الدكتور الاستاذ (احمد عبدالستار الجواري) في كتابه (الشعر في بغداد) :ــ « وصفوة القول انه اجتمع ببغداد في تلك الايام ما لم يجتمع لغيرها من المدن فكان جمالها الطبيعي وعناصر الحضارة التي توافدت عليها من مناطق شتى ووفرة الاموال والارزاق فيها كل اولئك مكن لها ان تصبح مركز العلم والادب والحضارة فوق انها كانت مركز الخلافة الاسلامية في ازهى عصورها وانضر ايامها • » [٣٤]

ان ابناء العروبة من الفاتحين الاولين • كانوا يحملون في قلوبهم ، وفي جنبات صدورهم ، وفي طيات اذهانهم الثقافة العربية القديمة باشعارها

---

(٣٣) راجع / نفح الطيب ج/١ ص/٢٢٨ ــ ويطلق المشارقة غالبا على ابناء الاندلس باسم (المغاربة) ــ لان قطر الاندلس يعتبرونه جزءا من المغرب ــ وقد سموا (ابن سعيد) الغرناطي مثلا (بالمغربي) وفي ايراد هذه الحكاية طرافة ومعنى .

(٣٤) راجع / الشعر في بغداد ــ حتى نهاية القرن الثالث الهجري ــ للدكتور احمد عبدالستار الجواري ــ ط ١ / ص/٤٦ .

كما يراجع / دراسات في تاريخ الادب العربي ــ للمستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي ــ ص/٥٠ و ص/٧٢ وما بعدها .

الجاهلية والاسلامية ، وفي هذه الاشعار القصائد التي تشيد بالعزة والكرامة ، وبالفتوحات والغزوات وبالبطولة والفروسية وقال عنهم المستشرق الروسي (اغناطيوس) :ـ

« فالعرب عند فتوحاتهم حملوا معهم الى كل مكان ما كانوا يتناقلونه من شعر جاهلي وكانوا في كل مكان ينشئون شعرا محليا يمكن الحكم على طبيعته اذا قسناه على حركات الفتح في الاقطار العربية الاخرى التي وصلت الينا عنها معلومات اكثر . » (٣٥)

وهو يشير في حديثه عن (انتقال العلم والشعر الى اوربا) وعن تقليد (اسبانيا العربية) اي (الاندلس) بالخلافة العباسية حيث قال : « ان وحدة اللغة العربية والثقافة في جميع البلدان العربية اثرت تأثيرا شديدا في الآداب العربية ومعانيها واغراضها واساليبها فكانت هذه الآداب متشابهة في شرق الخلافة وغربها ففي (اسبانيا العربية) كانوا يقلدون اداب الخلافة العباسية الى حد طمست معه النزعة المحلية حتى قال احد نقاد العراق في القرن العاشر بعد ان اطلع على (العقد الفريد) لابن عبد ربه «هذه بضاعتنا ردت الينا»(٣٦).

بلاد واوطان

قمنا باحصائية صغيرة استطعنا فيها أن نتبين ما وصلت اليه اقدام الاندلسين ، والبلاد التي حلوا فيها ، والاوطان التى سكنوها . وهي تختلف طابعا ، ولغة ، ومناخا ، وحياة اجتماعية ، عن بلادهم ومسقط رؤوسهم : ـ

---

(٣٥) راجع / دراسات في تاريخ الادب العربي ص/٩٨ .

(٣٦) راجع / المصدر السابق ص/٧٢ ـ والقول عن كتاب (ابن عبد ربه) المتوفى (٣٢٨ هـ) انما هو (للصاحب بن عباد) يوم ان وصل اليه (العقد) واستشهد بالاية الكريمة .

راجع / عن ابن عبد ربه والشعر الاندلسي والتقليد لشعر المحدثين المشارقة / تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ـ للاستاذ الباحث الدكتور احسان عباس ط ١ ص/٩٣ .

من قارة افريقية : ـ

بلاد المغرب
تونس
تلمسان
مصر
الاسكندرية
السودان
مالي
اطرابلس
القيروان
سبته

من قارة اوربا : ـ

البلغار
الصرب
الفولجا
البلقان
سردينيا
صقلية
النمسا
هنغاريا

من آسيا : ـ

مكة المكرمة
المدينة المنورة
جده
بيت المقدس
العريش
دمشق
حلب
حماه
حمص
بغداد
الموصل
البصرة
الكوفة
واسط
اربل
الاهواز
خراسان

اصبهان
فارس
اليمن
عدن
نيسابور
سجستان
غزة
عسقلان
طبرية
بيروت
صيدا
صور
الرملة
قيسارية
الفرما
القلزم
زبيد

بلخ
بخارى
سمرقند
الصين
الهند
هراة
مرو
خوارزم
مازندران
ارجان
سنجار
تلعفر
الخزر
دينور

ومن الطرائف المروية عن (ابي حامد الغرناطي) المتوفي بدمشق سنة ٥٦٥ هـ ـ المصادف سنة ١١٧٠ م الذي وضع اللبنة الاولى في تاريخ الادب الجغرافي كما يقول المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي في مؤلفه الشامل[٣٧] بان ولده (حامد) قد اقام في (هنغاريا) وتزوج ببسيدتين ، من اهل تلك البلاد واقام بها نهائيا ، وهو يمتلك منزلا •

ان تربة الوطن العربي ضمت في حناياها اجداثا طاهرة من كبار علماء الاندلس • والذي يقرأ ويراجع كتب الرجال والتراجم يجد اسماء متعددة • ضمت اجسامها ، الاضرحة والقبور ، في (بغداد) ، و (الموصل) و (البصرة) و (اربل) و (واسط) و (الكوفة) • ناهيك بما دفن منهم في (مصر) و(فلسطين) و (الاردن) و (اليمن) و (الحجاز) و (القدس) • وغيرها من الاقطار المجاورة للبلاد العربية •

وكان بعضهم يؤلف كتبه في العراق • كما فعل (الحميدي) في تأليفه لكتابه (جذوة المقتبس) [٣٨] و (ابن دحية) في كتابه (النبراس) في تاريخ خلفاء بني العباس [٣٩] وغيرهما من المؤلفين !!

ولقد بلغ عدد شيوخ (وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري) الاندلسي السرقسطي ـ الف (١٠٠٠) شيخ ومحدث وفقيه • لقيهم في رحلته وتوفي بدينور سنة ٣٩٢ هـ • وألف كتاب (الوجازة ، في صحة القول بالاجازة) • وروى عنه ابو ذر الهروي ، وعبدالغني الحافظ « وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين • رحم االله تعالى الجميع • »[٤٠] وكانت لهم مناظرات ، ومحاضرات ، ومراسلات • مع كبار الشعراء العراقين ، والادباء

---

(٣٧) راجع / تاريخ الادب الجغرافي ج ١ /ص/٢٩٥ ، ٢٩٦ .و (ابو حيان الفرناطي) الاندلسي . مؤلف كتاب (تحفة الالباب ونخبة الاعجاب) ترجمة (فيران) المستشرق الفرنسي . وقد تم تصنيف الكتاب (بالموصل) من مدن العراق الشهيرة . بتوصية من العالم الصوفي (الاربلي) وقد اشار في كتابه هذا عن (النفط) !!

(٣٨) راجع / دراستنا عن (الحميدي) وكتابه (الجذوة) في العدد /٨ من كلية الاداب ـ بغداد . ولا يغرب عن بالنا كتاب (المغرب في محاسن اهل المغرب لليسع بن عيسى الغافقي المتوفي في القاهرة سنة ٥٧٥ حيث الفه للسلطان صلاح الدين الايوبي .

(٣٩) راجع / النبراس ـ الذي حققه ونشره الاستاذ المحامي عباس العزاوي ـ بغداد ط ١ / سنة ١٩٤٦ .

(٤٠) راجع / نفح الطيب ج/٣ ص/١٤٠ ط ١ .

المعروفين (فابن سعيد المغربي) الغرناطي المتوفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ دخل (بغداد) بعد سنة ثمان واربعين وستمائة (سنة ٦٤٨ هـ) • لقي في حضرة (السلطان الناصر الايربي) الذي ألف له (المغرب في حلى المغرب) و (المشرق في حلى المشرق) والذي كان يلقبه (بالبلبل) ، لقي الشهاب التلعفري ، وابن نجيم الموصلي ، والشرف بن سليمان الاربلي (٤١) •

وكان بعضهم يتكلم بالسنة شتى ، وبلغات(٤٢) ولهجات مختلفة كابي حيان الشاعر الفقيه المفسر العالم (الغرناطي) • وأبي بكر محمد بن بن عبدالله النبتي • الذي ساح في الارض ــ كما ترجمه (المقري) والبعض منهم تولى المراكز العلمية الكبيرة والمناصب المرموقة • كابي مروان عبدالملك بن زهر الايادي • الذي تولى رياسة الطب في (بغداد) • ثم بمصر ثم القيروان ــ وكان يحفظ شعر ذي الرمة • وتوفى هذا العبقري في بلدة (دانية) الاندلسية سنة ٥٩٥ هـ (٤٣) •

ولقد بلغ شغفهم بجمع الكتب والمؤلفات النفيسة ، عند قيامهم برحلاتهم العلمية ان ابا عبدالله محمد بن عبدالله السلمي (المرسي) من القرن السادس الهجري « كانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث انه لا يستصحب كتبا في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه • » (٤٤)

هذا ويتصور الانسان اليوم كم هي المسافات الطويلة التى قطعها أولئك العلماء ، وكم هي الدروب الخطرة التي سلكها اولئك الباحثين عن الحقيقة !! فالمرسي صاحب تلك الكتب • قدم من ميناء (مرسية) ووصل الى نيسابور ، وهراة ومرو وخراسان !!!

وذكر مقدم (رحلة ابن بنيامين) التطيلي في مقدمته نقلا عن (المقدسي) بان البلاد الاسلامية في تلك العصور لم تكن تقطع من شرقيها الى غربيها باقل من عشرة أشهر !!

---

(٤١) راجع / نفح الطيب ج/٣ ص/٣٨ وما بعدها .
(٤٢) راجع / نفح الطيب ج/٣ ص/١٢ نشر مختارات من شعره الزميل الاستاذ الدكتور احمد مطلوب ١٩٦٦ .
(٤٣) راجع / المصدر السابق ج/٣ ص/١٣ ومن الذين درّسوا ودرسوا بالمدرسة (النظامية) ابو عبدالله محمد بن عبدالله السلمى (المرسى) المولود بمرسية (سنة ٥٧٠ هـ) .
(٤٤) راجع / نفح الطيب ج/٣ ص/١٠ .

ولا يخفى على المدرك بعد المسافات ، ونأى الحدود ، بين المماليك الاسلامية في عصورهم السحيقة . وهم لم يعتمدوا على أب ، ولا ثروة ، وجاه ونسب . بل تراهم يشتغلون ويعملون ويسهرون . كما فعل العالم الاندلسي الشهير (الباجي) ابو الوليد . في بغداد . اذ كان يدرس نهارا ويحرس ليلا وكما عمل (ابو بكر محمد بن احمد المالقي الخزرجي) الذى كان يخيط الثياب ، وهو بن نجار فقير [٤٥] . وقد توفي سنة ٦٥١ هـ وكان استاذه في القرآات السبع والنحو (الشلوبين) . المتوفي سنة ٦٤٤ هـ .

ومن اولئك ايضا من ضحى بنفسه ، وقتل شهيدا غريبا كما قتل (ابو عبدالله محمد بن سليمان الزهري الاشبيلي) الذي قدم بغداد سنة ٥٩٠ هـ . وعمره ثلاثون سنة وذهب الى اصبهان وبلاد الجبل وقتلته أيدي التتار السفاحة السفاكة في عام سنة ٦١٧ هـ .

وقتلت هذه الايدي الآثمة (أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن احمد بن علي بن سعيد (العنسي) أبو القاسم الغرناطي ــ فقد في (اصبهان) حين استولى عليها التتار قبل سنة ٦٣٠ هـ [٤٦] .

وكان شعارهم في طلب العلم وحفظه هو قول (ابي عمر الداني) عثمان بن سعيد الاموي القرطبي :ــ قال :ــ ما رأيت شيئا قط الا كتبته ، ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته . » [٤٧] .

منزلة الاندلسين عند المشارقة والقابهم :ــ

من زار مصر ووصل الاسكندرية يجد آثارا للاندلسين ، واسماء لقبورهم . وتطالعه اسماء (المرسي) [٤٨] و (ابن جبير) كما حققه المرحوم البحاثة (شيخ العروبة) واذا نعطف نحو (دمشق) لوجد قبر الصوفي الكبير (محي الدين بن عربي) عند سفح (جبل قاسيون) يجاوره فقيه اللغة العربية ومن أئمتها الكبار الذي لا زال علمه يدرس في (ألفيته) الى اليوم في المشارق والمغارب ، جمال الدين ابو عبدالله محمد بن مالك الجياني المالكي

(٤٥) ج/٢ ص/٤١١ .
(٤٦) راجع / نفح الطيب ج/٢ ص/٤١٣ و ج/٣ ص/٨ .
(٤٧) راجع / نفح الطيب ج/٢ ص/٣٣٥ .
(٤٨) المرسي (هو احمد بن عمر) ابو العباس . تلميذ ابي الحسن الشاذلي توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ وله كرامات مشهورة عندهم راجع/النفح ج/٢ ص/٣٨٩ (اما ابن جبير) فقد مرت علينا ترجمته .

المولود بجيان سنة ٦٠٠ هـ والمتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ هـ • ومن حقق في اماكن (بغداد) و (الموصل) • لوجد مدافن (الحميدي) و الازدي (القرطبي)[٤٩] • وغيرهم •• وكانت لابناء الاندلس منزلة محترمة عند خلفاء وملوك وسلاطين المسلمين في البلاد الشرقية • وفي المجتمعات العلمية • ولدى الآئمة الكبار •

وهذه اخبار الامام مالك (رض) والامام احمد بن حنبل (رض) والامام الشافعي (رض) واجتماعهم بتلامذتهم الاندلسين • وقد اخذوا رئاسة العلم في (المدينة المنورة) و (مكة المكرمة) و (دمشق) و (حلب) و (القاهرة) ، وبعض مدن (المغرب) • و (اليمن) • واصبحوا أئمة في كبريات المساجد ، والجوامع ، والمدارس • كالنظامية ، والمستنصرية ، في العراق والعادلية في دمشق •

ذكر (المقري) ان المؤرخ (شمس الدين) ابن (خلكان) كان يشيع (جمال الدين) ابن (مالك) الاندلسي الى بيته تعظيما له[٥٠] •

واطلقت على بعضهم ألقاب وكنى ، متعددة جمعنا بعضها ، ومن هذه

(اثير الدين) ــ لابن حيان النحوي الغرناطي

(جمال الدين) ــ لابن مالك النحوي الجياني

(رضي الدين) ــ لابي عبدالله محمد الانصاري

(رشيد الدين) ــ لابي محمد عيسى بن سليمان الرعيني

و (البلبل) ــ لابن سعيد المغربي[٥١]

انفتاح الاندلس لثقافة المشرق : ــ

كانت الفترة التي سبقت قيام الحكم الاموي في الاندلس والتي امتدت من سنة ٩٢ هـ ــ الى سنة ١٣٨ هـ • فترة انتقال واضطراب ، ومشاحنات . ضحاياها اكثر من فوائدها • وفي مهزلة مقتل (عبدالعزيز بن موسى بن

---

(٤٩) الازدي القرطبي ابو بكر يحى بن سعدون الملقب بضياء الدين المتوفي بالموصل سنة ٥٦٧ هـ .

(٥٠) راجع / نفح الطيب ج/٢ ص/٤٢١ .

(٥١) راجع / نفح الطيب ج/٣ ص/١٣٦ ، ص/١٤١ و ج/٣ ص/٢٩ هذا ولا يخفى بان الاندلسين . كانوا يلقبون ويكنون كبار شعرائهم وكتابهم بالقاب مشهوري المشرق . كبحتري المغرب ، ومتنبي المغرب ، وصنوبري المغرب ولم يكتفوا بذلك بل اطلقوا اسماء المدن والاماكن باسماء شرقية .

نصير) ومأساة وضع (الولاة) ما يعطينا صورة جلية لهذا العصر القصير الزمن ـ المتضارب النزعات القبلية من (قيسية) و (يمانية) ، ومن (عرب) و (بربر) ومن (شامين) و (بلدين) ومن (موالى) و (مولدين) ، وغيرهم ،من مختلف الاجناس واللغات[٥٢] . يضاف الى ذلك حروب بين الفاتحين المسلمين والاسبان المسيحين[٥٣] ، ونظرة البغضاء والخوف من قبل سكان البلاد الاصليين . ويصفه الدكتور (هيكل) بانه مجتمع « مفكك قلق » !!

أما عن شؤون المعرفة والثقافة في هذا الدور فلم يكن الا بذور ضعيفة، وغرسات صغيرة . يمثلها التابعون والصحابة . امثال موسى بن نصير ، وعلي بن رباح ، وحنش الصنعاني وعباس بن عقبة الفهري . وكانوا بمثابة الهداة للجنود ، والمرشدين لهم في قضايا الدين ، وشؤون الاحكام . وتوزيع المغانم ، وتحديد الضرائب ، وتخطيط المساجد ، وتفقيه الناس .

ويسيل (المقرى) و (الاستاذ هيكل) الذي اعتمد عليه في ان هؤلاء اسسوا اوائل المدارس الاندلسية . حين أنشئت اوائلها في قرطبة ، واشبيليه . وان عنايتهم كانت متوجهة نحو تدريس كتاب الله وسنة رسوله (ص) وبلغة القرآن والحديث . »[٥٤] وقد بعث (عمر بن عبدالعزيز) (رض) الخليفة الاموي بدمشق بعشرة من التابعين الى افريقية لتفقيه الناس[٥٥] .

ومن الرافدين على الاندلس في حياة حكم الاوائل من الولاة . الشاعر (ابو الاجرب جعونة بن الصمة) الهجاء . وهو عندهم بمنزلة الشاعرين

---

(٥٢) كان سكان الاندلس مكونين من عناصر شتى . الاصليون هم المسمون (بعجم الاندلس) والوافدون . من المشرق خاصة يسمون باسم البلديين وهم جماعة (موسى بن نصير) ومن جاء بعدهم يسمون باسم (الشاميين) راجع / الادب الاندلسي ـ للدكتور احمد هيكل ط / ٣٧ وانظر كذلك اخبار مجموعة ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية .

(٥٣) راجع / ص/٦٨ من المصدر السابق ـ الدكتور هيكل .

(٥٤) راجع / الدكتور هيكل ص/٧٠ وما بعدها ونفح الطيب ج/٢ ص/٥١ .

(٥٥) راجع / المصدر السابق ص/٧١ ورياض النفوس للمالكي ج/١ ص/٦٤ كما اشار (صاعد الاندلسي) في كتابة (طبقات الامم) الى اهتمام اهل الاندلس لعلوم الدين واللغة حتى توطيد حكم الامويين .
راجع / المصدر السابق هامش ص/٧١ وصاعد / ص/٦٢ .

(جرير) و (الفرزدق) • وقد سأل ابو نواس بعد مدة من الزمن عنه وثمن شعره عندما اجتمع بالشاعر الاندلسي (عباس بن ناصح) •

ونحن لم نر من شعره الآن ما يدلل على هـذه المنزلة !!

وهناك الشاعر المسمى عندهم (بعنترة الاندلس) وهـو الوالي (أبو الخطار حسام بن ضرار) القحطاني دخل الاندلس سنة ١٢٥ هـ ــ ٧٤٢ م • وكان شاعرا فارسا[٥٦] • وفي مأساة تاريخ الاندلس ضاعت منـا كثير من النصوص والاخبار المتعلقة بهذه الفترة •

اما عن خصائص ومميزات شعر هذا الدور « فليس له من الاندلسية الا انه قيل في الاندلس ، شعر محافظ جاء مع الفتح وبعده مماثل لشعر أعلام الشعر الاموي • يعني بجزالة اللفظ ، وفخامة العبارة ، مع بساطة الفكرة ، وتدني الخيال • يميل الى البداوة • ويتقرب الى الخشونة • لبداوة الناس ، وعصبياتهم القبلية ، وقلة حضارتهم ، وسذاجة ثقافتهم [٥٧] •

اما ميدان (النثر) فلا يختلف عن شقيقـه الشعر ، وان تميز عنـه بالايجاز ، وقوة العبارة ، وقلة المقدمات الطويلة ، والالقاب العديدة »ومن كتابه وناثريه وخطبائه : موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ويوسف الفهري • والكاتبان خالد بن يزيد ، وأمية ابن زيد [٥٨] •

أما الفترة الثانية ــ وهي فترة عهد الامارة ــ التى امتدت من دخول (الداخل) عبدالرحمن الى قيام الناصر من سنة ١٣٨ هـ ــ الى سنة ٣٠٠ هـ المصادف سنة ٧٥٦ م ــ ٩١٢ م فقد تميزت بالهـدوء والاستقرار والقضاء على الارستقراطية ، والعصبية القبلية وبالانشاء والتعمير ، وبناء المسـجد الجامع الكبير بقرطبة ، وتشيد المبـاني الواسـعة ، والقصور الشامخـة ، والحدائق الفينانة • بالاضافة الى بروز شخصية المرأة ، ادبية ، ومغنيـة ، وحليلة • مع زيادة عدد اللاجئين من الامويين المضطهدين من العباسين ، او العناصر الناقمة والثائرة في المدينة ، والعراق وسورية ومصر ، على الحكمين العباسي ، والفاطمي ولم تشوه صفحة هذه العصـر الا ثورات المولـدين

---

(٥٦) راجع / هيكل ص/٧٢ و ص/٧٣ ــ وجذوة المقتبس ص/١٨٨ وبغيـة الملتمس ترجم برقم /٦٨٦ وتاريخافتاح الاندلس لابن القوطية ص/١٨،١٩ .

(٥٧) راجع / هيكل ص/٧٥ .

(٥٨) راجع / الادب الاندلسي من الفتح ــ الى سقوط الخلافة للدكتور هيكل ص/٧٧ وما بعدها .

وثورة (الربض) على الحكم بن هشام الذي حكم من سنة ١٨٠ هـ ــ ٢٠٦ هـ المصادف (٧٩٦ م ــ ٨٢٢ م)[٥٩] وامتازت في عهد (الداخل) بعودة الطلبة الاندلسين من المشرق ، وكانوا هؤلاء يمثلون الفوج الاول • من الناهلين من ثقافة البلاد المشرقية • وخاصة من حملة مذهب الامام مالك (رض) امام دار الهجرة في المدينة المنورة • وكتابه الموطأ • ومنهم :

١ ــ الغازي قيس ٢ ــ ابو موسى الهواري ٣ ــ عبدالملك بن حبيب ٤ ــ يحي بن يحي الليثي ٥ ــ وزياد بن عبدالرحمن « وكلهم من العلماء الكبار الذين يمثلون الجيل الاول من اهل الثقافة الاندلسية • »[٦٠] وبفضل هؤلاء الطلبة انتشر (المذهب المالكي) وتلاشى مذهب الامام عبدالرحمن الاوزاعي (رض) الذي دخل مع الطلائع الاولى من الفاتحين الشاميين خاصة لان الامام الاوزاعي منهم وهم منه •وبعناية ورعاية (الداخل) كثر اتباع الامام مالك وبهمة تلامذته وعلى رأسهم (يحي بن يحي الليثي) • ووافق هذا المذهب طبيعة ابناء الاندلس الذين لا يرغبون التفريع ، والفلسفة ، والكارهين للمنطق • والمتمسكين باهداب النصوص[٦١] •

اما الشعر :ــ فكان يحذو خط المشرق في ملامحه الاولى وله (الاتجاه المحافظ) القديم • ويمثله الشاعر (ابو المخشى)[٦٢] والخليفة (الحكم بن هشام) ــ وجده (عبدالرحمن الداخل) • و (عباس بن ناصح)[٦٣] و (حسانة التميمة)[٦٤] وبكر بن عيسى وابو الحسين التميمي ، وغريب

---

(٥٩) راجع / المصدر السابق ص/٨٦ وما بعدها .

(٦٠) راجع / تاريخ الادب الاندلسي ــ لهيكل ص/٩٠ وما بعدها . ونفح الطيب للمقري ج/٢ ص/٣٣٦ .

(٦١) راجع / المصدر السابق ص/٩٢ وما بعدها . (وتاريخ ابن الفرضي) ج/١ ص/١٨١ .

(٦٢) ابو المخشى ــ الشاعر . هو عاصم بن زيد العبادي ويتصل نسبه بنصارى الحيرة في العراق . وقد جرت عليه مأساة بسمل عينيه لانه مدح سليمان بن عبدالرحمن (الداخل) اعتبره اخوه (هشام) تعريضا به . فسمل عينيه و (قطع قطعة من لسانه) وهشام حكم من (١٧٢ هـ ــ ١٨٠ هـ) .

(٦٣) عباس بن ناصح ــ شاعر ثقفي . من الجزيرة الخضراء . زار المشرق مع والده ولاقى (ابا نواس) الشاعر البغدادي المعروف .

(٦٤) حسانة التميمة الشاعرة : بنت الحسين الشاعر من مدينة البيرة. وفدت على الحكم ابن هشام (١٨٠ ــ ٢٠٦ هـ) .

الطليطلي ، وابن هبيرة [٦٥] .

ويعزي بعض الناقدين ــ محافظتهم الشعرية في طرقهم للموضوعات التقليدية كالفخر ، والحماسة ، والمدح والهجاء ، والغزل . وسيرهم على الاسلوب القديم في صور الشعر الجاهلي في ذكرى الصحارى ، والنوق ، والكثبان ، والجاذر ، الى تمسكهم باهداب تراث الآباء والاجداد من الاوائل . والبيئة العربية . كما يقول الاستاذ (هيكل) في الاندلس هي أشبه بالبيئة الشرقية ــ عند تكوينها الاول . وقد استشهد بحالة الادب الامريكي اللاتيني . وصلته باسبانيا الام . لما فيه من رواسب اسبانية قديمة ، اذا جردناه منها لم تبق له قيمة » [٦٦] .

اما خير شاعر يمثل الاتجاه الاندلسي في (عصر الامارة) فهو (ابو المخشى) له سمات اندلسية خاصة في الشعر ، مع محافظة على الطابع المشرقي المحافظ ، والذي ظل مسيطرا على الحياة الشعرية في الاندلس لفترة طويلة »[٦٧] .

ولم يتغير طابع (النثر) في عصر الامارة عما هو عليه في المشرق من حيث المضمون ، والصورة، والخصائص . ومن اشهر الناثرين كتابا وخطباء. عبدالرحمن الداخل والحكم الربضي ، من الامراء الخطباء . وفطيس بن عيسى ، وخطاب بن يزيد ، وحجاج العقيلي من الكتاب[٦٨] .

اما (التجديد) وحركته في الاندلس في نواحي الشعر والنثر فقد ظهرت نشطة قوية ، عاملة باحثة في حركة دفعها اتصال الاندلسين بالمشرق ، وزيارة المشارقةِ من العلماء للمغرب والاندلس . ومن اشهر هؤلاء النقلة المشرقين .

ابراهيم بن احمد الشيباني البغدادي . الذي لقي الجاحظ ، والمبرد ، وثعلبا ، وابن قتيبة من الادباء ، وابا تمام والبحتري ودعبلا وابن الحكم من الشعراء ، ونقل اشعارهم . وسليمان بن وهب واحمد بن طاهر من الكتاب

---

(٦٥) راجع هيكل ص/١٢٥ والدكتور احسان في كتابه عن الاندلسي ص/٣٣ وما بعدها .

(٦٦) راجع / هيكل ص/٩٩ .

(٦٧) راجع / تاريخ الادب الاندلسي ــ الدكتور هيكل ص/١١٧ والدكتور احسان عباس ص/٣٤ .

(٦٨) راجع / المصدر السابق ص/١٢٦ وما بعدها .

وزار القيروان والمغرب ووفد على الامير محمد الاموي في قرطبة (سنة ٢٣٨ هـ ـ ٢٧٣ هـ) المصادف (٨٥٢ م ـ ٨٨٦ م)[٦٩] ثم جاءت الشخصيات البارزة من العراق ، حاملة نصوص الادب الجاهلي ، والاسلامي ، والعباسي • ومظاهر الحياة الاجتماعية وترفها ومدنيتها ـ متمثلة في شخص (ابي علي القالي) البغدادي (وزرياب البغدادي) الذي وصلها سنة ٨٢٢ م ـ ومات فيها سنة ٨٥٧ • وخلف عائلة مرموقة الجانب ، كريمة الشخصية ، سعيدة الحياة • أثرت في الفن والشعر ، واطوار المعيشة وطرقها ، والغناء ومدرسته [٧٠] •

الاندلسيون الاوائل ، والعلوم والآداب
التي ادخلوها ونقلوها لبلادهم : ـ

لا نستطيع ان تحصي اسماء جميع من زار المشرق ، وتعلم في مدارسه ، ونقل آثاره العلمية والادبية ، في هذه الدراسة ، بل سنفرد بحثا مطولا ، او كتابا مستقلا • غير اننا الآن نقدم البارزين منهم ونذكر الجانب المهم من الثقافة التي حملوها واختص كل واحد بها ، واهتم بنقلها •

أ ـ حملة العلوم الشرعية

١ ـ الفقه والحديث :ـ

أول من ادخل مذهب الامام مالك (رض) الى الاندلس هما يحى بن يحى الليثي ، وزياد بن عبدالرحمن اللخمي المعروف بشبطون[٧١] • كما ان اول من ادخل كتاب (الموطأ) لمالك (رض) هو الغازي بن قيس في عهد عبدالرحمن الداخل [٧٢] وكذلك ابو موسى الهواري ، كما ادخل بقى بن مخلد فقه الامام الشافعي (رض) •

---

(٦٩) راجع / الدكتور هيكل ص/١٤٠ وما بعدها .
(٧٠) راجع / دراستنا عن زرياب في (ادباء بغداديون في الاندلس) والدكتور هيكل ص/١٣٦ وما بعدها والدكتور عباس ص/١٧ و ٣٨ وما بعدها . وسلسلة محاضرات ـ في ادب الاندلس وتاريخها للمستشرق ل . بروفنسال ط / ص/٦ وما بعدها .
(٧١) راجع / نفح الطيب ج/٢ ص/٢٥١ وهيكل ص/٩٢ وما بعدها .
(٧٢) راجع / طبقات النحويين واللغويين ـ للزبيدي ط ١ /ص/٢٧٥ وص/٢٧٦ .

٢ ــ حملة علوم اللغة : ــ

اول من ادخل كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي هم ثابت النحوي وابن قاسم ومنذر بن سعيد البلوطي • وبقي بن مخلد ومحمد بن وضاح[٧٣] • كما ادخل ابو موسى الهواري • مؤلفات الاصمعي وابي زيد الانصاري ، وتبعه في حمل هذه المؤلفات الغازي بن قيس • ثم جاء دور العالم الاندلسي (جودي النحوي) الذي لقى الكسائي والفراء وغيرهما • وهو اول من ادخل كتاب الكسائي في النحو • ثم جاء دور (محمد بن موسى النحوي) الذي شرح كتاب سيبويه ونشره في الاندلس • وكذلك (حمدون النحوي) قال عنه (الزبيدي) في طبقاته : « وهو في العربية والغريب والنحو الغاية التى لا بعدها غاية • »[٧٤] وكان بعضهم يحفظ كتب اللغويين العراقيين ويشرحها امثال (ابو الحسن مفرج بن مالك النحوي) • الذي شرح كتاب (الكسائي) • ومنهم من لازم كتاب (سيبويه) كاحمد بن يوسف بن عمير ، ومحمد بن موسى بن يزيد •

٣ ــ حملة القرآت : ــ

اول من اهتم بدراسة القرآت (الغازي) بن قيس الذي شهد تأليف مالك للموطأ • وقد ادرك (نافع بن أبي نعيم)[٧٥] وقرأ عليه واول من ادخل قراءته • كما اشتهر أبو موسى الهواري في كتابه (القراءات) وكتابة في (تفسير القرآن)[٧٦] وجاء ابو عبدالله محمد بن عبدالله وهذا اختص بقراءة (ورش) صاحب نافع المتوفي بمصر سنة ١٩٧ هـ •

ولا ننسى فضل (محمد بن عبدالسلام الخشنى) الذي رحل الى المشرق وحمل علما كثيرا من اللغة والحديث والقرآت • وكذلك محمد بن وضاح

---

(٧٣) راجع / طبقات النحوين واللغوين ــ للزبيدي ط ١ / ص/٢٤٠ ، ٢١٨ والدكتور احسان عباس عن تاريخ الادب الاندلسي ــ ج/١ .

(٧٤) راجع / طبقات الزبيدي . ص/٢٥٦ــ٢٥٧ . وجودي النحوي توفى سنة ١٩٨ هـ .

(٧٥) راجع / المصدر السابق وراجع / ص/٣٠٥ المصدر السابق و ص/٣٥٤ و ص/٢٧٦ (ونافع بن ابي نعيم) هو ابن عبدالرحمن بن ابراهيم ــ احد القراء السبعة توفى سنة ١٦٩ هـ .

(٧٦) راجع هامش المصدر السابق ص/٢٧٦ المصدر السابق ص/٢٧٨ وراجع / طبقات النحويين ص/٢٨٩ و ص/٢٩٠ .

٤ ـ **حملة التاريخ : ـ**

كان العالم (بقي بن مخلد) من اول العلماء الاندلسيين الذين نقل للاندلس (كتاب التاريخ) لخليفة بن خياط[٧٧] وكتابه (الطبقات •) كما حمل معه كتاب (سيرة) عمر بن عبدالعزيز للدورقي • اما المؤلفات التاريخية الاخرى كالطبري وابن الاثير فقد دخلت اليهم متأخرة • كما يبدو لنا من خلال ما ورد في كتاب (معجم أبي علي الصدفي) الذي وضعه ابن الآبار المتوفى ٦٥٨ هـ •

٥ ـ **حملة الفلسفة والعلوم العقلية :**

اول من ادخل وجلب معه (رسائل اخوان الصفا)[٧٨] ابو الحكم عمرو بن عبدالرحمن الكرماني • وقد توفى سنة ٤٥٨ هـ • ويذكر صاحب طبقات الامم • « انه لا يعلم احد ادخلها الاندلس قبلة » • ولا ننسى محمد بن مسرة الذي حمل فكرة (المعتزلة) وبعض آثارهم ودراسته كانت في البصرة • وقد توفى سنة ٣١٨هـ•وضع عنه المستشرق الاسباني الكبير (آسين بلاسيوس) Asin Palacios دراسة واسعة عميقة •

٦ ـ **حملة الفلك والزيجات :**

اول من ادخل كتب الفلك والزيجات[٧٩]، هو ابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ[٨٠] حيث عنى (بزيج) محمد بن موسى الخوارزمي •

٧ ـ حملة الادب : نثره وشعره : ـ

النثر : ـ دخل كتاب (الاغاني) المشهور لمؤلفه ابو الفرج الاصبهاني الى مكتبة الخليفة (الحكم المستنصر) المتوفى ٣٦٦هـ • على يد احد رسله من

---

(٧٧) قام بتحقيق هذا الكتاب الاستاذ اكرم العمري كما نشره الاستاذ سهيل زكار في دمشق ١٩٦٧ راجع / الطبقات ص / المقدمة وراجع / فهرست ابن خير الاشبيلي ط/٢ ص/٢٣٠ .

(٧٨) راجع / طبقات الامم ـ لصاعد الطليطلي ص/١٠٩ ، ١١٠ وطبقات الاطباء ج/٢ ص/٤٠ ـ راجع الفكر الاندلسي ص/٣٢٧ ، ص/٣٣٠ .

(٧٩) الزيج لفة (فارسية) جدول يستدل به على حركات السيارات في السماء .

(٨٠) راجع / طبقات الامم ـ لصاعد ص/١٠٠ وما بعدها .

التجار الذين كان يرسلهم الى خارج الاندلس لاقتناء النفائس المشرقية والمغربية . « ووصل الى الديار الاندلسية قبل ان يشترى ويباع ويتداول بالمشرق»[٨١] اضافة الى مؤلفات (ابن قتيبة) و (الجاحظ) و (المعري) وقد قام (ابن السيد البطليوسي) في تأليف كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) وخالف في ذلك تسمية الكتاب الاولى ، والمسمى عندنا في المشرق (بأدب الكاتب) .

حملة الدواوين الشعرية :

الشـــعر :

ديوان ابي تمام

ان اول من ادخله الى الاندلس هو عثمان ابن المثنى . (ابو عبدالملك) رحل الى المشرق فلقي (حبيب ابن أوس) الطائي فقرأ عليه شعره ، وادخله الاندلس ولقي جماعة هناك منهم (ابن الاعرابي) . وقد توفى بعد عودته لبلاده الاندلس سنة ٢٧٣ هـ [٨٢] .

ديوان البحتري :

وقد حمله معه الى الاندلس ابراهيم بن احمد الشيباني ، المعروف (بابي اليسر الرياضي)[٨٣] . في عصر الامارة وكان ابو حفص عمر بن يوسف (الخيطي) يتعصب للبحتري .

ديوان دعبل الخزاعي .

وقد ادخله الى الاندلس لاول مرة (أبو اليسر الرياضي) الذي مر علينا ذكره[٨٤] .

---

(٨١) راجع / المصدر السابق ص/٦٦ ونفح الطيب ج/١ ص/١٨١ والدكتور هيكل ص/٢٠٧ وراجع / مقالة السيد هاشم الطعان في مجلة (المثقف) البغدادية العدد /٢٣ سنة ١٩٦١ ص/٣٢ وما بعدها .

(٨٢) راجع / طبقات النحويين ـ للزبيدي ط /ص/٢٨٨ وقد ورد اسمه (ابو عثمان بن المثنى النحوي) في كتاب هيكل ص/٢١٩ الذي اعتمد على (ابن الفرضي) ترجمة /٢٤٩ والمغرب ج / ص/١١٢ .

(٨٣) راجع / طبقات الامم لصاعد الطليطلي وهيكل ص/١٤٠ ، ٢١٩ وطبقات النحوي ص/٣٣٠ .

(٨٤) راجع حول ذلك . مجلة المعهد المصري ـ مدريد ، الدكتور محمد علي مكي ج ١ + ٢ ص/١١٣ المجلد/٢ .

ديوان ابي نواس :

أول من اهتم بشعر ابي نواس وسعى اليه للعراق واتصل بـه هـو عباس بن ناصح (الجزيري) نسبة الى الجزيرة الخضراء . وله طريفة جرت بينه وبين الحسن بن هاني (أبي نواس) وكيف استقبله الشاعر العـراقي واعتنقه وضمه الى صدره ونفسه . ولما عاد بشـعر (النواسي) اتصـل بالحكم بن هشام(٨٥) .

ديوان المتنبي :

كان شـعر المتنبي عند الاندلسين قد جاءهـم متأخـرا في الواقـع قد شغلوا باشعار ابي تمام وتلميذه البحتري . بينما نرى ان ابا الطيب مثلا قد أهتم بصاحب (العقد) ابن عبد ربه واعجبه شعره ونثـره(٨٧) . وقـد طلب (الناصر) لدين الله . (٣٠٠ ــ ٣٥٠) هـ استنساخة وتكليفه جماعة من العلماء والادباء بدراسته .

ومن الذين نقلوه واهتموا به (زكريا بن الاشج)(٨٨) الجزائري المغربي الذي حمله للاندلس .

(وابو الوليد بن عسال الاندلسي) . الذي لقـي ابا الطيب المتنبي في مسجد عمرو بن العاص . وبعد حديث جرى بينهما قال المتنبي : ألا أنشدني لمليح الاندلس . يعني ابن عبد ربه . فانشد قوله : (٨٩) .

يـا لؤلوا يسبى العقـول انيقـا ... ورشـأ بتقطيـع القلـوب رفيقـا
ما ان رأيت ولا سـمعت بمثلـه ... وردا يعـود من الحيـاء عقيقـا
واذا نظرتَ الى محـاسن وجهـه ... ابصرت وجهـك في سناه غريقـا
يا من تقطع خصـره من ردفـــه ... ما بـال قلبـك لا يكون رقيقـا

---

(٨٥) راجع طبقات النحويين ــ للزبيـدي ص/٢٨٤ ومـا بعدهـا . وكتـاب التشبيهات ــ للكتاني ــ تحقيق الدكتور (عباس) ص/٣١٥ ، ٣١١ .

(٨٦)

(٨٧) راجع / الدكتور احسان عباس ج/ج ص/١٤٦ وقد اشار الدكتور عباس الى حدوث الضجة بوصول ديوان المتنبي ولكنـه لم يحـدد الزمن . ج/١ ص/٩٤ .

(٨٨) راجع / هيكل ص/٢٢٠ وما بعدها / راجع فهرست ابن خير الاشبيلي ص/٤٠٤ ط ٢ .

(٨٩) راجع / هيكل ص/٢٥٦ وما بعدها . وابن الفرضي ترجمة/٤٥٥ ومعجم الادباء لياقوت ج/٢ ص/٢٢٢ .

فلما اكمل الاندلسي انشاده ، استعاد المتنبي ، ثم صفق بيده وقـــال « يا بن عبد ربه ، لقد يأتيك العراق حبوا » ويشير الدكتور (هيكل) في كتابه الى أن اهتمام (عصر الخلافة) اي زمن (الناصر) بشعر المتنبى ، يعود الى اهتمامهم (بالاتجاه المحافظ) الذى كان أبو الطيب من اشهر شعرائه يومذاك[٩٠] •وكان للقاضي ابي بكر بن العربي الفضل في نشره وتدريسه نقلا عن التبريزي •

ديوان ابي العتاهية : ــ

يظهر ان اول من اهتم بديوان ابي العتاهية وشرحه هــو (يوسف بن عبد البر) النمري القرطبي المتوفى بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ • وكان يميل رحمه الله الى مذهب الامام الشافعي (رض)[٩١] وذكر (ابن خير الاشـبيلي) في (فهرسة شيوخه وما رواه من الدواوين المصنفة في ضروب العلـم وانواع المعارف) وهو المتوفى سنة ٥٧٥ هـ قوله بانه قد حدثه (بالمختار عن شعر ابي العتاهية واخباره) القاضي ابو بكر بن العربي ، وبان (ابا الحسن علي بن احمد بن العباس بن طلحة) • كان قد اختارها وانتقاها[٩٢] •

واشار (ابن خلكان) الى ان ابن عبد البر قد جمع ديوان ابى العتاهية• كما ان ابا عمر يوسف بن عبد البر هذا العالم الجليل أخذ من اشـعار ابي العتاهية واستشهد بها في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)[٩٣] •

---

(٩٠) راجع / هيكل ص/٢٢٠ • راجع / فهرست ابن خير الاشبيلي ص/٤١٦ و ص/٤١٧ حيث ذكر عن عناية القاضي) ابن العربي (ودراسته لشرح شعر المتنبي ، وشرح اشعار الحماسة ، ونشر اصلاح المنطق التي الفها الخطيب زكريا يحى بن علي التبريزي •

(٩١) راجع (المغرب) لابن دحية الاندلسي ط ١ / ص / ٣ الهامش •

(٩٢) راجع (فهرست) ابن خير الاشبيلي ط ٢ ص/٤١٤ • واخبرني الزميل الاستاذ الدكتور علي الزبيدى ٢١ــ١٢ــ٩٦٧ وهــو ممن اعتنـــى بابى العتاهية وشعره ــ بانه اشار الى من حمل ديوان ابى العتاهية للاندلس ــ في مقدمة اطروحة (بالفرنسية) وذكر صاحب (الاعلام) الاستاذ الزركلي ج/١ ص/٣١٩ ط/١ ان يوسف بن عبد البر جمع زهديات ابي العتاهية

(٩٣) راجع / كذلك ابن خلكان ج/٢ ص/٤٥٨ ومختصر جامع بيـان العلـم وفضله ط ١ / ص/٣٥ ، ص/٢٠٠ •

بقية الدواوين الشعرية والاشعار المشروحة : ـ

الحقيقة انه لو القينا نظرة فاحصة على تراث الاندلس وشخصياته ، لكان (لابي على القالي البغدادي) الفضل الذي لا ينكر ، والعلم الذي لا يمكن ان يجحده مكابر من الاندلسين او غيرهم ٠ لانه يعتبر الرائد الاول من بناة المجد الثقافي العربي الاندلسي ٠ لما نقله من اثار المشارقة للاندلسين ، وقام بنشره في اوساطهم العلمية والادبية ٠ فهو الاستاذ الذي اوجد لهم نظام الدراسة الجامعية المنظمة ، وهو الذي كون لهم نظام الحلقات التثقيفية٠ ويمكننا ان نعتبره أندلسي الهوى عراقي المعرفة[٩٤] ومن اطلع على (فهرسة ابن خير الاشبيلي) و (معجم ابي علي الصدفي) لابن الابار ـ لفخر بثقافة هذا العالم العراقي ـ الذي احتضنته الاندلس ورعته واكرمته وعاش فيها ومات مع أسرته وأولاده في تربتها ٠ حيث دخلها سنة ٣٣٠ هـ ٠ ومات وعمره ثمان وستون سنة في عام سنة ٣٥٦ هـ ٠ ولا يغرب عن البال بان للتجار المهرة المتعلمين اياد لنقل كتب المشارقة ٠

وهاجرت كتب الفلسفة ٠ والادب ، والطب ، والحكمة ، والتصوف واللغة ٠ ومن بينها (كتاب القانون) لابن سينا ومؤلفات (الفارابي) و (ديوان المتنبي) و (مقامات الحريري) و (رسائل الخوارزمي) و (خطب ابن نباته) و (مؤلفات الثعالبي) وعلى رأسها (اليتيمة)[٩٥] ٠ ورسائل ابي العلاء المعري وكتب الجاحظ[٩٦] وطيف الخيال للرضي وكليلة ودمنة لابن المقفع ومؤلفات ابن قتيبة والملاحن لابن دريد ، ومجمل اللغة لابن فارس ٠ والأمثال لابي عبيدة ، ومؤلفات الامام الغزالي ، التي ادخلها الموحدون ، بهمة (المهدي بن تومرت) ٠ وغير ذلك من الرسائل والكتب النادرة ٠ التى لها ذكر في الاندلس وتراثه المفقود والموجود ، وعدم

---

(٩٤) راجع / دراستنا عن ابي علي القالي في كتاب (ادباء بغداديون في الاندلس) ط/١ ص/١٢ وما بعدها . وقد اشار الى نهاية بعض كتب (القالي) الدكتور احسان عباس ـ في تاريخ الادب الاندلسي ج/٢ ط ١ /ص/٥٦ .

(٩٥) راجع / الدكتور احسان عباس تاريخ الادب الاندلسي ج/١ ص/٥٨ وراجع / احكام صنعة الكلام ـ للكلاعي ط ١ /ص/١٥ .

(٩٦) نشر السيد (هاشم الطعان) في مجلة (المثقف) العدد /٢٣ أيلول تشرين اول ـ سنة ١٩٦١ ص/٣٢ وما بعدها ، مقالة طريفة عن (كتب الجاحظ في الاندلس) فوجب التنويه والاشار اليها .

الذكر احيانا في الوسط المشرقي • كما رأينا ذلك في اثار (المعري) المدونة في احكام صنعة الكلام •

وكان ابناء الاندلس يعارضون ما يصل اليهم ويستحسنونه ـ شعرا كان ام نثرا ، كتابا كان ام رسالة ـ كما فعل (الكلاعي) في معارضته لرسالة (الصاهل والشاحج) ـ للمعري ـ وعمل ما اسماه برسالة (الساجعة والغربيب) • كما عارض كتابين آخرين لابي العلاء المعري(٩٧) •

ولا ننسى شروح العلماء الاندلسين التي لا زلنا تتداولها وخاصة ما يتعلق منها في شرح مقامات الحريري ـ للشريشي المتوفى سنة ٦١٩ هـ • وشروح (سقط الزند) لابي السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ اضافة الى شرح ديوان الحماسة لابي تمام التى قام بشرحها ودراستها (ابن سيده) صاحب (المخصص والمحكم) المتوفى سنة ٤٥٩ هـ •

ولقد اشار صاحب (ارشاد الاديب) (ونشوار المحاضرة) (بان اول ما دخل من كتب الجاحظ وفي حياته) رسالة (التربيع والتدوير) (٩٨) حيث قام (فرج بن سلام) بزيارة العراق والاتصال مع (الجاحظ) نفسه ـ وجرت بينهما محاورة طريفة ذكرها صاحب (معجم الادباء) ونقل الى بلاده الاندلس (البيان والتبيين) •

ولم يقتصر طلب العلم والرحلة من اجله على الرجال فقط ، بل تعداهم الى النساء امثال السيدة الصالحة • مكية بنت عمر بن هاني التجيبي الاندلسي • (من القرن السادس الهجري) التي ماتت في مصر بعد عودتها من حج البيت الحرام •

ولا يغرب عن البال جهاد ابناء الاندلس من العميان المكفوفين ومعاناتهم القاسية في طلب العلم (كالهواري) وغيره • من الذين قصدوا المشرق لطلب العلم في معاهده (٩٩) •

---

(٩٧) راجع/المغرب ، لابن وحية ص/٣٤ ، وطبقات الامم لصاعد الاندلسي ص/١١٦ ط / مصر .

(٩٨) راجع / المثقف ـ مقالة السيد هاشم الطعان العدد /٢٣ ص /٣٢ وما بعدها .

(٩٩) راجع / معجم الادباء ج/٦ ص/١٧٤ وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي رقم ١٠٣٦ ص/٢٨٦ ط ١ / مدريد . وراجع / اخبار وتراجم اندلسية ـ ص/١٢٦ وراجع ماكتبناه عن (الهواري) في مجلة (البلاغ) العراقية مجلد السنة الاولى .

ان استقصاء جميع الذين حملوا كتب المشارقة الى الاندلس في دراسة واحدة يتطلب اولا الاطلاع على المخطوطات التى ترقد في مكاتب الغـرب والشرق من مؤلفات الاندلسين • وهذا مما يصعب علينا الحصول عليه الان• كما انه يجب علينا ان نقوم بجرد كاف وبمراجعة عامة لكتب الرجال والتراجم لعلماء المشرق وديار الاندلس والمغرب • وفي نيتنـا ان نضع كتـابا مفصلا نحلل فيه[١٠١] الموضوع ونعطيه حقه من التوسع والشرح • ونبين الجوانب الاخرى التى رافقت حركة حمل ثقافتنا المشرقية العراقية خاصة الى بـلاد (الفردوس المفقود) و (المجد المضاع) •

وفي النهاية علينا ان نشيد بدراسة الاستاذ الدكتور (محمـود علي مكي) التي قدمها رسالة (للدكتوراه) في جامعة (مدريد) وعالج فيهـا (التأثيرات المشرقية في الاندلس ومدى اثرها في تكون الثقافة الاندلسية) ونشرت ملخصا عنها صحيفة (معهد الدراسات الاسلامية في مدريـد) في مجلديها التاسع والعاشر[١٠٢] واختصرها على التأثير المصرى خاصة • فله من الاندلس والثقافة والعلم ، ولغيره من الباحثين التقدير والاعجاب •

أهم المراجع والمصادر

المصادر القديمة :ـ

١ ـ تاريخ علماء الاندلس ـ لابن الفرضي
٢ ـ معجم ابي علي الصدفي ـ لابن الابار
٣ ـ فهرست ابن خير الاشبيلي
٤ ـ المطرب لابن دحية
٥ ـ جامع التوارخ ـ للتنوخي
٦ ـ جذوة المقتبس ـ للحميدي
٧ ـ الروض المعطار ـ للحميرى
٨ ـ احكام صنعة الكلام ـ للكلاعي
٩ ـ نفح الطيب ـ للمقرى
١٠ـ معجم الادباء ـ لياقوت

---

(١٠٠) سيكون من دراستنا عن (العـلاقات الثقافية بين الاندلس والبـلاد العربية) .

(١٠١) عنوان البحث في الاسبانية ص/٦٥ ـ ٢٣١ هو :ـ
Ensayo Solare Los Aportationes orientales En la Espāna Musulmana.

١١ــ طبقات النحويين ــ للزبيدي
١٢ــ اخبار وتراجم اندلسية ــ للسلفي
١٣ــ برنامج شيوخ الرعيني
١٤ــ طبقات الامم ــ لصاعد الاندلسي
١٥ــ رحلة ابن جبير ــ ابن جبير
١٦ــ رحلة ابن بنيامين التطيلي
١٧ــ مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

المصــادر الحديثة : ــ

١٨ــ فجر الأندلس ــ للدكتور حسين مؤنس
١٩ــ تاريخ الادب الاندلسي ــ للدكتور احسان عباس
٢٠ــ الادب الاندلسي ــ للدكتور احمد هيكل
٢١ــ محاضرات في ادب الاندلسي وتاريخها ــ بروفنسال
٢٢ــ الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية ــ لبروفنسال
٢٣ــ الشعر في بغداد ــ للدكتور احمد عبدالستار الجواري
٢٤ــ تاريخ الفكر الاندلسي ــ لبلاتثيا ــ ترجمة الدكتور حسين مؤنس
٢٥ــ تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ــ للدكتور علـي محمد حمودة
٢٦ــ دراسات في الادب العربي ــ اغناطيوس كراتشكوفسكي
٢٧ــ تاريخ الادب الجغرافي العربي ــ اغناطيوس كراتشكوفسكي
٢٨ــ الموسوعة العربية الميسرة
٢٩ــ المنجد ــ للمعلوف اليسوعي
٣٠ــ الاعــلام ــ للزركلي
٣١ــ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ــ للدكتور زكي محمد حسن
٣٢ــ ادباء بغداديون في الاندلس للدكتور محسن جمال الدين

المجـــلات : ــ

٣٣ــ مجلة الرابطة ــ القاهرة
٣٤ــ مجلة معهد الدراسات الاسلامية ــ مدريد
٣٥ــ مجلة تطوان ــ تطوان

النظرية الاجتماعية في المعرفة

الدكتور احمد الخشاب

الدلالة الاصطلاحية للمعرفة :

احتكر التفكير التقليدي « نظرية المعرفة [1] » ردحا طويلا باعتبارها قضية فلسفية ، لا ينبغي ان يمتد الى معالجتها اي فرع آخر من فروع المعرفة الانسانية وخاصة بالنسبة للعلوم الوضعية الحديثة . وظل مفهوم المعرفة ينحصر في ذلك المبدأ الفلسفي عن امكانية الفرد لمعرفة الواقع ، وللكشف عن الحقيقة . ونقطة الانطلاق في نظرية المعرفة (عند الفلاسفة) هي الفرد بمعناه المجرد كأنسان ، في استجابته ورجعه ، سواء كان هذا الرجع ماديا محسوسا او معنويا مثاليا معقولا ، او كشفيا لقانيا حدسيا . وقد يقف الفكر الفلسفي احيانا موقفا غنوصيا [2] لا أدريا [3] .

ومن البديهي ان هذه الدلالة الاصطلاحية للمعرفة لا تستقيم في نظر علماء الاجتماع . اذ تختلف وجهة نظرهم عن الفكر الفلسفي من حيث حدود وأبعاد مسألة المعرفة ، سواء في طبيعتها ومصادرها ، او من حيث فاعلياتها ووظائفها وعناصر بنائها وتكوينها ، وسنتبين في الفقرات التالية اتساع اهتمامات علماء الاجتماع بمسألة المعرفة من حيث ينابيعها الاجتماعية في التفاعل والبناء والتراث الاجتماعي ، ومعالجة التأثير والتأثر المتبادل بينها وبين المكونات والعناصر الوظيفية في المجتمع ، ونوضح كيف امتد التفسير الاجتماعي الى العمليات النفسية والعقلية وصاغها صياغة جديدة ، ونشير الى الانطباعات التي تركتها نظرية اجتماعية المعرفة في عديد من الميادين العلمية النظرية والجبهات العملية التطبيقية .

---

(١) الابستمولوجي هو المدلول الفلسفي Epistmology اللفظ الاصطلاحي العام غير ان الفلاسفة يفرقون بين المعرفة التى تسبق التجربة A Priori والمعرفة التى تأتي بالاكتساب A Post teriori

(٢) مشتق من الاغنوصية Agnosticism التي تذهب الى القول بانه لايمكن ادراك كنه العالم ومعرفة ظواهره بالعقل البشري او بالاحاسيس والمشاعر الحسية القاصرة عن ادراك الحقيقة .

(٣) تختلف اللاأدرية الغنوصية عن ما يفيده مصطلح اللامبالاة Adiaphorism

المعرفة في الفكر التقليدي

قدم لنا الفكر التقليدي مجموعة متنوعة من الفرضيات التخمينية التي عبّر عنها بنظريات المعرفة ، وهي على تعددها وتنوعها ، يمكن تصنيفها في أطر فكرية عامة ، سنكتفي بأن نختار منها النماذج التالية : ــ

(آ) المعرفة مصدرها حقائق قبلية "A Priori"

يمثل هذا الاطار الفكري مجموعة من الفلاسفة الذين يطلق عليهم اسم العقليين ، وفي مقدمتهم الفيلسوف اليوناني افلاطون صاحب نظرية المثـل ، ويتزعمهم في الفلسفة الحديثة بركلي وهيجل وهربارت ، وهم في جملتهم يزعمون ان الانسان يولد وقد زود بمعلومات وقواعد فكرية وقوانين منطقية ومقولات كلية ، ومعاني مجردة . فالتذكر والتفكير والادراك ما هو الا تركيب او بالاحرى اعادة تركيب لتلك الصور الذهنية الرمزية التي يطلق عليها العلامة هربارت (Herbart) مصطلح Vorstellungen

(ب) المعرفة مصدرها العالم الخارجي وطريقها الحواس .

ويعتبر المفكر «هلفسيوس» [٤] والفيلسوف «جون لوك» J. Locke من خير من يمثل هذا الاتجاه ، فقد دعا كلود هلفسيوس الى المذهب الحسي ــ المادي كطريقة في نظرية المعرفة على اساس ان الشعور او الاحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة واقترح تطبيق هذا المبدأ في دراسة الحياة الاجتماعية .

اما «جون لوك» فهو اول من حاول ان يقابل بين قطبي العملية المؤدية الى المعرفة فالعقل يولد كالصفحة البيضاء Tabla Rasa ، والعالم الخارجي يمد العقل عن طريق الحواس بمواد ومحتويات المعرفة ، فتنعكس على هـذه الصفحة في صورة احساسات ، ثم يأتي دور العقل وعملياته في التأويل والتفسير والحافظة والموازنة والذاكرة والتجريد والتركيب ، فاذا حلّل العقل مادة المعرفة وركبها او اعاد تركيبها على النحو الذي تتحلل وتتركب به وفـق نظامهـا

(٤) He levetius, C., De L'espirit, 2 vols.
De L'Homme et ses Facultés
Intellectuelles et son Education
Translated by William Mudford,:
Essays on the Mind 1809.

الطبيعي [٥] حصلت المعرفة اليقينية .

(جـ) المعرفة حدْسية وكشفية . Supra-Intellectuelle

يرتكز هذا الاتجاه اساسا على الزعم بانه لا يمكن ادراك كنه العالم ومعرفة حقيقة ظواهره عن طريق العقل او الحس ، فكلاهما قاصر عن ادراك المعرفة اليقينية . ويعتبر الفيلسوف العربي الغزالي من رواد هذا الاتجاه فلقد ذهب الى ان المعرفة اليقينية اشراقية تغزو الحاسة الكشفية ، كما يعد الفيلسوف الفرنسي ديكارت [٦] من اصحاب هذا المذهب الحدسي [٧] . وقد طور هذا المذهب فيما بعد العلامة برجسون [٨] حين اعتبر ان المعرفة اليقينية تأتي عن طريق الحدسْ Intuition ، وهو ملكه فوق مستوى العقل. وتتفق مع هذا الاتجاه اراء اصحاب الاتجاهات الصوفية والغيبية الذين يعتقدون بأن المعرفة اليقينية تأتي باللقانة واللدنية .

نظرة تحليلية للاتجاهات الفكرية التقليدية (٩)

في ضوء ما تقدم ذكره يمكننا ان نسجل المستخلصات والملاحظات التاليـة : ـ

(اولا) : ان الفكر الفلسفي ـ في بواكيره ـ قد اصطنع طريق التأمل

(٥) يقصد به النظام الشكلي الرسمي الذى تتخذه هيأتها على الطبيعة .

(٦) Formal Discipline.
Descartes: Méditations.

(٧) Intuitionism. — Supra-Intellectuelle.

(٨) Bergson, Henri, Essai sur les donneés Immédiates de la conscience 1946.
Bergson, Les Deux Sources de la Morale et de la Religion, Paris 1955.

(٩) الواقع اننا أدمجنا بعض الاتجاهات الحيوية البيولوجية فى الاتجاهات الفلسفية لان هذه الاتجاهات اخضعت المعرفة لفلسفة التطور ، ونأمل ان نخصص في بحث آخر تفاصيل عن المعرفة من وجهة النظر الحياتية وفي ضوء الدراسات البيوكيميائية والحيوية التجريدية والمختبرية المتقدمة . راجع بهذا الصدد كتاب البرت سيفل « تخطيط المذهب في الاجتماع » .
A. Schaffle; Esquisse d'une Sociologie, 1906.
حيث يرى أن المجتمع « تنظيم اكثر منه تركيب » .

النظري والمنطق الشكلي القياسي والاسلوب التجريدي والمنهج الاستبطاني الذاتي والفرض التخميني في معالجته لمشكلة المعرفة على اساس انها منبعثة من « الذات الانسانية » التي عولجت بمعزل عن « الحقيقة الاجتماعية » الموضوعية •

(ثانيا) : ان كثيرا ما اختلطت وجهة النظر التقليدية فيمايتعلق «بالمعرفة» بالنظريات الحسية والمادية وبالاتجاهات البيولوجية النفسية ، على اساس الزعم بانها تعتمد الحواس وسيلة للمعرفة ، وانها تنظر الى «المخ» او «العقل» على انه عضوية حيوية ، يمارس فعالياته بمجموعة من العمليات التي يحللها ويتتبعها علم النفس التطبيقي ، وذلك بنفس الكيفية التي تحلل بها الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) كيفية قيام اي عضو من اعضاء الجسم بوظائفه الحيوية •
والواقع ان وجهة النظر الاجتماعية لاتلتزم حدود ونطاق النظرة العلمية المختبرية التي تتقيد بها البحوث التجريبية البيولوجية والنفسية ، كما انها ترى ان « الطبيعة الاجتماعية » تتميز عن الطبيعة « الحسية المادية » ، كما انها تتميز عن « الطبيعة البايولوجية الحيوية » فضلا عن ان لها مشخصاتها الذاتية التي تنأى بها عن ان تكون مجرد « ظواهر نفسية » ، بل يذهب انصار اجتماعية المعرفة الى ابعد من ذلك حين يقررون ان البيئة الاجتماعية لها فعاليتها الايجابية من تكييف كل من العمليات النفسية والوظائف الحيوية ، واصطناع المبادىء والمسلمات والمفاهيم الاساسية للفكر البشري • وانه اذا كان العقل الانساني قد تمثل الاخذ بالمنهج التجريبي ، فانه لا يعني ذلك ان ينفصل في ادراكه عن المناخ الاجتماعي الذي تنشأ فيه قيم وتقاليد واعراف وسنن وعقائد وتراث اجتماعي •

(ثالثا) : حصر الفلاسفة معالجتهم للمعرفة في اطار ضيق لا يكاد يتعدى الوعاء المحدود الذي تتم فيه العمليات المؤدية اليها (المخ او العقل) ، وعلى المستوى الفردي ، وان كان الفرد يمثل من الناحية التجريدية الانسان كجنس او نوع وبذلك يرتبط بالاتجاه السيكوبيولوجي [١٠] • ونحن نرى ان الفكر

---

(١٠) نقصد بذلك ان هذه المعالجة تكون مرتبطة بالاتجاه النفسى الفردي من ناحية وبالمبدأ الحيوي البيولوجي من ناحية اخرى لان الانسان كجنس وكنوع يرتبط « بالكائن الحي » في ارقى مستوياته التطورية وفقا للنظرية الداروينية •

او المعرفة لا تنبثق ـ من وجهة النظر الاجتماعية ـ عن الفرد او الانسان الفرد، وانما ينشأ الفكر وتتولد المعرفة من طريق تفاعل الفرد مع الافراد الذين يظلهم معه مجتمع او جماعة تسير وفق تنظيم او نسق اجتماعي ، وعن طريق تفاعله مع بيئته الاجتماعية بما تنطوي عليه من قواعد وسنن واعراف ونظم ووسائل تواصل فكري وتناقل وجداني ، ازاء الاستجابة والرجع في مواجهة الاحداث الطبيعية والوقائع الاجتماعية .

ومعنى ذلك ان الافكار ليست معاني جاهزة فطرية Innée كما يذهب جماعة العقليين ، كما انها ليست من صنع عمليات عقلية نتيجة ماتنقله الحواس الى المخ من احساسات ومشاعر ـ كما يزعم جماعة الماديين الحسيين، وهي ليست معرفة حدسية كشفية كما يدعي جماعة الاشراقيين ... وانما هي اشياء موضوعية منبثقة من التفاعلات المتبادلة بين الانسان والبيئة الكلية (طبيعية واجتماعية) . فاذا ما نشأت افكار اولية ، فانها لا تلبث ان تتكيف بالمناخ والبنيان الاجتماعي ، وما تلبث ان تنمو المعرفة بتطور وتعقد البناء الاجتماعي ، وتشعب وظائفه وتراكم عناصر ومكونات الخبرات الاجتماعية التي يحملها مركب التراث الثقافي والتقدم التكنولوجي . فاذا ما اتخذت بعض الظواهر على انها دالات مشتركة لظواهر اخرى ، واصبحت الاستجابة موحدة ازاءها بين الافراد ، تولدت الفكرة ، وارتبطت بسلسلة من الافكار التي تتكون على نفس الوتيرة .

وحمادى القول ان المعرفة ليست ذلك النسيج الذي ينسجه العقل في داخليته بحواسه او مشاعره او بعملياته [١١] وانما هي تلك المعطيات المتحققة نتيجة تفاعل متبادل بين عناصر الوجود الاساسية : الطبيعية والحيوية والاجتماعية .

(رابعا) : الفصل والمفاضلة بين المعرفة النظرية والخبرة التجريبية والعملية:
فهناك رأي يقول ان المعرفة النظرية تشتق من مصدر اسمي من النشاط العملي، ويمتد هذا الرأي الى افلاطون الذي جعل للمعرفة النظرية قوة روحية أجل من الخبرة التي ترتبط بالحياة والمصالح المادية . ومن معرض المفارقة بين المعرفة النظرية والخبرة العملية يرى العقليون ان المعرفة العقلية كاملة وشاملة

---

(١١) مع ملاحظة اختلاف وجهات النظر بين المدارس النفسية والفلسفية والبيولوجية .

في حد ذاتها وهي موصولة بالحقيقة الازلية وبذلك فهي تعتبر يقينية ثابتة ، على خلاف الخبرة العملية التي تدل على النقص والحاجة الى الحياة المادية المتغيرة المتبدلة . وهذه التفرقة بين المعرفة النظرية والخبرة العملية قد اثرت تأثيرا عميقا في افكار الناس وارائهم ، فغرست ردحا طويلا فكرة احتقار المهارات العملية بالقياس الى الدراسات النظرية والعلوم الرياضية والمنطقية الشكلية والادبية . كما انها اشاعت الشك في قدرة المعرفة الحسية على الوصول الى الحقيقة اليقينية .

وفي تصورنا ان التغيرات التي طرأت على الدراسات الطبيعية والكيميائية والحيوية ، وتقدم التكنولوجيا الاجتماعية ، كل هذا وما اليه قد اكد ان المعرفة النظرية ليست متعارضة مع المناشط العملية[١٢] ، كما ان التقدم التكنولوجي وارتقاء البحث التجريبي قد اثبت انه ليس هناك ثمة معرفة حقة او فهم مثمر الا اذا كان وليد العقل والعمل معا [١٣] ، وفي تقديرنا انه يمكن اعتبار التجارب المختبرية والخبرات العملية [١٤] بمثابة خطوات اساسية لاكتشاف الظروف الموضوعية والملابسات الاختبارية التي تجعل « للعمل » قيمة ايجابية أو نفعية من الناحية الفكرية النظرية ، ومن الوجهة التطبيقية العملية [١٥] .

ومن المفيد ان نقرر ــ في هذا المجال ــ ان التصور التكاملي «للبناء المعرفي» لابد وان يرتكز على ضرورة تدعيم الافكار التي تعكس المعرفة النظرية من خلال الخبرات الواقعية والاستخلاصات التجريبية . وهذا الدعم انما يتأتى عن طريق استبار مدى فعالية هذه المعرفة في الحياة العملية من الناحية الوظيفية . واصبح من المسلم به ان هذا النوع من المعرفة النظرية يمكن ان يُعد ضربا من التعبيرات الوهمية أو التصورات الميتافيزيقية ، اذا قصرت المفاهيم والمعاني التي تحملها عن ملاحمة الخبرة الواقعية والتجربة التدقيقية على جبهة المعرفة التحقيقية . وهذه الجبهة تمثل ــ في الواقع المعرفي ــ عتبة اللقاء بين

---

(١٢) Talcott Parsons: Toward a General Theory of Action 1951.

(١٣) Tima Sheff: Sociological Theory N.Y. 1955. p. 137.

(١٤) Lundberg: Foundations of Sociology N.Y. 1939.
Can Science Save Us. N.Y. 1947.

(١٥) Don Martindale: The Nature and types of Sociological Theory. 1961. p. 121.
Talcott Parson: The Social System, 1951.

المعرفة النظرية والخبرة العملية ، فهناك ضرب من « الاخذ والعطاء » بين قطبي المعرفة : أي بين ما تقدم المعرفة النظرية من معطيات فكرية واراء علمية ، وبين ما تحققه الخبرة العملية وتدققه التجربة المختبرية [١٦] من مستخلصات تضاف الى رصيد المعرفة النظرية ـ وهذا الرصيد مردود علمي يخدم التقدم التكنولوجي ويزيد حصيله التجربة والخبرة العملية ...

(خامسا) : وعلى هذا الاساس سنحاول في الفقرات التالية من البحث ان نعيد بناء الهيكل المعرفي في ضوء اراء بعض جهابزة علماءالاجتماع المحدثين والمعاصرين [١٧] ممن وقفوا جهودهم لاستجلاء ومناقشة مسألة المعرفة الانسانية من وجهة النظر الاجتماعية .

(سادسا) : على ان عرضنا لن يكون بحال ما ترديدا لآراء هؤلاءالعلماء وانما سيكون انتقاؤنا للمادة العلمية التي تنطوي عليها وجهات نظرهم وفق « وحدات فكرية » تمثل في نظرنا عناصر ومكونات البنيان المعرفي في اطاره الاجتماعي التكاملي .



ـ ١ ـ

التنشيط الاجتماعي كمصدر للمعرفة

نحن نعتقد أن أقرب صورة تكاملية لهذه المسألة تنعكس في الاطار

(١٦) Descamps (P), La Sociologie Experimentale, 1933.

(١٧) R.K. Merton; Sociology of Knowledge.
G. Gurvitch: Twentieth Century Sociology. N.Y., 1953.
Merton; Social Theory and Social Structure. U.S.A., 1951.
Barber, Sociology of Science.

الفكري العام للعالم الروسي « دي روبرتي (١٨) De Roberty » ، وهو صاحب النظرية المعروفة في علم الاجتماع باسم « الوضعية الجديدة » Neo-Positivism وفي تصونا انه لا يمكن ان نحدد وجهة نظره الا اذا تابعنا التسلسل الفكري الذي انتهجه بهذا الصدد وخاصة من محاولة ابراز « الوجه الاجتماعي » للمعرفة في بحثه القيم عن نظرية المعرفة "Agnosticism" وفي مؤلفه الذي ضمنه « مبادىء العقل ومبادىء الكون » .

لقد حدد دي روبرتي الملامح الرئيسة للنظرة الاجتماعية للمعرفة وفق اطار فلسفته في الوضعية الجديدة ، تلك الفلسفة التي ترتكز اساسا على ضرورة التسليم بوجود ثلاث انواع من الطاقات الاساسية من الناحية الوجودية : طاقة فيزيائية طبيعية ، وهي غير عضوية ، وطاقة حيوية عضوية ثم ثم اخيرا طاقة اجتماعية وهي « فوق عضوية (Superorganic) . وقوام هذه الطاقة الاخيرة الفكر او المعرفة المجردة التي تتمثل في التصورات العقلية والمبادىء الاخلاقية والقواعد السلوكية . وقد انتهى دي روبرتي من تحليله

---

(١٨) "De Roberty" . ولد في روسيا عام ١٨٤٣ كتب اول كتاب بعنوان علم الاجتماع عام ١٨٧٦ دحض اراء اوجست كومت واقام الوضعية الجديدة Neo-Positivism . ومن اهم كتبه نظرية المعرفة Agnosticism وله كتب اخرى من اهمها كتابه في مبادىء العقل وقوانين الكون .
Les Concepts de la Raison, et Les Lois de L'univers.

كما انه الف في الفلسفة القديمة والحديثة وفي علم الاخلاق ودستور الاخلاق . وفي البحث عن الوحدة ووضع منهجا جديدا في علم الاجتماع وكتب عن الروح الجمعية .

ترتكز الوضعية الجديدة Neo-Postitivism على ثلاث عناصر رئيسية .

أ ـ المعرفة الوصفية : تلك التى تكون نتيجة للانطباعات الحسية بحيث يمكن اقامة «نظام» او نسق على اساس هذه الاحساسات .

ب ـ الدراسة الكمية : الاعتماد على التحليل الاحصائي فى البحث و«كيتليه» هو رائد هذا الاتجاه .

حـ ـ الدراسة السلوكية او الاجرائية : وقد اكدها ايفا بافلوف الروسى ، وجون واطسون وبيرسون من علماء امريكا . فلابد من دراسة السلوك الذي يمكن ملاحظته .

Timasheff: Sociological Theory, N.Y. 1955. pp. 139.
Sorokin, P.; Contemporary Sociological Theories Ch., 8 'Sociologistic School. p. 33.

للمعرفة الى ارجاعها الى مصدر اجتماعي حيوي Biosocial Hypothesis وآية ذلك ان اصل التفكير مزدوج : فهو يحوي جانبا حيويا بيولوجيا خالصا يبدو في صورة الانعكاسات الشرطية التي يقوم بها الجهاز العصبي في الكائنات الحية الراقية ، كما يتمثل في التفاعلات التي تتأتى نتيجة عمليات الاتصال بين هذه الكائنات المتطورة وبين الواجهة الاخرى للفكر ، وهدفه واجهة اجتماعية بحته ، تتجسد في الصور الفلسفية والرمزية والفنية التطبيقية ، ويصبح النتاج الفكري امرا ممكنا عن طريق اللغة والخبرة الجماعية ووسائل الاتصال الثقافي والتراث الحضاري والاحتكاك الفكري بين الاجيال المتزامنه .

وحمادى القول فان « دي روبرتي » ينظر الى التفاعل الاجتماعي والتراث الثقافي على انهما عنصران لازمان لظهور او انبثاق الفكر وتشعب العمليات العقلية ونمو المعرفة الانسانية . ويقودنا هذا الى استيضاح طبيعة هذه العمليات الفكرية . وبهذا الصدد لابد ان نعيد تأكيد فعالياتها فهي تقدم لنا صور الظواهر «فوق العضوية» وهي المفاهيم المجردة والحقيقية ، والقوانين والتعميمات الفلسفية والعقائدية ، ورموز الفنون الجمالية والاحكام التنقيحية والفضائل التطبيقية للنواحي السلوكية والاخلاقية . وهذه الصور العقلية تختلف في طبيعتها عن الظواهر الحيوية ، وهذه الاخيرة قد يتولد منها ما يسمى بالعمليات النفسية الاولية : كالتهيج والاحساس والمشاعر والعواطف واستحضار صور المرئيات الثابتة (١٩) وهذه الصور المختلفة للمعرفة هي اهم ما يميز الظاهرة الاجتماعية وما يلازمها من خصائص تحضيرية .

والمسألة الرئيسة التي يجدر بنا ان نواجهها هي كيفية نشأة هذه المفاهيم المجردة : فهل هي فطرية ام مكتسبة ؟ وما هو ينبوع او مصدر انبثاقها وما هي عوامل انمائها وتشعبها ولماذا يختص بها الجنس البشري دون سائر الكائنات الحية الاخرى ؟

وهنا نصبح وجها لوجه امام هدفنا الاول ، الا وهو ان العامل الاساسى المسئول عن ظهور ونمو الفكر او المعرفة فوق العضوية ، هو عامل التفاعل بين عقول افراد الجماعة . اذ لولا هذا التفاعل لما ظهر الفكر في صوره العلمية والفلسفية والرمزية والعملية مهما كان سمو البناء البيولوجي للمركب الحيوي .

---

(١٩) Sensation, Feelings, Emotions and Concrete Representatations. Sorokin, opt. cit. 443.

على ان هناك عوامل مساعدة لتحقق انبثاق الفكر ونمو المعرفة ، ولعل في مقدمة هذه العوامل :

أ ـ اللغة كاداة تواصلية ، فهي عجلة التناقل المتصل للمؤثرات والمحفزات الفكرية الابداعية .

ب ـ الخبرة الجماعية : فهي بطبيعتها ملازمة لظاهرة المعاشرة والجماعية وهي حصاد نتائج العمل الجماعي .

حـ ـ التراث الثقافي والاجتماعي : فهو اداة التفاعل والتواصل الدائم بين خبرات ومعارف الاجيال المتعاقبة .

د ـ المنبهات والمثيرات المتغيرة : وهي عوامل محفزة تثير عملية التفاعل عن طريق الاهتمامات المشتركة بين عقول الافراد الذين تجمعهم مصالح واهتمامات مشتركة .

هذا ومما ينبغي التنبيه اليه ان السمة الهامة للنسق المعرفي في نظر « دي روبرتي » هي ان هذا النسق يرتكز على نوع من التدريج في مستويات المعرفة ، وفق سلم معرفي ، ينتظم أطر المعرفة التالية :

(أ) المعرفة التحليلية : ـ

وهي المعرفة التي لا تتقيد بفكرية او عقيدة سبقية ، ويعبر عنها بفكر نظري موضوعي ، يتمثل في المعرفة العلمية النظرية ، التي لا تتناول الجوانب التطبيقية او الفنية العملية .

وتتصف هذه المعرفة بانها معرفة « قطعية » وانها متحررة من النزعات العقائدية التي يعبر عنها الدوجماطيقية كما انها لا تتعدى اطارها النظري الى الجوانب العملية الذريعية التي يعبر عنها بالبراجماطيقية .

(ب) المعرفة التركيبية اليقينية [٢٠] .

وتنطوي على التصورات العقلية الكلية التي تعلو على مستويات المتناقضات الجزئية ، وتتألف من مجموعة المعارف الحدسية واللدنية والالهية والعقائدية والمباديء العقلية الاساسية في المنطق والفلسفة المنهجية .

---

(٢٠) Apodeictical = Inquestioned Acceptance.

(حـ) المعرفة الرمزية والتقييمية .[21]

وتتجسدها مجموعة الافكار التي تتخذ « الرمزية » تعبيرا عن القيم الذوقية والجمالية والاخلاقية والظاهرات الوجدانية والمشاعر العاطفية وما اليها من المواقف والاتجاهات والاستجابات ازاء ما يحتاج الى احكام تقييمية .

(د) الخبرة العملية او التطبيقية .

وتمثل الفكر النظامي [22] الملتزم بقواعد معممة في التطبيق العملي ومعنى ذلك انها تتضمن كل ما يخضع لنظام او نسق فكري في النواحي العملية بغض النظر عما يوجد من حواجز بين القواعد التي تخضع لها الظواهر الفيزيائية الطبيعية الكيمياوية ، والقواعد والنسق التي تحدد مظاهر السلوك الاجتماعي والاخلاقي وتحكم التكنولوجيا الاجتماعية باوسع معانيها .

— ٢ —

العمليات النفسية عمليات تفاعل اجتماعية

رأي دي روبرتي [23]

يؤكد « دي روبرتي » على ان التفكير ليس عملية نفسية ، بمعنى ان العمليات العقلية تختلف عن الظواهر والاحساسات والمشاعر النفسية المجردة . وحتى هذه الظواهر الفردية لا تقوم بذاتها ، ولا تنبثق عن ذاتية فردية نفسية والا كانت اشبه بالمشاعر التشتتية التي لا تربطها رابطة تؤكد صدقها او تثبت يقينها. ويمضي «روبرتي» فيقرر ان التفكير يكون ثمرة ونتاج خبرات وتجارب اجتماعية على مدى اجيال عديدة متعاقبة .

يحاول دي روبرتي اقامة الدليل على ان العمليات النفسية ليست منبثقة عن طبيعة نفسية فردية ، ذلك لان المعروف عن طبيعة الظاهرات النفسية انها رتيبة تسير على وتيرة واحدة ، وذلك بحكم جمود وثبات عوامل استثارتها

---

(٢١) Aesthetical = Jugement des Valeurs

(٢٢) Disciplineal.

(٢٣) Sorokin, Les Theories Contemporaines. p. 444.

مع عدم تنوع المنبهات المحركة او المثيرة لها • وهذا من شأنه ان يحول هـذه العمليات ـ عن طريق الاستمرارية ـ الى عمليات آلية لا شعورية • واذا جارينا هذا المنطق لاصبح الانسان ـ شأنه شأن بقية الكائنات الحية الراقية ـ التي تحكمها « الميول الفطرية والنوازع الغريزية » ، وبذلك قد ينتهي بـه الامر الى ان يحرم او يقل حظه من الحياة الفكرية وليدة العمليات العقليـة وبالتالي لابد لنا من ان نبدأ بفرضية اجتماعية مصدر التفكير والحياة العقلية التي تميز الانسان عن سائر بقية الكائنات الحية الراقيـة ، ويكمن هـذا المصدر في عامل التفاعل الاجتماعي ، وينطوي هذا العامل ـ بحكم طبيعته ـ على خاصية « التنوع » في المنبهات وتبادل وتواصل الفعاليات في الاطار العام لعناصر البيئة الاجتماعية ومكوناتها البنائية • غني عن البيان ان استمرارية « التنوع » وديمومة « الاخذ والعطاء » في عمليات التفاعل من شأنه ان يولد عنصر التجديد والنمو في الفكر • كما ان هذه الاستمرارية في الفعالة تعتبر اكبر ضمان للحيلولة دون نكوص وانتكاس او ضمور مظاهر التفكير والعمليات العقلية الى الحدود التي تحصرها في اطار الظواهر النفسية الحيوية •

وينتهي دي روبرتي الى استخلاص ان الظواهر والعمليات النفسية ذاتها تعتبر نتيجة وثمرة للمؤثرات الاجتماعية وليست سببا لها • ومن ثم فان علم النفس لا يرقى في نظره الى مستوى العلم لان ظواهره واهتماماته ليست لها طبيعتها الذاتية ولا يمكن ان تخضع لسنن وقواعد علمية مقننة •

(٢) رأي دراغيشسكو Draghicesco (٢٤)

نقطة الارتكاز في وجهة نظر « دراغيشسكو » هي في تقدير وجـود ترابط وظيفي بين العمليات النفسية السيكولوجية وعمليات التفاعل الاجتماعية ويرى دراغيشسكو ان القضية الاساسية في نظرية المعرفة تكمن في محاولـة تفسير نمو الفكر وتقدمه ، ولا غرو ان هذا النمو والتقدم مرتبط بضـرورة وجود منبهات ومحفزات متغايرة ، ولذلك فانه يجدر اصلا استبعاد عوامل البيئة الطبيعية او العوامل الغريزية او الاستعدادات الفطرية او المحفزات الاوليـة كعوامل لنمو الفكر ، ذلك لان من طبيعة هذه العوامل انها ثابتة جامـدة ولا تستطيع ان تقدم منبهات متغايرة ، وعلى ذلك فان مصـدر هـذه المحفزات

---

(٢٤) Draphicesco: Du Rôle de la Individu.
Sorokin, Opt. Cit. pp. 438 — 445.

والمثيرات لابد وان يكون منبثقا من ظروف البيئة الاجتماعية على اساس انها — بدرجات متفاوتة — دائبة التغير والتحول وتستلزم بالضرورة رجعا ديناميا واستجابة متغايرة ديناميكية. وانطلاقا من هذه الفرضية استخلص دراغيشسكو النتيجة التالية : الا وهي انه كلما استسلم الانسان في تكيفه لمقتضيات البيئة والتفاعلات الاجتماعية ، وكلما استجاب لمتطلبات ما يطرأ عليها من تحول كلما اضعفت هذه الاستجابات تلك الحالات والظواهر التي يعبر عنها بانها حالات او ميول غريزية او نوازع طبيعية او محفزات فطرية ... الخ .

وبذلك يتقوض شيئا فشيئا فعالية ودور عامل الفطرة او عوامل الوراثة في الذكاء والمعرفة والمهارة بل تصبح المعرفة مكتسبة عن طريق تفاعلات البيئة الاجتماعية ونشاطاتها ، وتتمركز مؤثرات البيئة الاجتماعية حول عامل اساس اطلق عليه اصطلاح عامل « التنشيط الاجتماعي المتبادل » Social Interstimulation وهذا العامل في الواقع ينمي الفكر والمعرفة كما يرقي القدرات التحليلية والتركيبية للعقل البشري عن طريق الاختراع والابداع . فالاختراع في نظره ليس الا تلاحم وتزاوج بين اكثر من فكرة من الافكار المعروفة سبقيا والمحققة تجريديا ، وكلما ازداد تبادل واحتكاك الافكار بين افراد المجتمع كلما ازدادت فرص الاختراع والابتكار والتقدم التكنولوجي ، وفي ضوء هذا يعتبر التفاعل الاجتماعي والتنشيط الفكري رافدي التقدم العقلي والنمو المعرفي .

ويصدق هذا التفسير على تضخم صرح البناء الحضاري ، وتراكم وازدياد حجم النطاق في المجال المعرفي ، وتشعب محتويات المعرفة وتفريعاتها ، وذلك لان دراغيشسكو يرى ان انماط الحضارة وقيم الثقافة لا تنتقل بطريق المورثات الحيوية ، وانما تنتقل عن طريق عملية التواصل الاجتماعي ، الذي يعتبر التراث الحضاري والاجتماعي بمثابة مركبتها التي تحملها عبر الاجيال المتلاحقة وعلى نفس النهج يفسر دراغيشسكو تكامل الشخصية او اضمحلالها فالتفاعل الاجتماعي السوي هو سر تكاملها . اما ضعف الشخصية او اضمحلالها فيعود بالدرجة الاولى الى الصدمات المفاجئة والانتقال غير المتوقع او غير المنظم من بيئة اجتماعية الى اخرى تختلف عنها في مقوماتها الاساسية وطرز معرفتها المألوفة والوان خبراتها السائدة .

Sorokin, Opt. Cit., 443 — 44.

وبنفس الطريقة يوضح دراغيشسكو انه لا يمكن تفسير عملية الداكرة او التذكر او تداعي المعاني وغيرها من العمليات العقلية الا عن طريق عامل التنشيط والتفاعل الاجتماعي في مختلف صوره ومظاهره • وبمعنى آخر ان العمليات النفسية تدين بوجودها الى العمليات الاجتماعية المقابلة لها بل انه يذهب الى ابعد من ذلك حين يقرر ان النفس الفردية ليست الا انعكاسا ميكروسكوبيا (مصغرا) دقيقا للبيئة الاجتماعية في تفاعلاتها وقيمها وعملياتها ونشاطاتها ، وان «الفرد» «ذوات» كثيرة متعددة ، وتتباين هذه الذوات على قدر الجماعات التي ينتسب اليها الفرد • كما انه يعتقد ان القادة والعباقرة لم يصلوا الى عبقريتهم او موهبتهم بفضل تفوق عقلي او ذكائي فطري ، وانما تفوقهم نتاج التكامل الاجتماعي • وآية ذلك ان امثال هؤلاء العباقرة هم اولئك الافراد الذين تصادف تواجدهم عند نقطة تلاقي او عند عتبة او بؤرة التيارات المتفاعلة في المجتمع الذي ينتسبون اليه • وعن طريق تمثلهم للمشاعر والاتجاهات السائدة بين الجماهير ، يمكنهم ان يربطوا بينها وبين وشائجها وان ينظموا حلقاتها ، ومن خلال ذلك يستطيعون ممارسة تأثيرهم في الجماهير •

وحمادى القول ان ما ينسب الى العباقرة من اصالة وتفوق ليس منبثقا انبثاقا ذاتيا شخصيا نتيجة ملكات واستعدادات متوارثة او فطرية ، وانما يرجع الى الوضعية الخاصة بتواجدهم عند نقطة تلاقي وعتبة لقاء الافكار والاتجاهات والمشاعر المتفاعلة في البيئة الاجتماعية المحيطة بجماهير مجتمعاتهم •

(٣) أراء للمدرسة الفرنسية الاجتماعية

يعتبر « دور كهايم»[٢٥] المؤسس الاول لهذا الاتجاه الاجتماعي في فرنسا ، فقد أكد ان الوجود الواقعي انما هو للعقل الجمعي ، وان اكتساب المعرفة يكون بطريق انطباع مؤثرات وظائف التحليل والتركيب التي تحكم البنيان الاجتماعي كما انه توسع من تحليل الحياة الفكرية والعقلية ، وقدم تفسيرا له

(٢٥) أميل دركهايم Emile Durkheim مؤسس المدرسة الفرنسية الاجتماعية التي تحقق على يدها بصفة نهائية وجود علم الاجتماع الوضعي [١٨٥٨ — ١٩١٧] • وقد انشأ المجلة السنوية لعلم الاجتماع L'Année Sociologique وأراؤه بهذا الصدد وردت فى كتابه المعنون الاشكال الاولية للحياة الدينية • Formes Elementaires de La Vie Religieuse

اصالته بالنسبة للمقولات المنطقية "Logical Categories" وخاصة فيما يتعلق بالتصورات العقلية عن الامتداد (المـكان) والزمان والعدد والكيف والعلية • وحاول ان يردها الى مصدرها الاجتماعي ، فزعم انها تنبثق من طبيعة التفاعل الاجتماعي والاحتكاك الفكري للافـراد والجماعات ، وتنعكس من عقلهم ووجدانهم الجماعي ، ثم تنطبع في عقولهم الافراد وضمائرهم ، ثم تتجسد في صور رمزية متمثلة في الافكار الدينية والقيم الاخلاقية والمبادي الفكريـة الـكلية ، ثم يعمد العقل الجماعي الى تثبيتها وغرسها وانمائها من اعمـاق النفوس الفردية عن طريق الممارسات الدينية والتنشئة الاجتماعية •

ونحن ــ وان كنا لانسلم تسليما مطلقا بهذا التفسير الدور كهايمي ــ الا انه لا يسعنا الا ان نشـير الى امتداد آثاره عند تلاميـذه العلمـاء امثـال « دي بيريل» [٢٦] « وهاليڤاكس » [٢٧] وقد حاول الاخير ان يثبت ان كل وظيفة نفسية فردية تقابلها وظيفة نفسية ــ جماعية وعالج بوجه خاص مسألة « الذاكرة الجماعية » وانتهى الى ان المجتمع يقوم بتزويد العقل الفـردي بمجموعة من « الاطارات » Cadres التي تحدد معـالم الذكريات ، وان كل عملية استحضار للذكريات تتطلب بالضرورة استرجاع ما ترتبط به مادة التذكر من اطارات اجتماعية ، وبدون ذلك يعجز العقل عن اعادة بنـاء الافكار والصور السابقة بطريقة متناسقة متكاملة ، وهذه الاطارات الاجتماعية « كامنة » في الذاكرة الجماعية ومترسبة في وعاء الفكر الفـردي • ويعتبر « الزمن » اطارا اجتماعيا للذاكرة ، بل انه شرط جوهري لاتمام هذه العملية وليس أدل على ذلك من « امتلاء » الزمن باحداث وتجارب اجتماعية لها قيمتها الامر الذي يفسره اخذ المجتمعات بفكرة « المجموعات الزمنيـة المتتابعـة والمتكررة بتكرار المواسم الطقسية الجماعية » واعتمادها على التقاويم التي تنبثق من الحدود الزمنية للاحداث الاجتماعية والتاريخية والدينيةالهامة •[٢٨]

(٢٦) Dupreél, E., Sociologie Generale, 1948.

(٢٧) Halbwachs, Maurice, Les Cadres Sociaux de la Memoire, Nouvelle Edition, Paris, 1935.

(٢٨) اعتبر تأسيس روما • بداية لحساب السنين • كما ان ميلاد المسيح ، وهجرة الرسول (ص) قد أصبحت فى التقويم العصري بداية للتقـويم الميلادى الغربي والهجرى الاسلامى العربي وهى ولاشك أحداث ذات طبيعة قدسية واهمية اجتماعية ونقط انتقال وتحول فى الحضارة الانسانية •

ونظر « ليفي بريل »[29] الى الموضوع من زاوية اخرى ، زاعما ان هناك فرقا جوهريا بين المبادىء العقلية التي تحكم التفكير عند الرجل المتحضر، وتلك التي تحكم تفكير الرجل المتأخر او البدائي • وتوهم ان العقلية البدائية لهـا منطقها الخاص ، وان محور هذا المنطق هو « قانون المشاركة » •[30] فالبدائي يعتقد ــ في نظره ــ ان الشيىء واسمه ورسمه وصورته وظله ورمزه شـيئا واحدا ، فهو لايؤمن بقانون الذاتية ولايعترف بوجود مبدأ العلية ، وعقليته غير منطقية ، ومعنى ذلك ان العمليات العقلية لتحصيل المعرفة تسير عند البدائيين بغير الطريق المنطقي المعهود عند المتحضرين •

ونحن لا نوافق « ليفي بريل » في استخلاصاته ، فليس هناك « فرق نوعي » في التفكير بين الجماعات البدائية والجماعات المتحضرة ، فالمسـألة ــ في نظرنا ــ لا تعدو التفاوت في الخبرات الاجتماعية والتباين في الاطارات والانماط الحضارية والثقافية • ومن الواضح ان الممارسـات التي يلتزمهـا البدائي ، تعكس عجز فكره عن ان يصل الى تحقيق اهدافه العملية بالوسائل التحليلية والعمليات التركيبية التي تزداد نمـوا بتكثيف عوامل وحوافـز التنشيط الاجتماعي[31] •

وفي تصورنا ان « الحياة » بالنسبة للفكر البدائي كل متصل ، فـاذا كان التفكير العلمي يفصل بين انواع مختلفة من المعرفة المتخصصة ، فـان المعرفة البدائية « معرفة انسيابية » تنظر الى الحياة نظرة سيالة ، وتجمع بين المعرفتين النظرية والعملية ، على اساس ارتباط الانسان ارتباطا حياتيا بالمجالين من حيث ان الرأي يكون وليد الخبرة ، كما ان الخبرة تضيف الى الـرأي

---

(٢٩) ليفي بريل :

Lucien Levy — Bruhl.
La Mentalité Primitive et La Participation.
"Loi de Participation".

(٣٠) Sorokin; Opt. Cit. p. 448.

(٣١) هذا الاتجاه يتمشى مع رأى العلامة مالينوفسكي
Molinowski; Dynamics of Social Change.

حصيلة نظرية • كما يبدو لنا ان الرجـل البـدائي عنى [٣٢] باديء ذي بدء بمحاولة تفهم علاقاته ببيئته الاجتماعية والطبيعيةعلى حد سواء ، وان استجاباته للمؤثرات والدوافع والحوافز كانت بقصد التحسس على الخبرات والوسائل التكنية الاولية والطرق الشعبية التي تسمح للجماعات الاولية بمعالجةمتطلبات حياتها الاجتماعية والمعيشية عن طريق المحاولة والتجربة والمغالبة ثم محاولـة الاستفادة من الخبرات المتصلة بين الاجيال المتتابعة ، والمهارات المتجمعـة من تراكم العناصر التجديدية التي تكتسبها الجماعات بفضل عمليـات التفـاعل والتنشيط الاجتماعي من مختلف المستويات والابعـاد الزمنيـة والمـكانية والمحاور الوظيفية •

وهذا النتاج الفكري ضروري لتنظيم التجربة الاجتماعية ، اذ انهيعمل على تحقيق التوافق العقلي على قدر من المعاني المزودة بقوى موضوعية والتي تظهر وكأنها معاني كلية مطلقة كمقولات الزمان والمـكان والعـدد والعلة والنوع •• وحبذا يستطيع « النسق الاجتمـاعي » كحقيقـة موضوعيـة ووجودية ــ ان يرسخ اسباب استمراره وديمومته بطريق المعرفة النظريـة والخبرة العملية التي ينتظمها شكل من أشكال التنظيم المنطقي الفكري يقف جنبا الى جنب مع التنظيم الوظيفي للنشاط الاجتماعي وبدون ذلك لا يستطيع ان يستكمل اي بنيان اجتماعي مقومات وجوده الذاتي •

ــ ٣ ــ

الفكـر والبنيان الاجتماعي

تتضح طبيعة الصلة بين الهيكل المعرفي والبنيان الاجتماعي في آراء كثير من علماء الاجتماع المحدثين والمعاصرين امثال « دراغيشسكو» و « كـارل مانهايم » و « ميرتون » • يري دراغيشسكو [٣٣] » ان هناك معادلة توافقية بين مدى بساطة وتعقد البنية الاجتماعية ونمو المعرفة التحليلية والتركيبية • بمعنى ان كل ما يطرأ على البنيان الاجتماعي من تعقد في مكوناته ، وتمايز بين وظائف وحداته ، ينعكس في القدرات العقلية التي تقوم بالوظيفة التحليلية ، كمـا انه عندما تنشط عمليات الادماج والترابط والتكامل الوظيفي والتكويني بين

---

(٣٢) يمكن تحقيق هذه الفرضية من خلال ما أوردناه من تحليل وظيفى للديانة التوتمية ، فى كتابنا (الاجتماع الديني) دراسة تكاملية •

(٣٣) Draghicesco; Du Rôle de l'ndividu. — Sorokin, Opt. Cit.

خلايا نسيج البناء الاجتماعي ، تتقدم في موازاتها ومقابيلها القدرات التركيبية للعقل • وآية ذلك ان نمو الفكر التحليلي والتركيبي ـ الذى هو دالة التفوق والتقدم الاجتماعي والعلمي ـ يرجع الى عمليات التشابك والترابط او التمايز والتباعد ـ في اطار التكامل ـ وما اليها من العمليات التي تجرى على وحدات ووظائف البنيان الاجتماعي •

ويقرر « كارل مانهايم » (٣٤) اننا اذا حللنا الانتاج الفكري لاي مجتمع ، تحليلا موضوعيا ألفينا انه يعكس النظام الطبقي لذلك المجتمع ، ذلك لان الانتاج الفكري لكل فئة اجتماعية يتصل اتصالا وثيقا بمرتبتها الاجتماعية، كما انه يتحدد بوضعيتها في السلم التدريجي للبنيان الاجتماعي ، ذلك لان الجماعة تجسد ما يجري عليها من تجارب وخبرات وما تسعى الى تحقيقه من تطلعات ، وتترجم هذه المواقف والاتجاهات بانواع مختلفة من الافكار والآراء فالناس لا يفكرون الا في اطار محدد باهدافهم ومصالحهم وقيمتهم • ومعنى ذلك ان الفرد حينما يفكر ، فانه لا يفكر تفكيرا ذاتيا خالصا ، وانما يفكر من خلال وجهة نظر الجماعة التي ينتمي اليها سواء كان انتماء ماديا او معنويا روحيا او ثقافيا حضاريا • ويضيف الى ذلك القول بانه غالبا ما تكون افكار الناس ووجهات نظرهم تبريرات لمواقفهم اتجاه القضايا الاجتماعية والاحداث التاريخية او قد يكون تأويلا مستترا مراعاة لاعتبارات نفعية تقتضيها مصالحهم او يتطلبها الحرص على امتيازاتهم الاجتماعية (٣٥) •••

اما العلامة الامريكي « ميرتون » فقد بين كيفية ارتباط المعرفة بالوجود الاجتماعي على النحو التالي :

(أ) الأسس الاجتماعية والاصول الثقافية للمعرفة

ويقصد بذلك الوضع الاجتماعي للفرد وطبقته الاجتماعية وجيله الحضاري ودوره الوظيفي وتخصصه المهني وأسلوبه الانتاجي ، والطائفة او

(٣٤) **Karl Mannheim** : ولد من أب هنغارى وأم ألمانية • درس فى بودابست وباريس وفرانكفورت حتى عام ١٩٣٣ حتى اضطر الى مغادرتها بعد استيلاء النازى على الحكم فى المانيا وقصد الى جامعة لندن توفى ١٩٤٧ وقد ضمن أراءه فى كتابه Ideology and Utopia, 1949 pp. 136 — 146. ودراساته التى نشرت اخيرا بعنوان Essays on The Sociology of Knowledge 1952.

(٣٥) هذا يوضح اراء (كارل مانهايم) في المعرفة العلمية ، والخبرات العملية Ch. Huxley, I.G.:, Science and Social Needs, N.Y. 1955.

الجماعة التي ينتمي اليها • وآية ذلك ان تفكير الفرد يكون من خلال ارتباطاته المصلحية والروحية والمهنية والثقافية والعاطفية • كما ان فكره يتكيف بالبنيان الاجتماعي والتنظيم الجماعي وما ينطوي عليه من فرص الحراك او النقلة الاجتماعية

(ب) الترابط بين الفكر والعمل (مبدأ العلاقية)

تتوقف صحة المعرفة على مدى مطابقتها للوضعية الاجتماعية ، حيث يظهر الفكر كوسيلة للعمل واكتساب الخبرة ، وتكون المهمة الاساسية لعالم الاجتماع هي محاولة كشف المساوقة والمواكبة والتعاقب والتداخل والعلية بين التجربة العملية والمعرفة النظرية وفقا لمبدأ العلاقية ، فهناك حلقة تواصلية دائرية بين المعرفة والرأي ، وبين المعرفة النظرية والخبرة العملية • ذلك ان الرأي يعكس المعرفة ، كما ان المعرفة هي منتهى ما يصل اليه الرأي بعدتقنينه ، وينمو الرأي عادة من الخبرات الاجتماعية ويتحول الى معرفة ، والمعرفة تشكل هيكل الرأي وهي التي تضفي مزيدا من الضوء على الخبرة ودواليك •

(ج) الهيكل البنائي للمعرفة

للمعرفة هيكل بنائي ونظام تكويني ، وتستمد المعرفة عناصرها الاولية من مركب معقد من الظواهر الفيزيائية والحياتية والاجتماعية « فزيوبيو اجتماعية » • وينمو هذا البناء المعرفي بالتراكم الكمي والنوعي والكيفي للمعارف النظرية والخبرات العملية ، وما ينبثق عن هذا من اطارات اجتماعية وترابطات علاقية ، وما يتخلل ذلك من عمليات التحليل والتركيب والملاءمة بين الفكرة والواقعة المادية او الاجتماعية •

وعند هذا القدر من المقتطفات التي تشير بصورة عامة الى الاتجاهات الحديثة والمعاصرة للنظرية الاجتماعية في علاجها لمسألة المعرفة الانسانية ، يجدر بنا ان نشير بصورة مقتضبة الى اثر هذه النظرة وانطباعاتها في بعض فروع المعرفة الانسانية •

---

(٣٦)
Merton, Robert; The Sociology of Knowledge ... in the 20th Centruy Sosiology. Ed. By:
Gurvitch and Moore, N.Y. 1945. pp. 373.

Knowledge, Opinion, Experience. • العلانية بين المعرفة والرأى والخبرة

— ٤ —
انطباعات اجتماعية المعرفة

اولا : علم اجتماع المعرفة **Sociology of Knowledge**

كان لهذه النظرة الاجتماعية في دراسة مسألة المعرفة أثرها في نشأة فرع مستحدث من فروع علم الاجتماع اطلق عليه اسم « علم اجتمـاع المعرفة » ولا شك ان كثيرا من العلماء الذين وردت اسماؤهم في هذا البحث قد اسهموا في تكوين المادة العلمية لهذا الفرع ويعتبر « كارل مانهايم » من الرواد الاوائل لارساء دعائم هذا الفرع ، فكان كتابه الشهير « المثالية والايديولوجية (٣٦) » مقدمة لعلم اجتماع المعرفة ، كما اولى ميرتون مزيد عنايته لهذا العلم الوليد . فخصه بالكثير من البحـوث والدراسات في معالجته للنظرية الاجتماعية (٣٧) ، كما حفلت الدراسات الانثربولوجية بكثير من الشواهد الميدانية التي تعتبر مستخلصاتها تطبيقا عمليا لنظريات اجتماعية المعرفة ، على اساس اثبات ان الينابيع الاصلية للمعرفة الانسانية تكمن في عوامل التنشيط والتفاعل الاجتماعي ، وتنمو وتزدهر بمكونات البيئة الاجتماعية وتتأثر بالبناء الثقافي استنادا الى فرضية مؤداها ان التحول والتعقد المورفولوجي والوظيفي من شأنه ان يعطي مجالات واجواء اجتماعية تساعد على انبثاق العنصر التجديدي والابداعي في البناء المعرفي . وتبرز الى الوجود نظرية سوروكن في اعتبار ان «البناء الثقافي» له وجود ذاتي وهو الاصل المرجعي لكـل اشـكال المعرفة وما تحـويه من مضامين التجربة الاجتماعية ويصبح التفسير الاجتماعي للعمليـات العقليـة والمقولات الفكرية ذا قيمة علمية وموضوعية (٣٨) .

ثانيا : علم اجتماع العلم **Sociology of Science:**

وهو من احدث ميادين علم الاجتماع ، ويعتبره البعض فرعا هامـا من

---

(٣٦) Mannheim, K. Ideology and Utopia, An Introduction to The Sociology of Knowledge.
Man and Society in an age of Reconstruction.

(٣٧) Merton, R: Sociology of Knowledge. in 20th Century. Sociology by Moore. Social Theory and Social Structure, N.Y., 1960.
Stark, Werner: The Sociology of Knowledge, London 1960, pp. 31 — 35.

(٣٨) Sorokin: Contemporary Sociological Theories.

فروع علم اجتماع المعرفة ، اذ يعتبر الجسر العلمي الذي يصل بين المعرفة الوضعية العلمية والبيئة الاجتماعية ، ويوضح الاصول الثقافية والاجتماعية والتاريخية للانجازات والنظريات العلمية في ضوء العلاقة المتبادلة بين الرأي والمعرفة والخبرة ، وبين العلم والمجتمع ، وفي ضوء الادراك الكامل لدور العلم في عمليات التطوير والتنمية الاجتماعية .

ولقد ساهم كثير من علماء الاجتماع المعاصرين في بناء هذا الفرع المستحدث ، فلقد اوضح العالم الامريكي « تالكوت بارسونز » (٣٩) اهمية هذا الحقل الجديد باعتبار ان لكل جماعة مهما كان مستواها الحضاري علمها ، فالعلم ظاهرة اجتماعية . وقد خص الجماعات الغربية المتقدمة من الناحية التكنولوجية بالدراسة التحليلية ليبين كيفية تحول المعرفة العلمية التجريبية الى عمليات تكنية تطبيقية .

ونلحظ عناية خاصة بهذا الحقل في دراسات « روبرت ميرتون » (٤٠) حيث يعالج طبيعة العلاقة بين التطورات العلمية والظروف والهيئات الاقتصادية والاجتماعية ، وابرز بوجه خاص تأثير الدراسات الانسانية على تقدم المعرفة الوضعية والمادة العلمية ، كما تعرض بالتحليل لدراسات « زنانيكي » (٤١) الخاصة بالادوار الاجتماعية التي يقوم بها المشتغلون بشئون المعرفة والدراسات العلمية ، موضحا طبيعة تكوين هذه الادوار وكيفية تأثرها بالانماط المعيارية التي تحكم مواقفهم وعلاقاتهم الاجتماعية .

هذا ولقد افرد « برنارد باربر » (٤٢) مؤلفا خاصا عن « سوسيولوجية العلم» أشار فيه الى جهود العلامة « اوبنهايمير(٤٣) » في توضيح الدورالوظيفي للنظام الاجتماعي في تقدم البحث العلمي وخاصة بالنسبة « للعقل المتفتح » ،

---

(٣٩) Talcott Parsons: The Social System 1951
Toward a general Theory of Action.

(٤٠) Robert Merton: Social Theory and Social Structure
5th Ed. N.Y. 1962, p. 533.

(٤١) Florian Znaniecki: The Social Role of the Man of Knoledge : A Review by Merton. Reprinted from American Sociological Review, Vol. VI, No. 1. 1941.

(٤٢) Bernard Barber: Sociology of Science, N.Y. 1962 pp. 6, 14, 67, 90, 539, 540.

(٤٣) Robert Oppenheimer: The Open Mind.

كما ضمن مؤلفه دراسات وبحوث كارل مانهايم في علم اجتماع المعرفة ، وابرز ضرورة دراسة العلم كظاهرة اجتماعية وذلك بردها في مراحل تطورها الى العناصر الاجتماعية التي تحمل بين طياتها طابع العصر المتزامن معها والمتواكب مع مختلف تطوراتها ، وبحثها في ضوء الانماط الثقافية والحضارية والنسق الاجتماعية التي لازمتها .

ثالثا : تطور مفهوم القيمة الاجتماعية(٤٤)

يبدو انطباع اجتماعية المعرفة على التفسيرات والتحليلات التي يقدمها علماء الاجتماع المعاصرين لمفهوم القيمة الاجتماعية ، ونلخص فيمايلي الاطارات العامة التي توضح ذلك .

(أ) ان العنصر الادراكي للقيمة ليس مجرد احساسات خالصة او صور ذهنية مجردة ، وانما هو حصيلة التجربة والخبرة المستمرة نتيجة النشاطات الجماعية (٤٥)

(ب) ان القيم الاجتماعية تعتبر من الناحية الوظيفية احد الدعائم الاساسية للتنظيم الاجتماعي ، فهي تنطوي على نماذج تنظيمية للقيم الاخلاقية كما انها تحوى محكات ومقاييس تعتيمية للعمل والسلوك الفردي والجماعي .

(ج) للقيم الاجتماعية نظام ونسق قيمي ، ينتظم سلسلة من المعارف والاهتمامات التي تنبثق عن التنظيم الاجتماعي ، وهي تتواجد متفاعلة ، وتنشأ بينها ارتباطات متجددة بصفة مستمرة للافصاح عن مواقف ضرورية لسلامة البنية الاجتماعية .

(د) ان انسان القيم لا تعمل كوحدات منفردة ، ولكنها تعمل متوافقة مرتبطة في كل مرحلة ارتباطا بنائيا ووظيفيا بالانساق الاجتماعية ، ولذلك فان اي تغيير في اي نسق منها يؤدي الى تغير مقابل او مصاحب وبالتالي ينتهي الى تغير مواز للقيم الاجتماعية او لبعض عناصرها او مظاهرها (٤٦) .

---

(٤٤) Ribin, W: American Society; A Tentative Outline of American Vales.

(٤٥) Adler, Frans: The Value Concept in Sociology in The Am. Jour. of Sociology. Nov. 1956. No. 3.

(٤٦) Parsons, Talcott: The Social System, pp. 57 — 67, 101 — 112. Situational Variability. Types of Value — Orientation.

(هـ) تقوم القيم ـ بأنساقها وتدرجاتها ـ بتوحيد النظرة للمحيط الاجتماعي في اطاره التنظيمي الوظيفي والتكويني البنائي • وعن طريق الفعاليات الاجتماعية تتكامل وتتماثل المفاهيم حول المثل والتطلعات والفلسفات وما الى ذلك من مظاهر العمليات الفكرية التركيبية والتحليلية والتي تتجسد في اشكال مسلمات المعرفة اليقينية والاحكام التقييمية •

رابعا : اجتماعية المعرفة وانطباعاتها على التربية

أصبح لنظرية اجتماعية المعرفة انطباعات هامة في النظم التربوية فأخذت التربية تؤكد على ان مضامين الفكر لا يمكن فهمها الا في ضوء القوى والدلالات الاجتماعية ، الفترة التي تسود فيها تلك الافكار ، ومن ثم لا يمكن تصور أزليتها وابديتها او عموميتها المطلقة ، طالما لا يمكن ادراكها الا على هدى الواقع الاجتماعي • وأدى هذا المنطلق الى التقليل النسبي من الاعتماد على الآراء الميتافيزيقية المجردة ، والى ضمور الاخذ بالافتراضات والتأملات التخمينية ، والى انحسار في الاتجاهات والنزعات التعميمية • وبدأت العناية توجه الى الكشف عن العلاقات بين انماط التفكير والمفاهيم العلمية وبين الظروف الاجتماعية من الناحية التطبيقية الواقعية •

ولقد كان لهذا الترابط والتفاعل بين التفكير النظري والواقع الاجتماعي ان غدا هدف المعرفة الرئيسي هو محاولة مقابلة احتياجات المجتمع بصورة واعية ومخططة ومدققة ، ومن هنا خفت صيحات رجال التربية الذين ينادون بشعار « العلم للعلم » ، وخاصة بعد ان اصبحت الدولة الحديثة تهيمن على الطاقة الفكرية ، وتتولى الاشراف على تعبئة النشاط العلمي لصالح التقدم

يرجع الى المؤلفات التالية للوقوف على مدى تغلغل النظريات الاجتماعية فى مختلف مناحى الحياة العملية :

Redfield, Robert and Warner: Cultural Anthropology and Modern Agriculture. Farmers in a changing World, 1940.

Weeks, James: The Use of Sociology in an Industrial Medical Program. Social Forces Vol. 32. Oct. 1953.

Taylor, Carl: The Contribution of Sociology to Agriculture Farmer's Year Book, 1940.

Cook, Lioyd and Elaine: A Sociological Approach to Education, N.Y. 1950.

الاقتصادي والاجتماعي ، وبذلك برز دور العوامل الاجتماعية في تكييف وتخطيط ألوان المعرفة حتى يمكن استغلال نتائج الدراسات الانسانية والبحوث العلمية والخبرات التطبيقية وفقا لشعار « العلم في خدمة المجتمع » .

وقد كان لهذا صدى في ربط رسالة المؤسسات والمنشآت الثقافية والتربوية بالبيئات المحلية والجماعات المغلقة والقطاعات المتخلفة للقيام بدورها الايجابي في عمليات التنمية على المستوى الوطني . وقد كان لهذا صدى في تطوير برامج ومناهج الدراسات الانسانية وخاصة في فروع علم الاجتماع التطبيقي ، حيث اصبح من الممكن الاستفادة بمعطيات هذه العلوم في مختلف الميادين العملية التي يمكن ان تستفيد من نتائج الدراسات الاجتماعيةوخاصة في حقول الامن الصناعي والتأهيل المهني والطب الاجتماعي والارشاد القومي والترشيد الانتاجي في المجال الصناعي ... بل وتغيرت تبعا لذلك النظرة الى « الثقافة » : اذ تطور مفهومها وتجاوز حدود التعلم والتربية وتحصيل المعارف العامة واصبح يستغرق كافة مظاهر التزود بانجازات التحضر والتمدين والتقدم التكنولوجي على اساس ان الثقافة تحوى « الميكانزم التجديدي » للمستوى الاجتماعي ، الذي يساعد على اعادة صياغة المعرفة المستمدة من الحراك والتقدم في الجانب الحضاري المادي والروحي المعنوي .

وأهم ما يعنينا ان نؤكده في هذا المجال انه ــ بفضل هذه النظرة الاجتماعية للمعرفة الانسانية ــ ، قد برز الى حيز الوجود الفعلي ــ بالنسبة للتخطيط التربوي ــ اهمية العنصر الاجتماعي الانساني كعنصر اساسي . فلم يعد هدف التربية في المجتمعات المتقدمة مجرد تكوين المهارات الفنية العلمية والكفاءات التكنولوجية العملية ، بل اصبح ما يسمى « بتكوين رأس المال البشري » هدفا ومطلبا مقصودا لذاته ، على اساس انه وسيلة فعالة لتهيئة قوة بشرية قادرة على تحريك البنية الاجتماعية المتخلفة ، لتحيلها الى بنية اجتماعية متقدمة وخلاقة او صالحة لممارسة وتقبل الدور الوظيفي للمعرفة على اساس ما لها من مردود منتج ومثمر يخدم مجالات التقدم في ميادين العلم النظري والتكنولوجيا العملية .

Malinoweski: B. Art. "Culture", Ency. of Social Science, Vol. 14.
Sorokin: Social and Cultural Dynamics, 1927.
Wissler, Clark: Man and Culture.

وبعد فهذه لمحات مقتضبة عن انطباعات النظرية الاجتماعية في المعرفة ونأمل ان نكون قد ألقينا بعض الضوء على الدور الذي لعبته هذه النظرية في التمهيد لآفاق جديدة تحقق للانسانية سبيل التقدم والازدهار .

والله ولى التوفيق

مراجع مقترحة

Adler, Frans; The Value Concept in Sociology
in Amer. Jour. of Sociology, Nov. 1950.

Barber, Bernard; Sociology of Science, N.Y. 1962.

Brûhl Lévy; Mentalité Primitive et La Participation.

Cook, Lioyd and Elaine; A Sociological Approach to Education, 1950.

De Roberty; Agnosticism.
Les Concepts de la Raison et Les Lois de l'univers.

Draghicesco; Du Rôle de L'individu.

Dupréel; Sociologie Generale, 1948.

Durkheim, Emile; Formes Elementaires de La Vie Religieuse. Sociology and Philosophy Trans. by. D. Pocock. 1953.

Espinas; Alfred; Origines de La Technologie. 1901.

Halwach, Maurice; Les Cadres Sociaux de La Memoire, 1935.
Morphologie Sociale, 1938.

Helvetius, C.; De L'Esprit, 2 vols.
De L'Homme, de ses Facultés Intellectuelles et son Education. Trans.by Mudford: Essays on The Mind.

Herskovits, M.; The Problem of Adapting Societies to New Tasks. in Progress of Underdeveloped Areas ed. by Bert 1959.

Hoselitz, Bert; The Problems of Adapting and Communicating Modern Techniques to Less Developed Areas, 1957.

Lundberg; Foundations of Sociology 1939.
Can Science Save Us 1947.

Malinoweski; Dynamics of Social Change.

Mannheim, Karl; Ideology and Uptopia, 1949
Essays on the Sociology of Knowledge 1952.

Merton, R. K. Sociology of Knowledge.
in 20th. Sociology ed. by Gurvitch, 1952,
Social Theory and Social Structure, 1951.
Odum, H. W.; Understanding Society, Principles of Dynamic Sociology
Parsons, Talcott; The Social System 1957
Toward a General Theory of Action.
Sorokin; Contemporary Sociological Theories.
Stark, Warner; The Sociology of Knowledge, London 1966.
Timasheff; Sociological Theory 1955.
Znaniecki; Florian, The Method of Sociology.
The Social Rôle of The Man of Knowledge.
American Sociological Review, Vol. VI. 1941.



البحث عن الآثار

الدكتور تقي الدباغ

١

تختلف المواقع الاثرية باختلاف طبيعتها والازمنة التي تعود اليها والحضارات التي تمثلها ولكل موقع اثرى مزاياه الخاصة به ولا يوجد موقعان اثريان متشابهان تمام الشبه في قطر واحد ويشتد التباين في نوع مواقع الاثار من قطر لاخر لاختلاف مظاهر الحضارة بينها ومع ذلك يمكن القول ان الكهوف والتلول الاثرية والنصب التذكارية والقلاع الحربية والمدافن وشرفات الانهار هي الانواع العامة للمواقع الاثرية التي تلاحظ بكثرة من قبل الباحثين عن الاثار والمنقبين فيها •

فالكهوف والمآوي الصخرية تكثر في المناطق الجبلية حيث تظافرت العوامل الطبيعية على تكوينها واستفاد الانسان من وجودها الطبيعي بالالتجاء اليها لحماية نفسه من العدو ومن قسوة البيئة الطبيعية وخصوصا في العصور الحجرية • ان الانقاض الموجودة في داخل الكهوف تكون نوعا خاصا من المواقع الاثرية يختلف عن مواقع التلول فالباحث عن الاثار لا يجد في الكهف جدرانا أو أي شكل من اشكال المباني بل يرى طبقات متعاقبة لانواع مختلفة من التربة تجمع كل نوع منها بطرق جيولوجية في فترة طويلة جدا من الزمن وفي هذه التربة يعثر على جميع المواد التي اضاعها سكان الكهف أو دفنوها في اوقات مختلفة وبقيت سالمة تحت تأثير الاحوال الطبيعية المحلية • ان الطبقة الواحدة التي تتميز بنوع خاص من التربة تبلغ في بعض الاحيان نصف المتر في سمكها ونلاحظ التغييرات في المواد الاثرية وبقايا عظام الحيوانات في القسم العلوى والسفلي من هذه المنطقة ومن المفيد ان يكون التنقيب في مثل هذه الكهوف حسب طريقة المربعات الشبكية على ان تكون وحدات الحفر صغيرة جدا (٢٠ سم مثلا طولا وعمقا) وعندما تظهر علامات التغيير بين نوعين من التراب فينبغي ان تعتبرها خطا فاصلا بين طبقتين وفي الحفريات المنظمة يظهر خط الانتقال من طبقة لاخرى على جدران الخندق المحفور • ان كل ما يعثر عليه في وحدة الحفر يجب ان ينظف ويغسل ثم يسجل واذا كان عدد الالات الحجرية كبير جدا كما هي الحالة في اكثر الكهوف فلا ضرر من الاستغناء عن

بعض الات النواة والشظايا والنصال بعد تسجيلها في التقرير العام ولا ضرر ايضا من الاستغناء عن المخلفات العظمية اذا صعب تميزها كمواد اثرية أو اذا كانت عديمة الفائدة لاختبارات كربون ١٤ الاشعاعي • وما هو جدير بالذكر ان الكهوف تقع في اماكن وعرة تصعب فيها المواصلات وتقل الايدي العاملة لعدم وجود قرى قريبة منها ويضاف الى ذلك ان التنقيبات في الكهوف تبدأ في مواسم الزراعة التي ينصرف اليها الفلاحون في القرى النائية وبذلك يتعذر الحصول على العمال في مثل هذه الظروف ولكل ذلك اثر مباشر على سير التنقيبات •

اما التلول الاثرية فتنتشر في كثير من انحاء العالم وبصورة خاصة في اقطار الشرق الادنى اذ تكثر في منطقة تبدأ في مصر وتتجه نحو الشمال الى فلسطين والاردن ولبنان وسوريا والاناضول وتنتهي في شبه جزيرة البلقان وفي الشرق تكثر في منطقة تبدأ في هضاب ارمينيا وتتجه نحو الجنوب الى العراق وايران وافغانستان ووادي السند ويتركز انتشارها في وادي الرافدين ولاسيما في المنطقة الهضبة المتموجة في شمال العراق لانها سبقت جنوب العراق في الزراعة • تضم هذه التلول في بطونها اثاراً تعود احيانا لازمان عديدة ومن الممكن ان نجد تفسيرا لظاهرة هذا الاستيطان المتعاقب في مكان واحد في خصوبة تربة الموقع ووجوده بالقرب من مورد ماء ولسهولة اتصاله بالاماكن الاخرى اذا كان على طريق مواصلات وللمحافظة الشديدة التي تجعل السكان الشرقيين يتعلقون بمكان سبق انسكنه اجدادهم واذا اخرجوا منه فغالبا ما يعودون اليه • ان الفيضانات والامطار الشديدة والغزوات العسكرية أو الغارات المحلية بنطاقها الضيق هي من جملة الاسباب المؤدية الى تكرار عمليات التخريب واعادة البناء اذ تسقط الجدران او تسقط اجزاء منها على الارض وتملأ الغرف بالانقاض الى ما يقارب ثلث ارتفاعها وقبل البدء بعملية اعادة البناء يسوى سطح المكان بصورة منتظمة ثم تتخذ مخلفات الجدران القديمة اسسا لجدران جديدة وهكذا وبمرور الزمن نجد القرية او المدينة نفسها قائمة على قمة من قمم الروابي المرتفعة وخير مثال على ذلك مدينة اربيل التي استمر فيها الاستيطان الى يومنا هذا ولهذا الارتفاع فائدة كبيرة لانه يسهل الدفاع عن المدينة ويتيح للانسان مشاهدة منظر واسع لنواحي المنطقة المحيطة بها •

ترتفع هذه التلول الاثرية على سطح الارض المجاورة بعدة امتار ويتراوح قطرهـا بين العشرين مترا والنصف كيلو متر في بعض الاحيـان اذا كانت تمثـل قرية اما اذا كانت تحـوى مخلفـات مدينـة فـأن التـل يبـدو ممتدا في منطقة واسعة وتتميز الانقاض المتراكمة في هذه التلول بلون تربتهـا الداكنة اذا قورنت مع التربة الطبيعية المجاورة وتنتشر على سطحها كسـور الفخار والالات والادوات المصنوعة من الحجارة والعظام والخشب والمعادن والنقود ويستدل من انتشارها على سطح التل انها موجودة في باطنه ايضا ومن المحتمل ان يعثر في باطنه على نفس المواد اضافة الى النباتات الطبيعية والحبوب الزراعية والالات الزراعية وهياكل العظم البشرية . تبدو هذه المواقع في بعض الاحيان كأنها قرى غير ثابتة أو مواقع مخيمات [١] سكنها الانسان مدة قصيرة من الزمن وهي تشبه المواقع القروية الانفة الذكر من حيث المخلفات الاثرية المنتشرة على سطحها أو الموجودة في باطنها ولكنها تختلف عنها في قلة الارتفاع لان زمن الاستيطان فيها لم يكن كافيا لكي تتجمع انقاض اثرية كثيرة بنفس الكمية التي تجمعت فيها انقاض مواقع القرية الكاملة .

سكن الانسان في المواقع القروية عند خروجه من الكهوف والمـاوى الصخرية في نهاية عصر البلايستوسين وساعدت التطورات التي طـرأت على الاته وادواته من جهة والظروف التي نجمت عن تراجع الجليد من جهة اخرى على الاستيطان المنظم في مثل هذه القرى واعتمد الانسان في المراحل الاولى من حياته القروية على الطين وحزم القصب والبردى واغصان الاشجار لبناء بيوته وعلى مر الزمن استعمل اللبن ثم الطابوق الصلد وكانت هذه القرى تتعرض في بعض الحالات الى فيضانات وعواصف شديدة أو الى غزوات حربية عنيفة تتحول بعدها الى اكوام من الانقاض وعندما يفد عليها سكان الاصليون [٢] أو يدخلها مهاجرون جدد [٣] يقيم هؤلاء بيوتهم فوق تلك الانقاض مستفيدين

---

١ — Safar, F., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, p. 172.

٢ — Woolley, L., Ur Excavations, Vol. IV, 1956, pp. 2—8, 19—21.

٣ — Braidwood, R., Excavations in the Plain of Antioch I, OIP, Vol. LXI, 1960, pp. 10—15, 166—168, 175—181, 204.

مما يتوفر في المكان من اسباب تيسر المعيشة وهكذا تراكمت القرى فوق بعضها (٤) الى ان هجرها اهلها نهائيا واصبحت اطلالا دراسة تجمعت عليها الرمال وظلت كذلك حتى اكتشفها الباحثون عن الاثار •

اما المواقع الكبيرة فكانت في الاصل قرى صغيرة ثم نمت وتوسعت حتى اصبحت مدنا صغيرة وظهرت اولى هذه المدن الصغيرة في عصر فجر الكتابة ثم اصبحت من المعالم الحضارية الواضحة في عصر فجر السلالات حيث اصبحت المدينة الواحدة مملكة قائمة بنفسها لها سكانها وحدودها وملكها وقوانينها الخاصة بها ومثال ذلك دويلات المدن السومرية كأور واريدو ونيپور ودويلات المدن الاغريقية مثل اثينا واسبارطة وطيبة وكورنث ودلفاى وتتميز مواقع المدن بمخلفات مبانيها الكثيرة كالبيوت والمعابد والقصور والملاهي وساحات الرياضة وسباق الخيل وتظهر في المدن التي هي احدث عهدا من المدن القديمة جدا الكنائس والمساجد والمآذن والاضرحة •

والمقصود بالنصب التذكارية العلامات التي اقامها الملوك لتسجيل اعمال تستحق التخليد كالانتصار في الحروب في مكان بعيد عن الموقع نفسه ومثال ذلك حجرة بهستون الواقعة على قمة جبل من الجبال الممتدة بين كرمنشاه وهمدان وقد اختار دارا هذا المكان لتدوين اعماله الحربية التي انتهت بالقضاء على حركة كوماتا ومقتل بارديا والثورات المحلية التي حدثت في عهده وقد سجلت هذه الاخبار بالخط المسمارى الاخميني والعيلامي والبابلي واشتغل في ترجمتها كروتفند ورولنسن (٥) وكانت مفيدة لعلماء الاشوريات في محاولاتهم لمعرفة اسرار الخط المسمارى البابلي • وامر اردشير الاول ان يخلد تتويجه ملكا على بلاد فارس في نقش رستم (٦) في الجهة الصخرية من ضواحي مدينة برسيبولس بجوار مقابر الاخمينيين بعد انتصاره على اخر ملوك البارثيين • اما اردشير الثاني فقد خلد تتويجه في نقوش طاق البستان (٧) شمال شرق

---

٤ — Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, 1950, pp. 6 — 50.

٥ — Rogers, R., A History of Babylonia and Assyria, Vol. I, 1915, pp. 61 — 105.

٦ — كوستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحي الخشاب ص ٧٧ — ٨٠ ، شكل ٢ .

٧ — نفس المصدر : ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، شكل ٢٧ .

كرمنشاه على طريق القوافل القديم بين بغداد وهمدان ويذكر ان سنفرع (٨) اول ملوك السلالة الرابعة ارسل حملة عسكرية الى طورسيناء ضد احد رؤساء القبائل البدوية وسجل اخبار هذه الحملة على منحوته صخرية هنـاك وكان الغرض من هذه الحملة حماية مناجم النحاس التي يتزود منها المصريون •وارسل خوفو(٨) حملة الى بلاد نوبيه لحماية المقالع الحجرية وسجل اخبارها على مسلة• ويذكر شلنصر الثالث (٩) انه جرد حملة عسكرية الى منابع نهر دجلة في السنة السابعة من حكمه وانه انتصر في حروبه على الاعداء واقام تمثاله الملكي في ذلك المكان • وهناك نصب تذكارية ومسلات كثيرة تقام في الموقع الاثري ولا تكون موقعا اثريا بذاته وقداقيمت لاغراض حربية أو عمرانية أو لاظهار المهارة الرياضية أو التأكيد على قوة الجيوش لبعث الرعب في نفوس الشعوب الخاضعة مثـل مسلة صيد الاسود (١٠) التى وجدت في الوركاء وهي تعود لعصر فجر الكتابة والغرض منها بيان المهارة الرياضية في الصيد ومسلة اورنانشيه(١١) التي وجدت في مدينة تلو وتعود الى عصر فجر السلالات وتعتبر من المسلات التى تخلد اعمالا عمرانية اذ يشاهد الملك في احد المناظر وهو يضع حجر الاساس لبنـاء معبد جديد ويشاهد في منظر اخر وهو يحتفل بمناسبة الانتهاء من البناء ومسلة اياناتم (١٢) ملك لكش التى اقيمت بعد الانتصار على مدينة اوما المعادية والمسلة عبارة عن حجرة حدود تفصل بين حدود دولة انتصرت ودولة غلبت على امرها والتأكيد فيها على الناحية الدينية رغم تسجيل التفاصيل العسكرية والاهميـة الدينية تظهر في مشاركة الاله ننكرسو بنفسه في الحرب وبمشاركته الفعليـة يتم النصر ومسلة نرام‌سن(١٣) التى وجدت في سوسه وهي تمثل انتصار هذا الملك في حروبه مع الاعداء في المناطق الجبلية •

٨ — Smith, W., Ancient Egypt, 1952, p. 21.

٩ — Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, 1927, p. 226, King, L., Bronze, Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria, B.C. 860 — 825, 1915, p. 30, Pls. LIV — LIX.

١٠— Lloyd, S., The Art of the Ancient Near East, 1961, p. 36, Fig. 17.

١١— Ibid., p. 87, Fig. 49.

١٢— Frankfurt, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, 1955, Pls. 34 — 35.

١٣— Ibid., Pl. 44.

اما القلاع الحربية فتتميز بضخامة المباني ومتانة مواد البناء والاسوار العالية والابراج المنيعة وببقايا المواد الحربية فيها احيانا وتشاهد القلاع الحربية على الحدود في اغلب الحالات ومن اشهرها قلعة البتراء[١٤] وهي قلعة جبلية اغتصبها الايدوميون من الحوريين واستعملوها ملجأ لهم ثم استقر فيها الانباط في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وبنوا فيها محطات جديدة لحراسة القوافل وعلى مر الزمن اصبحت البتراء المدينة الرئيسية على طريق القوافل بين الشام والحجاز ثم اضمحلت اهميتها التجارية وانتقلت هذه الاهمية الى تدمر • وبنى السلوقيون زمن سلوقس الاول في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد قلعة حصينة في دورا يوروبس[١٥] المعروفة اليوم بالصالحية في منتصف الطريق بين سلوقية دجله وسلوقية الشام وتطورت هذه القلعة بصورة سريعة من مركز عسكرى الى مركز تجارى واستعملها الرومان للاغراض العسكرية لحماية حدودهم عند الفرات وفي عهد الساسانيين تحولت الى اطلال دارسة وظلت كذلك حتى بدأت فيها حفريات الاثاريين في اوائل القرن العشرين •

اما الحضر[١٦] فكانت مستوطنا لعرب البادية ومركزا دينيا لعباداتهم القديمة ثم بنى فيها البارثيون قلعة يحمون فيها حدود امبراطوريتهم المجاورة للامبراطورية الرومانية واشتهرت الحضر بمنعة اسوارها ومتانة تحصيناتها اذ كان يحيطها سور خارجى بنى باللبن بلغ قطره ثلاثة كيلو مترات يليه بعد ساحة مكشوفة سور رئيسي ضخم بنى بالحجارة المهندمة وبنيت في هذا السور ابراج مستطيلة الشكل واحيط به خندق بلغ عرضه خمسة وعشرون مترا تقريبا وهناك اثار تدل على احتمال وجود سور ثالث للمدينة •

اما المدافن فتشمل انواعا مختلفة من القبور وتوجد في داخل القرية أو المدينة في بعض الحالات وفي حالات اخرى توجد في خارجها وتتميز بالمباني

١٤- Kennedy, A. Petra; Its History and Monuments, London, 1925, Figs. 42, 53, 57.

وانظر القران١٨/٨وانظر سفر الملوك الثاني ١٤/٧وسفر ارميا٤٩/١٦

١٥ - Rostevtzeff, M., et al, The Excavations at Dura-Europos, New Havan, 1944.

١٦- انظر سومر : العدد ٧ لعام ١٩٥١ ص ١٠٦/١٠٧ و٨ لعام١٩٥٢/٣٧ ٥٢ و ١٨٣ - ١٩٥ و ٩ لعام ١٩٥٣/٢٤٠ - ٢٤٩ و ١١ لعام ١٩٥٥ ٣ - ١٤ •

الظاهرة على سطح الارض كالقباب والابراج[١٧] والمصاطب والاهرامات[١٨] وشواهد القبور وفي احيان اخرى لا تتميز اذا كانت مستوية مع سطح الارض إلا اذا كشفتها معاول الحفارين صدفة أو بعد الاسترشاد بدليل تاريخي ورد في نص مكتوب أو بدليل اثرى وجد على سطح المدفن أو بالقرب منه .

اما شرفات الانهار فهي مجارى المياه التى بنى الانسان مستوطناته قريبا منها والمعروف ان الانهار تعمق مجاريها على مر الزمن وخصوصا اذا توفرت المياه بكثرة بعد سقوط الامطار الغزيرة وقد حدث هذا في عصر البلايستوسين في الخطوط التي تقع خلف خطوط زحف الجليد وكلما عمق النهر مجراه ضاق الوادي وانحسرت المياه على الجانبين في الوادي الضيق وانخفضت السهول الفيضية المحيطة به وقلّ امتدادها وكان الانسان يتبع مياه النهر ليبقى قريبا منها تاركا وراءه مخلفاته في مستوطناته القديمة وهكذا نجد اقدم الاثار بعيدة عن المجرى الحديث للنهر وعلى منسوب اكثر ارتفاعا من منسوب واديه الحالي وخير مثال ذلك شرفات نهر النيل[١٩] التى وجدت فيها اثار تعود الى العصور الحجرية القديمة ففي الشرفة ٣٠ مترا وجدت اثار شيليه الصنع وفي الشرفة ١٥ مترا وجدت اثار من العصر الاشولي وفي الشرفة ٩ مترا وجدت اثار موستيرية من صنع انسان نياندرتال القديم وفي الشرفة ٣ مترا وجدت اثار موستيرية احدث عهدا من سابقاتها ووجدت اثار حجرية قديمة في شرفات الانهار والجداول في اسيا الصغرى في اماكن غير مضبوطة الطبقات . اما في العراق فلم تبذل اية محاولة حتى الان لمعرفة شرفات نهر دجلة والفرات والاثار التي تركت في سهولها الفيضية .

٢

هناك خصائص وعوامل كثيرة تميز المواقع الاثرية أو تساعد على ظهور الاثار فيها أو ترشد الباحثين للتأكد من اهميتها الاثرية فالبعض من المواقع الاثرية تكشف عن نفسها بالاثار البارزة الموجودة على سطحها بمخلفات المباني

١٧— Ghirshman, R., Iran, 1954 p. 160.

١٨— Edwards, I, The Pyramids of Egypt, 1954, pp. 35 — 241.

١٩— Huzayyin, S., The Place of Egypt in Prehistory; A Correlated Study of Climates and Cultures in the Old World, 1941.

الدينية والمدنية كالمعابد والقصور والنصب التذكارية واسوار الدفاع وهذه الاثار تبدو شاخصة امام الناظرين رغم مرور الاف السنوات على تشييدها ولذلك تسهل معرفتها وفي كثير من المواقع تنتشر الاثار الصغيرة مثل كسور الفخار وقطع الطابوق وقطع النقد المعدنية • ان وجود الاثار الشاخصة أو الاثار الصغيرة المبعثرة على سطح المكان يشير الى الاهمية الاثرية والى ضرورة الحفر لاحتمال وجود اثار اخرى مدفونة في باطن الموقع ومما هو جدير بالذكر ان كثيرا من المواد الصغيرة تكون عادة صعبة التمييز وقد اهملها المكتشفون والرحالة القدماء لانهم لم يدركوا اهميتها وفي السنوات الاخيرة زاد اهتمام المختصين بها فأصبحت في كثير من الاحيان خير دليل للمنقبين • وللتعرية الطبيعية اثر كبير في كشف الاثار للعيان واكثر انواع هذه التعرية كشفا للاثار هي التعرية البحرية فالالات الحجرية المعروفة بالشظايا الكلاكتونية التي تعود للعصر الحجرى القديم الادنى تعرت في انقاض عصر البلايستوسين على سواحل كلاكتون في انكلترا بفعل الامواج البحرية [٢٠] وقد اطلق هذا الاسم على الشظايا المماثلة التي وجدت في كافة انحاء العالم • وللتعرية النهرية تأثيرمماثل في الكشف والانهار كانت منذ اقدم العصور ولا تزال تجتذب الانسان نحو شواطئها فيبنى بالقرب منها مستوطناته وترك في تلك المستوطنات كل ماله علاقة مباشرة أو غير مباشرة بحياته الاقتصادية والدينية والفنية والاجتماعية وعلى مر الزمن اخذت مياه الانهار تزيل انقاض تلك المستوطنات فأنكشفت اثارها للعيان وخير مثال على ذلك الاثار التى كشفت عنها مياه نهر دجله في تل يارمجه بالقرب من نينوى وقد جمع منه السيد كامبل تومبسون اثناء رحلة استكشافية بعض كسور الفخار وكتب ملاحظاته عنها[٢١] • وفي المناطق السهلية المفتوحة تعمل التعرية الرياحية لنقل الرمال المتراكمة على مواطن الاثار منذ عصور قديمة والكثير من مواقع العصر الحجرى المتوسط الممتدة في شمال غرب اوربا من انكلترا الى بولنده كشفتها الرياح[٢٢] مما سهل مهمة الباحثين عن الاثار للتنقيب فيها ووجدت بعثة اثرية المانية اثناء تنقيباتها في الوركاء بقايا المباني لبيت اكيتو (دار الاحتفالات بالسنة الجديدة) التى نقلت منها الرياح

٢٠– Clark, G., Archaeology and Society, 1939, p. 40.

٢١ – انظر : AAA, Vol. XX, 1933, pp. 173 — 174.

٢٢– Clark, G., p. 42.

الرمال المتراكمة عبر العصور ويرتقي زمن هذا المعبد الى عهد نبوخذ نصر[٢٣] ووجد هنري لايارد بعض الالواح الاشورية المنحوتة على سطح الموقع في نمرود وكان وجودها بهذا الشكل المكشوف نتيجة الامطار والرياح[٢٤] .

ان نشاط الانسان لايقل تأثيرا عن نشاط الطبيعة في مجال الكشف عن الاثار فمنذ اقدم العصور كان الحراث مكتشفا للاثار وفي العصور الحديثة استعين بالمكائن للحراثة بنطاق واسع فأتسع مجال مثل هـذا الكشف وكثيرا ما يحفر الانسان في الارض ليصنع الطابوق أو ليحفر الابار والقبور وقد يأتي بعملة هذا على مواد اثرية ويذكر ان بعض العمال العراقيين وجدوا في عام ١٩٦١ تمثالا مصنوعا من الرخام يعود الى العهد السلوقي اثناء حفر الارض لصنع الطابوق في مكان يقع بالقرب من معمل النسيج في الكاظمية[٢٥] ووجد السيد ملوان مجموعة نفيسة من العاجيات في بئر داخـل القصر الشمالي الغـربي في نمرود [٢٦] .

وقد يؤدى عمل الصيادين الى نتيجة مماثلة اذ يجد هؤلاء في شـباكهم بعض الاثار القديمة المطمورة في قاع المياه بالقرب من السواحل وبمرور الزمن تطورت عملية صيد الاثار الى غوص منظم للبحث والحصول على الاثار المطمـورة في قاع سـواحل البحـار وبهذه الطريقة استخرجت اثار ماينونية ومايسينية واغريقية كثيرة من قاع البحر المتوسط بالقرب من سواحل المـدن الكريتية واليونانية .

ان الحياة المدنية الحديثة تستلزم القيام بخدمات عامة مختلفة كفتح الطرق ومد سكك الحديد وبناء خزانات المياه وشق الارض لمد اسلاك التلفون والكهرباء وانابيب الماء والغاز ومجاري تصريف المياه الوسخة . ان هذه الاعمال العمرانية قد تؤدي في كثير من الحالات الى كشف مستوطنات اثرية قديمة ومن الضروري الافادة من خبرة المختصين في هذا المجال قبل الحفر واثناء الحفر وحدث ان وجدت اثار تعود الى العهد البابلي القديم والعهد الكاشي في تل محمد في مدينة بغداد

٢٣- انظر : UVB, Vol. XII — XIII, 1956, p. 35.

٢٤- Layard, Ninvah and its Remains.

٢٥- من حديث مع السيد مفتش الاثار العام في مديرية الاثار العراقية العامة

٢٦- Mallowan, M., Twenty Five Years of Mesopotamian Discovery, 1956. p. 56.

اثناء العمل لمد سكة حديد * وفي تل حرمل اراد مالك الارض بيعها لبناء البيوت فقامت مديرية الآثار العراقية العامة بشق حفر اختبارية قبل السماح له بالبيع فوجدت ما يدل على اهمية التل الاثرى ثم استمرت في التنقيب [٢٧] لعدة مواسم ونشرت النتائج •

ان الحروب تمثل الجانب الهدام من نشاط الانسان وهي بهذا الهدم والتخريب تساهم في كشف الاثار اثناء تأسيس المطارات وحفر الخنادق وبناء وسائل الدفاع ففي الخناق العسكرية التي حفرت بالقرب من محطة النفط في (H3) وجدت الواح مكتوبة بكتابات صفوية [٢٨] • وفي وقع باناهلك في سهل رواندوز وجدت بعثة امريكية اهم اثار دور حلف في خنادق حفرت لاغراض عسكرية واجرت التنقيبات للحصول على صورة كاملة لعصر حلف [٢٩] •

ان المصادر التاريخية والكتب الدينية ترشد الباحثين الى اكتشافاتاثرية مهمة فكثيرا ما يستعين منقب الاثار الحديث بملاحظات المؤرخين أو الرحالة القدماء الذين سبق لهم ان زاروا ذلك المكان أو سمعوا عنه عندما يريد البحث عن قرية أو مدينة لا يعرف مكانها أو عندما يريد البحث عن منطقة مهمة في تلك القرية أو المدينة كمقبرة المستوطن أومعابده التى بقيتمجهولة عند هيئة التنقيب رغم ظهور معالمه الاخرى فعندما اراد شليمان البدء بالتنقيبات في طروادة وما يسناى استرشد بما ورد في الالياذة والاوديسة وبما كتبه المؤرخبوسنياس ونجح في اكتشاف تسع مدن تراكمت انقاضها على بعضها عبر التاريخ القديم في حصارلك في اسيا الصغرى وحصارلك هو الاسم الحديث لطروادة ونجح شليمان ايضا في بحثه عن مقبرة اتريوس واغاممنون ولولا هومر وبوسنياس لما استطاع شليمان ان يكشف عن اسرار الحضارة المايسنية والهوميرية [٣٠]•

---

* Sarre, F., and Herzfeld, E., Archaologische Reise in Euphrate -und-Tigris-Gebiet II, 1920, p. 95 f.

٢٧ـ انظر سومر : ١٩٤٨/٤ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ و ١٩٥٠/٦ /١٢٣ ـ ١٤٢ و ١٩٥١/٧ /١٢٩ ـ ١٦٩ •

٢٨ ـ انظر سومر : ١٩٦٢/١٨ /١٦٥ وما بعدها •

٢٩ـ Braidwood, R., and Howe, B., Prehistorice Investigation in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, 1960, p. 25.

٣٠ـ Hall, H. The Oldest Civilization of Greece, 1901, pp. 1 — 21.

وما يقال عن اثر النصوص التاريخية في اهتمام شليمان بالحفريات في هـذين الموقعين يقال ايضا عن اثركتّاب العهد القديم في التنقيبات التي اجراها الغربيون في المدن التي ورد ذكرها في العهد القديم مثل اور واريدو والوركاء ونينوى • ومن الجدير بالذكر ان المبالغ التى خصصت للتنقيبات التي جرت في هذه المدن ساهم فيها افراد واشتركت فيها مؤسسات اهلية بدوافع دينية •

وفي كثير من الحالات يشجع نشر نتائج الاكتشافات أو التنقيبات الاثرية على اكتشافات أو تنقيبات جديدة فالبحوث التي نشرت عن النقوش الفنية في كهوف فرنسا وشمال اسبانيا شجعت على البحث عن نقوش اخرى في اوربا وافريقيا [٣٧] ومهدت السبيل لدراسة فنون العصر الحجرى القديم • وفي عام ١٨٧٦ نشر Sayce تقريرا عن الكتـابات الحيثية التي وجـدها بالقرب من بوغازكوى ويازيليكايا واثار بحثه اهتمام الاخرين خلال السنوات التالية فاجريت التنقيبات في كركمش وسنجرلي وبوغازكوى وكول تپه وغيرها وعثر على المزيد من الكتابات الصورية والمسمارية وكرس المختصون جهودهم لدراستها واسفرت دراساتهم عن ترجمة اكثر النصوص التاريخية وعن وضع قواعد اللغة الحيثية [٣٢] ان الحفر الاختبارية التي شقها تايلور [٣٣] في سنة ١٩٥٤ وثومبسون [٣٤] في اريدو شجعت مديرية الاثار العراقية العامة [٣٥] على وضع خطة عامة لحفريات شاملة في هذا الموقع في سنة ١٩٤٧ •

ان اسماء الاماكن المعروفة لدى السكان المحليين والاساطير التي يتناقلونها عنها قد تلقى الضوء في بعض الاحيان على اهميتها الاثرية فتل الصوان [٣٦] الواقع بالقرب من مدينة سامراء يدل على وفرة الالات الحجرية المصنوعة من الصوان

٣١– Clark, p. 68.

٣٢– Gurney, O., The Hittites, 1952, p. — 12.

٣٣– Taylor, J., Notes on Abu Shahrain and Tell-Laham. The Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 15, 1855, pp. 404 — 415.

٣٤– Thompson, R., The British Museum Excavations at Abu Shahrain in Mesopotamia in 1918. Archaeologia, Vol. XX, 1920, pp. 101 ff.

٣٥– Safar, F., in Sumer, Vol. IV, No. II, 1948, pp. 115 — 125, Vol. V, No. II, 1949, pp. 159 — 168.

٣٦– Sumer, Vol. XXI, No. 1 & 2, 1965, pp. 17 — 32, Pls. I — XXXVI.

والصوان هو المادة التي كان الانسان في العصور الحجرية القديمة يصنع منها الشظايا والنصال وبعض الادوات وقد شجع هذا الاسم مديرية الاثار العراقية العامة على قيامها بالحفريات خصوصا بعد ان وجدت لقى اثرية حجـرية كثيرة مبعثرة على سطح التل • ويستدل من الكهف المعروف بأسم هزار مرد على ان للمكان صلة اسطورية بالف رجل ويفهم من التل المعروف بأسم تل النقود [٣٧] في انكلترا بأن للمكان علاقة بالكنوز الذهبية التي اعتقد الناس انها مدفونة فيه وخيرمثال على علاقة الاسم بمحتوى المكان موقع كوستنكي على نهر الدانوب الذى يعتبر من المواقع المشهورة لكثرة ما وجد فيه من عظام الماموث وتعني كلمة كوستنكي Kostenki قرية العظام وترتبط بهذه القرية اساطير كثيرة منهـا اسطورة العملاق اندر الذي جاء مع صغاره الى هذه القرية واراد عبور نهر الدانوب ولم يستطع عبوره فشرب ماء النهر ثم التفت الى صغاره ليعبر بهـم فانفجر وتطايرت عظامه وانتشرت في الاماكن التى يعثر عليها الان[٣٨] • ووجدت بعثة دانمركية [٣٩] اثناء حفرياتها في تل شمشارة الواقع بالقرب من رانية رقم طينية مسمارية عرف منها ان اسم الموقع هو في الاصل شوشرة[٤٠] ولكنه حرف بمرور الزمن فأصبح شمشارة •

٣

ويتم كشف الاثار بقيام المختصين بالتفتيش الدقيق عن الاثار في المنطقـة التى يراد الحفر فيها ويستلزم هذا التفتيش السير على القدم في كل شبر من تلك المنطقة لجمع ما يتيسر جمعه من اللقى الاثرية الصغيرة • ان هذا التفتيش هو الخطوة الاولى التي تسبق عادة وضع خطة عامة للحفر والغرض منه هو تحديد مكان الاثار وتعيين طبيعتها وتقدير اهميتها لانتخاب اكثر المواقع انتاجا واقلها كلفة • والطريقة المفيـدة في التفتيش تنطوى على تقسيم هيئـة الكشف الى مجموعات تتألف الواحدة منها من عضوين او ثلاثة اعضاء ويعهد الى كل مجموعة

٣٧- Clark, p. 69.

٣٨- Clark, pp. 70 — 71.

٣٩- Ingholt, H., The Danish Doken Expedition, Sumer, Vol. XIII, 1957, pp. 214 — 215.

٤٠- Laessoe, J., An Old Babylonian Archive Discovered at Tell Shimshara, Sumer, Vol. XIII, 1957, pp. 216 — 218.

بالبحث في قسم معين من المنطقة توضح حدوده على خريطة خاصة تعد لهـذا الغرض وعلى رئيس هيئة التفتيش ان يستأذن صاحب الارض التي يريدالتفتيش فيها ويوصي المفتشين بتجنب الحاق الاضرار بالمزارع والممتلكات الاخرى وبتأسيس علاقات طيبة مع القروين والاهتمام بالمواد الاثرية التي توجد في حوزتهم من حيث تسجيلها ووصفها وتصويرها • اما الالات والادوات الضرورية للباحث في هذه المرحلة فيجب ان تكون قليلة العدد وخفيفة الوزن بحيث يسهل حملها في حقيبة صغيرة كالبوصلة لمعرفة الاتجاهات الطبيعية وشريط القياس الهندسي ومعول صغير لاجراء حفريات مستعجلة وآلة تصوير ورقوق لسحب الصوروسطار المحفر وفرشة صغيرة لتنظيف اللقى الاثرية من الاوساخ واكياس لجمع الملتقطات ومواد قرطاسية ويمكن اضافة الات وادوات اخرى لتغطية الحاجات المحلية اذا دعت الضرورة الى ذلك • ولا ينتهي واجب المفتش عند جمع اللقى الاثرية بل عليه ان يبين جميع المعلومات الضرورية عن المواقع الاثرية التي يكشفها اثناء جولته التفتيشية واهم المعلومات المطلوبة هي :

١ ـ اسم المكان وموقعه الجغرافي : يمكن استخدام اية طريقة لتعيين مكان الموقع اثناء التفتيش بحيث يستطيع المنقب فيما بعد الوصول اليه وعلى سبيل المثال ينبغي ان يقال ان موقع كردقبي أي تل القبة يقع على بعد نصف كيلو متر شمال قرية زونك التابعة لناحية سنكه‌سر في قضاء رانية بلواء السليمانية ويجوز ذكر رقم الموقع مضافا اليه اسم الناحية واللواء فيقال الموقع الخامس والثلاثون من مواقع ناحية سنكه‌سر بلواء السليمانية وفي هذه الحالة يجب وضع قائمة بالارقام المتسلسلة للمواقع الاثرية المكتشفة في كل منطقة •

٢ ـ المقاطعة : ويشار اليها عادة باسم المالك الذي يوجد التل الاثري في ارضه واذا وجد اسم خاص للمقاطعة فيفضل ذكره الى جانب ذكر اسم المالك ومعرفة مالك الارض تساعد على الاتصال به والاستئذان منه بالتفتيش والتنقيب كما تساعد على ضبط مكان التل وتحديد كيفية الوصول اليه واذا كان للمقاطعة مالك سابق فلا بأس من ذكر اسمه للافادة من معلوماته عن تاريخ الموقع والتغيرات التي جرت عليه واللقى الاثرية التي جمعت منـه •

٣ ـ وصف الموقع : ان الموقع الاثرى يمكن ان يكون تلا من التراب تنتشر الاثار على سطحه أو توجد في باطنه أو اطلالا دارسة لمدينة صغيرة أو نصبا تذكاريا أو مقبرة أو كهفا في جبل وفي بعض الاحيان يوجد الموقع في مكان منعزل عن طريق المواصلات الرئيسية ولا يمكن الوصول اليه الا في زوارق أو على ظهر الحيوانات ومن الضرورى الاشارة الى اقرب مورد للماء العذب لاستعماله من قبل هيئة التنقيب •

٤ ـ الخريطة وهي ضرورية لمعرفة مكان الموقع وما يتصل به من طرق مواصلات وقرى وجداول وجبال واهوار وبحيرات ومواقع اثرية اخرى ويفضل ان ترسم هذه الظواهر الطبيعية بالدقة والتفصيل على مقياس صغير : ١/٢٠٠ أو ١/٥٠٠ ولا بأس من استعمال خرائط دوائر الاثار ان وجدت وان لم توجد فالخرائط الجيولوجية أو خرائط دوائر التسوية أو الاصلاح الزراعي أو المساحة •

٥ ـ الارتفاع ويقصد به ارتفاع الموقع بالنسبة الى مستوى سطح البحر ويعرف هذا الارتفاع من قراءة خطوط الارتفاعات المتساوية على الخرائط الطوبرغرافية أو بأستعمال جهاز لتسجيل الارتفاع •

٦ ـ القياسات وتشمل سعة التل بمعرفة طوله وعرضه وارتفاعه فوق مستوى السهل المجاور اما العمق فيعرف اذا كان الموقع مقطوعا بجدول ماء أو طريق مواصلات أو اثناء التنقيب في الحفر الاختبارية وقد يتعذر على المفتش احيانا ضبط عمق الموقع في مرحلة الكشف لكثرة الانقاض •

٧ ـ النباتات الطبيعية والمزروعة النامية على سطح الموقع أو بالقرب منه تربط الماضي بالحاضر من حيث المناخ ونوع الطعام الذى كان يستعمله سكان الموقع القدماء بعد مقارنتها ببقايا النباتات والحاصلات الزراعية المستخرجة من الموقع ويضاف الى ذلك فأن معرفة نوع المزروعات وعدد السنوات التي زرعت فيها تربة الموقع تشير الى الفصل الملائم للبدء بالتنقيب وتوضح التغيرات التي طرأت عليه •

٨ ـ حالة الموقع : ان بعض المواقع تبدو في حالتها الطبيعية لم يطرأ عليها أى تخريب أو هدم وتوجد مواقع اخرى تعرضت للتغيير بتأثير الفيضانات والزلازل فتهدمت اقسام منها أو انتقلت بعض موادها الاثرية من مكان

الى اخر وهناك مواقع تعرضت لاعمال اللصوص التخريبية للافادة من احجارها أو طابوقها أو بحثا عن الاثار النفيسة والحلي الذهبية المدفونة فيهـــا •

٩ ـ تربة الموقع : تختلف تربة المواقع من منطقة لاخرى اذ تكون هشة في مكان وصلبة في مكان اخر وصخرية في المناطق الجبلية • ان ذكر الملاحظات عن مدى مقاومة التربة للحفر يعين هيئة التنقيب على اختيار الالات المناسبة للحفر • ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان لون تربة التلول الاثرية ويكون داكنا لوجود الاوساخ والرماد فيها اما لون التربة المجاورة لهـــا فيكون طبيعيـــا •

١٠ـ المخلفات الاثرية : ان الآثار البارزة تكون عادة ركاما لمباني أو رسوما منقوشة على جدران الكهوف أو مدافن متنوعة الشكل والطـــراز وفي جميع هذه الحالات يفترض بالمفتش ان يذكر عددها وقياساتها ويضع رسومها ويسحب صورها أما اللقى الصغيرة التي يعثر عليها على سطح الموقع أو بالقرب منه او تستخرج من حفـــر اختبارية شقت فيه فينبغي جمعها في اكياس صغيرة بعد تسجيل المعلومات الضرورية عنها لدراستها فيما بعد لمعرفة اهميتها • اما الاثار التي توجـــد عنـــد الهواة المحليين فيكتفي بذكر المعلومات المهمة عنها مشفوعة بالرسوم والصور •

١١ـ المصادر : ويقصد بها الكتب والمقالات التي لها صلة بالموقع أو المنطقة التي تشملها خطة التفتيش من الناحية التاريخية والجغرافية والجيولوجية والانثروبولوجية •

١٢ـ اهمية الموقع وتعرف هذه الاهمية بعد فحص اللقى الاثرية ودراســـة تقرير المتفتش عنها وعن المخلفات الاثرية الاخرى لتعيين محتوى الموقع الحضاري ومعرفة تاريخه وبهذه الدراســـة يستطيع الباحث ان يعرف مثلا ان الموقع الذى اكتشفه هو من مواقع العصر الحجرى الحديث أو مستوطنا سكنه البابليون والاخمينيـــون والبارثيـــون والساســـانيون والمسلمون بالتعاقب •

١٣ـ معلومات اخرى : وتشمل قائمة باسماء المواد المكتشفة وتوصية بتفتيش اضافي أو المباشرة بالتنقيب كما تشمل اسم المسجل للاستفسار منه عند الضرورة عن كل ما هو غامض في تقريره اذا دعت الحاجة الى ذلك •

٤

بعد الانتهاء من تفتيش المواقع الاثرية تبدأ مرحلة اختيارها للحفر ويتحدد هذا الاختيار بالغرض من التنقيب فاذا كان القصد منه استخراج اثار موقع معين لاستجلاء مظاهر حضارية فيفضل اختبار تل مرتفع وذي رقعة واسعة بعد دراسة المعلومات التي تتوفر في مرحلة التفتيش لان مثل هذا التل تتوفر فيه فرص وجود طبقات السكن المتتالية مما يسهل توضيح تطور الحضارات في ازمان متعاقبة ومن هذه المواقع تبة كورا [٤١] وتل الاربجية [٤٢] واريدو[٤٣] وقد اختارت الموقع الاول بعثة امريكية بادارة الاستاذ سبايزر ثم بادارة الاستاذ توبلر والموقع الثاني بعثة انكليزية بادارة الاستاذ ملوان والموقع الثالث مديرية الاثار العراقية العامة وكان الاعتماد في هذا الاختيار مستندا الى دراسة الاثار المبعثرة على سطح المكان في كل حالة .

ويجرى التنقيب لحل مشكلة معينة كالبحث عن اثار تسد ثغرة بين عصر واخر للحصول على اثار جديدة تمثل العصر المجهول أو للتأكد من اثار دور من الادوار وفي مثل هذه الحالات يفضل التنقيب في عدة مواقع لمقارنة اثارها بأثار العصر السابق واللاحق فالبعثة الامريكية التابعة لجامعة شيكاغو اختارت قلعة جرمو[٤٤] في محاولة للبحث عن اثار سبق العصر الحجرى الحديث في تل حسونة وكان اعتمادها في هذا الاختيار قائما على دراسة الآثار المنتشرة على سطح الموقع وقامت بالحفر في عدد من المواقع الصغيرة الاخرى مثل كرد على اغا وتل الخان ومطارة وبانا هلك وكريم شهر وتل الملفعات .

٤١– Speiser, E., Excavations at Tepe Gawra, Vol. I, Levels I — VIII. Philadelphia, 1935; Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Levels IX — XX, Philadelphia, 1950.

٤٢– Mallowan M. and Rose, J., Prehistoric Assyria. The Excavations at Tell Arphachiyah, Iraq, Vol. II, 1935, pp. 1 — 178.

٤٣– Safar, F., Excavations at Eridu, Sumer, Vol. III, No. 2, 1947, pp. 100 — 111.

٤٤– Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric Excavations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, 1960, pp. 33 — 54.

واختارت مديرية الاثار العراقية العامة تل حسونة لحل مشكلة الاثار التي وجدت في الطبقة الاولى في نينوى فاللقى الاثرية التى جمعت من التل اثناء التفتيش في عام ١٩٤٢ كانت تشمل كسرات من الفخار سبق ان استخرج مثلها في الطبقات السفلى في نينوى واسفرت تنقيبات المديرية في عام ١٩٤٢ و١٩٤٣ عن معرفة حضارة جديدة عرفت بحضارة حسونة شملت ما كان معروفا منها في نينوى •

ويجرى التنقيب احيانا لاستيضاح بعض القضايا التي وردت في نصوص مكتوبة مثل التنقيب في مدينة نفر السومرية التي اختارتها بعثة امريكية مشتركة من جامعة شيكاغو وجامعة بنسلفانيا لاستظهار معبد الاله انليل وزوجته الالهه ننليل اذ ورد ذكر هذا المعبد في رقم طينية وجدت في زمن سابق في نفس الموقع وقد اسفرت حفريات البعثة عن كشف المعبد المطلوب اضافة الى معابد اخرى واستمر العمل للحصول على المزيد بناء على الاكتشافات الجديدة • ان ظاهرة استمرار الحفر لمدة اطول من المدة التي حددتها هيئة التنقيب تتضح عندما تتوسع التنقيبات وتتجه نحو مظاهر حضارية جديدة يبرز منها قسم ويبقى القسم الاخر مدفونا في التراب الامر الذى يتطلب العود لاستكمال الحفر وقد تدعو الحاجة الى استمرار العمل في مواسم عديدة وفي بعض الاحيان توقف البعثة الاثرية اعمالها قبل الوصول الى النهاية كما حدث للبعثة الامريكية في تبة كورا وللبعثة الانكليزية في تل الاربجية •

ويجرى التنقيب لانقاذ الاثار المعرضة للسرقة او المهددة للهدم عند فتح الطرق والقنوات والجدوال وتشييد الدور أو الاثار المعرضة للغرق عند بناء مشاريع الرى • ان المواقع الاثرية في منطقة ديالى[٤٥] كانت من جملة المواقع التي عبث بها اللصوص وقد انتشرت اخبار سرقة التماثل السومرية الكبيرة منها بعد الحرب العالمية الاولى وعلمت جامعة شيكاغو بأهمية الموقع فأختارت تل خفاجي وتل اسمر للتنقيب وكانت موفقة في اختيارها اذ عثرت على الكثير من

٤٥ — Frankfort, H., Tell Asmar, Khafaje, and Khorasabad, OIC, No. 16, Chicago, 1933; Iraq excavations of the Oriental Institute 1932 / 33. OIC, No. 17, Chicago, 1934; Oriental Institute Discoveries in Iraq 1933 / 34, OIC, No. 19, Chicago, 1935; Progress of the Work of the Oriental Institute in Iraq 1934 / 35, OIC, No. 20, Chicago, 1936.

الاثار النفسية التي القت ضوء جديدا على تاريخ العراق القـديم • ان اكثر التنقيبات التي تمت وفق الطرق القديمة في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين(٤٦) في نينوى وخرساباد وبابل ونمرود وغيرها جرت بعد ان ثبت لدى المنقبين استخراج الاثار منها بطريق الصدفة أو بالحفر غير المشروع• اما التنقيبات التي قامت بها مديرية الاثار العراقية العامـة في تل حرمـل(٤٧) فكانت لانقاذ اثارها من الهدم حين اراد مالك الارض بيعها لبناء الدور عليها وقد استمرت المديرية بالحفر في عدة مواسم بعد ان تأكدت من اهمية التـل اثناء فتح الحفر الاختبارية فيه وتوصلت الى نتائج مثمرة جـدا وخصوصـا بأكتشاف الواح الرياضيات والقوانين • وتسارعت مديرية الاثار العراقيـة العامة لانقاذ الاثار في حوض دوكان (٤٨) قبل ان ينغمر بالماء ويصبح خزانا وفق مشاريع الرى فأجرت الحفائر في عدة مواقع منها تل شمشارة الذى بدأت فيه بعثة دانماركية وتل بازموسيان وتل كمريان وتل قوره شينه ومما يؤسف له ان عملية الانقاذ لم تكن كاملة ولعل ضيق الوقت هو الذى حدد القليل منها • ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد الاعمال التي قامت بها حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومنظمة اليونسكو التابعة لهيئة الامم المتحدة لانقاذ اثار النوبة التي ستغمرها مياه سد اسوان الى الابد • وفي حالة القيام بحملة لانقاذ الاثار المعرضة للاخطار يجب اختيار اكثر المواقع عرضة للتدمير وعند تعدد هذه المواقع ينبغي اختيار اكثرها اهمية وعامل الزمن له تأثير قوى في هذا الاختيار ويجب التعجيل في الانقاذ قبل حدوث التدمير اما الاثار التي لا يمكن نقلهـا فيجب تسجيل جميع المعلومات الضرورية عنها مقرونة بالرسوم والمخططات والصور •

وتجرى الحفائر احيانا لتدريب طلاب الاثار لاكتساب الخبرة والمهـارة اللازمة لادارتها في المستقبل ويتم هذا التدريب باشراف رئيس هيئة التنقيب وفي هذه الحالة يختار رئيس الهيئة موقعا اثريا مشابها لموقع تم التنقيب فيـه سابقا ليتسنى له صرف اكثر وقته على عملية التدريب نفسها • واذا تعذر التدريب

٤٦– Handkcock, P., Mesopotamian Archaeology, London, 1912, pp. 40 — 84.

٤٧– انظر سومر : ٤/١٩٤٨/١٤٢ – ١٤٣ و ١٥٣ – ١٧٣ و ٢٩٣ – ٢٩٤ ٦/١٩٥٠/١٢٣ – ١٤٢ ٧/١٩٥١/١٢٩ – ١٦٩ .

٤٨– انظر سومر : ١٣/١٩٥٧/١٩٧ – ١٩٩ ، ١٥/١٩٥٩/١١٤ – ١١٥ و ٢١٤ – ٢١٥ .

في المواقع الاثرية الحقيقية فلا بأس من تدريب الطلاب في حفريات اصطناعية وتنظم هذه الحفريات بجمع المواد الاثرية من عصور مختلفة ثم تدفن في وضع عمودى وفي طبقات متعاقبة على بعضها بحيث تمثل تسلسل العصور التي تعود لها ثم تغطى بالتراب ويبدأ الطلاب باستخراجها ثم بوصفها ورسمها وتصويرها وبيان تاريخها واهميتها الحضارية ويفضل نشر نتائج دراساتهم في تقرير خاص.

بعد ان يتم اختيار الموقع المناسب توضع الخطط لتخمين المبالغ اللازمة للصرف على شؤون التنقيب وتشمل هذه المصروفات رواتب اعضاء هيئة التنقيب واجور العمال وثمن الالات والادوات وتكاليف النقل والشحن والنشر ويفضل ان يؤخذ بالحسبان استمرار الحفر في اكثر من موسم واحد ومن المفيد جدا ان تبدأ الحفائر في موسم يخلو من سقوط الامطار لانها تؤثر تأثيرا سيئا على اعمال الحفر. اما المصادر التي تتعهد هذه التنقيبات فلا تخضع لقاعدة خاصة فقد تتعهدها جامعة او متحف أو مؤسسة خيرية او يتبرع بها الافراد تشجيعا للبحث عما بقي مجهولا من مظاهر الحضارة لدراستها وفق مناهج التعليم او لعرضها على الجمهور للاستطلاع والتثقيف وفي كثير من الاحيان تتعهدها الدول القومية للعناية بتراث الامة وتشجيع السياحة فتصبح مستوطنات الاثار مفخرة قومية وموردا للدولة لانها تجذب الزائرين الاجانب بشهرتها التاريخية.

ان هيئة التنقيب يجب ان تضم مديرا من ذوى الاختصاص في حقل الاثار يساعده شخص تتوفر فيه مؤهلات مماثلة وعدد من العمال الماهرين الذين سبق لهم وان اشتركوا في تنقيب مواقع اثرية فاكتسبوا الخبرة بالمران ويضاف الى هؤلاء عدد من المشرفين ويفضل ان يكون هؤلاء من طلاب الاثار لانهم يتميزون بالدقة في مراقبة العمل وبنفس الوقت يكتسبون خبرة تفيدهم في ممارسة اختصاصهم في المستقبل وقارىء للخطوط القديمة وشخص له دراية بدراسة النقود ومن الممكن اذا اريد الاقتصاد بالنفقات دمج هذه الاختصاصات ببعضها والاكتفاء بعدد قليل يتولى التنقيب ولكن من الضرورى جدا تقسيم العمل في جميع الحالات لتحديد المسؤولية.

وبعد تأليف الهيئة ينبغي تحضير عدة التنقيب من مجموعة ضخمة من الالات والادوات التي يتحدد عددها ونوعها بالمقدرة المالية المتوفرة لدى بعثة التنقيب وبطبيعة الموقع وطرق الحفر ووسائل النقل والخزن. ويمكن تصنيف

اكثر الالات والادوات شيوعا في الاستعمال من قبل هيئــات التنقيب حسب الحاجات الخاصة بالحفر والمسح الهندسي والمعالجة والتسجيل والتصويروالنشر ويفضل اقتناء الحديثة منها •

ويجب وضع خطة واضحة بالتنقيب ورسم المعالم الطبيعية للموقع الاثرى على خارطة توضح فيها نقطة السيطرة وخطوط الارتفاع المتساوية بدقة وفق مقياس معين قبل المباشرة بالحفر • ان نقطة السيطرة هي النقطة التي تقاس كافة المسافات والاتجاهات بالنسبة اليها ومن الافضل تثبيت مكانها في زاوية من زوايا الموقع ولا يستحسن وضعها في وسط الموقع لان الحفريات قد تتوســع وتزيل وجودها فتضيع عند ذلك كافة حسابات المسافات والاتجاهات واذا وجدت في الموقع شجرة او صخرة قائمة في مكان بعيد نسبيا عن منطقة الحفر فلا بأس من وضع علامتها هناك ويفضل ان تكون العلامة بشكل خطين متقاطعين في داخل مربع او دائرة ويحبذ صبغ العلامة بدهان احمر او ابيض اللون لحمايتها من الصدأ ولتمييزها عن غيرها واذا خلا الموقع من مكان طبيعي مناسب فلا مانع من وضع العلامة على وتد معدني يثبت اسفله في الارض واذا استعملت الات مغناطيسية لضبط الاتجاهات فيجب ان لا يكون الوتد من الحديد • اما خطوط الارتفاع المتساوية فيفضل ان تكون الزيادة بين الواحدة والاخرى منها بمقدار نصف قدم او قدم في الارتفاع لتوضيح مرتفعات الموقع بدقة •

وتقسم المنطقة التي يراد الحفر فيها الى مربعات لتسهيل عملية الحفر ولتعيين مكان الاثار المكتشفة وبموجب هذه الطريقة تقسم المنطقة الى اربعة اقســـام بمد حبلين أو خطين متقاطعين تقاطعا عموديا ثم تقسم هذه الاقسام الى وحدات اصغر مساحة بنفس الطريقة وينبغي ان تكون المسافة بين خط او حبل واخــر قصيرا بحدود خمسة اقدام مثلا اذا كانت منطقة الحفر صغيرة واكثر طولا اذا كانت واسعة ويجب تمييز كل مربع برقم أو حرف يسجل على وتد يدخل في زاوية من الزوايا •

اما طرق الحفر فتختلف باختلاف طبيعة الموقع والغرض من التنقيب وعلى العموم يمكن القول ان اهم الطرق المطبقة في الوقت الحاضر هي طريقة حفــر الاختبار وطريقة الخنادق وطريقة المدرجات وطريقة الوحدات وطريقة طبقــات المبـــاني •

ان حفر الاختبار تفتح في مرحلة التفتيش في اماكن مختلفة من الموقع دون ان يكون لها شكل او نظام خاص والهدف الرئيسي منها هو جس التربة للتأكد من اهميتها الاثرية تمهيدا المبدء بالتنقيبات • ان هذه الحفر تعطى فكرة اولية عن نوع الاثار الموجودة في المستوطن وعن ازمانها ولايمكن التعويل على نتائجها باعتبارها تنقيبات كاملة • ان مايرد عنها من معلومات في تقارير المفتشين ترشد الباحثين للبدء بالحفر او تقنعهم بصرف النظر عنها واذا بدأت الحفريات فان تلك الحفر لا تبقى على حالتها بل تتناولها الحفريات وتصبح جزء من خطة التنقيب الشاملة • ان جميع التنقيبات التي قامت بها الهيئات المختصة في كافة المواقع بدأت بحفر الاختبار وانتهت بالنتائج المذكورة في التقارير المنشورة عنها •

وتفتح الخنادق حيث توجد اللقى الاثرية الصغيرة وانقاض المباني الدارسة والغرض من فتحها هوجس الموقع تمهيدا لاجراء التنقيب فيه ويفضل ان لا يكون الخندق مستطيلا في الشكل لان التنقيب في مثل هذا الخندق يمتد باتجاه واحد ويترتب على ذلك الحصول على نتائج غير كاملة أو نتائج متماثلة ولذلك ينبغي التنقيب في خندقين متقاطعين احدهما عمودى والاخر افقي بهيئة صليب او الحفر في خندق عمودى يلتقى بخندق اخر افقي عند منتصفه او عند طرف منه مثل شكل الحرف T او L الانكليزية واكثر الخنادق انتاجا هو ماكان بشكل حرف S الانكليزية لان الحفائر تمتد فيه الى عدة اتجاهات ومن الممكن ان تكون الخنادق بشكل مربعات متصلة او متوالية يوصل بينها اذا اثمرت ومن الممكن ايضا فتح الخندق باى شكل اخر تفرضه طبيعة الموقع الاثرى ويفي بغرض الحصول على اكثر ما يمكن من الاثار • ولحفر الخنادق مزايا كثيرة اهمها ان تبين فكرة عامة عن محتويات الموقع وتوضح فيه تعاقب الطبقات وتسهل على المنقب العمل وتوفر له الوقت لان الحفائر تتركز في منطقة صغيرة المساحة يحكم فتحها وضبط طبقاتها وغلقها عند الانتهاء منها • في كثير من الاحيان يكتفي المنقبون بالنتائج التي توصلوا اليها من هذه الحفر الاختبارية كما حدث في تنقيبات بعثة بريطانية في تل الاربجية اذ جرت فيه الحفائر في منطقتين الاولى في سفوح التل والثانية في التل نفسه حيث استمر الحفر الى مستوى السهل المجاور في انقاض بلغ عمقها خمسة امتار ونصف المتر قسمت الى عشرة خنادق

وجدت في كل منها اثار لدور السكن [٤٩] • وفي تل قره يتاغ الذي يبعد نحو اربعة كيلو مترات من قرية مطارة التي تقع على بعد ٣٤ كيلو مترا الى الجنوب من مدينة كركوك اجرت بعثة امريكية تابعة للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو تنقيباتها في ثلاثة عشرة خندقا اختباريا رئيسيا اضافة الى خندق اختبار متدرج في مختلف الاقسام المهمة من الموقع واهم النتائج التي اسفرت عنها اعمال الهيئة اكتشفت في خندق الاختبار السادس والتاسع [٥٠] • وفي احيان اخرى يتخذ خندق الاختبار وسيلة للربط بين منطقتين بعيدتين عن بعضهما للحصول على فكرة متكاملة عن النتائج ففي تل حسونة بدأت التنقيبات في مكانين الاول في القسم الجنوبي من التل حيث استمر الحفر الى عمق سبعة امتار من سطح الارض في سبع طبقات والثاني في القسم الشمالي من التل حيث استمر الحفر الى عمق عشرة امتار من سطح الارض في ثمان طبقات ثم ربط بين المكانين بخندق اثبتت الحفريات فيه تعاقب الادوار الحضارية في خمس عشرة طبقة بصورة منظمة [٥١] •

اما الحفر المتدرج فيكون في المواقع الاثرية ذات التربة الصلبة في المناطق الجبلية وحيث يكون الانحدار شديدا ويتم الحفر في منطقة معينة لمسافة عشرة امتار طولا ونصف المتر عمقا على ان يحافظ على استقامة واستواء جانب واحد من جوانب هذه المنطقة لملاحظة التغييرات في لون التربة ونوع مواد البناء ، ثم تحفر منطقة اخرى بجوار المنطقة الاولى وباتجاه انحدار التل وبنفس الطول ونفس العمق وهكذا حتى القاع الصخري فتبدو منطقة التنقيبات على شكل مدرجات متتالية تنتظم الواحدة بجوار الاخرى من الاعلى الى الاسفل [٥٣] • ان هذه الطريقة تساعد على الاقتصاد بالنفقات والتوفير بالوقت والحصول على نتائج كثيرة في منطقة صخرية يصعب الحفر فيها وهي بنفس الوقت تحكم ضبط الطبقات ومكان الاثار غير انها تستلزم استخدام عدد كبير من العمال •

٤٩– Lloyd, S., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, pp. 260—261.

٥٠– Mallowan, M. and Rose, J., Iraq, Vol. II, 1935, pp. 11.

٥١– Braidwood, R., Smith, L., and Leslic. J., Mattara, A. South variant of Hassuna Assemblage Excavated in 1948, JNES, Vol. XI, No. 1, 1952, pp. 1—75.

٥٢– Ingholt, H., Sumer, 1 Vol. XIII, 1957, pp. 214—215.

اما الحفر في الوحدات الخاصة بموجب طريقة المربعات الشبكية فهو اكثر الطرق صلاحا في المواقع الصغيرة المهمة جدا حيث يسير العمل بعناية فائقة للعثور على اثار جديدة وبموجب هذه الطريقة يتم الحفر في مكان معين اعتبارا من سطح الارض وحتى التربة العذراء بشكل تدريجي وفي طبقات متجانسة العمق يتراوح عمقها بين القدم الواحد والثلاثة اقدام وفي الكهوف ينبغي ان يكون عمق الطبقة الواحدة اقل من قدم واحد نظرا لصلابة التربة ولاحتمال وجود اثار قديمة جدا في حالة رديئة تدعو الى البحث الدقيق ببطء . ومن الضروري في جميع الحالات الاحتفاظ باستقامة واستواء جانب واحد من جوانب هذا المكان لمتابعة التغييرات التي تطرأ على لون التراب ومواد البناء . وعند الانتهاء من التنقيب في هذا المكان يبدأ الحفر بالمكان المجاور له وبنفس الطريقة وحتى التربة العذراء ايضا وفي كثير من الاحيان تستلزم ظروف التنقيب البدء بحفر المكان المجاور اذا بقي قسم من المخلفات مدفونا فيه ويفضل ان يحفر في اماكن اخرى قريبة من بعضها يوصل بينها ان كانت مثمرة وفي معظم الحالات تصبح هذه الحفر الصغيرة المتجاورة حفرة كبيرة واحدة . تساعد هذه الطريقة على ضبط الطبقات وملاحظة التغييرات فيها وتصلح للاستخدام في المناطق السهلية حيث تتوفر التربة الرخوة .

اما الحفر بحسب طبقات البناء فهو اكثر انواع الحفر اقتصادا بالنفقات في مواقع القرى والمدن الاثرية ذات المساحة الواسعة والتركيب المعقد حيث تتوفر انقاض الاكواخ والدور والقصور والمعابد والمساجد وغيرها على بعضها ومن المفيد ان يبدأ الحفر في المكان الذي توجد فيه هذه الاثار البارزة او عند العثور عليها تحت التراب حتى الوصول الى نهايتها ويعتبر هذا العمق طبقة واحدة تتميز بوجود جدار أو مخلفات معبد او كوخ وتسمى هذه المخلفات بالجدار الاول او المعبد الاول او الكوخ الاول (٥٣) بدلا من الطبقة الاولى وتعرف نهاية هذه المخلفات عند الوصول الى قاعها الذي يتميز بصلابة تربته ولونه الداكن أو احجاره المبلطة أو طابوقه المرصوف ثم يستمر الحفر حتى قاع مخلفات المباني التي ترقد تحت مخلفات المباني الاولى لاظهار الجدار او الكوخ او المعبد الثاني وهكذا حتى التربة العذراء التي تخلو من الاثار .

٥٣- Starr, R., Nuzi, Vol. I, 1939, pp. 18 — 30, 62 — 122; Tobler, 1950, pp. 6 — 50.

ان اكثر الصعوبات التي يلاقيها المختصون عند التنقيب في المواقع القروية تظهر عند البحث عن جدار بني باللبن لاظهاره وتمييزه عن الانقاض الاخرى المجاورة لها فالتبن الذي اختلط بالطين للشد وهو اهم ما يميز اللبن قد تأكل بمرور الزمن ولم يبق له اثر واضح للعيان ولذلك يصعب تمييز الجدران المبنية بمثل هذا اللبن خصوصا اذا كانت الطينة المجاورة للجدار هي نفس طينة اللبن وقد يهدم المنقب مثل هذا الجدار دون علم منه كما حدث لاحد المنقبين الذين حفروا لاول مرة في موقع قروى مصرى اذ هدم جدران مبنى من اللبن بلغ ارتفاعها ستة اقدام عند البدء بالحفر ولم تبق من المبنى سوى عتبة الدار الحجرية (٥٤) . وتشتد صعوبة تمييز هذه الجدران اذا سقطت اقسامها العلوية على الارض المجاورة وامتلأ فراغ الغرفة بانقاضها . ان هذه الصعوبات يمكن تذليلها أو السيطرة عليها بالاشراف الدقيق على حفر بطيء يقوم به من توفرت لديهم الخبرة وبهذه الطريقة تتميز الجدران لانها اشد تماسكا من الانقاض والاستعانة بالترطيب تترك خطأ فاصلا بين الانقاض والجدران كما ان العدسات المكبرة تبين الحفر التى خلفها التبن البالي في اللبن الذى استخدم لبناء الجدار .

وتأخذ المدن القديمة في الغالب شكل تل مرتفع من الانقاض والتنقيبات الاثرية في مثل هذه المدن يجب ان تستهدف معرفة مظاهر الحضارات في مختلف العهود التى مرت بها المدينة اثناء تأسيسها ونموها وتطورها مع بيان خطط المدينة اثناء ذلك النمو والتطور . ان احسن طريقة لاستجلاء معالم هذه المدن هو الحفر من داخل المدينة ويفضل ان تكون نقطة البداية في وسط المدينة(٥٥) لان هذا الوسط يمثل مركز المدينة كما يمثل اقصى ارتفاع سكنه الانسان وعند الانتهاء من الحفر في المنطقة الوسطى تفتح الحفر الاختبارية باتجاهات مختلفة للبحث عن اسوار المدينة وتحصيناتها التي تعتبر من الخصائص البارزة في اغلب المدن القديمة . اما اذا بدأت التنقيبات في نقاط متباعدة عن بعضها في وسط المدينة او في اطرافها كما يحدث في المدن الحديثة التي تطورت من اصل قديم حيث يتعذر التركيز على تنقيب سليم ومثمر النتائج فلا ينتظر الحصول على فكرة واضحة لتسلسل الادوار الحضارية ولا تنطوي التنقيبات التي تجرى بهذه الطريقة في خنادق متناثرة الا على الضياع في الجهود والنفقات .

٥٤- Woolley, L., Diggnig up the Past, 1960, p. 54.

٥٥- Wheeler, M., Archaeology from the Eath, 1954, p. 86.

ان التنقيبات الاولى التي قام بها الافراد او التي تعهدتها المؤسسات العلمية في القرن التاسع عشر استهدفت جمع الآثار الفنية الكبيرة كالتماثيل او الآثار النفسية كالحلي الذهبية التي تستهوى الناس عند عرضها لهم في المتاحف ولم يجري البحث عن تلك الآثار بالطرق الدقيقة التي تضبط فيها الطبقات وتراقب التطورات في التغييرات الجيولوجية والانثرويولوجية والجغرافية والفنية كما ان طريقة التنقيب لم تكن تتجاوز الحفر الاعتيادى لاستخراج الآثار ونقلها • اما الحفر الاثرى الحديث فيبدأ من سطح الارض وحتى التربة البكر بخطوات تدريجية تتناول كل الآثار الكبيرة والصغيرة وكل ما له علاقة مباشرة او غير مباشرة بها مثل هياكل العظم الادمية والحيوانية وبقايا النباتات والحاصلات الزراعية ونوع الصخور اضافة الى طرق البناء وطرز الفن ويبدأ الحفر عادة بازالة الطبقة العليا من التربة التي جمعتها عوامل الطبيعة منذ زمن قديم وقد يبلغ سمك هذه الطبقة نصف القدم او اكثر قليلا في المناطق الجافة بينما يبلغ العقدتين في المناطق الرطبة وتكون في هذه المناطق متماسكة لكثرة ما يمتد فيها من جذور نباتات كثيفة • وبعد ازالة هذه التربة يستمر الحفر شاقوليا الى عمق قدره بقدر لسان المعول المعدني اى حوالي القدم الواحد وعند ذلك يأخذ الحفر اتجاها افقيا لاستخراج الآثار من الانقاض المتجمعة في هذه البقعة المحفورة واذا وجدت مواد اثرية في تلك الانقاض يجب ضبط مكانها وتسجيل المعلومات الضرورية عنها وتصويرها حيث وجدت اذا دعت الضرورة ثم تحفر مقادير اخرى بنفس الطريقة وتستخرج اثارها وهكذا حتى يبلغ العمق حوالي الثلاثة اقدام وعند ذلك تعتبر هذه الانقاض طبقة اولى ثم يستمر الحفر في طبقة ثانية وثالثة حتى التربة البكر او القاع الصخرى حيث يتوقف ظهور الآثار • وفي المناطق القريبة من مصادر المياه يحدث احيانا ان تنز الارض وتغمر المياه حفرة الآثار فعلى المنقب ان يواصل البحث تحت الماء وبامكانه تقدير العمق بمسطرة طويلة اما اذا كانت المياه عميقة جدا وتوفرت المقدرة المالية لدى الهيئة فلا بأس من الاستعانة بمضخة لتفريغ المياه واذا كانت التنقيبات بالقرب من القرى والمدن الاهلة بالسكان فمن الضرورى اعادة التراب الى الحفر بعد الانتهاء منها لان بقاءها مفتوحة يساعد على تجمع الاوساخ والمياه الاسنة مما يسبب اضرارا في الصحة العامة •

ان الموقع الاثرى الذى يتعرض للحفر هو موقع فريد لا يشبههه موقع اخر تمام الشبه والمادة الاثرية التى تستخرج منه لا يمكن اعادتها الى مكانها الاصلي ولذلك اصبحت طريقة الحفر التى يستخـدمها باحث الاثار ودقة ملاحظاته وسجلاته وخرائطه والرسوم والصور التى اعدها للتوضيـح هي المقاييس الرئيسية لتثمين جهوده وهي المصدر الوحيد لدراسة نتائجهـا . ان التنقيب في الموقع الاثرى يعني هدم ذلك الموقع وازالته من الوجود واذا حدث هذا فلا يبقى من الموقع الا ما احتوته سجلات المنقب التى يجب نشرها في تقرير عام والا اعتبرت تلك التنقيبات تخريبا تستوجب اللوم ما لـم يبرر التقصير في عدم النشر باعتبارات مشروعة كالعوز المالي او العمليات الحربية او الارتباكات السياسية .



BIBLIOGRAPHY

Braidwood, R., Smith, I. and Leslie, L., Mattara, A South Varient of Hassuna Assemblage Excavated in 1948, JNES, Vol. XI, No. 1 1952, pp. 1 — 75.

Braidwood, R., and Hawe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, Chicago, 1960.

Braidwood, R., Excavations in the Plain of Antioch, I, OIP, Vol. LXI, Chicago, 1960.

Clark, G., Archaeology and Society, London, 1939.

Edwards, I., The Pyramids of Egypt, Harmondsworth, 1954.

Frankfort, H., Tell Asmar, Khafaje, and Khorsabad, OIC, No. 16, Chicago, 1933.

Frankfort, H., Iraq Excavations of the Oriental Institute 1932 / 33, OIC, No. 17, Chicago, 1934.

Frankfort, H., Oriental Institute Discoveries in Iraq 1933 / 34, OIC, No. 19, Chicago, 1935.

Frankfort, H., Progress of the Work of the Oriental Institute in Iraq 1934 / 35, OIC, No. 20, Chicago, 1936.

Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, Baltimore, 1955.

Ghirshman, R., Iran, Harmondsworth, 1954.

Gurney, O., The Hittites, Harmondsworth, 1952.

Hall, H., The Oldest Civilization of Greece, London, 1901.

Handkock, P., Mesopotamian Anchaeology, London, 1912.

Huzayyin, S., The Place of Egypt in Prehistory, A Correlated study of climates and culture in the Old World. L'Institut d'Egypte. Memoires XLIII.

Ingholt, H., The Danish Dokan Expedition. Sumer, Vol. XIII, 1957, pp. 214 — 215.

Kennedy, A., Petra, Its History and Monuments, London, 1925.

King, L., Bronze Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria, B.C. 860 — 825, London, 1915.

Laessoe, J., An Old Babylonian Archive Discovered at Tell Shimshara, Sumer, Vol. III, 1957, pp. 216 — 218.

Lloyd, S. and Safar, F.. Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 — 1944, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, pp. 255 — 289.

Lloyd, S., The Art of Ancient Near East, Thames and Hudson, 1961.

Lloyd, S., Foundations in the Dust, Harmondsworth, 1955.

Luckenbill, D., Ancient Recordes of Assyria and Babylonian, Vol. I, Chicago, 1927.

Mallowan, M., and Rose, J., Prehistoric Assyria. The Excavations at Tell Arpachiyah, Iraq, Vol. II, 1935, pp. 1 — 178.

Mallowan, M., Twenty Five Years Mesopotamian Discovery, London, 1950.

Rogers, R., A History of Babylonia and Assyria, Vol. I, New York, 1915.

Rostovtzeff, M., et al, The Excavations at Dura-Europos, New Haven, 1914.

Safar, F., Excavations at Eridu, Sumer, Vol. III, No. 2, 1942, pp. 100 — 111.

Sarre, F., and Herzfeld, E. Archaologische Reise in Euphrat — Und — Tigris Gebiet, II, 1920.

Speiser, E., Excavations at Tepe Gawra, Vol. I, Levels 1 — VIII, Philadelphia, 1935.

Smith, W., Ancient Egypt, Boston, 1952.

Starr, R., Nuzi, Vol. I, Cambridge, Harvard University Press, 1939.

Taylor, J., Notes on Abu Shahrain and Tell el-Laham. The Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 15; 1855, pp. 404 — 415.

Thompson, R., The British Museum Excavations at Abu Shahrain in Mesopotamia in 1918, Archaeologia, Vol. XX, 1920.

Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Levels IX — XX, Philadelphia, 1950.

Woolley, L., Ur Excavations Vol. IV, The Early Periods, Philadelphia, 1956.

Woolley, L., Digging up the Past, Harmondsworth, 1960.

تطور مناخ العراق منذ بداية البلسيتوسين
حتى الوقت الحاضر

الدكتور محمد رشيد الفيل
استاذ مساعد
Ph. D., F.R.G.S.

المقـــــدمـة :

هنالك من المفكرين من يعتقد بان التاريخ وحـده متحرك وان الجغرافية جامدة ولكن هـذا الاعتقاد خاطيء ولا يقوم على اساس علمي • فلقد ثبت بان الجغرافية متحركة متغيرة وليست ثابتة ، فالشواهد الكثيرة المأخوذة من مختلف انحاء العالم تؤيد ذلك • فالموقع الجغرافي يتغير في وقت عنه من آخر فقد يكون له تأثير عظيم في عصر وليس له ذلك التأثير في عصر آخر • فبريطانية مثلاً كانت قديماً (قبل اكتشاف امريكا) في نهـاية العالم وهي الآن وسط العالم وكذلك العراق كان حلقة وصل بين القارات القديمة الثلاث تمر به جميع القوافل التجارية الاتيـة من أوروبا وافريقيـا الى آسيا أو بالعكس ولكن اكتشاف طـريق رأس الرجاء الصالح وحفر قناة السويس صرف عن العـراق القوافل التجارية التي كانت تمـر به ، كذلك السطح دائم التغيير بفعل عوامل التعرية والتآكل المختلفة ، فالبراكين والزلازل والرياح والامطار تعمل عملها وبصورة دائمية ، في تغيير وجه الارض وتبديل معالمه ، والانهار التي تضيف كل سنة ارضاً جديدة أو البحـار التي تأكل كل سـنة في السواحل فتزداد مساحـة المـاء على حساب اليابس • كذلك التربة دائمـة التغير وهي ذات الاثر الكبير في تنوع الانتاج ووفرته هذه التغييرات حدثت في الماضي ولا تزال تحـدث في الوقت الحاضر ، ولعل اخطـرها كانت التغيـيرات المناخيـة التي حـدثت في مختلف العصور الجيولوجية وكان اثر هـذه التغييرات خطير على الانسان الذي عاش في فترة البليستوسين لان الانسان كان عبداً طيعاً للطبيعة تفعـل به ماتشاء كذلك كان للتغييرات المناخية اثرها على النباتات والحيوانات التي اعتمد عليها الانسان في حالته المعاشية ولقد شهدت العراق مثل هذه التغييرات في الماضي ولم تزل نشهد بعض هذه التغييرات في الوقت الحاضر •

التغييرات المناخية في فترة البليستوسين :

لقـد تغيرت الظروف المناخية في العالم في مختلف العصور ، فلقد اثبت Brooks في كتابه The Evolution of Climate بان مناخ العالم قد تأثر بتطورات مناخية خطـيرة في مختلف العصور الجيولوجية ، واثبت بان منـاخ العصر الكاربوني كان دافئاًورطباً بينما العصر الديفوني كان بارداً جافاً ومناخ الايوسين كان دافئاً ، ولقـد انخفضت درجـة الحرارة في العصر البرمي فحلت الاشجار الصنوبرية الصلبة السوق محل الاشجار السرخسية الرخوة • ولقـد اشتدت قسوة المناخ في العصر الترایاس منـذ ۲۰۰ ـــ ١٦٠ مليون سـنة والجوراس منذ ١٦٠ ـــ ١٣٠ مليون سنة •

ولقـد مرت اثنـاء العصر الكريتـاسي فترة باردة فأنكمشت مساحـة المستنقعات واضطر عـدد كبير من العناصر النباتية والحيوانية الى ان تتكيف للظروف المناخيـة الجديدة ولكن في نهاية العصر الكريتاسي عنـدما انسحب الجليد ظهـرت أنواع اخـرى من الحيوانات التي تمتاز بتحملها للبرودة تشبه النعام في سـرعة الجري • وكان العصر البليستوسيني بارد حيث انتشر الجليد والواقـع ان التغير في الظروف المناخية لم يزل حتى الوقت الحاضر • ويعتقد كريسويل Gresswell في كتابه Glaciers and Glaciation ان درجات الحرارة في أوروبا وامريكا الشمالية قد ارتفعت درجتين فهرنهايت في السبعين سـنة الاخـيرة وهكذا اصبحت الثلاجات في سـويسرا ثلاثة ارباع ما كانت عليهـا • أما درجات الحرارة فقد ابتدأت بالانخفاض في السبعين مليون سنة الاخـيرة في قارة أوروبا ويعتقد ان درجـات الحـرارة في العصر الجليـدي البليستوسيني قد انخفضت عشرة درجات فهرنهايت عما هي الآن • ولقد تراكم الجليد بكثرة وتقدم من الجهات القطبية الشمالية ، الى أواسط امريكا واواسط أوروبا وجزر من آسيا • وكان انتشار الجليد في القارات الشمالية يقابله سقوط أمطـار غزيرة في شمال افريقيا وشبه جزيرة العـرب والاقاليم المدارية بصورة عامة • ولقد لخص الاستاذ اوستن ميلر Austin Miller الادلة التي يستند اليها العلماء في القول بوجود هذه التغييرات المناخية وهي كالآتي : ـــ

١ ـــ المعلومات الخاصة بالامطـار وغيرها من الظواهر المناخية الاخـرى التي سجلها الكتاب القدماء مثل سجل الظواهر الجوية الذي دونه بالاسكندرية بطليموس الجغرافي من القرن الثاني الميلادي •

٢ ـ المعلومات الخاصة بالفيضانات وفترات الجفاف •

٣ ـ المعلومات الخاصة بسواعيد بذر الحبوب وجنيها ومثال ذلك أنه توجد في بعض جهات أوروبا سجلات مدون فيها مواعيد زرع الكروم وجنيها منذ سنة ١٤٠٠ ميلادية •

٤ ـ القصص الدينية مثل قصة الطوفان •

٥ ـ اختلاف المسافات بين الحلقات السنوية لنمو الاشجار المعمرة وقد بلغ عمر بعض هذه الاشجار اكثر من ٣٠٠٠ سنة كالتي تعيش في الوقت الحاضر في كالفورنيا •

٦ ـ التوزيع القديم للنباتات الحساسة أي التي تتأثر بسرعة بالاحوال المناخية المتغيرة كالنخيل والكروم •

٧ ـ وجود بقايا الحيوانات الميته (المتحجرة وغير المتحجرة) في جهات لا تكفي امطارها وحرارتها في الوقت الحالي لمعيشة هذه الحيوانات وكذلك وجود جذوع الاشجار المطمورة في جهات شديدة الجفاف في الوقت الحاضر لا تساعد على نمو الغابات •

٨ ـ وجود آثار مراكز عمران قديمة لا تساعد ظروفها المناخية الحالية على العمران ومثال ذلك انقاض مدينة تدمر في الصحراء السورية فانه بالاستناد الى دراسة هذه الانقاض قدر البعض عدد سكانها قديماً باكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة في حين ان امطارها الحالية لا تسمح إلا بسكنى ١٠٠٠ نسمة فقط •

٩ ـ وجود آثار على قيام الزراعة في مناطق لا يسمح المناخ الحالي بزراعتها ومن تلك الآثار معاصر الخمر •

١٠ ـ امتداد بعض الطرق حول بحيرات جافة في الوقت الحاضر كذلك وجود جسور على مجاري مائية ليس بها ماء في الوقت الحاضر •

١١ ـ وجود ادلة على اختلاف مستوى بعض البحيرات والبحار المقفلة مثل بحيرة فكتوريا وبحر قزوين • ونضيف الى الادلة التي عددها بروفسور ميلر Miller مايلي :

١٢ ـ وجود البحيرات الجافة •

١٣ ـ وجود وديان جافة طويلة تنتشر بكثرة في المنطقة الصحراوية في أفريقيا وشبه جزيرة العرب وهذه الوديان عبارة عن احواض انهار قديمة ووجود

مثل هذه الوديان وفروعها لم يكن ليتأتي دون ان يكون هناك مياه غزيرة تنزل في تلك المنطقة الواسعة التي يسودها الجفاف في الوقت الحالي •

١٤ــ وجود بعض التكوينات الصخرية التي تدل على نوع المناخ السائد اذ أنها تتكون تحت ظروف مناخية معينة كالتوفا Tufa والبرشيا Breccia

١٥ــ وجود بقايا حضارية منتشرة انتشاراً واسعاً في مناطق خالية من المياه والحياة النباتية والحيوانية والبشرية في اوقت الحاضر •

١٦ــ تغيير المراكز الحضارية من أقليم الى آخر كتغير المركز الحضاري من أقليم البحر المتوسط الى غرب أوروبا •

١٧ــ انتشار الركامات الجليدية في اواسط قارة أوروبا وامريكا كذلك تكوين بحيرات جليدية كبيرة •

مثل Ladoga, Onega في اوروبا شمال غرب روسيا

العصور الجليدية البليستوسينية :

ان أهم ما يمتاز به عصر البليستوسين هو حدوث ظاهرة الجليد في نصف الكرة الشمالي وتراكمه بكثرة وتقدمه من الجهات القطبية الشمالية الى اواسط امريكا وأواسط أوروبا وجزء من آسيا،ولقد بدأ الجليد ينتشر في أمريكا الشمالية من مراكز متعددة فغطى كلاً من كندا وشمال الولايات المتحدة وأهم مراكز انتشار الجليد كانت في لبرادور وجبال روكي •أما في أوروبا فكان هنالك مركزين هامين لانتشار الجليد هما اسكندناوه ، والنمسا ، وسويسرة • ولم يكن تراكم الجليد بسيطاً بل كان عظيماً جداً بحيث سوى بين الجبال والوديان وقدر عمقه بآلاف الاقدام • وهذا التقدم للجليد كان له أثره على حياة الانسان آنذاك لانه كان موجوداً وجعل حياته مستحيلة في الجهات التي تراكم فيها فأضطر الانسان والحيوان الى الهجرة الى حيث يتمكن بالاستمرار على حياة اعتادها • هذه الفترة من البليستوسين تعرف بأسم العصر الجليدي Glacial Period • واستمر انتشار الجليد مدة طويلة ولكنه لم يكن على وتيرة واحدة في كل ادواره فكان احياناً يتقدم واخرى يتقهقر ويعتدل المناخ نسبياً • وكنتيجة للدراسة المفصلة للرواسب الجليدية والترتيب الطباقي للنبات والحيوان وطبيعة التربة والمدرجات البحرية والنهرية التي درست في جهات العالم المختلفة ثبت ان العصر الجليدي يتألف من فترات جليدية ذات برودة شديدة وفترات اخرى دفيئه بين الفترات الجليدية Inter Glacial Period •

وفي عام ١٨٨١ م تنبه جيمس جيكي James Geikie استاذ الجيولوجيا في جامعة ادنبرة الى تناوب العصور الجليدية والدفيئه واشار الى ان الدلائل في اسكتلندة وشمال أوروبا تشير الى وجود (٦) فترات جليدية • واتى بعده العالمان بنك Penck وبروكنر Bruckner وقاما بابحاث في أودية جبال الالب فثبت لديهما ماسبق ان اعلنه جيكي من ان العصر الجليدي يتألف من فترات باردة واخرى دافئه ولقد اقتنعا بوجود اربعة ادوار جليدية في جبال الالب كما ثبت لديهما ليس فقط من دراسة نباتات دورنتن Durnten بل كذلك من دراسة ارسابات مماثلة بالقرب من انسبروك من ان الفترات بين العصور الجليدية كانت دفيئه كما اثبتا الصلة بين المدرجات النهرية في الراين والانهار الاخرى والادوار الجليدية الاربع • ولقد سميا هذه الادوار الجليدية الاربع باسماء وديان من جبال الالب وهي كما يلي حسب ترتيبها الزمني :

١ ــ جنز	Gunz
٢ ــ مندل	Mindel
٣ ــ رس	Riss
٤ ــ ڤرم	Wurm

ويعتقد Gresswell بان فترات الادوار الجليدية كانت كالآتي :

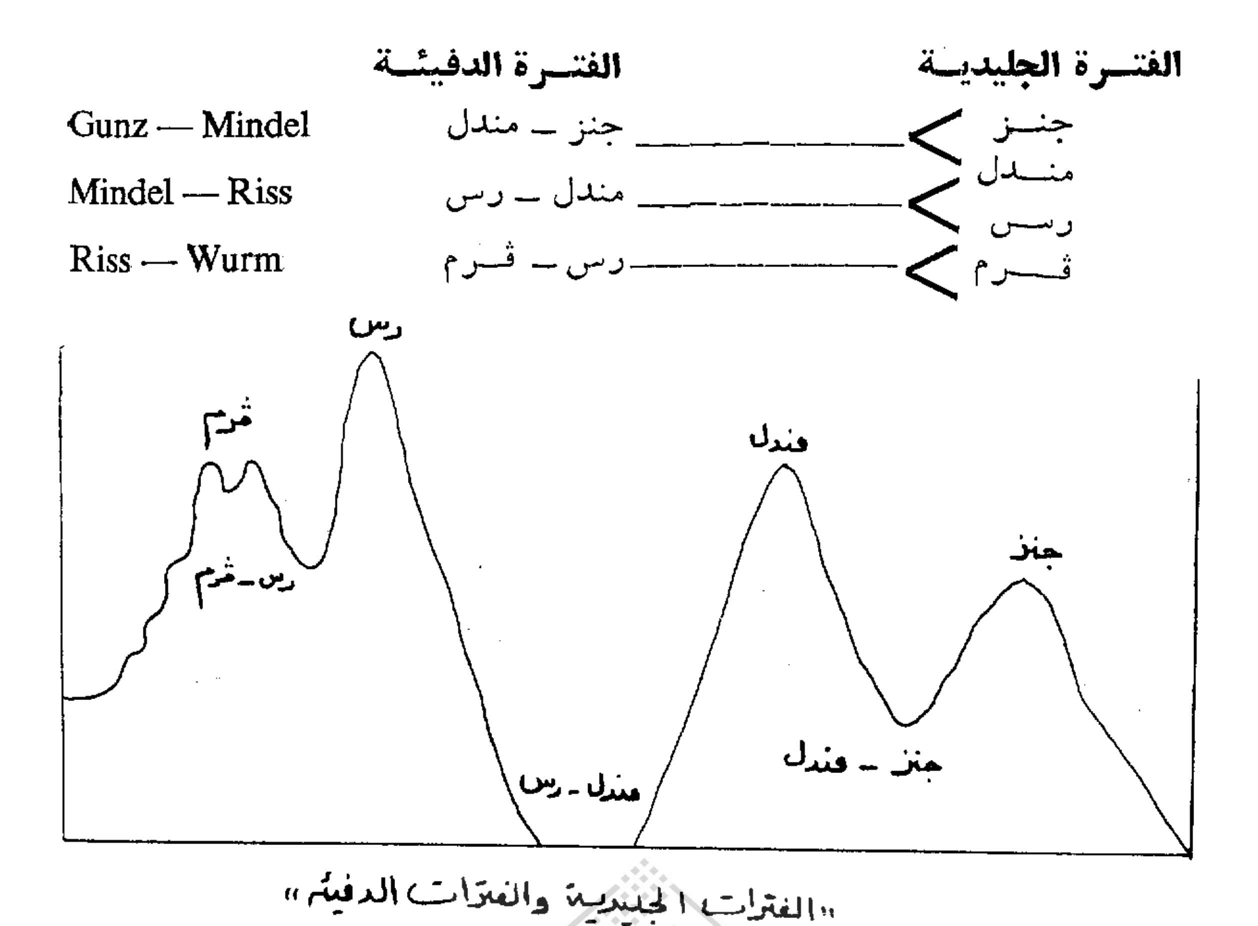
١ ــ فترة جنز كانت قبل ٧٠٠ر٠٠٠ سنة •

٢ ــ فترة مندل كانت قبل ٤٣٠ر٠٠٠ ــ ٣٧٠٠٠٠ سنة •

٣ ــ فترة رس كانت قبل ١٣٠ر٠٠٠ ــ ١٠٠٠٠٠ سنة •

٤ ــ فترة ڤرم كانت قبل ٤٠ر٠٠٠ ــ ١٨٠٠٠ سنة •

بينما قدر Zuiner امتداد العصر الجليدي الاخير بين ٤٩٠ر٠٠٠ الى ٢٥٠ر٠٠٠ سنة ويعتقد البعض الآخر بأن العصر الجليدي حدث قبل ربع مليون سنة • وتختلف الفترات الجليدية في درجة قوتها واتساع انتشار الجليد فيها أو بعبارة اخرى درجة الحرارة السائدة وقسوة مناخها البارد كما تختلف في طول الزمن الذي استغرقته وبين كل مرحلة جليدية واخرى توجد فترة دفيئه كان يعتدل فيها المناخ نسبياً ويتقهقر الجليد وتعرف هذه الفترات بين العصور الجليدية بأسم الفترات الدفيئه أو بين الادوار الجليدية وهي كالآتي :



الفتـرة الجليديـة		الفتـرة الدفيئـة	
جنـز / منـدل		جنز ـ مندل	Gunz — Mindel
منـدل / رسـن		مندل ـ رس	Mindel — Riss
رسـن / قـرم		رس ـ قـرم	Riss — Wurm

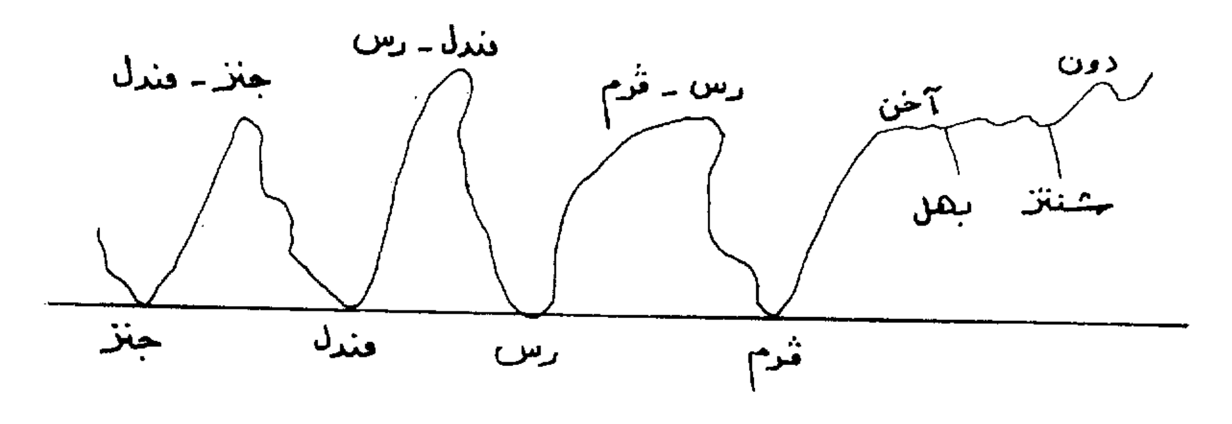
«الفترات الجليدية والفترات الدفيئة»

وفي نهاية جليد قرم اخـذ الجليد يتقهقر واخـذ التغير في المناخ يحدث والاحـوال المناخية تسير من حسن الى احسن ولم يكن انسحاب الجليـد مرة واحـدة بل على شكل ذبذبات الى ان انتهى وزال واصبحت الحالـة الطبيعية كالتي تسود في الوقت الحاضر ولقد اعطيت مراحل التقهقر الاسماء الآتية :

١ ـ آخن Achen حيث تقهقر الجليد ببطىء مع بعض الوقفات الكلية •

٢ ـ بهل Buhl حيث تقدم الجليد قليلاً لمدة قصيرة ثم اخذ بالتقهقر ثانية •

٣ ـ شنتنز Gschnitz وفيها وقف الجليد عن التقهقر لمدة طويلة وفي آخر الفترة اخذ الجليد بالتقهقر •



٤ ـ دون Daun وفيها وقف الجليد عن التقهقر وكانت هذه وقفته الاخيرة ثم بدأ بالانسحاب

وكان للعصر الجليدي اثره على هبوط خط الثلج الدائم [1] عن مستواه الحالي لشدة البرودة ففي فترة جنز Gunz كان مستوى الجليد اوطأ عما هو عليه في الوقت الحاضر كما في الجدول الآتي :

هبوط الجليد عن مستواه الحالي	الفترة الجليدية
١٢٠٠ م	جنز
١٣٠٠ م	مندل
١٣٠٠ م	رس
١٢٠٠ م	ڤرم
٧٠٠ م	آخن
٩٠٠ م	تقدم بهل
٦٠٠ م	شنتنز
٣٠٠ م	دون

ولقد قرر العلماء ان الغطاءات الجليدية التي غمرت الارض في فترة ڤرم Wurm قد استنفذت من مياه المحيط مامقداره (٣٤) مليون كيلو متر مكعب من الماء أو مايعادل طبقة من تلك المياه سمكها (٨٥ م) . وعلى هذا النحو قدرت المياه التي تكونت منها غطاءات رس Riss بنحو (٤٢) مليون كيلو متر مكعب أو مايعادل طبقة من مياه المحيطات يبلغ سمكها (١٠٥ م) . وكان لاخذ كميات كبيرة من مياه المحيطات اثره على انخفاض مستوى البحر حوالي (٦٠٠) قدم ، هذا أدى الى اتصال آسيا بامريكا الشمالية حيث مضيق بهرنج واصبح البحر الاسود والبحر المتوسط عبارة عن بحيرات صغيرة [2] كما ان معابر برية وصلت بورنيو بجاوة بسومطرة بآسيا .

ويقدر نانسن Nansen ان سمك الجليد الذي غطى شبه جزيرة اسكندناوة في أوقات مختلفة بحوالي (٦٠٠ م) بينما رامسي Ramssy يزيد هذا التقدير الى (١٢٠٠ م) .

(١) خط الثلج الدائم : هو اوطأ مستوى تبقى عليه الثلوج بصورة دائمية على المناطق الجبلية .

(٢) يعتقد Fleure وغيره بوجود (٣) معابر برية تصل اوروبا بافريقيا وآسيا وهي جبل طارق ، وتونس ومالطة وصقلية وايطاليا ، وجزر ارخيبل بحر ايجة .

أما انسحاب الجليد فلقد اختلف في تعيين بدايته ونهايته فلقد قدر دى جير De Geer ان الجليد الذي غمر القارة الاوروبية في العصر الجليدي بدأ تراجعه الاخير من سهل المانيا الشمالي منذ ٢٥٠٠٠ سنة وانه ظل يتراجع مدة ١٦٠٠٠ سنة ثم اختفى بعد ذلك ومعنى هذا ان الفترة التي انقضت منذ ان تم انحسار الجليد عن الاراضي التي كان يغمرها في اقليم اسكندناوة تبلغ ٩٠٠٠ سنة • ويضيف دى جير De Geer ان جليد اسكندناوة استمر مدة ٥٠٠٠ سنة من انسحابه من جنوب اسكندناوة الى شمالها وانتهى الانسحاب قبل ٧٠٠٠ سنة أي ان الجليد كان في جنوب اسكندناوة قبل ١٢٠٠٠ سنة ، أما سولاس Sollas فيعتقد ان انسحاب الجليد كان قبل ١٧٠٠٠ سنة • ويمكن ان تقول ان آخر مرحلة من مراحل الادوار الجليدية وهي مرحلة ڤرم Wurm انتهت ببداية انسحاب الجليد قبل ١٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد أي منذ ١٧٠٠٠ سنة • ويقدر كرول Croll ان انتهاء الفترة الجليدية كان قبل ١٥٠٠٠ سنة ، أما ليبون Lebon فيعتقد ان انتهاء العصر الجليدي كان قبل ١٠٠٠٠ سنة •

العصور المطيرة البليستوسينية :

كانت الادوار الجليدية في القارات الشمالية يقابلها ادوار مطيرة Pluvial Periods في شمال افريقيا وشبه جزيرة العرب والاقاليم المدارية بصورة عامة • كما كانت الادوار الدفيئه الغير الجليدية يقابلها ادوار غير مطيرة Inter-Pluvial Periods تمتاز بجفافها النسبي •

الحياة النباتية والحيوانية وتطورها في عصر البليستوسين :

كان للظروف المناخية المتغيرة اثرها الكبير على النباتات والحيوانات لان المناخ وعناصره المختلفة من حرارة وامطار ذات اثر مباشر على النباتات والحيوانات •

لقد عثر الباحثون في بعض جهات الدانيمارك على حفرات مليئة بمواد نباتية مختلفة عن الماضي تراكم بعضها فوق بعض متكدسة في حفر يستخدمها الانسان للوقود ولقد تنبه العلماء الى ذلك فأخذوا قطاعات في بعض تلك الحفر لدراسة أنواع النباتات المتكدسة وكانت النتيجة ان وجدوا في أعلى الحفرة نباتات شبيهة بالنباتات الحالية وفي أسفل الحفرة وجدت نباتات لا يمكن ان

تعيش في نوع المناخ الحالي حيث توجد في الوقت الحاضر في الاقاليم الشديدة البرودة (في منطقة التندرا) ومن دراسة هـذا التطور للنباتات المتكدسة من الاسفل الى الاعلى عرفت الحياة النباتية التي تتابعت على ممـر العصور ، فاذا أخذنا هذه النباتات حسب قدمها نجد مايأتي من أسفل الحفرة الى أعلاها :

١ ــ نباتات من نوع التندرا مما يدل على مناخ قطبي .

٢ ــ يعلوها نباتات من نـوع الاشـجار الصنوبرية في شمال أوروبا حالياً واختفت من تلك البقعة .

٣ ــ بدأت تظهر في تلك المرحلة نباتات من أنواع الاشجار النفضية كالبلوط وفوق البلوط أشجار أخـرى اوصلتنا الى أشجار الزان ونباتات تنتشر حول الحفرة في الوقت الحالي .

ويمكن تطبيق هـذا المثـل النموذجي على الحالـة في شـمال أوروبا في أواخـر البليستوسين فان نبـاتات التنـدرا كانت سـائدة حوالي سـنة ٨٠٠٠ ــ ٦٥٠٠ ق . م . تليهـا أشـجار غـابات صنوبرية كانت سـائدة بين ٦٥٠٠ ــ ٥٠٠٠ ق . م . ثم بـدأت أشجار البلوط والاشجار النفضية عامـة تحل بالتدريج محل تلك النباتات أي ان المناخ الحالي بنظامه المعروف حل بعد ٥٠٠٠ سنة ق . م مباشرة هذا في شمال أوروبا . أما في وسط أوروبا فلا توجد أدلة واضحة على مثل هذا التطور ويعتقد أنها تطورت على الشكل التالي :

غابات بلـوط

غابات صنوبرية

أول ظهور الصنوبر
واستبس بارد جاف

تنـدرا

ولو أخذنا مقطعاً لها لظهرت كما في التوزيع التالي :

النبـات الحـالي

غابات نفضيـة
غابات صنوبرية
أعشاب تنـدرا

أما فيما يخص الحيوانات وتطورها فالمعول هنا هو على ماتبقى من عظام الحيوانات المختلفة التي عاشت وتتابعت في تلك الاماكن خلال العصور المختلفة • وليس من شك ان عظام الحيوانات كثيرة فهناك أنواع من الحيوانات لا تعيش إلا في المناخ البارد كغزال الرنة والماموث (الذي انقرض) وتوزيع أنيابه يصل الى أواسط قارة أوروبا ، في النمسا ، حيث وجدت بقاياه شمال غرب ڤيينا في تكوينات اللويس • كما وجدنا آثار البيسون Bison في أوروبا في فرنسا والمانيا • كذلك وجدت بقايا عظام غزال الرنة في فرنسا في فترة حضارة العصر الحجري القديم مما يدل على أنخفاض درجات الحرارة ، ثم أرتفعت درجات الحرارة فدخلت حيوانات تميل الى الدفء كالحصان والحمار الوحشي • وقد يحصل ان نجد عظام الحيوانات بشكل نظام طباقي في المغارات والكهوف التي التجأ اليها الانسان الاول حيث نجد بقايا عظام الحيوانات التي أعتمد عليها الانسان كغذاء وكذلك الآلات الحجرية التي أستعملها وفي طبقة أخرى نجد تبدل في الحيوانات ، كما تفيدنا المدرجات النهرية في مثل هذه الدراسة •

تطور المناخ في الشرق الاوسط :

اذا أردنا دراسة مناخ العراق والتطورات التي مرت عليه لابد من دراسة الظروف المناخية للمناطق المجاورة في الشرق الاوسط لكي نفهم التطورات التي حصلت بكل وضوح لان العراق جزء من المنطقة ولفهم الجزء والتطورات التي شهدها لابد من دراسة الكل •

كانت الصحراء الكبرى في افريقيا منطقة بحر متوسط باشجارها وحشائشها وكانت هذه المساحات الشاسعة من النطاق الصحراوي الحالي مسرحاً للحيوانات ذات الظلف والحيوانات المفترسة الضخمة وكانت تغطيها الحشائش وتنمو فيها الاشجار وتجري فيها الانهار التي تركت آثارها في الوقت الحاضر في الوديان الجافة أو الوديان بلا ماء كما يسميها البدو في الوقت الحاضر • هذه الوديان الجافة الطويلة تنتشر بكثرة في المنطقة الصحراوية في افريقيا وشبه جزيرة العرب • هذه الوديان عبارة عن أحواض أنهار قديمة ووجود مثل هذه الوديان وفروعها لم يكن ليتأتي دون ان يكون هناك مياه غزيرة تنزل في تلك المنطقة الواسعة التي يسودها الجفاف في الوقت الحالي • كذلك نجد في مصر في الصحراء الشرقية وديان كثيرة وتوجد في بعضها مدرجات كوادي قنا مثلاً •

كانت هنالك نظرية ان هذه الوديان هي من فعل الرياح ولكن الدراسة التفصيلية أظهرت ان الرياح لا يمكن ان تحفر وادياً بهذا الشكل • ويعتقد البعض ان مصر وليبيا كانت مكسوة بالاعشاب في كل ناحية وكانت الغابات مركزة في مناطق معينة حول المجاري المائية أو المناطق المرتفعة وعلى هذا كان بامكان الانسان والحيوان ان يعيش فيها ، ولقد عاش الانسان في الصحراء صياداً وترك في معظم أنحاء الصحراء آثاره وهي أسلحة من الصوان ثم حل الجفاف نتيجة لانسحاب الجليد وعودة الظروف المناخية سيرتها الطبيعية فأنتهت هذه الصورة النظرة المليئة بالحياة الى صورة قاتمه صفراء خالية من الحياة والصحراء الكبرى وصحراء شبه جزيرة العرب مثل رائع لما حدث من تغيير مناخي في الماضي • ولقد درس الاستاذ سيلجمان Seligman النباتات في مصر وهو يعتقد ان الصحراء الشرقية المصرية كانت غنية بالنباتات •

ولقد شهدت مصر فترات مطيرة فلقد حاول Blancken Horn ان يجد الدلائل على وجود (٤) عصور مطيرة في مصر والنيل أي تقابل العصور الجليدية في أوروبا •

أما قارة آسيا فقد شهدت تغيرات مناخية عظيمة خلال فترة البليستوسين فبينما تقدم الجليد في بعض انحائها فقد سقطت أمطار غزيرة على مناطق اخرى ويمكن دراسة هذه التغيرات من اختلاف مناسيب البحار والبحيرات المقفلة ومن دراسة المدرجات النهرية والبقايا النباتية والحيوانية والحضارية •

فبحر قزوين مثلاً نجد ان أول اشارة الى بحر قزوين اعطاها هيرودوتس Herodotus سنة ٤٣٨ ق • م والتي يحللها هنتنجتون Huntington بان طول بحر قزوين من الشمال الى الجنوب (٦) أضعاف عرضه في حين أنه في الوقت الحاضر يبلغ طوله ٣ ــ ٤ مرات عرضه • ويستنتج كذلك من وصف هيرودوتس ان بحر آرال كان متصلاً ببحر قزوين ولهذا يعتقد هنتنجتون بانه في الوقت الذي كتب فيه هيرودوتس كتابه كان مستوى المياه في بحر قزوين (١٥٠) قدماً أعلى من مستواه في الوقت الحاضر ، وعندما كتب سترابو Strabo سنة ٢٠ م وصفه لبحر خزر استنتج خانيكوف Khanikof من ذلك الوصف بان مستوى المياه في بحر خزر كانت آنذاك أعلى بـ (٨٥) قدماً عما هو عليه في الوقت الحاضر • وبين ٤٥٨ م ــ ٤٨٤ م كان مستوى بحر خزر أقل منه من مستواه الحالي

بـ (١٥) قدم • ونستنتج مما كتبه الاصطخري سنة ٩٢٠ م عن بحـر الخزر ان مستوى المـاء فيـه كان آنـذاك (٢٩) قدماً أعلى من مستواه الحـالي • وفي سنة ١٣٠٦ م ـ ١٣٠٧ م كان مستوى بحر قزوين أعلى مما هو عليه في الوقت الحاضر بـ (٣٧) قدماً وربما يرجع السبب الى ان نهر سيحون دخل بحر قزوين عوضاً عن بحـر آرال • وفي سنة ١٣٢٥ م كان مستوى مياه البحـر أعلى من مستواها الحالي •

أما في القرن الخامس عشر فقد ارتفع مستوى بحـر خـزر وابتلع بعض أجـزاء مدينة باكو واصبح أرتفاع المياه فيه أعلى بـ (١٦) قدماً عن مستواه في الوقت الحاضر • وفي خلال سنى ١٥٥٩ ـ ١٥٦٢ لم يزل مستواه مرتفعاً •

وفي القرون التالية قام **Bruckner** بدراسة بحـر الخزر وتوصل الى النتائج التاليـة :

١٦٣٨ م	١٥ قدم أعلى من مستواه الحالي
١٧١٥ م ـ ١٧٢٠ م	١ قدم أعلى من مستواه الحالي
١٧٣٠ م ـ ١٨١٤ م	مرتفـع نـوعاً ما
١٨١٥ م	على الاقل مستواه أعلى بـ ٨ أقدام عما هو عليه في الوقت الحاضر
١٨٣٠ م	١ قدم أعلى من مستواه الحالي
١٨٤٥ م ـ ١٨٤٦ م	٢ قدم أوطأ من مستواه الحالي
١٨٤٧ م	١ قدم أعلى من مستواه الحالي
١٨٥١ م ـ ١٨٦٠ م	١ قدم أوطأ من مستواه الحالي
١٨٦١ م ـ ١٨٧٨ م	١ ـ ٣ قدم أعلى من مستواه الحالي

أما فيما يخص شبه جزيرة العـرب فقد اشار الباحثون وكذلك القصص والاشعار الى تطورات مناخية شهدتها شبه الجزيرة •

وقد جاء في تغربية بن هلال « انه لا يخفى على أهل المعارف بان بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب كثيرة المياه والغدران والسهول والوديان حتى كان يذكرها شـعراء الزمان بالاشـعار الحسان وتفضلها على غيرها نظـراً لحسن هوائها • وكانت منازل بني هلال من سالف الاجيال وما زالت على رونقها الاول حتى تغـير قطرها واضمحل عنهـا الحشيش والنبات وعمت المجاعـة في جميع الجهات ولم يعد فيها شيء من المأكولات حتى صارت أهليهـا تأكل الحيوانات

واستمرت المجاعة سبعون سنة وذلك بعد الهجرة بـ ٤٦٠ سنة » • ولقد اجمع الباحثون على ان شبه جزيرة العرب كانت خصبة كثيرة المياه والامطار في البليستوسين وكانت كذلك حتى العصر الحجري المتأخر • وقد وجد الباحثون ومن بينهم فيلبي Philby محاراً من النوع الذي يعيش في المياه العذبة كما عثر على أدوات صوانية في الجزء الذي مر به من الربع الخالي • ويعتقد ان هذه الآثار ترجع الى الفترات التي كانت فيها الجزيرة تتمتع بالخصب والمياه الدائمة في عصور ماقبل التاريخ البعيدة وفي العصور الحجرية القديمة والمتأخرة • وقد وجد فلبي في الربع الخالي بقايا بجر واسع هو السهل المنخفض المسمى (أبو بحر) ويشبه بعضهم مناخ شبه الجزيرة في العصور الجيولوجية السابقة ولا سيما في البليستوسين بمناخ الهند الآن بالنسبة لكثرة المياه والرطوبة وتدل بقايا الحيوانات التي جمعها من نوع Betram Thomes من جبل القرّ Qare على ان أصلها أفريقي وتشير الى مناخ رطب يشبه مناخ أفريقيا الحار في زمن قديم جداً • ويصادف هذا الزمن آخر عصر جليدي في أوروبا قبل ٢٠ر٠٠٠ سنة • ومن الادلة كذلك وجود الوديان الكثيرة ووجود قيعان بعض البحيرات والبقايا المندرسة كالبحيرة اليابسة قرب تيماء وبقايا البحر (أبو بحر) الذي وجده فيلبي وخرائب المدن الموجودة هنا وهناك في تيماء وغيرها ويعتقد ف • ج جايلد V. Childe بان الصحاري التي تتمتع الان بالعطش تمتعت في البليستوسين بامطار منظمة وموزعة على جميع فصول السنة ويعتقد بروكس Brooks بان غرب آسيا شهد على الاقل فصلاً مطيراً طويلاً قطعته فترات قلت فيها الامطار تمثل فترات جفاف •

وكنتيجة للتغيرات المناخية تغيرت النباتات والحيوانات • ويربط العلماء بهذه التغيرات المناخية الهجرات الكبيرة المشهورة في التاريخ • وقد أمكن الربط بين تلك الهجرات وبين الفترات التي ساد فيها الجفاف في المواطن الاصلية للشعوب المهاجرة • ويعتقد بروكس Brooks بان الهجرات هي على الدوام من المناطق الجافة الى المناطق المطرة • ويضيف هنتنجتون Huntington بان الفترات التي يتذبذب فيها المناخ تكون ذات اثر أقتصادي سيء على سكان المنطقة لان مثل هذه الذبذبات تؤثر على قدرة المنطقة لتجهيز سكانها بما يحتاجونه من طعام وهذا سيؤدي حتماً الى الهجرة والى أضطرابات سياسية • ولقد أورد بروكس Brooks جدولاً

للهجرات المختلفة كالآتي :

١ ـ قبل ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد قدم السومريون وبعض السياميين الى بلاد ما بين النهرين •

٢ ـ ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد خرجت أول موجة سامية من شبه جزيرة العرب •

٣ ـ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد خروج الاربين الى بحر بلطيق •

٤ ـ ٢٤٥٠ ـ ٢٣٦٠ سنة قبل الميلاد خروج الكاشيون •

٥ ـ ١٨٠٠ قبل الميلاد قدوم الهكسوس الى مصر •

٦ ـ ١٧٠٠ قبل الميلاد قدوم الاربين الى البنجاب •

٧ ـ ١٣٥٠ ـ ١٣٠٠ قبل الميلاد خروج الاراميين من شبه جزيرة العرب •

٨ ـ ١١٨٠ قبل الميلاد خروج العيلاميين •

٩ ـ ٥٠٠ قبل الميلاد خروج الفرس •

١٠ـ ٥٠ ميلادية خروج موجة المناذرة والغساسنة •

ويعتقد هنتنجتون Huntington بان اخر تطور مناخي حصل في الشرق الاوسط كان في القرن الثالث عشر الميلادي •

أما في سوريا فيرى بروكس Brooks بان العصر المطير الاول مزدوج ويتفق مع جليد جنز Gunz وبداية مندل Mindel مع فترة قصيرة ذات مميزات صحراوية والتي بقيت الامطار خلالها اكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر • أما المرحلة الثانية فتتفق مع مندل Mindel وفي هذه الفترة وصل البحر الميت أقصى اتساع له بحيث كان امتداده شمالاً حتى بحيرة طبرية ثم اعقبتها فترة مطيرة تتفق مع رس Riss ثم فترة جفاف وفترة مطيرة اخرى انتهت بذبذبات قلت بها الامطار تدريجياً حتى وصلت الى وضعها الحالي • ففي الفترة التي عاش فيها انسان تيا ندرتال (العصر الحجري القديم الاوسط) كان المناخ في سوريا يتجه نحو الجفاف بين دورين مطيرين وتبين البقايا الحيوانية عن وجود الغزال والضبع المرقط والدب والجمل وخنزير النهر والوعل بالاضافة الى الكركدن وفرس النهر ومع ان الطقس اصبح دافئاً وجافاً فان الانهار الدائمة كانت لاتزال تروى البلاد وبقيت هنالك بعض المناطق المشجرة ، وفي اواخر العصر المجري القديم الاوسط طرأ تغيير شديد على الاحوال الاقليمية وهطلت الامطار بغزارة وهكذا حصلت فترة ممطرة اخرى (وهي الاخيرة) دامت

عشرات الآلاف من السنين ، وفي خلال فترة العصر الحجري القديم الاعلى تزايد الجفاف باستثناء مرحلة الرطوبة Wet Phase وتشير البقايا الاثرية على تناوب المناخ الحار والبارد ويمتد ذلك حتى اواخر العصر الحجري القديم .

وفي العصر الحجري الاوسط والذي دام في سوريا بين سنتي ١٢٠٠٠ــ٦٠٠٠قبل الميلادكانت الحيوانات السائدة من نوع الابل والنباتات من نوع الاعشاب الفقيرة والنباتات الشوكيةمما يدل على احوال الجدب والجفاف وتدل بقايا تدمر على هذه التغييرات المناخية،فأستناداً الى دراسة هذه الانقاض واتساعها قدر عدد سكانها آنذاك باكثر من ١٠٠٠٠٠ نسمة في حين ان امطارها الحالية لا تسمح إلا بسكن ١٠٠٠ نسمة فقط .

تطـور المنـاخ في العـراق :

بعد هذا الاستعراض الموجز للتطورات المناخية واثرها على تطور النبات والحيوان في القارات المختلفة عامة وفي الشرق الاوسط بصورة خاصة ، نعـود لدراسة التطورات المناخية التي مرت على العراق ، تلك التطورات التي كان لها صداها في نبـات وحيوانات المنطقـة وفي تعميرها بالسكان وبالتالي نشـوء الحضارات المختلفة التي تعتبر من اقدم ان لم تكن اقدم الحضارات في العالم .

ولقد قاسى العراق الكثير من هذه التطورات المناخية سواء من الجماعات التي قدمت من أواسط آسيا أو من شبه جزيرة العرب .

ان الدراسات الجيولوجيـة والطبيعية ودراسـة النبـاتات والحيوانات وانتشار المغاور والدراسة التي اجريت عليها تشير اشارة واضحة الى أن العراق قد شهد تطورات مناخية خطيرة .

يتميز البليستوسين كما رأينا بانتشار الجليد في أوروبا وامريكا الشمالية وبعصور مطيرة Pluvial Periods في أفريقيا والشرق الاوسط . ففي خلال الفترات المطيرة كان العـراق اكثر رطوبة عما هو عليه في الوقت الحاضر وكانت الاجزاء العليا من جبال زاجروس قد غطاها جليد سميك وبصورة دائمية ولهذا بالامكان تمييز عصور جليدية في الاجزاء العليا من الجبال وعصور مطيرة في الاجزاء الوسطى والجنوبية .

أما خلال الفترات الجافة (بين العصور المطيرة Inter-Pluvial Period كان المناخ يشبه ما هو عليه في الوقت الحاضر .

هذا التتابع المناخي اعني دور مطير وآخر جاف كان له تأثيره على التكوين الطبيعي للعراق ، ففي خلال العصر المطير كان الغطاء النباتي اكثف بكثير عما هو عليه في الوقت الحاضر • كنتيجة لزيادة الجليد والامطار كانت المياه المنسابة الى الانهار في فصل الربيع (الفيضان) اكثر بكثير عما هي الان ولهذا كانت التعرية المائيـة آنذاك ذات خطورة واهميـة كبيرة وقد نحتت مناطق واسعة وارسبت المنحوتات في الوديان وفي السهل الرسوبي ، أما خلال الفترات الجافة فكانت التعرية الهوائية هي السائدة •

وبناء على ذلك فقد تكونت المدرجات النهرية على امتداد الانهار وروافدها في وسط وشمال العراق كذلك اخذ الخليج الذي كان يغطي معظم وسط العراق وجنوبه بالامتلاء بالارسابات التي جلبها دجلة والفرات والكارون والبطن • وفي بعض المنـاطق تكونت بحـيرات وخاصـة في الفتـرات المطـيرة كالثرثـار وابو دبس • كذلك انتشار التكوينات الطباشيرية أو مايعرف (بالجص) الذي يغطي مساحات واسعة من الصحراء والذي تكون في بداية البليستوسين •

ولقد وردت الاشارة الى وجود اشجار النخيل في كهف شانيدر بينما في الوقت الحاضر فان اقصى امتداد لها هي (عنه) على خط ٣٢° شمالاً • ولكي يعيش النخيل في أقليم كهف شانيدر لابد ان تكون ظروفه المناخية كالتي عليها (عنه) فيالوقت الحاضر حيث تصلدرجة الحرارة فيها صيفاً الى١١٠° فهرنهايت وشتاءً ٣٥° فهرنهايت بينما في الوقت الحاضر فان أعلى درجة حرارة تسجل في شهرتموز فيمنطقةكهف شانيدرهي٩٥° فهرنهايت وأوطأ درجة حرارة فيكانون الثاني ٢٥° فهرنهايت • أما الامطـار في الوقت الحاضر في منطقة كهف شانيدر فتصل الى (٤٠) بوصة ويجب ان تكون أقل من هذا في تلك الفترة •

كذلك اشار المسعودي الى رواية عن جده ان المرأة كانت تخرج من الحيرة الىالشام ولاتحمل إلا زاد يوم هذا يدل علىان الطريقكان مأموناًوتتوفر فيه المواد الغذائية • قد يكون في هذا القول بعض المبالغة ولكني اعتقد انه ان لم تكن هنالك امطار كافيـة لجعل هـذه المنطقة عامرة بالسكان فعلى الاقل كان مستوى المياه الجوفية أعلى بكثير عما هو عليه في الوقت الحاضر •

وتعتقد مس جاروود Miss Garrod بان المنـاخ في زمن الحضارة الموستيرية (العصر الحجري القديم الاوسط) كان بارداً مع غابات كثيفة وحصل هذا في فترة جليد فرم Wurm وتعتقد ان درجة حرارة السليمانية كانت اوطأ

مما هي عليه الآن كذلك كان اثناء الفترة الاورنياسية (العصر الحجري القديم الاعلى) كان الجو بارداً ولاشـك بانهم اوقدوا النيران في الكهوف • ويعتقد انه خلال العصر الجليدي سقطت على شمال العراق امطار صيفية كالذي يحدث في تركيا في الوقت الحاضر وكانت الامطار بصورة عامة اغزر ودرجات الحرارة اوطأ وكانت كميات الامطار الغزيرة هذه ذات اثر كبير على زيادة التعرية [٣] ، أما الاراضي السهلية الوسطى فقد تأثرت بنفس المؤثرات المناخية فلقدشهدت نفس الذبذبات البليستوسينيه•وفيخلال الفترات الجليدية في شمال العراق والامطار في باقي انحاء العراق كان كل من دجلة والفرات يتأثر بهذه المؤثرات المناخية فكانا معرضين لفيضانات عالية نتيجة لكثرة الثلوج المتساقطة على الجبال والامطار الغزيرة • وكان لتكون للجليد تأثير اخر على الدلتا ومساحتها اذ كان مستوى البحر خلال العصر الجليدي اوطأ بـ ٣٠٠ قدم عما هو عليه في الوقت الحاضر كنتيجة لاستهلاك كمية كبيرة من المياه في تكوين الثلوج المتراكمة على المناطق الجبلية بينما في الفترات الدفيئة كان مستوى البحر أعلى بـ ٥٠ ــ ٢٠٠ قدم عما هو الآن والذي يبدو ان ذلك مرجعه الى ذوبان معظم جليد جرينلند واتارتيكا (القارة الجنوبية) وباقي الجهات التي يغطيها الجليد بصورة دائمية في الوقت الحاضر (على قمم الجبال العالية) •

انتشار الجليد في شمال العراق :

في جبال لبنان والقوقاز وهملايا ومنشوريا آثار وركامات تمتد تحت مستوى خط الثلج الحالي بل تعل عند خط عرض (٢١) شمالاً في البنغال الى ارتفاع (٤٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر •

ومن الجلي ان خط الثلج الدائم قدانخفض في الجبال الآسيوية لكي يتمشى مع خط الثلج في جبال الالب غرباً وفي جبال روكي شرقاً وكان العراق ضمن هذه المنطقة فان الادلة التي قدمها رايت Wright تدل دلالة قطعية على انتشار الجليد في شمال العراق فعلى المرتفعات العاليـة في شمال شرق العراق تكونت ثلاجات جبلية وامتدت الى ارتفاع اوطأ بـ (٤٠٠) قدم عما هي عليه في الوقت الحاضر حيث نشاهد ركاماتها ويقرر Bobek بان خلال البليستوسين هبط خط الثلج الدائم بين ٢٣٠٠ ــ ٨٧٠٠ قدم ، وان الثلاجات وصلت الى ارتفاع (٦٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر • ولقد وجد Wright ركامات

---

(٣) انظر خارطة ١ ــ أ ، ١ ــ ب .

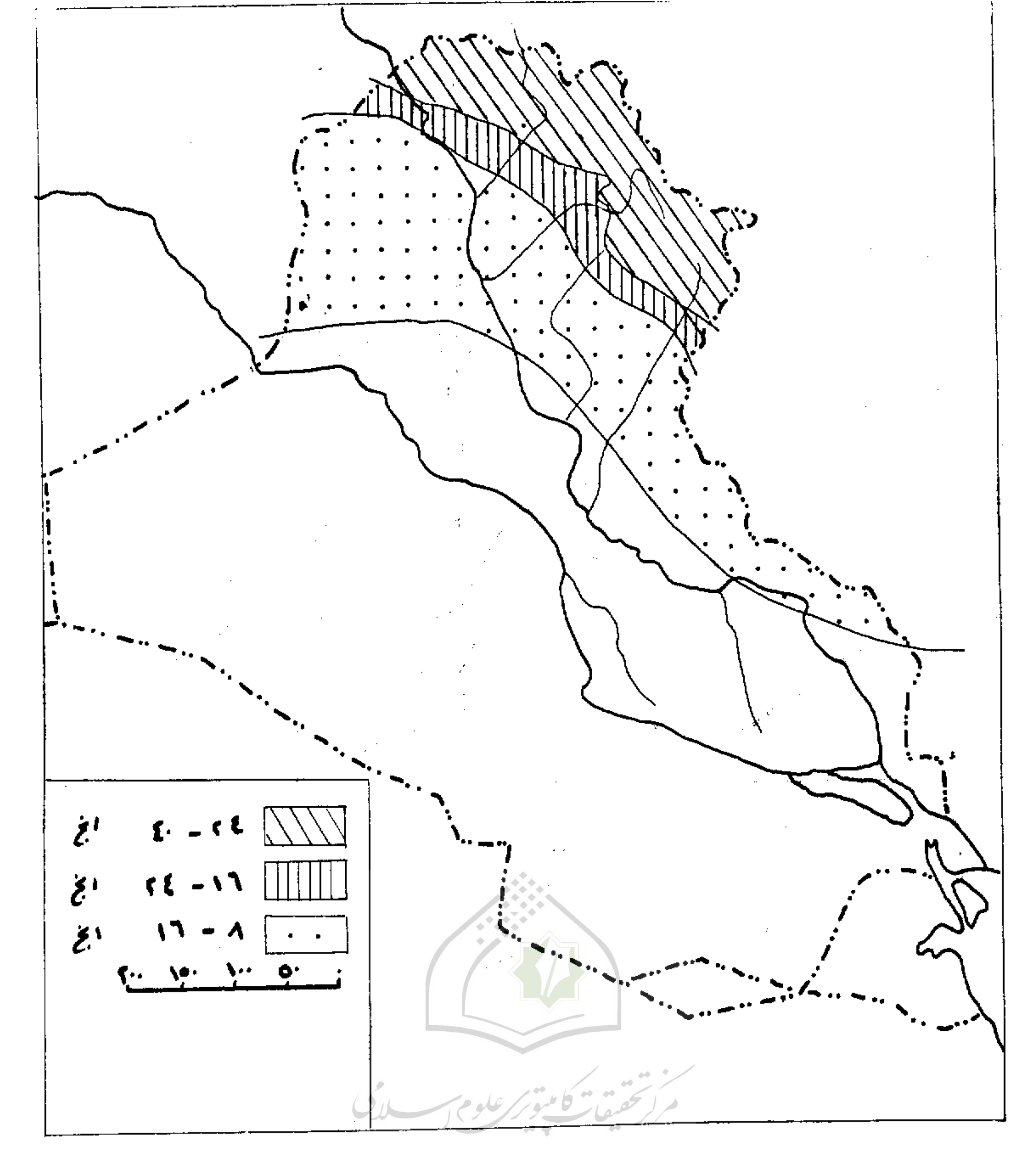
جليدية اوطأ بـ (٤٠٠٠) قدم هذا يدل على هبوط خط الثلج الدائم (٦٠٠٠) قدم في حين انه في جبال الالب هبط (٤٠٠) قدم ولعل السبب هو نظام سقوط الامطار في العراق • ويبدو ان هذه الثلاجات قد تقدمت وتقهقرت (٤) مرات وكنتيجة لانتشار وسقوط الامطار الغزيرة ان انحدرت الى الوديان بين الجبال كميات كبيرة من المنحوتات ولهذا لا يمكن ان تفهم وجود السهول بين المناطق الجبلية الا إذا فهمنا جيداً التطورات المناخية التي مرت على المنطقة الجبلية •

العصور المطيرة في العراق : Pluvial Periods

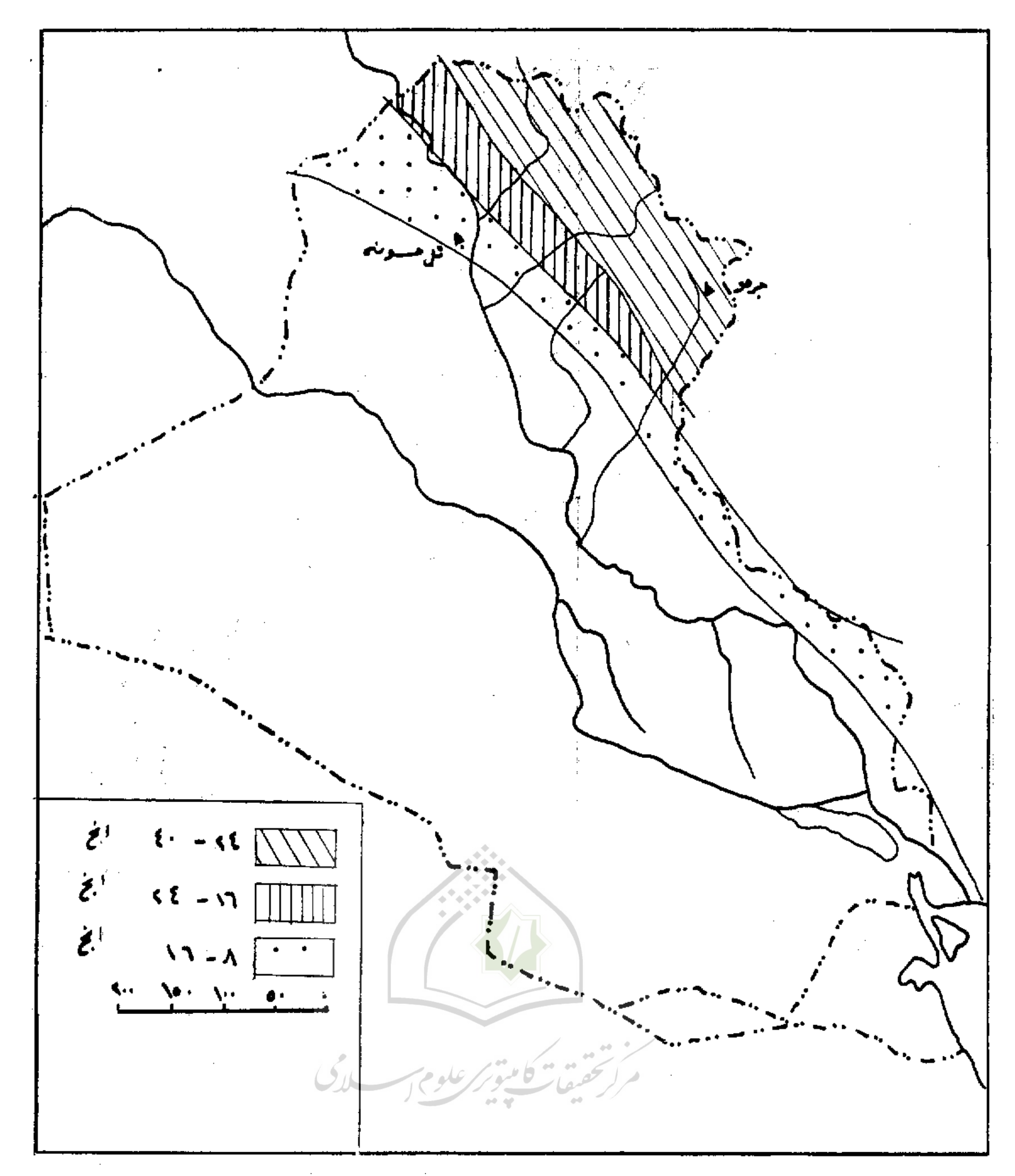
كانت تمر على العراق خلال البليستوسين السيلكونات التي تخترق وسط أوروبا في الوقت الحاضر كانت آنذاك تمر بالبحر المتوسط وصحراء أفريقيا الكبرى وتستمر عبر لبنان وشبه جزيرة العرب والعراق الى ايران والهند • وهكذا مرت على الصحراء فترة بل فترات سقطت فيها الامطار بانتظام وكانت الامطار على العراق لا تسقط في فصل الشتاء فحسب بل وكذلك في فصل الصيف ويمكن ان نميز عصور مطيرة Pluvial Periods في الاجزاء المنخفضة في القطر ، أما خلال الفترات الجافة Inter Pluvial Periods فكان المناخ يتحول فيصبح كما هو عليه الان ، ويعتقد البعض ان هناك على الاقل (٣) ثلاث ادوار مطيرة ودور أو اكثر من الذبذبات ، ولقد قام **بيورنج ورايت** Wright Buringh وغيرهما بابحاث عن التطورات المناخية في العراق ثبت لديهم ان العراق شهد عدة فترات مطيرة نوزعها كما في الجدول ادناه مع مايقابلها من العصور الجليدية في قارة أوروبا •

الفترة المطيرة		الفترة الجليدية في أوروبا	
كاجيران	Kageran	جنـد	Gunz
كامسيان	Kamasian	مندل	Mindel
كانجيران	Kanjeran	رس	Riss
كامبليان	Gamblian 1	فرم ١	Wurm 1
= ٢	,, 2	= ٢	,, 2
= ٣	,, 3	= ٣	,, 3
مكاليوم	Makalium	اتلانتيكم	Atlanticum

وقد شهدت العراق (٤) ادوار مطيرة وثلاثة ذبذبات ويعتقد ان الفترة **المطيرة الاولى بدأت في أواخر البليوسين واستمرت خلال البليستوسين عند بداية**



خارطة تبين كمية الامطار الساقطة في الوقت الحاضر



خارطة تبين كمية الامطار الساقطة بعد انسحاب الجليد وبداية حلول فترة الفيضان الحالية

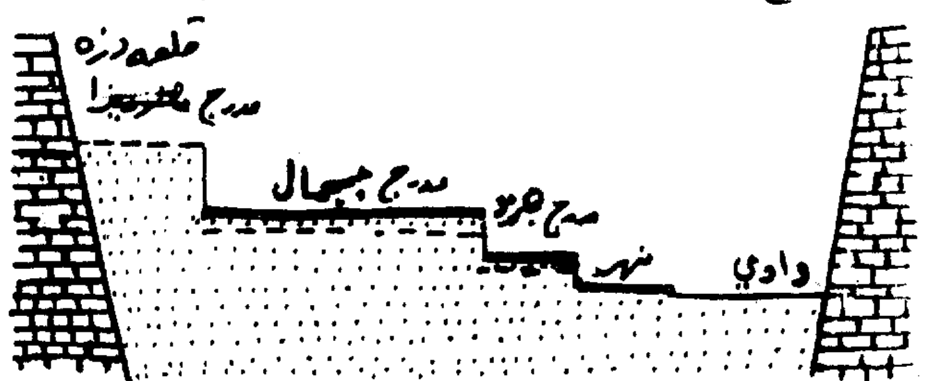
انتشار الجليد في أوروبا في فترة جنذ Gunz • ولقد استمر مناخ العراق في التغيير في العصور الحديثة فيعتقد هنتجون Hunington ان آخر تغيير مناخي حصل في العراق كان في القرن الثالث عشر • وكان للتغيير المناخي وسقوط الجليد على المناطق الشمالية في العراق والامطار الغزيرة على الاجزاء الوسطى والجنوبية والغربية اثره الكبير على عملية التعرية والتآكل والفيضانات وتكوين المدرجات •

أما في الصحراء الغربية العراقيـة فان الامطار الغزيرة ودرجـة الحرارة الواطئة في الفترات المطيرة ساعدت على اتساع البحيرات الداخلية كما ساعدت على نشاط الجداول والنهيرات وبالعكس فانه في الاوقات بين الفترات المطيرة لابد ان هذه البحيرات قد جفت والغطاء النباتي انعدم تقريباً وانتشرت الكثبان الرملية • ولقد سكن انسان العصر الحجري الصحراء أو على الاقل جاب خلالها بحثـاً عن الحيوان •

المـدرجات النهريـة :

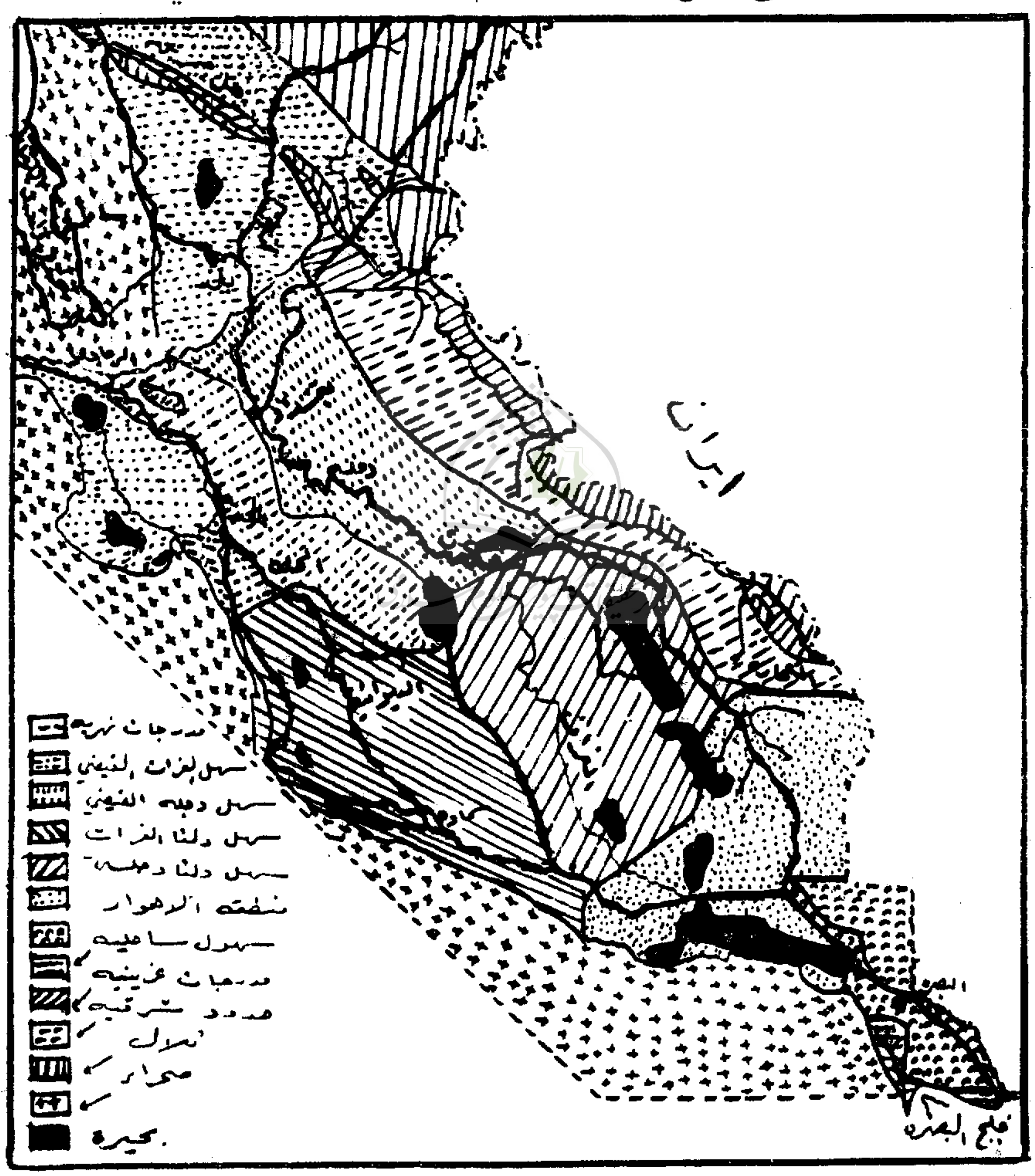
لقد درست المدرجات النهـرية في العـراق فوجـدت في اجزائه الجبلية والسهلية على حد سواء • فلقد افاد جيولوجي شركة النفط العراقية في كركوك بانهم وجـدوا بين تارجيل Tarjil ورودخانه Rudkhana في شمال شرق طاووق في شمال العراق خمسة مصاطب نهرية تتداخل مـع بعضها وارتفاعات هذه المدرجات فوق مستوى النهر كالآتي :

١ ــ المدرج الاول ٢٨٩ قـدم
٢ ــ المدرج الثاني ١٩٠ ــ ١٧٠ قـدم
٣ ــ المدرج الثالث ١١٠ ــ ٩٠ قـدم
٤ ــ المدرج الرابع ٦٥ ــ ٥٥ قـدم
٥ ــ المدرج الخامس ٣٣ ــ ٢٥ قـدم



كذلك عند دراسة خزان بخمه في منطقة راوندوز في شمال العراق وجد على الزاب الاعلى ووادي راوندوز اربع مدرجات كانت ارتفاعاتها كالآتي :

١ ــ المدرج الاول	١٠٠ ــ ٩٠ م
٢ ــ المدرج الثاني	٤٠ ــ ٣٥ م
٣ ــ المدرج الثالث	١٥ م
٤ ــ المدرج الرابع	٤ م فوق مستوى النهر الحالي



ولقد اشار Passemard عند ابحاثه عن العراق الى وجود اربعة مصاطب نهرية على امتداد الفرات وكانت ارتفاعاتها [٤] كالآتي :

١ ــ المدرج الاول ١٠٠ م
٢ ــ المدرج الثاني ٦٠ م
٣ ــ المدرج الثالث ٣٠ م
٤ ــ المدرج الرابع ١٥ م

الى جانب ماذكرنا فقد درست منطقة دجلة فوجدت هنالك مدرجات نهرية بالقرب من سامراء والعظيم ، كما وجدت على منطقة الخابور وهي كالآتي :

١ ــ المدرج الاعلى (المتوكل)
٢ ــ المدرج الاوسط (المعتصم)
٣ ــ المدرج الاسفل (المهدي) [٥]

١ ــ مدرج المتوكل :

يتراوح ارتفاعه بين ١٥ ــ ٢٠ م والملاحظ ان بعض اجزائه تغطيها كثبان رملية وتكوينات تشبه اللويس ويمكن متابعة هذا المدرج جنوب سامراء وغرب دجلة كذلك يمكن تتبعه في السهل الادنى للعراق بالقرب من الفلوجة والاسكندرية وكربلاء والحصوة .

٢ ــ مدرج المعتصم :

ويشاهد بوضوح بالقرب من بلد وهو اوطأ ببضعة امتار من مدرج المتوكل كما يعلو بضعة امتار على المدرج الذي يليه (المهدي) .

٣ ــ مدرج المهدي :

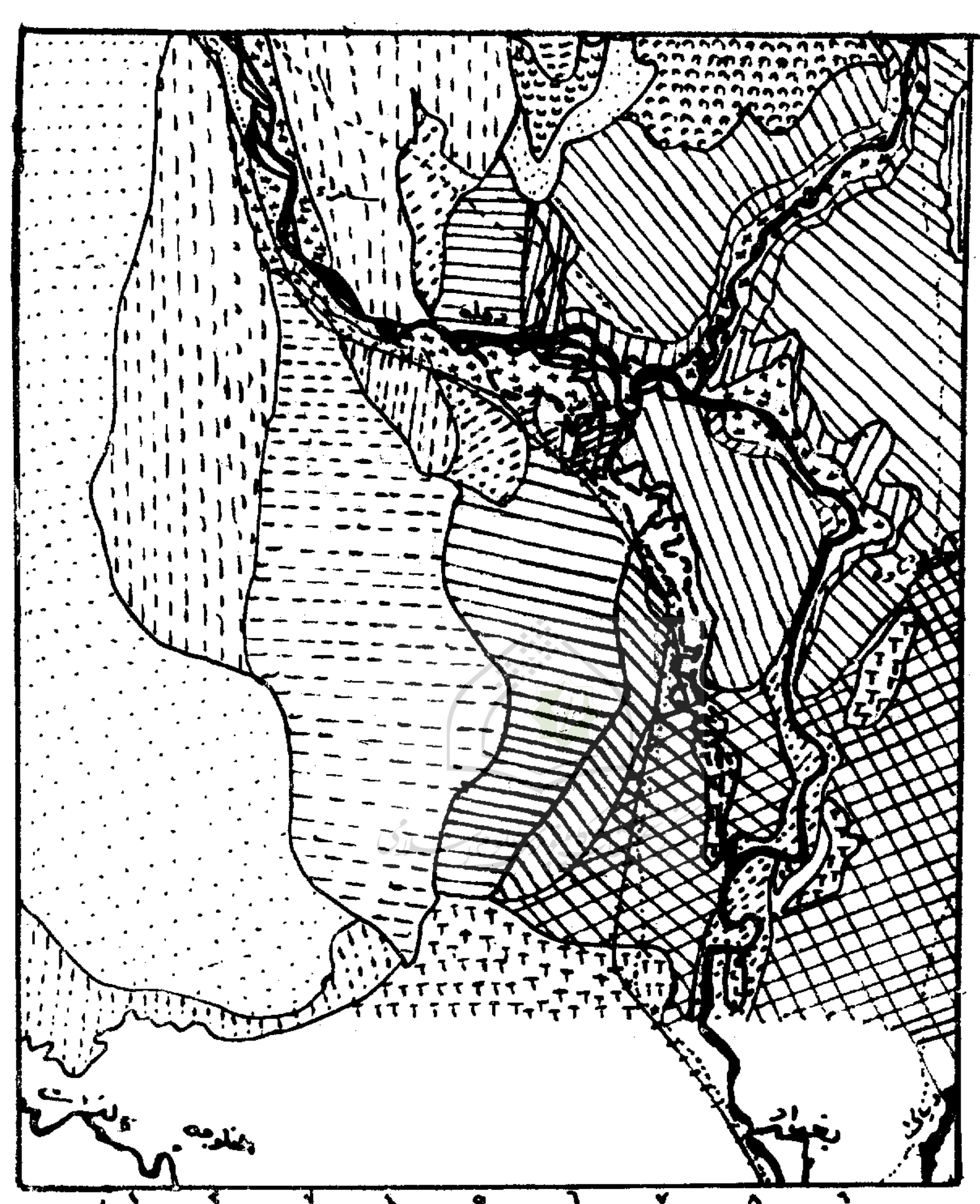
ويشاهد في مساحات واسعة من الجزء الشمالي من وادي ما بين النهرين الاسفل . ولقد درست في العظيم شمال دلتاوة (الخاص) وبالقرب من بلد وعند منخفض ابو دبس (ويمثل الاخير المدرج الاسفل لنهر الفرات) ويتراوح ارتفاعه بين ١٠ ــ ١٥ م فوق وادي دجلة والعظيم ولقد تكونت المدرجات وارساباتها كما في الجدول ادناه :

---

(٤) انظر خارطة (٢) .
(٥) انظر الخارطة ٣ ــ ٤ .

خارطة - ٣

٣- مدرج المتوكل
٥- مدرج المتوكل المنخوت
٦- مدرج المعتصم
٧- مدرج المهدي
٨- مدرج المهدي المنخوت
٩- سهل دجلة الفيضي
١٧- قنوات ري قديمة



خارطة ـ ٤ ـ

١ ـ صحراء جبسية
٢ ـ صحراء جبسية
٣ ـ مدرج المتوكل
٤ ـ مدرج المتوكل المنحوت
٥ ـ مدرج المتوكل المنحوت
٦ ـ مدرج المعتصم
٧ ـ مدرج المهدى
٨ ـ مدرج المهدى المنحوت
٩ ـ سهل دجلة الفيضى
١٠ـ حوض دجلة
١١ـ ارسابات دجلة
١٢ـ منخفض دجلة
١٣ـ الوادى الفيضى
١٤ـ قعر البحيرة
١٥ـ حواف البحيرة
١٦ـ مناطق ذات كثافة
١٧ـ قنوات رى قديمة

المدرج	الارسابات Deposition	فترة تكوين Terrace Since
المتوكل	Kamasian Pluvial	Kamasian — Kanjeran Inter-Pluvial
المعتصم	Kanjeran Pluvial	Kanjeran — Gomblian Inter-Pluvial
المهدي	Gamblian Pluvial	Helocence
السهل الفيضي	Helocene	

كما درست المدرجات النهرية لوادي سنجاسر Sungasser بالقرب من الزاب الاسفل على بعد ٧٥كيلومتر شمال دوكان فوجدت المدرجات التالية اسماؤها في ادناه والتي اطلق رايت Wright اسمى الاوسط والاسفل ، وأما Burningh سمى الاعلى منها هي :

المدرج	الارسابات Deposition	فترة تكوينه Terrace Since
قلعة دزه الاعلى	Kageran Pluvial	Kamasian Pluvial
جمجمال	Kanjeran Pluvial	Kanjeran
جرمو	Gamblian	Gamblian
قعر الوادي (٦)	Helocene	

أما فترة تكوين المدرجات في العراق فيعتقد بان المدرجات العليا في الصحراء الغربية تعود الى فترة الاوليجوسين،وهنالك بعض المدرجات التي تقطع السهول شمال الموصل واربيل وكركوك فتعود الى فترة البليوسين الجيولوجية ، أما المدرجات التي عثر عليها في سهل جمجمال والتي تكونت في الحافة الطباشيرية في المنطقة المتكونة من البرشيا Breccia فيعتقد انها تكونت في فترة مطيرة بليستوسينية مبكرة ، أما معظم المدرجات التي عثر عليها فهي من غير شك قد تكونت خلال التبدلات المناخية التي حصلت خلال عصر البليستوسين .

أما اسباب تكوين هذه المدرجات بصورة عامة فيرجع الى العلاقة بين منسوب البحر ومنسوب اليابس فالتغيير في تلك المناسيب يجعل النهر الذي

(٦) انظر الخارطة (٥) .

يصب في البحر يسلك مسلكاً خاصاً أي ان النهر يعمق مجـراه عندما ينخفض مستوى البحر وهكذا يهبط مستوى النهـر عن المنسوب الذي كان فيـه من قبل • ومن ناحية اخرى فان ارتفاع منسوب البحر من شأنه ان يقلل سرعة مياه النهر فتقل عملية النحت ويساعد النهـر على الارساب وتاريخ البحر في الفترة البليستوسينية تاريخ متغير بين الارتفاع والانخفاض ومن أجل هـذا لا يمكن دراسة المدرجات النهرية وتكوينها من دون دراسة المناسيب البحرية للانهار التي تصب في تلك البحار ، فاذا كان النهر لانحداره الخاص ينحت مجـراه ويهبط بقاعه لانخفاض مستوى النهر فان تلك الحركة تتغير بعد زمن لان النهر بعد ان يصل الى منسوب خاص يبدأ بالتباطوء وتبدأ عملية الارساب وليس من شك ان عملية الارساب تزداد اذا ارتفـع مستوى البحر فكانت المدرجات عبارة عن نتائج عمليات نحت وارساب متصلة •

والذي يلاحظ في العراق ان اسباب تكوين المدرجات يختلف في الاجزاء السهلية عنه في الوديان الواقعـة بين الجبال في المنطقة الشمالية من العراق •

فمدرجات السهول تكونت بفعل الانهار خلال الفترات المطيرة عندما يرتفع تصريف مياه الانهـار وزيادة ماتحمله تلك المياه من مواد معلقة • وهكذا فان المدرجات السفلى قد تكونت تربتهـا في فترة مطـيرة مبكرة كنتيجة مباشـرة للفيضانات العاليـة •

أما المدرجات التي نجدها في صحارى العراق فقد تكونت خلال الفترات المطيرة البليستوسنية عندما كانت الامطار تسقط بغزارة وادت الى تكوين انهار شـديدة الجريان والتي بدورها نحتت السهول الصحراوية • وأما المنخفضات الواسـعة الموجودة في الصحراء الا عبارة عن بحـيرات جافة تعـود الى فترة Gamblian , Kanjeran المطيرة وعلى العموم فان النظرية التي يتفق عليهـا معظم العلماء ان تكون هـذه المدرجات انما يعود الى تتابع العصور المطيرة والعصور الجافة خلال عصر البليستوسين •

أما طغيـان البحر وانسحابه فقد اعتبر كما قلنـا كأساس لتفسير تكون المدرجات النهرية والشواطيء البحرية • هـذا التعليل الاخـير مهم فيما يخص جنوب العراق والسهول السفلى للعراق وكذلك وجود مناطق زراعية مغمورة بمياه الخليج العربي كانت يوماً ما كما يعتقد دينس Dennis اراضي يابسة تصلح للزراعـة •

أما فيما يخص المدرجات المتكونة في الاوديـــة الجبلية في شمال العـــراق والتي هي على ارتفاع ٥٠٠ ــ ٥٥٠ متر فوق مستوى سطح البحر فمن الخطـأ ان تقول انها قد تكونت بفعل طغيان البحر وتقهقره • والنظرية الحديثة تربط تكون هذه المدرجات بالتغيرات المناخية في فترة البليستوسين •

وهنالك من يعتقـد بان للحركات التكتونيه اثر على رفـع وتكوين المدرجات • فاســتناداً الى رايت Wright (١٩٥٤) ان لا نتتظر مؤثرات قويــة على تكوين المدرجات من الحـركات التكتونية في النصف الثـاني من البليستوسين والهيلوسين •

ولقد لاحظ كل من Less Falcon (١٩٥٢) و Vonte (١٩٥٦) و Vander Kloes (١٩٥٦) حركات تكتونية بسيطة • وربمـا الاختلافات المحلية لنظم تصريف المياه اثره في تفسير تكوين المدرجات الثانوية •

وهكذا نجد ان المدرجات النهرية تعطي دليـلاً واضحـاً على التطورات المناخية التي مر بها العـراق خلال عصر البليستوسين • وتعتبر هذه المدرجات ذات فائدة كبيرة في معرفة الظروف المناخية السائدة اثنـاء تكوينها فمثلاً اذا حوت قواقع تعيش فيها دافئة فاننا ندرك انها تكونت في فترة دفيئة أو بالعكس اذا كانت القواقع تعيش في مياه باردة كذلك نفيد منها من دراسة بقايا النباتات والحيوانات الموجودة منهـا والآثار الحضارية التي تركهـا الانسان على تلك المدرجات حيث عاش يمكن ان تدلنا على نوع المناخ السائد • كما ان دراستها ضرورية بالنسبة للعراق خاصة لانها تمثل اخصب المناطق الزراعية في العراق •

وهكذا نجـد ان للعصر الجليدي اثر على تكوين المدرجات والبحيرات الجافة وسقوط امطار غزيرة على العراق كافة وكانت للتبدلات المناخية اثر كبير على النبات والحيوان • اذ ان النباتات والحيوانات كانت قد تكيفت للمعيشة تحت ظروف مناخيــة معينة وهنالك بعض النباتات التي تتأثر بسرعة بالتبدلات المناخيــة كالنخيــل والكروم •

تطور النباتات والحيوانات في العراق خلال فترة البليستوسين والحديث :

مما يؤسف له قلة الدراسات عن العراق ولهذا لم يزل الكثير مما يخص هذه الفترة غامضاً ولعل السنوات التاليــة والتنقيبات التي تجري في الوقت الحاضر ستميط اللثام عن كثير من الغموض الذي يحيط بالظروف المناخية والنباتية والحيوانية والحضارية خلال العصور السحيقة في القدم ولهذا حاولنا

جهدنا ان نستفيد كل الافادة من اليسير المكتشف من هذا الموضوع .

ان التبدلات المناخية من حرارة وامطار ذات اثر مباشر على النبات والحيوان وانتشارها أو تقلصها أو اختفاء بعضها .

لقد وجدنا في الصفحات السابقة ان الحفريات في كهف شانيدر في السليمانية قد اثبتت وجود اشجار النخيل وبكميات كبيرة مما يدل على ان الظروف المناخية التي وجدت فيها كانت تختلف عما هي الان ، حيث كانت درجة الحرارة أعلى عما هي عليه في الوقت الحاضر كذلك كانت كمية الامطار أقل مما هي الأن . وكانت بساتين النخيل تنتشر شمالاً حتى سنجار ، تلعفر ، الموصل ، بعشيقة ، عقرة [٧] . وكان الجغرافيون العرب يشيرون الى كثرة انتاج التمور في هذه المناطق بحيث يفوق انتاج بغداد والبصرة ولكن الذي يبدو لنا ان تبدلاً مناخياً مفاجئاً حصل في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر أدى الى قتل اشجار النخيل في تلك المناطق واصبحت زراعة النخيل محصورة جنوب خط يمتد بين (عنه) على الفرات الى (تكريت) على دجلة ، ومرت العراق بفترات انعدم فيها الاستقرار والامن وتدهور الاقتصاد ولم يهتم احد بأعادة زراعة النخيل الى تلك المناطق وربما ليتفق القضاء على النخيل في شمال العراق بالتغيرات المناخية التي اشار اليها هنتنجتون Huntington والتي حصلت في القرن الثالث عشر .

كذلك فأن الكروم كانت منتشرة في جميع انحاء العراق بل كانوا يسمون العراق ببلد الكروم ولكننا نجد الان معظم المناطق في العراق خالية من الكروم ولعل السبب يعود كذلك الى التبدل المناخي الذي اشرنا اليه فقضى على الكروم في كثير من المناطق .

أما النباتات الاخرى فكانت موجودة ولم تزل الا ان الاشجار الجبلية المختلفة فكان خط انتشارها في العصور الجليدية اوطأ مما هو عليه الان وعند ذوبان الجليد في العصور الدفيئة يرتفع خط الغابات مع ارتفاع خط الجليد الدائم . فخط الغابات في الوقت الحاضر على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم بينما آنذاك كان اوطأ من هذا . فلو ان خط الجليد الدائم في جبال زاجروس قد هبط ٦٠٠٠ قدم أي الى ارتفاع ٤٠٠٠ قدم خلال فترة ڤرم Wurm فأن خط

(٧) أبو الفداء :« تقويم البلدان » ص ٢٨٣ .

الغابات والذي هو الان على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم قد هبط كذلك حتى وصل دون مستوى كهف شانيدر الذي ارتفاعه ٢٢٠٠ قدم •

ومن تحليل حبوب اللقاح التي وجدت في كهف شانيدر وجـد مايلي :

١ ــ طبقة ــ *D* ــ العصر الحجري القديم الاوسط (الحضارة الموستبرية) •

أ ــ النموذج الاول من عمـق ٨ر٦ م حيث وجـدت اشـجار نخيـل التمر Date-Palm وبلوط • والذي يبدو ان النخيـل كان منتشراً حتى قعر الوادي على بعد ١٠٠٠ قـدم اسفل الكهف • كما وجدت اشجار الجوز واللوز ، كما وجـدت اعشاب مما يدل على تحول المناخ نحو الجفاف •

ب ــ النموذج الثاني على عمـق ٥ر٧ م حيث وجـدت نباتات تدل على برودة المناخ • كما وجد ان جزءا من منحدرات الجبـل كان مغطى بغابات واخرى بحشائش •

جـ ــ النموذج الثالث من أعلى طبقة موستيرية على ارتفـاع ٢٥ر٤ م و ٣٥ر٤ م وجد بلوط وجوز وصنوبر على سفوح الجبال • كما وجد النخيل في قعر الوادي مما يدل على تحـول المنـاخ الى اكثر مطراً والذي يمكن ان نشـاهده جيـداً في القسم الاعلى من الطبقـات الموسـتيرية •

٢٥ر٤ م ٣٥ر٤ م	بلوط ، جـوز ، صنوبر نخيـل	بارد ممطر حار ممطر
٥ر٧ م	غابات (بلوط ، جوز ، لوز)	حشائش بارد
٨ر٦ م	اعشاب بلوط ، جوز ، لوز نخيل	جفاف بارد حار ممطر

الحيــــوانات :

أما الحيوانات فالذي يبدو لنا انها قد تغـيرت الى حدٍ ما في العصور المختلفة فبعضها قد تقدم شمالاً أو هبط جنوباً مـع التبدلات المناخية أو هاجر نهائيـاً • فلقـد ميز رايت Wright من الحيوانات اللبونة في بردة بلكة في ارسابات يعتقد انها تكونت في فترة مطيرة حيث ميز الفيل الهندي ، فرس الماء ،

الماشية العتم والماعز • أما الفيل الهندي وفرس الماء فهي منقرضة من العراق في الوقت الحاضر • أما في هزار مرد فقد وجد الغـزال الاحمر الذي انقرض من العراق نهائياً ، كما وجد كذلك الغزال العادي والماعز والجرذان •

أما الاسود فهنالك اشارات كثيرة الى انتشارها الواسع في العراق فيروى ان المهلهل (في حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب) كان يصطاد الاسود في منطقة الجزيرة بكثرة • واخر أسد قتل في ضواحي بغداد سنة ١٨٣٧ • وفي عام ١٨٧٤ قتل أسداً في العزير • وفي عام ١٩١٤ قتل أسداً في حوض دجلـة الادنى بالقرب من الحدود العراقية الايرانية •

أما في كهف شانيدر فعثر على عظام حيوانات مختلفة في الطبقات المختلفة تخص حيوانات بعضها لم يزل باقيـاً حتى الوقت الحاضر والبعض الاخـر قد انقرض ولم يعد له وجود •

	الحيـوان	وجـوده	منطقة معيشته	الملاحظـات
An equid	حصان او حمـار	موجود	المناطق الجبلية عامـة	
Gazelle (Gazella subgutturosa)	غـزال	موجود	من الغالب جبلي	وجوده يدل على انه جلب من مكان آخر منذ حين .
Wild goat (Curpa hircus aeyagrus)	ماعز بري ماعز جبلي	موجود	في المناطق الجبليـة	يعتقد ان حيوانات الماعز البري اكثر الحيوانات وجوداً في الكهف .
Domestic goat	ماعز اليفي	موجود		
(Cupra hircus hircus)				
Sheep	اغنـام	موجود		
Bovid	بقـر	موجود		
Red deer (Cervus daphs)	الايـل الاحمر	غير موجود في الوقت الحـاضر		توجـد في ايران وتركيا في الوقت الحاضر .
Roe deer	غـزال الجبل	موجود ولكنه نادر	جبلـي	موجود في المناطق الجبلية الباردة .

الحيوان		وجوده	منطقة معيشته	الملاحظات
(Capreglus cupreolus)				
Pig (Sus scofa)	خنزير	موجود		وجد في الطبقات
Bear (Ursus arctos)	دب	موجود	في المناطق الجبلية	وجد في الكهوف كما شوهد في الوقت الحاضر على الحدود العراقية والايرانية في اواء العمارة .
Wolf Canis lupus	ذئب	موجود		وهو من الانواء الموجودة حالياً .
Fox Vulpes vulpes	ثعلب	موجود		وجد في طبقات في الكهف.
Leopard	نمر ، فهد	وجوده نادر	المناطق الجبلية في الغالب	
Cat	قطة			قطط صغيرة .
Bagger Meles aneles	غرير (غريري)	موجود	في كل انحاء العراق	
Beach martin Martes foina	صنصار	موجود	جبلي في الغالب	وجد من بقاياه في طبقة
Rodents	قوارض	موجود	في كل انحاء العراق	
Birds	طيور	موجود	في كل انحاء العراق	
Tortoise	سلحفاة	موجود	في كل انحاء العراق	
Fish	اسماك	موجود	في كل انحاء العراق	
Fresh Water Crab	ابوالجنيب	موجود	في كل انحاء العراق	

الى جانب هـذه الحيوانات عثر على ٥٠٩٦ عظم لحيـوان معظمها كانت لحيوانات لبونة قد كسرت للحصول على النخاع كان بعضها من الطبقة — A — والاقل على عمـق ١١ ــ ١٤ قدم من الطبقة — C — والقليل جـداً كان من طبقة — D على عمق ٢٠ قدم ، كما عثر على قواقع مختلفة من الانواع التي تعيش في ملاجيء تدخلها الشمس ولهذا حفظتها من الرياح الباردة . ولقد عثرنا مـع بعض هـذه القواقـع والذي يبـدو انه استطاب طعمهـا فأكلهـا من ذلك Helix salomonica .

المركز	التاريخ	الكميـة	الملاحظـات
تمـرور	٨٠٠ قدم	نـادر	غير مأكول
حسـونة	٥٧٥٠ قدم	يوجـد	لا يؤكل
جـرمو	٦٧٥٠ قدم	كثـير	يؤكل بالتأكيد
كريم شاهر	٨٧٥٠ قدم	متـوفر	من المحتمل اكله
بلجوار ــ زرزى	١٢٠٠٠ــ ٩٠٠٠	متوفر نوعاًما	من المحتمل اكله

وهكذا يبدو لنا من أنـواع الحيوانات التي عثرنا عليهـا والتي انقرض بعضها ، ان الظروف المناخية قد اصابهـا بعض التبديل خـلال سكنى انسان نياندرتال كهف شانيدر في العصور التالية .

ولقد عثر في برده بلكه [٨] على اسنان وقليـل من كسر العظـام وتخص حيوانات الحصان أو الحمار الوحشي ، كما وجدت كسر عظمية لجنس الثور الوحشي وعظـام جنس الماعز الوحشي والغنم الوحشي وعظم طويل لغزال أو وعل أو أيل وحشي وعظم آخر طويل وناب واحد لجنس الفيل الوحشي وكسراً قليلة من قشرة درع سلفاة واصداف هذه القواقع [٩] .

(٨) تقع برده بلكه على بعد (٣) كم شمال شرق جمجمال في لواء كركوك وعلى أقل من (٢٠٠) م جنـوب شـرقي طريق كركوك ــ سليمانية ويقـوم مستوطن برده بلكه على منحدر فرع قصير من فروع جم شيراسو الذي ينبع بالقرب من جمجمال وينحدر جنوباً بشرق محاذياً محور سـهل جمجمال الى جم باسرا ثم ينعطف الى الجنوب الشرقي متجهاً نحو طاووق جاى وتقـوم برده بلكه في العراء على رابيـة منبسطة تتكون من طبقات ترسبات كلسية بليستوسينية فـوق صخور ميوسينية يقـدر سمكها بين ١٠ ــ ١٥ م .

(٩) الفيل الدكتور محمد رشيد : حضارات العصر الحجري القـديم الاسـفل الاشولية : ص ١٠٦ .

أما في هزار مرد فقد عثر على عظام لحيوانات مجترة والماعز البري ، كما عثر على الخفاش والفيران ، كما عثر على عدد كبير من عظام الطيور وخاصة تلك التي تخص الحمام البري والحمام •

وهكذا نجد ان المناخ قد تطور من مناخ حار معتدل الامطار في الفترة الدفيئة Riss — Wurm أو الفترة الجافة كانجيران ـ كامبليان حيث عاش الانسان في بردة بلكة في العراء وانتشر النخيل في منطقة كهف شانيدر ثم بدأ الجو يبرد فأنتقل الانسان الى الكهوف في فترة Wurm الجليدية حيث استعمل النار وآخذ يصطاد الحيوانات أو يجمع القواقع ويجلبها الى الكهف ليستعملها وهذا مانراه واضحاً في كهف هزار مرد وفي الطبقات العليا من كهف شانيدر وكذلك في بردة بلكة •

وبعد انتهاء جليد Wurm اخذ المناخ بالأعتدال التدريجي فأخذت النباتات والحيوانات تتطور حتى استقرت الانواع الحالية وهذا حصل في البضعة الاف سنة الاخيرة •

واعتقد البعض بوجود ذبذبات مناخية حديثة بفترات قصيرة وربطوا الفيضانات العالية لنهري دجلة والفرات بهذه الذبذبات ولهذا حاولنا دراسة فيضانات دجلة والفرات بدقة سواء في الكتب التي اصدرها البحاثة الدكتور احمد سوسة أو من الكتب الاخرى ولكننا لم نجد أي توافق بين الفيضانات وتتابع الفترات بل نعتقد انه بالامكان ان يحصل فيضان عالٍ في كل سنة اذا فاض دجلة وروافده في فترة واحدة وهذا ايضاً ينطبق على نهر الفرات • ولكننا لانشك بأن العراق كغيره من الاقطار مر بأدوار جليدية ومطيرة تغير فيها المناخ ونحن نعيش الان في فترة دفيئة ستنتهي بعد مدة ان طالت وان قصرت •

وفي الختام نرى لزاما علينا اعطاء فكرة بسيطة عن كهوف هزار مرد وشانيدر وزرزي •

١ ـ كهف هزار مرد :

يقع كهف هزار مرد في السفح الشرقي من جبل برنان المطل على سهل سرجنار قرب قرية هزار مرد على بعد ٨ كم الى جنوب غرب السليمانية ويرتفع عن سطح البحر نحو ١٢٠٠ م ويبلغ عمق الكهف الى الداخل نحو ٣٠ م ، أما عرضه فيتراوح بين ١١ و١٢ م ويرتفع سطحه عند المدخل ٥ م • ولقد قسمت المس جاروود طبقات هذا الكهف الى (٣) ادوار :

أ ــ الطبقة العليا ويتكون من فضلات متأخرة (حديثة) •
ب ــ الطبقة الوسطى ينتشر فيها صوان من النـــوع الاورنياس والذي يشبه صوان زرزى وشانيدر ــ B ــ • وهو من العصر الحجري القـــديم الاعلى •
جـ ــ الطبقة السفلى اكتشفت في هذه الطبقة مواقد للنار وقليل من العظام وادوات الصوان كثيرة ومتنوعة الاشكال ومن نـــوع الموستيري ويقـــدر عمره بين ٣٣ ــ ٥٠ الف سنة وكان الانسان يجمع قوته ويطبخه كما انه استعمل النار للتدفئة •

٢ ــ شـــانيـــدر :

يقع كهف شانيدر في جبال زاجروس الالتوائيـــة الى الجنوب من زيبـــار **بالقرب من الزاب الاعلى وعلى ارتفاع ٢٢٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر** عند خــط عرض ٤٠ ــ ٣٦° وخــط طول ١٣ ــ ٤٤° وحوالي نصف ميل من وادي الزاب الكبير وهو اعمق منطقة طبقية في الشرق الاوسط •

ولقـــد اجريت اختبارات بواسـطة Radio Carbon فوجـــدت الطبقات التاليـــة :

أ ــ Zawi Chemi Shanider (Recent or Neolithic) عصـــر حجري حديث حيث وجدت كميات من الفخار وبقايا عظام لبائن وفترتها ٨٧٠ر١٠ + ٣٠٠ •
ب ــ شانيدر — .B — Mesolithic عصر حجري اوسط زوزيان **وعثر فيها على آلات صوانية دقيقة •**
١ ــ اعلا طبقـــة ٦٠٠ر١٠ + ٣٠٠ •
٢ ــ عند القاعدة ٠٠٠ر١٢ + ٤٠٠ •
جـ ــ شانيدر – C – برادوستيه Upper Palaeolithic or Baradostian
عصرحجري قديم اعلىعثر فيها على آلاتالشفرات والسكاكين•
١ ــ اعلا الطبقة ٥٠٠ر٢٦ + ١٥٠٠ و ٥٠٠ر٢٩ + ١٥٠٠ •
٢ ــ القـــاعـــدة ٣٠٠ر٣٢ + ٣٠٠٠ أو ٦٣٠ ٣٣ + ٤٠٠ أو اكثر من ٣٤٠٠٠ •
د ــ شـــانيدر – D – Middle Palaeolithic عصر حجري قديم اوسط موستيرية ٥٠٣٠٠ + ٣٠٠٠ •

ولقد وجدت بقايا الآثار التالية :

أ ـ الطبقة العليا : آثار حديثـة •

ب ـ الطبقة التالية : استخدم الفخار وازداد عـدد الادوات الصوانية وكانت شديده التنوع والآلات دقيقة جـداً (ميكروليتية)وقطـع من الحجر البركاني الاسود المعروف بالاوبسيديان وادوات عظميه ويعـود هـذا الصوان الى العصر الحجري الاوسط •

جـ ـ الطبقة التالية : حيث كشف صوان من النـوع الاورنيـاس من العصر الحجري القـديم الاعلى Upper Palaeolithic واطلق سوليكي على هذا النوع من الادوات أسم برادوست •

د ـ الطبقة الاخيرة : وجدت طبقات من لب الصوان والشظايا ، كما عثر على فؤوس يدوية وسكاكين ومقاشط وهي من نوع الصناعات الموستيرية ، وقد عثر بين طيات هذه الطبقات على كميات من عظام الحيوانات وآثار النار مما يدل على ان انسان نياندرتال الذي سكن الكهف قبل اكثر من ٥٠،٠٠٠ سـنة استعمل النـار لشـواء الحيوانات التي كان يصطادها وكذلك للتـدفء •

الخلاصـــــة

بعد هذا الأستعراض لمختلف المظاهر الطبيعية وأثر المناخ على مظاهرها المختلفة سواء كانت المدرجات النهرية أو البحيرات الجافة وكـذلك مظاهر التطور النباتي والحيواني ، وحدود ومجال انتشار الأشـجار المثمرة ومنها النخيل والأخرى السريعة التأثر بتغيرات المناخ . وتنوع الحضارات المختلفة التي نشأت في العراق من دور استيطان الكهوف الى ادوار سـكن العراء ونوعية الحياة التي عاشتها وما استعملته من وسائل للتغلب على صعاب الحياة ادى الى تنوع في الآلات والأدوات التي استخدمتها في حياتها اليومية .

كل هذه المظاهر تؤدي بنا الى الوصول الى النتيجة التاليـة وهي ان مناخ العراق قد مر بتطورات خطيرة خلال البليستوسين حيث تراكمت الثلوج في المنطقة الجبلية في العراق في الوقت الذي شهدت فيه مناطقه الأخرى امطاراً غزيرة وأن كانت هذه الأمطار غير مستقرة في كمياتها ولا ازمنة سقوطها فقد كانت في حالة تذبذب قد يزداد المطر فيها تارة ويقل أخرى . وقد ادى ذلك الى نمو غطاء نباتي من الأعشاب المختلفـة في السـهول والهضاب وحتى في المناطق الصحراوية ، كما نمت الغابات في المناطق الأخرى حيث تكثر المياه بصورة دائمية خاصة بالقرب من مجاري المياه واطراف البحيرات .

ان هذه التبدلات المناخية لم تترك أثرها على النبات ونموه وصور توزيعه فحسب بل كان أثرها قد شمل الثروة الحيوانية اذ قد شهد العراق أنواع مختلفة من الحيوانات وباعداد كبيرة . والحيوانات التي تعيش الآن في العراق ليست هي حتماً تلك التي كانت قد وجدت في العراق في غابر عهوده فبعض الحيوانات قد انقرض بفعل التبدلات المناخية وبعضها قد هاجر الى مناطق أخرى مجاورة بسبب التبدلات المناخية والقسم الأخير هو الذي رافق ما استقر عليه المناخ حتى يومنا هذا والذي لايزال متمثلاً في ثروتنا الحيوانية القائمة وختاماً أود أن أشير الى أن العراق يعاصر الآن فترة جفاف لا يمكن أن تستمر في وجودها ولا بد من أن تعقبها فترة مطيرة مهما طالت مدة الجفاف هـذه .

أما بخصوص التبدلات المناخية خلال الفترات القصيرة المتعاقبة والتي تسمى عادة بالدورات السنوية أو الموسمية أو الخماسية أو العشرية أو غيرها

من المسميات الأخرى ، فاننا لا نعتقد بوجود مثل هذه التحديدات وكل ما في الأمر أن هذه التبدلات تحصل بسبب ظهور تبدلات حادة بين مناطق الضغط المختلفة المؤثرة على العراق تؤدي بدورها الى حدوث التغيرات آنفة الذكر في المناخ العراقي الذي تنعكس صورته اما زيادة في الأمطار أو قلة فيها أو ظهورها في مناطق دون اخرى وكذلك عدم وجود توقيت ثابت لها خلال السنة فقد تسقط مبكرة وقد تأتي بوقت لم يكن وقتاً معروفاً لسقوطها • وتنعكس أيضاً هذه التغيرات في تغير درجات الحرارة ، فاما زيادة في درجاتها أو قلة فيها ، وكذلك مظاهر الفيضانات التي تمر بنا فقد تحصل هــذه الفيضانات وخاصة الخطيرة منها في سنين متلاحقة أو قد تحصل بين فترات طويلة غير مؤقتة حيث يعتمد ذلك على وقت ذوبان الثلوج ومدى تبكيره أو حدوثه بجميع المناطق في وقت واحد ، فإذا ما ذابت الثلوج بوقت مبكر في المناطق الجبلية التي تنبع منها روافد الأنهار مرة واحدة ادى ذلك الى حــــدوث الفيضانات الكبيرة والعكس يكون اذا ما اختلفت أوقات الذوبان لروافــد الأنهار العراقية • وتأتي خطورة الفيضانات هذه من الحالة يبكر فيها الذوبان وتعم كافة مناطق روافد الأنهار خاصة وان أحواض الأنهار ومجاريها لم تتسع لكل كميات المياه الذائبــة مما يؤدي الى طغيان المياه على مناطق غير تلك التي تجري فيها الأنهار وقد زاد من خطورة الفيضان تراكم الترسبات في مجاري الأنهار حتى إنها اصبحت لا تتسع الا الى نصف الكميات التي تأتي بهــا الأنهار خلال فترة الفيضان •

مصـــادر البحث

١ ـ **الفيل ، الدكتور محمد رشيد** : حضارات العصـر الحجري القـديم الاسفل ـ الحضارة الشيلية : مجلة الجمعية الجغرافية ١٩٦٢ .

٢ ـ **الفيل ، الدكتور محمد رشيد** : حضارات العصـر الحجري القـديم الاسفل ـ الحضارة الاشولية : مجلـة كليـة الآداب ، العدد الثامن نيسان ١٩٦٥ .

٣ ـ **المسعودي** : مروج الذهب : القاهرة ١٩٥٨ .

٤ ـ **باقر ، طه** : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : بغداد ١٩٥٥ .

٥ ـ **بصمهجي ، الدكتور فرج** : دليل الجمهورية العراقية ١٩٦٠ .

٦ ـ **تشايلد ، جوردون** : التطور الاجتماعي : ترجمة لطفي فطيم القاهرة ١٩٦٦ .

٧ ـ **تغريبة بني هلال الكبرى** : القاهرة .

٨ ـ **رزقانه ، الدكتور ابراهيم احمد** : الحضارات المصرية في فجر التاريخ : القاهرة ١٩٤٨ .

٩ ـ **رزقانه ، الدكتور ابراهيم احمد** : حضارة مصر والشرق القديم:القاهرة.

١٠ ـ **روث مور** : الارض التي نعيش عليها : ترجمة اسماعيل حقي . بغـداد ١٩٦١ .

١١ ـ **سوسة ، الدكتور أحمد** : فيضانات بغداد في التاريخ : ثلاثة أجزاء .

١٢ ـ **غلاب ، الدكتور محمد السيد** : تطور الجنس البشري : الاسكندرية١٩٥٨

١٣ ـ **فلير : الازمنة والامكنة** : ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب . القاهرة ١٩٦٢ .

١٤ ـ **كون ، كارلتون** : قصة الانسان : ترجمة محمد توفيق حسني بغداد١٩٦٥

١٥ ـ **لنتون ، رالف** : شجرة الحضارة : ترجمة احمد فخري .

١٦ ـ **مجلة سومر** : بغـداد . مديرية الآثار العامة .

١٧ ـ
Al-Feel, Dr. Muhammad Rashid : The Historical Geography of Iraq. Between the Mongolian and Ottoman Conquests. 1258 — 1534; Vol. I.

١٨ ـ
Brooks, C.E.P. : "Climate Through The Ages". London, 1926.

١٩ ـ
Buringh, Dr. P., "Soils and Soil Conditions in Iraq". Baghdad, 1960.

٢٠ ـ
Burkitt; Prehistory; Cambridge, 1925.

٢١ –
Clark, J. Desmond, "The Prehistory of South Africa" 1959. A Pelican Book.

٢٢ –
Fleure, H.J. and H. Peake, "Apes and Men". Oxford, 1927.

٢٣ –
"Hunters and Artists". Oxford, 1927.

٢٤ –
Gresswell, R. Kay, "Glaciaers and Glaciation" 1958.

٢٥ –
Piggott, Stuart, "Prehistoric India", 1961. A Pelican Book.

٢٦ –
Richards, Leverett, G., "Ice Ages Coming", New York. The Ladder Series.



مشكلة السببية في تفسير السلوك الاجرامي

الدكتور عدنان الدوري
استاذ مساعد ـ علم الاجرام
كلية الاداب

تمهيد :

لازال بعض علماء الاجرام يذكرون تلك القصة التقليدية التي تروى عن غلامين كانا قد سرقا متاعا لبعض الناس ولاذا بالفرار فلحقهما صاحب المتاع وجمهور من الناس حتى وقع احدهما في قبضتهم بسبب قصر ساقيه بينما نجا الغلام الآخر لطول ساقيه • ودخل الغلام الاول الحبس بسبب جريمته وخرج من الحبس ليدخل حبسا آخر • وهكذا انتهى الى حياة اجرامية محترفة بينما صار الغلام الثاني من رجال الدين •

وفحوى هذه القصة الصغيرة تتصل باهمية الساقين وهل لهما علاقة سببية بمصير حياة كل من هذين الغلامين على النحو الذي جرى في سياق هذه القصة •

والحقيقة ان مشكلة السببية كانت ولازالت من ابرز المشكلات المنهجية التي تقف في وجه علماء الاجرام عند بحثهم عن سبب الجريمة • وهي مشكلة تكاد ان تكون مشكلة جميع علوم الانسان وعلوم السلوك المعاصرة •

ذلك ان علوم الطبيعة وعلوم الحياة تهتم بدراسة مجموعة من الظواهر الطبيعية المتجانسة التي يمكن أن تخضع للتفسير السببي ، أو تلك التي يمكن فيها القيام بتحليل العلاقة الوظيفية بين السبب والنتيجة • ويسهل التفسير العلمي لمثل هذه العلاقة الوظيفية كلما كانت هذه الظواهر على قدر كبير من التشابه والتجانس • وبذلك تصبح مهمة العلم الصحيح هي تفسير العلاقات القائمة بين هذه الظواهر المتجانسة بقانون علمي واحد •

ولكن ظاهرة السلوك الاجرامي ظاهرة معقدة تجمع بين انماط سلوكية غير متجانسة • هذه الانماط السلوكية تشكل في مجموعها جريمة في نظر القانون • وهنا تبدأ خيوط المشكلة • فقد بدأ علماء الاجرام بتحطيم القيد القانوني الذي يحيط بالسلوك الاجرامي فقدموا لنا تعريفا اجرائيا اجتماعيا

للجريمة • وانطلقوا بعد ذلك الى مشكلة تفسير السلوك الاجرامي في معناه الاجتماعي الجديد • ومع هذا فقد اختلفوا في المنهج والاسلوب •

فمنهم من يرى أن يقتصر البحث عن السبب على جرائم معينة أو انماط سلوكية متجانسة • وظل البعض الآخر يبحث وراء نظرية عامة واحدة تصلح لتفسير السلوك الاجرامي برمته • ويمثل الرأي الاول رأي المتفائلين من علماء الاجرام ممن يتوقعون ان يجدوا سبب الجريمة في حصر نطاق البحث في السببية وتحديد نطاقه بانماط سلوكية متجانسة • ويهدف الفريق الآخر الى استقصاء تلك العمليات والتفاعلات التي يتكون السلوك الاجرامي خلالها •

وعلى العموم فان علماء الاجرام ، سواء من بحث منهم عن نظرية واحدة، أو من التزم منهم بدراسة انماط سلوكية اجرامية معينة ، لازالوا يبحثون عن سبب الجريمة • وهم لاجل ذلك لازالوا يواجهون مشكلة ايجاد هذا السبب ، مشكلة السببية ذاتها • وهذا البحث يتناول بحث تلك المشكلات التي تتصل بمبحث السببية وتفسير السلوك الاجرامي •

تؤكد فلسفة السببية أن جوهر العلم ينحصر في بحث العلاقة بين متغيرين فحسب • وكلما زاد عدد هذه المتغيرات تعقد الطريق امام العلم ، سواء من حيث المنهج أو من حيث النتيجة ، لبلوغ مرحلة الكمال والموضوعية المطلقة • وقد التزم الكثير من علماء الرياضة وعلماء الطبيعة بهذا المنطق السببي ، فقيدوا انفسهم بذلك القانون التقليدي الذي يعرف بـ « قانون المتغير الواحد law of the single variable » وفحوى هذا القانون أن النتيجة ينبغي ان ترد الى عامل واحد أو الى متغير واحد يكون هو السبب الجوهري في احداثها ، بينما تظل جميع العوامل أو المتغيرات الاخرى ساكنة جامدة[1] •

وقد ساد هذا الاتجاه الآلي (الميكانيكي) في تفسير السببية خلال تلك المرحلة الاولى من مراحل تطور العلوم الطبيعية خلال القرون الثلاثة الماضية• تلك الفترة الذهبية التي توصل العلم فيها الى أن يقدم للحضارة الانسانية جل منجزاته التكنولوجية الكبرى ، كالسيارة والطيارة والراديو والحاكي

(١) Good and Scates, Methods of Research, Appleton — Century Grofts, Inc. New York, 1954, pp. 691 — 692.

والصور المتحركة والمحركات الاخرى • ومع هذا فلم تقف مسيرة العلم الحديث عند حدود هذه الثنائية المطلقة في تفسير العلاقة السببية ، بل تعداها الى بحث عدد هائل من العوامل أو المتغيرات التي يمكن ان تدخل في بناء الظاهرة الواحدة وفي بحث مختلف العلاقات الوظيفية القائمة بينها • وبدأت نظريات علمية تفسيرية جديدة تحل محل النظريات التقليدية التي التزمت ببحث العلاقة السببية وفق قانون المتغير الواحد •

وهكذا بدأت فكرة السببية causation تنفصل عن فكرة الحتمية أو الجبرية determinism ، وتختلف عنها اختلافا واضحا ، سيما ما يتعلق منها ببحث الظواهر الاجتماعية والسلوك الانساني • والى مثل هذه الحقيقة يشير عالم الفيزياء الالماني ماكس بورن Max Born حين يقول انه ليس بامكاننا ان نتكهن بما سيحدث للفرد ، ولكننا نستطيع ان نبين ما ينتظره من احداث متوقعة وذلك على سبيل الاحتمال • وهذا معناه اننا نتوقع ما يحتمل وقوعه ، تاركين مكانا للصدفة المحتملة • وهذا يفيد معنى السببية ، ولكنه ليس بالحتمية او الجبرية ، حيث لا مكان للصدفة مع الحتمية • (٢)

وبدأ البحث في الظواهر الاجتماعية والظواهر السلوكية يتخذ اتجاها خاصا يتفق وطبيعة هذه الظواهر • فالظاهرة الاجتماعية او السلوكية تتميز بتعدد عواملها ومتغيراتها وبصعوبة السيطرة التجريبية على جميع هذه العوامل والمتغيرات ، الامر الذي لا يوصل الباحث الى صياغة نظرية عامة كاملة تصلح لتفسير الظاهرة موضوع البحث • ولاجل ذلك فقد بدأ علماء الاجتماع والسلوك يتجاوزون هذه العقبة المنهجية بانصرافهم وراء البحث عن علاقة وظيفية للسببية functional causation ، بدلا من البحث عن سبب صرف في معناه الميكانيكي الآلي • (٣)

---

(٢) Born, Max, Natural Philosophy of Cause and Chance, Oxford University Press, London, 1949, p. 215.

(٣) Hook, Sidney "Determinism", Encyclopaedia of the Social Sciences, Macmillan Co., New York, 1931, vol. 5, pp. 100 —114.

ويبدو ان علماء الاجتماع والسلوك عالجوا مفهوم السبب Cause كقوة منفصلة تحدث النتيجة • وتركوا مهمة البحث عن سبب واحد ، وانصرفوا يبحثون عن مجموعة من العوامل او المتغيرات • لقد صار السبب لديهم هو الذي يتضمن مجموعة من العوامل المترابطة فيما بينها ، والتي تنتظم في نسق ما بحيث تؤدي في مجموعها الى احداث النتيجة • وعلى هذا فقد صار بحث السببية لا يعني البحث عن سبب واحد معين بالذات ، وانما هو تحليل تلك العملية المتواصلة التي تتضمن مجموعة مترابطة من العوامل المختلفة ومن ثم الاهتمام بفصل ما هو مهم منها او ما كان منها على درجة من الاهمية في احداث النتيجة • وهكذا صار بحث السببية يعني ايجاد عدد من العوامل ، وفصل العوامل المهمة منها ، وبالتالي تقليل هذا العدد والاكتفاء بما يدخل منها في احداث النتيجة • (٤)

والحقيقة ان عالم الاجرام اذ يشارك عالم النفس وعالم الاجتماع في مواجهتهما لمشكلة السببية في معناها المتقدم ينفرد عنهما بتحمل عبء آخر ينبعث من طبيعة الجريمة ذاتها كظاهرة سلوكية • تلك التي تضيف ابعادا جديدة للمشكلة ذاتها • وذلك لان عوامل الجريمة كثيرة متعددة ، تختلف وفقا لاختلاف مصادرها • بعضها عوامل شخصية تتعلق بتلك السمات والخصائص والصفات غير السوية التي تتعلق بشخص المجرم • والبعض الآخر عوامل بيئية تتصل بتلك الظروف الطبيعية والمواقف الاجتماعية غير السوية التي يعيش فيها المجرم • وهناك عوامل اخرى حضارية او ثقافية تتصل بالثقافة العامة للمجتمع الذي يعيش المجرم فيه والتي لها صلة بتكوين سلوكه الاجرامي • (٥)

وازاء هذه المجموعة الكبيرة من عوامل الجريمة ، يقف علماء الجريمة امام مشكلة صياغة نظرية عامة في سبب الجريمة • ويرى الاستاذ الاميركي سذرلاند Sutherland ان على الباحث عن نظرية سببية للجريمة ان يختار

---

(٤)

Morris, Albert, A Sociological View of Crime Causation, Federal Probation, vol. 7, July — Sept. 1943, pp. 17 — 20.

(٥)

Taft, Donald, Criminology, The Macmilan Co., New York, 1956, p. 85.

بين اسلوبين من اساليب البحث • احدهما بالتجريد المنطقي العام • وهذا يعني ان يلتزم الباحث بالقيام بدراسة ميكانيكية العمليات المشتركة التي تدخل في بناء السلوك الاجرامي • تلك العمليات التي يشترك فيها جميع المجرمين على اختلاف طبقاتهم واعمارهم واجناسهم ومناطق سكناهم • فقد تشير بعض الدراسات الى وجود علاقة ما بين زيادة نسبة الجريمة وبين بعض الخصائص او الظروف او الصفات الشخصية او الاجتماعية او الثقافية • وهذا لا يعني ان مثل هذه الظروف والصفات هي سبب الجريمة • وانما على الباحث ان يبحث عن تلك العمليات التي تتكون الجريمة خلالها ، سواء تحقق وجود مثل هذه الخصائص او الظروف او لم يتحقق ذلك • ويؤيد هذا اننا نجد من بين الدراسات ما يشير الى ان وجود بعض هذه الظروف او الخصائص لا يؤدي الى ارتكاب الجريمة من جهة ، ومن الجهة الاخرى فان دراسات اخرى تشير الى ان بعض الافراد يرتكبون الجريمة بالرغم من انهم لا يتميزون بصفة او ظرف من هذه الصفات والظروف • ولتحقيق هذا التجريد المنطقي ينبغي على الباحث ان يحدد معنى السلوك الاجرامي ذاته ، فيميز بينه وبين السلوك غير الاجرامي من جهة ، ثم يقوم بعزل العوامل والظروف التي تدخل في بناء السلوك الاجرامي وحده ، ويهمل تلك التي تدخل في بناء السلوك الانساني بوجه عام • اذ ليس من الضروري ان يهتم عالم الاجرام بكل ما يدخل في بناء السلوك البشري ، كعملية الهضم والتنفس ، لان مثل هذه العمليات لا يمكن ان تميز بين السلوك الاجرامي وبين السلوك غير الاجرامي •

اما اسلوب البحث الآخر فيكون بالتحليل الزمني للعوامل المختلفة من حيث اسبقيتها في حدوث الجريمة • اذ ان من الملاحظ ان عوامل الجريمة تنتظم في نسق زمني يسبق احدهما الآخر من حيث وقت حدوثها • وهذا يستلزم ان يعني الباحث باختيار تلك العوامل التي يراها على درجة كبيرة من الاهمية في تكوين السلوك الاجرامي خلال مرحلة واحدة معينة من وقوعه • وهكذا ينبغي على الباحث ان يهمل تلك العوامل التي تسبق هذه المرحلة ، أو يدمجها في عوامل اخرى ، وبذلك يقلل من عدد عوامل الجريمة أو متغيراتها ويحصر اهتمامه في المهم منها • (٦)

---

(٦) Sutherland and Gressey, Principles of Criminology, Fifth Edition, Lippincott Co., 1955, pp. 75 — 77.

ولعل من الجدير بالذكر ان نذكر هنا ان علماء الجريمة يميزون بين عوامل الجريمة بحسب اهميتها ومدى اسهامها في تكوين السلوك الاجرامي • فهم يصنفون هذه العوامل من حيث مظهرها المادي الى عوامل بسيطة وعوامل مركبة • العامل البسيط هو الذي نجده مستقلا عن سواه ، كوفاة احد الوالدين او حالة التخلف العقلي • اما العامل المركب فهو الذي يرتبط بعوامل اخرى فيكون جزءً في وحدة متكاملة • فالبطالة عامل مركب لانها لا تنفرد بتأثير مستقل بها وانما تتصل بعوامل اخرى كالفقر والعيش في مناطق سكنية غير ملائمة والكحولية او غيرها •

وقد تصنّف العوامل من حيث قوّتها في احداث النتيجة الى عوامل جوهرية وعوامل مساعدة • العامل الجوهري هو العامل القوي الذي يسهم اكثر من غيره في احداث النتيجة ، اما العامل المساعد فهو الذي يسهم بدرجة اقل في احداث النتيجة • والحقيقة ان من الصعوبة بمكان التمييز بين قوة العامل او ضعفه ، وذلك لان كل عامل يحمل في طبيعته عناصر الضعف والقوة• وبذلك يصبح العامل ظاهرة نسبية تخضع لتقدير الباحث نفسه وذلك وفقا لكل حالة خاصة • وهناك من يصنّف العوامل الى عوامل ظاهرة واخرى مستترة • وهذا المعنى يتعلق باسلوب البحث العلمي ، فقد يسهل على الباحث احيانا التعرف على بعض الظروف الخاصة بالمجرم فيهتدي الى تشخيصها وعزلها بوضوح • وقد تخفى عليه احيانا ظروف اخرى يعمد الشخص على اخفائها وبذلك يلجأ الباحث الى معونة وسائل اخرى في الاستقصاء والتحقيق • (٧)

مشكلة العامل الواحد وتداخل العوامل :

اوضحنا فيما سبق كيف ان فكرة السببية في علم الاجرام لا تعني ان ينحصر البحث عن سبب واحد او عامل واحد يعتبر علّة الجريمة • بل ان معنى السببية هو البحث عن نظرية سببية ، سواء انحصر هذا السبب في عامل واحد او تعددت العوامل والمتغيرات • وقد يلمس الباحث في مختلف الدراسات التي تناولت مبحث السببية انها لا تخرج في الواقع عن نطاق هذين المنهجين الرئيسين • فالاتجاه العام الغالب في علم الاجرام هو البحث عن نظرية واحدة

(٧) طه ابو الخير ومنير العصرة انحراف الاحداث – الطبعة الاولى–الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ١٧٨ – ١٨٠ •

او البحث عن سبب واحد للجريمة . وهذا ما نراه واضحا في مدارس علم الاجرام المختلفة كالمدرسة الانثربولوجية والمدرسة الاقتصادية والمدرسة الجغرافية والمدرسة الاجتماعية ومدرسة الطب العقلي ومدرسة التحليل النفسي .

ولعل استحالة التوصل الى نظرية عامة تفسر السلوك الاجرامي جعل البعض ينصرف الى التماس الطريق الثاني ، طريق النظر في عوامل متعددة تكون في مجموعها علة الجريمة . وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه منذ ان اعلن العالم الايطالي « انريكوفيري Ferri » ، وهو من انصار المدرسة الوضعية الايطالية ، ان الجريمة هي حصيلة مجموعة مترابطة من العوامل الطبيعية والعوامل الشخصية الانثروبولوجية والعوامل الاجتماعية . وقد وضع بهذا اصول منهج تفسيري عرف فيما بعد بمذهب تعدد العوامل او تداخل العوامل Multiple-factor approach وقد استخدم هذا المنهج في مجالين احدهما في دراسة حالة المجرمين وكشف اسباب الجريمة ، والآخر في تلك الدراسات الاحصائية التي تتناول اختلاف كتلة الجريمة وعلاقة ذلك ببعض الظروف والخصائص المختلفة .

وتعتبر دراسات العالم الاميركي « وليام هيلي Healy » رائدة في مجال دراسة الجانحين وفقا لمذهب تداخل العوامل [٨] وفي الدراسات المماثلة لها في انجلترا تلك الدراسات الرائدة التي قام بها العالم « سيرل بيرت Cyril Burt » لدراسة جنوح الاحداث في انكلترا . [٩] وعلى العموم فان مثل هذه الدراسات اظهرت ان كل جريمة يمكن ان تخضع الى مجموعة من العوامل تختلف عن الاخرى ، وان كل عامل من هذه العوامل يكون على درجة متساوية من الاهمية .

وقد شايع مذهب تداخل العوامل انصار كثيرون . وبدأت مختلف البحوث والدراسات تتجه اتجاها مماثلا في دراسة السلوك الاجرامي .

---

(٨)

Healy, William, The Individaul Delinquent, Little, Brown, Boston, 1915.

(٩)

Burt, Cyril, The Young Deliquent, University of London Press, London, 1928.

وخلاصة هذا المنهج ان الجريمة لا يمكن ان تفسر بعامل واحد • ويفخر انصار هذا المذهب ومشايعوه انهم وجدوا في مذهبهم الحل المنطقي الواقعي لبحث مشكلة السببية في علم الاجرام ، وانهم افلحوا فيما اخفق غيرهم ممن سبقهم من اصحاب مذهب تفسير الجريمة بعامل واحد •

والحقيقة ان ما يعيب هذا المذهب بالذات انه لا يمثل نظرية تفسيرية معينة ، اذ انه يقدم لنا مجموعة هائلة من العوامل والظروف والمواقف التي يمكن ان تؤدي الى تكوين السلوك الاجرامي • وهذا لا يعني السببية بشكل واضح وذلك لان مثل هذا المنهج يجعل فكرة السببية في اطار واسع يشتمل على مجموعة كبيرة من العوامل والمتغيرات التي تخضع في طبيعتها الى تقدير الباحث نفسه وهو الذي يختار منها ما يناسبه ، وهذا القول يفقد معنى السببية قيمتها الموضوعية كتفسير للجريمة والسلوك الاجرامي •

قوانين علم الاجرام :

يبدأ العلم بفرضية وينتهي بنظرية او قانون • فالفرضية hypothesis لا تعدو غير حدس بديهي بوجود حقيقة لا يعرف خطأها من صوابها وهي لذلك تستلزم الفحص لغرض التثبت مما تحمله من حقيقة أو صواب • أما النظرية theory فهي الفرضية التي تحقق ثبوتها بالفحص والتي تكون في طريقها الى ان تصبح قانونا • فالقانون Law في معناه العلمي يعني الانتظام الثابت بين طائفة من العلاقات القائمة او بين طائفة من الحقائق المعينة • ومن مجموع الفرضيات والنظريات والقوانين يتكون لدينا ما يعرف بالنظام system حيث ان النظام هو الذي يجمع بين جميع الافكار والمبادىء العامة التي تعتبر كل" متطابق • [١٠]

وعلم الاجرام كعلم معاصر لا شك يسعى الى دعم منهجه العلمي وذلك بمحاولة ايجاد النظريات العلمية والقوانين العلمية التي تفسر السلوك الاجرامي •

وقد قدّم لنا علم الاجرام بعض النظريات التي تحاول ان تفسر لنا علّة الجريمة والجنوح •• ولا زالت هناك فرضيات كثيرة تنتظر الفحص والتحقيق

(١٠)

Gee, Wilson, Social Science Research Methods, Appleton — Century — Crofts Inc., New York, 1950, pp. 194 — 195.

والاثبات ليصبح كل منها نظرية معينة • اما القوانين العلمية في علم الاجرام فلا زالت في مرحلة بعيدة عن النضج والـكمال وذلك اذا ما قورنت بقوانين علوم الطبيعة • والأمر لا يختلف كثيرا بين علوم النفس والاجتماع وعلـوم السلوك الاخرى •

ومع هذا فقد يؤكد بعض العلماء بين وقت وآخر قدرة علم الاجرام على صياغة قانون علمي لتفسير الجريمة والسلوك الاجرامي • وقد بذلت محاولات عديدة في هذا المجال • وأول قانون عرف في علم الاجرام هو الذي اسماه العالم الايطالي انريكوفيري Ferri بقـانون التشـبع الاجـرامي law of criminal saturation • ومفـاد هـذا القـانون انـه « في محيط اجتماعي معين وتحت ظروف طبيعية وشـخصية معينـة ترتكب جرائم معينة دون زيادة او نقصان • وهذا تطبيق مماثل للقانون الـكيماوي المعروف الذي يفيد انه في كمية معينة من الماء وتحت درجة حرارة معينة تذوب كمية محدودة من المادة دون زيادة او نقصان • (١١)

وقد ظهرت قوانين اخرى في السببية حاولت تطبيـق قانون النتيجـة والسبب المعروف في علوم الطبيعة والميكانيك في مجال السلوك الاجرامي • وابسط معادلة لهذه السببية هي التي تفيد بأن السلوك هو حصيلة تفاعـل الفـرد مع الموقـف • فالفرد بما لديـه من تكـوين فطري واسـتعدادات مكتسـبة يخضـع لتأثير وضغط البيئـة التي يعيش فيها •

وتتحدد سوّية هذا السلوك او انحرافه بمقدار ما لدى الفرد من القدرة على مقاومة ضغط هذه البيئة • فكلما ضعفت هذه المقاومة قلّت قدرة الفرد على التصرف السوّي الامر الذي قد ينزع به الى التماس مخارج غير سوية للتخفيف من حدة ضغط الموقف والبيئة • ولعل السلوك الاجرامي هو مظهر واحد من المظاهر السلوكية غير السوية التي تصدر عن الفرد في مثل هـذه الحـالة • (١٢)

ومن القوانين الاخرى ذلك القانون الذي يحاول ان يفسر لنا الجريمة

---

(١١)

Taft, Criminology, Ibid, p. 80.

(١٢)

Reckless, Walter, The Crime Problem, Appleton — Century — Crofts, Inc., 1955, p. 79.

بمعادلة مفادها ان « الجريمة تساوي الاتجاهات زائدا الموقف مقسومة على المقاومة » . وهذا القانون يجعل أثر الموقف او البيئة على الفرد متوقفا على تلك الاتجاهات والرغبات والميول والنزعات الشخصية التي تساعد الفرد على ادراك عناصر الموقف او عناصر البيئة التي تحيط بحياة الفرد . على ان يخضع كل ذلك لدرجة مقاومة الفرد لضغط الموقف . (١٣)

ويتجه البعض الآخر الى محاولة صياغة قانون سببي يفسر لنا الجريمة تفسيرا نسبيا تفاضليا . ومن هذه المعادلات تلك التي تفسر الجريمة بالموازنة بين عوامل السوية وعوامل الانحراف . فالسلوك المتوافق السوي هو الذي يساوي مجموع العوامل اللازمة للاتتمائية والانسجام الاجتماعي ناقصا مجموع العوامل المؤدية للانحراف او الشذوذ . وبهذا المعنى فان السلوك الحاصل يكون نتيجة هذا التفاعل التفاضلي differential ، اي انه سلوك منسجم متوافق تارة ، او سلوك منحرف شاذ تارة اخرى ، وبعبارة اخرى يمكننا القول بان هناك بعض العوامل التي تعمل نحو الانسجام والتوافق بين سلوك الفرد من جهة وبين ما يتطلبه المجتمع من معايير ضابطة من جهة اخرى . وتشتمل مثل هذه العوامل على تلك العوامل التكوينية الشخصية constitutional والعوامل البيئية المكتسبة enviornmental ومن الجهة الاخرى فهناك عوامل اخرى تعمل على الشذوذ والانحراف . وهذه ايضا تشتمل على عوامل تكوينية شخصية واخرى بيئية مكتسبة . وهكذا تكون حصيلة السلوك النهائي متوقفة على تعادل قوى كل من هاتين المجموعتين من عوامل السوية وعوامل الانحراف . فان زادت كفة السوية على كفة الانحراف ظهر سلوك الفرد سويا منسجما متوافقا . وان رجحت الكفة الاخرى ظهر السلوك شاذا منحرفا وكانت النتيجة الجنوح والجريمة . (١٤)

وهناك محاولات اخرى لوضع قوانين سببية اكثر تعقيدا لتفسير جنوح الاحداث . ومن هذه المحاولات الجادة ما جاء به العالمان الاميركيان

(١٣)

Abrahamsen, David, Crime and the Human Mind, Columbia University Press, 1946, p. 7.

(١٤)

Carr, Lowell, Delinquency Control, Harper and Brothers, New York, 1950, pp. 160 — 1961.

اليнوروشيلدون جلوك Glueck في دراستهما لجنوح الاحداث • لقد وجد هذان العالمان ان الاطفال الجانحين يمكن تمييزهم عن الاطفال غير الجانحين بخمسة معايير مميزة • وهذه المعايير هي المعيار الجثماني والمعيار المزاجي والمعيار النفسي والمعيار الاجتماعي الثقافي ومعيار المواقف والاتجاهات • وقد ذكرا تلك الصفات والسمات التي يمكن ان يتميز بها الاطفال الجانحون عن سواهم بمقتضى هذه المعايير الخمسة • والحقيقة ان مثل هذه المعادلات لا يمكن ان تكون قانونا في معناه العلمي الصحيح لانها لا تعدو غير التأكيد على اهمية مجموعة معينة من العوامل والمتغيرات التي يحتمل وجودها بين حالات الجانحين بنسبة قد تزيد على نسبة وجودها بين الاطفال غير الجانحين • (١٥)

مراجع البحث :

Abrahamsen, David, Crime and the Human Mind. Columbia University Press, 1946.

Born, Max, Natural Philosophy of Cause and Chance, Oxford University Press, London, 1949.

Burt, Cyril, The Young Delinquent, University of London Press, London, 1928.

Carr, Lowell, Delinquency Control, Harper and Brothers, New York, 1950.

Gee, Wilson, Social Science Research Methods, Appleton — Century — Crofts, Inc. New York, 1950.

Good and Scates, Methods of Research, Appleton — Century — Crofts, Inc. New York, 1954.

Healy, William, The Individual Delinquent, Little — Brown, Boston, 1915.

Hook, Sidney, "Determinism", Encyclopaedia of the Social Sciences, Macmillan Co., New Yorw, 1931, vol. 5.

Morris, Albert, A Sociologgical View of Crime Causation, Federal Probation, vol. 7, 1943.

Reckless, Walter, The Crime Problem, Appleton — Century — Crofts, Inc. 1955.

Sutherland and Cressey, Principles of Criminology, Lippin,cott Co., 1955.

Taft, Donald, Criminology, The Macmillan Co., New York, 1956.

(١٥) Glueck, Shelon and Eleanor, Unravelling Juvenenile Delinquency, The Commonwealth Fund, Harvard University, Press, 1950, pp. 281 — 282.

الموارد الاقتصادية في التفكير الجغرافي

الدكتور وفيق الخشاب
استاذ مساعد ـ جامعة بغداد

مقدمــــة :

تشكل موارد الثروة أساسا يرتكز عليه رفاه الانسان وتعتمد عليه مقومات الثروة ، وتعزى اليه قوة المجتمع والدولة ٠ فهي تؤثر على وضع السـكان وتجمعاتهم ومناطق سكناهم سواء اكان ذلك في السلم ام الحرب[1] ٠ فاذا كانت موارد الثروة على هذه الاهمية ، في كونها اساس الرفاه والاطمئنان ، والقوة والثروة ، لا تؤثر في حياة السكان في شتى الوضعيات ، فانه من الاجدر بسكان هذا العالم ، الذي شهد ويلات الحروب العالمية والفاقات والعوز ان يكون اشد احساسا بفوائدها واكثر شعورا بالمسؤولية تجاه العناية بهذا العنصر المهم والفعال الذي ينتظم اساس حياته ٠

ليس معنى هـذا ان اهتمام الانسـان بموارد الثروة يتجلى في فترات الحروب فقط لان اهميتها ، في الواقع ، تتعدى فترات الحرب بحيث شكلت معيارا لتقيم قوة الدول والمجتمعات في فترات السلم أيضا ، واضحى استخدامها والتصرف بها بشكل معقول ، وصحيح ، مظهر من مظاهر القوة الاستراتيجية ٠ لذلك فقد دأب الانسان منذ أقدم الازمنة على التفكير في طرق الحصول على هذه الموارد بشتى انواعها٠فالانسان البدائي مثلاكان يفكر في وسائل الحصول على قوته وسبل عيشه ، فكان يفكر في الحصول على المياه والحيوانات والمعادن ٠ فكان تفتيشه عنها يمثل مشاكل آنية جابهتها البشرية في العصور السابقة كما وتعتبر الوجه الحقيقي لنضال الانسان عبر التاريخ[2] ٠ وكان

---

١ ـ الدكتور محمد السيد غــلاب والدكتور محمد صبحي عبـدالحكيم : السكان ؛ ديموغرافيا واقتصاديا ٠
وطبعة الانجلو مصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ص ١٧١ ٠
١٩٦٢ ص ١٧١ ٠

٢ ـ الاستاذ زكي الرشيدي والاستاذ محمود موسى : جغرافية الجـوع ـ مترجم ـ الفه الدكتور خوزية دي كاسترو ، معهد التغذية ، جامعة البرازيل ٠
وسلسلة الالف كتاب ـ دار الهلال ، رقم ٣٦٦ الفصل الاول ، ص١١ ٠

تعرف الانسان على موارد الثروة المختلفة من أرض ومـاء ونبات وحيوان ومعادن قد مر في فترات متقطعة . وكان شعوره تجاه المحافظة عليها لا يعدو كونه إحساس بدائي بضرورة توفرها له عند حاجته لها . ولم يفكر في ضرورة حيازته هذه الموارد واستغلالها بشكل صحيح ودقيق الا في فترات لاحقة وقد ظهر تزايد الشعور بالمسؤولية للتعرف على طبيعة موارد الثروة وطرق استغلالها وضرورة العناية في دول العالم الغربي قبل غيره . وقد عبر هذا الميل عن اتجاه جديد في تاريخ استغلال الموارد يتصل الى حد كبير ، بالتطور الاقتصادي الذي اجتاح الغرب خلال القرنين الماضيين وما صاحب هذا التطور من فعاليات، واعمال ، اثرت بشـكل ملحوظ على تفكير الناس ونظرتهـم الى الامور الاقتصادية عامة ، وموارد الثروة ، بانواعها ، بصورة خاصة[٣] .

٢ ـ (موارد الثروة بين الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجّـه)

وقد عاش الانسان ، قبل ان يتعرض الى العديد من حوافز التطور والتقدم الاقتصادي ، فترة طويلة من الزمن وهو سلبي النشـاط يخضع الى مختلف القيود والموانع الاجتماعية الموجودة ضمن اطار حياته وتختلف هـذه القيود وتتباين باختلاف البيئة الى احاطته به والعوامل الموجودة فيها ، سواء اكانت هذه العوامل ذات طابع اجتماعي أو سياسي أو طبيعي . كما قد تراوحت هذه القيود بين البساطة والتعقيد ، في فترات مختلفة من حياته ، بين اوامر القبيلة وعرفها الى سيطرة القسس ورجال الدين ، كما تمثلت،فترة من الزمن،بسيطرة عسكرية فردية صبغت تفكير الناس بقالب اقتصادي معين ثابت الحدود .

على ان تاريخ العالم تعرض الى فترات من التغير وظهرت في حياة الانسان عوامل جديدة أثرت فيه ووسعت من أفق تفكيره كما دفعته الى التحرر في شتى المجالات . فاتنقل الانسان الى فترات تميزت بظهور الاستكشافات الجغرافية والاختراعات الجديدة . وكانت هذه الفوارق بين العهود السابقة والفترات الحديثة اساسا لمنطق أصاب المفاهيم والنشاطات الاقتصادية العامة في العالم . واصبحت الفترة الجديدة تسعى الى مظاهر جديدة من الحياة . فشددت الدول على تشكيل الامبراطوريات وما صاحب ذلك من استعباد واستعمار وانطلاق الانسان في بيئة اوسع رقعة مما كان يجول خلالها في فترات سابقة . وقـد

---

٣ ـ اللورد بويد اور : مقدمة ، جغرافية الجوع ، ذكر المصدر سابقا ، ص٧ .

ظهر في هذه الوضعيات الجديدة صناعات جديدة • وتغير مفهوم الثروة وموارد هذه الثروة عما كان عليه في السابق •[٤]

التغيرات السابقة أثرت على الافراد من حيث أهداف نشاطهم الاقتصادي • فأخذ الشعور يتزايد بأن للفرد حقوقا مشروعة وله قوة واضحة في اطار المجتمع الذي يعيش فيه • وبعبارة أدق أصبح الفرد اكثر جدية مما سبق في معالجة اموره الاقتصادية واعماله بعيدا عن التقنينات والتمديدات المختلفة التى كان يشرف عليها جماعات تمثل الدولة او السلطة الدينية او المجلس القبلي • وغير ذلك وعلى هذا الاساس نستطيع القول مبدئيا بأن موارد الثروة المختلفة قد خضعت عند استغلالها ، وفي مفهومها العام الى طرفين هما :

الفرد المستغل بمشاريعه المختلفة من جهة والسلطة الحاكمة التى يفترض أنها تمثل المجموع وترعى المصالح الجماعية المتعلقة بالموارد ومن المعلوم ان الفرد حينما يقوم باستغلال موارد الثروة أو عندما يبدأ في تنفيذ مشاريعه الاقتصادية يختلف سلوكه واسلوبه وموقفه في تقييم موارد الثروة كالارض والماء والبترول والحديد والاخشاب والاسماك عن موقف الحكومة وموقف الجهات التي تمثل المصالح الجماعية • والفرد فيما يملكه من ثقافة اقتصادية محدودة ودوافع شخصية ظاهرة او كامنة ، يتأثر بعوامل متعددة منها عامل السوق الآني المحدود ، ولذلك فاءن اهدافه الاقتصادية ، وحتى الاجتماعية ، تتقيد الى حد كبير ، تخطيطها وتنفيذها ، بفترات زمنية محدودة وقصيرة • فالفرد في مجاله الاقتصادي ، يغلب ان يتأثر بحاضره اذن وبما هو موجود حوله بصورة مباشرة وآنية غير متقيد بالمستقبل البعيد او المدى الزمني الطويل • وقد تبنى من واقع الاحوال ان اعتبارات المستقبل البعيد والمدى الزمني الطويل فيما يختص باستغلال موارد الثروة المتعددة يحتاج الى تخطيط برامج معينة قد لا تظهر نتائجها في فترة قصيرة متوقعة ، كما أنها تتطلب جهودا ووقتا ، ونفقات ، قد يعجز الفرد عن تحقيقها لوحده ، لذلك كان من الاوفق ان تدخل في نطاق نشاط الدولة أو اشرافها • ويبدو

---

٤ ـ لاحظ : الارتياد والكشف الجغرافي ؛ تأليف الدكتور هـ • ج • وود Exploration and Disovery ، ترجمة الدكتور شاكر خصاك • منشورات دار المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ ١٩٦٤ ص ٥٣ •

ان ظروفا من هذا النوع تدفع الفرد والمشاريع الفردية الى اهمال اغلب ما يتعدى المنفعة الآنية عند استغلالهم لموارد الثروة بل وحتى المبالاة باسلوب هذا النوع من الاستغلال ، الا اذا اخضع النشاط الفردي الى نوع من التدخل المقصود الذى يستهدف ضمان حقوق المصلحة الجماعيةوحمايتها فيما يتعلق بموارد الثروة •

٣ ـ موقف النشاط الفردي والنشاط السياسي من استغلال الموارد :

واستنادا الى ما سبق نستطيع القول ان كل من الفرد والسلطة كان يتعاملان مع موارد الثروة كل من زاويته الخاصة • فكان الفرد يستغل الموارد ويسعى للحفاظ عليها وصيانتها بالقدر الذى تدر فيه الربح الذى يبتغيه • كما كانت السلطة تقوم بصيانة موارد الثروة واستغلالها بالدرجة التي تضمن فيها مصلحة المجتمع ككل • فصيانة الموارد والحفاظ عليها أساسه كما يبدو تبعا لذلك هو حماية المصلحة الفردية في الحالة الاولى والمصلحة العامة في الحالة الثانية • ولما كانت موارد الثروة على انواعها ، بعضها قابل للنفاذ والبعض الآخر قابل للتجدد والاستمرار ، وان نفاذ النوع الاول وتدهور الثاني أو ضعفه ، يؤثر في وضع المجتمع ، وان كان لا يزال في وضع يحقق معه مصالح الفرد ، فقد وجد هناك من يدعو الى ضرورة الرقي بمستوى مسؤولية الفرد في الحفاظ على المصلحة العامة وجعلها على نفس صعيد مسؤولية الدولة[٥] • لقد حدث شيء من هذا القبيل ليس في البلاد القديمة وحدها وانما في البلاد المكتشفة حديثا • ففي هذه الحالات تزايد الشعور بضرورة تدخل السلطة للعمل على صيانة موارد الثروة • ومن ابرز الامثلة على ذلك ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان تم إستيطان اغلب

ـ ٥

White G. F; Toward an appraisal of World Resources;
New Views of conservation problems.
Geographical Review, oct. 1949, pp. 629_634.

كذلك راجع : الدكتور وفيق الخشاب : موارد الثروة ؛ دراسة لبعض موارد الثروة في العراق .

مجلة الاستاذ ، المجلد العاشر ـ مطبعة الحكومة ـ بغداد ـ ١٩٦٢ .

وايضا : الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور محمد صبحي عبدالحكيم : السكان ديموغرافيا واقتصاديا ، ص ١٨٧ ، ذكر المصدر سابقا .

اجزاء القارة ووصل السكان من الساحل الشرق الى الساحل الغربي[٦] • فقد تزايد الشعور لدى الناس في حينه انه حتى في هذه البلاد البكر والغنية لا يمكن ان تبقى موارد الثروة بصورة دائمة ، بل قد يفنى ويتلاشى بعضها او يصيب الضعف والتدهور البعض الآخر منها ما لم يسود استغلالها نوع من التعقل والتخطيط ضمن حدود سيطرة الفرد واختصاص السلطة • وهكذا ظهرت بادرة توحيد الجهود نحو هدف واحد هو الحفاظ على موارد الثروة وحسن استغلالها ••

٤ ـ تزايد الشعور بالمسؤولية :

لقد ساهمت الحروب الاخيرة في تزايد الشعور لدى الناس بضرورة المحافظة على موارد الثروة واستغلالها بشكل يبعث القوة في الدولة ويحافظ على مكانتها الاستراتيجية • فقد أوضحت الحربان الاخيرتان ان الحرب الجماعية تحتاج الى تعبئة عامة لجميع موارد الثروة وان الامكانيات الحربية لا تختلف عن الامكانيات الاقتصادية الا في الهدف[٧] • على أنه من الضروري الاشارة الى ان توسع الرقعة التي يسكنها الانسان وازدياد معرفته بطبيعة موارد الثروة ومدى انتشارها ، اضافة الى سوء الحروب والنكبات الاقتصادية ، كل هذه ليست العوامل الوحيدة التي حفزت الافراد والمجتمع بضرورة التفكير الجدي في الحفاظ على مواردهم واستغلالها بشكل ناجح أبعد ما يكون عن التبذير بل ان هناك عوامل أخرى ، ولو انها أقل وضوحا مما سبق ورغم ان هذه العوامل ليست سريعة الظهور الا انها عملت على مدى زمني وبطيء • فمن هذه العوامل مثلا : نمو الدولة الحديثة وتعقدها هذا النمو الذى دعا الى تزايد قوتها المركزية وذلك عن طريق الاشراف المباشر في مختلف الميادين ، بما في ذلك موارد الثروة لتحقيق الصالح العام• كذلك ومن العوامل الاخرى كان لتناقص المنافسة الاقتصادية وتركز هذه

ـ ٦

Carl Hodge; Editor, Peter C. Duisberg, Associate Editor; Aridity and Man; The Challenge of the Arid lands in the U.S.A. Publication No. 74. Chap. 14. p. 397. The Horn - Shafer Co. Baltimore.

ـ ٧

Pr son R. L; Conserving American Resources. Englewood Cliffs N.J. Prentice Hall cnc. pp. 14—15.

القوة بأيدي مصالح شبه حكومية أثر لا ينكر في اطلاق خطط السلطة في شأن العناية بالموارد وفي جهات معينة من العالم أدى ظهور الاشتراكية والشيوعية الى ضمور وانغمار المشاريع الفردية • وكلا الاتجاهين يؤمن بالاهتمام بموارد الثروة ورعايتها كأساس للمحافظة على القيم الاجتماعية ورقيها •

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على تزايد هذا الشعور هو نضوج فكرة المسؤولية الاجتماعية • وتلك ظاهرة ترمي في العادة الى تخفيف حدة الانانية الفردية • وهذا الجانب من العوامل يعتمد بصورة خاصة على كتابات المفكرين الاجتماعيين ومدى ما في هذه الكتابة من توجيهات يتقبلها الفرد كما يتقبل الحقائق العلمية مع الاعتراف بان الكتاب الاجتماعيين قد اخفقوا ، لحد الآن ، ولسوء الحظ ، في اقناع العديد من الناس بأنهم يسعون الى توضيح وتعليل ظاهرات من المعرفة يمكن البرهان على صحتها بأدلة قاطعة تتوازى أحيانا ، مع ما يقدمه العلماء في مجال العلوم الطبيعية والرياضية[٨] •

٥ ـ بداية الدعوة لفكرة التعرف على موارد الثروة والسعي للحفاظ عليها :

وعند تتبع كتابات الاقتصاديين نلاحظ بأن موضوع موارد الثروة سواء اكان من حيث التعرف على صفاتها ، واستغلالها ، كان يمثل موضوعا تبناه التفكير الاقتصادي الذي كان همه الاول والاخير الانشغال بالسوق الاقتصادي • ولذلك كان موضوع الثروة يذوب في العمليات التجارية الروتينية التي طغت على الموارد ذاتها مما يدفع الى القول بأن الاقتصاديين انفسهم قد اهملوا هذا الموضوع بالرغم من أنه قد حسب عليهم في فترة معينة من الزمن وتنيجة لذلك فقد اهمل هذا الموضوع الى حد كبير بحيث تطرق اليه وبشكل متقطع بعض المختصين بالعلوم الطبيعية كل في مجال اختصاصه حتى انتهى به المطاف الى حقل الجغرافية • وحتى في هذا الحقل كانت بداية البحث فيه غير واضحة بحيث لم تعطيه شخصية خاصة يشكل فرعا من فروع الجغرافية يتميز بابعاد معينة • فكانت معظم الكتابات عنه تأتي ضمن كتب

---

٨ ـ كذلك لاحظ « هل ينقذنا العلم » تأليف George Lindberge
نقله الى العربية : الدكتور أمين احمد الشريف .
منشورات دار اليقظة العربية ـ بيروت ١٩٦٣ ص ٦٧ـ٦٩ .

الجغرافية الاقتصادية[٩] . وسواء أكان من كتب في هـذا الحقل هـم من الطبيعيين ام الاجتماعيين فقد كان عليهم التوصل الى اصطلاح واضح وتعريف شامل له لتبديد ما قد علق بالاذهان حول هذا الموضـوع بالنسبة لعامـة الناس الذين يهمهم الامر بالاضافة الى اصحاب السلطة الذين تهمهم المصلحة العامة وقد عرج الاستاذ . أج . أج ماكارتى على تعريف الموضوع فأعتبره جزءاً من الجغرافية الاقتصادية واوضح ان الجغرافية الاقتصادية هى احـد حقول المعرفة التي اخذت تهتم في الاونة الاخيرة بتحديد موقع الفعاليات الاقتصاديـة Economic activity في مختلف انحـاء الارض[١٠] .

ويبدو من هذا التعريف انه اول تساؤل يأتى في هذا المجال هو ان موارد الثروة في اى منطقة من المناطق ليس من الضرورى ان تعطى صورة عن الفعاليـة الاقتصادية وتوضيح ذلك نقول ان كل من بريطانيا والبانيا تحتاجـان الى اسواق واسعة وقد تكون بعيدة وفي كلا الحالتين لا نجد الفعالية الاقتصادية يمكن استخدامها كدليل لتفسير موارد الثروة الموجودة في كلا البلدين [١١].

ومن ذلك نلاحـظ انه كان هنـاك محاولات للاعتراف بمـوارد الثروة كعالم مستقل بذاته الا ان القائلين بذلك لم يكونوا على ثقة تامة بامكانية فصلـه عن الجغرافية الاقتصادية فجاء جزءاً منها في مختلف هذه البحوث ولذلـك لم تظهر قيمته بشكل واضح .

وكانت المحاولات القائمة لوضع تعريف شامل لموارد الثروة هي كبداية

---

٩ ـ الدكتور محمد صبحي عبدالحكيم : موارد الثروة الاقتصادية : جزءان . حزيران القاهرة ـ ١٩٦١ .

وكذلك لاحظ : الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور محمـد صبحي عبدالحكيم : السكان ديموغرافيا واقتصاديا ، ذكر المصـدر سـابقا .

وايضا : حسن طه النجم : الجغرافية الاقتصادية (المعادن والصناعة والمواصلات) .

كلية التجارة والاقتصاد ـ بغداد ـ مطبعة الزهراء ـ ١٩٥٤ .

١٠ـ
McCarty H. H: An approach to a theory of Economic geography. Economic Geography, 30, 1954, 95_101.

١١ـ
Freeman T. W: A Hundred Years of eGography. Cox and Wyman Ltd. London, 1955, pp. 145_173.

للتفكير في الموضوع كحقل متميز عن موضوع الجغرافية الاقتصادية فقد تعددت المفاهيم الشائعة بين الناس عن موارد الثروة • فقيل ان مورد ثروة Resource يعني المواد والاشياء التى في الامكان نقلها كالذهب ، والارض ، والماء ، وعند التسليم بتعريف في هذا النوع يتضح بامكان مختلف الاشياء ان تظهر بمظهر مورد الثروة وتلعب دورا مهما في هذا الخصوص وليس علينا للتدليل على ذلك الا بالتفكير بالفحم الحجرى والبترول والنحاس والاخشاب • فالمورد الاخير مواد ملموسة وملحوظة يمكن تمييزها بسهولة كما انها واضحة الاهمية ولكن هناك اشياء اخرى يمكن اعتبارها مورد ثروة الا انها اقل وضوح لدى الفرد العادى بل ولدى الكثيرين من الناس كما هى الحال في الصحة العامة والوفاق الاجتماعي والسياسات الناجحة والحرية وهذه امور ترقى في قيمتها وفائدتها ، اذا نظر اليها من الوجهة العالمية الى اكثر من قيمة الفحم والذهب[١٢] • ومن الاخطاء الشائعة ايضا الميل الى التفكير في موارد الثروة كأشياء مستقلة بحد ذاتها كالغابات والحديد والارض بدلا من النظر اليها كأجزاء متكاملة ومتماسكة مع بعضها البعض سواء اكان ذلك في ميدان الاشياء المادية أو مصادر القوى المحركة والعلاقات او الحالات والمعاهد والسياسات والانجازات البشرية ولابد من الاشارة الى ان البعض يفهم في معنى مورد للثروة انه معين لا ينضب في الثروة متناسين ان الضدين يجتمعان به نفس الوقت الذى فيه نور يكون هناك ظلام وفي

١٢ـ

Preston E. James and Clarence F. Jones, Editors; American Inventory and Prospect. Syracuse University Press. 1954, p. 225.

ففي المؤتمر الجغرافي الاميركي الذي عقد عام ١٩٥٤ ثم وضع تصنيف اولي لموارد الثروة . وبموجب هذا التصنيف أمكن تمييز ثلاثة انواع من الموارد : (آ) ـ موارد الثروة الطبيعية ، وهي الموارد التيتتكون دون تأثير للانسان فيها كالارض والماء والاشجار والحيوانات والمعادن على إختلاف انواعها ، (ب) ـ موارد الثروة البشرية ، وهي موارد تتمثل في طاقة الانسان على اعتبار ان هذه الطاقة تمكن صاحبها ، الفرد ذاته ، او غيره على انجاز الاعمال المفيدة والمنتجة التى تسهل سبل العيش . و (جـ) ـ موارد الثروة الحضارية ، وتتمثل في مهارات الانسان وانجازاته وكل ما يتصل بحضارته كالطرق والجسور والمدارس . كذلك راجع : الدكتور وفيق الخشاب ـ موارد الثروة ، دراسة لبعض موارد الثروة في العراق . ذكر المصدر سابقا .

الوقت الذى فيه ربح هناك خسارة وان وجود العرض يعني وجـود الطلب لذلك اصبح من اولى واجبات من يقوم بتقديم موضوع الموارد وتعريفـه باعتباره موضوعا مستقلا بحد ذاته ابعاد معينة ان يعمل على ازالـة هـذه الاخطاء الشائعة •

٦ ـ تعريف مورد الثروة :

ومن الضرورى التفريق بين المعنى الاصطلاحي والمعنى القاموسى لكلمة مورد فترد في القواميس معاني متعددة لكلمة مورد الثروة منها : انه ذلك الشيء الذى يعتمد الفرد عليه للمساعدة والاعالة والتوخى(١٣) • او الوسائل المتبعة للحصول على غايات او حاجات معينة او انها المقدرة على استغلال الفرص او تخلص الفرد من عقبات ومصاعب الت به وهناك من التعـاريف ما يشير بصراحة الى ان مورد الثروة ليس من الضروري ان يتعدى حـدود الانسان بل قد يكون في ذاتيته •

وعند استعراض هذه التحديدات الثلاثة نجد انها تفرض وجود انسان ولذلك فانها اعتبرت اهمية المورد في الواقع انعكاسا او تعبيرا للتقييم البشري لها • هذا التقييم يبين ان بامكان بعض الاشياء ان تعمل كوسائل لاشباع حاجات معينة وان الانسان يستطيع ان يعتمد عليها للعون والمساعدة في هذا الخصوص • والتعريفات السابقة اذن تخلص الى القول بأن المورد لا يشير الى شيء معين بالذات بل تؤكد على وظيفة Function تؤديها المورد للمساهمة في عملية معينة وعلى الاخص العملية التى تؤدي الى تحقيق اهداف معينة ، كما هي الحال في اشباع الحاجات • لذلك نجد ان هذه الكلمة وثيقة الصلة باصطلاحات اخرى عديدة كالغذاء والملكية ورأس المال الا انها اكثر شمولا من اي كلمة من الكلمات السابقة •

إن اصطلاح مورد الثروة اصطلاح متغير المفهـوم بمرور الزمن وتغير الوضعيات • وان هذا المفهوم او المعنى قد تغير في شموله نتيجـة لتطـور الانسان وتوسع مداركه ومعرفته وتعدد وتعقد حاجاته • ذلك لان الموارد تصبح لها قيمة نتيجة التداخل بينها وبين الانسان هذا الانسان يبحث عـن وسائل للتوصل الى غايات معلومة كما هي الحال في تطمين حاجات فرديـة أو التوصل الى اهداف جماعية أو اجتماعية ، يمتلك القابلية على استغلال

١٣ــ منير البعلبكي : قاموس المورد . دار العلم للملايين . ١٩٦٧ ص ٧٨١ .

الفرص أو التخلص من المصاعب ، وبين شيء خارج عن حدوده وابعـاده ، هذا الشيء يمكن ان نطلق عليه اصطلاح الطبيعة بصورة مبدئية • فالانسان البدائي الذى كان في مستوى الحيوانات لم تكن تراوده سوى الحاجـات الطبيعية العادية وكانت له قابليات طبيعية بدائية لذلك فانه لم يسيطر الا على ما حولها من الموارد الطبيعية ففي هذه الوضعية توجـد موارد واشـياء في الطبيعة وتوجد طاقة الانسان وتوجد حالات معينـة موجـودة فيها المـادة وموجودة فيها الطاقة ، ثم توجد علاقات بين هذه جميعـا او بين بعضهـا والبعض الاخر الا ان الانسان البدائي لم يكن عالما بكل ذلك في هذه الحالة يمكن تصور الانسان البدائي في بيئته المباشرة التي تحيط به والتي تحوى على مجال ضيق من موارد الثروة الطبيعية ، فيها اشياء تلائم بقائه واستمراره وكافيه لتطمين حاجاته البشرية البسيطة كما وانها تحوى حاجات ومظاهـر لا تلائم الانسان ولا تساعد على استمراره بل قد تتعدى ذلك الى عدائهـا ومناوئتها له • وفي هذا المستوى البدائي وجد الانسان تلك البيئة المحيطة به صعبة للغاية فلم يحظ الا بالكاد الذى يكفى لاستمرار بقائـه لمواجهـة التحديدات والمقاومات التى تبدو قاسية عند عدم توفر اساليب الحضـارة والمدنيـة ، فلم يتيسر له من مـوارد الثروة الا القليـل قياسا على استعداداته المحدودة ولم تجلب انتباهه سوى موارد الثروة الطبيعية فقط فكانت المورد الرئيس الذى يعتمد عليه وتبدل مفهوم موارد الثروة بمرور الزمن وتطور الانسان واستطاع ان يستعمل يداه بمهارة للقبض عـلى الاشـياء ولصنع الادوات والعدد فبدأ بذلك عمله الاصلي كباني للحضارة والمدنية يهدف الى تغير وجه الارض • وبالنظر لما اصبح يملكه الانسان من مقدرة عقلية عليـا فقد سيطر على مخلوقات اخرى وجدت معه في الطبيعة وبذلك تمكن من ان يتخلص من التطبع السلبي المحدود الذى فرضته عليه البيئـة المحدودة في حينه اضافة الى تكوينه البيولوجي بحد ذاته • فتمكن الانسان من اختراع النار وبناء المسكن واختراع الالات وحراثة الارض وتدجين الحيوانات • ففي هذه المرحلة من تطور الانسان حدث تغييران في المفهوم البسيط لموارد الثروة • التغيير الاول نجم عن التوسع في مفهوم مـوارد الثروة الطبيعية نتيجة لزيادة قابليات الانسان • والتغير الثاني في ظهـور موارد الثروة البشرية المتمثلة في طاقة الانسان وجهده وعمله وهـي تختلف عن مـوارد الثـروة

الطبيعية • صحيح ان الطبيعة هي التى توفر الفرص للانسان لاستخدام مهارته وتطبيق معرفته ومعلوماته ، الا انها لا تظهر من هذه الفرص والمجالات الا الشيء القليل ولتحجم وتمتنع عن اظهار الكثير منها ، بل انها في كثير من الاحيان تضع العراقيل امام البشر الذى يبحث ويفتش عن الموارد لاستغلالها او تبديلها وحتى تحويرها •

ومن الواضح ان موارد الثروة البشرية انما هي حصيلة ذكاء الانسان وخبرته ومعرفته معبرا عنها بمهاراته وطاقاته لكي يقوم بالانجازات العديدة التي مكنته ومكنت الاجيال المتتالية من استخدامها والبدء حيث انتهى الجيل السابق في تطويرها بالاضافة اليها • هذه الانجازات المستمرة التى افاد منها الانسان جيلا بعد جيل هي حضارة البشر والتي تشكل النوع الثالث من موارد الثروة وهى الموارد الحضارية •

وعلى هذا الاساس فتعريف موارد الثروة منجزاً ما لم يكن يشمل هذه الانواع الثلاثة ويشير بشكل او آخر الى طبيعة المراحل التى مر بها المفهوم لذلك فأن التعريف الذي اورده الدكتور زمرمان Zimmerman في ان مورد الثروة هو كل شيء موجود في الطبيعة يعتمد عليه الانسان فيحياته وانجازاته(١٤) تعريف يؤكد بصورة خاصة على موارد الثروة الطبيعية دون غيرها من الموارد أما التعريف الذي اورده الاستاذ بروك Brock من ان مورد الثروة لا يصبح مورداً بالمعنى الصحيح الا بعد ان يقوم الانسان باستغلاله لصالحه ، فكان يؤكد على النواحي الطبيعية من الموارد ايضا ، ولكنه يبرز اهمية الموارد البشرية فيكونها اعطت لموارد الثروة الطبيعية قيمة واهمية(١٥) • وكان من الممكن ان يضاف الى كلا التعريفين ما يشعر بأهمية الموارد

ـ١٤
Zimmerman W; World Resources and Industries.
2nd Edition, New York, 1959.

ـ١٥
Brock J.O.M; The Relation Between History and Geography.
Pacific Historical Review 10, 1941, pp. 321—325.

كذلك لاحظ

Preston E. James and Clarence F. Jones, Editors;
American Inventory and prospect, op. cit.

الحضارية حين يؤكدان على ان الفائدة المتوخاة قد ترمي بقصد او بدون قصد ، الى ان تتعدى الفائدة الآنية لتدخل فضلا عن ذلك ضمن النطاق الانساني لكي تصبح هذه التعاريف اقرب الى الكمال .

٧ ـ طبيعة الانتاج في حقل موارد الثروة :

ان هذا الموضوع حيث النشأة لذلك فقد مرت الكتابة فيه بمراحل لم تكن جميعها خاضعة الى نفس ما خضعت له انجازات حقول المعرفة الاخرى من الاهتداء بطريقة البحث العلمي والاستقراء والاستنتاج هذا فضلا عن اغلب الكتاب في هذا الموضوع قد بحثوا في صنف خاص من الموارد دون غيرها فقد ركز بعض الكتاب في هذا الموضوع على موارد الثروة المائية بصورة عامة من حيث النشأة والاستغلال في مختلف المجالات بالنسبة لجهات معينة من العالم(١٦) ، ومن حيث علاقة الانسان بها وتأثيرها



١٦ـ راجع في هذا المجال

Jaspir B. Draffin, The Story of Man's Quest of Water. The Garrard Press, Champain, Ill, 1939.

كذلك :

Jonathan Forman and Allice E. Fisk Editors; Water and Man; A study in Ecology. Friends of the Land, Columbus, Ohio, 1950.

وكلاهما يبحثان في انواع الاستعمالات التي يقوم بها الانسان في استخدام الماء وعلاقتها بفعالياته الاقتصادية مع التأكيد على امثلة من العالم الجديد.
كذلك راجع :ـ

The United States Dept. of Agriculture; Water, the Year book of Agriculture 1955. U.S. Government printing Office.

وهي مجموعة من المقالات كتبها متخصصون بعلم المياه حول صفاته العامة ، ومختصون بالمناخ والزراعة والصناعة حول طرق استغلال المياه .

على فعالياته الاقتصادية[١٧] • وقد تفرغ قسم من هؤلاء الكتاب الى بحث الجانب السلبي من موارد الثروة المائية واثرها كعامل مهلك أو مدمر للانسان ومنجزاته كما هي الحال في التأكيد على اسباب الفيضان والطرق الكفيلة بدرء خطره واستغلال مياهه الفائضة[١٨] • كل ذلك بالاضافة الى علاقة الموارد المائية بالغابات والمواصلات وعلى الرغم من ان معظم هذه الكتب كانت قيمة ودقيقة في ابراز الافكار والحقائق الخاصة بهذا النوع من موارد الثروة الا ان انجازاته كانت دقيقة ومتخصصة بحيث يبدو للقاريء والمتتبع ان الماء في نظرهم هو اساس موارد الثروة وانه ينفرد بهذه الاهمية ويتفوق على غيره في هذا الخصوص • واختص فريق آخر من كتاب هذا الحقل في البحث عن الارض وقابلياتها الزراعية الانتاجية وانواع التربة المتصلة بذلك• لذلك جاءت معظم افكارهم واستنتاجاتهم محدودة في هذا المجال • فلم يعطى

١٧- وفي مجال علاقة الانسان بالمياه في الجهات الجافة راجع :
وهي مقالة في كتاب

J.L. Gardner; Asidity and Agriculture.
Aridity and Man.
Publication No. 74.
A.A.A. of Science, op. cit.

وايضا :

Herbert E. Shkibitzke, Russell H. Brown, and John W. Harsh barger;
Water and its use. Ibid. pp. 145-173.
William p. Law, Jrand George M. Penfro. Jr.
Water Where the Irrigator finds it.

وهي مقالة في كتاب

Water, Yearbook of Agriculture 1955.
op. cit. pp. 333__341.

وتدور هذه البحوث حول استغلال الموارد والمائية في الارواء .
وعلى نفس المنوال لاحظ بحوث ومنشورات الاستاذ محمود عطية (المياه الباطنية) في الجمهورية العربية المتحدة .

١٨-
White G. F; Human Adjustment to flood.
Univ. of Chicago, Research Paper No.

وفيها تأكيد على مخاطر الفيضان في الولايات المتحدة الناجمة عن ذلك .
وايضا ـ الدكتور احمد سوسه : تاريخ الفيضانات في العراق (جزءان) .

Erwin C. Ford, Woody L. Cowan and H.H. Halten;
Floods and a program to alleviate them. Water, The Yearbook of Agriculture 1955 op. cit. 171__176.

هؤلاء تعريفا لموارد الثروة الا في حدود الارض وما يتصل بها من قابلية انتاجيه معرجين على العوامل التي تؤدي الى اضعاف هذه القابلية والوسائل الكفيلة بالحفاظ عليها وصيانتها[١٩] • ونشر آخرون بحوثاً دقيقة عن موارد الثروة في الغابات فحددوا انواع هذه الغابات وعلاقاتها بمظاهر السطح والمناخ وطرق استغلال هذه الغابات وانواع الموارد والخدمات التي تستطيع ان تقدمها للانسان • وقسموا العالم الى اقاليم نباتية على اساس انواع الغابات والنباتات الطبيعية الاخرى[٢٠] • ومن بين هذه النباتات الطبيعية احتلت المراعي مركز الصدارة وذلك لعلاقاتها الوثيقة بتربية الحيوانات • فكتب الكثير من المختصين بعلم النبات وبعض الجغرافيين في هذا المجال وقد فعلوا ذلك دون ان يتطرقوا الى موارد الثروة الاخرى واظهار الترابط فيما بينها على اساس التفاعل

١٩ـ
Widtsoe J.A; Dry farming (Macmillan, New York) 1911.

وايضا :

"Improving Agricultural Resources" Report of the Presidents Materials, Policy Commission I. Foundation for Growth and Security. Chapt 9. Washington D.C. 1952.

كذلك لاحظ منشورات قسم الاراضي وصيانة التربة . وهي منشورات متسلسلة ـ ، جامعة القاهرة ـ كلية الزراعة ـ وكذلك منشورات كلية الزراعة ـ جامعة عين شمس .
وكذلك :

U.S. Dept of Agriculture; Soils; The Year book of Agriculture
U.S. Government printing office, Washington D.C.

٢٠ـ لاحظ في هذا المجال :

William B. Greeley; Forests and Men.
Daubledag and Co. Inc. New York 1951.

وايضا

"Making the Most of timber Resources", Report of the materials Policy Commission I. Foundation for Growth and Security chapt. 8. op. cit.

وقد نشر الاستاذ كنافمان في عام ١٩٥٢ كتابا قيما اوضح فيه انواع الموارد الموجودة في الغابات وعلاقتها بالانسان من حيث الاستغلال والصيانة .

Erle Knaffman; The Couservation Yearbook 1952. Washington D.C.

كذلك راجع

U.S. Dept. of Agriculture; Forests; The Yearbook of Agriculture
U.S. Government Printing Office Washington D.C.

والتكامل[٢١] • وبرع فريق من الكتاب في البحث عن موارد الثروة الحيوانية باعتبارها موارد غير قابلة للنفاد • وقد شملت هذه الموارد الحيوانات البرية والاسماك على اختلاف انواعها وقد بين هؤلاء الكتاب صفات اعداد وطرق استغلالها وكيفية العناية بها كما وصفوا وحللوا عاداتها ومواطنها بدقة متناهية وقد تطرق البعض منهم الى توضيح العلاقة بين هذا النوع من الموارد والبيئة التي تعيش فيها[٢٢] • وعلى الرغم من ان اهتمام الباحثين في انواع الثروة المعدنية

٢١ـ وكان من ابرز من كتب في هذا الموضوع

W.R. Chapline and C.K. Cooperider;
Climate and Grazing. An Article in "Climate and Man" The Yearbook of Agric. 1941. pp. 459—475.

كذلك مقالة الدكتور

Wesely Calef; Special Geographic Contributions to Conservation Education; The Journal of Geogr. Vol. LI, March. 1952, No. 3. p. 101. pp. 97—103.

ولاحظ ايضا : مجموعة المقالات الموجودة في :

"Grass"; The Year book of Agriculture, 1944
U.S. Dept. of Agriculture, Washington D.C.

وايضا :

W.R. Chaplin, F.G. Renner and Raymond price;
New Range Out book. An article in:
Farmers in Changing the World.
The Year book of Agriculture, 1940, U.S. Dept. of Agriculture.

٢٢ـ وقد اشتهر من هؤلاء الكتاب : Ira N. Gabrielson; Wildlife concervation.
The Macmillan Company, New York, 1941.

وكذلك : Lonard W. Wing; practice Wildlife Conservation.
John Wiley and sons inc. New York, 1951.

ايضا :

Gorden L. Bender; Native animals and plants as Resources. an article in "Aridity and Man" A.A.A. Sicence op. cit.
"Wild life and Fish Resources" Proceedings of the U.N.

ومن الكتب الجامعة في هذا المجال

Conference on the Conservation and Utilization of Resources, 1949, Vol. VII. U.N. Dept. of Economic Affairs, 1951. pp. 1—186.

وهذا منشور جامع لانواع موارد الثروة الحيوانية ومناطق انتشارها بما في ذلك الاسماك وطرق العناية بها والاستفادة منها .

George T. Renner, Loyal Durand Jr, C. Longdom white:

ولاحظ ايضا المختصر الذي تشرف

and Weldon B. Gibbson; "World Economic Geography" Thomas Y. Corowed 1950. Chapt. 15, 16.

وأماكن انتشارها وطرق استغلالها لم يكن جيدا ، الا ان هـذا الاهتمام قد تضاعف بسبب ظهور الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم صناعي ومن ثم انتشار حركة التصنيع الى مناطق كثيرة في العالم وقد كثرة الكتابات في هـذا الموضوع بحيث يخيل للمتتبع ان الفترة التي تميزت بظهور وانتشار الثورة الصناعية والتقدم الصناعي قد جعلت من توفر واستغلال موارد الثروة المعدنية جميع انواع الموارد واكثرها اهمية كما عمل الكتاب من حيث يشعرون او لا يشعرون على اعتبارها المقنن الحقيقي لثروة الدول رغم انهم شاعرون بأن موارد الثروة المعدنيـة المتوفرة المستغلة من المناطق هي محـدودة في كميتها لا تزيد ولا تنقص ، بل تنقص بالاستهلاك ولا تتجدد مطلقا وان معدل تكونها لا يقترب على الاطلاق من معدل استهلاكها في اغلب مناطق الاستغلال .

وبحثت موارد الثروة على أسس مختلفة كالانواع المتوفرة منها بالنسبة لعلاقاتها للصناعة[٢٣] ، او انواعها على أساس التركيب الكيماوى كالمعـادن الفلزية ومعادن الوقود والمعادن الاشعاعية كاليورانيوم والتريوم . والاسمدة كالفوسفات والبوتاس والنترات[٢٤] . .

٢٣ــ الدكتور محمد فاتح عقيل والدكتور فوآد محمد الصفار : « جغرافية الموارد والانتاج المعدني والصناعي » منشأة المعارف ــ ج ع م ١٩٦٤ .
وكذلك : الاستاذ ستيوارت شاكني و ن . دارسي دريك . « البترول في خدمة العالم » .
ترجمة الى العربية حسن حسنى ابو السعود ، مكتبة الانجلو ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ .

٢٤ــ لاحظ في هذا الخصوص :

Lovering T.S. "Minerals in World Affairs.
Prentice Hall inc. 1943.

وايضا

Alan M. Bateman; "Economic Mineral Deposits" Second Edition
John Wiley and Sons Inc. New York. 1950.

وفي هذا الكتاب بحث شـامل عن موارد الثروة المعدنيـة التي يمكن استغلالها على نطاق اقتصادي . كذلك جاء بحث الثروة المعدنية كجزء من الجغرافية الاقتصادية في الكتب التي نشرها G. B. Shaw, 1955
وكذلك الملاحظات التي ابداها الدكتور Freeman في كتابه :
(Hundred Years of Gragraphy)

٨ ـ اتجاهات هذا الانتاج :

ونستخلص من هذه الكتابات أولا : أن هناك اهتماما كبيرا في موارد الثروة على اختلاف انواعها من ماء وارض ونبات وحيوان ومعادن اضافة الى الطاقات البشرية والحضارية[٢٦]، وثانيا وان هذا الاهتمام جاء على شكل تعريف بالموارد المتوفرة وذلك من حيث أنواعها ـ صفاتها ـ مدى انتشارها ومن ثم ما كان معروفا من طرق الاستغلال وما يترتب على ذلك من فوائد • وثالثا : ان بحث كل مورد من هذه الموارد جاء على انفراد وبشكل اختصاص دقيق بحيث لم يتطرق الباحث في مورد معين الى مورد آخر على سبيل المقارنة أو التكامل•لذلك فأن جل ما قدمته هذه الدراسات في الواقع انما هو توفير مادة اولية رئيسة لبحث شامل يربط بين هذه الموارد بعضها بالبعض الآخر لتظهر مدى تكاملها اولا ثم مدى تأثيرها ككل في حياة الانسان ومناطق استيطانه وانتشاره وأسلوب المعيشة التى يحياها •

٩ ـ التفكير بموارد الثروة كوحدة متكاملة :

٩ ـ التفكير بموارد الثروة كوحدة متكاملة•وبدأت تشكل أذهان البعض من الناس مسحة من الخوف اساسها أن عدد سكان العالم سوف يتزايد بحيث يصبح أكثر من قابلية الارض على اعالتهم وتطمين حاجاتهم سواء آكان ذلك من ناحية الغذاء او المواد الاولية اللازمة للصناعة وبدأت تحذيرات بهذا الخصوص • وكان منها تحذيرات مالتوس (١٧٦٦ـ١٨٣٤) في عام ١٧٩٨ لقد تقدم مالتوس بهذه التحذيرات عندما كان عدد سكان العالم حوالى ١/٣ ما هو عليه الان • وفي جميع الحالات التى كتب بها مالتوس وغيره نجد أن المشكلة في الواقع ليست مشكلة العلاقة الحسابية او الهندسية بين عدد السكان وما هو متوفر في مختلف موارد الثروة ، وانما هى طبيعة العلاقة بين السكان وبين الحالة التى وصلت اليها استغلال واستثمار الموارد من التقدم في ذلك الحين[٢٧] • صحيح أن العلاقة بين موارد الثروة والانسان

٢٥ـ ويعتبر الموقع الجغرافي الممتاز واستغلال هذا الموقع بصورة صحيحة من موارد الثروة الطبيعية . ومن ابرز من كتب في هذا الموضوع : الدكتور ابراهيم شريف : « الموقع الجغرافي للعراق » رسالة الدكتوراه التي قدمت الى جامعة الاسكندرية ، نشرت في بغداد في جزئين ١٩٦٣ •

(٢٦) Freeman T.W; "Hundred Years of Geography" p. 178 op. cit.

شغلت اذهان كثير من المفكرين حتى قبل مالتوس من مثل افلاطون وارسطو وكونفوسيوشي وان مالتوس لم يكن سوى أحد المجتهدين الذين راعاهم ازدياد الافراد مما دفعه الى التعبير عن أرائه بصورة دقيقة • وقد أجاب بعض الكتاب عن المشكلة التى دفعت مالتوس الى الجهر بارائه ومنهم الاستاذ الدكتور السير جون رسل Russell حين بين أن حوالى ١٠٪ من مجموع مساحة اليابس خاضع للانتاج الزراعي الفعلي في الوقت الحاضر وأن السبل لا زالت متوفرة للتوسع في مساحة الاراضى المزروعة على حساب ما تبقى من ٩٠٪ من اليابس[٢٧] • ونحن بدورنا نضيف صوتنا الى هذه الفكرة المتفائلة في كتابات الدكتور رسل ومع ذلك نشير الى أن هناك العديد من الصعوبات التى قد تقف حائلا أمام التوسع الزراعي في أى بلد من البلدان وبعض هذه العوامل هي ما يتصل بأسباب سياسية واقتصادية بالاضافة الى عوامل تاريخية ووراثية طبيعية تتصل بطبيعة انواع التربة • أضف الى ذلك أن هذا المخرج يشكل وجها واحدا من الحلول لمشاكل الغذاء التى قد تجابه الانسان في المستقبل ويستطرد الدكتور رسل قائلا بأن التقدم العلمى يشهده العالم الان وسوف يشهده في المستقبل •سواء أكان ذلك في اساليب الزراعة مثلا أو في نوعية البذور المحسنة والمحاصيل المتعددة والدورة الزراعية • كل ذلك يدفع الى الامل ، ولو لدرجة معتدلة بحيث يبدو المجال واضحا بين المعدل الذي وصل اليها الانسان في استغلال الموارد الآن وبين مستوى أفضل يمكن الوصول اليه في وقت ما[٢٨] •

وبالرغم مما كتبه الدكتور رسل فأن القلق بقى قائما بين الكثير من المعنين بأمور الموارد ذلك لان تأكيد الددكتور رسل انما تناول نوعا واحدا من موارد الثروة وهو الارض الزراعية لتطمين حاجات معينة من حاجات الانسان المتعددة مما لا يحقق ، حتى على فرض تحقق التوسع الذى ذكره في الانتاج الزراعي ، الاطمئنان التام لسكان العالم بأن الغذاء وغيره سوف يتوفر لهم بشكل واضح • ومن ناحية أخرى كانت وعود التقدم العلمي والتكنولوجي الذى سوف يشهده العالم حاليا من التأكيد على أنه سوف

---

(٢٧)

Russell J; "World Population and World Food Supply. "London 1959. p. 6.

(٢٨)

Ibid; p. 7.

ينصب على هذا المورد دون غيره من المواد • فان وجود موارد الثروة في منطقة من المناطق ليس دليلا واضحا على امكانية استغلالهـا تحت ظروف معينة • وقد جاء الدليل واضحا فيمـا كتبه الاستاذ الدكتور ايتمان عـن شبه جزيرة الآسكا[٢٩] • لقد كان المؤلف يهدف بالدرجة الاولى الى ازالت الفكرة الخاطئة التى انتشرت بين السكان في حينه بان العديـد من الملايين يمكن أن يجدوا لهم مأوى ومستقراً في مناطق شبه جزيرة الاسكا • فقد امتلك الروس شبه الجزيرة للمدة الواقعة بين ١٧٤١ـ١٨٦٧ • واسـتغلوا هـذه الجهات وعلى الاخص بالنسبة لصيد الحيوانات ذات الفراء الا أنهم لم يعلموا بوجود الذهب وخامات النحاس في هذه الاماكن ، وتلك معادن تم اكتشافها واستغلالها في ١٨٩٦ـ١٨٩٨ • ولا زالت حرفة صيد الحيوانات ذات الفراء واستخراج الذهب قائمتان الا أننا نلاحظ أن الحرفة الرئيسة في المنطقة الان هي تعليب الاسماك والتى توفر الآسكا منه نسبه عالية من انتاج العالم على أن الدلائل غير مشجعة لتوسيع هذه الصناعات في المستقبل القريب • اضافة الى ذلك هناك بعض العقبات التى تعترض امكانية استغلال خامات الحديد بالنظر لبعدها عن الاسواق الرئيسة • ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لموارد الغابات من الاخشاب • فعلـى فرض أن هـذه الغابات لديهـا من الامكانيات مما تسد به نسبة كبيرة من حاجات الولايات المتحـدة فانهـا لا تستطيع عمليـا القيـام بذلك بسبب توفر غابات أقرب منهـا الى الولايات المتحدة وهي غابات كندا •

وفوق كل ذلك لاحظ بعض المعاصرين أن نوعا معينا من موارد الثروة قد نضب وأنتهى في جهات معينة بالذات • وقد كانت تلك الجهات غير مهيئة لهذا التغير الاقتصادي مما ادى في آخر الامر الى أنقراضها وتحولها الى ما يسمى بمدن الاشباح • فظهرت فكرة أخرى الى حيز الوجود وهـي أن قسما من موارد الثروة التي يتمتع الانسان بها هي ليست موارد أزلية وانما تتعرض للفناء والتلاشي ، وان مهارة الانسان ستوضع عـلى المحك حتى يمكن من

(٢٩) Eitman W.J: "Alaska, Land of apportunity limited" Economic Geog. 27, 1951. pp. 33_42.

التحول الاقتصادي أثر هذا الفناء والتلاشي[٣٠] • فالمرحلة السابقة اذن تميزت بتوفر المعلومات المتعددة عن الموارد المختلفة وبشكل واضح وقد كانت هذه المرحلة حافزة على التفكير اذن في أمور عدة تتصل بهذه الموارد • فقد رأينا أن بعض الكتاب أخذوا يشيرون الى احتمال عدم التناسب بين موارد الارض وسكانها مما قد يؤدي في مرحلة من المراحل الى ظهور نقص فاضح في مقومات حياته[٣١] • كما رأينا أن فريقا من الكتاب حاول أن يوضح أن بالامكان تلافي هذا النقص وزيادة ما هو مستغل من موارد الثروة على أساس وجود احتياطي كبير[٣٢] ، الا أن بعض المفكرين ردوا على ذلك بصورة غيرمباشرة حين بينوا أن وجود الموارد فيمنطقة من المناطق لايعني امكانية استغلالها بصورة حتمية لان هناك ظروفا اقتصادية وطبيعية ، وحتى سياسية ، قد تحول دون ذلك • واخيرا شاهد المعاصرون نفاذ بعض الموارد في جهات معينة بالذات وما صاحب ذلك من تأثير واضح على اولئك الفريقين من الناس الذين جعلوا من تلك الموارد اساساً منفردا لحياتهم الاقتصادية[٣٣] •

وكان لهذه التحذيرات أثر واضح دفع فريق من الكتاب الى التفكير بصورة جدية للتفتيش عن طرق واساليب لصيانة موارد الثروة والحفاظ عليها على اساس أن ذلك فكرة عملية قد تكون اكثر واقعية وتقبلا في نشر الدعوى بأن في العالم احتياطي كبير من موارد الثروة يمكن أن يعيل الانسان مدة طويلة من الزمن •

١٠ – ظهور فكرة العناية بالموارد وحسن استغلالها :

لقد بدأت فكرة الاهتمام بالعناية بموارد الثروة من قبل أشخاص متخصصين بعلوم مختلفة : وعلى مرحلة من النقص والبدائية مشابهة للمرحلة

---

(٣٠) Parson R.L; "Conserving American Resources" Prentise Hall Inc. 1958. p. 403.

وكذلك لاحظ

"Report of the Planning Committee for Mineral Policy "National Resources Board Report, Washington D.C. 1943, Part IV.

٣١– Freeman T.W; op. cit.

٣٢– Russell J; op. cit.

٣٣– "Report of the Planning Committee for Mineral Policy", op. cit.

التي مر بها التعريف بالموارد وانواعها ، حين قام اختصاصيون متنوعون بهذا الفرض • لذلك جاءت كتاباتهم فردية أيضا اقتصرت على موضوع معين ونوع خاص من الموارد دون غيره فمن اوائل من كتب في هذا الموضوع مثلا الدكتور magee, g.w حيث نصح بضرورة الحفاظ على موارد الثروة المعدنية وكانت حصيلة كتاباته اقتراحات عملية للعناية بهذه الموارد في الولايات المتحدة الامريكية وقد قدم خلاصة هذه الابحاث الى الرئيس الامريكي روزفلت • كذلك سار على نفس المنوال g. Binchot والذى يمثل اوائل المواطنين الامريكان الذين عالجوا موضوع العناية بالغابات باعتبارها مورد هام من موارد الثروة • وكان بول سيرز Paul Scars من دعاة العناية بالموارد وعدم تبذيرها وقد اوضح ذلك في كتابه المشهور (descrt on the march.) وادوارد كراهام (E. graham) في كتابه القيم (Road to survival) وفير فولد أوزيورن (Fair Fold oshorn) في كتابه الذائع الصيت (our plundered plonet) [٣٤] كما كتب هاموندبنيت (Hugh T. bennett) عن ظاهرة حرث التربة وصيانتها[٣٥] • كل هؤلاء وضعوا اللبنة الاولى في فلسفة العناية بموارد الثروة وقاموا على أقل تقدير بتعريف الناس بالمخاطر التي قد تنجم عن ترك هذه الموارد دون عناية ورعاية ولكن الملاحظ أن هؤلاء الكتاب لم يقيموا خطوطا واضحة لبرنامج العناية بالموارد وصيانتها وأنما اكتفى كل منهم بالتعريف بالمخاطر التي تحف لهذا المورد أو ذاك • وبقى الفراغ قائما يوضح الحاجة الى وضع فلسفة عامة تتعلق بالموارد بصورة عامة وتطبق على جميع الموارد دون استثناء وكانت المحاضرات التى القاها الاستاذ شارلس :ـ فان هايس C.R. van Hise في حقل العناية بموارد الثروة في أولى التعليمات التى صدرت في هذا الموضوع على طلبة جامعة وسكنش في امريكا ، علما بأن اختصاصه كان في

٣٤ـ
J. Russell Witaker; "Conscrvation and College Professor". Journal of Geogr. Vol. LI, Feb. 1952, No. 2. pp. 72—74.

٣٥ـ
Austin L. Patrick; "Hagh Hummond Bennett" Gegr. Review Vol. LI, Jan. 1961. pp. 121—124.

موضوع الجيولوجيا عامة [٣٦] • ثم قام الاستاذ هارلان اج باروز H.H Bar. بالقاء سلسلة من هذا النوع من المحاضرات على طلبة قسم الجغرافيا في شيكاغو ، مؤكدا في هذه المحاضرات ، بصورة خاصة ، على مدى أهمية العلاقة بين الانسان واستغلال الموارد وصيانتها وقد كتب الدكتور زمرمان Zimmersman في هذا الموضوع أيضا فقد بين في بحوثه ومقالاته واجبات الانسان تجاه موارد الثروة والدوافع الاجتماعية والانسانية التي تقضي بصيانتها والحفاظ عليها من التلف[٣٧] • وكتب الاستاذ سانديرو عن اهمية تلقين الناشئة مبادىء العناية بموارد الثروة وعدم تبذيرها وذلك عن طريق تحبيذ برامج تعليم الموارد وطرق استغلالها والعناية بها في المدارس • وفي كتابات فيرجا بيلد دعوة صريحة الى نشر ثقافة العناية بالموارد على اعتبار أن ذلك سبيل هام للحفاظ عليها وتوسيع نطاق الاستفادة منها[٣٨] وعلى نفس المنوال كتب الاستاذ اس • روشنبنش[٣٩] • ثم اميرى أر • ال • بارسن R. I. parson فأجمل موجز جهود الاختصاصين الذين كتبو في موضوع العناية بموارد الثروة مبينا أهمية هذا السبيل للحفاظ على موارد الثروة وتوثيق العلاقة بينها وبين الانسان[٤٠] •

٣٦ـ
Zan Hisc C.R; "The Conservation of Natural Resources in the U.S." New York. 1910.

٣٧ـ
Zimmernan E.W; op. cit.

٣٨ـ
Wilma B. Fairchild; Renewable Resources, A World dilema". Recent Publication on conservation. geogr. Review. Jan. 1949, pp. 86_98.

كذلك لاحظ :

James M. Sandero; "Teaching Consurvation in Elementary Schools". The Journal of Geogr. Vol. L. March, 1951, p. 99.

٣٩ـ
Stephen Raushenbush; "Our Conservation Job" Report No. 4. p. 56. The Public Affairs Institute. Washington D.C. 1949.

٤٠ـ
Parson R.L; op. cit.

١١ ـ تعريف العناية بالموارد (صيانة الموارد) :

من المعلوم أن موارد الثروة تختلف فيما بينها من طرق استخدامها وفيما يتغير من مظاهرها عند استغلالها واستثمارها • فالماء يتوالى وجوده في الطبيعة بغض النظر عن طرق استثماره • كذلك يعاود النبات نموه والحيوان تكاثره بسرعة فائقة ما لم يتعمد الانسان القضاء عليها أضف الى ذلك أن من الممكن الاحتفاظ بالتربة بوضع مناسب وخصب، كما يمكن اعادة بناء التربة عند اصابتها بالضعف عن طريق استخدام الاسمدة المختلفة • الا أن المعادن التى تستخرج من الارض تستخدم مرة واحدة فقط • وقد يعاد استخدام بعضها بشكل من الاشكال بعد صهرها الا أن الحقيقة تبقى كما هى متمثلة في أن استخراج هذه المعادن من باطن الارض يعنى عدم تكونها لفترة طويلة جدا من الزمن والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن كيف يقوم الانسان بتوجيه العناية الى هذه الموارد النباتية من حيث الطبيعة والاستعمالات وحتى في درجة الاهمية في مختلف الاوقات لقد استخدم تعير الصيانة Conservation كأقرب مصطلح لوصف نشاط الانسان في العناية بالموارد والمحافظة عليها ولا بد لهذا الاصطلاح من معنى واضح لانه قد لا يتفق تمام الاتفاق مع مفهوم استغلال موارد الثروة من قبل الانسان واعتماده عليها في مجالات عديدة من معاشه • والواقع أن تعبير الصيانة يعني العمل على استغلال موارد الثروة على الوجه الاكمل دون تبذير او تعجيل في التدمير دون داعى أو مبرر ، وبغير اهمال أي جزء من هذه الموارد يمكن استعماله أو استغلاله والافادة منه لخدمة الانسان وبتعين ادق ربما عنت صيانة موارد الثروة استغلال هذه الموارد بشكل يضمن حاجات الانسان بشكل ادق واحسن ولمدة أطول من الزمن • وبهذا الخصوص فان الصيانة لا تعني اذن حزن هذه الموارد والاحتفاظ بها في محل وجودها ما دام في الامكان استخدامها بطريقة انتاجية لانها من الناحية العملية وسيلة آنية جاهزة يستند عليها تقدم البشرية بشكل مضطرد •

وأستنادا الى ما سبق يكون فعل الصيانة حاصلا عندما يقوم الانسان باستغلال موارد الثروة في بيئته على الوجه الاتم • ولا يكون هذا الفعل قائما حين يعمل الانسان على ترك تلك الموارد دون استغلال •

والفرد حينما يستغل موارد الثروة غير القابلة للفناء كالارض والماء والنبات والحيوان ، بصورة مكررة وبشكل واع انما يكون بعمله

هذا قد قام بالواجب الملقى على عاتقه في الصيانة والحفاظ على الموارد • فالتربة يمكن صيانتها والحفاظ عليها عند زراعتها بشكل بحيث تدر اوفر الغلال مع الاحتفاظ بخصوبتها • ويكون الفرد قد قام بصيانة موارد الغابات وذلك عندما يقوم بقطع الاشجار من الغابة بشكل مختار بحيث يفسح المجال أمام الغابة باتناج جيل وراء آخر من نفس الاشجار • كما ويكون الفرد قد قام بصيانة الفحم الحجرى حين يعمل على استغلاله بحرقه في افران محكمة بدلا من تركه في الارض • وعلى هذا الاساس يكون الفرد قد قام باعمال الصيانة بالنسبة للموارد القابلة للفناء عندما يجعل تلك الموارد تقدم للانسان اكبر كمية ممكنة من الخدمات قبل نفاذها • ومن ذلك يبدو أن صيانة موارد الثروة لا تعني • كما هو خطأ شائع الاحتكار والخزن ، وانما تهدف الى تشغيل المورد واستغلاله الى الحد الاقصى للحصول على حد أعلى من الفوائد تبعا لذلك •

لقد صاحب الحركة التى دعت الى العمل على صيانة موارد الثروة الحفاظ عليها كثيرا من الافكار والنظريات والعواطف ، بعضها مؤيد وبعضها فادح ، هذا على ان أعظم اختبار تعرضت له هذه الحركة هي الناحية التطبيقية • وسوف نرى فيما بعد أن من جملة هذه المشاكل هي التفكير في وحدة طبيعية معينة تطبق عليها افكار هذا الحقل من حقول المعرفة ، ذلك لان الحدود السياسية ، في كثير من الاحيان لا تتطابق مع الجهات التى يوجد فيها مورد معين بالذات ، وعلى سبيل المثال نذكر الانهار الدولية والغابات المشتركة ومناطق المعادن في جهات الحدود المشتركة • هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كثيرا ما تتلازم الموارد مع بعضها البعض بحيث يصبح من الضروري أن نطبق مبادىء الصيانة عليها بصورة مجتمعة والا وقع دعاة صيانة الموارد ومحبذيها في نفس الدائرة الضيقة التي وقع فيها اؤلئك الذين بحثوا موارد الثروة بصورة متفرقة ومنفصلة عن بعضها البعض • لقد لقد تحمس دعاة فكرة صيانة الموارد وتمنوا أن يجدوا أفكارهم منتشرة في معظم جهات العالم ولكنهم تناسوا النواحى العملية لهذه المشكلة • معظم الداعين لهذه الفكرة مثلا يرغبون أن يجدوا مياه الانهار نضيفة خالية مما يشوب الماء ، ولكن من الناحية العملية لا يمكن استغلال مياه الانهار للاستعمالات المدنية والصناعية ، في المناطق التى يجرى بها النهر ، وفيها

تجمعات من السكان ، الا ويصيب الماء شيئا من التلوث على نطاق مختلف •
كذلك نرى من الناحية العملية يمكن الاحتفاظ بخصوبة التربة عند ترك الارض الزراعية بورا مدة من الزمن دون استعمال ، ولكن حالما كانت هناك حاجة للاكل وللغذاء فان هذه الضرورة تستدعى استعمال التربة واستغلالها ثم صيانتها في الوقت ذاته • وهنا تبرز أهمية علم الصيانة حين يرحب الى ايجاد نوع من التوازن بين الفكرة النظرية من ناحية وبين امكانية التطبيق العمليـة •

ويبدو مما سبق أن فكرة صيانة الموارد تهدف الى شقين رئيسيين الشق الاول نفسي يرمى الى اقناع المستغل والمستهلك للموارد باهميتها في حياتنا اليومية والدعوة الى عدم تبذيرها والسعي الى الكمال في استغلالها ، والشق الثاني يعكف على تطبيق الافكار العملية الخاصة بالصيانة في مختلف الموارد وفي جهات متعددة من العالم •

١٢ ـ من الذي يقوم بالدعوة والتطبيق :

ومن الضروري أن يكون الشخص الذي يقوم بهذه الدعوة ويعمل على تطبيقها من الاشخاص العارفين بأمور الموارد عامـة وعلى وجـه الشمول ان الاطمئنان الى تمتع هذا الشخص بهـذه الصفـة يستدعي المامـه بأغلب الاختصاصات التي تساهم في حقل موارد الثروة كل على قـدر أهميتـه والشخص الذي يتقن هذا النوع من الثقافه يضع أهميـة كبيرة على القيم البشرية وربما كانت أهميتها في نظره لا تقل عن أهمية المامه بالموارد ذاتها • فاذا أكد على الناحيتين الطبيعية والبشرية للموارد يصبح لديه أفق واسع ومبدع يتحفز عن طريق ما يتولد لديه من انطباعات يحفزها المامه بالعلوم الاجتماعية والبشرية •

وفي نظري أن لدى الجغرافي ، معلومات هامـة وحيوية عن الانسـان نفسه أو الموارد البشرية ، من حيث طبيعتها ، عـددها زيادتها ، نقصانهـا ، توزيعها ، ونشاطها ، وأسباب وعلاقات هذه التوزيعات وفي نفس الوقت يتوفر للجغرافي معلومات كافية عن موارد الثروة التي يستخدمها الانسان أساس معيشته ، ويعتمد عليها مجتمعه وهو يعرف كذلك ، الموارد القابلة للنفاذ

٤١ـ
Ibid, p. 401

والموارد غير القابلة للنفاد ، كما يعرف النتائج التي تترتب على تبذير الموارد وسوء استغلالها . وهو يتمتع بخبرة واسعة لاتشمل بيئته الآنية فحسب بل مناطق أخرى في العالم درسها على درجة المقارنة[٤٣] وبعبارة أدق فان الجغرافي يتمتع ببعد نظر وبتفهم ، وكذلك يعترف بضرورة التسلح بهذه الصفة العملية الضرورية لبقاء وتجدد المجتمع وهو في سبيل ذلك لا يعتمد على معلوماته الجغرافية لمنطقة والمناطق المشابهة في العالم بل قد يضطر في غالب الاحيان الى تفهم الموارد الحضارية ويعمل على استغلالها بشكل بحيث تشكل حافزا للنشاط البشري[٤٣] .

والجغرافي ، كما يؤكد ، اختصاصه على النواحي البشرية ، لديه الما كافي يحوي قابلية الانسان على مواجه الظروف الجديدة أي ظاهرة التطبع واعادة التطبع وهذا أمر حيوي بالنسبة لمدى استغلال موارد الثروة القابلة للنفاد وضرورة تزود الانسان بالمعرفة الكافية والخطط الاقتصادية المرنة لتحويل أساس بناءه الاقتصادي عند نفاد مورد معين أو التحويل الى مورد ثروة آخر لسبب من الاسباب . هذه المعلومات جعلت من الجغرافي اخصائي ملما بكثير من المشاكل التي تجابه سكان العالم والحلول التي قدمت في هذا السبيل ، كما لديه الخبرة الكافية والالمام العام بمدى تعود سكان العالم على هذه الحلول .

كل هذه الظروف تشجع الجغرافي على أن يفكر في العالم ككل شامل من حيث سكانه وموارده . ان هذه الميزة التي يتصف فيها هذا الشخص الاكاديمي مهمة وحيوية لجعل حقل الموارد واسعا وشاملا من حيث الاهمية والاساليب المتعلقة به وعلى صلة بما يجري في العالم من احداث[٤٤] .

١٣ ـ ماذا يحتاج الجغرافي لكي يقوم بهذه المهمة :

واذا كان الجغرافي هو الشخص المرشح للدعوة الى صيانة الموارد واظهار

٤٢ـ الدكتور وفيق الخشاب : « دور الجغرافي في ادارة استغلال الموارد وسبل صيانتها » مجلة الاستاذ ـ بغداد ـ المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ .

٤٣ـ
Henry Becker; "Some Implications of Resources — Use Education"
The Journal of Geogr. Vol. LI, March, 1952, No. 3. p. 107.

٤٤ـ
W. Calef; Special Geographic Contributions to Conservation Education.
pp. 97—103. op. cit.

أهميتها في الاطار الاقتصادي لاي بلد من البلدان فلا أقل من أن يعرج على هذا الموضوع في شيء من الاسهاب كجزء من برنامج استعداده الاكاديمي • وان نظرة واحدة الى برامج التعليم في العراق على المستويات الاكاديمية المختلفة تظهر نقصا واضحا في هذا الصدد(٤٥) • كما ان استعراض برامج التعليم الجامعي يوضح كذلك أن هذه المرحلة التي تعتبر نهائية لقسم كبير من الجامعين، تخلو ايضا من تثقيف في هــذا السبيل • ومن الغريب ان تتغاضى بعض أقسام وكليات الجامعة وعلى الاخص تلك التي اثبتت المحاولة العملية في الحياة أن من أهم غاياتها ، اعداد الشباب ، اعدادا ذهنيا وعمليا لتعامل مع موارد الثروة فاقسام الجغرافيا وكلية التجارة وكلية الاقتصاد والزراعة في تدريس موضوع على هذا الجانب من الاهمية(٤٦)• ولما كانت قوة الدول ومكانتها بين الدول تعتمد ، الى حد كبير ، على توفر موارد الثروة فيها ومدى حسن استعمالها وصيانتها ، ولما كان مستوى معيشة الافراد في المجتمع ، والقدرة على الاحتفاظ بمستوى معين أو حتى رفعه ، يعتمد على دوام وبقاء هــذه الموارد وعدم تبذيرها ، فان تخصيص برامج معينة لدراسة هذا الموضوع لابل والتخصص فيه سوف يعتبر على جانب كبير من جوانب التربية الوطنية والعلمية(٤٧)• كما أشارت بيكي استابلتوت • (P. staploton)

الى أن لتدريس موضوع الموارد وصيانتها اهميته الواضحــة ، لان استمرار حياتنا يعتمد على مدى فهمنا لموردنا ودرجــة مهارتنا في صيانتها والحفاظ عليها ، بالنظر لحاجتنا لها في الماضي والمستقبل القريب والبعيد ، وفي كل وقت من الاوقات • وهذا وحده سببا كافيا يدفعنا الى تركيز جانبا

٤٥ـ وزارة التربية ـ مديرية الشؤون الفنية العامة ـ المناهج والكتب . مناهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية . مطبعة وزارة التربية ـ بغــداد .

٤٦ـ جامعة بغداد ـ مديرية التسجيل العامة : دليل جامعة بغداد ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ، مطبعة العاني ـ بغــداد .

٤٧ـ Benjamin Fine; "Geagraphy Almost Ignored in Colleges, Surveys shows". The Journal of Geogr. Vol. L. April, 1951, No. 4. p. 209.

من اهتمامنا لها والسعي لرفع مستوى استغلالها الى درجة أقرب ما يكون الى الكمال(٤٨) .

١٤ ـ نقاط للتأكيد على اى برنامج مقترح :

يتخذ تعليم هذا الحقل في حقول المعرفة بسهولة تدريسه وامكان ايصاله الى اذهان الطلاب بسهولة وبطريقة صحيحة ويتيح تدريسه أيضا ، للمدرسين ، فرصة عظيمة يعتمد استغلالها على مهـارة المعلم لزرع صفتين هامتين من صفات الشخصية الصحيحة هي : أن يحاول المدرس أن يعزز في الطلاب مبـدأ الشعور بالقيم والشـعور بالمسؤولية أي قيمـة الموارد واهميتها في حياتنا ومسؤولية الفرد في صيانتها ، والتأكيد بأن تحقيق هذه المسؤولية هي جزء من الثقافة الدينية والانسانية المواطنة الصالحة .

ان تحقيق هذه الاهداف لا يتم الا بوضع خطة تعليمية دقيقة مبنية على التجارب ومستمدة من طبيعة الموارد الموجودة في المناطق المختلفة وفي الواقع سوف تجد هذه البرامج مبررات واضحة ومقنعة لوضعها والعمـل بموجبها فمن الاقوال التي يرددها كثير من المهتمين بالموارد والصيانة أن كلما ازدادت معلوماتنا ومعرفتنا عن موارد الثروة وطرق استغلالها فان ذلك يعني تقدمنا وازدهار حضارتنا في عصور مقبلة . ناهيك عن أن للموارد أثر فعال في مستقبل الامم ومصير شعوبها . ومن المفهـوم ايضا ان التخطيط الاقتصادي السليم لا يحبذ حل مشاكل موارد الثروة بصورة متفرقة ومنعزلة عن بعضها البعض أو صيانة مورد معين بالـذات دون غيره بالنظر لاهميته النسبية على بقية الموارد فما دامت موارد الثروة مجتمعه في وحدة بيئية معينة وتؤثر في السكان بشكل مجتمع ايضا فليس من الحكمه والمعقول معاملتها بصورة منفردة هي الفكرة في الواقع لم تحقق لدى الكثيرين لانهم شغلوا أنفسهم بالتخصص بمورد معين والابداع في صيانته ، علما بأن الصيانة تعنى فلسفة وتطبيق عملي يخص موارد الثروة باجمعها وليست جمع شتات واعمال متفرقة عن بعضها البعض .

وقد تستخدم موارد الثروة ضمن أطار رقيق في التفكير ودون تخطيط

٤٨ـ
Peggy Stapleton: "Obesrvation Conservation"
The Journal Geograph. Vol. LVII Mey 1958. No. 5. 259.

كما تفعل كثير من الدول التي تم اكتشاف بعض الموارد المعدنية فيها وفي نفس الوقت يمكن استخدام موارد الثروة بشكل متعقل وضمن اطـار وسياسية معينة • فمن الضروري اذن أن يتضمن أي برنامج تعليمي التأكيد على عدم ضرورة التضحية بمورد معين من موارد الثروة ، أو بالموارد جميعها في سبيل موجة أو رغبة طارئة من الاثراء أو الظهور بمظهر القوة •لان الاصـل في الموارد انها تستخدم بشكل بحيث تؤدي الى الاسـتمرارية في العمليـات الانتاجية بدلا من القضاء عليها •

ومن اللازم أن يفسر هذا البرنامج التعليمي أن وجود خطة أو سياسة لاستغلال موارد الثروة وصيانتها يعنى ضرورة تماشي هذه السياسة أو الخطة مع الحاجات الآنية للمجتمع وأن تأخذ بنظر الاعتبار الحاجات المقبلة ايضا على مدى زمني طويل ضماناً حسن الاستغلال في المستقبل •

ولما كانت موارد الثروة متشابكة بعضها مع البعض الآخر ومتداخلة مع الانسان حتى في حياته اليوميـة فهما اما ان يزدهرا معـاً أو يتلاشا معـاً فمن الضروري أن تؤكد هذه البرامج على اختيار وحدة معينة لكي تستخدم اساسا لتخطيط الاستغلال والصيانة وربما لاتجد هذه البرامج في احواض الانهار خير وسيلة تفي بهذا الفرض •

وعلى هـذه الخطـة التعليمية السليمة يتبـين بوضوح بأن تطبيـق أي سياسة خاصة بالموارد والصيانة لا تكون واقعية وعملية مالم يتم التعاون بين الافراد والمخططين والمنفذين والسبب في ذلك أن حتى من يقوم باستغلال الموارد بصورة معقولة وصحيحة سواء أكان فلاحا يزرع الارض أو صائدا أسماك أو طيور يطيع القوانين فلا يصطاد في فترات البيض والتفريخ ، كل هؤلاء يقدمون دروسا عملية في صيانة الموارد وحسن استغلالها • لذلك ضمن مستلزمات الخطة أن توضح أن مستقبلنا مرهون بما تقـوم به من أعمـال بخصوص الموارد • فاذا زدنا ايغالا في التبذير وعـدم العناية بالموارد بالطرق الصحيحة فان ذلك سوف يؤدي في النهاية الى عجز وحاجة نتيجة نقص في الموارد وعدم امكاننا أن نجني ما يمكن جنيه منها[٤٩] ، وأن حسن استغلال

٤٩ـ
Richard L. Weaver; Handbook for Teaching Conservation and Resources use. Interstate printers and publishers, Inc. Darville, ILL. 1958.

هذه الموارد معناه مضاعفة الخيرات منها واستمرارها على مدى أحوال من الرقي وفائدة لعدد أكبر من الافراد ومن ثم رقي المجتمع •

ونرى أن يستعين مدرس هذه المادة بنقاط الانطلاق التالية كبداية للموضوع •

التأكيد على العلاقة بين موارد الثروة المختلفة بدلا من دراسة الموارد وبصورة منفردة ، ومن الافضل أن يستخدم وحدة طبيعية • كأحواض الانهار ، لدراسة ما فيها من موارد متكاملة •

أظهار أهمية الاشياء المعنوية كالامانة في العمل والشعور بالمسؤولية أمام المصلحة العامة عند بيان اهمية الموارد من الناحية المادية • وعلى المدرس أن يفرق بين أهداف دراسة الموارد وبين الصيانة ووسائلها • فدراسة الموارد بحد ذاتها انما تكون وسيلة لتحقيق أهداف اجتماعية شريفه بالنسبة للفرد والمجتمع •

أن يحاول المدرس التأكيد على المشاكل الحالية التي تعاني منها موارد الثروة واسلوب حياتها بدلا من الانشغال بالمشاكل التي تنجم في المستقبل ، ومع ذلك فبأمكان المدرس أن يحث الطالب على استقراء ما يمكن أن يظهر من مشاكل عند عدم التمسك بامور الصيانة والعناية بالموارد •

واخيرا يصبح من واجبات المدرس أن يبين ، اولا وأخيرا ، أن العناية الرئيسية من دراسة الموضوع والتوسع فيه أنما لتحقيق هدف عام وليس هدف خاص ويتوضح هذا الهدف العام تحت شعار استغلال أحسن لموارد الثروة في سبيل حياة أفضل ، •

الاتجاه النفسي في الانثروبولوجيا

الدكتور قيس النوري
مدرس الانثروبولوجيا الاجتماعية
قسم الاجتماع ـ كلية الآداب

الانثروبولوجيا هي علم الانسان المقارن ، لانها تعنى باستقصاء الحقائق عن تطوره البايولوجي والحضاري وتدرس اشكال انظمته الاجتماعية المختلفة • ان نقطة تركيز هذا العلم هي الحضارة الانسانية بوجوهها المادية والمعنوية وبانماطها المتعددة التي تعكسها نظم حياة الجماعات التي تتألف منها البشرية • والجزء الاكبر من نشاط المختصين في هذا العلم ينصب بصورة على دراسة المجموعات البدائية متخذا منها حقلا لتجريب الاساليب المنهجية والتحقق من الفرضيات والآراء العلمية •

والحضارة Culture [1] في نظر الانثروبولوجيين هي نظام معقد متكامل الاجزاء يتصف بالاستمرارية التاريخية بحكم انتقال انماطه القيمية من جيل لآخر • ولما كان هذا النظام هو منطلق السلوك واساس التفاعل الاجتماعي في أي مجتمع فان دراسته لا يمكن أن تتم دون مشاهدة الافراد في حالات الاحتكاك والتأثير والاعتماد المتبادل • ان هذا الاسلوب الدراسي يتصف بازدواج الهدف • فهو في الوقت الذي يهتم فيه بتحديد القوى الحضارية التي تنظم علاقات الافراد ، فانه لا يتجاهل دور الميول والمواقف العاطفية والذهنية التي تصاحب تلك العلاقات • والاهتمام الاخير هو ذو طابع نفسي • ان الذي يتتبع تاريخ الفكر الانثروبولوجي يرى أن الميل للتفسيرات والآراء النفسية في مراحله الأولى لم يكن بمستوى التأثير والشمول الذي اصبح عليه الآن • ومن البديهي أن بحث مكانة الاتجاه النفسي في الانثروبولوجيا المعاصرة يستدعي البدء بعرض مراحل نمو هذا الاتجاه التي تتابعت واوصلته لحالته الراهنة •

---

(١) راجع 1. Ralph L. Beals And Harry Hoijer, An Introduction To Anthropology. The Macmillan Company, New York, 1956. pp. 206 — 207.

عرض تاريخي للاتجاه النفسي

١ ـ اوائل الباحثين :

لو استعرضنا اعمال الانثروبولوجين العلمية خلال القرن التاسع عشر للفتت نظرنا شخصيتان علميتان هما المفكر ثيودور فيتز T. Waitz (١٨٢١ ـ ١٨٦٤) وادولف باستيان A. Bastian (١٨٢٦ ـ ١٩٠٥) • فقد بلغ هذان العالمان درجة عالية من النضج العلمي قبل ظهور الدارونية واظهرا بعض الميول النفسية في دراسة الانسان • ويعود تأثيرهما في الدراسات النفسية الحضارية الى تنبيهما لفكرة كانت جديدة في ذلك الوقت وهي أن البحث النفسي سيبقى ناقصاً طالما بقي يدرس الانسان بمعزل عن الحضارة والمجتمع(٢) • وقد صرح باستيان في وقت مبكر من نشاطه العلمي بضرورة اعتماد الابحاث النفسية على الدراسات والتقارير الاثنوغرافية(٣) لان تفكير الفرد ـ على حد قوله ـ هو نتيجة طبيعية لعضويته في مجموعة بشرية معينة •

ان الاهتمام بالاتجاه السلوكي من قبل باستيان وغيره من الانثروبولوجيين ظهر في وقت بدأ فيه علم النفس يكتسب صفة الاستقلال • وصار المختبر التجريبي علامته الفارقة ورمزاً لمنزلته العلمية • ويعتبر العالم فونت Wundt المسئول الاكبر عن تأسيس هذا الحقل • وقد ركز الباحثون آنذاك جهودهم على دراسة الاستجابات التي يمكن اثبات عموميتها بالنسبة لجميع الافراد ، واعتبرت الفروق الفردية في هذا المجال غير مهمة •

وقد استغلت فكرة دراسة الاستجابات في ضوء البيئة الحضارية في البعثة الاثنوغرافية(٤) التي زارت مضائق تورز Torres Straits في ميلانيزيا عام

---

(٢) Robert, Lowie, History of Ethnological Theory. Rinehart and Company, Inc., New York, 1937. p.p. 16, 36.

(٣) الدراسات الاثنوغرافية هى الابحاث الميدانية الوصفية التى يجريها علماء الانثروبولوجيا وغالبا ما تتناول الجماعات البدائية • وهدفها الاساسي تحديد التنوع والتماثل في انظمتها الحضارية •

(٤) Robert Lowie, The History of Ethnological Theory. p. 87.

١٨٩٨ ، وضمت البعثة العلماء (الفريد هادن) Alfred C. Haddon

و (و ، هـ ، ريفرز) W.H. Rivers و (وليم ماكدوجل) W. McDougall

و (س ، سلجمان) C.G. Seligman و (س مايرز) C. S. Myers ، ان وليم ماكدوجل وشارل مايرز قد اصبحا من اعلام علم النفس فيما بعد ، اما ريفرز فهو من اقدم المحاضرين في مادة علم الاجتماع التجريبي وفسيولوجيا الحواس ، وقد اكتسب مركزاً مرموقا في حقلي علم النفس والانثروبولوجيا ، وكان سلجمان طبيبا ومع ذلك فقد ساهم في البعثة بدافع رغبته في تطوير البحث النفسي في علم الانثروبولوجيا ، تلك الرغبة التي اراد ارضاءها بزيارته للجماعات البدائية المنتشرة في تلك المضائق ،

وقد ركز العالم ريفرز اثناء وجوده في المضائق على دراسة النواحي البصرية لدى الاهلين في تلك المناطق ، أي حدتهم البصرية ورؤيتهـم للالوان وبحث المصطلحات المستعملة لديهم والتعبير عنها ، واستجابتهم لبعض اشكال الخداع البصري ، وقد اجرى ابحاثا مماثلة بعد عودته من البعثة في اسكتلندا والقطر المصري وقبيلة تودا Toda في الهند ، اما بقية اعضاء البعثة فقد درسوا سايكولوجية سكان المنطقة ،

ونلاحظ من مطالعتنا لابحاث هذا المفكر ازدواجاً في ميوله العلمية يظهر في اتجاهاته النفسية(٥) المصحوبة بالآراء الاثنولوجية(٦) ، ولكنه في التحليل النهائي لم يحقق اندماجا متكاملا بين الاتجاهين ، بل ظلا اميل الى الانفصال في دراساته رغم محاولاته لصهر علم النفس والاثنولوجيا في اطار واحد(٧) ، ومما يذكر عنه أنه أثار موضوعات جدلية مفيدة في حقل علم النفس الاجتماعي ، فهو يتساءل كيف

---

(٥) (1) Rivers, W.H. **'The Todas'** London: Macmillan & Co. 1906.

(٦) (2) Rivers, W.H. **The History of Melanesian Society.** Cambridge, 1914.

(٧) (3) Robert Lowie. op. cit. p. 172.

(٨) S.F. Nadel. **The Foundations of Social Anthrology,** The Free Press, Illinois, 1952. p. 298.

يمكننا فهم الفعاليات الذهنية والنفسية البشرية بدون معرفة البيئة الاجتماعية التي تلعب دورا كبيرا في تحديد آراء وعواطف الافراد ؟ ويظهر اهتمامه بعامل التصير الاجتماعي في نزاعه العلمي مع العالم الكلاسيكي وسترمارك حـول ظاهرة الثأر الدموي Blood Feud • فبينما يعتقد وسترمارك ان هذه الظاهرة لا يمكن أن تفسر الا من زاوية عاطفة الانتقام ، يرى ريفرز أن تفسيرها يجب أن يستمد من الظروف الاجتماعية حيث ترتبط ظاهرة الثأر الدموي ببقية القيم والمؤسسات الاجتماعية • وهكذا يبتعد هذا العالم شيئاً فشيئاً عن تأكيداته الاولى التي تدور حول دور القوى الفسيولوجية في السلوك •

وقد رفض الاتجاه التطوري الكلاسيكي بعد رحلته العلمية الاخرى الى جزر ميلا نيزيا حيث اجرى دراسات اثنولوجية هناك • الا أنه اهتم بالنظرية الانتشارية التي تبناها العالم البريطاني اليوث سمث[٩] ، حيث قدم فيها فرضية تقول بانتشار الحضارة في العالم من وادي النيل • وقد ساعدت ابحاث ريفرز التي اجراها في ميدان علم النفس الفسيولوجي على توفير الدليل الذي ساعد على دعم الرأي القائل بالوحدة النفسية Psychic Unity للانسان • وقد اثبتت الابحاث المتأخرة قوله بتماثل ارهاف الحس لدى جميع العناصر البشرية[١٠] •

ومن الانثروبولوجين الذين تأثروا بالعـالم ريفرز هـو المفكر المعـروف رادكلف براون Radcliffe-Brown • فقد درس علم النفس على يديه • ورغم أن اهتمام رادكلف براون بمشاكل التنظيم الاجتماعي قد طغى على الجزء الاكبر من ابحاثه فان دراسته لسكان جزر الاندمان[١١] هي ذات وجهة نظر نفسية • فقد اظهر فيها كيف أنهم يفكرون ويسلكون بطرق محددة • كما اوضح أن العادة الاجتماعية الواحدة هناك تستدعي لتوضيحها اظهار ارتباطها بباقي العادات وبنظام الجماعة العام للافكار والعواطف • كل ذلك يضاف الى تحليله للمغزى النفسـي للشعائر والطقوس مع الاشارة بصورة خاصة الى دورها في التعبير الجمعي عـن

---

(٩) (1) Robert Lowie. Op. cit. p. 169.

(١٠) (2) Franz Boas. **The Mind of Primitive Man.** Introduction.

(١١) (3) A.R. Radcliffe-Brown. **The Andaman Islanders.** p. 109.

نظام العواطف • وتبرز في كتاب رادكلف براون المومى اليه فرضيات ميدانية مفيدة تتضمن مفهوم العاطفة اهمها : ١ ـ افتراضه أن المجتمع يعتمد في ادامة بقائه على وجود نظام معين للعواطف في اذهان الافراد يعمل على تحقيق مطابقة سلوك الفرد مع احتياجات المجتمع • وقد رأى ان الطقوس التي درسها في جزر الاندمان تؤدي وظيفة نقل المواقف العاطفية من جيل الى آخر ، وبذلك تساعد على دعم التآزر الجماعي الذي يرتكز على تلك المواقف[١٢] • ٢ ـ على الرغم من عالمية الترابط النفسي في المجتمع الا أن التنظيم النفسي للافراد يختلف باختلاف النظم الاجتماعية • ٣ ـ أن العواطف ليست موروثة بل تنشأ في الفرد نتيجة للتأثيرات التي يتعرض اليها في المجتمع[١٣] •

ويشعر الباحث الانثروبولوجي أن فرضيات رادكلف براون تشابه المبادىء الاساسية في حقل الحضارة والشخصية المعاصر • اذ يفترض في هذا الحقل ١ ـ أن هناك عمليات نفسية ثابتة نسبيا تحدد داينمكية التكيف النفسي البشري في كل مكان[١٤] • ٢ ـ يعتمد دوام النظام الحضاري والاجتماعي في المجتمع على البناء النفسي لاعضائه ٣ ـ يكتسب الفرد تنظيمه النفسي عن طريق تفاعله الاجتماعي ونشأته الاجتماعية • ٤ ـ ان هذا التنظيم النفسي يختلف باختلاف المجتمعات ٥ ـ تعمل المؤسسات الاجتماعية المختلفة على ادامة ارضاء الدوافع الوجدانية • على أن الفرق بين حقل الحضارة والشخصية واتجاه رادكلف براون هو أن اهتمام الاخير يكاد ينحصر في دراسة طقوس معينة من زاوية نظم عاطفية نظرية • اما دراسات الحضارة والشخصية فتسعى الى اكتشاف التنظيم النفسي الحقيقي وداينمكية الشخصية البشرية في مختلف الظروف الحضارية والاجتماعية • هذا بالاضافة الى اهتمام هذه الدراسات بتحليل الحالات الفردية للتعرف على العوامل التي تؤدي الى تنوع انماط البناء النفسي للشخصية •

---

(١٢) (1) A.R. Dadcliffe-Brown. **TOBOO** (in) **Reader in Comparative Religion.**

(١٣) (2) A.R. Radcliffe-Brown. Ibid p. 106.

(١٤) (3) A. Kardiner. Psychodynamics and The Social Sciences. (in) **Culture and Personality** pp. 59 — 71.

٢ ـ دراسة الفروق الفردية :

قبل نهاية القرن التاسع عشر نمت رغبة الباحثين في حقـل اكاديمي صار يدعى فيما بعد بعلم نفس الفروق (Differential-Psychology) • وقد سبب هذا الاتجاه ابتعادا تدريجيا عن الاطار العام لعلم النفس التجريبي لتلك الفترة وعن العرف الذي ارتكز على مبدأ الاقتران النفسي ، أي اقتران الافكار ، والذي تجاهل ظاهرة التنوع الفردي • وهكذا بدأ المختصون النفسيون والحضاريون يناقشـون اختلافات الجماعات والافراد • ثم بديء باستعمال الاختبارات النفسـية لتحديد اختلاف قدرات الافراد على مستوى الميول الحسية والتلقائية بدلا من المستوى الذكائي • ثم بـدأت موجـة من الابحـاث ، كالتي قدمهـا كلاينبرج[١٥] O.Klineberg ، ونادل S. Nadel وفي وقت متأخر اناسـتاسي وفولي ، وكان التركيز فيها على ضرورة فحص درجة ملاءمة اختبارات الذكاء في تحديد الفروق الذهنية بين العناصر • وقد اثبتت تلك الابحاث عدم واقعية هـذه الاختبارات وافتقارها للموضوعية •

وفي الوقت الذي صارت فيه الانثروبولوجيا تكتسـب صفة الحقل العلمي المنظم في الولايات المتحدة الامريكية كان العالم النفسي الالماني فونت Wundt قد حقق شهرة عالمية • وقد حاول توحيد السيكولوجية التجريبية مع سيكولوجية الطفل والحيوان • وقد اعتقد ان المعلومات التاريخية والحضارية تصلح للابحاث النفسية • ودفعه ذلك الاعتقاد الى دراسة المشاكل الناتجة من تفاعل الفرد وعمليات التغير التاريخي • وتنطوي أبحاث فونت على وحدات علمية تصلح لأن تكون دعائم منهجية تناسب دراسة الشخصية والبناء الاجتماعي • ويبرز بينها مفهوم تشتت الاهداف Heterogony of ends [١٦] • ان هذا المفهوم لا يقوم على افتراض التجـانس أو التكامل (Integration) المستعمل في كثير من الدراسات الحضارية والذي يتضمن تجاهل اوجه التناقض والاختلاف في البناء الاجتماعي • هذا بالاضافة

---

(١٥) 1. Otto Klineberg. Social Psychology. Introduction.

(١٦) S.F. Nadel. Op. cit., p. 387.

الى أن مفهوم التشتت المذكور لا يستدعي التلميح عن درجة التكامل والاندماج ، ما اذا كانت عالية او واطئة ، وهو بذلك يجنب الباحث الوقوع في اصدار الاحكام التقييمية التي تجانب الموضوعية العلمية في كثير من الاحيان • فالذين تعصبوا لمبدأ التماسك او التكامل الحضاري صاروا يصفون بعض الحضارات بالتكامل العالي والاخرى بضعف التكامل او التفكك Disintegration رغم أن مثل هـذا القياس يتعذر في حقل تنصب فيه الدراسات على القيم المعنوية •

يظهر من ذلك أن اتجاه فونت الاجتماعي والنفسي خصوصا اهتمامه بتنوع الاهداف في المجتمع يمكن أن يستغل بصورة مفيدة • وهو من حيث الاسـاس ينسجم بصورة واضحة ومنهاج المدرسة التنظيمية الحضارية Organizational الذي يعنى بظواهر التناقض في البناء الحضاري وبقـدرة الحضارة على تحقيق التوافق بينها •

ولم يكن فونت آخر من تعرض لمشكلة التلاحم المقترح بين البحث النفسي والحضاري • فقد اثار العالم كروبر هذه المشكلة بروح متشككة[١٧] في امكانية انجاز هذا الهدف • وهو يتساءل عما اذا كانت مكتشفات المشتغلين في حقل علم النفس الحضاري ستختلف بصورة جوهرية عن مكتشفات علم النفس الفردي • ويرجع هذا الشك في موقف كروبر من الاتجاه النفسي الى عوامل مختلفة اولها فشل فونت وانصاره في القضاء على الطـابع الفردي الذي اتصفت به الابحاث النفسـية رغم رغبتهم الصريحـة بخلق تقارب اوثق بين علم النفس والبحث الحضاري • وثانيها وجهة النظر التاريخية[١٨] التي التزم بها كروبر طيلة حياته الاكاديمية والتي قوت في اعتقاده بافضلية ابقاء الحضارة كمفهوم مستقل يركن اليه في تفسير السلوك •

وقد كان للعالم سـتانلي هول Stanley Hall دوراً معروفاً في تطور الانثروبولوجيا وعلم نفس الطفل والتحليل النفسي في الولايات المتحدة • فقـد

(١٧) A.I. Hallowell. "Psychology and Anthropology". (in) **For**
(١٨) **A Science of Social Man.** P. 186.

دعى الانثروبولوجست المشهور فرانس بواس ذي الاصل الالماني للتدريس في جامعة كلارك أثناء وجوده في منصب رآستها • كما دعى العلماء فرويد ويونج للتدريس في تلك الجامعة •

٣ ـ المنهج السلوكي

اما تأثير المدرسة السلوكية في الانثروبولوجيا فهو يجاوز تأثير جميع الاتجاهات النفسية الاخرى[١٩] • ففي اوائل هذا القرن كان علم الانثروبولوجيا قد خطا خطواته التمهيدية ، وصار الانثروبولوجيون يعرفون الكثير عن التنوع الحضاري[٢٠] في العالم • وقد بدأوا يشعرون بعدم جدوى الدراسات النفسية التي كانت تدور حول مفهوم الطبيعة الوراثية للخصائص البشرية دون اشارة الى العوامل الحضارية • وقد اثار هذا النقص انتباه الكثيرين من الانثروبولوجين وعلى رأسهم العالم روبرت لوي ، الذي اكد أن مفهوم الحضارة يؤلف الموضوع الاوحد للبحث الانثروبولوجي بعكس علم النفس الذي يتوفر حسب رأيه على دراسة الشعور Conscious • وتضمن نقد لوي الاشكال الجديدة للبحث النفساني والتي اهتمت بالتنوع السلوكي للافراد وبحالات الشذوذ • وهو يعتقد أن هذا النوع من البحث السايكولوجي قد فشل هو الآخر في معالجة الصفات المكتسبة ، كما اهمل تأثير المجتمع في تفكير الفرد وشعوره وميوله[٢١] • وقد ظهرت الى جانب هذه المواقف الانتقادية المتشككة مواقف انثروبولوجية تتصف بالتفاؤل والتطلع لامكان تقليص الفجوة التي تفصل بين علم النفس والانثروبولوجيا[٢٢] •

ومن الاسباب التي استهوت الانثروبولوجيين الى الاتجاه السلوكي هو معارضته لعقيدة الغرائز التي سادت آنذاك • وتتجلى هذه المعارضة في آراء العالم ج • واتسن J.B. Watson الذي صرح[٢٣] بأنه يكفل اعداد أي طفل سليم بنجاح

---

(١٩) (1) G.P. Murdrock. **Social Structure** P. xvi.

(٢٠) (2) Otto Klineberg. Op. cit., P. 12

(٢١) (1) R. Lowie Culture and Ethnology, P.P. 5, 16.

(٢٢) (2) A.A. Goldenweiser. History, Psychology and Culture. P. 74.

(٢٣) (3) J.B. Watson. **Benhaviorism.** P. 82.

في اي حقل مهني او فني برفع النظر عن مواهبه وميوله وصفاته الشخصية وعنصره • ان هذا الموقف « البيئي » ينسجم والمبدأ الانثروبولوجي القائل بأن الحضارة هي ظاهرة مكتسبة وان الافراد الناشئين في ظروف حضارية مختلفة يكتسبون عادات مختلفة • ومع أن السلوكيين قد اهتموا بدراسة عملية التعلم ، الا أنهم اتبعوا في دراسته اسلوبا خاصا يعتمد على المفهوم الكلاسيكي للاقتران Association الذي طور من خلال ابحاث « الاستجابات المشروطة » • وقد برزت في هذه الدراسات بصورة خاصة عمليتان أساسيتان هما (المحاولة والخطأ) و (المكافأة والعقاب) • ورغم أن الفرضيات الاساسية في هذا الحقل قد استند في وضعها الى تفسير فعاليات الكائنات الحيوانية المختلفة المتصلة بحل المشاكل المختبرية ، الا أنها اعتبرت ملائمة لتفسير السلوك الانساني •

على أن علاقة المدرسة السلوكية بالانثروبولوجيا قد تعرضت لنقد بعض الانثروبولوجيين • فقد اثار الانثروبولوجست نادل[٢٤] Nadel بعض الانطباعات التي تشكك في ايجابية هذه العلاقة • فهو في الوقت الذي يتحدث فيه عن تأثير المذهب السلوكي في علم الانثروبولوجيا ، كما يعبر عنه انتشار مصطلحات هذا المذهب وشيوع افكاره في هذا العلم ، فانه يشير لعدم جدوى تلك الافكار ويحذر من سذاجتها •

ومع ذلك فان الدليل على استمرار التأثير السلوكي في علم الانثروبولوجيا خصوصا في الولايات المتحدة يلحظ في النشاطات العلمية المتأخرة التي مارسها بعض الباحثين كالعالم جورج مردوك[٢٥] ، وجلن[٢٦] وفورد وواينتج[٢٧] •

ويبدو أن جزء من المقاومة التي لاقاها علم النفس التحليلي Psychoanalysis ودراسة الشخصية في الحضارة يرجع الى اعتبار الاتجاه السلوكي آنذاك

---

(٢٤) S.F. Nadel. Op. cit. P. 386.

(٢٥) J.P. Murdock. Op. cit. P.P. 131 — 133, 300 — 313.

(٢٦) J. Gillin. **The Ways of Men,** New York: 1948.

(٢٧) Clyde Kluckhohn, **Culture and Behavior** pp.9 — 10.

أكثر موضوعية بالقياس للبحث النفسي التحليلي الذي اعاد في بداية ظهوره « شبح » الميول الغريزية الانسانية التي اضفت عليه مظهراً ذاتيا • ولكن بعض الانثروبولوجيين سعوا الى التوفيق بين الاتجاهين • وابحاث برونسلاو مالنفسكي B. Malinowski هي أحسن مثل على ذلك التوافق ، فقد درس الحضارة من زاوية السلوك واعترف باهتمامه بالمواقف النفسية • كما اكد على اهمية النظرة السلوكية في دراسة عمليات التصير الاجتماعي والحضاري • وقال بأن استثمار طرق التحليل النفسي لا يقلل من اهمية الاتجاه السلوكي • وقد ذكر لاثبات وجهة نظره هذه أن الطرق التي يعتمد عليها الباحث الحقلي Field-Worker والدارس السلوكي تتشابه كثيراً • فالاثنان يعلمان أن الافكار والعواطف والعقائد هي شديدة الارتباط بالبيئة الاجتماعية ولا يمكن دراستها بصورة مثمرة اذا نظر اليها من خلال وجودها في الشخصية فقط •

ولكن مالنفسكي تطرف في آرائه النفسية السلوكية • ويظهر ذلك في اعتباره للحضارة كبناء مؤلف من العادات والميول ، أو كاداة تكيفية موجهة لارضاء الحاجات الاساسية Basic needs • ومحفزات السلوك الرئيسية ـ حسب رأيه ـ هي الحاجات البايولوجية التي تعمل كأساس للعمليات النفسية• ويخلص مالنفسكي من ابحاثه الى نتيجة جوهرية هي أن الطبيعة البشرية **(Human Nature)** تتلخص في الحتمية البايولوجية[٢٨] التي تفرض على اي حضارة وافرادها ضرورة انجاز الوظائف الجسمية المختلفة كالتنفس والنوم والراحة والتغذية والتبرز والتكاثر •

٤ ـ اسلوب التكامل الحضاري :

اما استعمال « مفهوم النمط » **"Pattern"** و « الطابع الكلي » "Configuration" في دراسة الحضارة فلا يشير الى تأثير علم نفس الكشتالت المباشر في علم الانثروبولوجيا • فالعالم كروبر[٢٩] يرى في الانماط نظما تتضمن العلاقات الداخلية التي تعطي للحضارة تماسكها وترتفع بها عن مستوى التجميع العشوائي للاشياء •

---

(٢٨) B. Malinowski. **A Scientific Theory of Culture,** p. 23.

(٢٩) A. Kroeber. Anthropology, p. 311.

اما روث بندكت Ruth Benedict التي كرست جانبا كبيرا من نشاطها لدراسة الانماط الحضارية[٣٠] فقد اعتمدت على فكرة النمط كوسيلة تساعد على عرض الحضارة ككل متكامـــل Integrated whole ، بعكس المنهج الانثروبولوجي الاسبق الذي اعتاد أن يصور النظم الحضـارية بشـكل اجزاء او صفات[٣١] **"Traits"** دون ابراز ارتباطها العضوي في البنـاء الحضاري • ودراسات بندكت هي ذات صبغة نفسية لانها تستخلص من أي حضارة نمطاً ذهنيا وعاطفياً يدور حوله الوجـــود الكلي للشخصية ويطلق على هذا النمط مصطلح "Ethos" ايثوس • ويظهر الميل لاستعمال البرنامج القائم على بحث الحضارة ككل متميز عن نظم الحضارات الاخرى فى نتاجات العالم سابير[٣٢] رغم أنه يعتمد على مفهوم « الاعجاز الحضاري »"Culture genius" في تحليله للتكامل الحضاري بدلا من مبدأ النمط •

ومن بين الاسباب التي حالت دون اقبال الانثروبولوجيين على سيكولوجيـــا الكشتالت هو أن هذا العلم يناسب الانثروبولوجيين الذين تهمهم دراســـة السلوك لا دراسة الحضارة نفسها ، او دراسة الانماط الحضارية الكلية المشتقة من السلوك • والواقع أن العالم كوهلر Kohler ـ وهو من ابرز مؤسسي هذا العلم ـ قد اهتم بدراسة عمليات السلوك المعرفي على مسوى الداينمكية النفسية[٣٣] ، وليس في اطار الحضارة والشخصية • والسبب الآخر هو أن مناوءة الكشتالت للاتجاه البيئي المتطرف الذي تجلى في المدرسة السلوكية القديمة جعلته يصطدم باتجاه « الحتمية الحضارية » الذي ميز الفكر الانثروبولوجي في مراحل تكوينه الاولى • هــــذا بالاضافة الى أن سيكولوجيا الكشتالت لم تأخـذ بنظر الاعتبار مفهوم النســـبية الحضارية • ويظهر النقص الاخير في مواقف كوهلر من بعض مظاهر الحيـــاة

---

(٣٠) Ruth Benedict. **Patterns of Culture.**

(٣١) Clark Wissler. **Man and Culture.**

(٣٢) E. Sapir. Culture, Language and Personality, pp. 78—119.

(٣٣) S. Nadel. Op. cit., p. 261.

البدائية التي قال بامكان دراستها من خلال علم نفس تطوري يظهر انطباقها على مستوى انساني هو « اوطأ » من مستوى المجتمعات المتمدنة •

٥ ـ تأثير التحليل النفسي :

أن أي محاولة لتحديد طبيعة الاتجاه النفسي السائد في علم الانثروبولوجيا خلال هذا القرن (وهو ما يطلق عليه فنياً مصطلح الحضارة والشخصية) تظهر أن اهم التأثيرات النفسية التي تعرض لها هذا العلم هي تلك التي ولدتها نظريات التحليل النفسي وعلم النفس العيادي(٣٤) "Psychiatry" خصوصا ما يتصل منها بالسلوك البشري •

ومن المعروف أن هذه النظريات هي نتيجة العلاج النفسي Psychotherapy الممنوح للمرضى، والذي يعتمد على دراسة تجارب الحياة الحقيقية لهؤلاء الافراد • والواقع أن هذه المعلومات العلمية تختلف تماماً عن نوع المعلومات التي كان عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية قد اعتاد على جمعها • وقد كان هدفه من جمعها الحصول على مواد تساعده على اصدار التعميمات الوصفية عن الخصائص الحضارية للجماعات البشرية بالشكل الذي تسمح به جوانب حياتهم الجمعية ، دون الاهتمام بالشخصيات الفردية لأفراد هذه الجماعات او بظروفهم الخاصة ، اذ أن الصفات المشتركة التي تنطبق على أعضاء المجتمع هي مادة البحث لكل من موضوعي الاجتماع والانثروبولوجيا • واذا صادف أن دوّن عالم الانثروبولوجيا تصريحات أحد المخبرين "an informant" في قرية فهو لا يريد من ورائها التعرف على شخص المخبر بالذات بل يحاول أن يستقرىء منها حقائق ذات ارتباط بوجود حياة الجماعة كلها • ومع ذلك فقد شاعت دراسة الحالات الفردية الخاصة life histories بفضل ترويجها من قبل بعض المختصين كادوارد سابير وبول ريدن P. Radin (٣٥) وكلايد كلكهون(٣٦) وغيرهم •

---

(٣٤) E. Sapir. Op. cit.,pp. 140 — 163.

(٣٥) Paul Radin, **Primitive Man as Philosopher.**

(٣٦) Clyde Kluckhohn, op. cit., pp. 150 — 167.

والملاحظ أن الافراد الذين يقتبس المحللون النفسيون المعلومات منهم هـم اشخاص يعانون من الاضطرابات النفسية المختلفة • لذا فان الاتجاه الدراسـي العام للمحلل النفسي (العيادي على الاخص) يميل الى التركيز على الجـوانب السلوكية الشاذة اكثر من تأكيده على الجوانب السوية • ان هذا الاتجاه يتناقض والاسلوب المتبع في حقل الانثروبولوجيا الذي لا يعنى كثيرا بمشاكل الشذوذ • ولكن الاتجاه التحليلي رغم تناقضه والعرف الانثروبولوجي قد نجح في جذب بعض الانثروبولوجيين لانه اثار مشاكل هامة لها ارتباط بتنوع السلوك ازاء القيم السائدة في المجتمع • فتغاير التنظيم الاجتماعي والحياة الاقتصادية واشكال الفن في المجتمع هو من الحقائق المألوفة في الاثنولوجيا • وقد ظهرت مجموعة من البحوث الانثروبولوجية حول موضوع الاضطرابات النفسية والسلوك الشاذ في بعض المجتمعات ، خصوصا تلك التي تعرضت لحالات التصادم الحضاري بحكم احتكاكها بحضارات الغرب(٣٧) •

ومن جوانب تأثير التحليل النفسي في الانثروبولوجيا هو الاتجـاه الذي يعرض الشخصية كبناء كلي وظيفي • وقد كان الانثروبولوجيون قبلاً يناقشون موضوع الحضارة كمفهوم مجرد ويشيرون بصورة عرضية الى ادوار الافراد في نقل الانماط الحضارية عبر الاجيال والتي يعتمد عليها استمرار الحضارة • ولكن بفضل تأثير التحليل النفسي صـار الانثروبولوجيون يهتمون بصورة متزايدة بعلاقة البناء النفسي لشخصية الفرد والنظام الحضاري الذي يعكسه هذا البناء • وقد دفعهم الاهتمام بدراسة النظام الاجتماعي وتنظيم الشخصية الى البحث في طبيعة الشخصية البشرية من زاوية وظيفتها الكلية •

---

(٣٧) هنالك معلومات كثيرة عن مشاكل التصادم النفسي والحضاري تتوفر في مؤلفات الانثـروبولوجيا عن موضـوع « التأقلم الحضـاري » أو الـ Acculturation • راجع على سبيل المثال كتاب انتوني اولاس :
Anthony Wallace. Culture and Personality.

دراسة الشخصية

يعتبر الاتجاه المتصل ببحث الشخصية من الحركات الهامة في حقل الانثروبولوجيا • وقد بدأ هذا الاتجاه بالظهور في الثلاثينات واتسع حتى صار يدعى في الوقت الحاضر « بدراسات الحضارة والشخصية » ويعود الفضل في نشأته لجهود الانثروبولوجيين الذين احسوا بتنامي الضرورة لتوثيق صلة الانثروبولوجيا بعلم النفس عموما وعلم االتحليل النفسي بصورة خاصة • وقد تمخضت تلك الجهود عن تنقيح مواقف فلسفة مافوق العضويات[٣٨] "Superorganic" التي قال بها بعض الانثروبولوجيين الحضاريين ، تلك الفلسفة التي حثت على دراسة الحضارة بشكلها المجرد المستقل عن الافراد والذى تحدده العوامل التاريخية وقوى التكيف المحلي[٣٩] • وكان من نتائج تأثير تلك الفلسفة أن اعترى البحث النفسي الانثروبولوجي بعض الخمول حتى اعلن بعض الانثروبولوجيين وعلى رأسهم « سابير » و « لنتن » وكلكهون ان اتخاذ الحضارة كاساس للدراسات الانثروبولوجية لا يمنع من بحث الارتباط النفسي بين الافراد وانظمتهم الحضارية • والواقع أن الرغبة الجديدة بدراسة الشخصية والحضارة تمثل مجهودا يهدف الى انهاء الاستقطاب[٤٠] الكلاسيكي بين الفرد والحضارة • فبدلا من اعتبار هذين المفهومين في حالة تعارض وانفصال يمكن أن ينظر اليهما من زاوية الارتباط والاتصال القائم بينهما •

ومما قوى في ميل الانثروبولوجيين للاستفادة من النظريات والآراء النفسية في دراسة تفاعل الفرد والحضارة هو قبول المفهوم الانثروبولوجي للنسبية الحضارية "Cultural Relativism" [٤١] من جانب عدد متزايد من المختصين

---

(٣٨) David Bidney: Towards a Psychocultural Definition of the Concept of Personality (in) **Culture and Personality,** S.T. Sargent (ed.) p. 33.

(٣٩) J. Steward. **Theory of Culture Change,** pp. 8, 183.

(٤٠) E. Sapir. "The Emergence of the Concept of Personality in a study of Culture". Culture, Language and Personality, p. 194.

(٤١) Gardner Murphy, **Personality.** pp. 903 — 905.

النفسيين • ان خبرة الانثروبولوجيين الناتجة من دراساتهم الاثنوغرافية للعديد من الجماعات البشرية الموجودة خارج حدود المدنية العربية اطلعتهم على حزمة واسعة من النظم الاجتماعية المتنوعة وبالتالي بلورت فيهم الشعور بنسبية القيم الحضارية • ولم يكن علماء النفس في الثلث الاول من هذا القرن يهتموا بهذا المفهوم ، الامر الذي جعل دراساتهم ذات طابع متحيز ضيق بحكم تقيد اصحابها بنظم الحياة السائدة في المجتمعات الاوربية • ولكن الامر قد تبدل بالنسبة لهؤلاء حيث أنهم صاروا يدركون[٤٢] اهمية البحث الانثولوجي واساسه النسبي الحضاري • وقد ادى هذا التغيير الى بدء انتشار الاتجاه الحضاري المقارن في البحوث النفسية وبالتالي شجع علماء الانثروبولوجيا على مزيد من التعاون مع الخبراء النفسيين في دراسة الشخصية •

ومن تأثيرات مبدأ النسبية الحضارية أنه جعل بعض علماء النفس الغربيين ينادون بضرورة اعادة تقييم النظريات النفسية ، خصوصا ما يتعلق منها بالامراض النفسية قبل تطبيقها على انماط سلوك اعضاء الجماعات البشرية التي تمارس نظما حضارية مغايرة لحضارات الغرب[٤٣] • ان تنقيحا كهذا من شأنه أن يخفف من آثار التحيز الحضاري المحلي "Ethnocentrism" الذي اتصفت به معظم الدراسات النفسية قبل تعرض علماء النفس للتيار الحضاري المقارن الوافد من علم الانثروبولوجيا الحضارية • وقد انتج التقارب بين الانثروبولوجيين وعلماء النفس (خصوصا المحللين النفسيين) ثمارا طيبة ظهر بعضها بشكل مشروعات دراسية اثنوسيكولوجية[٤٤] Ethno Psychological •

ويمكن تصنيف دراسات الحضارة والشخصية الى ما يأتي :

---

(٤٢) M. Brewster Smith, "Anthropology and Psychology" (in) **For a Science of Social Man,** p. 53.

(٤٣) Ibid. p. 54.

(٤٤) A. Kardiner. Psychological Frontiers of Society. Introduction.

١ ـ الشخصية الاساسية :

يهتم علماء الانثروبولوجيا بمعرفة ما يحدث لشـــخصية الفرد نتيجــة لعضويته[٤٥] في المجموعات الانسانية المختلفة ، والتي يتبع اعضاؤها طرقا منسقة اجتماعيا في فعلهم وشعورهم وتفكيرهم • ان المجتمع البدائي Primitive Society يتصف بدرجة كبيرة من التجانس الاجتماعي الذي يظهر في تماثل ميول اعضائه الفكرية والعاطفية نتيجة لوحدة العرف الاجتماعي الذي تعتمـــد عليه العائلة في تنشئة اطفالها • ينتج من ذلك اتصاف افراد الجماعة البدائية الواحدة بخصائص سلوكية يطلق على مجموعها بالبناء الاساسي للشخصية

"Basic Personality Structure"

ان حقل الاثنولوجيا "Ethnology" يزخر بالتقارير العلميــة التي تصف اعدادا كبيرة من الجماعات البشرية المختلفــة النظم الحضارية • وتبرز من بين المساهمين بهذه الابحاث فئة من المختصين لم تكتف بوصف التنظيم الاجتماعي للجماعات المدروسة فحسب بل اســتخلصت من دراستها الميدانية لها معلومات معينة تلقي ضوء على نظام الشخصية السائدة في كل منها • وقد ادت هذه الجهود الى ظهور مفهوم الشخصية الاساسية •

ان الباحث الانثروبولوجي الميداني المهتم بالشخصية يحدد خلال اقامته مع الجماعة المواقف المتكررة في سلوك الافراد مسـتعملا في تحديدها الوســـائل الاثنوغرافية كالمشـاهدة المصحوبة بالمســاهمة "Participatnt observation" والاختبارات العاكسة Projective tests والاستفادة من المخبرين وغيرها • ويطلق على هذه المواقف مصطلح « الدوافع المركزية » Nuclear motives ان الباحث يقوم بفرز هــذه الدوافـع عن الميول الســلوكية التــي تفتقر • في وقوعهــا الى صفـة الرتابة والتكرار ويطلق عليهـا اسـم الدوافع الجانبية Peripheral motives أن الشخصيــــة الاســاسية للجمـــاعة تـــألف مــن الدوافع المركزية باعتبارها قابلة التعميم على اعضاء الجماعـــة • وترتكز هــذه

(٤٥) John J. Honigman, **Culture and Personality**, p. 3.

الدوافع على القيم المتمثلة في الشخصية منذ الطفولة المبكرة وتعمل التجارب الاولى على تثبيتها في اللاشعور • وتكون هذه الدوافع في حالة من التلاحم المتوازن •

وقد استغل مفهوم الشخصية الاساسية باسلوبين :

١ ـ الاول وصفي يتعلق بدراسة البناء العام لشخصية اعضاء جماعة معينة ، وخير مثل على ذلك هو البحث الانثوغرافي الذي قامت به مرجريت ميد[٤٦] عن الشخصية المحلية في جزر ساموا Samoa وغينيا الجديدة[٤٧] New Guinea
٢ ـ اما الاسلوب الثاني فيتضمن الاستفادة من مفهوم الشخصية الاساسية في الابحاث المقارنة • وقد جرت فعلا دراسات[٤٨] لنظم اجتماعية مختلفة من زاوية البناء الاساسي للشخصية في كل منها لاظهار التغاير الذي يميزها عن بعضها •

ولم يقتصر استثمار منهاج الشخصية الاساسية على دراسة السلوك البدائي فحسب ، بل تعداه الى بحث الشخصية العامة في المجتمعات المتمدنة الكبيرة • وقد استعمل مصطلح « الشخصية الوطنية »[٤٩] "National character" في الاشارة للنوع الاخير من الدراسة •

ان نقل مفهوم الشخصية الاساسية من حقل المجتمعات البدائية الى حقل المجتمعات السياسية الكبيرة يواجه عقبات واضحة ، وفي مقدمتها وجود الاختلاف الاجتماعي والاقتصادي والقومي والديني الذي يميز مقاطع المجتمع المتمدن • هذا بالاضافة الى ضخامة عدد السكان التي تعيق التطبيق المناسب لقواعد البحث الانثوغرافي الذي لا يستغني عن المشاهدة والاتصال المباشر بالافراد الخاضعين للدراسة • ومع ذلك فقد لجأ الباحثون المهتمون[٥٠] بهذا الصنف من الدراسة الى التأكيد على الخصائص الاجتماعية المشتركة بين جميع طبقات وفئات المجتمعات

---

(٤٦) Margaret Mead, Coming of Age in Somoa.
(٤٧) Margaret Mead, Growing up in New Guinea.
(٤٨) Abram Kardiner, The Individual and His Society.
(٤٩) Margaret Mead. National Character. In A. Kroeber (ed.) **Anthropology Today.**
(٥٠) Clyde Kluckhohn. Op. cit., p. 210.

الكبيرة المدروسة واعتبروها القاسم المشترك(٥١) المحدد للمعالم الرئيسية للشخصية العامة للافراد • وواضح أن ذلك الاجراء يتطلب اختزال النظام الحضاري المعقد الى وحدات قليلة تدخل في السلوك النمطي الذي لا يشـذ عنه افراد أي من اقسام المجتمع •

على أن الوصف الاثنوغرافي في دراسـات الشـخصية الوطنية يعاني من نقص خطير هو أنه بحكم تأكيده على الميول السلوكية المشتركة يهمل الجوانب غير المتجانسة في المجتمع وبذلك يحجب التناقض وعـدم التجانس الاجتماعي الموجود في المجتمع ودور الحضارة في تحقيق التوافق لمنعـه من تفكيك البناء الاجتماعي •

٢ - القيم والايثوس Ethos

الاتجاه الرئيسي الآخر في دراسات الحضارة والشخصية يعتمد على وحدات اكثر ارتباطا بالبناء الاجتماعي للمجتمع وهي القيم الحضارية التي تحدد كيفية التفاعل الاجتماعي وترسم الطريق للعائلة في تنشئة الاطفال • ومما يساعد على تفضيل بعض الانثروبولوجيين للقيم في ابحاثهم على مفهوم الشخصية الاساسـية والوطنية هو اتصافها بدرجة اكبر من العمومية والاستقرار والموضوعية بالقياس لمفهوم الشخصية • فالقيم تعمل (حتى في المجتمعات الكبيرة) على تنسيق نقاط الاختلاف بين الافراد وهي في العادة اكثر تغلغلا في التقسـيمات الاجتماعية • فليس هنالك من مجتمع في العالم المتمدن او البدائي لا تتأسس حياته العامة على مجموعة من المعايير التي يجمع الاعضاء فيه على ضرورة احترامها وغرسها في شخصية الناشئين •

وتتنوع طرق البحث التي استعملت في هذا المجال • فهنالك اسلوب انشأته العالمة الانثروبولوجية روث بندكت • ويتضمن اجراء مسح اثنوغرافي للنظـام

---

(٥١) G. Peter Murdock. The Common Denominator of Cultures. In Linton, R. (ed.) The Science of Man in The World Crisis, p. 23.

الحضاري الكلي السائد في المجتمع وتحديد قيمه الاساسية وتشخيص القيمة الاهم التي تسيطر على السلوك ، وتؤلف المركز الذهني والعاطفي الذي تدور حوله مواقف الفرد في تفاعله مع الآخرين • وتطلق بندكت مصطلح النمط الحضاري[٥٢] Cultural Pattern على هذه القيمة المسيطرة • ويستبدل مصطلح النمط الحضاري بكلمة[٥٣] "Ethos" في ابحاث العالم جريجوري بيتسن G. Bateson ويتضمن معنى نفسيا يماثل معناه في ابحاث بندكت •

وتعتقد روث بندكت ان استعمال فكرة النمط تساعد الباحث على تحديد الطابع النفسي العام الذي تتصف به حضارة الجماعة والذي يشتق وجوده من النمط المسيطر • وقد طبقت مبدأ القيمة المركزية المسيطرة في دراستها المقارنة التي ضمت بعض القبائل الهندية في أمريكا الشمالية (قبيلة الكواكيوتل وقبيلة الزوني) وقبيلة الدوبو في ميلانيزيا • وتتلخص دراستها في الاستقطاب العاطفي والانفعالي بين الكواكيوتل والزوني • فبينما يأخذ الطابع الحضاري لدى الجماعة الاولى شكل « الفورة العاطفية » "Frenzy" ، يسود طابع الاعتدال العاطفي لدى الجماعة الثانية وانطلاقا من هذين المبدئين النفسيين تصف النظام الحضاري لكل من الجماعتين فيظهر احدهما زاخرا بقيم الاسراف والمغالاة والتطرف ، بينما تتجلى في الآخر كل قيم الاعتدال والتواضع • أن روث بندكت لا تكتفي بتحليل الحضارة من زاوية الموقف العاطفي المسيطر بل تصدر احكاما نفسية هي في مستوى آراء الاطباء النفسيين التي يصدرونها على مرضاهم • وقد وجهت لها انتقادات كثيرة[٥٤] بسبب هذا الاجراء التشخيصي الذي عممته على جماعات بكاملها ، كنعتها لجميع سكان الكواكيوتل بصفة البارانويا •

---

(٥٢) Ruth Benedict. **Patterns of Culture.**

(٥٣) Gregory Bateson. The Naven Ceremony in New Guinea. In Margaret Mead and Nicolas Calas (ed.) **Primitive Heritage.** pp. 186 — 202.

(٥٤) Anthony Wallace. Op. cit., pp. 180 — 181.

ومن بين المناهج الاخرى لدراسة الحضارة هو المنهج المقترح من قبل الانثروبولوجست الامريكي موريس اوبلر Morris Opler • ويهدف هذا البرنامج الى تشخيص « الموضوعات »[٥٥] "Themes" الرئيسية التي يتركز حولها تفكير اعضاء المجتمع والتي تتصل بجوانب هامة في الحياة الاجتماعية •

وعلى ضوء هذا الاقتراح يصبح دور الباحث الاثنوغرافي الهادف الى تحديد الشخصية الكلية لحضارة المجتمع التعرف على الموضوعات المركزية من احاديث الافراد ، ثم الاعتماد على هذه الموضوعات في تحليل الحضارة والشخصية الاساسية • ان اقتراح اوبلر هذا اكثر عملية من الخطة التي اوجدتها بندكت لانه يخلو من معضلة تقرير أي من القيم الكثيرة هي القيمة المسيطرة على النظام الحضاري • كما أنه لا يطمح الى قياس درجة تماسك الحضارة ، كما هي الحال بالنسبة لمنهاج بندكت الذي يتصف بهذا الطموح ، الامر الذى يجعله أقرب الى الموضوعية العلمية •

والواقع أن الدراسات الاثنوغرافية لم تتجاهل « المواضيع » الايديولوجية والاخلاقية الموجودة في المجتمعات البدائية وغير البدائية التي تعرضت اليها • وقد استفادت لتحديد هذه المواضيع من القصص الفولكلورية[٥٦] Folktales والروايات الخرافية والحكم والامثال والمسرحيات وغيرها ، لان هذه المأثورات تؤلف الملامح التي تعبر عن الطابع الحضاري لاي جماعة بشرية • هذا بالاضافة الى أن الكثيرين من الباحثين الميدانيين قد استعملوا بعض الاختبارات العاكسة Projective tests للضوء الذي تلقيه على الاطار الذهني للافراد من خلال تعبيرهم عما تثيره هذه الاختبارات في مخيلتهم •

٣ ـ الدراسات التعاقبية :

تميل اكثر الدراسات الانثروبولوجية النفسية الى تحليل الشخصية في وقت معين دون الاهتمام بالتعاقب الزمني • ان هذا النوع من الدراسة التزامنية Synchronic study يقوم على المبدأ القائل برتابة وثبوت نظام

---

(٥٥) R. L. Beals and H. Hoijer. Op. cit., pp. 216 — 217.

(٥٦) P. Radin. Primitive Man as Philosopher. Chapter One.

الشخصية بحكم استمرارية الانماط الحضارية نتيجة انتقالها من جيل الآباء الى جيل الابناء ومن هؤلاء الى الاحفاد • ان تماثل ظروف التنشئة الذي يأخذ بـــه هذا النوع من الابحاث هو حقيقة لمســـــها الانثروبولوجيون في بعض الجماعات البدائية التي بقيت في عزلة عن التأثيرات الخارجية • ولكن هناك صنف من البحث لم يتجاهل مشكلة نمو الشخصية الذي يرافقه انتقال الفرد من منزلة لاخرى وما ينطوي عليه ذلك الانتقال من مشاكل التكييف النفسي(٥٧) ، وينضوي هـــذا الشكل تحت صنف البحث التعاقبي •

والى جانب دراسات الشخصية التي ترتكز على فرضية استمرار نفس النمط عبر الاجيال ظهرت ابحاث تؤكد على موضوع تبدل الشخصية في المجتمع • ان هذه الابحاث تفسر تغير الشخصية كنتيجة لعوامل التغير الحضاري التي يتعرض اليها المجتمع(٥٨) • فالتبدل الاقتصادي والتكنولوجي مثلا يؤدي الى احداث تبدل في اساليب المعيشة وبالتالي يدخل تغيرا ما في تربيـــة الاطفال • فالتحول في الشخصية بين الاجيال(٥٩) يأتي نتيجة للتغيير الحضاري الذي يؤثر في بدايتـــه بتجارب ما بعد الطفولة فيؤدي الى تهديد التماثل التقليدي بين الآباء والابناء • ان الدراسات الانثروبولوجية التي تناولت موضوع الاتصال الحضاري بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة اظهرت اشكالا مختلفة من التصادم السلوكي بين جيل الكبار وجيل الصغار نتيجة عدم توازي مدى التغيير في شخصيات اعضاء الجيلين في المجتمعات التي انتظمتها تجربة التحول الحضاري •

ان نمو عدم تجانس الشخصية بين اجيال المجتمع المتبدل يؤثر بصورة سلبية في التماسك الاجتماعي • فقد وجد أن نمو الاختلاف الاجتماعي والثقافي بين الافراد يقود الى تقليل درجة التماسك الاجتماعي ويهدد التكامل الحضاري في المجتمع ، الامر الــذي يعرض الافراد الى حالات الاضطراب النفســـي(٦٠) • والجدير

---

(٥٧) John Honigman. Op. cit., p. 309.

(٥٨) M. Mead: New Lives for Old, pp. 371 — 85.

(٥٩) راجع مصدر David Riesman. **The Lonely Crowd.**

(٦٠) A.F.C. Wallace. Op. cit., p. 188.

بالذكر ان هذه الحالات المرضية لا تنتج من كل وضعيات التغير الاجتماعي بل من تلك الوضعيات التي يكون التغيير فيها سريعا ومتظمنا ادخال عوامل جديدة تتناقض بصورة جوهرية مع مكونات العرف الاجتماعي السائد •

التعميم النفسي في الانثروبولوجيا

على الرغم من تبني الانثروبولوجيين لمفهوم الشخصية الاساسية الذي يتضمن اعترافا صريحا[٦١] بنسبية « انظمة الشخصية » في المجتمعات المختلفة ، فان الباحثين قد اظهروا اهتماما بالبحث عن الصفات المشتركة التي يتصف بها الانسان في المجتمعات ذات الحضارات والعناصر المتغايرة • والبحث عن ظواهر التشابه النفسي في المجموعات الحضارية هو ليس بالشيء الجديد ، بل واكب جهود بعض الانثروبولوجيين الاقدمين • فالمفكر باستيان ذكر في بعض مؤلفاته أن النوع البشري كثيرا ما يكتشف نفس الافكار الاولية بحكم خضوع اعضائه الى قانون[٦٢] الوحدة النفسية العام • وقد نسب هذا المفكر اختلاف استجابات الافراد الى تحفيز العوامل الخارجية المختلفة التي تولدها الظروف الجغرافية المفتقرة الى التشابه • وتتكرر الاشارة لوحدة الانسان في بعض آراء العالم ادوارد تايلر "E. Tylor" • فهو ينسب التماثل في خطوط التطورات في المجتمعات الى تشابه عمل[٦٣] الذهن البشري في الظروف المتشابهة •

على أن الطموح لتحديد معالم الطبيعة البشرية "Human nature" أصبح يرتكز على أساس أكثر تواضعا واقرارا بضعف الامكانيات العلمية المطلوبة لبلوغ هذا الهدف • ويظهر ذلك في تساؤل العالم الامريكي بول ريدن عما اذا كان من المؤمل الظفر بالمعرفة المناسبة عما يؤلف الطبيعة البشرية • وهو يعترف[٦٤] بأن الوسائل الضرورية لهذا النوع من الدراسات لم تطور لحد الآن •

---

(٦١) A.F.C. Wallace. Op. cit., p. 118.

(٦٢) R. Lowie. Op. cit., pp. 35 — 36.

(٦٣) Ibid, pp. 76 — 77.

(٦٤) Paul Radin, **The Method and Theory of Ethnology.** P. 267

ومن بين المحاولات الهادفة لوضع اساس عالمي لدراسة الطبيعة النفسية للانسان هي تلك التي قدمها العالم يونج Jung • وتتعلق بفرضيته القائلة بأن « العقل الباطن » للانسان هو حصيلة التجارب التاريخية القديمة التي مر بها الآباء الاقدمون واستحالت الى ترسبات لا شعورية جمعية موروثة • وتحت مستوى اللاشعور الشخصي في الفرد ـ حسب رأيه ـ يكمن اللاشعور الجمعي او العنصري الذي يخص العنصر الذي ينتمي اليه الفرد وهو يضم ـ على زعمه ـ معتقدات واساطير ذلك العنصر • ويقرر يونج أن اعمق مستويات اللاشعور الجمعي في الانسان هي الحالات النفسية العالية التي تنطبق على النوع البشري كله(٦٥) •

ان هذه الآراء التي اقترحها يونج لم تلاق تأييدا كبيرا • فقد اعتبرت تزويقا وتعقيدا غير ضروري لظواهر يمكن أن تفسر باسلوب ابسط • ومن بين المعترضين على مبدء اللاشعور الجمعي هو العالم الانثروبولوجي جيزا روهايم Geza Roheim فهو يعتقد أن بالامكان فهم الظواهر النفسية التي درسها يونج دون اللجوء لهذا المبدأ • فالتفسيرات النفسية الباطنية هي ذات نطاق عالمي ينطبق على البشر جميعا • اما تفسيرات الذات أو (الانا) حسب اعتقاد روهايم فتظهر التفاصيل السلوكية الخاصة بالحضارات المحلية للافراد • وهكذا كلما اقترب المحلل من مستوى « الوعي الذاتي » كلما ازداد الطابع المحلي في نتائج الدراسة وارتبطت اكثر بعوامل خاصة بالفرد ومجتمعه المحلي • وعلى العكس فانه كلما تعمق الباحث في اللاشعور كلما اقترب اكثر من المستوى البايولوجي للتجارب البشرية(٦٦) العالمية •

وقد تنوعت نقاط تركيز الباحثين في جهدهم الرامي لعزل مكونات الطبيعة البشرية • فقد رأى كلكهون ضرورة تشخيص النماذج الحضارية(٦٧) التي

---

(٦٥) J.A.C. Brown. Freud and The Post-Freudians, pp. 44 — 46.

(٦٦) J.A.C. Brown. Ibid, p. 47.

(٦٧) Clyde Kluckhohn. Universal Categories of Culture. In A.L. Kroeber (ed.) **Anthropology Today.**

تتكرر في جميع الحضارات والتي يرتبط وجـودها بعوامل ناتجة من وحـدة الانسان • وينظر بعض المختصين للجانب العضوي "Phylogenetic side" الذي يتناول القدرات السايكولوجية البشرية كخصائص ينفرد بها الانسان دون بقية اعضاء المراتب الحيوانية العليا "Primates" كاساس مناسب لبحث الظواهر النفسية • ويـلاحظ العالم كنث اوكلي مثلا أنه على الرغم من تصوير الباحثين للانسان كحيوان ذي مقدرة على النطق والتفكير السببي والروحي والابتكاري ، فان الحاجة لتعريف الانسان علميا لم تقابل بنجاح لحد الآن(٦٨) •

وعلى الرغم من غزارة البحث العلمي المنصب على دراسة الانسان بصفتـه كائن فريد متميز عن باقي الكائنات الحية ، الا أن الخصائص والعمليات النفسية الانسانية لم تلق التوضيح المناسب من زاوية علاقتها بالسلوك الحيواني للمجموعات العضوية الاخرى •

ان الانثروبولوجست في دأبه على فهم وتحـديد مشـكلة الطبيعة البشرية يختلف عن زميله العالم النفسـي في كون معظم تأكيداته تدور حول الجوانب الحضارية لهذه المشكلة • وهو يعترف بخدمات العالم النفسي التي تضمنت توفير المعلومات له عن عمليات التغير النفسي التي تتأسس عليها الانمـاط الحضارية • وقد اصبح الاهتمام النفسي يهيء للمختصين الانثروبولوجيين فرصا أحسـن لفهم الدوافع والانماط العالمية للظواهر الحضارية وتقييم الدور الخاص للتجارب التاريخية والعرف المحلي في اختلاف المجتمعات •

المنهـاج الحضارى المقـارن

لعل من اهم التطورات التي يتوقف عليها مستقبل الدراسات الانثروبولوجية النفسـية هو ظهور اتجـاه البحث الاثنولوجي لحضـاري المقـارن(٦٩) Cross-Cultural Research • وترجع اهمية هذا البحث الى

(٦٨) Kenneth Oakley. "A definition of Man". Science News, 20 Penguin Books, 1951.

(٦٩) Julian Steward. **Theory of Culture Change,** pp. 3, 4, 179 — 85.

عدة اسباب منها أنه يمنح فرصا واسعة لدراسة الظواهر النفسية في الانظمة الاجتماعية المختلفة في العالم ، وبذلك يظهر درجة تنوع Variation هذه الظواهر . والمعروف عن الكثير من النظريات والآراء النفسية التي تم التوصل اليها في علم النفس أنها وليدة الدراسات والتجارب الخاصة بسلوك الافراد في المجتمع الغربي ، وهي لذلك السبب توصف بالتحيز العلمي والافتقار للوضعية المنهجية .

ومن البديهي ان الاسلوب الحضاري المقارن سيساعد على التحقق من مدى عمومية هذه النظريات والآراء بالنسبة لاشكال السلوك في المجتمعات غير الغربية . ويستطيع المتتبع ان يلمس ثمار هذا الاسلوب في تصحيحه بعض الانطباعات التي اعتبرت سابقا في حكم الآراء القياسية الثابتة .

وهناك الكثير من المشاكل النفسية التي طرقها البحث الاثنولوجي المقارن لاختبار ما ظهر حولها من نظريات نفسية . وهي تضم على سبيل المثال موضوع المراهقة ، والتنشئة والمزاج والجنس وتحريماته "incest taboos" وعقدة اوديب وغيرها من المشكلات .

فظاهرة المراهقة "adolescence" كانت من بين المواضيع التي اهتم بها علماء النفس ولكنهم درسوها في نطاق نظام العائلة السائد في الغرب . وقد كشف البحث الاثنولوجي أن هناك اختلافات اساسية في نوع التجارب العاطفية والاجتماعية التي تواجه المراهقين في المجتمعات المختلفة ، الامر الذى لا يبيح اضفاء صفة الرتابة والقياسية على مفهوم المراهقة كما لو كان مستقرا على اسس عضوية فحسب . فالازمات العاطفية التي يعاني منها مراهقو المجتمع الغربي التقليدي هي ليست من المصاحبات العالمية للمراهقة ، اذ تكاد تختفي كلية لدى مراهقي جزر[٧٠] ساموا مثلا .

---

(٧٠) Margaret Mead. **Coming of Age in Somoa.**

يتضح من ذلك أن مفهوم المراهقة لا يتحدد بعوامل بايولوجية محددة بل لابد أن تعتمد دراسته على فحص العوامل الحضارية التي تكسبه شكله النهائي وتخلق تنوعه في العالم • ان هذا الاتجاه يتعارض ، مثلا ، وموقف العالم النفسي الامريكي جـ• ستانلي هول G. S. Hall • فقد نظر للمراهقة كنتيجة طبيعية مميزة لوراثة الكائن البشري التي انحدرت اليه من اجداده الاقدمين • وقد وصف المراهقة بالثورة العاطفيـــة والاكتئاب وقال بوراثتهما عن الاجداد في العصور السحيقة حيث كانوا في نزاع مستمر من أجل التسلط[٧١] والسيطرة• ان هذا التعميم لا يمكن أن يقبل لصعوبة اثبات اساسه الوراثي ، اضافة الى اعتماده على دراسة ميدانية محلية لم تتناول سوى عينة من الافراد في نفس المجتمع • فالكبت العاطفي الذي يواجه الفتيات المراهقات في الاسرة الغربية التي عاصرها هذا العالم يختفي في حياة مراهقات الكثير من المجتمعات الاخرى ، كما يتضح في دراسة مارجريت[٧٢] ميد لمجتمع ساموا •

ان الاضواء الجـــديدة التي القاها البحث الاثنولوجي المقارن على مختلف الظواهر النفسية لاقت مواقف مختلفة في الاوساط الاكاديمية النفسية • فالى جانب الترحيب بالاتجاه الحضاري الجديد ظهرت معارضة البعض له • وقويت هـــذه المعارضة بصورة خاصة بين صفوف المحللين النفسيين الفرويديين التقليديين الذين تمسكوا بمفهوم الـ"Libido" البايولوجي • وفي الوقت الذي سعى فيه فرويد الى استعمال بعض المعلومات الاثنولوجية[٧٣] لدعم التفسير الحضاري لنظريته عن عقدة اوديب Oedipus Complex (ولم يوفق في ذلك حسب رأي اكثرية الانثروبولوجيين) جرت محاولات في حقل الانثروبولوجيا لاختبار تلك النظرية • وتعتبر دراسة مالنفسكي B. Malinowski في جزر ميلانيزيا[٧٤] ابرز هذه المحاولات • ومما اظهرته هذه الدراسة عدم انطباق تفصيلات « عقدة اوديب »

(٧١) Otto Klineberg. **Social Psychology,** p. 490.

(٧٢) Margaret Mead. Coming of Age in Somoa, p. 493.

(٧٣) Sigmund Freud. Tolem and Taboo.

(٧٤) Brouislaw Malinowski, Sex and Repression in Savage Society, pp. 17 — 28.

التي اقترحها فرويد على سلوك افراد تلك الجزر • ان هذه الدراسة والدراسات المماثلة خلقت وعيا بين بعض المحللين النفسيين بضرورة الاستفادة من الابحاث الاثنولوجية وتسخيرها لغرض تحديد التفصلات التخصيصية المتحيزة حضاريا في آراء فرويد والتي تنطبق على مجتمع الطبقة الوسطى في فينا الذي اجرى فيه اكثر تجاربه ، وتمييزها عن الجوانب العامة في ابحاثه التي تصلح للتعميم على المجتمعات الاخرى • ولا شك أن عالمية الاسرة تسمح بهذا النوع من التنسيق •

ومما يشجع على تعميق الارتباط بين البحث النفسي والحضاري المقارن هو النجاح الذي لاقاه استعمال بعض الوسائل الفنية التي طورت على يد الخبراء النفسيين في الدراسات الاثنولوجية• ومن أهم هذه الوسائل الاختبارات العاكسة منها بصورة خاصة Projective tests كاختبارات رورشاخ والـ T.A.T. التي تلائم البحث الانثروبولوجي المقارن لتجردها بصورة كبيرة من عناصر التحيز الحضاري التي تفسد استعمال الاختبارات النفسية الاخرى لهذا الغرض(٧٥) •

ويبدو أن الاتساع في ميدان التعاون والتلاقح بين الانثروبولوجيين والمحللين النفسيين قد قوى الدعوة الى اعادة النظر ليس في المفاهيم النفسية النظرية فحسب بل وفي النظريات والاجراءات التشخيصية والعلاجية المستعملة • كما ادى الى مطالبة البعض بتنقيح اللغة العيادية باعادة تحديد(٧٦) معاني المصطلحات المرضية كالشيزوفرينيا "Schizophrenia" والبارانويا "Paranoia" والهلوسة Hallucination وغيرها(٧٧) على ضوء مكتشفات الاثنولوجيين في المجتمعات غير الاوربية • فقد تم تحديد هذه المصطلحات على ضوء الاعتبارات والقيم الغربية دون عرض التشتت والاختلاف الذي يظهر في مواقف المجتمعات الاخرى من مضامين هذه المصطلحات • والمعروف أن بعض المجتمعات التي شملها البحث الانثروبولوجي تعود افرادها على اشكال من السلوك النفسي قد تبدو

---

(٧٥) J. Honigman, op. cit., p. 21.
(٧٦) A.F.C. Wallace, op. cit., p. 165.
(٧٧) P.L. Harriman, Dictionary of Psychology.

للمشاهد الاوربي بمظهر السلوك النفسي المريض • ومن اشكال هذا السلوك ما يظهر في طقوس الجماعات البدائية من الهستريا الشعائرية ، وحالات الصرع والغيبوبة ، وتعذيب النفس المؤدي للهلوسة وغيرها من الحالات التي تعتبر طبيعية وسليمة(٧٨) في نظر تلك الجماعات ما دامت تنبع من صلب مؤسساتهم الاجتماعية • ولا شك أن هذه الحالات لا يمكن أن تفسر من قبل المحلل النفسي الغربي بنفس الاسلوب الذي يتبعه في دراسة مثيلاتها في مجتمعه • فتلك الحالات المشاهدة لدى البدائيين وغير البدائيين من غير الاوربيين تختلف عن الامراض النفسية لدى الغربين في نقاط بارزة اهمها ان الطقوس تثيرها في سلوك الفرد بصورة اختيارية مقصودة • وهي الى جانب ذلك حالات موقوتة تزول بانتهاء الطقس الشعائري ولا تؤدي الى تدهور منزلة فاعلها او نقله من مركز الفرد السوي الى مركز الفرد الشاذ ، بل تعمل على تحسين مكانته • وهذا هو عكس الاضطرابات النفسية « السايكوتية » Psychotic disorders المتفق عليها في المجتمع الغربي والتي تتصف بصفة الدوام وصعوبة المعالجة وبأنها تدخل في صنف السلوك الشاذ وتخفض من منزلة المتصف بها •

والملاحظ أن الاشكال التفصيلية التي تظهر بها الامراض النفسية لا تتشابه حتى بالنسبة لسكان المجتمعات الغربية المختلفة • وتتضح هذه الحقيقة مثلا في بحث الانثروبولوجست الامريكي موريس اوبلر Morris Opler عن المهاجرين الايرلنديين والايطاليين(٧٩) في الولايات المتحدة • فقد وجد أن سلوك المصابين بالشيزوفرينيا من الجاليتين يختلف تماما • فبينما يميل الشيزوفريني الايطالي الى العربدة والسلوك الاعتدائي ، يتصف الايرلندي المصاب بهذا المرض بالوداعة والميل الى العزلة والهدوء • ان هذا الفرق يعود دون ريب الى اختلاف الانماط الحضارية في مجتمعيهما الاصليين ودور هذه الانماط في تحديد الكيفية التي يستجيبان بها للمرض النفسي الواحد •

---

(٧٨) A.F.C. Wallace. Op. cit., p. 165.

(٧٩) A.F.C. Wallace. Ibid. P. 175.

ان الدراسات الانثروبولوجية النفسية يمكن أن تخطو خطى اوسع لو زاد تركيز المختصين فيها على استثمار العينات الاثنوغرافية "Ethnographic samples" الكبيرة وفحصت في هذه العينات جوانب نفسية وحضارية مختلفة لضبط وجـوه التوازي والتغاير فيها • ان هذه هي اسلم الطرق التي يمكن أن توصـل للظفر بالقوانين النفسية والحضارية غير المتحيزة • ونحن ندرك أن غزارة المعـلومات الاثنولوجية عن العديد من المجموعات الحضارية في العالم يسـهل مثل هـذا الاستثمار • ولنا خير مثل على هذا الاسلوب في « النموذج الاثنوغرافي » الذي اعتمد عليه العالم جورج مردوك في دراسته الحضارية المقارنة والذي اشتمل على ٢٥٠ جماعة حضارية موزعة في انحاء متفرقة من العالم • ولعل الاجراءات المنهجية التي اجتهـد بوضعها هـذا العالم في مشـروعه(٨٠) الطموح المسـمى Human Relations Area Files هي عامل آخر يذلل الكثير من عقبات الدراسة الاثنولوجية المقرانة سواء كان هدفها تحديد ظواهر حيـاة الانسـان النفسية أم الحضـارية •

(٨٠) ان هذا المشروع يتألف من مجموعة كبيرة من « الفايلات » التى يخص كل منها مجتمعا او جماعة حضارية معينة • ويضم الفايل الواحد كلما يصل مركز المشروع من الابحاث الاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية والاقتصاديـة المكتوبة عن الجماعة التابع لها • فهنالك مثلا فايل عن العراق يضم عشرات الكتب المختلفة المكتوبة عنه وهى مخزونة فى خزانات مرقمة ومكتوب عليها اسم العراق • وكل قطر او جماعة لها خزاناتها المدونة عليها اسـماؤها • وفى امريكا اكثر من ١٦ جامعة تملك كل منها مشروعا كهذا وهى تتسلم مراجع فايلاتها من المركز بجامعة ييل •

مراجـــع البحث

1. Ralph Beals & Harry Hoijer, **An Introduction to Anthropology.** The Macmillan Co., New York. 1956.
2. Ruth F. Benedict, **Patterns of Culture.** A Mentor Book, New York, 1934.
3. David Bidney, "Towards a Psychocultural Definition of the Concept of Personality". (in) S.T. Sargent & M.W. Smith (eds.) Culture and Personality. New York. 1949.
4. Franz Boas, **The Mind of Primitive Man.** The Macmillan Co., New York, 1938.
5. J.A.C. Brown, **Freud and the Post-Freudians.** Penguin Books, London, 1963.
6. SigmundFreud, Totem and Taboo. Random House, New York, 1946.
7. John J. Honigman, **Culture and Personality.** Harper & Brothers, New York, 1954.
8. Abram Kardiner, "Psychodynamics and the Social Sciences". In **Culture and Personality.** (eds.) S.S. Sargent & M.W. Smith, Viking Fund Inc., New York, 1949.
9. Abram Kardiner, **Psychological Frontiers of Society.** New York,
10. Otto Klineberg, Social Psychology. Henry Holt & Co., New York, 1940.
11. Clyde Kluckhohn, "Universal Categories of Culture". In **Anthropology Today.** (ed.) A.L. Kroeber, Chicago, University of Chicago Press, 1953.
12. A. Kroeber, **Anthropology.** Harcourt, New York, 1949.
13. Clyde Kluckhohn, **Culture and Behavior.** The Free Press, New York, 1962.
14. Robert Lowie, **The History of Ethnological Theory.** Rinehart & Co. Inc., New York, 1937.
15. Robert Lowie, **Culture and Ethonology.** New York, 1917.
16. Bronislaw Malinowski, **A Scientific Theory of Culture.** A Galaxy Book, New York, 1949.
17. Bronislaw Malinowski, **Sex and Repression in Savage Society.** Meridian Books, New York, 1955.
18. Margaret Mead, **Coming of Age in Somoa.** William Morrow & Co. New York, 1928.
19. Margaret Mead, **Growing Up in New Guinea.** William Morrow & Co., New York, 1930.
20. Margaret Mead, **New Lives for Old.** William Morrow & Co., New York, 1956.

21. Margaret Mead, & R. Metraux (eds.) The Study of Culture at a Distance. Chicago, 1953.
22. J. Peter Murdock, **Social Structure.** The Macmillan Co., New York, 1947.
23. J. Peter Murdock, "The Common Denominator of Cultures". In Ralph Linton (ed.) **The Science of Man in the World Crisis.** New York. 1945.
24. Gardner Murphy, **Personality : A Biosocial Approach to Origins and Structure.** Harper & Brothers, New York, 1947.
25. S.F. Nadel, **The Foundations of Social Anthropology.** The Free Press, Illionois, 1952.
26. Kenneth Oakley, "A Definition of Man". Science News, 20 Penguin Books, 1951.
27. Paul Radin, **Primitive Man As Philosopher.** Dover Inc., New York, 1957.
28. A.R. Radcliffe-Brown. "Taboo". In W.A. Lessa & E.Z: Vogt (eds.) **Reader in Comparative Religion.** Row & Peterson & Co., New York, 1958.
29. A.R. Radcliffe-Brown. **The Andaman Islanders.** Second Ed., Cambridge, 1933.
30. E. Sapir, "Culture, Genuine and Spurious". **In Culture, Language and Personality,** Selected Essays, (ed.) David G. Mandelbaum, Berkeley, 1958.
31. E. Sapir "Cultural Anthropology and Psychiatry". In **Culture, Language and Personality.**
32. E. Sapir "The Emergence of the Concept of Personality in a Study of Culture". **Culture, Language and Personality.** Selected Essays.
33. Julian Steward, **Theory of Culture Change.** Urbana, University of Illinois Press, 1955.
34. David Riesman, **The Lonely Crowd.** New Haven, Yale University Press, 1950.
35. Paul Radin, The Method and Theory of Ethnology. McGrow-Hill, 1933.
36. W.H. Rivers, **The Todas.** London : Macmillan and Co., 1906.
37. W.H. Rivers, **The History of Melanesian Society.** Cambridge, 1914.
38. Anthony F.C. Wallace, **Culture and Personality.** Randon House, New York, 1961.

شعر ربيعة بن مقروم الضبي

جمعه وحققه
الدكتور نوري حمودي القيسي

حيـــاته

هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غيظ[1] بن أسيد[2] بن مالك بن بكر بن سعد بن حنبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار الضبي ، شاعر مخضرم ، اسلم ، وحسن اسلامه[3] ، وكان ممن أصفق عليه كسرى ، وعاش في الاسلام زماناً شهد القادسية وجلولاء[4] وغيرهمـا من الفتوح[5] . وهو من شعراء مضر المعدودين[6] ذكره دعبل في طبقات الشعراء ، وقال : مخضرم حبسه كسرى بالمشـقر ثم أدرك القـادسية وأنشـد له في ذلك شعراً [7] .

وذكره ابن حجر في قسم المخضرمين من « الاصابة » ، ونقل عن المرزباني انه قال : كان ربيعة أحد شعراء مضر في الجاهلية والاسلام ، أسلم وشهد القادسية وغيرها من الفتـوح وعاش مائـة سنة[8] وزاد بعض المؤرخين على ذلك ، وهـو القـائل :

ولقـد اتت مائـة عليّ اعـدّها   حولاً فحولاً ان بلاها مُبتلِ

ومن اخباره التي تحدثنا بها كتب الادب انـه أُسر ، واستيق ماله فخلصه مسعود بن سالم بن ابي ليلى بن ربيعة فقال ربيعة فيه شعراً [انظر القطعة الثامنة والتاسعة] ، وتسكت عن ذكره الكتبِ الا عن اخبارٍ قصيرةٍ تَقدَمَ بها بعض

---

(١) تغفل بعض المصادر هذا الجد .

(٢) يروى نسبه مـع اختـلاف فى الاسماء فى مختار الاغاني ٤/٦٣ والعيني ٣/٢٢٩ وشرح شواهد المغني للسيوطي/٤٦٧ والخزانة ٣/٥٦٦ .

(٣) الاصابة ١/٥١١ .

(٤) انظر الشعر والشعراء/٢٣٦ والخزانة ٣/٥٦٦ .

(٥) الاصابة ١/٥١١ وشرح شواهد العيني/٤٦٧ .

(٦) الشعر والشعراء/٢٣٦ .

(٧) الاصابة ١/٥١١ .

(٨) الخزانة ٣/٥٦٦ .

الابيات أو المقطعات أو القصائد ، يقف امامها الباحث وقفة الحائر التائه ، الذي يرى هذا الشاعر المخضرم ، ويرى هذا الشعر المتكامل ، ولكنه لا يجد من اخبار الشاعر وشعره ما يلم أشتات هذه القصائد ، ويجمع شمل ما انفرط من عقد حياته • فهي قصائد متناثرة ، وأبيات متفرقة ، واخبار مكررة ، تفتقر الى الربط ويبدو في تضاعيفها التفكك • ولم نجد ما نستعين به على ملء هذه الفجوات من حياته الا النصوص الشعرية التي تكشف بعض جوانب هذه الحياة ، فالشاعر يتحدث عن ايام قومه في الجاهلية ، ويسجل هذه الايام ، ويذكر القبائل التي نكلت بها قبيلته ، ويعدد الرجال الذين كان لقومه شرف قتلهم ، وهو لا يبغي من وراء ذلك الا تذكير الاجيال بهذه المفاخر ، فيقول :

بنو الحرب يوماً اذا استلأموا — حَسِبتَهُمُ في الحديد القُروما
فدىً بِبُزاخةَ أهلي لهم — اذا مَلأوا بالجُمُوع الحزيما
واذْ لقيت عامر بالنسا — رِ منهُم وطِخْفَةَ يوماً غشوما
به شاطروا الحي اموالهم — هوازنَ ذا وفرها والعديما
وساقت لنا مذجح بالكُلاب — مواليها كلها والصَّميما
فدارت رحانا بفُرسانهم — فعادوا كأن لم يكونوا رميما
بطعن يجيش له عاندٌ — وضربٍ يُفلّقُ هاماً جُثوما
واضحت بتيمن اجسادهم — يُشبهها من رآها الهشيما
تركنا عمارة بين الرماح — عُمارة عَبْس نزيفاً كليما
ولولا فوارسنا ما دعت — بذات السُليم تميمٌ تميما
وما ان لأَوتُبها أن أُعُدَّ — مآثر قومي ولا أنْ ألوما
ولكنْ أُذَكِّرُ الآءَنا — حديثاً وما كان منّا قديما

وانظر الابيات [٢١ ـ ٢٥] من القطعة [٤]

وهو يفخر بأمجاده وامجاد قومه ، ويعدد بطولاتهم ، ويشيد بمآثرهم ، وطبيعي أن يكون الكرم وقت الشدائد من اولى الصفات التي يتفاخر بها :

ومَوْلىً على ضنكِ المقام نَصَرته — اذا النكس اكبى زنده فتذبذبا
واضياف ليل في شمالِ عَريّةٍ — قَريتُ من الكوم السديف المُرعَّبا

ويقول في مكان آخر :

وقومي فـإن انت كذبتني — بقولي فأسأل بقـومي عليما
أليسوا الـذين اذا ازمـة — ألحت على الناس تنسى الحلوما
يهينـون في الحـق اموالهـم — اذا اللـزبات التحـين المسـيما

وقد تحدث ربيعة عن صنيعه في حرب القادسية ، وبلائه فيها وقـد نعتهـا بمعركة « الفيول » لاشتراك الفيلة في هذه المعركة ويبدو أن القصيدة نظمت على مراحل ، لأن الشاعر في بعض أبياتها يفخر باقتحامه حوانيت الخمارين فيقول :

وشهدت معـركة الفيول وحولهـا — ابنـاء فارس بَيْضُهـا كالاعبـل
متسربلي حلق الحـديد كأنهـم — جُرْبٌ مقـارفة عنيّـة مهمـل

ثم يقـول :

فاتيت حانـوتاً بـه فصبحتـه — من عانق بمراحهـا لـم تقتـل
صهباء صافية القـذى اغلى بها — يسر كريم الخيـم غـير مبخل

وفي شعره اشارة الى انه زار ابنية الملوك ودخل عليهم لأنه يذكر ذلك في شعره فيقول :

ودخلت ابنيـة الملوك عليهم — ولشرّ قول المرء ما لم يفعل

وقد تجلّى ايمانه بالله ، واعتقاده بالقـدر ، وسخريته من سوانح الطـير بقـوله :

أصبحَ رَبّي في الامر يُرشدني — اذا نويتُ المسيرَ والطّلبـا
لا سـانح من سـوانح الطـير يثنينـي ولا نـاعب اذا نَعَبـا

شـعره

يُعد شعر ربيعة الوثيقة الوحيدة التي تفسر لنا أحداث حيـاته ، وتوضح جوانبها ، وتكشف عن اتجاهاته الشعرية وطريقته التي كان يسلكها في نظمـه ، ولأن كتب الادب لا تذكر من أخباره الا ما يتعلق بنسبه وبعض الاخبار المتفرقة الاخرى التي لا يستطيع الدارس أن يخرج منها بنتيجة .

ان ربيعة يقف عند اطلال أحبته موقفاً تقليدياً يذكر العهد والايام ، فتهيج الذكرى ، وتفيض الدموع سجوما . (القطعة ١٥) ولكن الاطلال عنده باقيـة لا تذهب والآثار شاخصة لا تزول بالرغم من تقادم العهد وتقلب الازمان ، وهـو مع ذلك يحدد المدة التي أتت على الرسم وهو تقليد تعاور ذكره الشعراء . وربيعة شاعر تقليدي حتى في الانتقال من الوقوف على الطلل [القطعة/١٥ البيت/٦] الى وصف ناقته ، وهو يجري في اوصاف هذه الناقة مجـرى القدامى ، لأنه ينعتهـا بالادماء ، والعيرانة ، والعذافرة ، وكناز البضع ، وجمالية . ثم ينتقل الى تشبيهها بالشتيم كما يشبه الاعشى ولبيد واحليتهما . وتكاد تكون صورته التي يذكر فيها حمار الوحش واتنه ، وما يصادفهما من متاعب وما يتعرضان له من مخاطر ، حتى تغيم العيون من الرهبة فيسترهما الليل وما يتفرع من هذه الاوصاف ، وما يتابعها من مشاهد ، هذه الصور تكاد تكون الواحاً فنية تلوح فيها آثار الاعشى ولبيد .

اما مطالع قصائده فهو يفتتح بعضها بالغزل ، جرياً على العـادة ، ويتحدث فيها عن صرم خليلته [انظر القطعة ٤ ، ٨] وعزوفها عنه لعلو سنه ، ثم يفخـر بأنه في كبره قد راجع حلمه ، وظل شديد الوفاء ، قوي المجـازاة ، راعياً لأمـر قومه ، مساعداً للمحتاج ، وفخـر بكرمه ، ثم وصف الكتيبـة ، وصموده فيهـا ، وكيف يقارع خصمه بالحجة ، وفخر بوروده المياه الموحشة آخر الليل . وهو في كل ما تقـدم يسلك الطـريق الذي سـلكه القـدامى والتـزم بالتقليـد الفني للقصيدة العربية .

وربيعة شاعر امين على نقل تشبيهاته ، فهو يستمد صور المشبه به من بيئتـه التي يعيش فيها دون مبالغة أو مغالاة ، فسعاد كأنها ظبية بكر ، وهي تريك منسدلاً تخاله فوق متنيها العناقيدا .

اما النساء فقد جمع في شعره اسماء مجموعة منهن افتتح بها بعض قصائده ، فذكر رسوم هند وبعاد سعاد ، وذكرى زينب ، وهو تقليد آخـر جـرى عليـه الشعراء . وقد صم ربيعة صوراً كثيرة للحيوان ، وحشيه واليفه ، فذكر الفيـل والثور الوحشي والاتان والذئب والضباع والقطا والقطامي والاجدل والديك ، واستخدم ضروباً من الطباق والجناس والاستعارة والمجاز تحملنا على الاعتقاد بأن

الشاعر كان يميل الى الصنعة في نظمه ، وكان الى جانب ذلك يميل الى استعمال الاصوات والصور والالوان ، لتوضيح الصور ، وتجسيد التشبيهات • فالناقة تراها كتوما ، والاتن خزر العيون ، وهي تأنس الوحف البهيم ، والاقواس تعزف عزفا نئيما ، والمياه خضراء كلون السماء لصفائها ، ولون الليل داج ، والعداوة تغـلي كالمرجـل •

ويقف ربيعـة في صف الشعراء الفرسان في أوصاف الخيل ، لأنـه أدرك قيمتها ، وعرف أهميتها ، فوصفها وصفا دقيقا ، ورفعها الى مصاف البشر ، تقديراً لها ، واعترافا بفضلها • ولا يكاد ربيعـة يخرج عن أوزان الشعر التي نظم فيهـا الشعراء المعاصرون ، فقـد شغل (البسيط) خمس قطع بين قصيدة ومقطعة من شعره ، وكذلك (الوافر) ، اما (الكامل) فكانت حصته ثلاثا ، ومثله (الطويل) وكان نصيب (المتقارب) قطعتين ، ونصيب (المديد) و (السريع) و (المنسرح) قطعة واحدة • وهي بحور نظم فيها الشعراء ولم نجد فيها ظاهرة غريبة •

ويجمع مؤرخو الادب على انـه كان أحـد شعراء مضر المعـدودين في الجاهلية[٩] ، وذكره دعبل في طبقات الشعراء[١٠] وقال حماد الراوية : دخلت على الوليد بن يزيد ، وهو مصطبح وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة ، وحكم الوادي وعمر الوادي يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه لم أرَ مثلها ، تمـاماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لي الوليد : يا حماد ، اني أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن يُوافق قوله صفتها ، فما أتى أحد منهم بشيء ، فانشدني انت ما يُوافق صفتها ، وهي لك ، فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبي :

دار لسعـدى ِ اذ سـعاد كأنهـا رشأ غرير الطرف رخص المفصل

فقال لي الوليد : أصبت ، وعلق صاحب الاغاني بعد ذلك بقوله : وهـذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه[١١] •

---

(٩) انظر الشعر والشعراء/٢٣٦ والاصابة ١/٥١١ •
والخزانة ٣/٥٦٦ وشرح شواهد المغني للسيوطي/٤٦٧ •
(١٠) الاصابة ١/٥١١ •
(١١) الاغاني ١٩/٩٢ •

وتسكت كتب الادب عن خصائص شعر هذا الشاعر ، وربما وردت بعض العبارات القليلة تعقيبا على بيت أو بيتين أو حادثة من الحوادث يذكر فيها بعض شعره ، ولكنها لم تكن احكاما قاطعة أو آراء نقدية متكاملة .

ديوانه

من الظواهر الغريبة التي تصادفنا في اخبار هذا الشاعر ـ شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء ـ ان المصادر الاولية تغفل ذكر ديوانه ، ولكننا نجده يظهر في عداد المظان التي اعتمدها العيني في المقاصد النحوية في القرن التاسع . ولم نجد بعد ذلك ذكراً له ، وهذا ما حملني على جمع شعره ، ولا يمكن أن يكون هذا المجموع هو كل ما قاله ربيعة بن مقروم ، فثمة من الشواهد ما يشير الى ضياع بعض شعره . وقد تيسر لي أن أجمع القصائد الآتية :

القوافي	عدد الابيات	عدد القصائد
الباء	٤٩	٦
الدال	١٤	١
الراء	٢	١
العين	٣١	١
اللام	٦١	٧
الميم	٤٥	١
النون	٧	٣
	٢٠٩	٢٠

وهي كما تظهر قصائد قليلة ، لا يمكن ان تكون كل ما قاله الشاعر .

طريقتي في التحقيق :

١ ـ اعتمدت المصادر القديمة في جمع الشعر ، واعتمدتها في تثبيت النصوص .

٢ ـ رتبت القصائد حسب القوافي ، وقدمت المضمومة واتبعتها بالمنصوبة ، فالمجرورة .

٣ ـ حاولت تثبيت المناسبة ان وجدت لأنها توضح بعض جوانب القصيدة .

٤ ـ رتبت المصادر التي وجدت فيها الابيات ترتيباً زمنياً وجعلت الاسبقية للمصادر التي وردت فيها الابيات المتقدمة .

٥ ـ اعتمدت في شرح بعض الألفاظ على المعاجم اللغوية وحاولت ان أثبت الشروح القديمة ، ان وجدت ، اما بالنسبة للقصائد المذكورة في المفضليات ، فقد اعتمدت شروحها المذكورة هناك .

٦ ـ حاولت أن انتفع من الهوامش في تصحيح بعض الابيات ، وقد أشرت الى ذلك في المواضع المصححة .

٧ ـ عملت ملحقاً بالكتاب خصص لتخريج القصائد والابيات ولا أدعي انني قد استكملت مصادر التخريج لأن ذلك بعيد المنـــال ، ولا يقدر عليه البشر . ولكنني حاولت جهدي تدوين ما وقع في يدي من المصادر ، وآمل أن يكمل عملي من تتهيأ له فرص" احسن .

٨ ـ جعلت لكل قصيدة أو مقطعة رقماً ، ولكل بيت رقمـين ، رقماً لتثبيت الاختلاف ، ورقما لشروح الالفاظ الصعبة وقد ذكرت وزن كل قصيدة .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت لهـذا العمـل وقدمت للتراث العربي اضمامة من الشعر ، تكشف بعض جوانبه وتمنح الدارسين دراسة موجزة لشاعر مغمور ، والله الموفق .

بغداد الجمعة ٢١ رمضـان ١٣٨٧

٢٢ كانون الاول ١٩٦٧

[١]

[من الطويل]

قال المخبل الضبي ربيعة بن مقروم :

١ ـ وإنّي حنىٰ ظهري خطوبٌ تتابعت
فمشيي ضعيفٌ في الرجال دبيبُ

٢ ـ إذا قال صحبي يا ربيعُ ألا ترى
أرى الشخصَ كالشخصين وهو قريبُ

[٢]

[من الطويل]

١ ـ وللموتُ خيرٌ من تخشّعِ ذي الحجى
لذي منّةٍ يزورُّ للّؤم جانبُه

٢ ـ له كلُّ يومٍ نزحةٌ وغضاضةٌ
إذا ما انزوى أنفُ اللئيم وحاجبُه

[٣]

[من المديد]

١ ـ إن عاماً صِرتَ فيه أميراً
يخبطُ الناسَ لعامٌ عجابُ

٢ ـ سادَ عبّادٌ وملّكَ جيشاً
سبّحت من ذاك صُمٌّ صِلابُ

[٤]

[من الطويل]

١ ـ تذكرتُ والذكرى تَهيجُكَ زَيْنَبَا
وأصبحَ باقي وَصْلِهَا قد تَقَضَّبا[١]

٢ ـ وحَلَّ بِفَلْجٍ فالأَباتِرِ أهْلُنَا
وشَطَّتْ فَحَلَّتْ غَمْرَةَ فَمُثْقبَّا[٢]

٣ ـ فامَّا تَرَيْني قد تركتُ لجاجتي
وأصبحتُ مُبْيَضَّ العِذَارينِ أشيبا[٣]

٤ ـ وطاوَعتُ أمرَ العاذلاتِ وقد أُرى
عليهنَّ أبّاءَ القرينةِ مِشْغَبا[٤]

٥ ـ فيارُبَّ خَصْمٍ قد كَفَيتُ دفاعَهُ
وقَوَّمتُ منه دَرْأَهُ فتَنَكَّبا[٥]

---

(١) تقضب : تقطع •

(٢) شطت : بعدت • فلج والاباتر وغمرة ومثقب : مواضع •

(٣) اللجاجة : أن لا يلتفت الى لوم لائم ولا عذل عاذل وأن يقيم على ما هو عليه • يقول : تركت لجاجتي لشيبي •

(٤) ابّاء : فعّال من الاباء • القرينة : النفس • مشغب : شديد الشغب • يقول : كنت أباء عليهن أن أقبل عذلهن ، فلما شبت اطعتهن •

(٥) دفاعه : مدافعته • الدرء : الميل من تدارأ القوم في الأمر : تدافعوا واختلفوا • تنكب : عدل عما كان فيه • يقول : اما تريني تركت لجاجتي فيارب خصم قد كفيت مدافعته •

---

(٥) فى كتاب المقاصد النحوية على هامش الخزانة ٣/٢٢٩ .. قد كننت دفاعه وهو تصحيف •

٦ - ومَـوْلىً على ضَنْكِ المَقَـامَ نصَرتُـهُ
اذا النكْسُ أكبَى زَنْدَهُ فتَذبذَبَا(٦)
٧ - وأَضيافِ ليْـلٍ في شَمَالٍ عَرِيَّـةٍ
قَرَيْتُ من الكُوم السَّديف المُرَعَّبَا(٧)
٨ - ووارِدَةٍ كأنهـا عُصَبُ القَطَـا
تُثيرُ عَجَاجاً بالسَّنابك أَصْهَبَا(٨)
٩ - وزَعْتُ بِمثلِ السيد نَهْدٍ مُقَلَّصٍ
كميشٍ اذا عِطْفَاهُ ماءً تَحَلَّبَا(٩)

---

(٦) المولى : أراد به الولي • الضنك : الضيق : أي نصرته على ضيق من الامر وشده حتى دفعت عنه الظلم • النكس ، بكسر النون : الرديء من الرجال• اكبى زنده : لم يأت بشيء كما يكبو الزند اذا لم تكن فيه نار •

(٧) العرية : البـاردة • الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السنام • السديف : شحم السنام • المرعب : المقطع وقيل أخذ من الترعيب وهو قطع السنام •

(٨) الواردة : قطع من الخيل • عصب القطا : جماعاتها • شبه بها الخيل في سرعتها • اصهب : يعني الغبار في لونه والسنابك ، جمع سُنبك بالضم وهو طرف مقدم الحافر •

(٩) وزعت : كففت • السيد : الذئب ، شبه فرسه به في السرعة • النهد : الضخم ، المقلص : الطويل القوائم • الكميش : الجاد في عدوه المنكمش المسرع • عطفاه : جانباه • تحلب : سال •

---

(٦) في المصدر نفسه .... وتذبذبا •
(٧) في المصدر نفسه .. واضياف ليل من نهار شملة •
(٩) في الشعر والشعراء/٢٣٦ ... نهد مقلص • جهيز اذا عطفاه ...

١٠- وأَسمَرَ خَطِّيٍّ كأنَّ سِنانَهُ
شِهابُ غضاً شَيَّعتُه فتلهبّا[١٠]

١١- وفتيانِ صِدْقٍ قد صَبَحْتُ سُلافةً
اذا الدِّيكُ في جَوْشٍ من اللّيل طرَّبا[١١]

١٢- سُخاميّةً صَهْباءَ صِرْفاً وتارةً
تَعَاوَرُ أيديهم شِواءً مُضَهَّبا[١٢]

١٣- ومَشْجُوجةً بالماء يَنزُو حَبابُها
اذا المُسْمِعُ الغِرِّيدُ منها تَحَبَّبا[١٣]

١٤- وسَرْبٍ اذا غصَّ الجَبَانُ بريقه
حميتُ اذا الدّاعي الى الرّوع ثَوَّبا[١٤]

---

(١٠) أراد بالاسمر الرمح • الخطي • منسوب الى الخط ، موضع بالبحرين • الشهاب : النار في رأس العود • شيعته : اعنته •

(١١) صبحت : سقيتهم الصبوح : السلافة : خالص الشراب وأوله جوش من الليل : قطعة من آخره •

(١٢) السخامية : السهلة اللينة السلسة : اراد الخمر • الصهباء : التي تقرب الى البياض لعتقها • المضهب : الملهوج ، وهو الذي لم ينضج •

(١٣) المشجوجة : المزوجة ، يصف خمراً ، ينزو : يرتفع • تحبب : رَوِيَ ، يقال شرب حتى تحبب اذا امتلأ رِيّاً •

(١٤) السَرب بالفتح : القطيع من الابل ، وبالكسر : الجماعة من النساء • ثوّب : استغاث مرة بعد أخرى •

---

(١٠) في المقاصد النحوية ٣/٢٢٩ (وشرح شواهد المغني/٢٩١) •
(١١) في أساس البلاغة/١٤٨ • اذا الديك في جوف ••
(١٣) في أساس البلاغة/١٤٨ •• ومسحوطة بالماء •••

١٥- ومَرْبأةٍ أوفيتُ جُنْحَ أصيلةٍ
عليها كما أوفى القُطاميُّ مَرْقَبَا[(١٥)]

١٦- ربيئةَ جيشٍ أو ربيئةَ مِقْنَبٍ
اذا لم يَقُدْ وَغْلٌ من القوم مِقْنَبَا[(١٦)]

١٧- فلما انجلى عنّي الظلامُ دَفَعتُها
يُشَبِّهُها الرائي سراحينَ لُغَّبَا[(١٧)]

١٨- اذا ما علَتْ حَزْناً بَرَتْ صَهَواتِه
وان أسهلَتْ أذرت غُباراً مُطَنَّبَا[(١٨)]

١٩- فما انصرفَتْ حتى افاءَتْ رماحُهُم
لأعدائهم في الحرب سَمّاً مُقَشَّبَا[(١٩)]

---

(١٥) المربأة : الجبل يربأ عليه الربيئة وهو الطليعة • اوفيت : علوت واشرفت • الاصيلة : العشية ، جنحها : ميلها وتوليها نحو الغروب • القطامي : الصقر يقول : كنت في نظري وحدتي وذكائي فيه كالصقر في نظره الصيد •

(١٦) المقنب : أقل من الجيش ، أي كنت ربيئة في هذا الموضع لجيش أو لمقنب • الوغل من الرجال : الذي لا خير فيه ولا دفع عنده •

(١٧) اللغب : المتعبة من اللغوب ، أي لما انجلى الظلام ارسلت هذه الخيل في الغارة •

(١٨) الصهوات ، جمع صهوة وهو أعلى المتن من الانسان ، جعلها من الارض تشبيهاً ، وبرتها : يعني بحوافرها • أذرت : اثارت • مطنب : كأن للغبار اطناباً وهي الحبال تشد بها بيوت العرب الى الاوتاد •

(١٩) افاءت : ردت وأرجعت • المقشب : المخلوط •

---

(١٥) في محاضرات الراغب ٣/١٩٢ ... كما اومى القطامي •

(١٦) في محاضرات الراغب ٣/١٩٢ ... ربيبة جيش أو ربيبة .. اذا لم يقد وغد •

(١٧) في الشعر والشعراء/٢٣٧ عنى الظلام رفعتها •

(١٩) في محاضرات الراغب ٣/١٥٥ .. واني لمن قوم تكون رماحهم .. لاعدائهم ...

٢٠- مَغَـاوِيرُ لا تَنْمي طَـرِيدةُ خَيْلهمْ
اذا أوْهَلَ الذُعْرُ الجبـانَ المُركبَّـا(٢٠)

٢١- و نحن سَقَينـا مـن فَـريرٍ وبُحتُـرٍ
بكُلّ يَـدٍ منّـا سِنانا وثعْلَبَا(٢١)

٢٢- ومَعْنٍ ومـن حَيّيْ جَـديلة غـادرتْ
عَميرَةَ والصّلَخم يكبُـو مُلَحّبَـا(٢٢)

٢٣- ويومَ جُـرادَ استلَحَمتْ أَسلاتُنا
يَزيدَ ولـم يَمرُر لنـا قَرْنُ أعضَبا(٢٣)

٢٤- وقَـاظَ ابنُ حِصْنٍ عانيـاً في بيوتنـا
يُعالِجُ قِـدّاً في ذراعَيْـه مُصْحَبـا(٢٤)

٢٥- وفـارسَ مَـردُودٍ أشاطت رماحُنـا
وأجـزَرْنَ مَسعُوداً ضبـاعاً وأذؤبا(٢٥)

---

(٢٠) المغاوير : جمع مغوار وهو كثير الغارات • لا تنمي : لا تنجو • الطريدة : ما طرد من ابل الناس • يقول : اذا طردوا ابلا لم تستنقذ منهم • أوهل : افزع • المركب : الذي يستعير فرساً ليغزو عليه فيكون له نصف الغنيمة•

(٢١) و (٢٢) الثعلب : ما دخل من طرف الرمح في السنان • أراد أنهم سقوا هذه القبائل كأس المنية برماحهم • يكبو : ينكب على وجهه • الملحب : من قولهم لحبه أي ضربه بالسيف أو جرحه ، فرير وبحتر ومعن وجديلة وعميرة والصلخد هؤلاء كلهم من طيء •

(٢٣) جراد : موضع كان فيه يوم من ايامهم • استلحمت : جعلته لحماً • الاسلات : القنا ، الواحدة أسلة • الاعضب من الظباء : المكسور أحد القرنين والعرب تتشاءم منه •

(٢٤) قاظ : أقام القيظ كله • العاني : الاسير • القد : السير من الجلد • وقدّ مصحب : عليه صوفه أو شعره أو وبره •

(٢٥) مردود : اسم فرس ، فارسها زياد الغساني اخو محرق بن الحرث بن مزيقيا وله قصة • اشاطت رماحنا : عرضته للقتل • أذؤب : جمع ذئب • اجزرن : جعلته جزراً للضباع والذئاب •

[٥]

[من الوافر]

١ ـ أخـوكَ اخـوكَ من يَدْنو وتَرجُـو
مَودَّتَـهُ وإن دُعِـيَ استجابَا[1]

٢ ـ اذا حارَبْت حـاربَ مَنْ تُعـادي
وزادَ سِـلاَحُـه منـك اقتِـرابا

٣ ـ يُواسـي في الكريهـةِ كُلَّ يـومٍ
اذا مـا مُضْلِـعُ الحـدثانِ نابا[2]

٤ ـ وكنتُ اذا قريني جاذَبَتْـهُ
حِبَالي مـاتَ أو تَبِـعَ الجِـذَابا[3]

---

(١) قوله اخوك مبتدأ ، وكرّره على وجـه التأكيـد ، وقيل وان شئت جعلت الثاني خبراً عن الاول .. ثم أبدل من يدنو وترجـو مودته من اخـوك الثاني ، وبالنسبة للاعـراب الاول يكون « من يدنو » في موضع الخبـر ومعنى البيت واضح .

(٢) حمل مُضلِع : مثقل للاضلاع .

(٣) جعل الشاعر الجذاب للحبال على المجاز . ومعنى البيت : اذا جاذبني قرين لي حبلاً بيني وبينه فاما أن ينقطع دون شأوي في الجذاب فيهلك ، واما أن يتبع صاغراً فينقاد .

---

(١) في حماسة البحتري/٩٢ . من يدنو فتدنو .
وفي جامع الشواهد ٢/١٤١ . وفي مجموعة المعاني/٦١ .. من تدنو ...

(٣) زيادة من حماسة البحتري/٩٢ وشرح نهج البلاغة ١/٢٦٤ .
ومجموعة المعاني/٦١ وروايته في مجموعة المعاني يواسي في كريهته ويدنو اذا ما ضالع الحدثان نابا ..

٥ - فإن أهلِكْ فـذي حَنَقٍ لَظَـاهُ
عَلَـيَّ يكادُ يلتهبُ التهـابا[٤]

٦ - مَخَضْتُ بِدَلـوِهِ حتى تَحَسَّى
ذَنُوبَ الشـرِّ مِـلأى أو قِـرَابا[٥]

٧ - بمثلي فاشْهَدِ النَّجوى وعَالِـنْ
بـيَ الأعـداءَ والقـومَ الغضـابا[٦]

---

(٤) يقول : إن أمت فرُبَّ رجل ذي غيظٍ وغضب تكاد نار عداوته تتوقد توقّداً انا فعلت به كذا . وقوله « لظاه » في موضع المبتدأ ، ويكاد يلتهب في موضع الخبر والجملة في موضع الصفة لذي حَنَق وانجرَّ ذي حنق باضمار رُبَّ .

(٥) يقول : ربَّ انسان هكذا ، انا حركت بدلوه التي ادلاها في الامر الذي خضنا فيه حتى ملأتها . وجعل الدلو كناية عن السبب الذي جاذبه فيه والطمع الذي جرأه عليه ، قال : فتحسَّ دلو الشرَّ مملوءة أو قريبة من الامتلاء .

(٦) أي جاهر بمثلي الاعداء وكاشفهم ليكفوا عنك فمثلي يصلح لدفع المكاره وكشف النوائب .

---

(٥) في أمالي ابن الشجري ١٤٣/١ وفي جامع الشواهد ١٤١/٢ .. تكاد علي تلتهب .

وفي مخطوط دار الكتب [مجموعة من شعر العرب والمولدين] على تكاد تلتهب .

وفي شرح شواهد المغني/٤٦٦ .. فذي لهب لظاه ..

٨ ـ فـان الموْعِـدِيَّ يرونَ دونـي
أُسـودَ خفيّةَ الغُلْبَ الرِّقابا[٧]

٩ ـ كأنَّ على سواعدِهِـنَّ وَرْسـاً
عَلالونَ الأشاجع أو خضـابا[٨]

١٠ـ كأنَّ هويَّها لمـا اشْمَعَلّت
هُـويُّ الطـير تَبْتَـدر الأيـابـا[٩]

---

(٧) الموعـدي : الذي يوعدونه ، ويريد الشاعر بالغلب الرقابا ، الغلب رقابا ، وانتصابه على التشبيه بالضارب الرجل • وخفية : مأسدة •

(٨) أي كان على سواعد هذه الاسود الورس أو الخضاب من كثـــرة ما افترست الفرائس والاشاجع ، عروق ظاهر الكف والواحد اشجع •

(٩) اشمعلت : انتشرت وقيل : مضت وتفرقت مرحاً ونشاطاً • والناقـة المشمعلة : السريعة وقيل الطويلة •



---

(٨) فى اللسان بيت لجرير عجزه يشبه عجز هذا البيت •
(١٠ الى ١١) زيادة من التاج واللسان [اشمعل] •

[٦]

[من المنسرح]

قال ربيعة بن مقروم :

١ ـ أصبحَ ربي في الأمر يُرشدُني ... اذا نَوَيْتُ المَسيرَ والطَّلبا

٢ ـ لا سانحٌ من سَوانح الطَّيرِ يُثنيني ولا ناعِبٌ اذا نَعَبا

[٧]

[من الكامل]

وقال ايضاً :

١ ـ ومَشَيْتُ باليد قبلَ رجليَ خطوُها ... رَسْفُ المُقيَّد تحت صُلب أحدبِ

٢ ـ فاذا رأيتُ الشخصَ قُلْتُ : ثلاثةٌ ... أو واحدٌ وأخالُهُ لم يَقْرَبِ

٣ ـ وقَضَى بنيَّ الأمرَ لم أشعُرْ به ... واذا شَهِدتُ اكونُ كالمتَغيّبِ

[٨]

قال ابو عمر وأسر ربيعة بن مقروم واستيق ماله فتخلصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد ، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله :

قال ربيعة بن مقروم :

[من البسيط]

١ ـ بانت سُعادُ فأمسى القلبُ مَعْمُودا
وأخْلَفَتْكَ ابنةُ الحُرِّ المواعيدا[١]

٢ ـ كأنَّها ظَبيةٌ بِكْرٌ أطاعَ لها
من حَوْمَلٍ تَلَعاتُ الجوِّ أو أُوُدا[٢]

٣ ـ قامَت تُريكَ غداةَ البينِ مُنْسدِلاً
تَخالُهُ فوقَ مَتْنَيْها العَناقيدا[٣]

٤ ـ وبارِداً طَيباً عَذْباً مُقَبَّلُهُ
مُخيَّفاً نَبْتُهُ بالظَّلْم مَشْهُوداً[٤]

٥ ـ وجَسْرةٍ حَرَجٍ تَدْمى مَناسِمُها
أعملتُها بيَ حتى تَقطعَ البيدا[٥]

---

(١) معمودا : من قولهم « عمده الحب » اضناه وأوجعه •

(٢) اطاع : كثر المرتع واتسع • التلعات : جمع تلعة بسكون اللام ، وهي من الاضداد ، تكون ما ارتفع وما انخفض ، حومل والجو وأود : مواضع •

(٣) منسدلا : يريد شعرها المسترسل •

(٤) وبارداً : عنى به ثغرها ، وكلما برد الثغر كان أطيب لريحه • المخيف : مثل المخلل ، أي قد خيف بالظلم ، والظلم ، بفتح الظاء : ماء الاسنان ، واذا صفت الاسنان ورقت كان لها ظلم • مشهوداً : كأن طعمه طعم الشهد •

(٥) الجسرة : المتجاسرة في سيرها ، أراد الناقة • الحرج : الطويلة على وجه الارض اعملتها : سرت عليها •

---

(١) في الاغاني ١٩/٩١ بان الخليط ••
وفي طراز المجالس/٥٨ •• واخلفتك ابنة الخير

(٣) في الاغاني ١٩/٩١ •• غداة الجو منسدلاً •• تجللت •••

(٤) في الاغاني ١٩/٩١ •• عذباً مذاقته شربته فرجاً بالظلم ••

(٥) في الاغاني ١٩/٩١ •• ومعرة أجد وهو تحريف
وفي مهذب الاغاني ٤/٦٣ وجسرة أجد ••

٦ - كَلَّفتُها ، فـرأتْ حقـاً تـكَـلُّفَـهُ
وَدِيقَـةً كأجيـجِ النّـارِ صيخودا[٦]

٧ - في مَهْمَـةٍ قَذَفٍ يَخشَى الهلاكُ به
أصداؤه ما تَنـي بالليـل تَغْـريدا[٧]

٨ - لمّا تَشَكَّتْ اليَّ الأينَ قُلتُ لهـا
لا تَستَريحينَ ما لم اَلْقَ مَسْعُودا[٨]

٩ - ما لم ألاقِ امـرأً جـزلاً مَواهِبُـهُ
سَهْلَ الفِنَاءِ رحيبَ البـاعِ محمودا[٩]

١٠- وقـد سَمِعْتُ بقـومٍ يُحمدُونَ فلم
أَسمعْ بمثلِكَ لا حِلماً ولا جُـودا

---

(٦) الوديقة : اشد الحر • الصيخود : الشديدة • أي كلفتها وديقة فرأت لنجابتها ما الزمتها حقاً عليها •

(٧) المهمة : القفر الذي لا ماء فيه ولا اعلام • القذف ، بفتحتين وبضمتين : البعيدة الاصداء : جمع (صدى) وهو الذكر من البوم • ما تنى : ما تقصر ، ومنه التواني •

(٨) الاين : الاعياء • ومسعود : اسم الممدوح •

(٩) جزل المواهب : كثير العطايا •

(١٠) السيد : هو ابن مالك بن بكر ، وهو الجد الاعلى للمادح والممدوح • وقيل السيد : قوم ربيعة بن مقروم ، يقول :
لا اخبرهم عنك باطلاً وانما امدحك بالحق •

---

(٦) في الاغاني والمهذب •• فرأت حتماً تكلفها ••• ظهيرة كأجيج ••
(٧) في الاغاني والمهذب •• اصداؤه لاتني •••
(٩) في الاغاني ١٩/٩١ ومهذب الاغاني ٤/٦٣ رحب الفناء كريم الفعل••
(١٠) في الاغاني ١٩/٩١ • اسمع بحلمك •• وفي الحماسة ١/١٧٥ •• بقوم يمدحون فلم ••
وفي طراز المجالس/٥٨ •• لا حلماً وجودا وهو خطأ •

١١- ولا عفـافاً ولا صَبْـراً لنـائبـة
وما أُنبِّيءُ عنـكَ الباطـلَ السيّدا[١٠]

١٢- لا حِلْمكَ الحِلْمُ موجُودٌ عليه ولا
يُلفى عطاؤكَ في الأقـوام منكُـودا[١١]

١٣- وقد سَبَقْتَ بغاياتِ الجيـاد وقد
أشْبَهْتَ آبـاءَك الصّيدَ الصناديـدا[١٢]

١٤- هذا ثَنَائي بما أوْلَيْتَ مـن حَسَن
لازِلْتَ عَوْضُ قريرَ العين محسودا[١٣]

---

(١١) لاحلمك الحلم : أي لم يطش حلمك فيوجد عليه • عطاء منكود : نزر قليل •

(١٢) الصيد : بكسر الصاد : جمع اصيد وهو الذي لا يكاد يلتفت من التكبر • الصناديد : الكرام •

(١٣) اراد يعوض الدهر وهو مبني على الضم ، يقول لازلت محسوداً ذا نعمة تحسد عليها •

---

(١١) في الاغاني ١٩/٩١ •• ولا اخبر عنك •
وفي مهذب الاغاني ٤/٦٣ وفي الخزانة ٤/٢٣٤ •• وما اخيّر عنك •
(١٢) في الاغاني ١٩/٩١ •• لا حلمك الحلمُ موجوداً •
(١٣) في الاغاني ١٩/٩١ وقد سبقت بغايات الجبان وقد •• اشبهت اباءك الشمّ •
وفي مهذب الاغاني ٤/٦٣ •• لغايات الجواد •• اباءَ الشم •
(١٤) في الاغاني •• لازلت براً قرير ••••
وعلق في الهامش : قوله براً يروى عوض بدله ••

[٩]

[من المتقارب]

وقال يمدحه ايضاً :

١ ـ كفاني ابو الاشوس المنكرات
كفاهُ الألهُ الذي يحذرُ

٢ ـ أعزُّ من السيِّد في منصبٍ
اليه العزازةُ والمفخرُ

[١٠]

[من الوافر]

١ ـ ألا صَرَمَتْ مودَّتكَ الروُاعُ
وجَدَّ البَيْنُ منها والوَداعُ(١)

٢ ـ وقالت : إنهُ شيخٌ كبيرٌ
فَلَجَّ بها ، ولم ترعِ ، أمتناعُ(٢)

٣ ـ فإمّا أمسِ قد راجعْتُ حِلْمي
ولاحَ عليَّ من شَيْبٍ قِناعُ

٤ ـ فقد أصِلُ الخليلَ وإن نآني
وغِبُّ عَداوَتي كَلأٌ جُداعُ(٣)

---

(١) الرواع : اسم امرأة .

(٢) لجّ : تمادى وابى أن ينصرف عن الشيء . لم ترع : لم تكف ، يقال ورع الرجل يرع رعة .

(٣) نآني : بعد عني ، غب عداوتي : عاقبتها . كلأ جداع : كلأ وخيم فيه الجدع لمن رعاه ، أي مرعى ثقيل غير مريء . والجدع ، بفتح الجيم وسكون الدال : أصله سوء الغذاء وقيل المجدع من النبات ، ما أكل اعلاه وبقي اسفله ، وكلا جُداع كأنه يجدع من ردائته ووخامته . وغب بمعنى بعد .

٥ ـ وأَحفَظُ بالمَغيبةِ أمرَ قومي
فلا يُسْدَى لديَّ ولا يُضَاعُ(٤)

٦ ـ ويَسْعَدُ بي الضَّريكُ اذا اعتراني
ويكرهُ جانبي البَطَلُ الشَّجَاعُ(٥)

٧ ـ ويأبَى الذَّمَّ لي أنّي كريم
وأنّ مَحلّي القَبَلُ اليَفَاعُ(٦)

٨ ـ وأني في بني بَكر بن سَعْد
اذا تَمَّتْ زَوَافرُهُمْ أُطاعُ(٧)

٩ ـ ومَلْمُومٍ جَوانِبُها رَدَاحٍ
تُزجَّى بالرّماحِ لها شُعَاعُ(٨)

١٠ ـ شَهدْتُ طِرادَها فصبرتُ فيها
اذا ما هَلّلَ النِكْسُ اليَراعُ(٩)

---

(٤) المغيبة : مصدر ميمي كالمغيب ، يقول : أحفظهم بالغيب واحوطهم لا يسدي : لا يهمل ولا يترك سدى • (٥) الضريك : المحتاج الضعيف •

(٦) وذاك ان الكرام ينزلون الروابي والآكام ، ويتوسطون الناس فى ايام الجدب ، وعند اشتمال القحط ، لكي تهتدي اليهم السابلة والمارة ، ويشترك في خيرهم الداني والقاصي • والقبَل ، بفتحتين ، ما استقبلك من الجبل • اليفاع : الموضع المرتفع •

(٧) الزوافر : الجماعات ، الواحدة زافرة •

(٨) عنى بالملموم جوانب الكتيبة ، أي لمت فجمعت • الرداح : الثقيلة الجرارة • تزجى : تساق وتدفع • شعاع : من كثرة بياض الحديد وصفائه •

(٩) هلل : جبن ورجع • النِكس بالكسر : الوغد من الرجال • اليراع : الذي لا جرأة له ولا صبر في الحرب ، شبه باليراعة ، وهي القصبة لتجوفها ، فهو خال لا قلب له •

---

(١٠) فى التاج (براع) •• فبصرت فيها •••
(١١) فى اللسان (طوط) (عنن) وفى طوط القداع وهو تصحيف •

١١- وخَصْمٍ يَركبُ العَوْصاءَ طاطٍ
عن المُثْلَى ، غُنامَاهُ القِذاعُ[١٠]

١٢- طَمُوحِ الرأسِ كنتُ له لِجاماً
يُخَيِّسُهُ لهُ منهُ صِقَاعُ[١١]

١٣- اذا ما انآدَ قَوَّمَهُ فلانتْ
أخادِعُهُ ، النَّواقِرُ والوِقَاعُ[١٢]

١٤- واشعثَ قد جفَا عنه المَوالي
لَقىً كالحِلْسِ ليس به زمَاعُ[١٣]

١٥- ضَريرٍ قد هَنَأْناه فأمسى
عليه في مَعيشته اتّساعُ[١٤]

(١٠) العوصاء : الخطة الشديدة . الطاط : المنحرف والطاط : الظالم وقيل المتكبر ، يعني متكبر عن المثلى والمثلى خير الامور. غناماه : قصاراه . القذاع : المقاذعة وهي المسابة .

(١١) يخيسه : يحبسه . منه : من اللجام . الصقاع : حديدة تكون في موضع الحكمة من اللجام .

(١٢) انآد : تلوى وامتنع . الاخادع : جمع اخدع وهو عرق في موضع الحجامة من الرأس . النواقر : الدواهي ، الوقاع ، جمع وقعة ، يريد انه يذل هذا الطموح المتكبر بقواف صوائب وهجاء ينال منه ويرد من حدود كبره .

(١٣) الاشعث : المحتاج . الموالي : بنو العم ههنا . أي قد جفا عنه ناصروه وضيعوه . اللقى ، بفتح اللام : الشي المطروح . الحلس : الكساء . الزماع ، بالكسر والفتح : المضاء في الامر والعزم عليه .

(١٤) الضرير : المضرور بمرض أو هزال أو نحو ذلك . هنأناه : أعطيناه .

---

(١٤) في التاج (زمع) .. بقى كالحلس ليس له زماع .

(١٦) في اللسان (عقم) ..

١٦ـ ومـاءٍ آجـنِ الجمّـاتِ قفْـرٍ
تعقّـمُ في جوانبـهِ السّباعُ[١٥]

١٧ـ وردْتُ وقـد تهـوّرتِ الثّريّا
وتحتَ وليّتـي وهْـمٌ وسـاعُ[١٦]

١٨ـ جُـلالٌ مائرُ الضّبْعيْنِ يخْـدي
على يسَراتِ ملْزُوزٍ سِـراعُ[١٧]

١٩ـ لـه بُـرةٌ إذا مـا لـجَّ عاجَتْ
أخادعُـهُ فـلانَ لهـا النّخـاعُ[١٨]

٢٠ـ كأنّ الرّحْـلَ منه فـوقَ جـأبٍ
أطـاعَ لـهُ بمعْقُلـةَ التِّـلاعُ[١٩]

٢١ـ تِـلاعٌ من رياضٍ اتأفتْهَـا
مـن الأشـراط أسْميَـةٌ تِبـاعُ[٢٠]

---

(١٥) آجن : متغير • الجمات : جمع جمة ، وهو ما كثر من المـاء • تعقم : تتعقم ، أي تذهب وتجيء ، أو تتشدد وتظهر ضراوتها •

(١٦) تهورت الثريا : سقطت للمغيب ، وانما تغيب آخر الليل • الولية : ما ولي ظهر البعير من كساء ونحوه • الوهم ، بسكون الهاء : البعير العظيم الجرم• الوساع : السريع •

(١٧) الجـلال ، بضم الجيم : الضخم الجليـل • مائر الضبعين واسـع الجلد • الضبع : ما بين الابط الى العضد من أعـلاه • يخـدي : يسـرع ويزج بقوائمه • اليسرات : القوائم ، أي انها خفيفة • ملزوز : موثق مجتمع •

(١٨) البرة : ما جعل في لحم أنف البعير من حلقة نحاس أو نحـوه ، عاجت اخادعه : رجعت وانعطفت •

(١٩) الجأب : الحمار الغليظ • اطاع له : اجابه لكثرة نبته • معقلة : بضم القاف : موضع بالدهناء تنسب اليه الحمر •

(٢٠) اتأفتها : ملأتها • من الاشراط : ما كان من المطر ينوء بالاشراط وهي كواكب ، ونوؤها : سقوطها • اسمية : جمع سماء ، وهي المطرة •

٢٢ـ فـآضَ مُحَملجاً كالكَـر لَمّتْ
تفَاوُتَـهُ شـآميـةٌ صَنَـاعُ[(٢١)]

٢٣ـ يُقَلّبُ سَمْجَحاً قَوْداءَ طـارتْ
نَسيلَتُهـا بهـا بِنَقٌ لمِـاعُ[(٢٢)]

٢٤ـ اذا مـا أسْهَـلا قَنَبَتْ عليـه
وفيـه على تجاسُرِها اطّـلاعُ[(٢٣)]

٢٥ـ تَجَانَفَ عـن شَرائِع بَطْنِ قَـوٍّ
وحـادَ بهـا عـن السَّبْقِ الكُـرَاعُ[(٢٤)]

٢٦ـ وأقـرَبُ مَـوْردٍ من حيث راحـا
أُثَـالٌ أو غُمـازَةُ أو نَطَـاعُ[(٢٥)]

٢٧ـ فأوْرَدَهـا ولَـونُ اللّيـلِ داجٍ
ومـا لَغِبَـا وفي الفَجْـرِ انصـداعُ[(٢٦)]

---

(٢١) المحملج : المفتول • الكر : الحبل • أي : صار هذا الحمار سميناً مفتولا كالحبل • تفاوته : ما انتشر منه ، أي طاقاته • صناع : حاذقة •

(٢٢) السمحج : الاتان الطويلة • القوداء : الطويلة العنق • نسيلتها : ما نسل من شعرها ، وانما ينسل عند سمنها وأكلها الربيع • البنق ، بكسر ففتح : الاثار من البياض •

(٢٣) قنبت عليه : ظهرت عليه وسبقته أي : لا يزال وان سبقته يظهـر عليها في بعض المواضع ، فيساويها أو يكاد يسبقها ، والتجاسر : المطي •

(٢٤) تجانف : مال • قو : اسم ماء الكراع : كراع الحرة ، وهي طريقة تنقاد من الحرة مليسة حجارة سوداً •

(٢٥) أُثال وغمازه ، بضم اولهما ، ونطاع مثلثة النون : كلها مياه لبني تميـم •

(٢٦) لغب : من اللغوب ، وهو الاعياء والنصب •

---

(٢٦) فى بلدان ياقوت (غمازة) •• وحاد بها عن السيف الكراع •
(٢٧) فى المصدر نفسه (غمازة) و (نطاع) واقرب منهل من حيث راحا

٢٨ـ فَصَبَّحَ من بني جِلاّنَ صِلاًّ
عَطِيفَتُهُ وأسهُمُهُ المَتَاعُ(٢٧)

٢٩ـ إذا لم يَجتَزِرْ لبنيه لحماً
غَرِيضاً من هَوادِي الوحش جَاعُوا(٢٨)

٣٠ـ فأرسَلَ مُرهَفَ الغَرَّين حُشراً
فَخَيَّبَهُ مِنَ الوترِ انقِطاعُ(٢٩)

٣١ـ فَلَهفَ أُمَّهُ وانصاعَ يَهْوِي
لهُ رَهَجٌ من التقريبِ شاعُ(٣٠)

---

(٢٧) بنو جلان : بطن من عنزة ، يضرب بهم المثل في جودة الرمي • الصل : الداهية ، جعل القانص داهية • عطيفته : قوسه ، أي ليس له متاع غير قوسه واسهمه •

(٢٨) يجتزر : يجزر • الغريض : الطري • هوادي الوحش : متقدماتها واوائلها •

(٢٩) المرهف : المحدد الرقيع من كثرة التحديد ، يعني سهماً • الغران : الجانبان • الحشر : الدقيق •

(٣٠) أي لهف الصائد امه حين اخطأ • انصاع : عدا عدواً شديداً • يعني الحمار • الرهج : الغبار • التقريب : ضرب من الجري • شاع : شائع : صفة للرهج •

---

(٢٩) فى بلدان ياقوت (نطاع) •• اذا لم تجتزر •• عريضاً •
(٣٠) فى التاج (غرر) فأرسل نافذ الغرين •••

[١١]

عن حماد الراوية أنه قال : دخلت على الوليد بن يزيد وهـو مصطبح وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وابو كامل وحكم الوادي وعمر الوادي يغنونه وعلى رأسه وصيفة تسقيه لم أر مثلها تماما وكمالا وجمالا فقال لي ياحماد أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتا يوافق هذه الوصيفة وجعلتها لمن وافق صفتها نحله فما أتى أحد منهم بشيء فأنشدني انت ما يوافق صفتها وهي لك فانشدته قـول ربيعـة بن مقروم الضبي (الابيات ٤ ـ ٩) فقال الوليـد أصبت وصفها فاخترها أو الف دينار فأخترت الالف الدينار فأمرها فدخلت الى حرمه وأخذت المال وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه فمن مختارها ونادرها قوله (الابيات ١٠) :

١ ـ لِمَن الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ
بجَنُوب أسنُمةٍ فقُفِّ العُنْصلِ[١]

٢ ـ دَرَسَتْ معالمها فباقي رَسْمِها
خَلَقٌ كعُنْوان الكتاب المحْول[٢]

٣ ـ دارٌ لسُعْدَى إذْ سُعاد كأنها
رَشأٌ غرير الطَّرف رَخْص المَفْصل[٣]

٤ ـ شماءُ واضحةُ العوارض طفلةٌ
كالبدر من خلل السحاب المنجلي[٤]

---

(١) اسنمة : رملة ، وقيل : اكمة معروفة بقرب طخفة وقيل أودية والقف الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد والعنصل : بصل معروف .

(٢) المحول : الذي قد اتى عليه حول .

(٣) الرشأ : ولد الظبية اذا قوي . والرخص : اللين الناعم .

(٤) اصل الشمم : ارتفاع الانف . وهو كناية عن الكرم والرفعة والعلو وشرف النفس ، والعارض : ما يعرض في جانب من السماء من السحاب . وعلى ذلك العارض في الاسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها . المنجلي : المنكشف .

---

(٣) فى المنازل والديار ١/١٩١ .. غضيض الطرف رخو المفصل ...

٥ ـ وكأنما ريح القرنفل نشرها
أو حَنْوة خلطت خزامى حومل(٥)

٦ ـ تعتاده بفُواقِها وجَريّةٍ
وتُقيلهُ بسَرار روض مُبقل(٦)

٧ ـ وكأنَّ فاها بَعْدَ ما طرقَ الكرى
كأسٌ تُصفّقُ بالرحيقِ السلسل

٨ ـ لو أنها عرَضَتْ لأَشمطَ راهبٍ
في رأس مُشرفةِ الذُرى مُتَبتّل

٩ ـ جَآرُ ساعاتِ النِّيام لربّه
حتى تخدّد لحمه مستعمل(٧)

١٠ ـ لصبا لبَهْجتها وحُسن حَديثها
ولَهَمَّ من ناقوسهِ بتنزل

١١ ـ بل ان تَرَى شَمْطاء تقرع لِمتي
وحَنا قَناتي وارتقى في مسحلِي

(٥) الحنوة : نبات سهلي طيب الريح ، وقيل عُشبة وضيئة ذات نور احمر ، ولها قُضُب وورق طيبة الريح وقيل الحنوة : الريحانة . الخزامى : نبت طيب الريح واحدته خزاما ، وقيل : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق . حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج وضرب به المثل في طيب الرائحة وحومل : موضع .

(٦) الفواق : ترديد الشهقة العالية . وقيل الذي يأخذ الانسان عند النزع . السرار : الارض الطيبة الكريمة .

(٧) الجآر : الداعي الى الله . تخدد لحمه : هزل ونقص والتخدد : أن يضطرب اللحم من الهزال .

(٦) زيادة من شرح المفضليات/٤٧٣ .

(٧) في حيوان الجاحظ ١/٣٤٧ واللسان [بتل] . عبدالأله صرورة متبتل وورد بيت للنابغة شبيه به . والعجز ... عبدالاله ضرورة متعبّد .

١٢- ودَلَفْتُ مِن كِبرٍ كأنّي خاتلٌ
قَنَصاً ومن يَدْبُ لصيد يَخْتِلِ[(٨)]

١٣- فلقد أرى حُسْنَ القناة قويمَها
كالنَّصْلِ أخْلَصه جِلاءُ الصَّيْقلِ[(٩)]

١٤- أزمانَ إذ أنا والحديد الى بلى
تصبي الغواني ميعتي وتنقلي[(١٠)]

١٥- ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادها
بسليمِ أو ظفةِ القوائم هَيْكَلِ[(١١)]

---

(٨) دلف الشيخ والمقيد دليفاً ودُلوفاً : وهو فوق الدبيب •

(٩) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاّؤها والنصل : حديدة السهم والرمح•

(١٠) تصبي : يحمل على الصبا واللهو في الوقت بعد الوقت • الميعة : النشاط •

(١١) اراد بالخيل : الفرسان لا الافراس ، والطراد من الفرسان : حملُ بعضهم على بعض • والاوظفة جمع وظيف : وهو ما فوق الحافر من الفرس • والهيكل : الضخم العظيم •

---

(١٠) في الحيوان ١/٣٤٧ والمعرب/٨٥ واللسان (عمر) •
لدنا ••••••• من تاموره يتنزل •
وفي بعضها •••• ولهم من تاموره بتنزلِ •
وفي الخزانة ٣/٥٦٦ ••• وطيب حديثها •• ولهم من ناموسه •
(١١) في الاغاني ١٩/٩١ والخزانة ٣/٥٦٦ •• في مسحلِ •
وفي أساس البلاغة/٤٢٨ ترى شمطاء تفرع لمتي وحنى قناتي ••
(١٢) في الاغاني ١٩/٩١ •• ومن يربب •
وفي السمط ١/٣٣٢ •• قنصاً يدب لصيد وحش مختل
(١٣) في الخزانة ٣/٥٦٦ •• ولقد ••
(١٤) في الاغاني ١٩/٩١ •• وتنقل •••
(١٥) في الخزانة ٣/٥٦٥ •• عند طرادها ••

١٦ـ متقـاذف شنج النَّسا عَبـل الشَّوى
سـباق أنـدية الجيـاد عَـمَـيْـثَـل(١٢)

١٧ـ لـولا أُكفكِفُـه لـكاد اذا جَـرى
منـه الغَـريم يَـدُقُ فأسَ المسحل(١٣)

١٨ـ واذا جـرى منـه الحميـم رأيتَـه
يَهـوِي بفارسـه هَـوِيّ الأجْـدل(١٤)

١٩ـ واذا تُعلّل بالسـياط جيادُنـا
اعطـاكَ نـائله ولـم يتعـلل(١٥)

---

(١٢) المتقاذف : أي فرس متقاذف وهو المرمي باللحم • النسا : عرق من منشق ما بين الفخذين ووصف بالشنج لأنـه اصلب له • العبـل : الضـخم • الشوى : القوائم • والعميثل : السبط الذيال ، المختال في مشيه • اندية الجياد : المضمرة من الجياد •

(١٣) الغريم : العدو الشديد •

(١٤) الحميم : الماء الحار ويريد به العرق • والهَوي ، بفتح الفـاء : القصد الى أسفل وبضم الفاء القصد الى اعلى • الاجـدل : الصقر • ولابي كبـير الهذلي بيت يشبه عجزه عجز هذا البيت • المسحل : اللجام وقيل فأس اللجام •

(١٥) عل : ضرب وتابع الضرب ، والنائل : العطايا ، ويريد بها ما عنده من ركض أي لم تطلب علالته بالضرب •

---

(١٦) فى كتاب الخيل لابي عبيدة/١٧٢ •• شنج النسا متقـاذف عبـل الشوى •• مسباق •
وفى الاغاني •• سباق ابدية •• وهو تصحيف •
(١٧) فى الاغاني ١٩/٩٣ •• لكان اذا جرى •• يدق فأس المنجل ••
وفى اللسان والتاج (عزم) ••• فأس المسحلِ •
وفى الخزانة ٣/٥٦٥ •• منه الشكيم •••
(١٩) فى الاغاني ١٩/٩٣ •• جيادها اعطاك نائيه
وفى الخزانة ٣/٥٦٥ •• جيادها ••

٢٠- فَدَعَــوا نَزَالِ فكنت أول نــازل

وعَــلامَ أَركَبُــه اذا لــم أنـزل[١٦]

٢١- ولقــد جمعتُ المــال من جمع امـري

ورفعت نفسـي عــن لئـيم المأكــل

٢٢- دخلتُ أبنيــةَ الملـوك عليهــم

ولشرّ قــول المرء مــا لــم يفعــل

٢٣- وشَهِدتُ معركةَ الفيُول وحَولَهـا

ابنــاءُ فــارسَ بيضُهُــم كالأعْبَل[١٧]

٢٤- متســربلي حلـق الحــديد كأنهــم

جُــربٌ مُقارفَــةٌ عنيّــةَ مُهْمَــل[١٨]

---

(١٦) وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام اركبــه اذا لم انازل الابطال عليه وعجز هذا البيت كله تذييل وهو في غاية الكمال .

(١٧) معركة الفيول : أراد الوقعة التي كانت في عقب القادسية وكانت العجم جاءت بالفيول فيها . والاعبل : حجارة بيض شبه البَيضُ بها .

(١٨) الجرب ، جمع جرب : بثر يعلو ابدان الناس والابل . المقارفة : المخالطة ولا تكون المقارفة الا في الاشياء الدنية . العنيّة : ابوال الابل يؤخذ معها اخلاط فتخلط ثم تحبس زماناً في الشمس ثم تعالج بها الابل الجربى .

---

(٢٠) في الاغاني .. ودعوا .. وفي أكثــر مواضع التخريج فدعوا ... وهي الرواية التي ثبتناها .

(٢١) في الاغاني .. عن كريم المأكل وهو تحريف .
والتصحيح عن الخزانة ٣/٥٦٥ .

(٢٣ ، ٢٤) زيــادة من التذكرة السعدية .. [نسخة الاستاذ عبد الله الجبوري امين مكتبة الاوقاف ببغداد] .

٢٥ـ ولـــربّ ذي حَنَـــقٍ علـي كأنمـــا
تغـــلي غـــداوة صـــدره كالمرجـــل
٢٦ ـ أوجيتُه عَنّي فأبْصَـر قَصْدَهُ
وكَوَيْتُه فـــوقَ النواظـر من عـــل[١٩]
٢٧ـ وأخـي مُحافظـــةٍ عَصَى عـــذّاله
وأطـاعَ لذّتَهُ مُعَمٍّ مُخْـوَلِ
٢٨ـ هشٍ يـــراح الى النـــدى نبهتُـــهُ
والصبحُ سـاطعُ لونِـــه لم يَنْجـلِ
٢٩ـ فأتيت حانوتـاً بـــه فصبحتـــه
مـن عانـــق بمزاجهـــا لـــم تقتـــل[٢٠]
٣٠ـ صهباء [صافيـة القـــذى اغلى بهـــا]
يسـرٌ كـريم الخيـمِ غـــير مُبخّـــل[٢١]

---

(١٩) الايجاء : أن يسئل فلا يُعطى السائل شيئاً واوجيت عنكم ظلم فلان : دفعته •

(٢٠) العاتق : الجيد من الخمر •

(٢١) الخيم : الشيمة والطبيعة والخُلُق والسجية •

ملت الظلام : اختلاطه • الاظل : باطن ميسم البعير وفك الادغام ضرورة •

---

(٢٥) في التذكرة السعدية : والدّ ذي •• صدره في مرجل وهو خطأ • الخزانة ٣/٥٦٦ والد ذي حنق ••

(٢٦) في الاغاني ١٩/٩٣ زجرته ••

(٣٠) في الاغاني ١٩/٩٣ •• صهباء ، الياسية اغلى بها والتصحيح من الخزانة ٣/٥٦٦ لانني لم أجد الياسية بهذه الصيغة فيما بين يدي من المعاجم الا اذا كانت هذه الكلمة نسبة الى (الياس) وربما كان علم عرف ببيع الخمرة وقد وجدت رواية الخزانة أوفق وأنسب •

٣١- ومُعرِّس عــرض الســرداء عرسـته

مـن بعــد آخــر مثــله في المنــزل[٢٢]

٣٢- ولقــد اصبت مـن المعيشـة لينهـا

وأصـابني منـه الزمــان يكلكل[٢٣]

٣٣- ومَطيـةٍ مَلَتَ الظـلامِ بعثْتُـهُ

يَشكُو الكَـلالَ اليّ دامي الأَظْلَل[٢٤]

٣٤- أوْدَ السُّـرى بِقتَالِـه ومِراحِـه

شـهراً نواحيَ مُستتبٍّ مُعْمَـل[٢٥]

٣٥- نَهْجٍ كأنْ حَرْثُ النَّبيطِ عَلُوبُهُ

ضاحي المـواردِ كالحَصير المُرْمَـل[٢٦]

٣٦- أخلَصْتُـه صُنْعـاً فـآضَ محملَجـاً

كالتيس في أُمْعُـوزِهِ المُتـربّـل[٢٧]

---

(٢٢) المعرس : الذي يسير نهاره وينزل اول الليل وقيل : النزول في المعهد .

(٢٣) الكلكل : الصدر واستعاره للهموم والمصائب .

(٢٤) المطية تذكر وتؤنث . وقيل ذكر قوله مطية لأنه انما أراد بعيراً .

(٢٥) القتال : الجسم والبدن . والمراح : النشاط ونصب نواحي لأنـه جعله ظرفاً . أراد : في نواحي طريق مستتب . والمستتب : الطريق الذي قـد استتب واستقام أي الواضح لمن يسلكه كأنه تبب من كثرة الوطء .

(٢٦) النهج : البين يريد الطريق والحرث : تفتيش الكتاب وتَدبُّره . العلوب : الآثار وضاحي المـوارد : الطرق الواضحة البارزة ، الحصير المرمل : المزين بالجوهر وقيل : المرمل : اذا نسجته وسففته .

(٢٧) حملج الحبل أي فتله فتلاً شديداً وقيل المحملج : العـير الذي دوخل خلقُه اكتنازاً . التيس : الذكر من المعز . الامعوز : القطيع من الظباء . المتربل : الذي قد اكل الربل .

---

(٣٤) في نوادر ابي زيد/٧٧ .. بقتاله ومراسه ...

(٣٥) في اللسان (تبب) .. غلونه .

(٣٨) في الخزانة ٣/٥٦٦ .. لا بلاها مبتلي ..

٣٧ـ فـاذا وذاك كأنَّـه مـا لـم يكُـنْ
الاّ تذكّـرهُ لِمـن لـم يَجْهَـلِ

٣٨ـ ولقـد اتت مائـة عليّ اعـدّهـا
حـولاً فحـولاً ان بلاهـا مبتـل

٣٩ـ فـاذا الشبابُ كمبْذلِ أنْضَيْتُـه
والدّهـرُ يبلي كُلَّ جـدة مِبْـذَلِ[٢٨]

٤٠ـ هـلاّ سـألتَ وخـيرُ قـومٍ عنـدهم
وشـفاءُ غيـك خـائـراً ان تسـألِ

٤١ـ هـل نكرمُ الاضيافَ انْ نزلوا بنـا
ونسـودُ بالمعـروف غـير تَنَحُّـلِ[٢٩]

٤٢ـ ونحـلّ بالثغـر المخـوفِ عـدّوه
ونـردُ خـالَ العـارضِ المتهـلل[٣٠]

٤٣ـ ونُعينُ غارمَنا ونَمْنَعُ جارَنـا
ونـزين مـولى ذكـرنا في المحفـل

---

(٢٨) المبذل من الثياب : ما يُلبس ويُمتهن ولا يُصان وقيل : الثـوب الخلق ، وانضيت الثوب : اخلقته وابليته •

(٢٩) تنحله : ادعاه وهو لغيره •

(٣٠) الثغر : موضع المخافة يريد بأس قومه وشجاعتهم الخال : السحاب الذي اذا رأيته حسبته ماطراً ولا مطر فيه •

---

(٣٩) في شرح المفضليات/٨٥١ ان الشباب •• والدهرُ يبذل •
(٤٠) في الاغاني •• حائراً أن تسألِ •
(٤١) في الاغاني •• غير تبخل وهو تحريف •
(٤٣) في الخزانة ٣/٥٦٥ ونزين ••

٤٤ـ وإذا امـــرؤ منـــا جنـى فكأنـــه
مـمـا يخـاف عـلى مناكب يَـذْبُـلِ (٣١)

٤٥ـ ومتـى يَقـم عنـد اجتمـاع عشـيرةٍ
خطبـاؤنـا بـينَ العشـيرةِ يَفْصِـل

٤٦ـ ويرى العـدّو لنـا دُرُوءاً صـعبةً
عنـد النجـوم منيعـة المتـأول

٤٧ـ وإذا الحمـالة اثقلت حمالَهـا
فعلى سوائمنـا ثقيـل المحمـل

٤٨ـ ويحـق في اموالنـا لحليفنـا
حقـاً يبـوء بـه وان لـم يسـألِ

(٣١) يذبل بالفتح ثم السكون والباء موحدة مضمومة هـو جبل مشهور الذكر بنجد .



(٤٤) في الاغاني ... حبا .
وفي مجموعة المعاني (لم يذكر اسم قائله)/٥٠ مما يخاف على جوانب .
(٤٥) في الاغاني نقم ... بين العشرة وهو خطأ لمخالفة الوزن . وفي الخزانة ٣/٥٦٥ خطابنا ..
(٤٦) في الاغاني .. العدولنا رؤاً .. وهو خطأ لسقوط حرف الدال من دروءاً .
(٤٨) في الاغاني .. نحق ...
وفي الخزانة ٣/٥٦٥ .. اموالنا لحريبنا .. حق تنوء به وان لم تسألِ .

[١٢]

وقال ربيعة بن مقروم :

[من البسيط]

١ ـ يامن لعذّالة لومي [مجتها]
ولو أصابت سَداداً لأتَّقتْ عَذلي [(١)]

٢ ـ تقولُ اهلكتَ مالا لو قَنِعتَ به
اغناك عن طول ترحال وعن عملِ

٣ ـ وما الملامةُ في شيء ٍ ُوقيتُ به
عِرضي وباعدني من شائن النحلِ

[١٣]

[من البسيط]

١ ـ يا دارَ اسماءَ بالأمثالِ فالرّجَلِ
حُيِّيتِ من دِمَنةٍ قفرٍ ومن طَلَلِ [(١)]

٢ ـ كأنها بعدَ عَهْدِ العاهدين بها
مَهارِقُ العجم أو مَوشيّةُ الحُللِ [(٢)]

---

(١) الأمْيَل ، على أفعل : الذي يميل على السرج في جانب ولا يستوي عليه • وقيل الجبان وقيل الكسل الذي لا يحسن الركوب والفروسية وقيل

(٢) المهارق : جمع مُهْرَق ، وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب •

---

(١) كذا في الاصل ، ويبدو أن تصحيفاً وقع في البيت ، وأرى أن يكون البيت (••• لومي سجيّتها) من باب اضافة المصدر الى المفعول وهو يناسب المعنى •••

(٢) ولتأبط شراً بيت في المفضليات (المفضيلة الاولى) يشبه صدره صدر هذا البيت : يقول :

يقول : أهلكت مالاً لو قنعت به من ثوب صدق ومن بز واعلاق

وظاهرة تضمين انصاف الابيات أو الابيات كاملة كثيرة في الشعر الجاهلي • ويبدو ان السبب الذي حمل الشعراء على ذلك هو اعجابهم بالصورة أو تقليدهم للقائل أو عجزهم عن الاتيان بمثل هذا النموذج والذي أراه أن هذه الاشطر أصبحت ملكاً لكل الشعراء يتناولونها بلا تردد ولا يرون في ذلك عيباً أو منقصة •

٣ - دارٌ غَنينا بها حيناً وايُّ غنيٍ
عن أهله يا ابنَةَ الضَّبِّيّ لم يَحُلِ

[١٤]

[من الكامل]

١ - أصفِ المودَّةَ من صَفا لك وُدُّهُ
واتْرُكْ مصافاةَ القريب الأَمْيَلِ (١)

٢ - كم من بَعيد قد صَفا لك وُدُّهُ
وقريبِ سَوءٍ كالبعيد الاعزلِ

[١٥]

قال ربيعة يذكر حماراً وأُتنَه :

[من السريع]

١ - ظلَّ وظَلّت حَوْلَهُ صُيَّماً
يُراقبُ الجَوْنَةَ كالأحوالِ (١)

٢ - ثم رمى الليلُ به قارباً
يَستوقدُ النيرانَ في الجَرْوَلِ (٢)

[١٦]

[من البسيط]

١ - أما ترى لمّتي لاحَ المشيبُ بها
من بعدِ اسحَم داجٍ لونُهُ رَجِلِ(١)

٢ - أعقبتُهُ بَدَلا منه وفارقني
لله دَرّ مشيب الرأس من بدلِ

(١) الاسحم : الاسود . وشعر رَجَل ورَجِل ورَجْل بين السبوطة .

(١) الصيم : الصلب الشديد ، المجمع الخَلْق .

(٢) القارب : الذي يقرب القَرَب أي يعجل ليلة الورد .
الجرول : موضع من الجبل كثير الحجارة وقيل انه ما سال به الماء من الحجارة حتى تراه مُدَلكاً من سيل الماء به في بطن الوادي .

(١) الامثال : ارضون ذات جبال من البصرة على ليلتين ، سميت بذلك لأنه يشبه بعضها بعضاً . الرجل : بكسر اوله وفتح ثانيه : موضع بشق اليمامة .

[١٧]

[من البسيط]

١ ـ حتــى افيء بهــا تَـدمـي مناسمهــا
مثـل البَليّـةِ من حَلي ومن رِحَلي

[١٨]

قال ابو عمرو كان لضابيء بن الحرث البرجمي على عجرد بن عبد عمرو دين بايعه به نعماً واستخار الله في ذلك وبايعـه ربيعـة بن مقروم ولم يستخر الله تعالى ثم خافه ضابيء فاستجار بربيعة بن مقروم في مطالبته اياه فضمن له جواره فوفى عجرد لضابيء ولم يف لربيعة فقال ربيعة :

اعجـردُ اِني من امانيَّ باطــل ... وقولُ غـدا شحٌ لذاكَ سـؤوم
وان اختلافي نصف حول مجـرّم ... اليـكمْ بني هنـدِ عليّ عظيـم
فلا اعرفنّي بعـد حولِ مجرّم ... وقـولُ خـلا يشكونني فألـومُ
ويلتمسوا ودي وعطفـي بعـدما ... تناشـد قـولي وائـل وتميـمُ
وإنْ لم يكُنْ الا اختلافي اليكم ... فاني امرؤ عِرضي على كـريمُ
فـلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم ... بنـي قطـن ان المليمَ مليـمُ

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه وأخذوه باعطاء ربيعة ماله فأعطاه أياه .

[١٩]

[من المتقارب]

قال ربيعة بن مقروم :

١ ـ أمِن آلِ هندٍ عَرفت الرُسُوما
بجُمْرانَ قفراً أبت أن تَريما(١)

٢ ـ تَخَالُ مَعارِفَها بَعْدَ ما
أتت سنتانِ عليها الوُشُومُا(٢)

٣ ـ وقَفْتُ أُسائِلُها ناقتي
وما أنا أم ما سُؤَالي الرُسوما

٤ ـ وذكّرني العَهْدَ أيّامُها
فَهَاجَ التَّذكُّرُ قلباً سَقِيما

٥ ـ ففاضت دُموعي فَنَهْنَهْتُها
على لحيتي وردائي سُجُوما(٣)

---

(١) جمران : موضع • تريم : تبرح ، يريد ان الرسوم باقيات خوالد •

(٢) المعارف : ما عرف منها من رسم أو طلل •

(٣) نهنهتها : كفقتها • سجوما : مصدر سجم الدمع اذا قطر • أي فاضت دموعي سجوماً على لحيتي وردائي فنهنهتها •

---

(١) في بلدان ياقوت (حمران) .. بحمران قصراً .

٦ ـ فَعَدَّيْتُ أدْمَاءَ عَيْرانَة
عُذافِرة لا تَمَلُّ الرَّسيما(٤)
٧ ـ كِناز البَضيع جُماليَّة
اذا ما بَغَمنَ تراها كَتُوما(٥)
٨ ـ كأني أُوشِحُ أنساعَها
أَقَبَّ من الحُقْبِ جأباً شتيما(٦)
٩ ـ يُحلِّئ مِثْلَ القَنا ذُبَّلا
ثلاثاً عن الوِرْدِ قد كُنَّ هيما(٧)
١٠ ـ رَعَاهُنَّ بالقُفِّ حتى ذَوَتْ
بُقُول التناهي وهَرَّ السَّمُوما(٨)
١١ ـ فَظَلَتْ صَوادي خُزْرَ العُيُونِ
الى الشمسِ مِن رَهْبَةٍ أن تَغيما(٩)

(٤) الادماء : البيضاء ، أراد الناقة • وعديتها : عزلتها لرحلي واخترتها • العيرانة : التي تشبه بالعير لصلابتها • العذافرة : الضخمة • الرسيم : ضرب من

(٥) الكناز : المكتنزة • البضيع : اللحم • الجمالية : التي تشبه الجمل في اشرافه • البغام : ضرب من الرغاء ليس بالشديد • الكتوم : التي تكتم الرغاء

(٦) الاتساع : سيور عراض تشد بها الرحال وتوشيحها : شدها • الاقب : الضامر الحقب : جمع احقب وهو الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض • الجأب : الغليظ • الشتيم : الكريه الوجه •

(٧) التحلئة : المنع من الماء • مثل القنا : شبه الاتن في صلابتها أو طولها بالقنا • الذبل : الضوامر • الورد : اتيان الماء • الهيم : العطاش •

(٨) القفِ : ما صلب من الارض واجتمع • ذَوت : ذَهب ماؤهـا • التناهي : جمع تنهيّة وهو الموضع من الارض له حاجز يمنع الماء أن يخرج منه • وما ينبت في التناهي من البقل ابطأ ذبولاً من سواه ، لانه ينبت في الماء • هر : كره •

(٩) الصوادي : العطاش • خزر العيون : تضيق عيونها • تراقب الشمس لأن فحلها لا يوردها الماء الا عند الغروب • تغيم : تعطش •

١٢ ـ فلمـا تَبَيَّـنَ أنّ النّهـارَ
تَوَلّى وآنسَ وَحْفاً بَهيمـا(١٠)
١٣ـ رمى الليل مُستعرِضاً حَوْزَهُ
بهنّ مِزَرّاً مِشَلاًّ عَذُوما(١١)
١٤ ـ فأوردها مع ضَوْءِ الصباح
شرائعَ تَطْحَرُ عنها الجَميمَا(١٢)
١٥ ـ طَوامِيَ خُضراً كلون السماء
يَزينُ الدّراريُّ فيها النجوما(١٣)
١٦ ـ وبالماء قَيْسٌ أبُو عَامِر
يُؤمّلُها ساعةً أن تَصُوما(١٤)
١٧ ـ وبالكفّ زوراءُ حِرميّة
من القُضْبِ تُعقِبُ عَزْفاً نئيما(١٥)

(١٠) آنس : ابصر وعلم واحسَّ • الوحف من الشعر والنبات : ما غزر واتت اصوله واسود ، أراد به هنا الليل •

(١١) حوز الليل : وسطه • المزر : العضوض • العذم : العض • المشل : الطارد •

(١٢) الشرائع ، جمع شريعة وهي مثل الفرضة في النهر • تطحر : تدفع • الجميم ما اجتمع على الماء من قذى •

(١٣) الطوامي : المرتفعة لكثرة مائها • جعلها خضراً لصفائها • الدراري : عظام النجوم •

(١٤) ابوعامر : هوالقانص • الصيام : القيام • يؤملها أن تقف ساعة فيرميها •

(١٥) الزوراء : القوس • الحرمية : منسوبة الى الحرم ، القضب : يريد انها عملت من قضب • العزف : صوتها • مأخوذ من عزيف الجن • النئيم : الصوت ايضاً •

(١٠) في تهذيب الالفاظ/٥٧١ •• رعاهن بالصيف حتى التوت •
(١١) في الكنز اللغوي/١٨ •• الى الماء من رهبةٍ أن تغيما
وفي تهذيب الالفاظ/٥٧١ وظلت صوامن •
وفي اللسان (غيم) •• فظلت صوامن • وعلق عليه فقال : والذي في شعره فظلت صوادي •

١٨ ـ وأعجَفُ حَشْرٌ تَرى بالرِّصا

فِ مّما يُخالِطُ منها عَصِيما[16]

١٩ ـ فأخطأَها فمضتْ كُلُّها

تكادُ من الذُّعْرِ تفري الأَديما[19]

٢٠ ـ وإنْ تسأليني فاني امْرُؤٌ

أهينُ اللئيمَ وأحبُو الكريما

٢١ ـ وأبني المعاليَ بالمكرُماتِ

وأُرضي الخليلَ وأُروي النديما[20]

٢٢ ـ ويَحْمَدُ بذلي له مُعْتَفٍ

اذا ذَمَّ مَنْ يعتفيه اللئيما[21]

٢٣ ـ وأجْزي القُروضَ وَفاء بها

بِبُؤسَى بَئِيسَى ونُعمى نَعيما

٢٤ ـ وقومي فانِ انت كذَّبْتَني

بقوليَ فاسأل بقومي عَليما

٢٥ ـ أليسُوا الذين اذا أزْمَةٌ

ألَحَّتْ على الناس تُنْسِي الحُلُوما[22]

---

(١٦) الاعجف : السهم. الحشر : الدقيق . الرصاف : اسفل من مدخل النصل في السهم العصيم : اثر الدم . (١٧) تفري الاديم : تشق الجلد وتقطعه .

(٢٠) الخليل : الصاحب ، وفسره ابن الاعرابي هنا بأنه المختل ذو الحاجة ، أي : اذا جاءني محتاج أعطيته حتى يرضى .

(٢١) المعتفى : المعرض من غير مسألة .

(٢٢) الحت : لزمت وتتابعت . الحلوم : العقول ، وانما ينسى الرجل حلمه لشدة الجهد ، يطيش حلمه ويذهب عقله .

(٢٠ ، ٢٣) نسبا في حماسة البحتري/٢٣٧ للبيد وروى البيت (٢٠) وان تسألي بي فاني ... والبيت ٢٣ .. ببؤسى بئيساً .. وهو تحريف .

(٢٤) في النقائض/١٠٦٧ .. بما قلتُ

وفي بلدان ياقوت (النسار) قومي ... بما قلت ...

٢٦ - يُهينـون في الحـقّ أموالَهُمْ
اذا اللَّزَبَاتُ التَحَيْنَ المُسيما(٢٣)

٢٧ - طِوَالُ الرِماحِ غداةَ الصباحِ
ذوو نَجْدَةٍ يَمْنَعُونَ الحريما(٢٤)

٢٨ - بنـو الحرب يوماً اذا استلأَموا
حَسِبْتَهُمُ في الحديد القُرُوما(٢٥)

٢٩ - فِدىً ببُزاخـة أهلي لَهُـمْ
اذا مَـلأُوا بالجُمُوعِ الحزيما(٢٦)

٣٠ - واذْ لقيتْ عامِـرٌ بالنِّسَـا
رِ منهُمْ وطِخْفَةَ يوماً غَشُوما(٢٧)

(٢٣) أي ينفقون اموالهم في الحقوق التي تعتريهم ، من قرى ضيف ومنيحة ودية • اللزبات ، بفتح الزاي : جمع لزبة بسكونها ، وهي القحط • التحين : قشرن ، يقال لحوت العود ولحيته : اذا قشرت ما عليه من لحائه • المسيم : صاحب الابل والغنم •

(٢٤) الحريم : ما يجب عليهم منعه •

(٢٥) استلأموا : لبسوا اللأمة وهي السلاح • القروم : فحول الابل •

(٢٦) بزاخة : موضع • الحزيم : الحزم من الارض ، وهو الصلب •

(٢٧) النسار وطخفة :موضعان • الغشوم : الظالم •

---

(٢٦) في التاج (لزب) ••• انتحين المسيما ••

(٢٩) في النقائض/١٠٦٧ •• واذ ملّوا بالجموع القصيما وهو تحريف وفي (بزاخة) بالجموع الحريما •
وفي بلدان ياقوت (طخفة) : واذ ملأوا بالجموع ••
وفي (النسار) : اذا ملأوا بالجموع القضيما ••

(٣٠) في النقائض/١٠٦٧ وبلدان ياقوت (طخفة) و (النسار) ••
واذ لقيت عامـر بالنسا ر منهم وطخفة يوماً غشوما

٣١ ـ به شاطَـرُو الحيّ اموالَهُـمْ
هـوازِنَ ذا وَفْرِها والعَدِيمـا[٢٨]

٣٢ ـ وساقت لنا مَذْحِجٌ بالكُلاَب
مَواليَها كلَّهَا والصَّميما[٢٩]

٣٢ ـ وساقت لنـا مَذحِجٌ بالكُـلاَب
فعـادُوا كأَن لـم يكونوا رميمـا[٣٠]

٣٤ ـ بطَعـن يَجيشُ لـه عانـدٌ
وضَرْبٍ يُفَلِّقُ هاماً جُثُوما[٣١]

٣٥ ـ وأضحَتْ بتَيْمُنَ أجسادُهُمْ
يُشَبِّهُهـا مـن رآهـا الهَشيمَا[٣٢]

٣٦ ـ تركنـا عُمـارَةَ بين الرِّمـاح
عُمارَةَ عَبْسٍ نزيفـاً كَليمـا[٣٣]

---

(٢٨) به : أي في يوم النسار • شاطروا : اخذوا الشطر وهو النصف • الوفر : المال الكثير • العديم : المقل •

(٢٩) الموالي ههنـا : الحلفاء • الصميم : الصريح • الخالص في نسبه وأراد بالكلاب الوقعة بين مذحج وتميم •

(٣٠) عادوا رميما : صاروا عظاماً بالية •

(٣١) يجيش : يفور لكثرته • العاند : ما عَنَد من الدم ، أي سال فلم يرقأ • الجثوم : جمع جاثم ، وهو اللازم مكانه •

(٣٢) تيمن : موضع • الهشيم : ما يبس وتكسر من ورق الشجر •

(٣٣) عمارة : هو ابن زياد العبسي ، يقال له عمارة الوهاب ، وهو أحد الكملة الاربعة ، عمارة والربيـع وأنس وقيس ، وامهم فاطمـة بنت الخرشب الانمارية • نزيف وكليم : فعيل بمعنى مفعول والكلم : الجرح •

---

(٣٦) في بلدان ياقوت (السليم) عمارة بن الرماح •• وهو خطأ •

٣٧ ـ ولـولا فوارِسُنا مـا دَعَتْ
بذَاتِ السُّليمِ تميمٌ تميمـا(٣٤)

٣٨ ـ ومـا إنْ لأوبثهـا أن أعُـدَّ
مـآثرَ قـومي ولا أنْ ألومـا(٣٥)

٣٩ ـ ولكـنْ أذكـرُ آلاءَنـا
حـديثاً ومـا كانَ مِنّـا قَديمـاً

٤٠ ـ ودَارِ هـوانٍ أنِفْنَـا المُقامَ
بهـا فحلَلْنَـا مَحـلّا كريمـا(٣٦)

٤١ ـ إذا كانَ بَعْضُهُمُ لِلهَـوَانِ
خليـطَ صفاءٍ وأُمّـا رَؤُومَـا

٤٢ ـ وثغْـرٍ مَخُوفٍ أقمنا بـه
يَهابُ بـه غـيرُنا أن يُقيمـا(٣٧)

٤٣ ـ جَعَلْنا السيوف بـه والرمـاح
مَعَاقِلَنَا والحـديدَ النظيمـا(٣٨)

٤٤ ـ وجُرْداً يُقرَّبْنَ دُونَ العِيَال
خِلالَ البيُوتِ يلُكْنَ الشكيما(٣٩)

---

(٣٤) ذات السليم : موضع كان به يوم من ايامهم •

(٣٥) أوثبها : اخزيها وافضحها يقول : لست أعد مآثر قومي لأخزيَ هـذه •

(٣٦) الرؤوم : التي تعطف على ولدها وتحبه •

(٣٧) الثغر : موضع المخافة •

(٣٨) النظيم : المنظوم •

(٣٩) الجرد : الخيـل القصيرة الشعر • يقربن دون العيـال : يؤثرن ويفضلن بالاكرم • يلكن : يمضغن • الشكيم : لسان اللجام •

---

(٤٠) في حماسة البحتري/١٨٠ : ودارَ الهوان ٠٠٠
وفي حماسة ابي تمام (المرزوقي) ١٦٦٦/٤ ودار حفاظ اطلنا المقام ٠٠

٤٥ ـ تُعَوَّدُ في الحرب أن لا بَرَاحَ
اِذا كُلِّمتْ لا تَشكَّى الكُلُوما[٤٠]

[٢٠]

[من الوافر]

قال ربيعة بن مقروم بعد أن طعن ابن مُزيقياء فقتل ، وانهزم اصحابه هزيمة قبيحة :

١ ـ وآل مُزَيْقِياءَ وقد تداعَتْ
حَلائِبُهُمْ لنا حتّى قرينا[١]

٢ ـ صبرنا بالسيوف لهُمْ وكانتْ
مَعاقِلُنا بِهِنَّ اِذا عَصينا

٣ ـ وغادَرْنا قريعَهُمُ صَريعاً
عوائِدُهُ سِباعٌ يَعْتَفينا[٢]

---

(٤٠) كلمت : جرحت • الكلوم : الجروح ، يقول : اذا جرحت صبرت ولم تبرح •

(١) ابن مُزيقياء الغساني ومزيقياء لقب عمرو بن عامر بن مالك ملك من ملوك اليمن جد الانصار ، قيل انه كان يمزق كل يوم حُلة فيخلعها على اصحابه ، وقيل انه كان يلبس كل يوم حُلتين فيمزقهما بالعشي ويكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره ، وقيل سمي بذلك لأنه كان يلبس كل يوم ثوباً فاذا أمسى مزقه ووهبه • وحلائب الرجل : انصاره من بني عمه خاصة •

(٢) القريع : الذي يقارع : أي يضارب بالسيوف • ويعتفي : يطلب رزقاً أو فضلاً •

[٢١]

[من الوافر]

وانشد لربيعة بن مقروم :

١ ـ جَعَلْنَ عتيقَ أنماط خُدُوراً
وأظهــرنَ الكَــرادي والعُهُــونا[1]

٢ ـ على الأحْـداجِ واستشْعَرنَ رَيْطاً
عِـراقيـاً وقَسّيّـاً مَصُـونا[2]

[٢٢]

[من الوافر]

قال ربيعة بن مقروم :

١ ـ واعرضَ واسِـط فَعَدلنَ عنـه
كما عَـدَلَ الصـراريُ السفينـا[1]

على الجهال والمتعبدينا

(١) الكرد : اصل العنق ، والعهون : مفردها العهن : وهـو الصـوف الملون .

(٢) الاحداج ، مفردها الحدج : وهـو من مراكب النساء ، ومفـرط الريط ، الريطة ، وهي كل ثوب لين دقيق . والقسي : ثياب منسوبة الى القس ، وهو موضع ، وهي ثياب فيها حرير وقيل هي ثياب من كتـان مخلوط بحـرير يؤتى به من مصر وقيل اصل القسي القزي ، منسوب الى القز وهـو ضرب من الابريسم ابدل من الزاي سين .

(١) الصراري : الملاح ، ويقال للملاح : الصاري ، واختلف في كونها مفردة أو جمعاً [انظر اللسان صرر] .

(١) في بلدان ياقوت (القس) .. واظهرن الكراري وهو تحريف .

وينسب هذا البيت الى ربيعة بن مقروم :

تَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرنَ بخَطونا قُدُماً ونُلحِقُها اذا لم نَلْحَقِ

البيت منسوب الى ربيعة في الشعر والشعراء/٢٣٧ وذكر ان ربيعة أخذه من قيس بن الخطيم أو أخذه قيس منه ، وهو غير منسوب في حماسة الخالديين . وفي شرح نهج البلاغة ٢/٢٠٥ وروايته .. يوماً ونلحقها . وكذلك في كتاب البديع في نقد الشعر/٢٣٠ .

ونسب الى كعب بن مالك الانصاري في ديوانه/٣٠٦ ضمن قصيدة وكذلك في عيون الاخبار ٢/١٩٣ ، وكامل المبرد ١/١٠١ ، والبيان والتبيين ٣/٢٦ وذيل الامالي/٣٠ ، وديوان المعاني ١/١١٥ ، ومعجم الشعراء/٢٤٢ وزهر الآداب ٢/٧٦٦ وشرح الحماسة ١/٠٦ ١، ومحاضرات الادباء/٥٠٢ وشروح سقط الزند/٥٨٨ والف با ٢/٣٧ وشرح شواهد المغني/١٢٢ وخزانة الادب ٣/١٦٧.
وارجح نسبته الى كعب بن مالك لاتفاقه مع روح الشاعر واسلوبه وطريقته ، ولوروده ضمن قصيدة متكاملة .

تخريج قصائد الديوان

[١]

البيتان في حماسة البحتري/٢٠٤ (شيخو) •

[٢]

البيتان في حماسة البحتري/١٤٩ •

[٣]

البيتان في حماسة البحتري/٢١٠ •

[٤]

الابيات (١ – ٢٥) في المفضليات ٢/١٧٥ ، وهي الاصمعية/٨٤ عدا البيت الثالث ، والابيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) في شواهد العيني ٣/٢٢٩ – ٢٣٠ ، والابيات (١ ، ٨ ، ٩) في شرح شواهد المغني/٢٩١ ، والثاني في معجم ما استعجم ٤/١١٨٤ والرابع وحده في التاج (خيف) ، والابيات (٨ ، ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) في الشعر والشعراء ١/٢٣٦ – ٢٣٧ ، والبيتان (٨ ، ٩) في أمالي ابن الشجري ١/٣٣ ، وفرائد القلائد/٢٠٦ ، وجامع الشواهد ٢/٢٧ ، والبيتان (١١ ، ١٣) في أساس البلاغة/١٤٨ ، والبيت (١١) في اللسان (حوش) ، والبيتان (١٥ ، ١٦) في محاضرات الراغب ٣/١٩٢ ، والبيت (١٩) في محاضرات الراغب ٣/١٥٥ ، والبيتان (٢٤ ، ٢٥) في انساب الخيل/٩٩ (دار الكتب) ، والبيت (٢٥) في الكتاب نفسه/٣٤ (بريل) •

[٥]

الابيات (١ – ٤) في مجموعة المعاني/٦١ والابيات (١ – ٣) في حماسة البحتري/٩٢ (كمال) ، وغير منسوبة في شرح نهج البلاغة ١/٢٦٤ ، والابيات (١ – ٩) عدا الثالث في شرح الحماسة للتبريزي ٣/٥٣ وفي مخطوط (مجموعة من شعر العرب والمولدين) في دار الكتب تحت رقم ٤٢٨ أدب ، الورقة/١٣ ، والابيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦) في شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٥٤٢ ، وفي شرح شواهد المغني/٤٦٦ ، وفي جامع الشواهد ٢/١٤١ ، والابيات (١ ، ٢ ، ٤ ،

٥ ، ٧ ، ٨) في التذكرة السعدية (مخطوطة في مكتبة الاستاذ عبدالله الجبوري ـ امين مكتبة الاوقاف ـ بغداد) الورقة/١١ ، والابيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) في الخزانة ٤/٢٠٢ ـ ٢٠٣ • والثاني وحده في حماسة ابي تمام شرح المرزوقي ٢/٩٢٥ • والخامس في أمالي ابن الشجري ١/١٤٣ ، والثامن في شروح سقط الزند ٣/٩٦١ ، والعاشر والحادي عشر في اللسان والتاج (اشمعل) •

[٦]

في حماسة البحتري/١٦٤ •

[٧]

في حماسة البحتري/٢٠٤ (شيخو) •

[٨]

الابيات (١ ـ ١٤) في المفضليات ٢/١٤ ، والاغاني ١٩/٩١ (ساسي) • والابيات (١ ، ٤ ، ١٠) في طراز المجالس للخفاجي/٥٨ ، والثاني في التاج (تلع) ، والابيات من (٥ ـ ١٤) في مهذب الاغاني ٤/٦٣ ، والابيات من (٨ ـ ١٣) في الخزانة ٤/٢٣٤ ، والابيات (١٠ ، ١٣ ، ١٤) في الحماسة البصرية ١/١٧٥ ، والبيت العاشر وحده في الخزانة ٤/١٩ •

[٩]

البيتان في الاغاني ١٩/٩١ وفي مختار الاغاني ٤/٦٣ •

[١٠]

الابيات (١ ـ ٣١) في المفضليات ١/١٨٤ ـ ١٨٧ ، والاول في اللسان (روع) ، والرابع في اللسان والتاج (جدع) ، وعجز الرابع غير منسوب في المقاييس ١/٤٣٣ ، والسابع غير منسوب في شرح حماسة ابي تمام (المرزوقي) ٤/١٥٧٨ ، و (التبريزي) ٤/٦٦ (بولاق) والبيتان (١١ ، ١٢) في التاج (صقع) والبيت (١١) في اللسان (طوط) و (صقع) و (عنن) وفي التاج (عن) و (طوط) ، والبيت (١٦) في التاج (علم) ، والبيت (١٩) في اللسان

والتاج (نخع) ، والبيتان (٢٥ ، ٢٦) في بلدان ياقوت (غمازة) ، والابيات (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) في بلدان ياقوت (نطاع) ، والبيت (٢٦) وحده في معجم ما استعجم ٤/١٣١٤ ، والتاج (نطع) ، والبيت (٢٨) في المرصع/٦٥ ، وعجز البيت (٣١) في اللسان (شيع) .

[١١]

الابيات (١ – ٤٨) في الاغاني ١٩/٩٢ عدا الابيات (٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) ، والابيات (١ – ٣) في المنازل والديار/١٢٧ ، وفي بلدان ياقوت (اسنمة) ، والابيات (٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨) في الخزانة ٣/٥٦٥ – ٥٦٦ ، والسادس في شرح المفضليات/٤٧٣ ، والثامن والعاشر في حيوان الجاحظ ١/٣٤٧ ، والغيث المسجم ١/١٥ ، والثامن وحده في شرح مقامات الحريري للشريشي ٢/٢١٦ ، واللسان (بتل) وجزء منه في المعرب/٨٥ غير منسوب ، وصدر البيت التاسع غير منسوب في أساس البلاغة/١٠٤ والعاشر في اللسان (تمر) ، والبيت (١١) غير منسوب في اساس البلاغة/٤٢٨ ، في البيت (١٢) في سمط اللآليء ١/٣٣٢ ، والابيات (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٦) في كتاب الخيل لابي عبيدة/١٧٢ ، والابيات (١٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤) في التذكرة السعدية (مخطوطة) الورقة/٥ .

والابيات (١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦) في حماسة ابي تمام (المرزوقي) ١/٦١ و (التبريزي) ١/٣٢ ، والبيتان (١٥ ، ٢٠) في الاغاني ٥/١٠٧ (ساسي) واماني المرتضى ١/٣٦١ ، وغير منسوبين في اللسان والتاج (نزل) ، ونسبا في خزانة الادب ٢/٣٠٥ ، والبيت (١٥) في أحسن السبك/١٦٥ ، والبيت (١٨) في شرح المفضليات/٤٢ ، والبيتان (١٩ ، ٢٠) في حيوان الجاحظ ٦/٤٢٧ ، والبيت (١٩) في شرح المفضليات/٤٨١ ، ٨٤٣ .

والبيت (٢٠) في عيون الاخبار ٢/٢٦ ، وفي اعجاز القرآن/١٥٦ غير منسوب ، ونسب في السمط ٢/٧٨٩ ، والعمدة ٢/٨ ، والاقتضاب/١٥١ ، واماني

ابن الشجري ٢/١١٠ ، ولم ينسب في تحرير التحبير/٣٨٨ ، والطراز ٢/١٨٢ ، ونسب في خزانة الادب لابن حجة/١٣٨ ، وخزانة البغدادي ٣/٦٢ ، وعجزه في مناقب الترك للجاحظ/٥٤ (ضمن مجموعة رسائله التي نشرها عبدالسلام هارون ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥) والبيتان (٢٢ ، ٤٤) في التذكرة السعدية (مخطوطة) الورقة/٢٥ ، والبيتان (٢٥ ، ٢٦) في احسن السبك/١٧٦ ، والبيت (٢٦) في اللسان (وجا) واحسن السبك/١٧١ ، والبيتان (٣٢ ، ٣٧) فيالخزانة ٤/٤٢٠، والابيات (٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) غير منسوبة في اللسان (تبب) والبيت (٣٣) في شرح المفضليات/٢١٨ واللسان (مط) والبيت (٣٥) في شرح المفضليات/٢٧٢ ، ولم ينسب في الشرح نفسه/١٦٨ ، ونسب البيت (٣٩) في شرح المفضليات/٨٥١ والبيتان (٤٢ ، ٤٤) في مجموعة المعاني لمؤلف مجهول/٥٠ ٠

[١٢]

الابيات (١ ـ ٣) في المنازل والديار ٢/١٤٦ ـ ١٤٧ ٠

[١٣]

الابيات (١ ـ ٣) في التذكرة السعدية (مخطوطة) الورقة/١٦٠ ٠

[١٤]

البيتان في حماسة البحتري/٢٧٧ ٠

[١٥]

البيتان في اضداد الانباري (١١٢ ـ ١١٣) والاول وحده في شرح المفضليات/٦٧ ، ٣٥٧ ٠

[١٦]

البيتان في حماسة البحتري/٣١٢ ٠

[١٧]

البيت في شرح المفضليات/٧٢٠ ٠

[١٨]

الابيات (١ ـ ٦) في الاغاني ١٩/٩٢ ٠

[١٩]

الابيات (١ ـ ٤٥) في المفضليات ١/١٧٨ والابيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣) في الحماسة البصرية ١/٤٦ ـ ٤٧ والاول والثاني في بلدان ياقوت (حمران) والاول وحده في بلدان ياقوت (جمران) والسابع في الموشح/٥١ • والبيتان (١٠ ، ١١) في تهذيب الالفاظ/٥٧١ ، والبيت (١١) وحده في الكنز اللغوي/١٨ واللسان والتاج (غيم) •

والابيات (٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) في بلدان ياقوت (طخفة) والابيات (٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩) في بلدان ياقوت (بزاخة) • والابيات (٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) في النقائض/١٠٦٧ ، وفي بلدان ياقوت (النسار) • والبيت (٢٦) في التاج (لزب) ، والبيتان (٣٣ ، ٣٤) في بلدان ياقوت (عاند) ولم ينسب البيت (٣٣) في أمالي القالي ١/٨ ، ونسب في شرح ابيات ادب الكاتب لابن البطليوسي/٣٦٦ ، ولم ينسب في اللسان (رحا) ، والبيت (٣٥) في بلدان ياقوت (تيمن) •

والبيتان (٣٦ ، ٣٧) في بلدان ياقوت (السليم) ، والبيت (٣٧) في المرصع/١٢٦ ونسب هذا البيت وبيت آخر خطأ لموسى شهوات في بلدان ياقوت (السليم) •

والبيتان (٤٠ ، ٤١) لم ينسبا في حماسة ابي تمام (المرزوقي) ٤/١٦٦٦ والبيت (٤٠) في حماسة البحتري/١٨٠ ، والبيت (٤٢) في محاضرات الراغب ٣/١٤٦ •

[٢٠]

الابيات (١ ، ٢ ، ٣) في النقائض ١/١٩٦ •

[٢١]

البيتان في تهذيب اللغة ٥/٢٥٨ وفي الفائق ٢/٣٤٤ •
وبلدان ياقوت (القس) واللسان (قسس) •

[٢٢]

الاول في شرح المفضليات/٦٠٠ والشطر الثاني في شرح شواهد المغني/١٥٩ •

سقراط من خلال المصادر الغربية والحديثة

الدكتور حسام محي الدين الآلوسي
المدرس بقسم الفلسفة ـ كلية الآداب

مقدمة : منذ القرن الخامس قبل الميلاد وخلال القرن الرابع اتخذت الفلسفة اليونانية طابعا جديدا يمكن تلخيصه بما يأتي : ـ

١ ـ دراسة الانسان والمجتمع اولا وقبل كل شيء ثم دراسة الطبيعة او عدم دراستها على الاطلاق ، ولذلك اصبح للاخلاق المكان الاول في فلسفات هذه الحقبة .

٢ ـ البحث في العلم وفي المنهج الذي على الانسان ان يتخذه للوصول الى المعرفة . والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة الحقيقية اي ماهيات الاشياء الكامنة وراء المحسوسات .

٣ ـ وادى البحث عن ماهيات الاشياء الى فلسفة ميتافيزيقية تتجه اتجاها مثاليا ، اعني انها تهتم ليس بما تبديه لنا الحواس بل بجواهر الاشياء وتبحث في امكانية وجود عالم مثالي مقابل للعالم الحسي . كما تهتم في ميدان الاخلاق بالنظر قبل العمل وبالمعرفة قبل السلوك .

هذه الخصائص وخصوصا الاول هو ما يعبر عنه عادة بان سقراط والسوفسطائيين قد انزلوا الفلسفة من السماء الى الارض . ويعزو الباحثون سبب هذا التحول في الفلسفة اليونانية الى ما يلي : ـ

١ ـ ان التطور الطبيعي للفرد يقتضي ان ينظر اولا الى الخارج ولا يتجه الى دراسة نفسه اي الى الداخل الا فيما بعد فهكذا ايضا الفلسفة والفكر اليوناني بدأ بدراسة المدارس الطبيعية على يد المدارس الايلية وسواها قبل القرن الخامس ثم عاد يدرس الانسان بعده .

٢ ـ تبدل الاوضاع السياسية والاجتماعية ، فقد دمرت اثينا الفرس في موقعة سلاميس البحريه على يد الحزب الديمقراطي ، فنشأ عن ذلك انتصار

---

(١) هذا البحث جزء من كتاب لي عن سقراط . وقد نشرت قسما من الكتاب في مجلة الاقلام ج٥ ، ١٩٦٨ بعنوان : « سقراط من خلال المصادر العربية القديمة » .

الديمقراطية وتوسع التجارة والصناعة فنشطت الحياة العلمية،وتعاظم التنافس بين الافراد ــ في ميدان الفكر والتجارة والسياسة ــ وزادت اسباب النــزاع امام المحاكم والمجالس الشعبية فشاع الجدل القضائي والسياسي فنشأت عن ذلك حاجة شديدة الى الخطابة والبيان ومن هنا كان ظهور جماعة يمثلون التيار الجديد في دراسة مشاكل الانسان من جهة والاتجار بالعلم من جهة ثانية وهــم السوفسطائيون .

٣ ــ وكان لاستعمال السوفسطائيين وسائل ادت الى الشك وانعــدام حقائق عامة في ميدان العلم والاخلاق ان قام ســقراط ومن ورائــه افلاطون وارسطو يبحثون في طرق المعرفة الصحيحة وماهيات الاشياء وسواها من مباحث الاخلاق وما وراء الطبيعة . ولا ننسى ان الحركة العلمية متمثلة في ابقراط ومينون ٤٣٢ ق.م. وهيرودوت والمؤرخ المشهوركان لها اثر ايضا في التحضير لاستخدام الاسلوب العقلي الهادف الى تحليل المعاني وتحديدها كما نجد ذلك عند ســقراط .

٤ ــ وقد ادى انغمار الناس في الملذات نتيجة للثراء والتجارة في اثينا الى تلمس الناس للتقوى والحاجة الى غذاء خلقي خصوصا بعد انقوضت اراء السوفسطائيين كثيرا من الاعتبارات الخلقية لدى الناس بما زرعوا من نسبية ولا ادرية وذاتية مفرطة . ومن هنا كان دور سقراط ، وتأكيد فلســفته على الجانب الخلقي من جهة وعلى التحديد والتعريف من جهة اخرى [٢] .

---

(٢) يراجع في خصائص وظروف هذه الفترة :

Zeller. E.: Outlines of The History of Greek Philosophy. New York. 1955. p. 113, Lowess. G. H.: Biographical History of Philosophy. London. 1821. p. 113; Appleton. R.B.: The Elements of Greek Philosophy. London. p. 22. p. 45—54; Russell. B.; History of Western Philosophy. London. 1961. p. 22; Muirhead J.: The Elements of Ethics. London. 1939. p. 9.

وبالعربية : يوسف كرم : تأريخ الفلسفة اليونانية . طبعة ثالثة . القاهرة ١٩٥٣. ص ٤٤ــ٤٥ ، واميرة حلمي مطر : الفلسفة عندالیونان. القاهرة ١٩٦٥ . ص ٨٧ــ٨٨ ، وبدوي : افلاطون . طبعة ثالثة . القاهرة ١٩٥٤ . ص ١ــ١٠ ، وابراهيم الطويل : الفلسفة الخلقيــة ، نشأتهــا وتطورها . القاهرة ١٩٦٠ . ص ٢١ــ٢٢ ، وكاسيرر : مدخل الى فلسفة الحضارة . ترجمة احسان عباس . بيروت ١٩٦١ . ص ٣٣ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

كان فقيرا ، وكان السوفسطائيون الوحيدون الذين يعلّمون ويعلّمون بأجر [١٢] » وقد اختلف المؤرخون في مصادر فلسفته ، فيرى لويس انه ليس من الموثوق ما يقال انه تتلمذ لانكساغوراس وارخيلوس كما انه لم يحضر محاضرة واحدة لبارمنيدس وان كان من المحتم انه قرأ بعض اعماله • ويضيف لويس ان سقراط تعلم عن بروديقوس — احد السوفسطائيين — كما يظهر ذلك من محاورة مينون لافلاطون ، ولكن اكسنوفون ينفي انه اخذ من بروتوغوراس أو بروديقوس أو سواهما [١٣] • ويرى الكسند انه علّم من قبل بروديقوس ولكنه لم يلتزم بفلسفة واحد من سابقيه [١٤] • ويرى زيلر ان الكتابات المتأخرة وحدها تجعله تلميذا لارخيلوس ، ويرى انه متأثر بالسوفسطائيين حتى انه يوصي ببعض التلاميذ اوضح ويستمع الى محاضراتهم [١٥] • ولكن جومبرز يميل الى ان ارخيلوس هذا الذي جذب سقراط الى الفلسفة وكان ارخيلوس هذا تلميذا لانكساغوراس كما كان من اكثر الفلاسفة السابقين على سقراط ميلا الى دراسة الانسان [١٦] • اما برنيت [١٧] فيعقد صلة بين سقراط وبعض السوفسطائيين حيث يذكر ان سقراط التقى واستمع الى مناقشات بروتوغوراس مع زينون الايلي وكذلك التقى ببروتوغوراس في مناسبة اخرى حيث يذكره بروتوغوراس بانه اثار اعجابه اكثر من أي واحد معاصر له [١٨] • كما انه كان متعرفاً على هيبياس وبروديقوس ، وانه حضر دروساً رخيصة للاخير • اما عن جور جياس فانه لم

(١٢) محاورة : لاشيس :
Laches : 186. p. 62 of : The Dialogues of Plato
Tr. by. Jowett, B. vol. 1. New York. 1937.

(١٣) Lowess. op. cit. p. 135.

(١٤) Alexander B. D. : A Short History of Philosophy. Glasgow. 1934. p. 55.

(١٥) Zeller : op. cit. p. 114.
ويرى انه متأثر بالسوفسطائيين حتى انه كان يوصي ببعض التلاميذ لهم ويستمع الى محاضراتهم .

(١٦) عن : علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان . الاسكندرية ١٩٦٤ . ص ٢٣٨ .

(١٧) Burnet: op. cit. p. 134 — 135.

(١٨) محاورة بروتوغراس : Protog : 361. p. 130. of The Dialogues

يزر اثينا الا بعد ان كان سقراط بعد الاربعين والتقى كذلك بزينون وبامنيدس [١٩]، ويرى برنيت [٢٠] ورسل [٢١] انه اخذ واستفاد من زينون وحججه في طريقته المبنية على الحوار والجدل ، كما اشار كثيرون الى تأثره بهرقليطس وانكساغوراس [٢٢] • على انه يجب التفريق بين التلمذة الحقيقية على شخص مباشرة وبين معرفة شخص ما لاراء شخص آخر عن طريق قراءة كتبه او اي طريق غير مباشر •

وثمة من يربط بينه وبين الفيثاغوريه والاورفية • وقد اوضح برنيت مدى صلته بالاورفيه ، اما عن صلته بالفيثاغورية فيقرر بناء على اعتبارات قوية ان سقراط اصبح رئيسا للفيثاغوريين الذين بقوا في اثينا بعد ذهاب رئيسهم فيلالاوس Philalaos الى ايطاليا [٢٣] • ويرى ابيلتون ان احد اسباب محاكمته هو كونه من الفيثاغوريين [٢٤] ، ويرى كرم ان الاوساط الفيثاغورية والاورفية في اثينا هي التي دفعته الى الميل الى الفلسفة [٢٥] • ولكن الاستاذ بريهيه يرى أنه « لا يوجد اي سبب يحمل على الظن بان سقراط كان من انصار الاورفيه » [٢٦] • ويبالغ غلاب في فهم هذا القول فيقول راداً على كرم « انه ليس في حياة سقراط العملية ولا في فلسفته النظرية ولا في اية ناحية من نواحي ارائه الفكرية كافة ما يمت من قريب او من بعيد الى فكرة تأثره بالاورفية » [٢٧] • وعندي ان جزء من اراء سقراط في الثنائية بين الجسم

(١٩) Burnet: op. cit. p. 133 — 134.

(٢٠) Ibid. 134 — 135.

(٢١) Russel : op. cit. : p. 109.

(٢٢) Appleton : op. cit. p. 55.
وبدوي : افلاطون ص ١٥ ، ومحمد غلاب : الفلسفة الاغريقية . القاهرة ، ١٩٥٠ ج١ . ص ١٤٦ .

(٢٣) Burnet. op. cit. pp. 151 — 153.

(٢٤) Appleton : op. cit. p. 56.

(٢٥) كرم : تأريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٠ .

(٢٦) عن : غلاب : ج١ . ص ١٧١ .

(٢٧) غلاب : ج١ . ص ١٧٠ .

والنفس وخلود الاخيرة واليوم الآخر وحتى الزهد تعكس جذورا فيثاغورية واورفية • ومما يدل على مبالغة غلاب وخطأ بريهيه ان سقراط في محاورة فيدون يذكر المذهب الاورفي في مناسبات لتأييد رأيه ، مثلا عندما طلب منه تلامذته ان يزيل شكوكهم فيما اذا كانت النفس ستتبدد كالدخان ، نجده يذكرهم بالمذهب الاورفي في ثنائية الجسم والنفس وبقاء الاخيرة • ومع انه لا يشير صراحة الى اسم « الاورفية » فانه يسميها « بالمذهب القديم » والذين « انشأوا الاسرار » والذين انفصال الروح وفكاكها من الجسد هو موضوع بحثهم الخاص • وبقية الكلام من ص ١٨٣–١٩٢ يدل على الاورفية [٢٨] • ويقول انه « انفق حياته كلها بينهم لعله يجد مكانا » • ويؤيد كلامي هذا ، ان تايلور في معالجته لهذا النص يرى انه يقصد الاورفية [٢٩] •

ولم يؤلف كتابا ، ويستدل لويس على محاورة « فيدروس » كسند تأريخي يفسر لماذا لم يؤلف سقراط الكتب • يقول سقراط : « الكتب لا يمكن ان تنتج شيئا ولا يمكن ان تجيب ، ولذلك لا يمكن ان تعلّم شيئا ونحن نتعلّم منها فقط ما نعرفه قبلا » [٣٠] • والنص في « فيدروس طويل وعلى شكل محاورة بين فيدروس وسقراط حيث يوضح سقراط مطولا انه حسب تقليد معبد ثاموس او آمون The Oracles of Thams or Ammon يعتبر ساذجا وغريبا من يدون بالكتابة اي شيء على اساس اعتقاده ان الكتابة ستكون مفهومه او محددة ، ومن يقول ان الكتابة احسن من المعرفة بالحفظ • ثم يبين سقراط ان الكتابة كالتصوير بدون حياة ، وكما لا يجيب الرسم كذلك لا تنطق الكتابة • ان الكلمة المكتوبة بلا روح انها ظل وشبح للكلمة الحية التي موضعها روح المتكلم ، وان الطريقة الوحيدة لتعلم العدالة والحق ••• الزهو التعلم الشفهي [٣١] •

---

(٢٨) محاورة فيدون ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ •

(٢٩)
Taylor. A. E. : Plato The Man and His Work. London. 1960. p. 184. Line. 26.

(٣٠)
Lowess: op. cit p. 142.

(٣١) محاورة فيدروس :
Pheadrus : 275 — 278. pp. 278 — 281. of The Dialogues ...

اما عن تلامذته فيمكن الاشارة الى نوعين منهم : نوع رافق سقراط مدة وجيزة وهم بعض الشبان من ابناء النفوذ او سواهم طمعا في ان يتعلموا عنه شيئا يفيدهم في الحياة العامة من سماعهم لمجادلاته وامتحانه للادعياء اكثر مما يمكن ان يتعلموه من اي معلم سوقسطائي محترف • ومن امثال هؤلاء كريتياس Critias وارستيدس Aristeides وكذلك القبياديس Alkibiades وخارميدس Charmides خال افلاطون ، والذي بواسطته ارتبط افلاطون بسقراط ولكن هؤلاء ليسوا تلاميذ بالمعنى الذي يقال فيه ان شريفون تلميذ لسقراط • وفي « الدفاع » يسميهم سقراط « هؤلاء الذين اشيع بين الناس انهم تلاميذي »[٣٢] • والحق انه لا يشير الى اسمائهم • ويقول برنيت انه لايوجد في أي مكان من افلاطون ان القبياديس هو تلميذ لسقراط ، كما ان اسوكراتس Isokrates ينتقد بوليكراتس لانه يجعل القبياديس تلميذا لسقراط مع انه لا احد يعرف انه تلميذ له ابدا [٣٣] •

اما النوع الآخر من التلاميذ فهم التلاميذ الحقيقيون ، ففي فيدون يعدد اسماء اربع عشرة منهم حضروا مناسبة شربه السم في السجن وهم : ابولو دورس ، وكريتوبولس ، وابوه اقريطون ، هرموجينس ، وابيجينس ، وايشينس ، وانتستين ، واكتيسبس من اهل بيانا ومينيكسينوس ، وهؤلاء اثينيون • ومن الغرباء بقية العدد وهم : سمياس الطيبي ، وكيبس ، وفيدونديس ، واقليدس ، وتربيزون ، الذين جاءوا من ميغارا [٣٤] • يضاف اليهم راوي المحاورة فيدون Phaidon of Elis ويقول برنيت ان اكسنوفون يعطينا كذلك قائمة بتلامذة سقراط الحقيقيين فيها يضاف اسم شريفون وهو غير موجود في قائمة افلاطون اعلاه لان شريفون كما يستدل من محاورة « الدفاع » مات قبل ذلك [٣٥] • ولا تظهر من اسماء الاثينيين المذكورين في قائمة افلاطون غير اسم اقريطون وكريتوبولس • الا ان اسماء ابولودروس

---

(٣٢) « الدفاع » ص ٩٧ . فمن المحاورات بالعربية .

(٣٣) Burnet op. cit. Note 1. u. 138.

(٣٤) « فيدون » ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٣٥) يقول سقراط في « الدفاع » : « لقد مات شريفون ، لكن اخاه ، وهو في المحكمة بيننا يؤيد صدق ما اروي » ص ٧٣ .

وابيجينس يظهران في امكنة اخرى من الذكريات • واما اسم هرسوجينس فهو المصدر لرواية اكسنوفون عن محاكمة سقراط [٣٦] •

وتحوي قائمة افلاطون في محاورة فيدون السابقة بعض الفيثاغوريين مثل كيبس وسمياس وفيدونديس ويذهب برنيت الى انهم مع انهم فيثاغوريين فهم تلامذة حقيقيون لسقراط لانه صار رئيس الفيثاغوريين في اثينا بعد ان تركها فيلالوس زعيمهم الى ايطاليا كما اوضحنا سابقا ، وانه هو الذي اعاد الى الفيثاغورية فكرتها عن ثنائية الجسم والنفس وخلود النفس بدلا من قول فيلالوس ان النفس هي نغم للجسم [٣٧] an attunement

وقد كان لسقراط وبالاحرى لشخصيته تأثير واضح على تلاميذه والمتقبلين به يتضح ذلك في نصين يذكر احدهما مينون ، ويذكر الآخر القبياديس • يستخلص من شهادة مينون انه كانت لسقراط سمعة انه يثير الشكوك في نفس مستمعيه وحتى في نفسه ــ اي سقراط ــ وانه كان عظيم التأثير ليسحر مستمعيه كما سحر مينون نفسه حتى صار حائرا ، حتى ان سقراط ليشبه سمكة التوربيدو فانها تشل شعور وحركة كل من يقتربون منها • وقد كان مينون يحاضر عن معنى الفضيلة والعدالة شأن الواثق من معرفته بهما ، ولكنه ــ كما يعترف هو ــ بعد سماعه لسقراط صار لا يعرف ما يقول ، ولذلك يبارك مينون لسقراط عدم سفره خارج اثينا لانه لو فعل ما يفعل الآن في بلاد غريبة لعدّ ساحراً [٣٨] • اما في شهادة القبياديس في محاورة «سيمبوسيوم» المائدة فاننا نجد في جزء منها نفس المديح لتأثير كلمات سقراط في مستمعيه وفي القبياديس بحيث ان كلامه حتى لو قيل على لسان غيره لكان له اكبر من تأثير اغاني مارسيلس Marsyas Melodies التي علمها لاورفيوس [٣٩] •

---

(٣٦)
Burnet : p. 151.

(٣٧)
Burnet : p. 151 — 153.

(٣٨) محاورة مينون
Meno : 80. p. 359. of The Dialogues

(٣٩) محاورة « سيمبوسيوم » :
Symposium: 215. p. 338—339. of The Dialogues.
وانظر ملحق (A) في آخر كتابنا عن « سقراط » ، حيث اترجم نص تقرير الكسيبيدس كله .

ولنعد الى سجل حياته مرة اخرى لنتوقف عند النقاط التالية : ـ

١ ـ دراسة للطبيعة في شبابه • ٢ ـ نبؤة كاهنة دلفي واشتغاله بالحكمة ومحاكمته فاعدامه • ٣ ـ اشتراكه في ثلاث حروب ، حتى نال نوط الشجاعة• ٤ ـ[٤٠] عدم اهتمامه بالامور العامة والسياسة • ٥ ـ مسألة ادعائه بهاتف او صوت داخلي او وحي • واليك الآن بيان النقاط (١) ، (٢) ، (٥) اما النقطة (٣) و (٤) فستتضح خلال ذلك •

اولا : هل درس الطبيعة ، ولماذا ترك هذا العلم ؟

اصبح من المؤكد ان سقراط قد امضى شبابه في دراسة وتتبع علم الطبيعة وكما يحكي لنا افلاطون على لسانه كان يبحث اشياء كثيرة ، يقول النص : « لقد كنت في صباي شديد الرغبة في معرفة ما يسمى بالعلم الطبيعي من ابواب الفلسفة ، فقد ظننت ان له اغراضا سامية ، اذ هو العلم الذي يبحث عن علل الاشياء فينبئنا لماذا اوجد الشيء ، وفيم خلقه وفناؤه ، وكنت لا اني اقلق نفسي بالنظر في مسائل كهذه : هل يرجع نمو الحيوان الى فساد يجيء به عاملا الحر والبرد كما يقول بعض الناس ؟ ايكون العنصر الذي نفكر به هو الدم [٤١] ام الهواء [٤٢] ام النار [٤٣] ؟ ام قد لا يكون شيئا من هذا القبيل ؟ فربما كان المخ هو القوة التي تبتدع احاسيس السمع والبصر والشم ، وقد تنشأ عن هذه الاحاسيس الذاكرة والرأي ، وعلى الذاكرة والرأي قد يبنى العلم ، ولكن اذا وقفت فيهما الحركة وادركهما السكون ، وبعدئذ مضيت اختبر فساد الاحاسيس واتناول بالبحث اشياء الارض والسماء ، واستخلصت اخيرا انني عاجز كل العجز عن هذه المباحث ، وعلى ذلك ساقيم لك الدليل

(٤٠) نجد في محاورة «سيمبوسيوم» نصا طويلا في وصف سقراط كجندي . انظر ملحق (A)

(٤١) وهو رأي ابنا ذوقليس Empedocles

(٤٢) وهو رأي ديوجين Diogenes من اتباع مدرسة ايونيا الطبيعية .

(٤٣) كما هو رأي هرقليطس Herakleitos

انظر عن اراء هؤلاء الفلاسفة المذكورين في الحواش (٤١ـ٤٤) اعلاه :

Burnet. J.: Early Greek Philosophy. London. 1958;

Zeller : op. cit. under the above names.

واحمد فؤاد الاهواني : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط . القاهرة ١٩٥٤ . تحت الاسماء اعلاه .

قاطعا فقد فتنت بها الى درجة عميت معها عيناي ان ترى الاشـياء التي كنت احسبني ، ويحسبني الناس ، عالما بها علم اليقين ، وقد انسيت ما كنت ظننته من قبل بديهيا لا يحتاج الى دليل ، وهو ان نمو الانسان نتيجة الاكل والشرب ، لانه بهضم الطعام يجتمع لحم الى لحم وعظم الى عظم ، وحيثما تجمعت عناصر متجانسة كبر الجرم الضئيل ، وعظم الانسـان الصغير . ألم يكن ذلك رأياً مقبولا (٤٤) ؟ » .

هذا اعتراف من سقراط باشـتغاله بالعلـم الطبيعي في فترة مبكرة من حياته ، وما ينقل من اراء هنا هي آراء بعض فلاسفة اليونان انذاك كما بينا في الحواشي . ومما يقوى هذا الاشتغال منه بالعلم الطبيعي ان العلوم كانت في ذلك الوقت متصلة . ومما يسند هذا ايضا ، انه في جزء من محاورة فيدون يعرف جملة من آراء الطبيعيين في الطبيعة والفلك مثل من « يفترض دوامة من الماء تحيط بالارض التي ترتكز في وضعها بفعل السماء ، وترى آخر يذهب الى ان الهواء عماد الارض ، وان الارض في شـكل الحوض الفسيح » (٤٥) . والاغلب انه يريد بهذين طاليس وانكيمانس ومما له دلالة بنفس الاتجـاه ، اعني كونه من المشتغلين بالعلم الطبيعي في صباه مسرحية «السحب» لارستوفان The clouds of Aristophanes وكان ارستوفان معاصـرا لسقراط وقد صوره من المفكرين الطبيعيين الذين يرون ان الهواء هو مصدر التفكير ولذلك اتخذ له مكانا معلقا في الهواء بسلة حتى يتنسم اكبر كمية من الهواء تساعده على قوة التفكير (٤٦) . وحسب البعض ان هذا التصوير غير صحيح وان ارستوفان انما اراد بسقراط مثلا رمزيا عن السوفسطائيين لشهرته وغرابة اضواره وقبحه (٤٧) .

وفي الدفاع نص صريح على انه ليس له صلة بعلم الطبيعة . وقبـل ان نحاول تحقيق مدى في هذا النص وما ذكرناه من اشتغاله بعلم الطبيعة من خلاف

---

(٤٤) النص اعلاه عن « فيدون » ص ٢٥٦–٢٥٧ . والرأي الاخير هو رأي انكساغوراس . انظر عنه المصادر المذكورة في حاشية (٤٣) اعلاه .

(٤٥) « فيدون » . ص ٢٦٢ .

(٤٦) ريفو : الفلسفة اليونانية ، اصولها وتطورها . ترجمة عبدالحليم محمود . القاهرة ١٩٥٨ . ص ١١٠ .

(٤٧) هذا ما ذهب اليه كرم مثلا . ص ٥٤ . ولم يفطن الى الحقيقة التأريخية في مسرحية « السحب » النشار ايضا . ص ٢٤١ ، وغلاب ج١ . ص١٥٣ .

او اتفاق ، لنتأمل معا هذا النص كما فعلنا مع نصه السابق عن فيدون الـذي يؤكد فيه الاشتغال بهذا العام .

يقول سقراط ، أو افلاطون ، على لسان سقراط في «الدفاع» بعد ان يتكلم عن دعوى « انيتس » وصحبه عليه وانها ليست الاولى « فلقد اتهمني من قبل نفر كثير ولبثت دعواهم الباطلة تتردد اعواما طوالا واني لاخشاهم اكثر من هذا الرجل « أنيتس » وعصبته ... فهم يحدثونكم ـ ايها الاثينيون ـ عمن يسمى سقراط انه حكيم يسبح بفكره في السماء ، ثم يهوى به الى الغبراء، وانه يخلع على الباطل رداء الحق،اولئك هم من اخشى من الاعداء ، فقد اذاعها في الناس هذا الحديث،وما اسرع ما يظن الدهماء ان هذا الضرب من المفكرين كافر بالآلهة .... واهول من ذلك كله ان لبثت اسماؤهم مجهولة لا اعلمها لـولا ذلـك الشـاعر الهـازل ـ يقصـد ارستوفان ـ الـذي ساقتـه الظـروف ، ... [48] »

ثم يلخص دعوى هؤلاء ، : (« قد اساء سقراط صنعا ، وهو طلعة يصعد البعد الى السماء وما تحتوي ، ثم ينفذ به تحت اطباق الثرى ، وهو يلبـس الباطل ثوب الحق ، ثم انه يبث تعاليمه هذه في الناس » تلك هي جـريرتي ، وقد شهدتم بانفسكم في ملهاة ارستوفان كيف اصطنع شخصا اسماه سقراط جعله يجول قائلا انه يستطيع ان يسير في الهواء ، واخذ يلغو في موضوعات لا ازعم اني اعرف عنها كثيرا ولا قليلا ـ لست اقصد بهذا ان اسيء الى احد من طلاب الفلسفة الطبيعية ـ فلشد ما يسؤني ان يتهمني مليتس بمثل هذا الاتهام الخطير . ايها الاثينيون ! الحق الصراح اني لا اتصل بتلك الدراسـة الطبيعية بسبب من الاسباب ... انطقوا اذن يامن سمعتم حديثي وانبئوا عني جيرانكم . هل تحدثت في مثل هذه الابحاث كثيرا او قليلا ؟) [49]

والذي يلوح انه مؤكد او قريب من المؤكد ان سقراط لا يريد او يمكن ان يريد النفي المطلق ، بل نفي استمرار اشتغاله به في سن الـكهولة او بعد سن الصبا . وسيتضح عن الـكلام عن مصادر دراسة سقراط ، وعن قيمة « السحب » كمصدر انه لا تعارض بين النصين اعلاه عن سـقراط ، كمـا لا تعارض بين المصادر الثلاثة عنه ، افلاطون ، وارستوفان ، واكسنوفون في

---

(٤٨) «الدفاع» . ص ٦٨-٧١ .

(٤٩) «الدفاع» ص ٧٠ ـ ٧١ .

مسألة اشتغاله او عدم اشتغاله بالعلم الطبيعي • واذا كنا قد فصلنا ما يخص هذه النقطة الاخيرة في كلامنا عن مصادر دراسة سقراط ، فلنعد الى ما كنا بصدده فأقول ، ان مما يؤيد معرفة سقراط بالعلم الطبيعي مايذكره اكسنوفون من ملاحظات لسقراط عن الاجسام والطبيعة (٥٠) •

ويمكن اجمال الرد على من ادعى : « ان ارستوفان لا يعرف شيئا عن سقراط ، وانه اراد ان يجعله رمزا للسوفسطائيين فحسب ، لا انه يريد ان يخبرنا عن اتصاله بالعلم الطبيعي حقيقة » بما يلي (٥١) : ـ

١ ـ ليس من المعتاد في كتاب المسرحيات من هذا النوع ان يختاروا لهدفهم شخصا لا يعرفونه • ان كتاب المسرحيات لا يتعاملون مع النماذج ، بل مع الشخصيات • وعندما يشير ارستوفان الى نموذج في مسرحياته فانه يعطيه اسما خياليا كما في مسرحية « الطيور » •

٢ ـ كان سقراط من بين الاثينين اكثرهم اتصالا بالناس واوسعهم مجالا لان يتعرف عليه •

٣ ـ لا يمكن ان يكون سقراط مثالا للسوفسطائي ، بقدر ما يتعلق الامر بالتفكير في المسائل الطبيعية ، لان السوفسطائيين كما يعرف الجميع لم يحفلوا بالطبيعيات •

٤ ـ انه اشتغل بالطبيعيات في شبابه وهذا يصادف الوقت الذي ألفت فيه رواية « السحب » وذلك سنة ٤٢٣ ق•م• وكان عمر سقراط حوالي الـ (٤٧) سنة ، وان سقراط ـ كما يبدو ـ لم يلبث ان ترك هذا العلم قبل الخامسة والثلاثين من عمره منصرفا الى الاخلاق وما وراء الطبيعة للاسباب التالية التي نجد معظمها عند اكسنوفون : ـ

١ ـ لان الطبيعيين لا يستطيعون ان يقدموا حلا لمشاكل الطبيعة واصل الاشياء ، بل يعتمدون على التفسير الآلي الذي لا يقدم ولا يؤخر • وهذا

---

(٥٠) راجع النصوص كاملة في :
Xenophon : Memorabilia. BK. I. ch. iv, and BK. iv. ch. iii.
ونجد النصوص بالانكليزية في :
Lowess. ou. cit. p. 152—164.
وانظر الملحق (B) آخر الكتاب عن سقراط .

(٥١) انظر :
Lowess: op.cit. p. 157; Appleton. op. cit. p. 54—55; and Rogers. A.K. : Student's History of Philosophy. 3 Rd. ed. New York. 1941. p. 54.

ما يتضح من نقده لمذهب انكساغوراس . ففي موضع من محاورة « فيدون » يعرض افلاطون على لسان سقراط مذهب اناكسجوراس ونقده له ، ويتضمن انتقاده انتقادا للمذهب الطبيعي الآلي لمدرسة ايونية والمدارس الطبيعيةالاخرى قبل سقراط وللعلم الطبيعي المتمثل في هؤلاء [٥٢] .

٢ ــ اختلافهم وتناقضهم : يذكر اكسنوفون في مذكراته قول سقراط : « ... كذلك نجد اولئك الذين يبحثون في الطبيعة ، بعضهم يعتقد في ان كل الاشياء في صيرورة دائمة [٥٣] ، وبعضهم الآخر يلغي الحركة [٥٤] ، وبعضهم يرى ان كل الموجودات قد حدثت وستفنى [٥٥] ، وبعضهم يرى ان لا وجود [٥٦] ولا فناء » . [٥٧]

٣ ــ عالم الطبيعة من صنع الآلهة فهي وحدها تملك معرفته فالبحث فيه حرام [٥٨] .

٤ ــ يذكر افلاطون ان سقراط كان يرى انه ليس للانسان ان ينظر الى دراسة الآلهة والطبيعة وهو يجهل نفسه « انني لا استطيع ان اعرف نفسي

---

(٥٢) « فيدون » ص ٢٥٨ فما بعد . وانظر الملحق (٢) آخر الكتاب .

(٥٣) هذا الرأي معروف عن هرقليطس .

(٥٤) وهم الايليون ، بارميندس وزينون واخرون . ولزينون هذا حجج في ابطال الكثرة والحركة .

(٥٥) لعل المقصود من يقول بالعود الابدي : كل الاشياء حدثت من مادة : نار عند هرقليطس ، وأبيرون عند انكسيما ندريس ، والمحبة والكراهية عند انباذو قليس ، وسنعود اليها بعد فترة زمنية وهكذا باستمرار . اما ان اريد الحدوث من لا شيىء والعودة الى لا شيىء فهذا يعارض البديهة اليونانية : انه لا شيىء يوجد من لا شيىء او يصير الى لا شيىء .

(٥٦) اي : وبعضهم يرى ان لا ايجاد ولا افناء . فلعل المقصود بذلك انباذوقليس وانكساغوراس لانهما قالا بكثرة حقيقية فذهب انكساغوراس الى انه لا شيىء يصير او يتغير الى اي شيىء آخر ، بل كل شيىء في اي شيىء ، وعلى ذلك فسر التغذي والنمو بانهما تحلل الخبز فيذهب ما فيه من ذرات لحمية الى اللحم وما فيه من ذرات عظميه الى العظم وهكذا . وقد اشار سقراط في محاورة « فيدون » الى مذهب انكساغوراس هذا . « فيدون . ص ٢٥٧ » . ويراجع عن فلسفة الاشخاص المذكورين في الحواشي (٥٣ـ٥٦) اعلاه المصادر المذكورة في حاشية (٤٣) اعلاه .

(٥٧) النص العربي عن : مطر ، ص ١٠٢ . والنص الاصلي في :
Xenoph : Memo, 1. 1. 14

وفقا لحكمة معبد دلفي ، فكيف اطمع في ان ابحث فيما ليس لي صلة به [٥٩]».

(٢) اشتغاله بالحكمة واعدامه :

لاشك ان «دفاع» سقراط،برواية افلاطون،ومحاورة «اقريطون وكذلك «دفاع في المحكمة» لاكسنوفون[٦٠]،تعتبر اوسع مصدر عن هذه الناحية،يضاف الى ذلك بعض اقسام من محاورة «فيدون» حيث تصور ساعاته الاخيرة وشربه للسم.

يحدثنا سقراط عن نفسه في « الدفاع » : ان صديقه شريفون سأل كاهنة معبد دلفي ــ الذي يرى برنيت انه حدث قبل حرب البولنيز وقبل ان يصل سقراط الى الخامسة والثلاثين من عمره[٦١](وهذا المعبد هو معبد الاله ابولو) عما اذا كان يوجد احكم من سقراط ، فاجابت بالنفي . ولما علم سقراط بذلك راح يفتش ليجد الحكيم الذي يستطيع ان يقول انه احكم منه [٦٢] ، او ليتأكد من صحة هذه الدعوى بانه لا يوجد احكم منه في زمانه . وكان سقراط يعترف بانه لا يعلم شيئا من الحكمة ولكنه لما سأل السياسيين والشعراء ودعاة الحكمة او ادعياءها وجدهم جهلاء [٦٣] . وقد التف حوله الشباب من اجل ذلك وراحوا هم ايضا يكشفون عن الادعياء [٦٤] ، فسبب هذا نقمة لدى علية القوم سياسيين ورجال فكر ، فلم يجدوا سوى ان يوجهوا له التهمة بانه يفسد الشباب ، ويترك آلهة الدولة ويقول بسواها [٦٥] . ويحدثنا سقراط في الدفاع ان هذه التهمة ليست الاولى ، فقد اتهم في صباه بانه يقول بامور طبيعية على لسان اكسنوفان وسواه [٦٦] .

---

(٥٨) بدوي : ص ٤١ ، ومطر . ص ١٠٣ . عن اكسنوفون النوت السابقة .

(٥٩) محاورة فيدروس : Phaedrus : 230. p. 235.
وتوجد بعض النقاط التي ذكرناها اعلاه في :
Rogers : op. cit. p. 54; Zeller. op. cit. p. 114
وماركريت ومارکريت تايلور : ص ٨٢ .

(٦٠) انظر ملحق (S) آخر الكتاب . حيث قمت بترجمة هذا الدفاع الى العربية لاول مرة .

(٦١) يقول برنيت ان هذا حدث قبل سنة (٣٥) من عمره . وقبل حرب البولنيز . كتابه الكبير . ص ١٣٦ .

(٦٢) « الدفاع » ص ٧٣ .

(٦٣) « الدفاع » ص ٧٤ فما بعد .

(٦٤) « الدفاع » ص ٧٨ ، ٨٤ .

(٦٥) « الدفاع » ص ٧٩ .

(٦٦) « الدفاع » ٦٨ ، ٧٠ . وانظر هذه النصوص في وسط ص (٦) من هذا

وقد قدم في سنة (٣٩٩) ق.م ثلاثة رجال مليتس ممثلا للشعراء، وايننتس ممثلا طبقة الصناع والسياسيين، وليقون ممثلا للخطباء[٦٧]، الدعوى عليه بتهمة افساد الشباب، وانكار آلهة الدولة، والقول بسواها. ومن اجل ذلك حوكم، ودافع عن نفسه وادين وطلب منه ان يختار بين دفع غرامة وبين النفي، ولما كان لا يرى نفسه مذنبا بل انه اجدر بهم ان يعينوه في المجلس الوطني على حد قوله ابد العمر فقد رفض ان يعين أي غرامة كبيرة ام صغيرة [٦٨]، فلم يعجب هذا الموقف حكامه وكانوا عدة مئات أختيروا بالقرعة من بين افراد اثينا، فحكموا عليه بالاعدام بعدد اكبر في هذه المرة، واودع السجن [٦٩]. لم يعدم في نفس اليوم لان من عاداتهم انهم لا يقومون بتنفيذ احكام الاعدام في موسم الاحرام وهو الفترة — ومدتها شهر — التي يذهب فيها بعض الحجاج مع الهدايا الى معبد ابولو ثم يعودون [٧٠]. وطيلة هذه الفترة كان يحاجج تلامذته. وقبل ثلاثة ايام من التنفيذ جاءه اقريطون احد الاغنياء ومن تلاميذه، عارضا عليه الفرار الذي هيأ هو والآخرون كل معداته وكان بامكان سقراط الهرب ولكنه ابى ان يكسر قوانين بلده [٧١]. ولم يلبث ان حل اليوم الاخير فجاءت زوجه اكسانثيب صباحا، ثم صرفها وراح يمضي اليوم في الحديث مع تلاميذه عن مسائل كثيرة مثل حب الموت وكراهة الانتحار وخلود الروح وغير

---

(٦٧) « الدفاع ». ص ٧٩.

(٦٨) « الدفاع » ص ١٠٢ — ١٠٤.

(٦٩) من هنا سننتقل الى محاورتي « اقريطون » و « فيدون » لان مكانيهما السجن، لا المحكمة كما كانت محاورة « الدفاع ».

(٧٠) « فيدون ». ص ١٦٥.

(٧١) يمكن اجمال حجج اقريطون لاقناع سقراط بالهرب : بانه سيفقد اطفاله وزوجه دون معيل، وان تلاميذه سيفقدون حكيمهم، وان العامة ستتهم اقريطون — اذا لم يهرب سقراط — بانه بخل على استاذه بماله، واخيرا بان الحكم الذي صدر عليه حكم ظالم. واجاب سقراط : بانه لا قيمة لاقوال العامة ولا للمال بل للحق وعدم الاساءة الى احد، فلو هرب لاساء لقوانين البلد ولاصدقائه دون ان يستطيع اصطحاب اهله، وانه حتى اذا كان القانون ظالما يجب اصلاحه ونقده من داخل، لا كسره بالهرب عنه، كما ان من يلفظه وطنه فلن يحترمه سواه، ومن يكسر قوانين بلده كرهته قوانين العالم كله، بل وقوانين الآخرة، وانه كالجندي في ساحة الميدان، فعليه ان لا يهرب. انظر ص ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٥.

ذلك • ثم اغتسل وشرب السم بيده وصار يستسلم للخدر والموت بين تلاميذه وهو رابط الجأش •

انني انصح القارىء بقراءة « الدفـــاع » ومحـــاورة « اقريطون » ومحاورة « فيدون » لان أي اختصار لهذه المحاورات يفقدها روعتهـــا والعبر الجمة التي تتخللها •

٣ ــ اسباب اعــدامه : يرى اكثرية الباحثين ، وبالاستناد الى كتبـــه ، ان اسباب اعدام سقراط ، او بالاحرى محاكمته فاعدامه هي : ــ

آ ــ اغضابه لرجال الفكر والسياسيين بكشفه عن زيفهم وانتقاداتـــه لاعمالهم عن طريق تحديداته للمعاني الزائفة والحقيقية من مسميات : العدالة ، والخير ••• الخ وهذا ما يعترف به سقراط نفسه ، وبه يفســـر معنى اتهـــام خصومه له : بانه يفسد الشباب ، فبعد ان سمع من شريفون قول كاهنة معبد دلفي عن حكمته ، راح يمتحن احد الساسة فوجده لا يعرف شيئا مما جر عليه غضبه وغضب من سمع الحوار ، وبعد ذلك « اخذت التمس الناس رجلا فرجلا وانا عالم بما اثيره في الناس من غضب كنت آســف له واخشـــاه ، ولـــكنها ضرورة لم يكن من المعني فيها محيص • انها كلمة الله ، ويجب ان احلها من اعتباري المـــكان الاسمى ••• [٧٣] ، ثم يحدثنا سقراط كيف انه قصد بعد الساسة الى الشعراء بكل اصنافهم فاذا هم لا يعرفون ان يوضحوا من معاني شعرهم اكثر ما يستطيع أي واحد من الاثنيين ان يفعل واذا هم «لايصدرون في الشعر عن حكمة ، ولـــكنه ضرب من النبوغ والالهام ، انهم كالقديسيين او المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات وهم لا يفقهون معناها • هكذا رأيت الشعراء ، ورأيت فوق ذلك انهم يعتقدون في انفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئا استنادا الى شاعريتهم القوية [٧٤] ••• » ثم قصد سقراط الصناع فوجدهم احكم منه في صناعتهم ولكنهم « قد ترددوا فيما تردى فيه الشعراء من خطأ ، فتوهموا انهم ما داموا اكفاء في صناعتهـــم فلابد ان يكونوا ملمين بكل ضروب المعرفة السامية ، فذهبت سيئة الغرور بحســـنة الحكمة ••• وهذا الذي انتهيت اليه قد حرك العداوة في قلوب نفر من اشد

---

(٧٢) « فيدون » . خصوصا ص ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٧٠ فما بعده .

(٧٣) « الدفاع » . ص ٧٤ــ٧٥ .

(٧٤) « الدفاع » . ٧٥ــ٧٦ .

الناس سوءا وخطرا ، كما نسج حولي طائفة من الدعاوى الباطلة .... فانا كما ترونني اسير وفقا لما يرسمه لي الله ، افتش عن الحكمة في كل من يدعيها لا ابالي اكان من ابناء الوطن او غريبا فان لم اجده كما ادعى ، صارحته بجهله كما أمرتني الراعية . ولقد انصرفت الى هذا الواجب انصرافا لم يبق لي معه من الوقت ما أبذله فيما يشغل بال العامة ، او أنفقه في شؤوني الخاصة ، وهكذا كرست حياتي لله فعشت فقيرا معدما .

اما ان الشبان الاثرياء الذين لا تضنيهم شواغل الحياة كثيرا قد التفوا حولي ، فهم قد جاءوا يسعون من تلقاء انفسهم ليشهدوا امتحان الادعياء ، وكثيرا ما انطلقوا بدورهم يلتمسون ادعياء الحكمة ليجروا عليهم التجربة نفسها . وما اكثر ما صادفوا رجالا ظنوا في انفسهم العلم ، فاذا بهم لا يعلمون الا قليلا ، أو هم لا يعلمون شيئا ، فلا يلبث هؤلاء الذين امتحنهم الشبان ان يصبوا عليّ جام غضبهم ، وانفسهم احق بهذا الغضب ، ويستنزلون اللعنة على سقراط لانه افسد الشبان فان سألهم سائل فيم هذه اللعنة ، وأي جريرة اتى ، وأي رذيلة علم ، لما حاروا جوابا لانهم لا يعرفون لغضبهم سببا . ولكي يستروا علائم الحيرة تراهم يعيدون التهم المعروفة التي قذف بها الفلاسفة جميعا ، من انهم يعلّمون ما يتصل بالسحاب ، وما هو دفين تحت الثرى ، وانهم كافرون بالآلهة ، وانهم يلبسون الباطل صورة الحق ، والحقيقة انهم جاهلون ويأبون الاعتراف بجهلهم المكشوف . ولما كانت تلك الفئة كثيرة طامعة نشيطة ، وقد تصدوا جميعا للنزال بما لهم من ألسنة حداد تلعب بالنفوس ، فقد ملأوا اسماعكم بهذا الاتهام الباطل . وكان ان ناصبني العداء هؤلاء المدعون الثلاثة : مليتس ، وأنيتس ، وليقون . فقد ناهضني مليتس ليمثل جماعة الشعراء ، وانيتس ليمثل طبقة الصناع والسياسيين ، وليقون ليمثل الخطباء . وانني كما قدمت لا آمل في ان أمحو في لحظة كل ما علق بي من تهم باطلة (٧٥) . »

ب ـ جميع المحاورات تدل على ايمان عميق بالله ـ او الالهة ـ ولذلك فلا اساس لاتهامه بالالحاد ، وهو احد التهم الذي وجهت اليه في المحكمة ـ الا اذا اريد به انه لايقبل بالقوانين او انه لا يرضى ان يتصور الالهة بانهم يتنازعون كما يظهر ذلك في محاورة «اطيفرون» .ممثلا في جزء من اوطيفرون

(٧٥) « الدفاع » . ص ٧٦ـ٧٩ .

وبعد ان يتحدث اوطيفرون عن منازعات الالهة يقول له سقراط : « ألا يجوز ياوطيفرون ان اكون قد رميت بالفجور لاني امقت هذه الاقاصيص التي تروى عن الآلهة ؟ ... » وبعد ان يؤكد سقراط على صدق هذه الاخبار عن الآلهة يعود سقراط سائلا : « وهل تعتقد حقا ان الآلهة كان يحارب بعضها بعضا ، وان قد نشبت بينها معارك ومواقع حامية ، كما يقول الشعراء ... [٧٦] ؟ . وفي موضع آخر يسأله سقراط اوطيفرون عن معنى التقوى او القداسة فيجيب اطيفرون بانها « ذلك الجزء من العدالة الذي نخدم به الله » . فيسأله سقراط عن معنى « الخدمة » ، وينتهيان الى انها : من خدمة الآلهة فيسأل سقراط : هل هذه الخدمة « تنفع الآلهة أو تقوّمها ؟ هل تزعم انك حين تؤدي شعيرة تصلح شأن واحد من الآلهة ؟ وعندها ينكر اوطيفرون هذا المعنى ويقول انـه يريد بالخدمة « ذلك النوع من الخدمة الذي يؤديه الخدمة لسادتهم » . وبعد ان يلح سقراط في السؤال ينتهي اوطيفرون الى انه يريد بهذه الخـدمة او التقوى او القداسة « ان تعلم كيف تسر الالهة في القول والعمـل بالصـلاة والضحايا ــ القرابين ــ » . فيقول سقراط اذن فالتقوى ، ضرب من علم الصلاة والتضحية ؟ ... والتضحية هي قربان الآلهة ، والصلاة طلب منهم ... وعلى هذا الاساس اذن تكون التقوى هي علم الاخذ والعطاء ؟ ... واذن فالتقوى ياوطيفرون هي فن لدى الالهة والناس ، يتصلون به فريق بفريق ؟ » . ثـم يتساءل سقراط : كيف نستطيع نحن ان نعطي لهم خيرا في مقابل ما اعطونا ؟ فاذا كانوا يعطوننا كل شيء ولا نعطيهم شيئا فتلك مبادلة لنا فيها الصفقة من دونهم ... فان كانوا لا يجنون شيئا لي ياوطيفرون ، فاي معنى لما تقدم لهم من العطايـــا [٧٧] ؟ ...

من هذا يتضح ان سقراط لم يكن ملحداً بالمعنى التام ، لانه كان يقول باله ، او الهة ، ولـكنه يرفض انها تتنازع كما تروى القصص والاساطير ، او انها تسر بالقرابين ، وسقراط يرفض فكرة تقديم القرابين لها .

ومما يؤيد انه لم يكن يعير اهتماما لهذه التصورات المخلة عن الآلهة انه كان لا يقيم الطقوس ولا يهتم بها [٧٨] .يقول برنيت : « ان احدا من المثقفين

---

(٧٦) « اوطيفرون » . ص ٢٦–٢٧ .

(٧٧) « اوطيفرون » . ص ٤٥–٥٥ .

(٧٨) Appleton: op. cit. p. 55.

لم يكن يهتم بالقصص عن الالهة ، اما غير المثقفين فلم يكونوا يهتمون بشيىء [٧٩] • ولم يكن هناك كنيسة او بابوية تحدد الايمان الصحيح او الارثدوكسية السليمة ، وان الشعراء هم الذين كانوا يحددون الميثولوجيا ، وقد سخر ارستوفان من زيوس ، ودنيسيوس • ولو قدم احد للمحاكمة بسبب هذا ، لقدم هؤلاء قبله » [٨٠] • ومما يدل على ان اتهامه بالتنكر لالهة الدولة وحدها ، او بالالحاد المطلق (بكل اله) ليس له اساس ، ان سقراط يوضح امام الاثنيين : ان منطوق التهمة وهو انه كافر بالهة الدولة ، وله معبودات اصطنعها لنفسه ــ متناقض ، لانه اذا كان يؤمن بالرسل الالهية وبالوحي فهو يؤمن بمرسليها اعني الالهة [٨١] • اما اذا ادعى مليتس انه لا يؤمن باي اله على الاطلاق ، فهذا يعارض نص الاتهام اولا ، كما انه مؤمن بالهي الشمس والقمر • ولما زعم مليتس انه سقراط يعتبرهما كتلتين من الحجر • اعلن سقراط : ان هذا ليس قوله ، بل قول اتكساغوراس [٨٢] • ولذلك فالدعوى بطرفيها متهافتة • ومع ذلك فان المحكمة ادانته ، ثم حكمت عليه حكما اشد ، اي بالموت ، بعد ان رفض ان يقترح اي غرامة ، مما يدل على ان اسبابا اخرى غير ــ الالحاد ــ وراء هذه المحاكمة [٨٣] •

ان ايمان سقراط بوجود اله ــ او الالهة ــ لا يرقي اليه شك وبامكان القارىء ان يرجع الى نقده للمذهب الآلي المتمثل في انكساغوراس ومن سبقه من مدارس طبيعية [٨٤] • كما ان اكسنوفون ينقل لنا نصوصا طويلة يقيم فيها سقراط وجود الله ،وعنايته على اساس النظام وملاحظة خصائص الاجسام الطبيعية بكل دقة [٨٥] •

جـ ــ يرى البعض ان كل اثيني يبتعد عن السياسة ينظر اليه بالريبة [٨٦]،

---

(٧٩) Aristo: Poet. 1451. b, 25.

(٨٠) Burnet: op. cit. p. 183.

(٨١) « الدفاع » . ص ٨٧ .

(٨٢) « الدفاع » . ص ٨٥ .

(٨٣) Burnet, op. cit. p. 181.

(٨٤) انظر ص (٧) رقم (١) اعلاه ، وحاشيته (٥٢) .

(٨٥) انظر ملحق (B) آخر الكتاب عن سقراط .

(٨٦) Appleton: op. cit. p. 55.

وكان سقراط بعيدا عنها بشهادة اقواله ، حيث يوضح في « الدفاع » سبب ابتعاده عن السياسة واشتغاله بدلا من ذلك بارشاد الافراد لا للدولة وحجته: ١ ـ ان الصوت الداخلي او « الوحي » كان لم يأمره بذلك [٨٧] • ٢ ـ انه لو اشتغل بالسياسة مخلصا لما طال عمره ولما قدم خيرا للاثنيين ولا لنفسه[٨٨] •

وهذه المسألة يمكن ان تتضح اكثر اذا اخذنا بنظر الاعتبار موقفه العام من الحياة الاجتماعية وتعليمه لتلامذته العزلة عن الحياة العامة • وخير من يحدثنا عن هذه النقطة هيرمن كروست في كتابه الرائع « سقراط ، الرجل والاسطورة [٨٩] » لقد انقسم تلامذة سقراط بعده الى مدارس منها المدارس المسماة « بصغار السقراطيين • ومنها المدرسة الكلية التي كانت تتبع تفسير انتيشين Antishenes لما خلفه سقراط من تعاليم ، وقد ألف احد السوفسطائيين وهو بوليكراتس Polychrates بعد سنة ٣٩٣ـ٣٩٢ بمدة قصيرة كتابا او كراسا يرد فيه على المدافعين عن سقراط ويبرر ، على اسس مختلفة ، محاكمته واعدامه ـ كما سنوضح في الكلام عن مصادره ـ وقد ضاع هذا الكتاب او الكراس ، وبقيت منه شذرات في « ذكريات » اكسنوفون مع رد ومناقشة الاخير لبوليكراتس هذا ، الذي يستند في معظم حديثه عن اراء سقراط على كتابات او تعاليم انيتشين •

هذه مقدمة ضرورية لتفهم ما يقوله كروست عن مسألة عزلة سقراط : فحسب ما يذكره اكسنوفون عن بوليكراتس ان الاخير اتهم سقراط بانه كان يعلم تلاميذه العطالة والانزواء عن العمل على اساس عدم رغبته في المشاركة الاجتماعية واتجاهه اللاديمقراطي • هذا الموقف المستند على اصرار سقراط ومدرسة انيشين على ضرورة العناية بارواحنا اكثر من العناية بوجودنا المادي (الجسم) • ولم يستطع اكسنوفون ان يرد على هذه التهمة في مذكراته [٩٠] • وكذلك فان ليبينوس Libanius (وهو مثل اكسنوفون حاول الرد على بوليكراتس دفاعا عن سقراط) يرى في اتهام بوليكراتس اعلاه ، شيئين :

---

(٨٧) « الدفاع » . ص ٩٥ .

(٨٨) « الدفاع » . ص ٩٤ـ٩٥ .

(٨٩)

Anton-Hermann Chroust: Socrates Man and Myth. London. 1957.

(٩٠) اكسنوفون :

Xenoph : Memor : 1—2 1—2, 1—2—57; 1—2—62.

١ ــ دعوة سقراط تلامذته لرفض كل نعيم ارضي ، و٢ ــ محاولة سقراط اقناع تلامذته بالانسحاب من كل نشاط او مشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لاثينا [٩١] ، وهذا يتضمن شرا كبيرا لاثينا • وكذلك فان بوليكراتس يتهم سقراط كما ينقل لنا اكسنوفون [٩٢] ، ان سقراط كان ضد اي ارتباط عائلي ، او قبلي ، او اي نوع من انواع الطاعة الاجتماعية ، وهذا الرفض للمؤسسات الاجتماعية وسواها من تعاليم الكلبيين الواضحة فان المؤسسات الاجتماعية والعادات والثروة والشرف والشهرة كانت تعني شيئا لا قيمة له بالنسبة لهم وكذلك العائلة والوطن والفنون والعلوم • ولم ينكر اكسنوفون بصراحة صحة بعض هذه التهم • ولا يمكن التأكد بوثوق فيما اذا كان موقف اكسنوفون هذا مبنيا على اعتقاده بان موقف الكلبيين هذا هو موقف سقراط نفسه ، ام انه كان يعرف من مصادر اخرى ان هذا هو موقف سقراط الحقيقي • ويرى كروست : ان سقراط كان معتدلا ، ان في اخلاقه او في ارائه السياسية وان الكلبيين يعرضون موقفا او تفسيرا متطرفا لتعاليم سقراط ، ومع ذلك وكما يعترف اكسنوفون [٩٣] نفسه ، فان في كلامهم عن موقفه من المجتمع والعائلة •• الخ • بعض الحق • وتفسير ذلك ان سقراط عندما يرفع تلامذته شكوى ابائهم منهم ومنه كان ينتقد اباءهم ويدعوهم لعدم الالتفات اليهم والى تكريس انفسهم له ، اذا ارادوا ان يكونوا مثقفين • وربما كان قد وجه قسما منهم بغية اعادة الحكم الاولغاركي الى ان ينصرفوا عن كل شيء سوى الدعوة لهذا ، خصوصا وهو يرى نفسه بامر من وحيه قال انه لن يعنى بشيء من مطاليب الحياة ، أو بكل شيء يتعارض مع تلك الاوامر [٩٤] •

د ــ لا شك ان وراء قتله اسبابا سياسية • ومن الخير قبل ايضاح هذه المسألة ، ان اشير الى احتمال آخر لا يخرج عن هذا السبب ويمكن ان يلحق به فقد ذهب البعض الى ان اتهامه كان بتوجيه من الجنرالات كعمل للثأر منه، لانه اتهمهم في احدى مناقشات البرلمان بانهم قصروا في واجبهم العسكري حيث

---

(٩١) ليبنوس : Libanius : 84—18

(٩٢) اكسنوفون : Xenoph : Memor : 1—2—49—55.

(٩٣) كذلك Ibid., 1—2—53.

(٩٤) كروست Chroust : op. cit. p. 207 — 209.

فشلوا في التقاط القتلى والجرحى بعد موقعة حربية معينة [٩٥] • ولابد من الاشارة الى ان سقراط قد اشترك في ثلاث حروب في بوتيديا Potteidaia سنة ٤٣٢ ق•م• وفي ديلون Delion سنة ٤٢٤ ق•م ، وفي امفيبولس Amphipolis سنة ٤٢٢ ق•م• [٩٦] وكان شجاعا ، حتى انقذ صديقه القبياديس واعطى نوط الشجاعة لذلك ، حيث ان القبياديس طلب ان يعطي لسقراط بدلا منه • وكيف انه في احدى المعارك في ديلون وقد تراجع الجيش الاثيني ، بقي سقراط وحده مع لاشز Laches يقاتلان حتى ان لاشز قال : لو كان كل جندي فعل مثل سقراط لتحولت الهزيمة الى نصر [٩٧] » •

على ان القول بان وراء مقتله اسبابا سياسية انما يراد بـه على وجه التحديد موقفه من الديمقراطية ، فقد كان صريحا في احتقار « الدهماء » على حد تعبيره ، وعدم الاهتمام برأيهم • ويمكن الاستشهاد بالمحاورات التالية للاستشهاد لا الحصر : اقريطون ، وجورجياس ومينو : ففي اقريطون نجد النصوص الآتية : « وفيم العناية بحديث الدهماء ياعزيزي اقريطون ؟ سترى الفئة الصالحة في ذلك رأيا وصوابا يطابق الواقع • وهي وحدها جديرة بالاعتبار [٩٨] » ويقول بعد ان يذكره اقريطون : ان بيدهم محاكمته والحكم عليه — : « لـكنهم في حقيقة الامر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء، وليس بمقدورهم ان يصيروا الرجل حكيما او فدما ، وكل افعالهم وليدة الصدفة [٩٩] »•ثم يناقش اقريطون في ضرورة عدم الالتفات الىرأي الدهماء — بل الى — أي العارفين فقط ، حتى يقول : « اذن فلا ينبغي ياصاح ان نأبه لما تقوله الجمهرة عنا ، انما يجب ان نصغي لحكم الحقيقة كما نستمع الى رأي ذلك الواحد الذي يفهم كنه العدل والظلم ، فانت اذن قد وقعت في الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهماء في الظلم والعدل،والخير والشر، والزائن والشائن ••• [١٠٠] » ومن الخير قبل ان ننصرف الى النصين الآخرين في محاورتي مينو وجورجياس ان نأتي على قول لبرنيت بهذا الصدد • يقول:

(٩٥) Appleton : op. cit. Note 1. on. p. 56.

(٩٦) Burnet : p. 137.

(٩٧) محاورة سيمبوسيوم . انظر الملحق (A) حيث ترجمة هذا التقرير من المحاورة آخر كتابنا عن سقراط .

(٩٨) « اقريطون » ص ١٢٣ .

(٩٩) كذلك . ص ١٢٤ .

(١٠٠) كذلك . ص ١٣١–١٣٢ .

برنيت : « ان افلاطون يشير بوضوح الى ان سبب مقتل سقراط كان سياسيا، ففي نصين يقدم سقراط وهو ينتقد زعماء الديمقراطية في القرن الخامس بما فيهم بركليس انتقادا شديدا • ففي جورجياس (521 C) يخبر السياسي الديمقراطي كاليكلوس (Kalliklos) سقراط بحدة : انه اذا ظل يرفض ان يمدح الديمقراطيين بدلا من ان يحاول ان يدلهم على اخطائهم فانه في خطر ان يقدم الى المحكمة بواسطة شخص شرير ، وعندئذ فكل شيء يمكن ان يحدث له • اما النص الآخر فهو في مينو (94 e) : حيث ان انيتس Anytes هو الذي قام بالتحذير فبعد ان استمع بفارغ الصبر لانتقادات سقراط لابطال الديمقراطية ، قال : « اعتقد انك ياسقراط مستعد لان تقسو على الشعب abuse-people وتزدريهم ، وانني انصحك اذا كان ثمة اي سبيل لان تأخذ بنصحي ان تكون حذرا ، فحتى في المدن الاخرى اتصور انه من السهل ان تسبب للناس الاذى mischief من ان توجههم الوجهة الصحيحة a good turn على الاخص في هذه المدينة [١٠١] » • ثم يقول برنيت : ولذلك فان مما له دلالة خاصة ، القول الذي يقوله سقراط في الدفاع (39 d) ان ابناء وطنه لن يستطيعوا ان يخلصوا انفسهم من الانتقاد حتى ولو تسببوا في موته [١٠٢] • ثم يقول برنيت : ان من نتائج موقف سقراط هذه ان سادت بين الشباب روح العداء للديمقراطية ، وبعد نصف قرن من موت سقراط وضع ايشين Aischines المسألة بوضوح فقال : ان الاثنين دفعوا السوفسطائي سقراط الى الموت لانه كان يعتقد انه درّس كريتياس "Kritias" وبعد اقل من عشر سنوات قال السوفسطائي بوليكراتس : ان سقراط علّم القبياديس • ولكن سقراط في الدفاع لا يقر بتعليمه لهم وكذلك فان

(١٠١) Burnet : p. 186.

(١٠٢) Ibid. p. 187. ولا نجد في « الدفاع » هذا القول مباشرة ، بل الذي فيها هو « فاني لا أوثر خطتي التي رسمتها ولو ادت بي الى الموت ، على ان اصطنع خطتكم احتفاظا بالحياة » . ص ١٠٧ السطر الاخير واول ص ١٠٨ من النسخة العربية والنص بالانكليزية :

«ولو ادت بي الى الموت ، على ان اصطنع خطتكم احتفاظاً بالحياة» .

ص١٠٧ السطر الاخير واول ص١٠٨ من النسخة العربية. والنص بالانكليزية:

I would Rather die having spoken after my manner than speak in your manner and live".

Apol : 39. p. 420. Line 33.

اكسنوفون ينكر ذلك (١٠٣) .

ويرى اكسنوفون ان سبب اتهام انيتس لسقراط في المحكمة شخصي . وذلك ان سقراط نصح انيتس ان يعلم ابنه الثقافة الحرة بدلا من ان يربيه على حرفته هو اي كدباغ "Tanner" (١٠٤) ، ويرى برنيت انه لا يمكن التأكد من صحة او كذب هذا القول فلا شك ان هناك اسبابا اخرى سياسية تجعل انيتس يرغب في ابعاد سقراط عن اثينا اهمها ان سقراط كان خصما لا يقبل المساومة في عدائه لديمقراطية بركليس والتي اكبر مساوئها انها تنكر الحاجة الى الاطلاع والتخصص في السياسة ، انها تهتم بنصح المختصين والعارفين في امور بناء السفن او الزراعة او ما شابه ، ولكنها عندما يكون الامر حول تحديد ما هو الصواب او الخطأ في امور السياسة الوطنية فان اي انسان يريد ان يتكلم ، يفترض انه مساو لاي انسان في ان يقرر ويحكم . ووفقا لافلاطون انه ضن حتى باسم «سياسي» على زعماء الديمقراطية في زمانه بما فيهم بركليس ، ولهذا فان انيتس ، الذي كان معنيا بتنظيم الديمقراطية ، وجد في سقراط خطرا (١٠٥) .

ومن الخير زيادة في الايضاح والتماسا للدقة ان نرجع الى النصين الذين وعدنا بذكرهما اول هذه الفقرة (د) . في مينو نجد النص التالي : « ياسقراط : انك كبير الاستعداد لان تذكر الناس بالسوء to speak evil of men واذا قبلت نصحي فانني اوصيك بان تكون حذرا . ومن المحتمل انه لا توجد مدينة لا يكون فيها من الاسهل ان تسبب للناس الاذى Harm من ان تسبب لهم الخير ، وهذا هو بالتأكيد الحال في هذه المدينة (١٠٦) » .

والنص مسبوق بنقد غير مباشر من سقراط لرجال عصره الكبار من حاكمين واصحاب نفوذ ، مثل ارستيدس وبركليس وثيوسيدس Thucydides

---

(١٠٣) انظر الحواشي : ٣٢ ، ٣٣ مما تقدم ، واكسنوفون : Memor; 1—1, 12 ff.

(١٠٤) Xenoph : Apology, 29

انظر الملحق (S) . وحاشيته (٦٠) اعلاه .

(١٠٥) Burnet : p. 105.

(١٠٦) محاورة مينو بالانكليزية : Meno : 94 — 95. p. 374, of the Dialogus

وذلك ان هؤلاء يعلمون اولادهم المصارعة والفروسية ولا يعلمونهم الفضيلة « لان الفضيلة لا يمكن ان تعلم ، اذ لو كان ممكنا ان تعلم ، لعلم هؤلاء اولادهم الفضيلة اذ هل يظن ان هؤلاء الكبار يبخلون بالمال على تعليمهم ويبذلونها على الفروسية وسواها ؟ وحتى لو كانوا مشغولين بالحكم ، لجلبوا لهم معلمين من داخل اثينا او خارجها » .

وبعد التحذير الذي وجهه انيتس الى سقراط الذي نقلناه في النص اعلاه يقول سقراط موجها الكلام لمينو : « ان انيتس غضبان وثائر علي ، لانه واحد من هؤلاء [١٠٧] » ــ أي من هؤلاء الحكام الذين يعلمون اولادهم المصارعة وغيرها ولا يعلمونهم الفضيلة ــ ، وهذا يذكرنا بنص ما ذكرناه سابقا عن كلام اكسنوفون عن الغرض الشخصي من وراء اتهام انيتس لسقراط ، وهو ان سقراط نصح انيتس ان يوجه ابنه نحو التعليم لا الدباغة .

اما النص الآخر فهو عن «جورجياس» فان كاليكلس وهو هنا Callicles بعد ان يدعو سقراط لان يكون خادما للدولة باي وظيفة يرغب ، وبعد ان يرفض سقراط بسخرية ،ويسمي هذه الدعوة دعوة لان يكون مداحا أو مداجيا Flatterer يحذره كاليكلس بقوله : « كم انت واثق ياسقراط بأنك سوف لن يحدث لك مكروه يوما ما ، ويبدو أنك تعتقد انك تعيش في قطر آخر ، وانك سوف لن يحدث لك مكروه يوما ما ،ويبدو انك تعتقد انك تعيش في قطر آخر ،وانك شخص تعيس بخيل miserable mean person » [١٠٨] . ثم يبين سقراط في جواب هذا : انه ليس من المستغرب ان يقدم للمحاكمة وان يحكم عليه بالموت ، لانه الوحيد من بين الاثنيين الاحياء الذين يمارسون فن السياسة الحقيقي . لانه يقول ما يقول ليس من اجل المدح ، وانه ينظر الى ما هو احسن لا ما هو ادخل للسرور ... وانه اذا قدم فليس عنده ما يقدمه من دفاع امام خصومه سوى الحقيقة [١٠٩] .

---

(١٠٧) Ibid., 95. p. 374.

(١٠٨) محاورة جورجياس بالانكليزية : Gorgias : 521. p. 582. of the Dialogus

(١٠٩) Ibid. 521. p. 582 — 583.

هذا ومما له دلالة على ميوله اللاديمقراطية ، ان معظم تلامذته من انصار هذا الاتجاه ، وقد اوضح مؤلف حديث وهو هيرمن كروست : ان محاكمة سقراط كانت محاكمة سياسية من قبل الارستقراطية الاولغاركية وحزب اليمين (١١٠) . واكتفي هنا بايراد نقطة هامة تعطي بعض الحق لما يذهب اليه كروست . فقد اوضح استنادا على مصادر سوفسطائية معادية لسقراط ، ومصادر موافقة عنه ان سقراط وبشهادة هؤلاء جميعا ، قد هاجم المؤسسات الديمقراطية لاثينا ، بل وساعد على سقوط الديمقراطية . يقول كروست ان اكسنوفون في « ذكرياته (١١١) » يذكر في معرض رده على بوليكراتس ان الاخير ادان سقراط بانه يعلم الصبيان بان يسخروا من القوانين المرعية وان يحتقروا المؤسسات السياسية الاثينية . ويذهب مدافع آخر عن سقراط وراد على بوليكراتس وهو ليبنوس Libanus الى اكثر من هذا فيقول : ان بوليكراتس لم يتهم سقراط بانه كان يرغب في سقوط الديمقراطية الاثينية فحسب ، بل انه ساعد بالفعل على سقوطها . ويقول كروست : ان رد اكسنوفون وليبنوس على هذه التهمة كان ضعيفا فان اكسنوفون لم ينكر ان سقراط كان يقدم انتقادات هدامة حول المؤسسات والقوانين في اثينا . ويبدو ان اكسنوفون وبوليكراتس يعتمدون على انتيثين ، فان الاخير كان يعلم تفوق الافكار والاخلاق الارستقراطية ومن هذه الزاوية زاوية ارستقراطية الفكر هاجم المؤسسات الشرعية والاجتماعية والسياسية لاثينا . ومن الطبيعي ان هذا الموقف يرجع الى سقراط وبتأثيره . ولذلك يوجد بعض الحق في اتهامات بوليكراتس بعداء سقراط للديمقراطية . وعلينا ان نتذكر ان افلاطون هو الآخر اشار مرارا الى ان سقراط قدم انتقادات مرة الى المؤسسات السياسية لاثينا (١١٢) .

---

(١١٠) حول مزيد تفاصيل يراجع الفصل السابع من « كروست »
Chroust: op. cit. ch. 7. p. 197—164.

(١١١) انظر حول توضيحات كروست الفصل الثامن :
Ibid. ch. 8. p. 2,3—204.

واكسنوفون :
Memor : 1.2.9

(١١٢) في حاشية (١٣٥٢) يشير كروست الى مواضع في محاورات افلاطون فيها انتقاد للديمقراطية ورجالها .

Chroust : op. cit. Note 1352.

ويضع كروست الاحتمال التالي : فبعد ان يقارن بين سقراط وبين انتيفون اوف رامنوس Antiphon of Rhamnus استاذ القبياديس والذي كان سقراط يشبهه في ان كليهما فاضل ومعاد للديمقراطية واحتقار العوام ، بل ان انتيفون قاد ثورة سنة ٤١١ ق.م ضد الديمقراطية وحوكم والف دفاعا وحكم عليه بالاعدام كما حصل لسقراط ، يقول : ان ما حدث لانتيفون مؤكد تأريخيا ، اما عن سقراط فربما كان موته ومحاكمته ــ باعتباره خليفة لانتيفون كما يمكن ان يستدل من كلام بوليكراتس ــ لهما صلة بالثورة الارستقراطية سنة ٤٠٤/٤٠٣ (١١٣) .

هـ ــ ويتصل بهذا قول آخر وهو انه كان على اتصال بالفيثاغوريين واتباعهم . وهؤلاء كانوا ضد الديمقراطية وكان الحكم الديمقراطي واحزابه تنظر اليهم بشك . وقد اوضحنا سابقا انه صار رئيسا للمدرسة الفيثاغورية (١١٤) .

ثالثاً : مسألة الوحي

قدمت تفاسير لهذا الذي نجده عند سقراط فاعتبر مرضا عقليا (١١٥) وقيل انه الضمير (١١٦) وقيل بل هو نوع من اللاشعور (١١٧) وقيل هو وحي حقيقي (١١٨)، وهو تعبير صوفي عن التجربة الروحية (١١٩) وقد بين اشلير ماخر (١٢٠) انه ليس نوعا من الجنون ولكنه اقرب ما يكون

---

(١١٣) Ibid. p. 222.

(١١٤) Appleton : op. cit. p. 56 — 57.

وانظر ما سبق ان ذكرناه عن رئاسته للفيثاغوريين . انظر وسط ص (٣) وحاشيته ٢٣ ، ٢٤ .

(١١٥) بدوي . ص ١٨ . دون ان يذكر من قال بذلك . ولم اجد بين مصادري من يذهب هذا المذهب .

(١١٦) اول من قال ذلك اوليمبدوروس ، ثم تبعه اخرون :
Lowess: op. cit. p. 158.

(١١٧) هذا هو رأي اشليرماخر . عن بدوي . ص ١٩ .

(١١٨) يميل الى هذا لوبس وبرنيت استنادا على افلاطون واكسنوفون :
Lowees : op. cit. p. 159;
and Burnet : p. 136 — 137.

(١١٩) Lowess: op. cit. p. 158

(١٢٠) بدوي : ص ١٨ .

الى نوع من المؤثر اللاشعوري • اما القول بانه الضمير فقد استبعد البعض ذلك لانه لو كان كذلك لما كان خاصا بسقراط [١٢١] كما يدعي سقراط لنفسه• يضاف الى ذلك انه لا يحذره الا وقت الامور الخطيرة وهو لا يكتفي بانذاره هو بل ينذره بعواقب اعمال تلامذته ايضا [١٢٢] ويرى برنيت استنادا الى افلاطون (دون ان يشير الى موضع ذلك من افلاطون) انه لا يأمره بعمل شيء بل هو يحذره من عمل شيء على وشك ان يعمله • ولكن اكسنوفون يعارض افلاطون ويقول ان « الصوت » كان يعطي تحذيرات ايجابية وسلبية معا • اي يأمره بالعمل واللاعمل • وفي حالة ما اذا سأل رجل سقراط هل يذهب الى الجندية أو لا وسكت الصوت عن الجواب فهذا علامة على الذهاب [١٢٣]•

ويقول لويس [١٢٤] « ان سقراط كان رجلا متدينا ويعتقد جازما بالاتصالات الروحية المافوق الطبيعة ولكن بساطة هذا التفسير هي التي جعلت النقاد يصرون على تفسير اكثر غموضا وسرية مع ان التفسير المذكور هو مطابق لما يخبرنا به افلاطون عن جني سقراط • ويخبرنا ابوليوس(Apulius. ان افلاطون اعلن انه يوجد جني خاص مقسوم لكل انسان وهو شاهد وحارس لسلوكه في الحياة والذي هو حاضر دائما مع انه غير مرئي لكائن من كان والذي هو امين وحكم ليس على اعماله فقط بل وعلى افكاره ايضا ••• ونجد عند اكسنوفون مثل هذا يقول الاخير : ان الجني يعطي اشارات لسقراط الذي يعتقد بان الآلهة تعلم كل شيء ان قولا وان عملا وما يجول في الصمت لانها حاضرة في كل مكان [١٢٥] • والحق ان سقراط قد استدل بالرسل

---

(١٢١) يلاحظ الكسندر بحق ان سقراط يرى ان كل انسان فيه قوة داخلية يميز بها الخير والشر :

Alexander : op. cit. p. 60.

(١٢٢) هذه ملاحظة ريڤو : ص ١٠٦ ، ولويس :

Lowess : op. cit. p. 158 :

(١٢٣)

Burnet: pp. 129—130 and Note 1. on p. 130.

(١٢٤)

Lowess: op. cit. pp. 158—159

(١٢٥) هذا النص عن لويس ص ١٥٩ ، ويشير الى اكسنوفون :

Memor : i.c.i.

الروحية ليثبت في المحكمة لمليتس انه يؤمن بمن ارسلها اي الالهة [126] كما يحدثنا عنها او عن الصوت الداخلي كأنه ايذان بامر الهي بل هو مرارا يذكر عدم قدرته على مخالفة هذا الصوت او ترك فعل لانه امر الهي ولانه مأمور • مثلاعندما طلبوا منه ترك الفلسفة أو حينما اوضح لماذا لم يشتغل فيﻧﺼﺢ الدولة بصفة عامة او لماذا لا يرضى بالنفسي وينقطع عن مجادلة الاخرين يجيب « لو انبأتكم اني لو فعلت ذلك لكان عصيانا مني لامر الله ••••• لما صدقتم ان يكون جدا ما اقول [127] » • ولابد اخيرا من الاشارة الى تفسير ذكر لهذه الاعراض بانها نتيجة لنزعته الانتقادية العقلية من جهة والدينية الصوفيية من جهة اخرى مما دفعه للبحث عن الموجود المطلق الذي يمكن ان يدرك بالفعل ويعمل كنموذج للسلوك الخلقي ، والذي يعتقد سقراط انه يمكن ان يكون القوة العادلة الحكيمة التي تدبر حوادث الكون [128] •

والحق اذا كان سقراط يؤمن بوجود اله مدبّر للكون ، كما اشرنا ، واذا كان يؤمن بثنائية النفس والجسم ، وخلود النفس ، بل وحتى بوجود النفس قبل الجسد وحتى بالتناسخ كما يميل برنيت [129] ، يكون من المنطقي ان نستنتج بناء على ذلك وعلى ضوء اقوال افلاطون واكسنوفون السابقة عن اقرار سقراط بانه مرسل من الله ، ان نستنتج ان سقراط كان يعترف بانه نبي يوحى له • وقد ذكر لنا القبياديس ــ الذي حارب معه وجرح وانقذه سقراط ــ كيف انه وقف مرة في معسكر يوتيديا وهو دون الاربعين طيلة النهار من الصباح الى الشروق من اليوم التالي بدون حركة مستغرقا في التفكير • وهذا نوع من الذهول الذي يمكن تفسيره بسهولة على اساس انه يصاب بحالة اللاشعور التي تحدث لامثاله من المتنبئين [130] •

مصادر دراسته : يمكن للباحث ان يذكر المصادر القديمة التالية ، محاورات افلاطون ، ذكريات اكسنوفون و « دفاع في المحكمة » له ايضا •

---

(١٢٦) « الدفاع » • ص ٨٧ •

(١٢٧) « الدفاع » • ص ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٦ •

(١٢٨) Zeller : op. cit. p. 115 — 116.

(١٢٩) Burnet : p. 130.

(١٣٠) انظر ترجمة قول الكبيدس هذا في ملحق (A) آخر كتابنا عن سقراط •

وكتابات النتيسشين ، ودفاع لبينوس ، وكـراس هجـومي على سـقراط لبوليكراتس ، واقوال واوصاف ضمن « السحب » لارستوفان ، وبضـعة احكام في كتابات ارسطو • ومع ان ما تبقى لدينا الآن هو كتابات افلاطون ، اكسنوفون،ارستوفان وارسطو،والبقية ضاع،وبقي شيء من اراء بوليكراتس في سقراط ومحاكمته ضمن رد اكسنوفون على بوليكراتس في «ذكرياته» فان من المستحسن اطلاع القارىء على بعض المعلومات بشأن هذه الكتب الضائعة ولما كنت سأعرض موقف كروست في حقيقة سقراط ، فان تقييم هذه الكتب الضائعة سيتضح هناك (١٣١) •

ان هذه المصادر المتبقاة تثير مشاكل عديدة ، واهمها ان هذه المصـادر مختلفة في عرضها لاراء وشخصية سقراط في مسائل مهمة ، فمثلا اكسنوفون في « ذكرياته » يقدم صورة عن سقراط كواعظ اخلاقي شعبي ليس غير (١٣٢) • بينما يعزو له ارسطو استنباط ووضع الاستقراء والمجردات والبحث في الاخلاق فقط ، بينما يصوره افلاطون صاحب فلسفات كثيرة في المثل ، وخلود النفس وامور كثيرة حتى الامور الطبيعية (وسنوضح هذه المسائل فيما بعـد) • ويصوره ارستوفان دارسا للعلم الطبيعي بينما يصوره اكسنوفون غير دارس له كما سنوضح • ولذلك فقد اختلف الموقف من هذه المصادر • فقد كانت السنة المتبعة الاخذ برواية ومحاورات افلاطون فقط وظل هذا قائما حتى جاء بريكر فاعتبرت رواية اكسنوفون طيلة القرن الثامن عشر هي الصحيحة وامـا رواية افلاطون فيعتمد عليها طالما تكون متفقة مـع اكسنوفون • ولـكن في اوائل القرن التاسع عشر عورض هذا المذهب على يد اشلير ماخر ومن جـاء بعده فضعفوا رواية اكسنوفون للاسباب التالية : ــ

(١٣١) انظر ص (١٨) فما بعد من هذا البحث .

(١٣٢) يصح هذا الحكم على القسم الذي كتبه اكسنوفون باسم «دفاع المحكمة» وهو وصف موجز لدفاع سقراط عن نفسه في المحكمة ونجـده كاملا في كتـــاب :

Smith. T.V. : Philosophers speak for Themselves. Chicago. 1955. p. 104 ff.

وترجمناه في ملحق (S) آخر من كتابنا عن سقراط . اما في كتـاب « ذكريات » فان اكسنوفون يقدم بعض المعلومات عن عقائده في الله والبحث عن المبادىء الخلقية والوصول من المعلوم الى المجهـول ومن الجزئي الى الـكلي وهذا متفق مع اقوال ارسطو وافلاطون عن سقراط (وسأشير الى مواضع كل هذه فيما بعد .

١ ـ انه جاهل ليس له معرفة فلسفية فلم يفهم سقراط ولا يمكن لذلك ان يصدق في فهم ارائه او في نقلها (١٣٣) ومن الغريب ان البعض وجد في جهل اكسنوفون دليلا على صحة ما نقل وسلامته حيث انه لبلادته لايمكن انيضيف او يختلق ما نسب لسقراط وقد بين آخرون خطل مثل هذا القول لان الذي يجهل فكرة فلسفية لا يمكن ان يحسن نقلها (١٣٤) .

٢ ـ ان اكسنوفون في دفاعه لم يتحدث عن كل فلسفة سقراط بل عن محاكمته وموقفه هنا دفاعي متحيز . وهذا صحيح بالنسبة « للدفاع » فقط لا بالنسبة لذكرياته كما اشرت سابقا .

٣ ـ ويتصل بهذا انه يصوره كاخلاقي يبشر باخلاقه كواعظ بسيط وهذه الصورة لا تتلائم مع شهرة سقراط كصاحب مذهب جديد في الفلسفة والميتافيزيقا والمنطق لا كاخلاقي فقط . بينما ما يذكره ارسطو وما تجده في المحاورات بصورة باحثا عن المجردات واضعا للاستقراء (هذا حسب رواية ارسطو) ومقدما لنظريات في المثل وخلود النفس .. الخ (هذا حسب افلاطون) .

٤ ـ ان اكسنوفون كتب هذه الذكريات والدفاع بعد موت سقراط بمدة طويلة (١٣٥) .

---

(١٣٣) نقد رواية اكسنوفون ونقاط ضعفها يوجد في « برنيت » وسنشير الى ملخص ذلك ، وفي كتاب تايلور :
Taylor : Varia Socratica.
وفي رسل :
Russell : op. cit. p. 101
وزيلر :
Zeller R : op. cit. 116.
وغلاب . جـ١ . ص١٥٤، وبدوي: حـ١ ص٢١ ، فما بعد ، والنشار :ص٢١٢ ومطر . ص ٩٨ .

(١٣٤) اشارة الى هذه الحجة ورد عليها رسل : Russell : op. cit. p. 101.

(١٣٥) يقول سمث : لا شك ان « دفاع في المحكمة » لا كسنوفون كتب بعد عدة سنين من موت سقراط . ولكن لا احد يعرف ما طول المدة :
Smith : op. cit. Note 4. on p. 14
ولكن كروست اعطى تواريخ غير متأخرة نسبيا لتأليف « الدفاع » و « الذكريات » فيقول ان الاجزاء الاولى من الذكريات ألفت بعد ٣٩٣ـ٣٩٢ ق.م بمدة قصيرة واجزاء اخرى بعد ٣٩٢ـ٣٩٠ ، اما «الدفاع» فألف بعد سنة ١٣٨٥ـ٣٨٤ . وان الاجزاء الاخرى من الذكريات الفت بعد الدفاع الى سنة ٣٧٠ ق.م . انظر الفصل الثالث من كتاب كروست :
Chroust : op. cit. ch. 3. p. 44 ff

٥ ــ ان اكسنوفون فارق سقراط والاخير شاب فهو لا يصور الا شبابه.
وللباحثين المحدثين طرق متعددة اهمها : ــ

الطريقة الاولى : الاخذ باقوال افلاطون التي في المحاورات واعتبار افلاطون ينقل اراء سقراط حقيقة لا انه يجعله رمزا ويقول على لسانه اقواله هو وعلى ذلك يكون سقراط ليس فقط واضع الاستقراء والاخلاق والمجردات فقط كما يقول ارسطو بل هو صاحب نظرية المثل وخلود النفس والدولة المثالية وهذا هو رأي برنيت وتايلور في كتابيهما المشار اليهما سابقا . ويقبلون من اكسنوفون وارستوفان وارسطو ما لا يعارض افلاطون . واليك ملخص رأي برينت في قيمة هذه المصادر : من الممكن ان تكون صورة جيدة عن سقراط وافكاره بالاعتماد على محاورات افلاطون وقد ترك لنا اكسنوفون ثلاثة او اربعة مؤلفات موضوعة لتسجل بعض مناقشات سقراط الذي كان اكسنوفون يعرفه وهو صبي كما انه عرفه لمدة قصيرة قبل ان يلتحق كمتطوع في حملة سيروس expedition of Cyrus سنة ٤٠١ ، وقد استشار سقراط حول هذه الخطوة ، وكان سقراط في سني حياته الاخيرة واستشارا معا معبد دلفي Delphic oracle ، ويخبرنا اكسنوفون ان سقراط حاول ان يضعف عزمه عن هذا المشروع . وهذا كل ما نعرفه عن مقابلتيهما . واذا كان ثمة سر آخر لكان اكسنوفون قد اخبرنا به ، وفي هذا الوقت كان اكسنوفون دون الثلاثين ومات سقراط قبل رجوعه من سفرته تلك . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان جزء من محاورات سقراط التي سجلها اكسنوفون هي من النوع الذي يميل اليه والتي عبر عنها باسمه او على لسان سيزوس بطله المفضل . ولذلك لم يفكر احد في الرجوع الى كتبه كمصدر لسقراط ، ولكن منذ القرن الثامن عشر اصبح من المعتاد الرجوع الى « الذكريات » بدافع انها تؤيد وجهة النظر التي تقول ان سقراط متدين وبعيد عن تهمة افساد الشباب. وقد كان من المعقول ان يفضل القرن الثامن عشر «الذكريات» على «محاورات افلاطون» لانه صوره فيها قريبا من نموذج ما يجب ان يكون الفيلسوف انذاك . ومن الملاحظ ان اكسنوفون يبدو بعيدا من ان يكون مؤرخا ثقة كما تظهر الـ Cyropaedia ان فيه ميلا الى الخيال الفلسفي . ونفس الحكم يمكن ان يصدق على « ذكرياته » ما لم تقدم اسباب قوية جدا . وفوق كل شيىء فانه ليس من الممكن الموصول الى شيىء قريبا من الصورة الكاملة

عن سقراط من المذكرات وحدها ولذلك فان كل كاتب يملأ عمليا الصورة بما يعرفه عن سقراط من كتابات افلاطون ووفقا للصورة التي يتصورها الاخير عنه • ومثل هذا التعرف لا تضبطه قاعدة او اصول ويؤدي نتائج غير حقيقية ، وانه من الاحسن ان نقول في الحال : اننا لا نستطيع ان نعرف اي شيء عن سقراط ومع ذلك فان سقراط الافلاطوني كامل بذاته ، وانه السقراط الوحيد الذي نأمل ان نعرفه جيدا وحتى لو كان متخيلا فانه مع ذلك أكثر اهمية من كثير من الرجال الذين هم بدم ولحم • ولذلك فان الطريقة الصحيحة الوحيدة هي ان نصف حياته وافكاره بالاستناد على افلاطون ومن دون ان نستعمل اول الامر اي مصدر آخر • وبعد ان نفعل هذا يصبح بالامكان ان نمضي قدما فنتعرف مثلا على مدى قرب ما يذكره اكسنوفون من هذه الصورة ، وكذلك يمكننا حينئذ ان نتعرف على مدى الصلة بين سقراط هذا والصورة التي يعطيها عنه « ارستوفانس (١٣٦) » •

وقد سار برنيت على هذه الطريقة فنقل صورة كاملة لسقراط عن افلاطون ، ثم قارنه باكسنوفون وارستوفانس (كما تبين من ترجمتنا لمقاله التي ستنشر في مكان آخر من الكتاب) •

وبعد ان يقدم برنيت هذه الصورة يأتي الى ارستوفانس واكسنوفون واليك ما يقوله : دعنا نرى مدى بعد هذه الصورة عن سقراط او قربها من الصورة الصورة التي يعطيها ارستوفانس واكسنوفون • فأولا يجب ان نلاحظ ان افلاطون يقدم حياة سقراط مقسمة الى قسمين : قبل جواب معبد دلفي وبعده • في القسم الاول كان مشغولا بالحركة الدينية والعلمية في زمانه وبنظريته الخاصة بمشاركة الحسيات بالمثل او الصور Forms • وفي القسم الثاني كانت رسالته الى بني قومه هي شغله الشاغل ولذته الوحيدة • وان كان في الشهر الذي انقضى بين الحكم عليه وموته ــ وكأمر طبيعي ــ عاد الى ما كان يشغله في شبابه • ويمكن ان نلاحظ ايضا ان ما يخبرنا به ارستوفان يرجع الى هذه المرحلة الاولى • وان اقوال اكسنوفون ترجع الى القسم الثاني •

الفت السحب "The clouds" في ٤٢٣ ق•م في السنة بين موقعتي ديلون Delion وامفيبوليس Amphipolis واللتين حارب سقراط في كليهما •

(١٣٦) Burnet : pp. 126 — 128

ورسالته لبني قومه وان كانت قد بدأت فقد انقطعت وان ارسـتوفان ولابد يفكر بصورة رئيسة بسقراط الاول • ان التأريخ الزمني امر حيوي في معاملة أو حل هذه المسألة وسوف لن ندع انفسنا نغفل ان سقراط كان في السابعة والاربعين عندما ألف ارستوفان السـحب وان افلاطون واكسنوفون كـانا طفلين • ولذلك فاننا سوف نقارن الصورة التي يقدمها ارستوفان لسـقراط مع ما يخبرنا به افلاطون عن شباب سقراط وليس ما يخبرنا عنـه في اواخـر حياته • اما ان السحب هي كاريكتر Caricatare فواضح • ولابد ان تفسر او تفهم على هذا المنحى • ولتفسير الـكوميديا يوجد قانونان غالبا ما يغفلان • فاولا تتضمن حتى اصح الاحكام في الكوميديا افتراضا بانها ليست مجرد اخبار عن الحقيقة لان الحكم الحقيقي او الاخبار عن الحقيقة لا يكون مضحكا • وثانيا ان كل حكم من هذا النوع لابد ان يستند على اسـاس من الحقيقة لان التخيل المحض عن شخص حقيقي لا يثير الضحك كذلك •

واذا فالسؤال الذي ينبغي لنا ان نسأله هو : ما يمكن ان يكونه سقراط في الفترة المبكرة من حياته لـكي يعتبر كاريكتور السحب ممكنا ؟ في المكان الاول لابد ان يكون تلميذا للعلم الطبيعي ولابد انه كان في وقت من الاوقات مولعا بالاشياء السماوية والتي في باطن الارض • وافلاطون يجعل سـقراط يعلن ان هذا كان اهم دراساته في صباه • وارستوفان يصور سقراط كتلميذ او مريد لمذهب هو المعروف لديوجين Diogenes of Apollonia وهذا هو السبب الذي جعل الـكورس Chorus يتردد مع السحب • ونعلم ان ديوجين جدد نظرية انكسيمانس ان كل شيء هو تكاثف أو تخلخل للهواء • وان السحب هي واحدة من نتائج تكاثف الهواء Condensation • وكذلك فان افلاطون يجعل سقراط يقول انه درس من بين المسائل ما اذا كان ما نفكر بواسطته هو الهواء او الدم •••• الخ ، وكذلك فان ارستوفان يعطيه صفات اخرى مثل : مولد الافكار ، وانه يستدعي بعض الجن وانه كان حافي القدمين • وكل هذه يمكن ان نجد لها اسسا كافية فيما يخبرنا به افلاطون عن فكرة سـقراط عن الروح وعن فن الموت Practice of Death • ومن المعتاد القول بان ارستوفان اتخذ سقراط كنموذج للسوفسطائيين في زمانه • ولـكن مثل هذا الرأي غير معقول : اولا لان الـكوميديا القديمة لا تتعامل مع نماذج Types بل مع شخصيات Personalities وعندما يستخدم ارستوفان نموذجا

كما في مسرحية الطيور "The Birds" فانه يعطيه اسما متخيلا • بالاضافة الى ان السوفسطائيين لم يكن لهم انذاك مجتمعات دائمة Associates فقد كانوا اليوم هنا ويذهبون غدا وكانوا يعطون محاضرات قصيرة لمستمعين متبدلين دائما ، الى جانب انهم آخر من يمكن ان يهتم بالبحوث العلمية التي جعلها سقراط محل سخريته • ويذهب برنيت الى ان « السحب » تمثل مدرسة حقيقية هي التي خلف سقراط ارقيلوس رئاستها بعد ذهاب الاخير الى ايطاليا (١٣٧) •

اما عن اكسنوفون فيذهب برنيت الى ان اكسنوفون كان صغيرا عندما ترك سقراط ولم يعد الا قبل ثلاث سنين من موت سقراط ، ومن ناحية اخرى علينا ان تتذكر ان « الذكريات » هي دفاع Apologia وعلينا ان نعاملها بنفس القواعد النقدية المناسبة لمثل هذه الكتابات واهم هذه القواعد ان الثقل يجب ان يلقى على الاقوال التي ليس لها ارتباط مباشر بغرض الكتاب او العمل الادبي الرئيسي وخصوصا عندما تتضمن اعترافات لا تلائم الغرض الرئيسي مهما كانت درجة عدم الملائمة هذه • وقد حاول سقراط ان يثبت ان اتهام سقراط بعدم التدين وبافساد الشباب لا يقوم على اساس وواحدة من حججه الرئيسة على ذلك ان سقراط رفض ان يشغل نفسه بدراسة العلم الطبيعي واوصى الآخرين بتجنبه • ولعل فيما يخبرنا به افلاطون عن اعتراض سقراط ونقده لانكساغوراس (١٣٨) ما يفسر لنا اكسنوفون هذا ، ومع ذلك فان اكسنوفون يشعر انه ذهب اكثر من اللازم ، بل انه في الواقع يسحب قوله السابق تماما بان يضيف مرتين : « ومع ذلك فان سقراط لم يكن غير ماهر في هذه الموضوعات » ويعطي اكسنوفون قائمة تتلاءم مع اعلى مستويات الدراسة في الرياضيات والفلك في ذلك الوقت (١٣٩) • واكثر من هذا فان اكسنوفون يجعل سقراط يقول لانتيفون السوفسطائي وهو يحاول ان يقنعه انه درس كتابات الفلاسفة الاقدمين : « لقد قضيت حياتي معهم تكشف عن كنوز الاقدمين التي دونوها في الكتب وتركوها لنا (١٤٠) • ان اعترافات من هذا

---

(١٣٧) Ibid. pp. 144 — 137.

(١٣٨) أنظر ما تقدم .

(١٣٩) Xenoph : Memor, iv. 7. 3 — 5

(١٤٠) Ibid., i. 6 — 14.

النوع هي اكثر اهمية من اقوال توضع على لسان سقراط عن دراسته للعلم الطبيعي • ويمكن ان نجد اعترافات كثيرة من هذا النوع ، ولكن الى اي حد يمكن ان تعتبر « الذكريات » مصدرا مستقلا ؟ يجيب برنيت الى ان اكسنوفون وبلا شك ــ قد استمر من محاورات افلاطون » معظم مادته عن سقراط • ولذلك يعتبر كتابات اكسنوفون مصدرا ثانويا ، ويقول : ان اولئك الذين يعتبرون الذكريات مصدرا تأريخيا مضطرون من الناحية الاخرى الى الاعتراف بانه ثمة اشياء كثيرة لا يمكن تفسيرها على اساس الصورة التي يرسمها اكسنوفون لسقراط • ويصل برنيت بعد هذا كله الى الاستنتاج التالي : ــ

بينما يستحيل ان نعتبر سقراط ارستوفان وسقراط اكسنوفون كشخص واحد ، فليس من الصعب ان نعتبرهما صورتين محرفتين لسقراط افلاطون • الصورة الاولى ــ التي يقدمها ارستوفان ــ محرفة تحريفا مشروعا لتثير الضحك ، واما الثانية فليس تحريفها مشروعا كالاولى ، بل لغرض الدفاع عن سقراط •

ويرى برنيت ان محاورات افلاطون هي ليست تسجيلا لمحادثات حقيقية وان كان من المحتل ان قد تضمنتها • كما يعترف ان سقراط الافلاطوني هو سقراط كما يراد افلاطون وان استشهاده لابد أثر في تصور افلاطون له وان كان هذا التأثير ليس كبيراً على اغلب الاحتمال • ثم يشير برنيت الى وجهة النظر المتطرفة التي ترى ان سقراط افلاطون وارستوفان واكسنوفون جميعا محض تخيل • وينتهي الى ان من الخير ان نحتفظ بسقراط كما يصوره افلاطون [١٤١] •

الطريقة الثانية : الاعتماد على المحاورات الافلاطونية المسماة محاورات الشباب فقط ، التي تضم الدفاع واقريطون واوطيفرون •• الخ ورفض كل ما لا يؤيدها في رواية اكسنوفون وارسطو • وهذا هو رأي زيلر •

الطريقة الثالثة : الاخذ بكل المصادر ، بترجيح ما يجمع عليه مصدران او اكثر فمثلا يؤخذ كخبر صحيح ما يجمع عليه افلاطون واكسنوفون

---

(١٤١)

Burnet : pp. 147 — 149.

وارسطو او احدهما مع الآخر • ويوجد تفصيل مقارن كهذه الطريقة يستخلص ما يجمع عليه اثنان منهم او اكثر في ابيلتون ولويس [١٤٢] •

الطريقة الرابعة : وهي في الواقع ليست طريقة بقدر ما هي هدم كامل لسقراط حتى لينتهي البحث فيه وفي مصادفاته الى التشكيك حتى بوجوده كشخصية تأريخية • ولابد من تقديم صورة مادة لهذا النقد الشكلي الذي ينتهي الى اننا لا نعرف عن سقراط شيئا عرضه اخيرا كاتب غربي متمكن هو هيرمن كروست Herman Chroust كتابه : Chroust Man and Myth ومما سأنقله هنا ملخصا له فائدة اخرى هو انه يعرفنا بالمصادر السقراطية القديمة ويضعها وضعا تأريخيا ويحدد علاقة بعضها ببعض •

يقول الكاتب : ان الدفاع عن سقراط الذي قام به اوائل السقراطيين في العقد الاول من القرن الرابع قبل الميلاد اثار انتباه السوفسطائيين المتأخرين مثل انتيفون واخرين الذين اعتبروا انفسهم المدافعين عن الديمقراطية في اثينا خصوصا وان هؤلاء السقراطيين ضمنوا دفاعهم مدحا للارستقراطية وبذلك جعلوا النزاع يستمر بين الارستقراطية والديمقراطية على الصعيد الفكري وان كان التأريخ قد كتب للديمقراطية النجاح قبل ذلك • وقد اعتبر متأخرو السوفسطائيين دفوع السقراطيين هذه تحديا خطيرا لفعالياتهم الخاصة • واذا لم يردوا عليهم يكون لهم من الخطر على تعاليمهم ما كان لسقراط • بل ان انتصار الارستقراطية قد يؤدي الى معاقبتهم او على الاقل الى تحديد نشاطهم كما حدث في حكم الطغاة الثلاثين Thirty Tyrants وبالفعل فان هؤلاء الارستقراطيين قاموا بعده محاولات ادبية للرد على السقراطيين ولم يبق من بينها الا القليل ومنها رد بوليكراتس الذي ألف بعد سنة ٣٩٣/٣٩٢ ق•م بمدة قصيرة [١٤٣] والذي لم يكن له خصومة شخصية مع سقراط ولذلك فان الذي دفع بوليكراتس اليه طموحه كمحترف للخطابة الى جانب السبب السياسي ، يضاف الى ذلك انه ربما دفعه اليه انيتس الذي كان يريد بواسطة بوليكراتس ان يؤكد على شرعية تجريم واعدام سقراط في سنة ٣٩٩ ق•م•

---

(١٤٢)
Appleton : op. cit. p. 99 ff; Lowess : op. cit. p. 152 ff.

(١٤٣) انظر بالاضافة الى حاشية (١٣٥) اعلاه . ص ٦٩ ، الفصل الرابع من كتاب كروست المار ذكره .

وبما ان السقراطيين جعلوا سقراط مثلهم المفضل فان خير طريقة للرد عليهم هي ان يهاجم متأخروا السوفسطائيين موجد حركتهم اي سقراط نفسه ولذلك نجد انهم يضيفون ادانات اخرى الى قائمة الاتهامات التي اتهم بها سقراط في محاكمته سنة ٣٩٩ وهذا هو قصد بوليكراتس في رده • وقد اثار هذا الرد الادبي المطول وعلى لسان انيتس الذي كان احد من قدم التهم في المحكمة على سقراط اكثر من مجرد تحريك المشاعر خصوصاً انه اتهم سقراط والسقراطيين بتقويض الديمقراطية ولذلك كان لابد من الرد والا ربما ادى الامر الى اقصاء بقية السقراطيين عن اثينا • ومن هنا وجد السقراطيون ومنهم اكسنوفون ضرورة الجواب على بوليكراتس وهذا كما يبدو هو السبب الذي يفسر جزء من الذكريات ، والدفاع لاكسنوفون • وفي هذا الوقت الذي كان اكسنوفون يقوم برده اي بعد نفيه الى Scillus بتهمة الخيانة العظمى ٣٩٤/٣٩٣ لم تكن حركة الرد المناوئة للسقراطية والتي من بينها رد بوليكراتس هي الخطر الوحيد فقد كان هناك خطر آخر هو كتابات انتيشين Antisthenes والذي كانت تهدد وحدة الصف بين السقراطيين انفسهم اعني الصراع بين الخط السقراطي الافلاطوني (اي اتباع افلاطون في تصويره السقراط وتعاليمه) والخط الانتيشيني والذي قوي فيما بعد بواسطة ارستيبس Aristippus واتباعه ، هذا الصراع الذي دام قرابة نصف القرن والذي كان نزاعا حول الارثدوكسية (اي التفسير الصحيح) لتعاليم سقراط ومن يخلفه في الرئاسة الفكرية من بين ورثته اي ما اذا كان افلاطون او انتيشين له الحق اكثر من الآخر لادعاء انه الوارث الحقيقي لسقراط وتعاليمه •

ان الذكريات (١ ، ١ ، ١ — ١ ، ٢ ، ٦٤) لم تكن مهمة بمحاكمة سقراط الرسمية سنة ٣٩٩ وانما يرد بوليكراتس لسنة ٣٩٣/٩٢ ، اما الاجزاء التي تتعامل مع المحاكمة واعني الذكريات (١ ، ١ ، ١ — ١ ، ٢ ، ٩) وكذلك (١٠١٠١—١٠٢٠١٦٢٠٢—٦٤) فهي عرضية وبمقارنتها بدفاع افلاطون تبدو انها مجرد ملاحظات اريد بها التمهيد لخلق جو مناسب لتفنيد ادعاءات بوليكراتس •

اما « دفاع » اكسنوفون فهو رد جامع شامل على الحركة الادبيةلخصوم السقراطيين التي يحتمل انها بدأت بعد مدة قصيرة من موت سقراط • وفي هذا الدفاع يهتم اكسنوفون بكل من المحاكم الرسمية وبكراس وبوليكراتس معا

وان كان من الظاهر ان السبب المباشر هو ظهور رد بوليكراتس هذا وبقية الردود الاخرى ضد السقراطيين لمتأخري السوفسطائية خلال النصف الاول من القرن الرابع • كل هذا يضطرنا الى الاستنتاج مرة ثانية انه كان يوجد نوعان من « الدفوعات » : الدفوع التي سببتها محاكمة سقراط وموته سنة ٣٩٩ ولذلك كانت مقتصرة على وجهته بـ اجراءات المحاكمة والحوادث خلالها • اما النوع الثاني فهو الدفوعات التي سببها ظهور كتابات معينة ضد السقراطية ولذلك فهي اجوبة ونقض للاتهامات الجديدة ضد سقراط • ان دفاع افلاطون هو الدفاع المعاصر الوحيد الباقي الذي يهتم بالمحاكمة بصورة تامة اما الدفوع المعاصرة الاخرى المتبقاة بما في ذلك « دفاع » « وذكريات » اكسنوفون فهي متجهة ضد الـكتابات الانتي ـ سقراطية التي ظهرت بعد موت سقراط • وهذا لا يعني على كل حال ان هذه الدفوع المتأخرة لا تشير اية اشارة الى المحاكمة فانه من وجهة نظر ادبية محضة ومن اجل تهيئة الجو الدراماتيكي الصحيح لابد من ابتداء كل هذه الدفوع بمناقشة المحاكمة التأريخية طالما انها ما تزال حية في قلوب الاثنيين • ولقد قيل ان رد بوليكراتس لم يكن موجها ضد سقراط بل ضد اتباعه • وهذا قول يجب رفضه لتطرفه ومع ذلك ففيه بعض الحقيقة لان معظم المواد التي استعملها بوليكراتس مأخوذة من كتابات الاتيشينيين ، واذا ثبت ان بوليكراتس كان معنيا بالرد المباشر على سقراط لا على كتابات الاتيشينيين يكون معنى هذا انه كان يعتبر انتيشين المعبر الصحيح عن سقراط • ويمكن ان ندعي ان مثل هذا القول لم يكن غير شائع في القسم الاول من القرن الرابع (١٤٤) •

ويقدم الكاتب كروست ادلة على اخذ بوليكراتس من انتيشين في اتهاماته لسقراط (١٤٥) • ثم يصل الكاتب الى النتائج التالية عن تأريخ الكتابات القديمة عن سقراط وقيمتها :

ان الكتابات عن سقراط Socratica في القرن الرابع يمكن ان تقسم الى المراحل التالية :ـ بعد موت سقراط مباشرة سنة ٣٩٩ ق•م الف السقراطيون عدة مقالات ربما من منفاهم الامين مدافعين عن براءة سقراط

---

(١٤٤) ما تقدم عن كروست ملخص للصفحات (١٩٨ـ٢٠٤) . كتابه اعلاه .

(١٤٥) Ibid, 204—207 وانظره في ترجمتنا لهذا الجزء من كتابه في آخر كتابنا عن سقراط .

ومهاجمين ديمقراطية اثينا • وجميع هذه فقدت • ٢ ـ قام السوفسطائيون المتأخرون أو من يدعون « بالخطباء » بالدفاع عن الديمقراطية •

وهذا يشكل المرحلة الثانية من مراحل النزاع حول سقراط وتسمى هاتان المرحلتان بالمراحل السياسية • وهما امتداد للجدل بين الديمقراطية والارستقراطية • وفي نفس الوقت يمكن القول ان كتابات انتيشين ظهرت وان لم يكن ظهورها له صلة حتما بالجو السياسي العام ، وان بعض هذه الكتابات تذكر سقراط عرضا وغرضها اظهار مدى ملاءمة اراء انتيشين ومحافظتها على اراء سقراط • وعلى هذه الكتابات اعتمد بوليكراتس في حججه ضد سقراط • وقد ركز السوفسطائيون المتأخرون هجومهم تدريجيا على سقراط باعتباره يمثل مركز التجمع للفكر المناويء لهم ، وتمثل هذا باعادة التهم واضافة تهم جديدة الى محاكمته الاصلية • وقد قام بهذا الدور بوليكراتس الذي حاول ان يجعل سقراط هو المسؤول عن سقوط الديمقراطية • كما ان اتباع سقراط والارستقراطية انفسهم ربما ادخلوا المسألة السقراطية في النزاع السياسي كمثل على ما اقترفته الديمقراطية ولذلك فلا غرابة ان يصر انصار الديمقراطية على ان موت سقراط كان له ما يبرره •

وهكذا سريعا ما استبدلت الكتابات العريضة الخطوط ضد الارستقراطية التي كتبها متأخرو السوفسطائية باخرى تفصيلية ضد السقراطية، جعلت سقراط الهدف الرئيسي لهجومهم • ويتضح هذا الاتجاه في رد بوليكراتس ، هذا الخطيب الذي مزج بنجاح الصراع السياسي بالاتهام الشخصي لسقراط • ويعتبر هذا الرد من اهم الكتابات للمرحلة الثانية كما ان آثاره استمرت في المرحلة الثالثة •

٣ ـ المرحلة الثالثة ظهور دفوع او كتابات للسقراطيين ضد رد بوليكراتس على الخصوص دفاعا عن سقراط وتعاليمه السياسية • ولذلك لجأ السقراطيون في ردهم الى تفاصيل معظمها من نسج الخيال وفي رأينا ان هذا هو سبب ظهور «اسطورة سقراط» أو دفوع سقراط Socratic Apologies ان اهم هذه الدفوع خلال هذه المرحلة الثالثة التي سميناها بالمرحلة الشخصية هي دفوع انتيشين وايشين Aeschines قليدس الميغاري Euclides of Mogara وفيدون اوف البر Phaedo of Elis وعلينا ان نميز بين الكتابات الانتيشينية الاولى التي مونت بوليكراتس بالمادة في فهمه لتعاليم سقراط ورده بالتالي عليها وبين الكتابات او الدفوع الانتيشينية التي سببها ظهور كراس بوليكراتس

وليس هناك مانع من الادعاء بان اقليدس والاخرين المذكورين سابقا قد كتبوا كتابات قبل بوليكراتس ودفوعات بعده •

٤ ـ اما المرحلة الرابعة وهي مرحلة شخصية ايضا كالثالثة Personal Stage فان اهم الدفوع فيها هو دفاع اكسنوفون وافلاطون وكلاهما يعتمد كثيرا على المرحلة الثالثة خصوصا اكسنوفون حيث يستمد اقواله الدفاعية منها •

ويفصل كروست بعد ذلك الفروق بين كتابات اكسنوفون وافلاطون واهمها ان الاخير يتجاهل رد بوليكراتس وينصرف الى المحاكمة بينما يكرس اكسنوفون متبعا في ذلك انتيشين الى الرد على بوليكراتس • ويقدم المؤلف تفسيرا لهذه الظاهرة (١٤٧) • وينتهي المؤلف الى انه نظرا لعدم وجود كتابات لسقراط نفسه ، ونظرا لان النزاع بين السقراطيين وخصومهم كان ملفوفا بجو سياسي عام فانه ليس بالامكان التأكد الى أي حد تمثل كتابات السقراطيين وخصومهم سقراط • بل يذهب المؤلف اكثر من هذا الى ان هذه الدفوع السقراطية او الانتي ـ سقراطية لم تكن تهدف في الحقيقة الى التعامل مع سقراط التأريخي وانما كانت تهدف لوضع اسطورة والسبب ان السقراطيين في حمى دفاعهم عنه لم يمكنهم من تعداد او تقصي الحقائق وهذا دفعهم الى الاعتماد على المخيلة اذا لم يكونوا راغبين بالاعتراف بحقائق قبيحة ، او ان يظلوا صامتين وهنا يعني الاعتراف بالتهم الموجهة الى سقراط • وهكذا فان سقراط كما يظهر في كتابات السقراطيين انما هو سقراط اسطوري وليس سقراط التأريخي • وهذا يفسر لنا لماذا تدعي فلسفات مختلفة مثل مثالية افلاطون ونفعية ارستيبوس وكلبية انتيشين ابوة سقراط • وهذا لا يعني ان سقراط الاسطورة خال تماما من كل صحة تأريخية لان كل اسطورة مهما كانت ، لها جذور تأريخية تضيع تماما في كومة من الاساطير تحاك حولها(١٤٨) •

---

(١٤٦) هذا ملخص للصفحات (٢٠٩ـ٢١٣) .

(١٤٧) تفصيل ذلك في ترجمة هذا القسم آخر كتابنا عن سقراط . ويقابل ص ٢١٣ ـ ٢١٤ من كتاب كروست .

(١٤٨) Chroust : op. cit. p. 216 . ويحاول الكاتب بعد ذلك ان يجد فيما يسمى « بدفاع بارميندس Defence of Palamedos » وكذلك في « الدفاع عن انكساغوراس » اصلا للدفاع عن سقراط . انظر ص ٢١٦ فما بعد الى ٢٢٣ . وانظر ترجمتنا آخر الكتاب عن سقراط .

ولا يمكن ان يمنع القارىء لكتاب كروست نفسه من الشعور بان كروست يبالغ كثيرا في الشك بسقراط • فان من الممكن ان يصل الباحث الى صورة واحدة موحدة عن سقراط بالاعتماد التام على كل هذه المصادر كما فعل برنيت مثلا او لويس ، فليس هناك تعارض في مسألة دراسة للعلم الطبيعي او عدم دراسة له بين المصادر المختلفة وما يظهر من تضارب المصادر (اكسنوفون ، افلاطون ، ارستوفان) امكن تفسيره على اساس الفترات الزمنية **(الشباب ، الشيوخ) كما اوضحنا في منهج برنيت وعند كلامنا عن** « مسألة دراسة للعلم الطبيعي » • ونفس الشيء يمكن ان يقال عن كونه واعظا اخلاقيا كما يرى اكسنوفون او فيلسوفا خلقيا كما يصوره افلاطون او ارسطو كما سيتضح عند الكلام عن ارائه • وفيما يخص محاكمته لا سبيل الى الشك في دفوعها ، بل ان اسبابها مجمع عليها رغم الاختلافات الجزئية البسيطة بين هذا المصدر او ذاك ، فان جميع المصادر ترى ان المحاكمة وقعت بل تسمي الاشخاص الذين اقاموا الادعاء ووجهوا اليه التهمة ، كما تتفق هذه المصادر على اسباب المحاكم اعني السبب السياسي (عداؤه للديمقراطية) ، والسبب الاخلاقي الاجتماعي (الدعوة الى العزلة) والسبب الشخصي (نقده لانيتس والآخرين) •

اراؤه : ليس من السهل تحديد ارائه لا لانها غير واضحة ، بل لانها لا تنقل لنا مباشرة اي من كتب كتبها هو بل بواسطة تلاميذه وهؤلاء ولا شك مزجوها بانفسهم وصوروها وفقا لاتجاههم الخاص • ولذلك ذهب الباحثون مذاهب شتى وفقا لواحد من الطرق التي ذكرناها سابقا في تأريخهم له • وبينما ينسب له برنيت معظم ما نعرفه عن فلسفة افلاطون مثل القول « بالمثل » وخلود النفس وادلتها ، ونظرية ان الفضيلة معرفة وان المعرفة تذكر الخ وسيطلع القارىء على تفاصيل ذلك في ترجمتي لمقال برنيت في الملحق (ي) يذهب اخرون مثل كروست الى انه لم يكن فيلسوفا باي معنى ، بل كان سياسيا فقط وقد فصل كروست هذا في الفصل السابع من كتابه المشار اليه اعلاه • ويستدل كروست على دعوى انه ليس فيلسوفا على نصوص واستدلالات • اهمها :

اولا : انه لم يؤلف شيئا ولا يمكن ان يكون انسان فيلسوفا اذا لم يكتب واذا استعرنا كلمات كروست قلنا معه « وبالتأكيد ان سقراط لم يؤلف شيئا

على اساس حججه الخاصة وهذا وحده كان ليثبت صحة القول انه لم يكن فيلسوفا او مفكرا عقائديا Dogmatic Thinker ان المفكر الذي يفشل في ان يسطر بعض افكاره هو دائما يهرب من مسؤولية ان يصير شيئا انه كمحيط بلا حدود على الخارطة • انه قد يوجد ولكن مع ذلك سيبقى غير قابل للقياس ولذلك يبقى غير مدرك وبلا معنى • ولكن فقط عندما يحدد المفكر نفسه بحيث يكون قابلا للفهم المحدد اي عندما يكتب يستطيع ان يحقق لنفسه امكانية التلمذة عليه • ومثل هذه في النتيجة تؤدي الى نوع من الدوكماتزمية حتى بالنسبة لاكثر الشكاك اندفاعا وحيوية ، ان الكلمة المكتوبة وحدها التي يمكن ان تكون حجر الاساس للتفكير والتفسير حولها • وان سقراط كما يبدو ظل ذلك الغير ممكن قياسه مع انه صار فيما بعد الينبوع الذي سيمد الى الابد الجداول بعدة اساطير وخرافات » (١٤٩) •

ثانيا : يستند كروست على نصوص من محاورات افلاطون واقوال اكسنوفون على اعتراف سقراط فيها ـ او هكذا استنتج منها المؤلف ـ بانه ليس فيلسوفا • وفيما يلي هذه النصوص رجعت اليها في محاوراته ومنها سيتبين القارىء مدى مغالاة كروست وبعده عن الحقيقة في النتائج التي يرتبها على هذه النصوص ، مع انها لا تدل على ما اراده منها •

بعد ان اوضح كروست علاقة التفلسف بالكتابة وانها علاقة طردية موجبة كما اوضحت قبل أسطر ـ وهوامش ليس له معنى طالما ان سقراط ـ على فرض انه لم يكتب بنفسه ـ كان يحاور خصومه وتلامذته ، كان هؤلاء يسجلون هذه المحاورات تسجيلا حرفيا او على سبيل التذكر كما يفعل احدنا في اخذ « ملاحظات » عند سماع محاضرة او درس مدرس • كما ان سقراط كان يتأمل اقواله واقوال خصمه ويعقب عليها ويناقشها كلمة كلمة حتى يصل الى تحديد معانيها • وهذا شيىء يبعده عن الارتجال المحض ويضعه في قلب اي نوع من التفلسف يمكن ان يصل اليه الانسان من كتابة اقواله على الورق وتأملها ومراجعتها ، فها هنا سقراط يراجع افكاره مباشرة وفي مناسبات تكثر مع خصومه وتلامذته ، كما انه يتيح لتلامذته ان يكونوا فكرة عن افكاره مما يسجلونه او يحفظونه من محاوراته ـ ولنعد الى ما بدأنا به هذا المقطع •

---

(١٤٩) Chroust: op. cit. pp. 223—224.

قلت ان كروست بعد ان اوضح علاقة التفلسلف بالكتابة اشار الى ان سقراط ينكر انه يعرف شيئا عن العلم الطبيعي او الفلسفة • فقد انكر في « دفاع » افلاطون دراسة للعلم الطبيعي ، كما ان اكسنوفون يقول ان سقراط ينكر الاشتغال بالعلم الطبيعي (وقد ذكرنا هذه في كلامنا عن العلم الطبيعي عنده) • ويقول كروست ان قول سقراط المعروف : انا اعرف انني لا اعرف شيئا I know that I know nothing هي طريقة سقراط للاقرار بانه ليس فيلسوفا • ويشير كروست الى مواضع المحاورات التالية كسند يقر فيه سقراط بعدم تفلسفه وهي :

Laches 200 E: Charmides 175 A. ff; Meno 80 B; Apology 21 D and 23 b. Hippias Mind 372 E, 376 C.

ولكي يتأكد القاريء من عدم سلامة استنتاجات كروست اضع بين يدي القاريء اهم هذه النصوص ورأيي فيها :

١ ــ في محاورة "Laches" بعد ان سأل ليسماخوس Lysimachus ونيشاس Nicias سقراط ان يقوم هو بتعليم الشباب ، اجاب سقراط : « افعل لو كنت على حظ من المعرفة ولكنني مثلكم في الحيرة Perplexity وانني اريد أن امحضكم النصح التالي وهو : ان يجد كلامنا مدرسا له لنتعلم منه » ••• وعلى هذا الاساس تم اتفاقهم ان يبكروا عند صباح الغد لايجاد معلم لهم مع كبر سنهم (١٥١) •

ولكن المحاورة نفسها تدل على طول باع سقراط في ميدان الجدل والوصول الى التحديد والتعريف ، كما تدل على عظيم ثقة محاوريه بعلمه ورجاحة عقله •

٢ ــ وفي محاورة Charmides ، بعد ان يعجز سقراط وصحبه عن تحديد معنى الحكمة Wisdom يقول سقراط : « انت ترى عندئذ ياكريتياس انني لم اكن بعيدا في الخطأ لخوفي الا يكون عندي اية فكرة صحيحة عن الحكمة• وانني جد مصيب في الحط من نفسي Depreciating myself لان هذا الشيء الذي اقررنا انه افضل الاشياء لا يمكن ان يكون عديم المعنى بالنسبة لنا اذا كنت اصلح للبحث عن اي شيء » (١٥٢) •

---

(١٥٠) Ibid. : Note 1469.

(١٥١) محاورة لاشيس : Laches, 200 — 201. p. 76 of the Dialogus

(١٥٢) محاورة خارميدس : Charmides, 175. p. 26. of the Dialogus

٣ ـ وفي محاورة Meno بعد ان يقول مينو له : انه سمع عنه كيف يثير الشكوك في الآخرين ، يقول سقراط : « اني افعل ذلك ليس لانني متأكد بل لانني حائر تمام الحيرة ، وانني الآن اعرف انني لا اعرف ما هي الفضيلة وانك كما يبدو في نفس الوضع ... وعلينا ان نمضى معا في البحث » . وهنا يقول له مينو : كيف يمكن ان تمضي في البحث عما لا تعرف ؟ لانك اذا فرضنا انك وصلت اليه كيف يمكنك ان تعرف انه هو ؟ فيجيب سقراط : انك تقصد يامينو ان الانسان لا يستطيع ان يبحث عن معرفة شيىء لانه اذا كان يعرفه لا يبحث عنه واذا لم يكن يعرفه فلا يمكن ان يعرف انه ما يريده (١٥٣) .

ان هذا النص لا يدل على ما يريد منه كروست ، لان سقراط بعد ذلك في رقم 81 يحكي لمينو ما اخبره به القدماء من ان نفوسنا كانت قبل الجسد وان المعرفة تذكر . ثم يمضيان فيسألان احد الرفيق فيعرفا انه يعرف بعض الامور الرياضية وسواها دون ان يكون تعلمها من قبل في هذه الدنيا (١٥٤) .

٥ ـ وفي محاورة «الدفاع» بعد ان اخبره صديقه شريفون Chaerephon عن قول كاهنة معبد دلفى ان سقراط اكثر الناس حكمة . قال سقراط انه تعجب واراد ان يحل هذا اللغز « لانني عليم ان ليس لدي من الحكمة كثير او قليل » . وبعد ان سأل سقراط احد الساسة الكبار انتهى سقراط الى « اني وان كنت اعلم ان كلينا لا يدري شيئا عن الخير والجمال ، فانني افضل منه حالا ؛ لانه يدعى العلم وهو لا يعلم شيئا . واما انا فلا ادري ولا ازعم انني ادري ـ ولعلي بهذا افضله قليلا » . وفي مكان آخر منها يقول « ولقد جرى الناس على تسميتي بالحكيم اذ خيل اليهم انني ما فتئت احمل الحكمة التي كانت تعوزهم ، ولكن الله ـ ايها الاثينيون ـ هو الحكيم الاوحد ، ولعل الله اراد بجوابه ان الحكمة في البشر ضئيلة او معدومة ... » (١٥٥) .

هذا النص لا يدل كذلك على عدم تفلسفه ، انه ينكر انه حكيم لا انه محب للحكمة وهو المعنى الاشتاقي لكلمة : فيلوصوفيا . كما ان هذا الجواب دليل على تفلسفه وادراكه لحدود العقل الانساني .

---

(١٥٣) محاورة مينو : of the Dialogus Meno, 80, p. 359.

(١٥٤) Ibid. 82. p. 361.

(١٥٥) « الدفاع » . ص ٧٤ــ٧٧ .

وبعد فان جميع حجج كروست على ان سقراط لم يتفلسف ، وانه ليس فيلسوفا متهافته ، فالنص الذي عن اكسنوفون « والدفاع » لافلاطون وبصدد عدم اشتغاله بالعلم الطبيعي ، لا يدل على عدم اشتغاله بهذا العلم او عدم علمه به باطلاق لاننا وجدنا انه اشتغل بالعلم الطبيعي في صباه واكسنوفون يشير الى كهولته ، وهو في هذه المرحلة قطع صلته بالعلم الطبيعي كما نستدل من محاورة « فيدون » كما اوضحنا في كلامنا عن العلم الطبيعي • ومن المبالغة ان يستنتج كروست من قول سقراط : انا اعرف انني لا اعرف : ان سقراط يعبر بهذا عن انه ليس فيلسوفا لان سقراط انما يريد بهذا التواضع وان الحكمة الحقة لله وليس بمعنى الشك المطلق • وحتى لو قلنا بالاخير فان الشك المطلق هو مذهب فلسفي بلا شك والفلسفة الشكية هي فلسفة على كل حال •

اما بقية النصوص اعلاه واضافة الى تذييلاتي عليها فانها جميعا لا تخرج عن دعوى سقراط انه لا يعرف وانه يعرف انه لا يعرف • اما عن عدم كتابته او تأليفه فاضيف الى ما سبق ان لسقراط حجته في عدم التأليف كما اوضحت كل هذا البحث — • ومن جهة اخرى فانني لا اقبل هذا الربط بين التأليف والتفلسف • ان الفيثاغورين لم يؤلفوا ومن اصول جمعيتهم تحريم التأليف ، ومع ذلك فان ما يخبرنا به افلاطون او سواهم كاف لوضعهم في صفوف الفلاسفة •

والآن وقد اوضحت هذه النقاط اذكر فيما يلي جزء من ارائه التي تتفق جمع المصادر القديمة والحديثة على نسبتها له وسيجد القارىء في ترجمته مقال برنيت اراء اخرى مفصلة له •

١ — يعزو له ارسطو انه اول من استعمل الاستقراء • والنص عند ارسطو هو : « يوجد شيئان يعتبر سقراط موجدها بحق ؛ البحث الاستقرائي والتعاريف المجردة — الكليات — » [١٥٦] • ونجد شبيها بهذا عند اكسنوفون الذي يشير مرارا الى استعمال ارسطو للاستقراء فمثلا يقول اكسنوفون ان سقراط كان ينتقل من المقدمات والامور المعروفة الى فرضيات مجهولة • وهذا يتضمن استعمال سقراط للاستقراء [١٥٧] • ولكن الاستقراء السقراطي

(١٥٦) Aristo : Metaph : A. 6, 987 a. 32. 610; M. 1078. (Ross. ed. Oxford. 1958).

ومطر : ص٩٩ • وريثو • ص ١٠٧ •

Zeller : op. cit. p. 118; Alexander : op. cit p. 58.

(١٥٧) Lowess : op. cit. p. 152.

يختلف عن استقراء بيكون الذي يحاول الباحثون مرارا مقارنتهما واعتبارهما متشابهين • ان تفسير هذا الاختلاف هو ان غرض سقراط وطريقته تختلف عن غرض وطريقة بيكون • ان هدف سقراط هو ابعاد العقل عن علاقاته بالظواهر الطبيعية والاهتمام بالظواهر الفكرية نفسه او باسلوب آخر ان غرض سقراط ليس الاهتمام بالظواهر الطبيعية بل بالماهيات الكامنة وراءها فمثلا الحقيقة يمكن الوصول اليها بالنظر الى الذات المفكرة أو باطن الاشياء موضوعة البحث لا الخارج • بينما هدف بيكون توجيه العناية الى ملاحظة الظواهر الطبيعية لا العقلية • يضاف الى ذلك ان الاستقراء السقراطي يختلف في طبيعتـــه عن الاستقراء عند بيكون • عند سقراط الاستقراء هو مجرد جمع لحقائق جزئية وهي الطريقة التي هدمها بيكون في كتابه « الارغون الجديد الذي نشره سنة ١٦٢٠ لقد ابان فرنسيس بيكون ان العلم كان عند القدماء يرمي الى ترتيب الموجودات في انواع واجناس وكان هدفهم استكناه ماهية الموجود مثـــل ماهية الاسد والماء الخ •• ولـــكن هذا الجهد لا يوصل الى نتيجة في رأي بيكون لانه بحث نظري بينما يجب ان ينصب العلم والاستقراء على الظواهر مثل التخلخل والحار والبارد (١٥٨) الخ ••

يضاف الى ما سبق ان الذي ينسب الى سقراط الاستقراء البيكوني ينكر تسلسل العلم والتطور وانه لا يمكن لشيىء ان يقفز قفزا بل كل شيىء علمـــا كان او فكرة تخضع للنمو والتطور •

٢ ـــ ويعزي له انه اول من طلب الحد وقد سبقت الاشارة الى قول ارسطو عن رأي سقراط هذا في النقطة الاولى • والمقصود بالحد التعريف اي تحديد معنى الشيىء عن طريق ماهيته المخصصة له عن سواه فمثلا نقول : الانسان هو حيوان ناطق منها هنا نحن نشير الى الفصل او « الماهية » التي تخصص الانسان وتفصله عن بقية الحيوانات وهي انه عاقل او مفكر • والذي اضطر سقراط الى طلب الحد هو معارضته للسوفسطائيين الذين كانوا يعتمدون على الظواهر الحسية للاشياء مثل اللون والشكل والصفات الخارجية الاخرى وبما ان هذه متغيرة من شخص الى شخص وباختلاف المناسبات قال السوفسطائيون بان المعرفة متغيرة وكل شيىء نسبي حسب ما يراه كـــل انسان على انفراد •

---

(١٥٨)

Ibid., p. 153; Alexander : op. cit. p. 186. Russell : op. cit. p. 529

وكرم : تأريخ الفلسفة الحديثة . القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٨ .

فجاء سقراط واكد على ان حقيقة الشيىء هي ليست صفاته الحسية بل الماهية التي تكمن وراء الصفات الحسية فمثلا الانسان ليس حقيقته انه الطويل القامة الذي يسير منتصبا على قدمين ••• الخ • بل هو الـكائن العاقل • وصـفة التفكير هي صفة ثابتة للانسان في اي مكان وزمان والمعـرفة التي تقوم على الماهيات اذن معرفة ثابتة وبذلك يكل قول السوفسطائيين ولـكن معرفـة حدود او ماهيات او صفات الاشياء الجوهرية لا تتم الا بالتعريف اي اعطاء كل لفظة معناها المحدد الدال على حقيقة الشيىء التي تفصله وتميزه عن شيىء آخـــر •

٣ ــ هل هو فيلسوف اخلاقي فقط ام هو ميتا فيزيقي ايضا ؟ •

يميل البعض الى انه ليس بميتا فيزيقي بل هو اخلاقي لا غـير [١٥٩] ، ويستند هؤلاء على ان ارسطو قال عنه انه اعتني بالمعاني العملية وان موضوع العلم عنده الانسان فقط • ولـكن بعض الباحثين [١٦٠] اكد العكس اي انه فيلسوف ميتا فيزيقي حتى في ميدان الاخلاق وحجة هؤلاء هي ان النص الذي يعتمد عليه خصومهم هي قول ارسطو التالي « ان تفكير سقراط كـان يدور حول الاخلاق فقط ولم يكن يختص بالطبيعة بشكل عام » ولـكن لويس يرى ــ وهو محق ــ ان تتمة النص تدل على ان ارسطو يشير الى الجانب الميتافيزيقي من سقراط وتتمة النص هي ، وفي هذا التفكير كان سقراط يرمي الى المجـرد (The Abstract) وهو اول من فكر في اعطاء الحدود **(Definitions)** ويستدل لويس باقتباس آخر من ارسطو وهو « اهتم سـقراط بالفضـائل الخلقية وهو اول من سعى الى حدودها المجردة او المطلقـة • وقـد اهتـم ديمقريطس قبله بجزء من علم الطبيعة فقط فلم يعرف سوى الحار والبارد • ولـكن سقراط بنظره الى اعمـق من هـذا طلب ماهيـات الاشـياء اي الموجود [١٦١] • ولو كان سقراط اخلاقيا فقط لكان من الصعب ان تتصـور

---

(١٥٩) هذا هو رأي زيلر وبترو . انظر :

Zeller : op. cit. p. 188

(١٦٠) مثـلا :

Lowest : op. cit. p. 155; Alpern H.: The March of Philosophy. New York. 1933, p. 10; Alexander : op. cit. p. 59.

والاستاذ جانيه . عن غلاب : ج١ . ص ١٦٧ .

(١٦١) الاقتباس اعلاه عن ارسطو : انظر حاشية ١٥٦ اعلاه .

افلاطون كتلميذ له • ان اعتبار سقراط الاخلاق هدف تفلسفه هو الذي جر الى مثل هذه الفكرة عنه اي انه ليس سوى اخلاقي مع ان مكانة سقراط الحقيقية في الفلسفة آتية من رأيه في العلم اعني دفاعه عنه ضد السوفسطائيين باقامته على اسس وطيدة اعني انه اهتم بطريقة (الاستقراء والتعريف) اذ بدونهما لا يقوم علم بوجه هجمات السوفسطائية [١٦٢] • وقد استدل البيرن على ان سقراط كان ميتا فيزيقيا على استخدام سقراط لدليل النظام لاثبات وجود الله وفعل ذلك الكسندر ايضا • وهما يستندان على نصوص اكسنوفون المطولة بهذا الصدد والتي مفادها الاستدلال بالنظام الذي في العالم وفي الاجسام الطبيعية على وجود منظم قادر حي الخ [١٦٣] •

٤ ــ وعلى اية حال فان سقراط هو مؤسس علم الاخلاق بشهادة ارسطو [١٦٤] (وقد مرت النصوص اعلاه) • ويرى زيلر انه فصل الاخلاق عن الدين (اي اقامها على اساس من الوازع الداخلي اي الضمير وعلى اساس من القيمة الذاتية للشر والخير اعني انه يرى ان الشر هو الشر لذاته لا لان الشرع او القانون امر به او نهى عنه) بقي علينا ان نذكر امرين في هذا الصدد •

الاول ــ انه يرى ان الفضيلة هي معرفة بمعنى ان الانسان اذا كان عالما بالفعل ونتائجه مثل السرقة لا يسرق ابدا • يذكر اكسنوفون عن سقراط بهذا الصدد ما يلي : ــ

« قال سقراط العدالة وكل فضيلة هي حكمة (Wisdom) لان الافعال العادلة وكل فعل فاضل شيىء مشرق وفير وانه لذلك لا يمكن لانسان يعرف

---

(١٦٢) Lowess : op. cit. p. 155 — 156.

(١٦٣) تجد هذه النصوص في « الذكريات » لاكسنوفون . وقد ذكرها لويس بطولها . انظر حاشية رقم (٥٠) اعلاه . وتجد ملخصا لها في :
Alexander : op. cit. p. 59 ff; and Alpern : op. cit. p. 10.

(١٦٤) يجمع المؤرخون على نسبة هذا الفضل اليه ، انظر :
Zeller : op. cit. p. 118 ff; Alexander : op. cit. p. 60.
ومارگريت تايلور : ص ٨٠ . وهذا معنى قول شيشرون : « ان سقراط حول الانتباه من التفكير حول العالم الى الاخلاق : النص عن :
Lowess : op. cit. p. 157

هذه الامور حق معرفتها ان يختار عنها بديلا [١٦٥] ••• » وقد رد ارسطو على هذه النظرية بان الانسان هو ليس قوة عاقلة فقط بل هو قوة شهوية وغضبية وعاقلة فالمعرفة وحدها لا تكفي ليختار المرؤ او يتجنب عملا ما اذا كان يعارض شهوة قوية او انفعالا عارما [١٦٦] • ان فكرة سقراط هذه مشار اليها في كل مصدر يكتب عنه • ويمكن الاشارة الى محاورة فيدون [١٦٧] ، كما ان سقراط في محاورة « مينون » يستجوب صبيا عبدا ويستنتج ان المعرفة تذكر ثم ينتهي الى ان الفضيلة معرفة [١٦٨] •

الثاني ــ هل كان سقراط من القائلين بمذهب المنفعة اعني ان الفعل الثلاثي مثلا هو خير ومطلوب لانه نافع وملذ وان سواه شر ومرغوب عنه لانه مضر ومؤلم ؟ ام انه يقيم الاخلاق على اساس مثالي اعني ان الشيىء هو خير أو شر بصرف النظر عن نتائجه المضرة أو النافعة لنا ؟ وحسب تقرير بوليكراتس كان سقراط يرى ان نوعاً من العمل يعتبر شريفا ولا ضرر منه بشرط ان يقدم ربحاً لصاحبه • ويقول كوروتست بهذا الصدد : ان بوكيلاتس اراد بهـذا ان يثير الطبقة البرجوازية ضد سقراط بمعارضته لبعض ما تراه حول السلوك المرضي والعمل المرضي والتي كانت تحتقر اي شخص مثل انيتشسين وجماعة اللذين لا يرون خيرا من اي عمل • وينقل اكسنوفون عن بوليكراتس هذا ان سقراط يرى ان على الانسان الا يصادق او يصل من اقاربه واصدقائه الا من ينفعه وهذه ولا شك عقيدة الكلبيين جماعة انتيشسين ولا ندري الى اي حد يمثل هؤلاء سقراط الحقيقي [١٦٩] • ها هنا يرى زيلر [١٧٠] ان سقراط يقول

---

(١٦٥) هذا النص عن : اكسنوفون : Xenophon : Memor : BK. 111. 5. وتجده في Appleton: op. cit. p. 65—66. ويعزو ارسطو هذا القول عن المعرفة انها فضيلة لسقراط ايضا ثم ينتقده . انظر :

(١٦٦) Aristo : Ethics. 1145b, 21 (Ross. ed.)
Ibid.

(١٦٧) « فيدون » ص ١٩٩ــ٢١١ .

(١٦٨) محاورة مينو :
Memo : 85 — 89 pp. 366 — 370 of the Dialogus :

(١٦٩) Chroust : op. cit. ch. 8. p. 207.

(١٧٠) هذا النص عن بدوي : ص ٥٠ فما بعد . عن كتاب زيلر الكبير « فلسفة اليونان » ولم اجد الا صدى ضئيلا له ص ١١٩ من كتابه الذي بين يدي ، المشار اليه مرارا في هذا البحث . وقد اسهب النشار في شرح رأي زيلر هذا : نشأة .. ص ٢٥٠ فما بعد .

بالامرين ، فان اكسنوفون يقول ان مرجع الاخلاق عند سقراط هو المنفعة المادية بوجه عام بينما يصوره لنا افلاطون من النوع الثاني • ويضيف زيلر انه لا يوجد تناقض اذ يمكن ان يكون قد قال بالقولين معا فجعل الاخلاق اولا سموا روحيا قد صرف النظر فيه عن المنفعة والى جانب هذا قال ان المنفعة هي اصل التقويم الاخلاقي • ويؤيد هذا ان المدارس السقراطية ما كان لها ان تقول بمبدأ اللذة لو لم توجد بذور هذا المبدأ عند استاذها سقراط فان رجلا مثل ارستيبس — احد تلامذة سقراط ومؤسس المدرسة القورينائية — لا يمكن ان يقول بمبدأ اللذة الا اذا كان قد عرف من قبل عن استاذه ان معيار الاخلاق هو اللذة او المنفعة هذا يؤيد رواية اكسنوفون ويبرز الا نرفض هذه الرواية اطلاقا •••

والخلاصة : ان الاخلاق السقراطية فيها هاتان الناحيتان المتعارضتان وستكون مهمة افلاطون وارسطو ان يمحوا هذا التناقض الذي وقع فيه استاذها • » ومجمل قول زيلر هو ان اكسنوفان يصور سقراط قائلا بالمذهب المنفعي بينما افلاطون يجعله قائلا بفكرة الخير بالذات أي ان هناك اشياء هي خيرات بذاتها مستقلة عن المنافع او المضار التي نحصلها منها [١٧١] • وقد وجه الى سقراط سؤال عن الخير بالذات فاجاب : اني لا اعرف الخير بالذات وهذه المناقشة بينه وبين ارستوبوس تؤكد ان الخير لدى سقراط هو مايرمي لغاية او نفع • وهذا يؤيده كلامه عن الفضائل كما يذكر لنا اكسنوفون فمثلا الشجاعة نافعة لانها معرفة اشياء ينبغي الخوف منها او تجنبها وكذلك العدالة لها قيمة لان الانسان يكسب بها ثقة الآخرين والصداقة لانها تعطينا حليفا مخلصا الخ • هذا ما يستخلص من محاورة « بروتا غوراس » لافلاطون • وفي محاورة المأدبة يحاول سقراط ان يثبت ان الانف الافطس الكبير الفتحات جميل لانه قادر على شم كثير من الروائح [١٧٢] •

ويميل الى القول بانه نفعي آخرون [١٧٣] • على ان البعض مثل مورهيد ومكنزي يرون بان اراء سقراط الخلقية لم تتحدد ولم يكن قد طور نظرية خلقية معينة بل ان بعض أقواله ربما تدل على انه لذي نفعي Hedonism

(١٧١) النشار . عن زيلر . نشأة . ص ٢٥٣ .

(١٧٢) النشار : نشأة . ص ٢٥٠ فما بعد .

(١٧٣) Alpern : op. cit. p. 11 . وقد سبق القول انه رأي اكسنوفون وزيلر وبروشارد .

وبعضها على غير ذلك • والدليل على عدم التحدد هذا وان شخصه لا تعاليمه هي التي كان لها الاثر فيمن بعده ان مختلف المدارس المتضاربة مثل الكلبية والقورينائية الخ تدعى استاذية لها [174] •

٥ ــ خلود النفس • يرى كثير من الباحثين [175] ان سقراط يؤمن بخلود النفس وبثنائيتها اعني اختلاف طبيعتها عن طبيعة الجسم • فيعقد بعضهم على حججه في خلود النفس في فيدون [176] مثـل برنيت وتايلور ولويس [177] معتبرين انها حججه هو •

ويرى البعض انه حتى في محاورة الدفاع التي يضع فيها خلود النفس كواحد من فرضين يمكن ان ينتهي اليها الانسان بالموت [178] ، فانه في كـل المحاورة يظهر متأكدا من خلودها [179] • ويستنتج برنيت من قول سقراط في الدفاع : « لقد ازفت ساعة الرحيل ، وسيصرف كل منا الى سبيله ، فانا الى الموت ، وانتم الى الحياة ، والله وحده عليم بايهما خير » • ومن اشارته الى ان في الموت بارقة امل • ان سقراط يشير بوضوح الى خلود النفس على العكس مما يذهب اليه البعض من انه في « الدفاع » ليس عنده اعتقاد ثابت بالخلود واستند على هذا رفض ما يذكر في « فيدون » على لسان سقراط من خلود النفس والحجج على خلودها • ثم يقول برنيت : على من يقول بهذا ان يقرأ الدفاع بصوت عال ليرى اي تأثير تولده فيه • ولا شك ان سـقراط كـان يخاطب جمهورا اكثره لا يؤمن بخلود النفس ولذلك كان ثمة حاجة ماسة الى التحفظ من قبل سقراط • ويذهب برنيت الى انه كان يعتقد بخلود النفـس

---

(١٧٤)

Mackenzie. J.: Amanual of Ethics. 6th ed. Oxford. 1929. p. 121 — 122; Muirhead. J: The Elements of Ethics. London. 1939. p. 102, 103.

(١٧٥) انظر بالاضافة الى ملحق (ي) عن برنيت :

Burnet: p. 182. Note 1
Russell: op. cit. p. 107; Lowess: op. cit. p. 159.

(١٧٦) فيدون . ص ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٧٧ .

(١٧٧) مرت الاشارة الى برنيت ، وانظر عن لويس :

Lowess: p. 159.

(١٧٨) النشار عن زيلر . نشأة . ص ٢٥٣ .

(١٧٩) « الدفاع » ص ١١٠–١١١ . وتوجد ادلة خلود النفـس في محـاورة فيدون . انظر حاشية ١٧٦ اعلاه .

والحياة الاخرى وهو امر لم يكن معهودا عنـد الاثنيين في زمانه بل ويعتقـد ـ مع شيىء من التحفظ ـ بالتناسخ او بدخول الانسان في حيـاة جـديدة بعـد المـوت Rebirth وبأن المعرفـة تذكـر Reminiscence وعندما يسأل عن مصادره لتشهد ليس فقط باشعار الشعراء الملهمين (.Inspird) قبـل بنـدار Pindar بل بالقسسه والقسيسات والذي كان يتألم ليعرف معنى ما يزاولونه من طقوس وكان متأثرا على الخصوص بأمـرأة حكيمـة من مانثانيـا Mantineii تسمى ديدتما Diatima وكان الى آخر حياته مهتماً بعمق بما يعزي لاورفيسوس Orpheus ان الجسم هو قبر للنفس ولا يمكنها ان تحقق النقاوة الى ان تخلص من ربقة الجسـم بواسـطة الله وحينئذ فقط تستطيع ان تسكن [(١٨٠)] مع الله . ويمكن الرجوع الى محاورتي مينو وكراتيلوس . يقول في مينو ، وقد اثرت في موضع آخر من هذا البحث عند الـكلام عن كونه فيلسوفا ام لا ، الى انه لا يعرف ما هي الفضيلة ، وانه يرجع الى قول القدماء ليثبت خلود النفس ويعطي معنى الفضيلة : « ان القدماء كهانا وكاهنات وشعراء ملهمين مثل بندار وكل من يتكلم عن هذه المسائل بالوحي والالهام قالوا ان نفس الانسان خالدة ، وفي وقت يكون لها نهايـة اطلق عليها الموت ولكنها تولد مرة اخرى في زمن آخر ولا تفنى ابدا ، وان الاخلاق ان تعيش الانسان دائما في قداسة تامة وبما ان النفس تولد مراراوقد رأت ما في هذا العالم او العالم السفلي (الآخر) فانها تستطيع ان تسترجعه كل ما عرفته عن الفضيلة وكل شيىء ... وهكذا فان المعرفة هي تذكر ولذلك علينا الا نلتفت الى ما يدعيه السوفسطائيون من استحالة المعرفـة [(١٨١)] . »
اما النص الآخر عن كراتيلوس فهو : بعد ان يقول سقراط لمحاوره هيرموجين Hermogens ما هو الشيىء الذي يمسك ويعطي الحياة والحركة للجسم كله ؟ اي شيىء هو غير النفس ؟ وان اعتقاد انكساغوراس هو ان العقل او النفس هو المبدأ المدبر والمسيطر لجميع الاشياء ، يسأله محاوره : ماذا تقول عن العالم الآخر ؟ يجيب سقراط : « ان هذا يمكن ان يفسر تفسيرات مختلفة فان البعض يقول بان الجسم هو قبر للنفس .... ومن المحتمل ان شعراء

(١٨٠)
Burnet : pp. 130 — 131
(١٨١) محاورة مينو
Meno. 81. p. 360.

الاورفية هم الذين اخترعوا هذا الاسم وانهم يرون ان النفس تعاني من العقاب على الخطيئة وانه الجسم هو السجن الذي فيه سجنت وتبقى بعيدا عن النقاوة الى ان تدفع عنها العقوبة » (١٨٢) .

٦ ـ اراؤه السياسية . لم يشترك في اية نظرية سياسية ولـكنه كان بلا شك ضد الديموقراطية القائمة عدا التصويت ـ اي عـدد الرؤوس ـ وليس على الاقلية الممتازة (١٨٣) . وهذا واضح من نصوص صريحة في الدفاع وفي اقريطون (١٨٤) وفي ميله الى الفيثاغورية (١٨٥) .

٧ ـ طريقته . سبقت الاشارة الى سعيه وراء الحد والماهيات وكانت وسيلته الى ذلك الاستقراء وقد اوضحت معناه عنده . اما طريقة المحاورة عنده فهي التوليد والتهكم . وكان يستخدم الاول مع البسطاء والاخير مع الادعياء واحيانا كليهما . ويمكن اجمال هاتين الطريقتين بما يلي :ـ

١ ـ التهكم ان يسلم للخصم مجادله بانه لا يعرف شيئا ثم يسأل سقراط هذا الخصم او المحاور عن العدالة مثلا فيقدم المحاور تعريفا لا يلبث سقراط ان يشير الى نقاط تضعف منه فيضطر المحاور الى تعديله او ابطاله وهكذا حتى يقر الخصم بالعجز ويصبح موضعا للسخرية وغالبا ما لا تنتهي مثـل هـذه المحاورات المعتمدة على هذا الضرب من المحاورة الى نتيجة واضحة وابرز مثل على ذلك محاورة اوطيفرون .

٢ ـ التوليد : وهذه الطريقة هي ان يجادل سقراط احد العامـة او البسطاء أو من ليس دعّيا ومن الحوار واثارة الاسئلة والاعتراضات يصـل المتحاوران ـ وخصوصا المحاور الآخر غير سقراط ـ الى احكام واقـوال ومعارف تبدو له جديدة ويظن انه ما كان ليصل اليها بدون المحاورة كما انه يظن انه لم يكن على علم بها . وغالبا ينتهي هذا النوع الى احـكام ونتائج بينة . وابرز مثل على ذلك محاورة اقريطون وفيدون .

---

(١٨٢) محاورة كراتيلوس :

Cratylus, 400. p. 190. of the Dialogus

(١٨٣) يقول رسل : (Ruseel : p. 107) لا ندري أن كانت الحجج على خلود النفس في « فيدون » لسقراط ام لافلاطون .

(١٨٤)

Zeller : p. 120.

(١٨٥) سبقت الاشارة مرارا الى هذه النقطة .

وقد حسب سقراط ـ جاهلا أو متجاهلا ـ ان المعارف غريزيه في كل انسان وانها موجودة عند الجميع قبل الولادة ثم نسيها الانسان بعد الولادة استنادا على استكشاف معارف عند محاوريه لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك (١٨٦) . ولكن الحق هو ان سقراط كان ـ كما يلاحظ رسل بحق ـ على علم تام بموضوع المحاورة وكان يقود محاوريه الى النتائج التي يريد عن طريق حديثه واشاراته وايمآته واسئلته الموجهة وهي اسئلة يمنعها القاضي في اية محكمة لانها تتضمن الجواب وتوجهه توجيها .

ولذلك احسن « رسل » بقوله ان هذه المحاورات التوليدية لا تؤدي على طولها الى معنى جديد في ميدان الاخلاق او سواه بل في ميدان اللغة (١٨٧) .



---

(١٨٦) « فيدون » ص ١٩٩ فما بعد . ومحاورة مينو .
Meno : 81 — 85.

(١٨٧) يرى رسل ان اصل المحاورة السقراطية هو زينون الايلي :
Russell : p. 109 — 110.

(المصـــادر باللغـــة الانكليزية)

Alexander. B.D. :

(1) Short History of Philosophy. Glasgow. 1934.

Alpern. H. :

(2) The March of Philosophy. New York. 1933.

Appleton R.B. :

(3) The Elements of Greek Philosophy. London. 1922.

Aristotle :

(4) Metaphysic. Ed. Ross. D. Oxford. 1958.

Burnet. J. :

(5) Early Greek Philosophy. London. 1958.
(6) Greek Philosophy, Thales to Plato. London. 1961.

Chroust (Anton-Hermann):

(7) Socrates Mand and Myth. London. 1957.

Lowess : G. H.

(8) Biografical History of Philosophy. London. 1891.

Machenzie. J. :

(9) Amanual of Ethics. Six Ed. Oxford. 1929.

Murihead :

(10) The Element of Ethics. London. 1939.

Plato :

(11) Lashes p.p. 55ff.
(12) Protogoras p.p. 81ff.
(13) Phaedrus p.p. 233ff.
(14) Meno p.p. 349ff.
(15) Symposium p.p. 301ff.
(16) Apology p.p. 401ff.
(17) Gorgias p.p. 505ff.
(18) Charmides p.p. 3ff.
(19) Cratylus p.p. 173ff.

All in: The Dialogus of Plato. Tr. by Jowett B. vol. 1. New York. 1937.

Rogers. A.K. :

(20) Student's History of Philosophy. Third Ed. (1941).

Russell. B. :

(21) History of Western Philosophy. London. 1961.

Smith. T. V. :

(22) Philosophers Speak For Themselves. Chicago. 1955.

Taylor. A. E. :

(23) Plato The Man and His Work. London. 1960.

Xenophon :

(24) Memorabilia : The Texts to be Found in : Lowess, Chroust, Burnet and the others. See under these names.

(25) Defence before The Jury. Tr. by Smith. See under: Smith, above.

Zeller. E. :

(26) Outlines of The History of Greek Philosophy. New York. 1955.

المصـــادر باللغـــة العربيـــة

افلاطـــون :

١ ـ محاورة الدفاع — جميعا ضمن :
٢ ـ محاورة اقريطون — «محاورات افلاطون» . ترجمها عن الانكليزية .
٣ ـ محاورة فيدون — زكي نجيب محمود . القاهرة . ١٩٦٣ .

اهواني (احمد فؤاد) :

٤ ـ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط . القاهرة ١٩٥٤ .

بدوي (عبدالرحمن) :

٥ ـ افلاطون . طبعة ثالثة . القاهرة ، ١٩٥٣ .

تايلور (ماركريت) :

٦ ـ الفلسفة الاغريقية . ترجمة عبدالمجيد عبدالرحيم . القاهرة ، ١٩٥٧ .

ريفـــو :

٧ ـ الفلسفة اليونانية اصولها وتطورها . ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود . القاهرة ، ١٩٥٨ .

الطويل (ابراهيم) :

٨ ـ الفلسفية الخلقية نشأتها وتطورها . القاهرة ، ١٩٦٠ .

غلاب (محمد) :

٩ ـ الفلسفة الاغريقية . القاهرة ، ١٩٥٠ .

كاســـبرر :

١٠ـ مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية . ترجمــة احسان عباس . بيروت ، ١٩٦١ .

كرم (يوسف) :

١١ـ تأريخ الفلسفة اليونانية . طبعة ثالثة . القاهرة ، ١٩٥٣ .
١٢ـ تأريخ الفلسفة الحديثة . القاهرة . ١٩٦٢ .

مطر (اميرة حلمي) :

١٣ـ الفلسفة عند اليونان . القاهرة ، ١٩٦٥ .

النشـــار (علي سامي) :

١٤ـ نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان . الاسكندرية ، ١٩٦٤ .

متي (كريم) :

١٥ـ الفلسفة اليونانية في عصورها الاولى . بغـداد ، ١٩٦٦ .

حول طائفة من الأصول ذوات السين المندمجة

الدكتور خالد اسماعيل علي

أدرك النحاة اليهود ، الذين درسوا النحو واللغة على العلماء العرب واعتمدوا مؤلفاتهم ، أن هنالك تشابهاً كبيراً بين اللغات العربية والعبرية والسريانية ، وخاصة بين اللغتين الاولين • وقد ولد هذا الادراك في نحو النصف الاول من القرن العاشر الميلادي • وكان من رواد هذه الحركة سعيد بن يوسف ، المعروف بسعديا الفيومي ، ويهودا بن قريش [1] ، ومناحيم بن مسرّوق ، ودناش بن لَبراط ، ويهودا بن داود حيّوج ، ويونا بن جناح القرطبي • وقد أتى على ذكر هؤلاء العلماء وآخرين غيرهم الشاعر والفيلسوف اليهودي الاسباني أبراهام بن عزرا (١٠٩٢ م — ١١٦٧ م) في كتابه מאזנים (الميزان) [2] •

وكان جل هؤلاء يكتبون بالعربية وسلكوا في مصنفاتهم مسلك النحاة وأهل اللغة العرب ، واقتبسوا طريقتهم في البحث والتأليف وأجروها على اللغة العبرية • وقد تأثروا بشكل خاص بالخليل في (كتاب العين) وسيبويه في (الكتاب) وابن دريد في (الجمهرة في اللغة) والزمخشري في (المفصل في النحو) • ولو فعل المؤلفون السريان فعلهم في لغتهم اذن لما حصل الارباك الذي وقعوا هم والمستشرقون فيه في اجرائهم منهج البحث في اللغتين الاغريقية واللاتينية ، وهما لغتان هندو أوربيتان ، على اللغة السريانية ، وهي لغة سامية.

وبهذا اتضحت العلاقة بين هذه اللغات • وبرهن كبار مستشرقي القرن السابع عشر كلودولف وبوخارت وكاستل [3] أن هذه اللغات ترجع الى أصل واحد • وقد تم هذا الاكتشاف قبل أن يتمكن بوب Bopp من اثبات أوجه القرابة بين اللغات الاوربية الواحدة مع الاخرى ، وبينها وبين اللغات الهندو ايرانية من طرف آخر • وما أن أطل القرن التاسع عشر حتى حلت رموز الخط المسماري ، فأُضيفت اللغة الاكدية بلهجتيها : البابلية والاشورية الى أخواتها اللغات السامية الاخرى • وأعقب ذلك اكتشاف فروع أُخرى من الشجرة الكبيرة وهي الفينيقة والعربية الجنوبية (المعينية والسبئية والقتبانية والحضرمية والحرَمية) • وأخيراً في عام ١٩٢٩ اللغة الأُگاريتية • وقد بلغت الدراسات

السامية ، وخاصة اللغوية منها ، ذروتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفاتحة القرن العشرين بفضل علماء أجلاء كنو لدكـه Nöldekc وبروكلمان Brockelmann

والذي يهمنا من الحقائق اللغوية التي ثبتها المستشرقون ، بقدر ما يتعلق الامر بهذا البحث ، القسم الذي ينتظم الاصوات اللغوية للغات الساميّة • والجدول التالي يبين العلاقة بين أصوات اللغات السامية الرئيسة (٤) :

اللغة	الأصوات
اللغة السامية الأم	ب پ د ت ط ذ ث ض(٥) ظ(١٦) گ ك ق غ خ ز س سَ(٧) ش ص ل ر م ن ء ع هـ ح و ي
الأكـدية	ب پ د ت ط ز ش ص ص گ ك ق ء خ ز س ش ش ص ل ر م ن ء ء ء و ي
الأوگاريتية	ب پ د ت ط ذ ث ص ظ گ ك ق غ خ ز س ش ش ص ل ر م ن ء ع هـ ح و ي
العبرية	ب پ د ت ط ز ش ص ص گ ك ق ع ح ز س سَ ش ص ل ر م ن ء ع هـ ح ي ي
الآرامية	ب پ د ت ط د ت ع ط گ ك ق ع ح ز س س ش ص ل ر م ن ء ع هـ ح ي ي
العربية (الشمالية)	ب ف د ت ط ذ ث ض ظ ج ك ق غ خ ز س ش س ص ل ر م ن ء ع هـ ح و ي

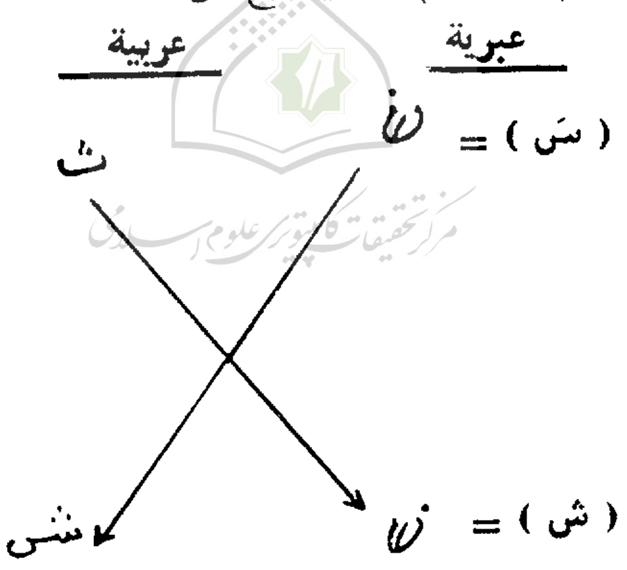
إن الذي نستخلصه من الجدول السابق هو :

١ ــ إن عدد أصوات اللغات السامية التي نعرفها لحد الآن يبلغ تسعة وعشرين صوتاً •

٢ ــ إن أقرب اللغات الى اللغة السامية الام ، من جهة أصواتها ، هي اللغة العربية الجنوبية ، وتليها اللغة العربية الشمالية ، وهي لغتنا الحالية ، فالآوگاريتية •

٣ ــ إن العبرية قد احتفظت بحرف ــ وكذلك العربية الجنوبية ــ فقدته العربية الشمالية وهو الحرف الذي يرسم في العبرية שׂ ويسمى سينا ويلفظ كذلك • وقد انقلب في عربيتنا الى (ش) •

ومن المعتقد أن حرف שׂ (= سَ) هذا كان يلفظ في السابق بين الشين والثاء ، كما هي الحال اليوم في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة (المهريّة والسوقوطريّة والسحوريّة) [٨] • وهذا يفسر ، على ما اعتقد ، لماذا انقلبت السين المذكورة שׂ وكذلك الثاء ، التي فقدت في اللغة العبرية ، الى شين في العربية (الشمالية) كما يتضح من المخطط التالي :



واذا ما تتبعنا حروف الصفير (س سَ ش) في الجدول الاول نخرج بالنسبة لعربيتنا بالنتائج التالية :

١ ــ حافظت السين الاصلية على نطقها في جميع اللغات السامية •

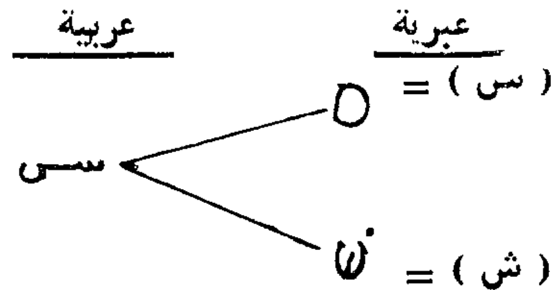
٢ ــ انقلبت الشين التي حافظت على نطقها في اللغات السامية أجمع ، باستثناء العربية الشمالية والجنوبية ، الى سين في هاتين اللغتين •

٣ ــ انقلبت שׂ سَ التي احتفظت بها العربية الجنوبية شكلاً ولفظاً ،

والعبرية ، الى شين في العربية الشمالية ، وكذلك في الأكدية والأوگاريتية ، والى سين في الأرامية •

وهكذا أصبح في عربيتنا سينان : سيناً أصلية ، وسيناً منقلبة عن شين •

وتتحدد العلاقة بين العربية الشمالية والعبرية فيما يتعلق بهذا كما يلي :ـ



ويترتب على هذا أننا نجد في الأصول ، التي اجتمعت فيها السينان الاصلية والمنقلبة ، تباينا ملحوظاً في المعنى • وهذا ما يؤكد من جانب آخر ظاهرة الاندماج •

وسأتناول في هذه المقالة دراسة عدد جديد من الأصول العربية من ذوات السين المندمجة عرضت لي حين قراءتي لبعض النصوص • وهذه الأصول هي غير التي كنت قد قمت بدراسها في أطروحتي •

أنس •

أصلان مندمجان :

أصلان مندمجان :

(١) أصل فيه سين أصلية ، ويقابله في العبرية אנס

(٢) وأصل سينه منقلبة عن شين ، ويقابله في العبرية אנשׁ

(١) أنس •

قول الشاعر :

ولكنني أجمعُ المُؤْنِسات إذا ما استَخفّ الرجالُ الحديدا

يعنى أنه يقاتل بجميع السلاح ••• الفرّاء : يقال للسلاح كله من الرمح والمِغْفَر والتِجفاف والتَسبغَة والتُرس وغيره : المُؤْنِسات (لسان ٧/٣١١) •

أما تأويل صاحب اللسان كلمة المؤنسات في البيت السابق بقوله « وإنما سماها بالمؤنسات لانهن يؤنسنه فيؤمنّه ويحَسِّن طنه » (الموضع السابق نفسه) فكلام متمحّل ولا يُعَوّل عليه •

ويقابل هذا الأصل في عبرية التوراة אנס بمعنى : أجبَر •

وقد ورد هذا الاصل في عبرية ما بعد التوراة بمعنى : اضطر ، سلب ، وجاء كذلك في آراميّة التوراة .

(٢) أنس .

يندرج تحت هذا الأصل كل ما ورد في المعاجم المعتمدة غير ما سبق ذكره في مادة (١) أنس . فمن (٢) أنس : الانس : خلاف الجنّ . وآنستُ الشيءَ : إذا رأيته . ومنه « إنّي آنَسْتُ ناراً لَعَلّي آتيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ » (١٠/٢٠ طه) . وآنَسْتُ الشيءَ : إذا سمعته . قال الحارث:

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفزَعَها القـ ـناصُ عصراً وقد دَنا الامساءُ

والانسان : معروف . وإنسان السيف والسهم : حَدُّهما . وانسان العين : ناظِرها . والانسان : الأُنمُلة . وإنسِيُّ القدم : ما أقبل عليها ، وإنسِيُّ القوس : ما أقبل عليك منها (لسان ٧/٣١٠ ، المقاييس ١/١٤٥) .

ويقابل هذا في عبرية التوراة אֱנוֹשׁ : أُناس . وفي آرامية التوراة אֱנָשׁ ، وفي الأوگاريتية « أن س » بالمعنى ذاته،وفي السريانية ܐܢܫܐ بالمعنى نفسه كذلك .

حسل .

أصلان مندمجان :

(١) أصل فيه سين أصلية ، ويقابله في العبرية חסל

(٢) وأصل فيه سين منقلبة عن شين ، ويقابله في العبرية חשל

(١) حسل .

قال بعض العبسيّين :

قَتَلَتْ سراتَكم وحَسَلْتُ منكم حسيلاً مِثلَ ما حُسِل الوِبارُ

قال ابن الأعرابي : حسلت : أبقيت منكم بقية رُذالاً ... وقد حَسلهُ ... أي : رَذَله ، وحُسِل به ، أي : أُخِسّ حظُّه . فلانٌ يُحَسِّل بنفسه ، أي : يقَصِّر ويركب الدناءة (لسان ١٣/١٦١) .

ويقابل هذا في عبرية ما بعد التوراة חסל : التَهم (الجرادُ النباتَ)، وفي عبرية ما بعد التوراة חָסַל : أتَمّ ، أَنهَى .

والحَسِيلُ : أولادُ البقَر ... ابن الأعرابي يقال للبقرة : الحسيلة . وقريب من هذا في الارامّية חסילא ، وفي السريانية ܚܣܠܐ : الامتلاء (بسبب التغذية) .

(٢) حسل •

الحِسلُ : ولـد الضَبّ • وقيل : وَلـد الضبِ حين يخرجَ من بيضته ••• والحَسِيلة : حَشف النخل الذي لم يَحْلُ بُسرُه ييبسونه حتى ييبس فاذا ضُرب انفتّ عن نَواه ، ودنوه باللبن ومردوا له تمراً حتى يحلّيه فيأكلونه لقيماً ••• وقال ابو حنيفة : الحسالَة :

ما تكسّر من قشر الشعير وغيره (لسان ١٣/١٦١) •

ويقابل هذا في الاراميـة חשולָא : ذرة مُقشرة • والحَسْلُ : السَوق الشديد • يقال : حسلها حسلاً : اذا ضبطها سَوقاً (لسان ١٣/١٦١) ويقابله في العبرية חשל : الضعيف الذي لا يقوى على السير • وفي عبرية ما بعد التوراة חִשֵּׁל : يضعِّف ، يجعل الشيء مستدِقاً ، يطرق •

طفس •

أصلان مندمجان :

(١) أصل فيه السين أصلية ، ويقابله في الآراميّة טַפְסָא

(٢) وأصل فيه السين منقلبة عن شين • ويقابله في العبرية טפש

(١) طفس :

الطَفَس : قَذَرُ الانسان اذا لم يتعهد نفسَه بالتنظيف •

رجل نجِس طَفِس ، والانثى : طَفِسَة • والطَفَس : الوَسَخ والدَرَن• وقد طفِس الثوبُ طَفَساً وطَفاسةً (لسان ٧/٤٣٠) •

ويقابله في الآرامية טַפְסָא : ثوب قذر •

(٢) طفس •

طَفَس الرجـلُ : مـات • وهو طافِس ••• الجوهري : طَفَس البِرذَون يطفِس طُفوساً ، أي : مات (لسان ٧/٤٣٠) •

ويقابله في عبرية التوراة טפש : يصير عـديم الاحساس ، وفي موضع آخر : يصير بديناً • وفي عبرية ما بعد التوراه والارامية اليهودية : يصير بديناً أو غبياً أو عديم الادراك •

طرس •

أصلان مندمجان :

(١) أصل فيه السين أصلية ، ويقابله في الآرامية اليهودية טרס ،

(٢) وأصل سينه منقلبة عن شين ، ويقابله في الآرامية اليهودية טרש

(١) طرس •

ابن الأعرابي ، المتطرِّس والمتنطّس : المتنوّق المختار • قال المرّار الفقعي يصف جارية :

بيضاء مطعَمَةُ الملاحة مثلها لهوُ الجليس ونيقةُ المتطرّس

(لسان ٧/٤٢٨) •

ويقابله في الأرامية اليهودية טְרַס : فتش ، بحث عن •

(٢) طرس •

الطِرس : الصحيفة • ويقال هي التي مُحيت ثم كُتبت • وكذلك الطِلس • ابن سيده ، الطِرس : الكتاب الذي مُحي ثم كتب ، والجمع أطرس وطروس ••• الليث ، الطِرس : الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد عليه الكتابة وفعلك به التطريس • وطرّسه : أفسده • وفي الحديث كان الفقعي يأتي عبيدة في المسائل فيقول : عبيدة ! طرّسها يا أبا ابراهيم ! أي : امحُها ، يعني الصحيفة • يقال طرّست الصحيفة اذا أنعمتَ محوها (لسان ٧/٤٢٧ — ٤٢٨) •

ويقابله في الآرامية اليهودية טְרַשׁ : محا (الكتابة من على قطعة نقود) •

كبس •

أصلان مندمجان :

(١) أصل فيه السين أصلية ، ويقابله في العبرية כבס ،

(٢) وأصل سينه منقلبة عن شين ، ويقابله في العبرية כבש •

(١) كبس •

نخلة كبوس : حملها في سعفها • والكِباسة بالكسر : العِذق التام بشماريخه وبُسره • وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب ••• والكَبيس : ضرب من التمر • وفي الحديث أن رجلاً جاء بكبائس من هذه النخل • هي جمع كِباسة : وهو العِذق التام بشماريخه ورُطبه (لسان ٨/٧٥) •

ويقابل هذا في عبرية التوراة כבס : يضرب الثياب من أجل غسلها وتنظيفها • وهذه العادة معروفة عندنا فقد كانت النسوة ومازلن في بعض الانحاء يضعن الثياب على حجر أو صخرة على جرف النهر ويضربنها بعصاً

غليظـــة ويصببن عليهـا المـــاء لتنظف • وفي الأراميَّـة اليهوديـة :
כְּבָסָא و כְּבָאסָא و כּוּבְסָא

العـذْق ويُخَلَّ اليَّ أن النسوة كن يستخدمن أصل العـذق في ضرب الثياب، خاصة في المناطق التي يكثر فيها النخل، ثم أُجريت الأداة على فعل الغسل (بالعذق) •

(٢) كبس •

الكَبْسُ : طمّك حفرة بتراب • وكبست النهر والبئر كبساً طممتهما بالتراب • وقد كبس الحفرة يكبسها كبساً : طواها بالتراب وغيره • واسم ذلك التراب : الكِبس ••• وتكبّس : أدخل رأسه في ثوبه ، وقيل تقنّع به ثم تغطى بطائفة •• والكِبس : البيت الصغير •• قال شمر الكِبس : اسم لما كُبس من الأبنية • يقال : كِبْس الدار وكِبْس البيت • وكل بنيان كُبِسَ فله كِبْس ، قال العجّاج :

وإن رأوا بُنيانه ذا كَبْسِ تطارحوا أركانَه بالرَّدسِ

والتَكَبُّس : الزقتحام على الشيء • وقد تكبّسوا عليه ، ويقال : كبسوا عليهم • وكابوس : كلمة يُكنّى بها عن البُضع • يقال : كبَسها (لسان ٨/٧٣ ــ ٧٥) •

ويقابل هذا في عبرية التوراة כָּבַשׁ : يستسلم ، يغتصب (امراءة) ، يُخضع • وفي الارامّية اليهودية כְּבַשׁ : يدوس ، يَطأ ، يضغط • وقد وردَ مثل هذا المعنى في السريانية ܟܒܫ

نسك •

أصلان مندمجان :

(١) أصل سينه أصيلة ، ويقابله في العبرية נסך

(٢) وآخر سينه منقلبة عن شين ، ويقابله في العبرية נשך

(١) نسك

نسكَ الثوبَ : غسله بالماء وطهّره فهو منسوك • وقال :

ولا يُنبِت المَرعى سِياجٌ عُراعِرٍ ولو نُسِكت بالماء ستة أشهرِ

وأرض ناسِكة : خضراء حديثة المطر ، فاعلـه كمفعوله • والنسيك : الذَهَب ، والنسِيك : الفضة من ثعلب • والنسيكة : القطعة الغليظة منه • ابن الأعرابي ، النَسْك : سبائك الفضة ، كل سبيكة منها نَسِيكة (لسان ١٢/٣٩٠) •

ويقابل هذا في العبرية נסך : يصب (خمراً أو ماءً كنذر) ، يصبّ (صورة من مَعدِن) . وفي الأُوگاريتية « ن س ك » : يصب شـراباً نـذراً للالهة ، وكاسم بمعنى : صائغ ، حدّاد . وجاء هذا الأصل في عبرية ما بعد التوراة נסך وفي السريانية ܢܣܟ بالمعنى السابق .

(٢) نسك .

النُسْك والنُسُك : العبادة والطاعة وكل ما تُقُرِّب به الى الله تعالى . وتنسَّك ورجل ناسك : عابد . وقد نسك وتنسَّك : تعبَّد . ونَسُك : صار ناسكاً . والنسيكة : الذَبيحة . وقيل ، النُسُك : الدم . والنَسيكة : الذَبيحة ... والَمنسِك : شرعة النَسك.وفي التزيل «وأَرِنا مَناسِكَنا» (١٢٨/٢ البقرة) ... والمنسَك : المذبح . وقد نَسَك ينسُك نَسكاً : اذا ذبَح (لسان ١٢/٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

ويقابله في عبرية التوراه נשך يعضّ (تقال عن الأفعى) ، يعض بشدة . وفي عبرية ما بعد التوراة נשך : يَقطع ، يعضّ .

الهوامش

(١) Brockelmann, Carl: Grundress der verleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. 2 Bde. Hildesheim 1961.

نسخة مصورة عن طبعة ١٩٠٨ و ١٩١٣ .

(٢) Handbuch der Orientalistik: Herausgegeben von Bertold Spuler. 3 Bd. Semitistik.

ص ١ .

ص ٨٩ وما يليها .

(٣) المرجع الاول ، الموضع نفسه .

(٤) أخذ هذا الجدول من كتاب Abriss der Ugaritischen Grammatik وعليه ختم الاستاذ انتون شال Anton Schall . وهو مطبوع بالالة الطابعة في مدينة هايد لبرك في المانيا الغربية وصادر عن قسم الدراسات الشرقية في جامعة هايد لبرك نفسها عام ١٩٥٨ .

انظر الى ص ٩ .

(٥) كانت الضاد تلفظ غير لفظها اليوم في اللغة العربية . ويرمز لها بـ

(٦) كانت الظاء تلفظ كذلك غير لفظها اليوم في اللغة العربية . ويرمز لها بـ

(٧) المقصود بـ (سَ) الحرف الذي يكتب في العبرية (السين) .

(٨) Beeston, A. F. L.: A descriptive Grammar of epigraphic South Arabian. Luzac and Company, Ltd. London 1962.

Höfner, Maria: Altsüdarabische Grammatik. Otto Harrassowitz. Leipzig 1943. ص ١٧ وما يليها .

ملاحظة : اعتمدت ، بالنسبة لعبرية التوراة وارامية التوراة ، معجم :

Koehler-Baumgartner : Lexicon In Veteris Testamenti Libros. Leiden 1953.

وبالنسبة لعبرية وآراميّة والمدراش معجم

Levy, Jacob: Wörterbuch über die Talmudim und Midraschim. 4 Bde. Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstdt 1963.

وهذه هي النسخة المصورة عن الطبعة الثانية التي صدرت في برلين وفينا عام ١٩٢٤ .

وبالنسبة للغة الاوگاريتية معجم .

Aisteleitner Joseph : Wörterbuch der Ugaritischen Sprach. Herausgegen von Otto Eissfeld. Akademie-Verlag, Berlin 1963.

وبالنسبة للغة السريانية معجم .

Brockelmann, Carl: Lexicon Syriacum. Editio secunda aucta et emendata. Halis Sax. 1928.

المفسرون والشعر

ابتسام مرهون الصفار

نزل القرآن الكريم في عصر بلغت فيه البلاغة العربية ذروتها ، وأينع فيه الفكر العربي فأثمر تفننا رائعا في مختلف فنون البلاغة والبيان . فكان فيهم الخطيب المفوه ، والشاعر الملهم ، والبليغ الذي لا يبارى فنزل القرآن الكريم بلغتهم وأساليبهم الا أن فيه نمطا معجزا فصّلت آياته باسلوب يسحر سامعيه ، ويأخذ بمجامع قلوبهم فيطمئن المؤمنون وتنساب آياته في قلوبهم لتزيدهم ايمانا ، ويذهل الكافرون والمعاندون غير ان أسلوبه الرائع يمتلك نفوسهم ، ويسحر ألبابهم فلا يستطيعون الا أن يقروا روعته وبيانه . ومما يذكر في هذا الباب ان الوليد بن المغيرة ذهب الى رسول الله (ص) ـ وكان من ألدّ أعدائه ـ يسترق السمع لما يقوله فلما عاد الى قومه سألوه فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ، ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق[1] . واذا كان العرب قد أعجبوا بالقرآن الكريم ، وفهموا آياته فقد كانت هناك بعض الكلمات والتعبيرات يشكل عليهم فهمها فكان الرسول (ص) يبينها لهم تطبيقا لرسالته في ارشاد الناس وهدايتهم الى طريق الصواب (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[2] . وقد حث الرسول (ص) المسلمين على تعلم القرآن واعرابه فعن ابن مسعود انه قال أعربوا القرآن فانه عربي[3] . وكان لا بد لمن يريد أن يتعلم القرآن واعرابه أن يرجع الى لغة العرب يفهم أسرارها ودقائقها في التعبير . ومن هنا حث النبي (ص) على تعلم اللغة والاعراب[4] . وكان من الطبيعي أن يكون الشعر أول ما يرجع اليه في تعلم العربية ؛ لانه يمثل الاسلوب البياني الراقي الذي وصلت اليه اللغة العربية قبل ظهور القرآن الكريم . وقد روى ابن عباس ان

---

(١) الكشاف ٣ : ٢٨٧

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤

(٣) الزينة ١ : ١١٧

(٤) ن٠م

رجلا سأل النبي (ص) فقال أي علم القرآن أفضل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عربيته فالتمسوها في الشعر[٥] • ونجد في أقوال الصحابة تأييدا لهذه الروايات حيث يوجه الصحابة المسلمين الى تعلم اللغة العربية ، وحفظ الشعر ومعرفته ليعينهم على فهم القرآن الكريم • ومما يروى في هـــذا الباب أيضا ان الخليفة عمر بن الخطاب كان يوما على المنبر فقرأ (أو يأخذهم على تخوف)[٦] فسأل عن معنى التخوّف فقال له رجل من هـذيل التخوف عنـــدنا التنقص ثم أنشـــده :

تَخوّفَ الرَحْـلُ منهـــا تامكاً قَرِدا

كما تَخوّفَ عودَ النبعـــةِ السَّفِنُ[٧]

فيقول عمر لاصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا • قالوا وما ديواننا ؟ قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[٨] • حقا كان الشعر الجاهلي ممثلا لديوان العرب مستودعا لاخبارها حافظا لآدابها وأنسابها فكان على من يريد أن يعرف أخبار الجاهلية أن يرجع اليه ، ويعرف معانيه ، ودقائقه • ولقد ذهب الجاحظ الى أكثر من ذلك حين قال بأن من يجهل أمور الجاهلية لا يستطيع أن يفهم الكتاب والسنة[٩] • وذهب ابن قتيبة الى قريب من هـــذا حين قال بأنه لا يعرف فضل القرآن الا من كثر نظره واتسع علمه وفهـــم مذاهب العرب وافتنانها في الاساليب ، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات ، فانه ليس في جميع الامم أمة أوتيت من العارضة والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العرب[١٠] •

وقد اشتهر ابن عباس من الصحابة باتجاهه الخاص في التفسير ؛ وذلك بكثرة تمثله بالشعر العربي في شرحه لغريب القرآن الكريم • وقد عُدّ لذلك

---

(٥) مقدمة ابن عطية : ٢٦١

(٦) سورة النحل ١٦ : ٤٧

(٧) التامك السنام والقرد الذي تجعد شعره ، والنبع شجر تصنع منه القسي والسهام ، والسفن كل ما ينحت به غيره •

(٨) المزهر ٢ : ٤٧٠

(٩) الحيوان ١ : ٩٠

(١٠) تأويل مشكل القرآن : ١٠

المؤسس الاول لهذه المدرسة[11] . وكثرت أقواله التي يوجه فيها الانظار الى معرفة وتعلم الشعر العربي ليعينهم على فهم القرآن من ذلك ما يروى في تفسير الحَرَج في قوله تعالى (وجاهدوا في الله حقّ جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حَرَج ...)[12] فقد صعب على بعض الصحابة تفسير معنى الحرج فقال ابن عباس : اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي . ثم دعا اعرابيا وقال له : ما الحرج عندكم ؟ قال الضيق[13] . وفي رواية أخرى بهذا المعنى أيضا ان ابن عباس قال : اذا قرأتم شيئا من كتاب الله ، فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب[14] . وقد طبق ابن عباس هذا المنهج في مجالسه التي كان يعقدها ليعلم الناس امور دينهم حيث كان يبدأ مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث ثم بالشعر[14آ] وكان الناس يؤمون مجالسه ، ويزدحمون في حلقاته لينهلوا من علمه الغزير فناس تأتيه للشعر ، وناس للانساب وناس لايام العرب ووقائعها ، فما منهم من صنف الا يقبل عليه بما يشاء[15] . وقد وصف عطاء مجلس ابن عباس ، واجتماع الناس فيه بقوله : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقها ، وأعظم خشية ان أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم في وادٍ واسعٍ[16] . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا قط أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس للحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام[17] . وقيل انه كان يخصص لكل يوم بابا من أبواب العلم ، فكان يجلس يوما لا يذكر فيه الا الفقه ، ويوما للتأويل ، ويوما للشعر ، ويوما لايام العرب[18] . ووُصف ابن عباس بأنه كان أعلم الناس في أمور الفقه ،

---

(11) انظر مذاهب التفسير الاسلامي : 90

(12) سورة الحج 22 : 78

(13) جامع البيان 17 : 208

(14) العمدة 1 : 17 ، طبقات القراء 1 : 426 ، الاتقان 1 : 119

(14آ) مقدمة ابن عطية : 262

(15) الطبقات الكبرى ج2 ق2 : 121

(16) الاصابة 2 : 324

(17) طبقات القراء : 1 : 626

(18) الطبقات الكبرى ج2 ق2 : 122

وغريب القرآن ، وعلم العربية والشعر القديم[١٩] • حتى ان أحدهم قال لو ان قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا[٢٠] واذا كانت المراجع القديمة تصف اطلاعه الواسع على الشعر العربي ، ومعرفته لاخبار الشعراء وأنسابهم[٢١] • فان هناك روايات تذكر تتبعه وحفظه لشعر شاعر معاصر له هو عمر بن أبي ربيعة ، مع ما عرف به عمر من انغماره في الملذات ، وانشغاله بالغزل والتشبيب • ومع ذلك فقد كان ابن عباس يستمع الى انشاد عمر لاشعاره ، ويحفظها ، ويرويها • ومما يذكر في هذا انه كان يوما في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ انتَ غادٍ فمبكرُ
غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا ابن عباس ! انّا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصي البلاد ، نسألك عن الحلال والحرام فتتأمل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت
فيخزي واما بالعشيّ فيخسَرْ

فقال : ليس هكذا قال : فكيف ؟ فقال : قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضتْ
فيضحى واما بالعشي فيحضر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت • فقال : أجل ، وان شئت أنشدك القصيدة • ثم تذكر الرواية بأن ابن عباس أنشد القصيدة كلها، وقال بعضهم مبالغا بأنه أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة، وما سمعها الا مرة واحدة[٢٢]• مما يستدل

---

(١٩) الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢٢ وانظر ايضا نكت الهميان : ١٨٠
(٢٠) صفة الصفوة : ١ : ٣١٦
(٢١) انظر فى هذا ما اورده ابن الانباري فى شرح ديوان المفضليات : ١١٣
(٢٢) الاغاني ١ : ٧٢

به على قوة ذاكرة ابن عباس ، وذكائه الذي أعانه على هذا الاتجاه في التفسير • واذا كان نافع بن الازرق ـ كما تذكر الرواية ـ قد أنكر على ابن عباس أن يحفظ شعر عمر بن أبي ربيعة فان هناك روايات أخرى تذكر انه أنشد بيتا فيه معنى من معاني الفحش وهو محرم[٢٣] • ولم يتحرج ابن عباس من هذا لاعتقاده بانه لا يتنافى مع الدين ، وان حفظ الشعر وسيلة من وسائل معرفة العربية التي لا بد من اتقانها لكل من يريد معرفة تفسير القرآن • ويعلل لنا هذا تتبع ابن عباس لكل قصيدة جديدة ينشدها عمر بن أبي ربيعة مع علمه بحال هذا الشاعر واستهجان رجال قريش الورعين شعره الذي لم يترك شريفة من شريفات العرب الا نالها بالغزل والتشبيب • وهناك روايات تبالغ في تصوير ذكاء ابن عباس بالشعر حتى انه يستطيع أن يكمل بيت شعر قبل سماعه فيطابق كلامه قول الشاعر من ذلك انه حين أنشده عمر بن أبي ربيعة قوله :

تشـط غـداً دار جيراننـا

وسكت • قال ابن عباس :

وللدار بعـد غـدٍ أبعـدُ

فقال عمر : كذلك قلت ـ أصلحك الله ـ أفسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي[٢٤] • والذي يهمنا في هذا المجال مدى تطبيق ابن عباس هذا المنهج في تفسيره لغريب القرآن ومعانيه ، مستفيدا من سعة اطلاعه ، ومعرفته لاساليب الشعر العربي •

لقد حفلت كتب التفسير بروايات جمة غزيرة يتمثل بها ابن عباس بالشعر في تفسيره لآيات الذكر الحكيم • واشتهرت رواية تداولتها كتب الادب والتفسير تعكس مذهب ابن عباس • وهي انه كان يوما بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الازرق ـ ويبدو ان هذا كان أول لقائه معه ـ قال لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما

---

(٢٣) الحيوان ٣ : ٤٠ ، جهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، العمدة ١ : ١٧ ، جامع البيان ٦١ : ١٤ ، التبيان ٧ : ٢٩ ، جمهرة اشعار العرب : ٤ ، الكشاف ٢ : ٣١٤

(٢٤) الاغاني ١ : ٧٣

لا علم له به فقاما اليه فقالا : اننا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما[٢٥] • فأخذا يوجهـــان له الاسئلة فيجيبهما عن كل مسألة بشاهد من الشعر العربي • وقد جمع السيوطي هـــذه المسائل فكانت مائتي مسألة ، وذكر بأنه ترك جزءً يسيرا منها نحو بضعة عشر سؤالا قال عنها : وهي أسئلة مشهورة أخرج الائمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس • وأخرج أبو بكر الانباري في كتاب الوقف والابتداء منها قطعة • وأخرج الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة[٢٦] اضافة الى ان كثيرا من كتب التفسير والادب تذكر شواهد منها[٢٧] • وهناك مخطوطتان لهذه المسائل أولاهما في مكتبة دار الكتب الظاهرية والاخرى ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية وكلتاهما لا تبلغان ما جمعه السيوطي •

واذا تتبعنا أجوبة ابن عباس واستقصينا شواهده وجدناها تنقسم الى ثلاثة مجاميع • أولاها الشواهد المنسوبة الى شعراء جاهليين ، حيث تمثل ابن عباس بشعر عدة شعراء كالاعشى واوس بن حجر ، والنابغة الذبياني ، وامرىء القيس، وزهير بن أبي سلمى وغيرهم أما المجموعة الثانية من الشواهد فهي التي ينسبها الى شعراء اسلاميين كحسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحه وكعب بن زهير ، وعبدالله بن الزبعرى • وجاوز شعر هؤلاء ليتمثل بشـعر شـعراء معاصرين له كعمر بن أبي ربيعة مثلا[٢٨] • وهناك مجموعة من الشواهد لم ينسبها ابن عباس الى قائليها وهي كثيرة بالنسبة للشواهد المنسوبة ، وقد بلغت ستا وستين شاهدا • وتمثل ابن عباس بهذه الشواهد يمكن أن نعلله بانها ربما كانت معروفة مشهورة

---

(٢٥) الاتقان ١ : ١٢٠

(٢٦) ن٠م

(٢٧) الكامل / المبرد ٣ : ٩٥٧ ، العمـــدة ١ : ١٧ جمهرة اشعار العرب ٢ ، مقدمة ابن عطية : ١٩٨

(٢٨) لقد جوز العلماء الاستشهاد بشعر المخضرمين الا انهم اختلفوا في الاسلاميين وان رجح بعضهم التمثيل باشعارهم في غريب اللغة والنحو والقرآن ٠ انظر في هذا ما ذكره البغدادي في الشعراء الذين يتمثل بشعرهم : خزانة الادب ١ : ٣

النسبة في زمانه فاستغنى عن ذكر قائليها اعتمادا على شيوعها وحفظ الناس لها . من ذلك تمثله ببيت عمر بن أبي ربيعة دون أن ينسبه :

رأتْ رجلا اما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشي فيخصر[29]

وقد مرّ بنا ذكر معرفة ابن عباس وحفظه لهذا البيت والقصيدة كلها . كما تمثل ببيت لابي زبيد الطائي وهو قوله :

فباتوا يدلجون وباتَ يسري
بصيرٌ بالدجى هادٍ هموسُ[30]

وتمثل بشاهد للنابغة الجعدي وهو قوله :

تضيئكم من سراج السليطِ
لم يجعل الله فيه نحاسا[31]

وهناك شاهد شعري يجعلنا نعيد النظر مرة أخرى في المسائل المنسوبة الى ابن عباس أو قل يثير الشك في بعض المسائل وذلك انه حين سئل عن قوله تعالى عذاب اليم قال الاليم الوجيع. قيل وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت قول الشاعر :

نام مَنْ كان خليّاً من ألَم
وبقيتُ الليلَ طولاً لم أنَمْ[32]

والبيت لبشار بن برد[33] . فهل وضعت هذه المسألة وحدها على ابن عباس وبان وضعها من اختيار شاهدها من أشعار بشار المتوفى سنة ١٦٧ هـ[34] بينما كانت وفاة ابن عباس سنة ٦٨ هـ[35] . أم ان هناك مسائل أخرى وضعت عليه ولم يظهر وضعها لان شواهدها لشعراء جاهليين واسلاميين . ان معرفة هذا

(٢٩) الاتقان ١ : ١٢١ وراجع ما ذكرناه سابقا ص٥٣

(٣٠) ن٠م والبيت في شعر ابي زبيد : ٩٤

(٣١) لم ينسب البيت في الاتقان ، ونسب في المخطوطة للنابغة الذبياني والصواب انه للنابغة الجعدي كما هو مثبت في ديوانه : ٨١

(٣٢) الاتقان ١ : ١٢٣

(٣٣) الاغاني ٣ : ١٥٠

الجواب لا بد أن نلازم عملية بحث وتحقيق لهذه المسائل للوقوف على مدى صحة نسبتها جميعا لابن عباس •

ونجد في المسائل ان ابن عباس قد تمثل بشعر لامية بن أبي الصلت يظهر على كثير منه طابع الانتحال لما فيه من تشابه واضح مع صور القرآن الكريم كقوله :

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم
الا سرابيل من قَطْرٍ وأغلالِ[٣٦]

وذلك حين سئل عن قوله تعالى (خلاق)[٣٧] فقال هو النصيب وتمثل ببيت أمية السابق • وحين سئل عن قوله تعالى (جدّ ربنا)[٣٨] وما اذا كانت العرب تعرف ذلك تمثل ببيت أمية :

لك الحمدُ والنعماء والملك ربنا
فلا شيء أعلى منك جداً وامجد[٣٩]

وحين سئل عن السدر (المخضود)[٤٠] • قال الذي ليس له شوك اما سمعت قول أمية :

انّ الحدائقَ في الجنانِ ظليلة
فيها الكواعب سدرها مخضود[٤١]

وحين سئل عن قوله تعالى (اركسهم)[٤٢] • قال حبسهم • اما سمعت قول أمية :

---

(٣٤) انظر تاريخ الادب العربي – بروكلمان ج٢ : ١٢
(٣٥) انظر الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ : ١٢٠ ، الاصابة ٢ : ٣٢٤ ، طبقات القراء ١ : ٦٢٦
(٣٦) الاتقان ١ : ١٢٥
(٣٧) سورة البقرة ٢ : ١٠٢
(٣٨) سورة الجن ٧٢ : ٣
(٣٩) الاتقان ١ : ١٢٨
(٤٠) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٨
(٤١) الاتقان ١ : ١٢٨
(٤٢) سورة النساء ٤ : ٩١

اركسوا في جهنم انهم كانوا

عتاتا يقولون كذبا ومينا[43]

وحين سئل عن الحتم المقضي[44] قال الحتم الواجب . اما سمعت قول أمية :

عبادك يخطئون وانت رب

بكفيك المنايا والحتوم[45]

وهكذا باقي الشواهد الاخرى تتسم كلها بالطابع الاسلامي حيث الصورة القرآنية ، والنفس القرآني الذي تعمد الرواة بثه في أشعار نسبوها لامية . ومع اننا نجد شعر أمية في شواهد المفسرين الآخرين فان تمثل ابن عباس فيه يثير التساؤل نظرا لقدم ابن عباس أولا ومعرفته للشعر العربي ثانيا . فهل وضع ابن عباس هذه الشواهد ليتخلص من الحرج الذي قد يلاقيه أمام نافع بن الازرق وجماعته الذين أخذوا عليه قولا بأن يجيبهم عن كل كلمة يسألون عنها بشاهد من الشعر العربي ؟ وهل يمكن أن نتهم ابن عباس بوضعها وهو ـ كما مرّ بنا ـ يستطيع أن يكمل بيت الشعر كما قاله صاحبه قبل سماعه كما تدل الرواية ؟ الارجح علم ابن عباس وتقاه يمنعانه عن وضع الاشعار . ولا يمكن القول بأنه أخذها عن رواة وضعوها عن لسان أمية فحفظها وتمثل بها ؛ لان معرفته واطلاعه الواسع على أخبار الشعراء وتمييزه لدقائق التعبير في الشعر الجاهلي لا بد أن تكشف له عن انتحال هذه الشواهد . وهناك احتمال آخر قد يخطر ببال الباحث وهو ان ابن عباس لم يتمثل بشعر أمية بن أبي الصلت ، وانما وضعت هذه المسائل عليه وأضيفت الى مسائله . الا أن تمثل المفسرين بشعر أمية يبعدنا مرة أخرى عن هذا الاحتمال . يضاف الى هذا ان السيوطي قد نصّ على انها أسئلة مشهورة أخرج الائمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة[46] . وربما تمثل ابن عباس بهذه الشواهد مع علمه بأنها موضوعة لانه يعتبر الشعر المنحول ممثلا لشعر

---

(٤٣) الاتقان ١ : ١٢٩

(٤٤) سورة مريم ١٩ : ٧١

(٤٥) الاتقان ١ : ١٣٠

الشعراء الذين نسب اليهم أو على الاقل يقرُب من لغتهم وتعابيرهم كما ذهب بعضهم[٤٧] ٠

لقد تمثل ابن عباس بالشواهد الشعرية ليجيب عن كلمات غريبة صعبة في القرآن الكريم وهي التي عليها أكثر المسائل ٠ وهناك مسائل أخرى نصّ فيها ابن عباس على تحديد موطن الكلمة كأن تكون بلغة بني هذيل[٤٨] ٠ أو بني مالك[٤٩] أو هوازن[٥٠] ٠٠٠ وهكذا ٠ وهو بهذا يطلعنا على شمول معرفته للعربية وأسرارها ، واطلاعه الواسع على لهجات القبائل المختلفة حتى استطاع أن يجيب عن الكلمات التي اختصت بها بعض اللهجات بشاهد من شعر متكلمي تلك اللهجة وقد تكون الكلمة غير عربية كأن تكون حبشية مثلا الا ان العرب أدخلوها في لغتهم ٠ واستعملوها في أشعارهم فينص ابن عباس على أعجميتها ثم يتمثل بشاهد من الشعر العربي وردت فيه الكلمة ٠ من ذلك انه حين سئل عن (الحوب) قال هو الاثم بلغة الحبشة وتمثل ببيت الاعشى :

فاني وما كلفتموني من أمركم
ليعلم من أمسى أعق وأحوبا[٥١]

وهكذا تطلعنا هذه المسائل على منهج ابن عباس في التفسير[٥٢] وتطبيقه لهذا المنهج ، وسعة اطلاعه التي مكّنته من توطيد خطوات ثابتة في تفسير ما أشكل من لفظ القرآن الكريم ٠

---

(٤٦) انظر الاتقان ١ : ١٣٣
(٤٧) الزينة ١ : ١٢٠
(٤٨) الاتقان ١ : ١٣٢
(٤٩) ن٠م ١ : ١٢١
(٥٠) ن٠م ١ : ١٢٩
(٥١) ن٠م ١ : ١٢٨
(٥٢) اما التفسير المنسوب الى ابن عباس والمسمى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس والمطبوع فى مطبعة الاستقامة ١٩٦٠ فهو عبارة عن جمع لروايات نسبت الى ابن عباس اختصرت فيه الاسانيد وحذفت الشواهد جمعه محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ ٠ لذا نجد ان هذا التفسير لا يماثل الروايات التي تنسبها كتب التفسير الى ابن عباس ٠

ونجد بعد ابن عباس ذكرا لمؤلف سار على هذا النهج ، وخطا خطاه . وهو أبان بن تغلب بن رياح في كتابه المسمى الغريب من القرآن وشواهده من الشعر . وكان أبان أحد القراء والفقهاء قرأ على عاصم وأبي عمرو الشيباني وهو أحد الذين ختموا القرآن على الاعمش توفي سنة احدى وأربعين ومائة . وجاء بعده عبدالرحمن بن محمد الازدي الكوفي فجمع من كتاب أبان ومحمد ابن السائب الكلبي وأبي ورق بن عطية بن الحارث كتابا واحدا بين ما اختلفوا فيه ، وما اتفقوا عليه(٥٣) . وفي وصف قوة حفظ أبي بكر بن الانباري وهو محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ذكر انه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا للقرآن الكريم . وكان ثقة صدوقا وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين(٥٤) .

وأخيرا نجد ذكرا لتفسير كثرت فيه الشواهد الشعرية في شرح آيات القرآن الكريم ذلك هو تفسير الشيرازي لابي محمد عبدالوهاب بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ اذ يقال انه ضمنه مائة ألف بيت من الشواهد(٥٥) .

وهكذا استمر منهج ابن عباس ونهج كثير من التابعين وأتباع التابعين على تفسير غريب القرآن بشواهد من الشعر تؤيد كلامهم وتقوي حجتهم ، فنجدهم يتمثلون بالشعر في اختلافهم بقراءات القرآن الكريم . واذا كان بعضهم يعتبر أولى مراحل التفسير قد بدأت في نطاق الاختلاف في القراءات(٥٦) فان هذا يعني ان التمثل بالشعر قد واكب حركة التفسير منذ نشأتها فنجدهم مثلا يتمثلون بالشعر ليرجحوا قراءة على أخرى . وقد تصح عند المفسر قراءات فيتمثل لكل منها بشاهد من الشعر دون أن يرجح واحدة على أخرى . من ذلك ما قاله الفراء في قوله تعالى : (ان تبدوا الصدقات فنعما وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر ...)(٥٧) حيث ذكر في قراءة يكفر ثلاثة وجوه الرفع والنصب والجزم

(٥٣) فهرس رجال الطوسي : ١٤
(٥٤) غاية النهاية في طبقات القراء : ٢ : ٢٣١
(٥٥) كشف الظنون ١ : ٤٥١
(٥٦) مذاهب التفسير الاسلامي : ٦
(٥٧) سورة البقرة ٢ : ٢٧١

متمثلا لكل وجـه بشـاهد من الشعر ، ثم يعقب على ذلك بقوله : وهو كثير في الشعر والكلام وأكثر ما يكون النصب[٥٨] • وينص بعضهم على مخالفته لقراءة معينة ويعتبرها شاذة • ومع ذلك يتمثل لها بشاهد من الشـعر • من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة (والله يريد الآخرة)[٥٩] حيث ذكر ان الجمهور نصبوا الآخرة على الظاهر • وانها قرأت شذوذا بالجر والتقدير يريد عرض الآخرة فحذف المضاف وبقي المضاف اليه كما قال بعضهم :

أكـل امرىء تحسـبين امـرءً
ونار توقّـدُ بالليـل نارا[٦٠]

وقد يكون اختلافهم في قراءة آية سببا في اختلافهم في تفسـيرها وبالتالي اختلافهم في تطبيقها اذا كانت بخصوص فقه وتشريع من ذلك قراءة (وأرجلكم) بالنصب والجر في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصـلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين)[٦١] حيث سبب هذا الخلاف تباينا في مسح الرجل أو غسلها في الوضوء • ورجـح بعضهم قراءتها بالنصب أي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم ثم تمثل بآية أخرى وشاهد آخر من الشعر •

وتأتي بعد هذا مرحلة الكتب التي ألفت في غريب القرآن ومشكله والتي تطورت عنها فيما بعد حركة جمع لكل روايات التفسير • ولا بد من المقارنة بين هذه المجاميع المختلفة لنعرف مدى استفادتها من الشواهد الشعرية وهـل فيها استمرار لمنهج ابن عباس ؟

اذا بحثنا بعض قضايا التفسير في كتب معينة نجد ان كثيرا من الشـواهد تتكرر على لسان المفسرين ولنأخذ لذلك مثـلا اختلافهم في اعراب كلمـة ثم في معنى كلمة وهكذا ••••

---

(٥٨) معاني القرآن ١ : ٨٧
(٥٩) سورة الانفال ٨ : ٦٧
(٦٠) املاء ما من به الرحمن ٢ : ١٠ ، الكشاف ٢ : ٢٤ وقد ذكر الشاهد في الكتاب ١ : ٣٣

في تفسير قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[٦٢] اعتبر أبو عبيدة (لا) في الآية الكريمة من حروف الزوائد لتتميم الكلام وتمثل بقول العجاج :

في بئرِ لا حورٍ سرى وما شَعَرْ

أي في بئر حور أي هلكة • وقال أبو النجم :

فما ألوم البيضَ الا تَسخرا

لما رَأيْنَ الشمطَ القفندرا

أي فما ألوم البيض ان يسخرن • وقال :

ويلحينني في اللهو الاّ احبه

وللهوِ داعٍ دائب غير غافلِ

والمعنى ويلحينني في اللهو ان احبه[٦٣] • نجد الفراء يرفض رأي أبي عبيدة هذا[٦٤] ، بعد أن يذكر الشاهد الاول الذي تمثل به وهو رجز العجاج • ثم يقول : وهذا غير جائز لان المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله فهو جحد محض وانما يجوز أن تجعل (لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم

والطيبان أبو بكر ولا عمر

فجعل (لا) صلة لمكان الجحد الذي في أول الكلام • ثم يعود الفراء ليشرح شاهد أبي عبيدة ، ويوجهه على تفسيره واعرابه فيقول : أراد في بئر ماءٍ لا يحير عليه شيئا[٦٥] هذا الاختلاف في اعراب (لا) في الآية الكريمة ذكرته كافة التفاسير من بعد أبي عبيدة الفراء • ونجد فيها شاهد أبي عبيدة مكررا مع الاختلاف في تفسيره تبعا لاختلافهم في اعراب لا • وهكذا نجد

---

(٦١) سورة المائدة ٥ : ٦

(٦٢) التبيان ٦ : ٤٥٣ ، املاء ما من به الرحمن ١ : ٢٠٩ ، مجمع البيان ٦ : ١٦٥

(٦٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥

(٦٤) لم ينص الفراء على اسم ابي عبيدة وانما قال (قال بعض من لا يعرف العربية) وقد وجدنا انه رأي ابي عبيدة كما هو مثبت في مجازه وكما نص عليه الازهري في لسان العرب (مادة غير) •

(٦٥) ن•م

الطبري[٦٦] يعرض الرأيين مع التمثيل لهما بشاهد أبي عبيدة ، وشاهد الفراء ، على حين نجد الزمخشري[٦٧] والطبرسي[٦٨] يعرضان هذه الآراء دون ذكر لشواهدها .

وفي تفسير قوله تعالى : (بئسما اشتروا به أنفسهم)[٦٩] اتفق المفسرون على ان معنى اشتروا هو باعوا ، ومع ذلك لا بد من التعرف على شواهدهم ما داموا متفقين على معنى الكلمة . فقد أنشد الفراء شاهدا لاستعمال باع بمعنى اشترى :

ويأتيك بالاخبار مَنْ لم تبع له
بتاتا ولم تضرب له وقت موعِد[٧٠]

على معنى لم تشتر له بتاتا . أما الطبري فانه يذكر شواهد من كلام العرب استعملت فيها شرى بمعنى باع كقول يزيد بن مفرغ :

وشريتُ برداً ليتني من بعد بُردٍ كنت هامة[٧١]

ويزيد هذا شاعر اسلامي . وبعد أن يروي الطبري قوله يعود ليذكر شاهدا آخر لشاعر جاهلي هو المسيب بن علس وهو قوله :

يُعطىٰ بها ثمنا فيمنعها
ويقول صاحبها : الا تشري[٧٢]

ثم يتكرر شاهد يزيد بن مفرغ في التفاسير الاخرى دون شعر المسيب[٧٣] والمسيب شاعر جاهلي كان أحق أن يتمثل بشعره قبل شعر شاعر اسلامي . الا ان المفسرين لم يلتزموا بهذا التحديد الزمني ، ولم يرتبوا شواهدهم حسب قدمها .

---

(٦٦) جامع البيان ١ : ٨١

(٦٧) الكشاف ١ : ٥٥ ، وانظر ايضا اعراب القرآن ١ : ١٦٥

(٦٨) مجمع البيان ١ : ٣٠

(٦٩) سورة البقرة ٢ : ٩٠

(٧٠) معاني القرآن ١ : ٥٦

(٧١) جامع البيان ١ : ٤١٥

(٧٢) ن٠م

(٧٣) التبيان ١ : ٣٤٨ ، مجمع البيان ١ : ١٥٩ ، ويفسر ابن الجوزي الكلمة دون ذكر شاهد لها ٠ انظر زاد المسير ١ : ١١٤

وهناك ألفاظ اختلفوا في تفسيرها لا لأنها غريبة بل لاستعمالها مجازا في القرآن الكريم • من ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى (واشـربوا في قلوبهم العجل)[٧٤] فقد ذهب بعضهم الى ان معنى ذلك هو انهم سقوا الماء الذي ذُريت فيه سحالة العجل[٧٥] • وقال آخرون ـ ورأيهم الارجح لانه مستمد من طبيعة الكلام العربي وكثرة المجازات فيه ـ قالوا ان معنـاها اشربوا في قلوبهم حب العجل • فنجد ان أبا عبيـدة ، وابن قتيبـة ، والزمخشري وابن الجوزي[٧٦] يقرون هذا التفسير دون ذكر شاهد له ، وربما كان ذلك لانهم اكتفوا بمعرفة السامع للمعنى لكثرة استعمال المجاز في اللغة العربية ولكثرة حذف المضاف وابقاء المضاف اليه في تعابير العرب وأشعارهم • ولان هناك شاهدا آخر حذف فيـه المضاف وبقي المضاف اليه وهو قوله تعالى (واسأل القرية)[٧٧] أي أهل القرية • ومن هنا لم يحتاجوا الى ذكر شاهد يؤيد كلامهم • اما الفراء فانه بعد ان يرجح هذا التفسير يتمثل بكلام العرب ويذكر عـدة شـواهد تقوي كلامه • وتتكرر شواهد في كتب من جاء بعده ، فيذكرها الطبري[٧٨] ، والطوسـي[٧٩] الا انه يضيف شاهدا آخر لم يذكره الفراء ولا الطبري ، ثم يضيف الطبرسي شاهدا آخر الى الشواهد التي تقدمته[٨٠] •

وقد ينفرد بعضهم بذكر شواهد في تفسيره لكلمة من القرآن الكريم • من ذلك تفسير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)[٨١] فقد فسّر ابن عباس معنى نعبد أي نوحد ، ونخاف ، ونرجو[٨٢] • وفسرها الطبري بمعنى نخشع ونذل ونستكين ؛ لان العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وانها تسـمي الطريق

(٧٤) سورة البقرة ٢ : ٩٣
(٧٥) جامع البيان ١ : ٤٢٣
(٧٦) مجاز القرآن ١ : ٤٧ ، تاويل مشكل القرآن : ١٦٢ ، القرطين ١ : ٤٨ ، الكشاف ١ : ٢٢٧ ، زاد المسير ١ : ١١٥
(٧٧) سورة يوسف ١٢ : ٨٢
(٧٨) جامع البيان ١ : ٤٢٣
(٧٩) التبيان ١ : ٣٥٤
(٨٠) مجمع البيان ١ : ١٦٣
(٨١) سورة الفاتحة ١ : ٧
(٨٢) جامع البيان ١ : ٦٩

المذلل الذي قد وطئته الاقدام ، وذللته السابلة معبـــدا وفي ذلك قول طرفة ابن العبد :

تبـــاري عتـــاقا ناجيـــات واتبعت
وظيفـاً وظيفـاً فوق مور معبـد[83]

يعني بالمور الطريق المعبد المذلل الموطوء • ويكتفي الطبري بهذا الشاهد ليقول بأن الشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن وقف لفهمه • فاذا كانت الشواهد لمعنى العبادة أكثر من أن تحصى كما قال الطبري فان هذا يعلل عدم تمثل باقي المفسرين بالاشعار حين فسروا معنى نعبد[84] • ولا داعي لاختلافهم في معاني العبادة هل هي الخوف والتوحيد والرجاء أم الذلة والخشوع ؟ لان كل هـذه المعاني تفهم مجتمعة في الكلمة فالذليل يخاف ويخشع ويرجو •

وبعد ان ذكرنا عدة أمثلة تناولها المفسرون ، واحتج كل منهم لرأيه يتبين لنا ان الشواهد الشعرية تكررت في كثير من الكتب ، وانهم كانوا يذكرون نفس الشواهد حتى في حالة اتفاقهم على تفسير معنى من المعاني • فلا بد اذاً أن تكون المصادر التي استقى منها المفسرون شواهدهم واحـــدة أو يمكن القول بأن المفسر الاول حين ذكر شاهدا من الشعر اكتفى المفسرون من بعده بهذا الشاهد ولم يكلفوا أنفسهم عناء تتبع الشواهد الاخرى ـ الا في بعض الحالات كما مرّ بنا ـ واذا كان المفسران متعاصرين ، وتمثل كل منهما بنفس الشاهد فان هـذا يعني انهم كانوا يأخذون شواهدهم من مصدر واحد ، أو راوية واحد اذ لا يمكن أن يقال ـ في هذه الحالة ـ انه لا يوجد الا شاهد واحد لمعنى كلمة بعينهـا وانما يمكن القول بأنهم قد اتفقوا في الاخذ عن مصادر معينة • ومراجعة بعض معاني التفسير في المعاجم اللغوية توسع نطاق هذا الرأي لاننا نجد ان اللغويين قد اتفقوا أيضا في كثير من المواطن على التمثـل بشـــواهد من الشعر ذكرها المفسرون من قبل وهذا يعني ان الاعراب أو الرواة الذين كانوا مـــادة لرواية

(٨٣) ن٠م

(٨٤) ن٠م

الاشعار كانوا هم أنفسهم المصدر الذي استقى منه المفسرون واللغويون مادة تفسيرهم وشواهدهم • وقد تذكر المعاجم اللغوية شواهد ذكرها المفسرون الا ان صاحب المعجم يتمثل بها لغير السبب الذي تمثل به المفسر • من ذلك تفسير المفسرين لمعنى قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل)[٨٥] ـ الذي مرّ بنا ذكره ـ اذ تمثلوا بشواهد كان منها قول الشاعر :

حسبت بغام راحلتي عناقا

وما هي ويب غيرك بالعناق[٨٦]

أي حسبت بغام عناق راحلتي عناقا فحذف المضاف وبقي المضاف اليه • وقد ذكر هذا الشاهد نفسه في مادة (عنق) و(بغم) في شرحي هاتين الكلمتين في المعاجم اللغوية[٨٧] •

واذا تعلق مبحث التفسير بالاعراب والنحو وجدنا الشواهد متكررة في كتب التفسير والمعاجم والنحو ، من ذلك بحثهم لقوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم ، وأسرّوا النجوى • قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)[٨٨] • فقد اختلفت الآراء ، وتشعبت التعليلات بسبب اثبات الالف في (هذان) وحقهما الحذف لدخول إن عليها • فقال بعضهم ان معنى إن هو الابتداء والايجاب لانها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها فترفع الخبر ، ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان معنى ان هذان لساحران معنى كلامين ومعناه انه اي نعم ، ثم قلت هذان ساحران ، وذلك ان العرب ترفع المشترك كقول ضابىء :

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحله

فاني وقيار بها لغريب

(٨٥) سورة البقرة ٢ : ٩٣

(٨٦) انظر في هذا جامع البيان ١ : ٤٢٣ ، التبيان ١ : ٣٥٤

(٨٧) انظر في هذا معجم مقاييس اللغة ١ : ٢٧١ ، المحكم ١ : ١٣٠ ، لسان العرب مادة [عنق ، بغم] وقد وجد الشاهد نفسه في الانصاف ١ : ٣٧٢

(٨٨) سورة طه ٢٠ : ٦٢ ـ ٦٣

وقولـــــه :

ان السيوفَ غدوّهـــا ورواحهـــا

تركت هوازن مثل قرن الاعضب[89]

وذكروا شاهدا وردت فيه ِان بمعنى نعم ، وهو قول الشاعر :

ظـــل العـــواذل بالضحـــى يلحينننـــي وألومهنــــــهْ

ويقلن شــيب" قـــد عـــلاكَ وقـــد كبـــرت فقلت ِانه[90]

وقد أنكر الكسائي والفراء هذا القول • وقال الفراء انها اذا كانت بمعنى نعم وافتتح بها الكلام اقترنت باللام أو بلا • قال : ان لا خير فيه وابعده الله أي نعم لا خير فيه[91] •

وحاول قوم التخلص من تعليل هذه الظاهرة في القرآن الكريم فقالوا برأي لم يستندوا فيه على رواية صحيحة موثوقة وهو قولهم ان كتابة (هـــذان) باثبات الالف هي من غلط الكاتب في النسخ وانها تقرأ هذين مع وجود الالف في خط المصحف[92] •

وأرجح الآراء ، وأقربها الى المنطق اللغوي رأي من قال بصحة اثبات الالف على انها لهجة من لهجات القبائل • ولم يحددوا موطن هذه اللهجة كما هو شأنهم في بحث الكلمات المخالفة للهجة قريش • فقال بعضهم هي لغة هوازن أو لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ممن يجعلون الاثنين في رفعهما ، ونصبهما ، وخفضهما بالالف • وقد أنشدوا في ذلك عدة شواهد مشهورة منها قول الشاعر :

فأطرقَ اطراقَ الشــجاعِ ولو رأى

مَســاغاً لنــاباه' الشـــجاع لصممـا

---

(89) مجاز القرآن ٢ : ٢١ ، والشاهد الاول في شرح الاشموني ١ : ٩٤ ، شرح حاشية الصبان ١ : ٢٩٥

(90) الكتاب : ١ : ٤٨ ، تفسير التبيان ٧ : ١٨٥ ، مجمع البيان ٧ : ١٥

(91) المباني ١١٠ ، جامع البيان ١٦ ، ١٨٢ ، التبيان ٧ : ١٨٥ •

(92) نقل هذا الرأي في مجاز القرآن ٢ : ٢١ ، وقد رد عليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن : ٢٣٦

وقولـــــه :

تزوّد منـــا بين اذناه ضـــربة

دعتـــه الى هـــابي التراب عقيم

وأنشدوا أيضا :

أي قلوصٍ راكبٍ تراهـــا طـاروا عـلاهن فطر علاهـا

وأضافوا الى هذا شاهدا آخر وهو قول بعض شعرائهم :

واهـــاً لِريّا ثم واهـــاً واهـا يا ليتَ عينـــاها لنـــا وفاهـــا

اِن أباهـــا وأبـــا أباهـــا قد بلغـــا في المجـد غايتاهـا[٩٣]

وقد رجح الطبري هذا الرأي ؛ لان اجماع القراء عليه ، وانه كذلك في خط المصحف[٩٤] • اما الزمخشري فقد ذكر هذه الآراء جميعا ، ولم يرجح احدها كما لم يتمثل بشاهد لها[٩٥] •

واشتراك النحويين والمفسرين في مناقشة مسألة من مسائل القرآن يعطينا فكرة عن اشتراك العلوم الاسلامية في خدمة القرآن • فقد كان هدف أهل اللغة والنحو خدمة القرآن بطريق حفظ قواعد العربية • ومن هنا كان جل بحثهم منصبا على مسائل الذكر الحكيم يبحثون في اعرابه ، وغرائب أساليبه ، بل انهم أهملوا البحث في المسائل التي فيها خروج عن أساليب القرآن الكريم ، واعتبروها لهجات شاذة • ثم ان اشتراكهم بالشواهد الشعرية يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا من وحدة المصادر التي استقى منها هؤلاء مادة شواهدهم •

وهكذا نجد الشعر مادة رئيسة استفاد منها المفسرون واللغويون في تفسير القرآن الكريم• واستدلوا بها على صحة آرائهم حتى قال بعضهم بأن خشية المفسرين وتحرجهم من تفسير القرآن هو الذي دفعهم الى التمثل بالشعر في كل مسألة من

(٩٣) مجمع البيان ٧ : ١٦ ، والبيت الثاني في المباني : ١٠٩ ، شرح الفية بن مالك ١ : ٤٦ ، شرح الاشموني ١ : ٢٩ ، حاشية الصبان ١ : ٧٩

(٩٤) جامع البيان ١٦ : ١٨٢

(٩٥) الكشاف ٢ : ٣٠٦

مسائل القرآن الكريم[٩٦] وليست الخشية من تفسير القرآن هي وحدها التي أوجدت هذا المنهج في التفسير لان المفسرين تمثلوا بالشعر لاجل أن يؤيدوا ما ذهبوا اليه من رأي في تفسير كلمة أو آية •

وهكذا شق منهج التفسير بالشعر طريقه في خضم اتجاهات التفسير المختلفة وقد وضع الزمخشري في مقدمة تفسيره شروط المفسر وعدته التي يجب أن تتوفر له حتى يتجشم تفسير القرآن الكريم وهي ان يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان[٩٧] • وقد سار على هذا المنهج في تفسيره البياني معتمدا اعتمادا كبيرا على الشواهد الشعرية في عرضه لروعة الاسلوب البياني للقرآن متجاوزا شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ليتمثل بشعراء من العصر العباسي كأبي تمام وابن هرمة وابن ميادة •

وقد اعتنى أبو محمد عبدالحق بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤١ في كتابه المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو يقع في عشرة أجزاء اعتنى المؤلف فيه بالشواهد الادبية للعبارات[٩٨] •

واذا جاوزنا التفسير ، وما كتب في غريب القرآن وألفاظه الى ما أُلِف في الالفاظ الاسلامية بصورة عامة مثل كتاب (الزينة في الالفاظ العربية الاسلامية) وجدنا مؤلفه يشير الى استفادته من الشعر في شرح الالفاظ العربية الاسلامية التي ضمنها كتابه فيقول هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج اليها الفقهاء ، ولا يستغني الادباء عنها • وفي تعلمها نفع كبير ، وزينة عظيمة لكل ذي دين ومروءة ألّفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث[٩٩] • ونراه يسير على هذا المنهج في بحثه للكلمات القرآنية كتفسيره لاسماء الله الحسنى[١٠٠]

---

(٩٦) المباني : ١٩٨
(٩٧) الكشاف ١ : ٥١٨
(٩٨) فهرس دار الكتب ١٠ تفسير
(٩٩) الزينة ١ : ٥٦
(١٠٠) ن٠م ٢ : ١٣

وغيرها ، أو في تفسيره لاسماء وكلمات اسلامية كالمعرفة والانكار والاحصان ، والخلع والناشزة والملاعنة[١٠١] .

وقد استمرت هذه الطريقة في التفسير الى ان حدثت خصومة بين أصحاب هذا المنهج ، وبين بعض المتورعين المتشددين الذين وجدوا في التمثل بالشعر مأخذا يقلل من شأن القرآن وهو كلام الله اذ يوازن بالشعر وهو كلام البشر . واذا عدنا الى بوادر هذا الاتجاه وجدناها قديمة ففي الروايات المتعددة التي ينقلها الطبري مثلا عن المفسرين السابقين نجد ان كثيرا منهم – وان لم يصرح برأيه في هذا الشأن – يولي اهتمامه الناحية الفقهية أو ما يتعلق بالاسرائيليات مهملا في ذلك الشواهد الشعرية أو التفسير الادبي للقرآن الكريم . الا ان هذا الاتجاه أخذ منهجا واضحا في معارضة التفسير بالشعر ولعل خير من يمثل هؤلاء هو كتاب (غرائب القرآن) الذي بيّن مؤلفه في المقدمة منهجه وذكر بانه قد ضمن كتابه مما وجده في كتب التفسير وخاصة كتاب الكشاف حيث يشرح ما يجد فيه من المعضلات تاركا الابيات الشعرية التي تمثل بها الزمخشري لاعتقاده بانه لا يورد الشواهد الشعرية الا من ظن بان تصحيح القراءات وغرايب القرآن انما تكون بالامثال المستشهدات فيقول رافضا هذا المنهج (كلا فان القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه)[١٠٢] ومع ذلك وجدناه يتمثل في كتابه بالاشعار يؤيد بها كلامه . من ذلك شرحه لقوله تعالى (واشتروا الضلالة بالهدى)[١٠٣] حيث تمثل بقول الشاعر :

أخذت بالجُمةِ رأساً أزْعَرا

وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويلِ العمرِ عمراً جيدرا

كما اشترى المسلمُ اذ تنصّرا[١٠٤]

---

(١٠١) الزينة الورقة ١٤٥ (أ) فما بعدها .

(١٠٢) غرائب القرآن ١ : ٨

(١٠٣) سورة البقرة ٢ : ٩٣

(١٠٤) غرائب القرآن ١ : ١٧٩

وقال شارحا العوان بانها النصف ثم أنشد :

فان أتوك وقـالوا انهـا نَصَفٌ

فان أحب نصفيهـا الذي ذهبـا(١٠٥)

واذا كان تمثله بالشعر هنا لا يختلف عن منهج المفسـرين الذي ذكرناه سابقا فاننا نجده يستطرد في شرح الآيات الكريمة متمثلا بالاشعار ، ناسيا ردّه الصارم على من ذهب هذا المذهب في التفسير • من ذلك انه حين شرح قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)(١٠٦) شرح الحسد ، وعواقبه الوخيمة ، وكيف انه يفضي الى الندامة ، والتلف وعذاب نفس الحاسد ، وتمثل بأبيات الشاعر :

اصبر على مضض الحسود	فـانّ صبـرك قـاتله
كالنـار تأكل بعضهـا	ان لم تجـد ما تأكله(١٠٧)

وقد يستدل بحسد الحاسد على كون المحسود محضوضا من الله تعـالى بمزيد الفضائل • ومن هنا تمثل بأبيات أخرى • وهكذا نجده يتمثل بالابيـات الشعرية متناسيا منهجه الذي وضعه في مقدمة كتابه ؟ لان طبيعة العقل البشري تحتاج دائما الى الادلة ، والبراهين وتضطره الى ذكر الشواهد التي تؤيد كلامه ، وتقوي رأيه •

وهكذا نجد ان الخصومة لم تقم على أساس منطقي يجوّز لمعارضي منهج التفسير بالشعر اعتراضهم ، لان ذكر الشواهد في تفسـير القرآن لا يعني اعتبار الشعر أصلا للقرآن كما ذهب هؤلاء(١٠٨) وانما يعني استفادتهم من الشعر في فهم معاني القرآن وغرائب تعبيره ؛ لان الله تعالى قال في محكم كتابه (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(١٠٩) وقال : (كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم

---

(١٠٥) في سورة البقرة ٢ : ٦٨

(١٠٦) سورة الحجر ١٥ : ٤٧

(١٠٧) غرائب القرآن ١ : ٤١١ وانظر ايضا : ١٧١ ، ١٧٥ ، ٣٠٥ ، ٣٤٢

(١٠٨) ن٠م ١ : ٨

(١٠٩) سورة يوسف ١٢ : ٢

يعلمون)[110] • وقال جل من قائل أيضا (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[112] • فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وأساليبهم • ومن هنا لم يتحرج المفسرون من التمثل بالشعر بل وجدوا فيه حجة لما يذهبون اليه في مخالفة بعضهم البعض عند تفسيرهم لمعاني وتعابير القرآن الكريم •

مصادر البحث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي جلال‌الدين عبدالرحمن ـ ٩١١ هـ مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥١

٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ـ ٨٥٢ هـ المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م

٣ ـ اعراب القرآن ـ الزجاجي تحقيق ابراهيم الابياري • القاهرة وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٣

٤ ـ الاغاني ـ الاصفهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد القرشي ٣٥٦ هـ • مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ

٥ ـ املاء ما مَنَّ به الرحمن في وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ـ لابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ٥٣٨ـ٦١٦ هـ ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ١٣٨٠ هـ • مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٦ ـ الانصاف ـ ابن الانباري كمال‌الدين أبو البركات • القاهرة ١٩٦١

٧ ـ البحر المحيط ـ أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي ٦٥٤ هـ • القاهرة ، مطبعة السعادة ٣٢٨

٨ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ـ ٢٧٦ هـ ، تحقيق أحمد صقر • القاهرة • دار احياء الكتب العربية ١٩٥٤

٩ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ـ ٤٦٠ هـ ، تحقيق أغا بزرك الطهراني النجفي • المطبعة العلمية ١٣٧٦

(١١٠) سورة فصلت ٤١ : ٣

(١١١) سورة الزخرف ٤٣ : ٣

١٠- جامع البيان عن تأويل القرآن - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير - ٣١٠ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م
١١- جمهرة اللغة - ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي - ٣٢١ هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
١٢- الحيوان - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ • تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م
١٣- ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق عبدالعزيز رباح • دمشق المكتب الاسلامي ١٩٦٤
١٤- زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي - ٥٩٧ هـ، دمشق ١٩٦٥
١٥- الزينة في الالفاظ العربية الاسلامية - الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان - ٣٢٢ هـ تحقيق حسين بن فيض‌الله الهمداني • القاهرة ١٩٥٧ • والمخطوط في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦
١٦- شرح الاشموني - الاشموني علي بن محمد تحقيق مصطفى حسين أحمد• مصر ١٩٥٥
١٧- شرح حاشية الصبان ، محمد بن علي الصبان تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة ١٩٤٧
١٨- شرح ديوان المفضليات - الانباري أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار - ٣٠٤ هـ تحقيق لايل • بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٢٠
١٩- شعر أبي زبيد ، تحقيق الدكتور نوري القيسي • مطبعة المعارف ١٩٦٧
٢٠- صفة الصفوة - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ٥٩٧هـ • دائرة المعارف العثمانية • حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ
٢١- غاية النهاية في طبقات القراء - شمس‌الدين ابن الجزري نشر ج• برجستراسر القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣٢
٢٢- الطبقات الكبرى - ابن سعد ، محمد - ٢٣٠ هـ تحقيق ادوارد سخو ليدن، مطبعة بريل ١٣٢١ هـ

٢٣ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن ـ ٤٦٣ هـ • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • مطبعة حجازي ١٣٥٧ هـ/١٩٣٤ م

٢٤ـ غرائب القرآن ـ النيسابوري ، نظام‌الدين حسن بن محمد القمي تحقيق ابراهيم عطوه عوض • القاهرة ، مطبعة مصطفي البابي ١٩٦١

٢٥ـ فهرس رجال الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ٤٦٠ هـ تحقيق محمد صادق بحر العلوم • المطبعة الحيدرية • النجف ١٩٦٠

٢٦ـ القرآن الكريم

٢٧ـ القرطين في مشكل القرآن وغريبه ـ ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ٢٧٦ هـ القاهرة ١٣٥٦ هـ

٢٨ـ الكتاب ـ سيبويه • مطبعة بولاق

٢٩ـ الكشاف ـ الزمخشري ، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ • القاهرة • مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ ـ ١٣٧١

٣٠ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ، تحقيق محمد شرف‌الدين، ورفعت بيلكا • مصر ١٩٤١

٣١ـ لسان العرب ـ ابن منظور ، أبو الفضل جمال‌الدين محمد بن مكرم ـ ٧١١ هـ بولاق • المطبعة الاميرية ١٣٠٠ هـ

٣٢ـ مجاز القرآن ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ٢١٠ هـ تحقيق محمد فؤاد سزكين • مصر محمد أمين الخانجي ١٣٧٤ هـ

٣٣ـ مجمع البيان ـ الطبرسي ، تحقيق أبو علي الفضل بن الحسن • طهران ١٣٧٩ هـ

٣٤ـ مذاهب التفسير الاسلامي ـ جولد تسهير ، ترجمة عبدالحليم النجار ، مكتبة الخانجي ، مكتبة المثنى ١٩٥٥

٣٥ـ المزهر في علوم اللغة العربية ـ السيوطي ، عبدالرحمن جلال‌الدين ، ٩١١ هـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين • مصر ، دار إحياء

الكتب العربية ١٩٥٨

٣٦ـ مسائل نافع بن الازرق • دمشق المكتبة الظاهرية برقم ٢٨٤٩ (١١٣) مجاميع

٣٧ـ معاني القرآن ـ الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ٢٠٧ هـ تحقيق أحمد نجاتي ، ومحمد علي النجار • القاهرة • دار الكتب المصرية ١٩٥٥

٣٨ـ معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، زكريا ٣٩٥ هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ

٣٩ـ مقدمتان في علوم القرآن ـ مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية ،نشر آرثر جفري • مكتبة الخانجي ١٩٥٤ مطبعة السنة المحمدية

٤٠ـ نكت الهميان ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ٧٦٤ هـ المطبعة الجمالية • القاهرة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م



versos de este cuarteto. Debe leerse así: "Tunmulto de pequeños colegiales que,/al salir ..." Hay que hacer esa pausa obligada después del "que" por el hipérbaton violento que supone la anteposición de la oración subordinada temporal:

"al salir (cuando salen) en desorden de la escuela."

> "llenan el aire de la plaza en sombra
> con la algazara de sus voces nuevas"

un atardecer tranquilo, suave, con el aire en calma lleno por la algazara, por el ruido de la alegría de sus voces nuevas, juveniles. Y el poeta pone punto final con un recuerdo a los niños:

> "Alegría infantil en los rincones
> de las ciudades muertas!..."

un endecasílabo y un heptasílabo encabalgados; una construcción nominal. Y la nota melancólica, de recuerdo a la niñez, con la nostalgia de lo que ya pasó:

> "¡Y algo nuestro de ayer, que todavía
> vemos vagar por estas calles viejas!"

También un verso suave con encabalgamiento perfecto, completo. En el verso 75, hay que hacer la pausa después de *ayer;* con esto, se obtiene un paralelismo con el verso 74, con el heptasílabo, ya que aun cuando la frase "Y algo nuestro de ayer" la contamos dentro del total del verso como un exasílabo, al querer hacer un ritmo interno con el heptasílabo anterior, como la palabra *ayer* es aguda, tenemos que contar una sílaba más, y así tenemos dos heptasílabos juntos.

Bibliografía

1. Manuel y Antonio Machado: Obras Completas. Madrid. Editorial Plenitud.
2. Historia de la Literatura Española, por M. Romera-Navarro, págs. 626-628.
3. Historia de la Literatura Española, por Valbuena Prat, en 3 tomos, Madrid.
4. Antonio Machado, por J.B. Trend, Dolphin Book Co., Oxford, 1953, pág. 36
5. V. Dámaso Alonso, Ensayos sobre poesía española, Madrid.

y es que tomar con alguien vino en una taberna es saber de sus desgracias, de sus amarguras, y para esta gente el mundo se reduce a ellos solos.

"Mala gente que camina
y va apestando la tierra...

Esta gente, los egoístas, los explotadores, van apestando la tierra, la van llenando de podredumbre; como su alma está llena de miseria espiritual, esta miseria trasciende al cuerpo y lo infecta todo, lo apesta todo por donde ellos pasan.
Versos 51-66:- Por contraposición, también ha visto en todas partes, mezclados con esos "pedantones al paño", la gente sencilla, que no tiene prisa por nada, que va caminando casi sin dejar rastro de su paso, hasta que mueren, como se dice en España, "sin pena ni gloria": mueren sin que nadie se entere.

SERIE III:-

Vuelve a cambiar el estilo del poeta y la métrica: emplea de nuevo el endecasílabo.

Para cerrar el poema nos va a dar otra pincelada de la estación en que se desarrolla: el otoño

"La plaza y los naranjos encendidos
con sus frutas redondas y risueñas"

Es la hora del atardecer, casi de noche: la plaza está encendida, con esos mortecinos faroles de gas. Los naranjos también están encendidos, llenos, cargados de fruta; esta fruta es redonda, con la piel tersa, joven, por eso dice el poeta que son "frutas risueñas".

Vemos en estos dos versos un encabalgamiento suave, normal, que nos da idea de serenidad, de tranquilidad en la ciudad.

"Tumulto de pequeños colegiales
que, al salir en desorden de la escuela,
llenan el aire de la plaza en sombra
con la algazara de sus voces nuevas".

Es esa hora de invierno en que a las seis de la tarde ya es casi de noche. Los colegiales salen en desorden, armando jaleo; y para que el verso acompañe este tumulto, Machado, nos forma un cabalgamiento abrupto entre el primer y segundo

"En la tristeza del hogar golpea
el tictac del reloj. Todos callamos.

SÉRIE II

En esta série, como dijimos al principio, maneja el poeta el metro popular corto, el octosílabo.

Al mismo tiempo, advertimos que esta narración es muy sencilla: no emplea metáforas, no construcciones complicadas en los versos. Todos estos poemas son muy fluídos.

Esta série tiene dos partes muy distintas una de la otra: Vemos, que del verso 37 al 40, es como una especie de introducción; luego, en el verso 41 empieza a describir el aspecto triste y nauseabundo de la vida. En el verso 51, empieza la descripción de la gente buena, sencilla, y con ella acaba su narración el hermano. Además, para que nos demos también cuenta de la contraposición, estas dos partes, empiezan casi con el mismo verso: "En todas partes he visto" (verso 41); "Y en todas partes he visto" (verso 51).

La rima es variada. Esporádicamente la emplea cuando lo requiere la musicalidad del romance del "viajero". Se puede decir que somete la rima al ritmo de la canción. Esto produce una gran contraste con la série anterior: en ésta, endecasílabos, y con una rima fija en ellos; aquí, octosílabos, y con una rima variable, solo con ritmo.

Versos 37-40: - El viajero nos cuenta que ha viajado muchísimo:

"He andado muchos caminos,
he abierto muchas veredas;

ha caminado por sitios donde la civilización ya había pasado. pero también ha sido el primero en pasar por sitios inhóspitos, abriendo él, con su paso las veredas.

"y atracado en cien riberas"

verso que nos indica un refuerzo del sentido del primero: navega en muchos mares y desembarca en muchas orillas, tantas como los mares por los que ha navegado.

Versos 41-50: - Descripción de la gente perversa, egoísta, que explota a los negros cargados de tristeza y de melancolía; gente que no se trata con nadie (miran, callan y piensan), que no son capaces de tomar esa copa de amistad con el prójimo en una taberna (que saben, porque no beben/el vino de las tabernas);

Ahora, en el verso 25, el poeta cambia la estructura de esta série primera de endecasílabos: Hasta ahora han sido meras hipótesis, preguntas que se hacía sobre lo que estaría pensando el viajero. De aquí en adelante, afirma rotundamente porque es lógico que el hermano, ya casi viejo, haya visto todas esas cosas; es seguro que las ha visto en su continuo peregrinar:

> "El ha visto las hojas otoñales,
> amarillas, rodar to, las olorosas
> ramas del eucalipto, los rosales
> que enseñan otra vez sus blancas rosas...

Un cuarteto lleno de encabalgamientos: El infinitivo concertado "rodar," está separado de su verbo principal; entre los dos verbos ha colocado el complemento directo acompañado nada menos que de dos adjetivos: "otoñales,/amarillas". Entre el segundo y tercer versos del cuarteto hay también encabalgamiento nominal por la anteposición del adjetivo "olorosas." Entre el tercero y cuarto versos hay también un encabalgamiento porque la oración de relativo del cuarto verso va dependiendo de "los rosales."

Además, en la oración: "El ha visto las hojas otoñales,/ amarillas, rodar......", vemos una construcción sintáctica muy latina, que en el castellano actual no se usa, ya que siempre unimos el infinitivo concertado al verbo principal.

En estos cuatro endecasílabos está resumida toda la idea de la dinámica del tiempo: El otoño, con las hojas otoñales, que se caen del árbol ya muertas, amarillas, y ruedan con el viento; el invierno, con las olorosas ramas del eucalipto, árbol de hojas perennes, siempre cubierto de hojas; la primavera, con los rosales; y el principio del verano con el nacer de las blancas rosas.

En los versos 29 al 32, el poeta sigue afirmando lo que ve en el rostro del hermano: el dolor del tiempo pasado le hace saltar una lágrima, que al reprimirla por hombría, hace que nazca en su semblante un gesto contrario al natural; gesto que el autor dice de hipocresía, pero calificada de viril, con este adjetivo antepuesto para que la palabra pierda su valor peyorativo.

En los cuatro endecasílabos siguientes (versos 33 al 36) cierra la descripción del hogar y deja el ambiente propicio de silencio y de recogimiento para oír el relato del viajero:

"el rostro del hermano se ilumina/suavemente..."
ahora el poeta quiere leer en el alma del viajero; nos va a relatar lo que quizá piense, en lo que debe pensar una persona que se fué a hacer fortuna y vuleve cansado a su casa. Ha enfocado su rostro para hacerlo centro de nuestra atención.

"...¿Floridos desengaños

dorados por la tarde que declina?

otra vez el paralelismo: los desengaños que quizá tuvo fueron propios de la juventud, edad florida, y ahora los recuerda en esta tarde con sol dorado del otoño, cuando su vida también declina.

En el verso 16, nos encontramos con un endecasílabo muy enfático:

* * * * *

"¿Ansias de vida nueva en nuevos años?"
Tiene cinco acentos. Empieza con un acento en la primera sílaba (acentuación propia del endecasílabo enfático), y luego sigue la acentuación en 4a, 6a, 8a, y 10a. Además con la anteposición del adjectivo "NUEVOS" (en "nuevos años"), recalca la contraposición y el énfasis de "vida nueva en nuevos años."

"¿Lamentará la juventud perdida?
Lejos quedó -la pobre loba- muerta.

Hace tiempo que perdió la juventud. La loba que roe las entrañas inquietas del joven aventurero ya no existe, ha muerto, y el poeta teme (versos 19 y 20) que la juventud blanca, cristalina, de la que él nunca ha disfrutado venga a recordarle que aquellos tiempos ya han pasado, que no volverá nunca a disfrutar de ellos, que perdió lo mejor de su vida.

"¿Sonríe al sol de oro,
de la tierra de un sueño no encontrada;"

Tal vez piense el viajero en esta tarde dorada por el sol otoñal, sonriendo al pensar en aquellas tierras en las que soñaba y no encontró nunca

y ve su nave hender el mar sonoro,

de viento y luz la blanca vela hinchada?

Su viaje con el corazón joven, palpitando por la emoción de lo desconocido; el mar sonoro, también le acompaña inquieto con el fondo musical de sus olas. Era un claro día lleno de luz, de blancura, como sus años juveniles. Son dos endecasílabos dinámicos, llenos de movimiento.

"Esta en la casa familiar, sombría"

es una pincelada rápida para no desviarnos la atención del motivo principal: del hermano viajero, del que empieza enseguida a hablar:

"y entre nosotros, el querido hermano"

Luego, nos dice el tiempo que hace que partió; nos lo dice sin exactitud, con el recuerdo velado por el sueño infantil de un día. Día que tiene que ser claro, con el sol blanco, como son los días que recordamos de nuestra niñez:

"que en el sueño infantil de un claro día
vimos partir hacia un país lejano"

En estos dos versos notamos una pausa hiperbática después de día; el hipérbaton requiere siempre pausa. El poeta ha anticipado el complemento circunstancial al verbo: "en el sueño infantil de un claro día", que ocupa todo un verso, con la intención de poner de relieve la lejanía del tiempo: no hace un año o dos que se fué, hace muchos más; él no lo recuerda bien porque era un niño.

¿Cómo es el hermano? Nos hace la descripción como de un hombre de cuarenta años aproximadamente: las sienes ya las tiene plateadas, su frente es estrecha, debe conservar todavía abundante pelo (versos 5-6).

Hay un énfasis especial en todo este cuarteto motivado por la anteposición de los adjetivos a los sustantivos. Esta anteposición da un valor especial que hace que los adjetivos queden más resaltados, y la frase con una mayor expresividad.

Los versos 7-8 nos dan la idea de un hombre que ha tenido que trabajar mucho, unos ojos de aventurero. inquisidores, ojos que rastrean la fortuna. Ahora, sentado en la sala, su mirada queda vaga, distraída: piensa en algo.

Los versos 9-al 12, son un paréntesis. Descripción de la tarde en que se desarrolla la acción. Tarde otoñal. Hay un claro paralelismo entre la estación del año en que ha regresado el hermano y la edad madura de este.

El poeta deja el curarteto concluido en las descripciones, y para llevarnos dentro del alma del hermano, hace la transposición a este cuarteto del complemento circunstancial de lugar al cual va enlazado el cuarteto siguiente.

Versos 13-16.- Efecto cinematográfico, de tramoya:

COMENTARIO DEL POEMA "EL VIAJERO" DE ANTONIO MACHADO[+]

Por Dr. John Abdul-Ahed Behnam

INTRODUCCION:

El poeta nos habla, en sentido figurado del regreso de un hermano suyo que siendo muy joven partió de su ciudad para hacer fortuna.

La acción la sitúa en un viejo caseron de alguna "ciudad muerta" de Castilla, de alguna ciudad de invierno triste y melancólico. La casa familiar también es triste, fría.

El tiempo es el otoño o el invierno.

En todo el poema se ve un paralelismo entre las edades, la juvenil o la otoñal del hermano, y las estaciones del año, la naturaleza o los colores que entran en juego -colores blancos, llenos de luz, para la juventud; dorados, como el sol que declina, para la edad madura. En todo el poema se respira la calma de esta edad madura y la tranquilidad invernal de esas viejas ciudades del interior.

ARQUITECTURA DEL POEMA:

Consta de tres séries de versos. Las séries I y III constitudias por endecasílabos muy sonoros, cadenciosos, con acentuaciones, generalmente en los versos pares. Son endecasílabos yámbicos. Emplea este verso endecasílabo para el relato descriptivo del poeta.

En la série II, que es cuando el viajero canta sus aventuras lejos del hogar, cambia la estructura del poema: utiliza el metro corto, el octosílabo, propio del refrán o del canto popular, de construcción más espontánea, más sencilla, más propia para el relato de aventuras.

SERIE I.

En el primer cuarteto se nos introduce rápidamente en el ambiente de la casa solariega. Este ambiente sólo requiere un verso:

[+] Véase Manuel y Antonio Machado : Obras Completas. Madrid, Editorial Plenitud. (Soledades 1899-1903 -El Viajero págs. 650__653).

Beziehungen zwischen Pflanzengeographie und Siedlungsgeschichte Geogr. Ztschr. 12, 1906.
Das mitteleuropäische Landschaftsbild nach seiner geschichtlichen Entwicklung. Geogr. Ztschr. 7. 1901.

4. Laatsch, W.: Dynamik d. deutschen Acker-und Waldböden. Leipzig, 1944.

5. Müller, H.: Zur Spät-und nacheiszeitlichen Vegetationsgeschichte des mitteldeutschen Trockengebietes. Nova Acta Leopoldina, N.F. 110, Bd 10, 1953.

6. Nietsch, H.:
Zur Waldsiedlungsfrage. Ztschr. f. Erdk. 1940.

7. Schlüter, O.:
Die Siedlungsräume Mitteleuropas in frühgeschichtlicher Zeit. Forsch. dt. Landeskde. 63, 1952 U. 110, 1958.

8. Schott, C.:
Urlandschaft und Rodung. Ztschr. d. Ges. f. Erdk. 1935.
Die vorgeschichtliche Kulturlandschaft. Ztschr. f. Erdk. 7, 1939.

9. Schwarz, Kl.:
Lagen der Siedlungen der linearbandkeramischen Kultur Mitteldeutschlands in waldfreien oder bewaldeten Landschaften? Strena praehistorica. Festschrift Martin Jahr 1963.

10. Tüxen, R.:
Die Grundlagen der Urlandschaftsforschung.
Nachr. aus Niedersachsens Urgesch. 5, 1931.

11. Wilhelmy, H.:
Das Alter der Schwarzerde und der Steppen Mittel-und Osteuropas. Erdk. 4, 1950.

V. Die Zusammenfassung.

Faßt man die zahlreichen Untersuchungen zu dem hier dargestellten Fragenkomplex zusammen, so schält sich folgendes Ergebnis heraus: Mit Hilfe pollenanalytischer Untersuchungen konnten für die ostmitteleuropäische Urlandschaft, d.h. die Landschaften, die die ersten neolithischen Siedler bei ihrer Seßhaftwerdung vorfanden, k e i n e waldfreien Gebiete (mit Ausnahme vielleicht von Kujavien) nachgewiesen werden. Das liegt aber nur daran, daß die Methode der Pollenanalyse, auch wenn es waldfreie Gebiete gegeben hätte, diese gar nicht nachweisen könnte. Die Untersuchungen der Bodenkundler und Prähistoriker dagegen haben wohl überzeugend erwiesen, daß die Areale, in denen man noch heute Schwarzerden oder degradierte Schwarzerden vorfindet, waldfreie Gebiete in der Urlandschaft dargestellt haben. Es sind dies: das untere Elbe- und mittlere Saale- gebiet, Gebiete Nordwest – Böhmens und Inner – Mährens, Kujavien (an der Warthe) und der Kyritzer Weizacker (Pommern).

Literatur zum Thema:

1. Firbas, F.

   Spät - und nacheiszeitliche Waldgeschichte Mitteleuropas nördlich der Alpen Bd. I.u. II Jena 1949/52.
   Vegetationsentwicklung und Klimawandel in der mitteleuropäischen Spät-und Nacheiszeit. Die Naturwiss. 27, 1939.

2. Gams, H.:

   Wald, Steppe und Besiedlung zum Streit über die Bedeutung der Steppenheide. Mitt. d. Geogr. Ges. München 31, 1938.

   Die Ergebnisse der pollenanalytischen Forschung in Bezug auf die Geschichte der Vegetation und des Klimas von Europa. Ztschr. f. Gletscherkunde 15, 1926/27

3. Gradmann, R.:

   Die Steppenheidetheorie. Geogr. Ztschr. 39, 1933.
   Wald und Siedlung im vorgeschichtlichen Mitteleuropa. Pet. Mitt. 1940.

   Mein Beitrag zur Urlandschaftsforschung. Ztschr. f. Erdk. 7, 1934.

Das soll keine Rückkehr zur alten These sein, von der "absoluten" Waldfeindlichkeit des Löβes- unter den heutigen klimatischen Verhältnissen und unter denen des subboreal und subatlantikum kann man den Löβ sicherlich nicht als waldfeindlich bezeichnen.

Es scheint, daβ im mitteldeutschen Löβgebiet eine zweimalige Steppenbildung erfolgt ist: eine erste in der (von Poser) erkannten, spätglazialen Dünenzeit, die sich an die ältere Tundrenzeit anschlieβt und mit der Allerödschwankung endet. Die Bildung der Binnendünen und der Absatz des jüngsten Löβes setzen ein verhältnismäβig trockenes, sommerwarmes, kontinentales Klima voraus. Die Tundrenvegetation der älteren Dryagzeit wurde durch eine Steppenvegetation abgelöst. Für diese Deutung spricht das von Firbas erkannte Anschwellen der Artemisiapollen im Abschnit vor Beginn der Allerödschwankung. Der Klimawechsel, der Baumgewächse in der Allerödphase weit nach N. vordringen lieβ und der die Periode der spätglazialen Löβbildung beendete, hat aus edaphischen Gründen im mitteldeutschen Trockengebiet nicht zur Bewaldung geführt. Die Löβgebiete um Halle-Magdeburg behielten auch während der Allerödzeit ihren steppenhaften Charakter bei. Der Klimarückschlag, der Allerödphase folgte, führte wahrscheinlich nicht zu einer neuerlichen Ausbreitung der Tundra – die Bezeichnung "jüngere Tundrenzeit" ist daher wenig glücklich –, sondern zu einer Wiederkehr eines ähnlich trocken – warmen Klimas, wie es in der spätglazialen Dünenzeit geherrscht hat. Vegetationsgeschichtlich bedeutet dies den endgultigen Sieg der Steppe in Mitteldeutschland. Von den allerödzeitlichen Reliktgebieten breitet sich nun die Steppenflora weiter aus. Jedenfalls beweist das zweite Pollenmaximum von Artimisia in der "jüngeren Tundrenzeit", daβ dieser Abschnitt keine Tundren –, sondern eine Steppenzeit gewesen ist. Diese Auffassung deckt sich mit der (von Firbas 1949) ausgesprochenen Ansicht, daβ wir in jenen Trockengebieten, die heute unter 500 mm Niederschlag erhalten, d.h. in Teilen des ostdeutschen und polnischen Flachlandes, im thüringischen und sächsischen Regenschattengebiet des Harzes und in den trockensten Teilen Innerböhmens und Südmährens bis ins Präboreal mit ausgedehnteren Steppengebieten rechnen dürfen, während T. Leipold 1934 und W. Radig 1937 haben das mittelsächsische Löβgebiet auf ihren Karten als eine uralte waldfreie Lanschaft dargestellt.

Bezirken Südmährens und Innerböhmens rechnen dürfen. Nachgewiesen sind aber solche ausgedehnteren waldarmen oder waldfreien Gebiete-vielleicht mit Ausnahme Kujawiens bisher noch nicht. Firbas meint, daß die Existens der neolithischen Steppe in Mitteldeutschland pollenanalytisch bisher noch nicht bewiesen ist. Darin hat er zweifellos recht. Da vor dem Neolithikum, im mittleren und späten Mesolithikum, mit anderen Worten im älteren Atlantikum vor allem aber im Boreal das Klima trockener und wahrscheinlich auch wärmer war als zur Zeit der Bandkeramiker, dürfte nichts gegen die Schlußfolgerung einzuwenden sein, daß die mitteldeutsche Steppe mindestens seit dem Postglazialen Wärmemaximum vorhanden war. Gestützt wird diese Auffassung durch die (von Firbas 1948) gerade für die vorneolithische Zeit nachgewiesen starke Verbreitung der Artemisia selbst in solchen Gebieten Deutschlands, die später von einer dichten Walddecke überzogen wurden.

In der frühen Wärmezeit, im Boreal, fand die Steppe als Pflanzenformation ihre optimalen Bildungsbedingungen. Wir müssen annehmen, daß die ostmitteleuropäischen Trockengebiete damals noch ausgedehnter waren als heute. Wahrscheinlich hat sich auch das zweitgrößte Trockengebiet im östlichen Mitteleuropa das brandenburgisch-pommersche an der unteren Oder (Pyritzer Weizacker), das ca. 3370 qkm umfaßt, noch ein Stück weiter nach Westen hin erstreckt und im Osten Verbindung mit den beträchtlich größeren Trockengebieten Polens gehabt. Erst mit der Litorinatransgression und der dadurch bewirkten Ablösung den kontinentalen, ariden Steppenklimas durch ein niederschlagsreiches, ozeanisches Klima begann der Vorstoß des Waldes vom Rand gegen das Innere der Steppengebiete und damit die Degradierung des Tschernosioms in den sich erweiternden Waldsteppengebieten. Aber was war vor der postglazialen Wärmezeit?

Reicht die Steppe zeitlich noch weiter zurück?

Daß in der Allerödzeit der allgemeine Waldvorstoß auch die mitteldeutschen Lößgebiete erfaßt hat, ist nicht zu beweisen. Wilhelmy nimmt jedoch an, daß im mitteldeutschen Lößgebiet die Steppenpflanzen aus rein edaphischen Gründen unter den Klimabedingungen der Allerödzeit bessere Existenzmöglichkeiten hatten als etwa Kiefer – oder Birken-Kiefernwälder.

Ein mindestens neolithisches Alter kann nach dem besagten für die Steppen Mittle-und Osteuropas nicht zweifelhaft sein. Inmitten der dichten Eichenmischwälder, die im Neolithikum nahezu ganz Mitteleuropa bedeckten, muß sich im thüringisch-sächsischen Trockengebiet ein kleiner Steppenrest erhalten haben. Dieses Trockengebiet an der mittleren Elbe und unteren saale, das weniger als 500 mm jährlichen Niederschlag empfangen und sich deutlich als ein Regenschattengebiet des Harzes erweist, ist mit 3845 qkm das größte Trockengebiet Deutschlands. Es muß gegen Ende des Atlantikums und in der ersten Hälfte des Subboreals, d.h. während der ganzen Dauer des Neolithikums – eine andere Deutung läßt die Genese Tschernosioms nicht zu – schon genau so vorhanden gewesen sein wie heutigentags. Im Neolithikum waren die ostmitteleuropäischen Grasländer bereits vorhanden, aber kommen wir in der Altersbestimmung noch weiter zurück ? Ist die Steppe ein eiszeitliches Relikt? oder wenn dies nicht der Fall sein sollte: in welchem Abschnitt des Postglazials trat an die Stelle der arktischen und subarktischen Tundra Wald bzw. Steppe?

Poser nimmt an, daß zur Allerödzeit (rd. 9800 v. Chr.), die eine merkliche Erwärmung brachte, die Bildung der Binnendünen beendet wurde. Für das östliche Mitteleuropa ist um diese Zeit das Vordringen der Kiefer (für den westlichen Teil der Vorstoß der Birke) und in beiden Gebieten das Auftreten von Waldtieren nachweisbar. Daß während der Allerödschwankung aber auch jene Räume Ostmitteleuropas vom Wald erobert wurden, die sich uns heute als die Verbreitungsgebiete der Schwarzerde darstellen, ist äußerst unwahrscheinlich, wenn auch zahlreiche Pollenanalysen den allgemeinen Waldvorstoß seit Beginn der Vorwärmezeit (Präboreal) erkennen lassen, so gibt es doch kein einziges Diagramm, das für die thüringisch-sächsischen Schwarzerdegebiete den schlüssigen Beweis einer ehemaligen allgemeinen Waldbedeckung erbringt. Firbas, der Kenner der Waldgeschichte Mitteleuropas, betont dies ausdrücklich und hält, wie schon einmal erwähnt, ein überdauern eiszeitlicher Steppenreste für durchaus möglich. In Landschaften, die heute weniger als 500 mm Niederschlag erhalten, könnte zu Beginn der neolithischen Besiedlung eine gehölzarme, wiesensteppenähnliche Vegetation auch auf tiefgründigen, ebenen Böden, etwa auf Löß oder Geschiebemergel bestanden haben. Man wird mit ihrem Vorhandensein vorläufig besonders in den trockensten Teilen des Flachlandes, so im Elb-Saalegebiet mit der Magdeburger Börde, weiter in kleinen

dierung hinaus ein echtes Waldbodenprofil mit eingeschaltetem Auswaschungshorizont verursacht haben. Ein solcher Waldboden wäre vermutlich überhaupt nicht mehr als ehemaliger Tschernosiom erkennbar.

Wilhelmy sagt: Ich kann mich überhaupt des Eindrucks nicht erwehren, daß in der Diskussion um die Steppenheidetheorie Meinungsgegensätze konstruiert worden sind, die nur auf verschiedenartigen Vorstellungen der einzelnen Autoren von der Vegetationsform "Steppenheide" beruhen und daß im Grunde genommen Gradmann und viele seine Gegner genau das gleiche meinen.

Gradmann hat niemals von einer neolithischen Steppensiedlung gesprochen, sondern in dem Begriff der Steppenheide auch die Waldsteppe einbezogen, d.h. einen Wald, der stellenweise von natürlichen Lichtungen unterbrochen wird, mit anderen Worten: Eine parkartige Landschaft... Jeder Pflanzenwuchs, der sich in dem weiten Spielraum zwischen geschlossenem Urwald und echter Steppe bewegt, genügt den Bedingungen. Die Steppenheide mit ihrem südlich-binnenländlichen Leitpflanzen ist eine urwüchsige Pflanzengesellschaft, die zwischen Wald und Steppe steht.

Gradmann sagt ganz klar: Namentlich die breiten Grenzgürtel zwischen Steppe und wald mit ihren Schwarzerde-Böden und ihrem parkartigen Pflanzenwuchs waren bevorzugte Siedlungsräume, und erst zuletzt drangen die Siedlungen ins Innere der großen Waldgebiete vor. An der Richtigkeit dieser Auffassung ist nicht zu zweifeln, wie Wilhelmy meint. Die Gegensätzlichkeit der Meinungen beruht eben nur darauf, daß die einen die Waldsteppe vorwiegend unter der Perspektive der offenen Landschaft, der Steppe, sehen, die anderen bereits in ihr eine Form des Waldes erblicken.

Eines bleibt freilich festzuhalten: die eigentliche Grassteppe ist in ihrer Siedlungsgunst von Gradmann überschätzt worden, der geschlossene Wald in seiner Bedeutung als neolithischer Ausbreitungsraum unterschätzt worden. Wahle, Tüxen, Nietsch Gross, Schoot u.a. konnten in zahlreichen Arbeiten nachweisen, daß der prähistorische Mensch durchaus in der Lage war, sein Kulturland durch Axt- und Brandrodung zu erweitern, während die freie Steppe, wie sich inzwischen aus den vorgeschichtlichen Untersuchungen ergab, tatsächlich unbesiedelt blieb. Ausgangspunkt der Siedlungsbewegungen war die lichte Waldsteppe.

Höhepunktes der glazialen Wärmezeit, als die noch weiter als heute nach NW vorgeschobene Nordseeküste die Binnenlage Mitteldeutschlands verstärkte.

Firbas 1939 meint unter Berücksichtigung der pollenanalytischen Untersuchungsergebnisse im Hinblick auf das frühere Vorhandensein von Steppen in den mitteldeutschen Schwarzerdegebieten, daß entweder an ein Überdauern eiszeitlicher Steppenreste oder eine neuerliche wärmezeitliche Zurückdrängung der Wälder gedacht werden könnte. Schließlich sei auf einen Datierungsversuch O. Schlüters 1929 verwiesen. Er stellte eine gute Übereinstimmung des Schwarzerdeareals mit den waldfreien Flächen frühgeschichtlicher Zeit fest, äußert jedoch in Anbetracht des seit der frühen Eisenzeit herrschenden Klimas gegen eine zu frühe Datierung Bedenken und hält die Entstehung des Tschernosioms unter Mitwirkung der dauernden Besiedlnng und Benutzung im Anschluß an die neolitisch-bronzezeitliche Trockenperiode für möglich. Keine der geäußerten Ansichten war bisher mit Sicherheit bewiesen.
Erst Schawrz gelang eine exakte Altersbestimmung des mitteldeutschen Tschernosioms. 1948 wurden am Südhang des Lieseckenberges im Kreise Quedlinburg stichbandkeramische Siedlungsgruben freigelegt, die die Schwarzerdeschicht durchstoßen und mit ihrem Unterteil in den hellfarbigen Lößuntergrund hinabreichen. Die Füllmasse dieser Siedlungsgruben enthält Schwarzerde aus der überlagernden Schwarzerdeschicht.
Schmalfuß hat das Profil bodenkundlich untersucht und gab folgendes Gutachten ab: ,, .., Die gleichmäßig sehr hohen Humusgehalte in den tieferen Schichten des Profils der Fundstelle sind offenbar nur so zu deuten, daß ein ursprünglich vorhandener Boden mit hohem Humusgehalt (Schwarzerde) in die Grube eingeschüttet wurde und dort, infolge des hohen Kalkgehaltes und der verhinderten Auswaschung in der besonderen klimatischen Lage, seitdem ohne Veränderung erhalten geblieben ist. Damit ist das mindeste neolithische Alter der mitteldeutschen Schwarzerde folglich auch das der mitteldeutschen Steppe bewiesen. (Neolithikum rund 3000-1800 v. Chr.).

Diese offenen Steppengebiete wurden von den Trägern der bandkeramischen Kultur gemieden. Sie siedelten am Rande des offenen Graslandes, wo der echte Tschernosiom in den degradierten Tschernosiom übergeht. In dieser Zone existierte, wie aus der Degradierung ersichtlich ist, ein lichter Waldbestand, eine Waldsteppe. Völlig geschlossener Wald würde über Degra-

In der nacheiszeitlichen Periode hat Mittel- und Osteuropa eine Klimaänderung von trockeneren zu feuchteren Verhältnissen durchgemacht. Als Folge dieses Wandels drang der Wald ein Stück in die Schwarzerdesteppe vor und wandelte die eroberten schwarzen Böden in graubraune Waldböden um. Dabei will Wilhelmy keineswegs leugnen, daß der Grad der Bewaldung schon einmal stärker gewesen ist als in der Gegenwart und daß größere Waldareale bereits wieder gerodet worden sind. Dieser Deutung des bodenkundlichen Befundes pflichten führende Botaniker, wie Gams und Firbas bei. Schließlich noch letzter Beweis für den ursprünglichen Steppencharakter des Steppengebietes: Unter den heute von Waldinseln besetzten Flächen degradierten Tschernosioms treten fossile Gänge von Bodenwühlern auf, also von Tieren, die ehemals in der Steppe, aber niemals in einem früher geschlossenen Waldland gelebt haben können.

Als nächster Schritt muß versucht werden, das Alter der Schwarzerde zu bestimmen, denn damit ist uns gleichzeitig eine Altersbestimmung der Steppe selbst gegeben.

Für den mitteldeutschen Bereich hat Schwarz 1948 eine wichtige Untersuchung über die Lagebeziehung der Bandkeramiker-Siedlungen zu den Schwarzerdegebieten vorgelegt. Sie kommt zu folgender Auffassung: Alle linearbandkeramischen Fundplätze liegen an den Rändern der Schwarzerdeflächen des Thüringer Beckens. Auf den Schwarzerdeflächen selbst konnten keine oder nur ganz vereinzelte Siedlungsreste festgestellt werden. Meist erstrecken sich die Funde auf degradierte Steppenböden oder Gesteinsböden des Muschelkalks und des Keupers. Die Bereiche der degradierten Schwarzerden und die Ränder der eigentlichen Schwarzerde sind dicht besetzt, während die weiten, ebenen Flächen des letzteren Bodentyps frei blieben. Übrigens hat Schwarz ganz die gleichen Verhältnisse im mittelschlesischen Tschernosiomgebiet beobachtet. Es erhebt sich nun die Frage, warum das Schwarzerdegebiet von den Siedlern der linearbandkeramischen Kultur gemieden worden ist, ob es sich dort um bereits im Neolithischen vorhandenen Steppengebiet handelt und ob die Schwarzerde selbst neolithischen oder gar vorneolithischen Alters ist. H. Stremme 1936 geht nicht näher auf Datierungsfragen ein, betont jedoch das hohe Alter der Schwarzerde und ihre Bindung an alte ursprüngliche Grassteppen. W. Laatsch 1938 sieht, wie bereits ausgeführt, die besten Möglichkeiten für die Entstehung der Schwarzerde in einem kontinental bestimmten Klima des

2. Die ursprüngiche Vegetationsform in derartigen Klimaten ist die Steppe. Die Schwarzerde ist der Klimasboden der Steppe. Ohne Steppenvegetation keine Schwarzerde.

3. Das Auftreten von Schwarzerde in Klimazonen, die keine optimalen Bedingungen für die Existenz einer Steppenvegetation bieten, weist darauf hin, daß die Schwarzerde ein Vorzeitboden ist, der unter den gegenwärtigen klimatischen Bedingungen allmählich degradiert. Das Richtige dieser Auffassung wird im Folgenden zu prüfen sein. Darüber hinaus soll gezeigt werden, daß die echte Schwarzerde in jedem Fall nur als ein Steppenboden erklärbar ist und nirgends aus ehemaligen Waldböden hervorgegangen sein kann. Mit Hilfe bodenkundlicher vorgeschichtlicher, paläoklimatologischer, paläobiologischer und geomorphologischer Argumente soll der Nachweis geführt werden, daß die mitteldeutschen Schwarzerdegebiete seit dem Ende des Spätglazials, die osteuropäischen seit der Warmeiszeit und zum Teil bereits seit der ausgehenden Rißvereisung waldfreie Graslandschaften sind, wenn die heutigen Waldsteppen- und Steppengebiete einstmals von Wäldern bedeckt gewesen wären, dann hätten diese Wälder auf Löß gestanden, wogegen nach Überwindung der Theorie von der absoluten Waldfeindlichkeit des Lößes grundsätzlich keine Einwendungen zu erheben sind. Es soll nur gezeigt werden, daß die gegen Ende der Rißvereisung entstandene subarktische Steppe sich in ihren Resten bis heute erhalten hat. Aus den Untersuchungen geht klar hervor, daß eine einmal erfolgte Verlehmung durch keinen späteren Bodenbildungsprozeß rückgängig zu machen ist. Echte Löß-Schwarzerden lassen aber niemals irgendein Verlehmungsanzeichen erkennen, können also nicht aus ehemaligen Waldböden hervorgegangen sein. Die modernen Erkenntnisse über Genese und Dynamik des Tschernosioms bestätigen jedenfalls die Auffassung, daß es sich bei der Steppe um ein naturgegebenes, ursprünglich klimatisch bedingtes Grasland handelt. Also die Schwarzerde kann nicht in einem ehemaligen Waldland, sondern muß auf der Steppe entstanden sein. Aus dieser ursprünglichen Lage, die durch das trocken – warme Klima der Borealzeit bestimmt wurde, hat sich dies allmählich immer gewandelt. Seit Beginn der kühleren subatlantischen Periode hat sich der Baumwuchs weiter in dem Bereich der ehemals offenen Steppe vorgeschoben und deren Areal ständig verkleinert. Es liegt kein Grund für die Annahme vor, daß dieser Prozeß inzwischen abgeschlossen ist (Ganz die gleiche Auffassung vertritt Laatsch).

ten oder leicht der Aufmerksamkeit entgehen, wie etwa Esche und Eibe, und je mehr wir auch mit einer vorhergehenden Auslese durch den Menschen rechnen müssen. Keit und Mothes fanden in den Trockentorfen der Kurischen Nehrung eine sehr gute Übereinstimmung in der Zusammensetzung des Pollen- und Holzkohlengehalts. Durch die Untersuchung von Groβresten lassen sich also unsere vegetationsgeschichtlichen Kenntnisse weit über das Maβ hinaus erweitern, das durch Pollenuntersuchungen möglich ist. Doch gestatten nur diese eine eingehende Gliederung der Vegetationsgeschichte und ermöglichen darüber hinaus noch in vielen Fällen eine zeitliche Zuordnung, wo andere Wege versagen. Immerhin dürfen wir nicht vergessen, daβ die groβen Abschnitte der nacheiszeitlichen Waldentwicklung von J. Steenstrug (1841) ausschlieβlich auf Grund von Groβresten der Bäume erkannt wurden, und daβ es solche Funde waren, die schon vorher in J. H. C. Dau(1829) den Gedanken an einen Wandel der Wälder im Laufe der Zeiten aufkommen lieβen.

B. *Bodenkundliche Untersuchungen*:

Wo die Pollenanalyse versagt, kann die Bodenkunde helfen, und besonders durch die bodenkundlichen Argumente, die hier in Verbindung mit vorgeschichtlichen Befunden beigebracht wurden. W. Laatsch hat sich 1938 gelegentlich seiner bodenkundlichen Untersuchungen in Mitteldeutschland eingehend mit den klimatischen Voraussetzungen der Schwarzerdebildung befaβt und die Niederschlags- und Temperaturverhältnisse im thüringisch-sächsischen Tschernosiomgebiet mit denen Ungarns verglichen. Er nimmt auf Grund des Vorhandenseins der Schwarzerde an, daβ das innerhalb der 500 mm Jahresniederschläge liegende Gebiet im Postglazial keinen Wald getragen habe, sondern Steppe gewesen sei, weil der Tschernosiom nur unter Steppenbedingungen und ohne vorhergehende Auswaschung der Basen entstanden sein könne. Danach muβ angenommen werden, daβ die Flächen seit dem Feuchterwerden des Klimas, vermutlich also, seit der Eisenzeit durch (direkten oder indirekten) menschlichen Einfluβ dauernd waldfrei gehalten worden sind.

Eine ausführliche Untersuchung stammt von Wilhelmy 1950, der folgendes festgestellt hat:

1. Die Schwarzerde bildet sich in ariden oder semiariden Klimaten, in denen eine längere winterliche und sommerliche Ruhepause den bakteriellen Abbau der organischen Substanzen verzögert.

IV. Pflanzliche Grossreste-und buden-kundliche Untersuchungen als Hilfsmittel zur Bestimmung waldfreier Gebiete in der Urlandschaft.

A. *Pflanzliche Großresteuntersuchungen*:

Als Ergänzung zu den anderen Untersuchungsmethoden, die wir bisher beschrieben haben, kann die Bestimmung größerer Pflanzenreste herangezogen werden. Dafür kommen in Frage: Hölzer und Rinden, Wurzeln und Blätter, Blüten, Samen und Früchte. Die Vorteile einer Untersuchung von Großresten beruhen darin, daß auf diese Weise auch jene Gattungen und Arten nachgewiesen werden können, deren Pollen nicht erfaßbar ist, weiter darin, daß vielfach eine Bestimmung von Arten möglich wird, wo die Pollenuntersuchung nur den Nachweis der Gattung gestattet, und schließlich darin, daß auf diesem Wege meist der tatsächliche Vorkommen der betreffenden Art in der näheren Umgebung der Untersuchungsstelle nachgewiesen werden kann, während Pollenkörner, besonders bei vereinzeltem Vorkommen, auch aus grösserer Entfernung stammen können. Außerdem kommt hinzu, daß sich gröbere Pflanzenreste, vor allem in verkohltem Zustand, auch unter Bedingungen erhalten, unter denen Pollen völlig vergeht. So finden sich besonders Holzkohlen, aber auch verkohlte Samen und Früchte reichlich in vorgeschichtlichen und frühgeschichtlichen Landsiedlungen. Nachteile hat eine Untersuchung von Großresten schon insofern, als diese in weit geringerer Zahl gefunden werden als pollenkörner und ihre sichere Bestimmung viel mehr Kenntnisse erfordert als Pollenuntersuchungen, zumal, wenn sich diese auf die Waldbaumpollen beschränken. Es ist daher begreiflich, aber auch bedauerlich, daß die Untersuchung von Großresten häufig in den Hintergrund getreten ist. Lassen sich nun diese Mängel beheben, so bleibt doch der Umstand übrig, daß die Großreste in erster Linie nur von der örtlichen Vegetation der Untersuchungsstelle stammen, was zwar für bestimmte stratigraphisch-paläosoziologische Ziele recht nützlich sein kann, aber Schlüsse auf die allgemeine Vegetationsverhältnisse sehr erschwert.

Seit langem werden auch statistische Untersuchungen von Holzfunden betrieben, besonders an den Holz-und Holzkohlenfunden aus vorgeschichtlichen Siedlungen. Es ist selbstverständlich, daß die auf diesem Weg gewonnenen Ergebnisse mit jenen der Pollenuntersuchungen nicht vollständig übereinstimmen können, und zwar um so weniger, je mehr bei den Holzuntersuchungen Arten erfaßt werden, deren Pollen sich nicht erhal-

der Meinung, daß dessen altes Verbreitungsgebiet sich mit den alten Siedlungsräumen decke. Tüxen bezweifelt die Bedeutung der Steppengesellschaften, die nach seiner Auffassung größtenteils zu der Bodenflora der lichten Eichenwälder gehören, die er für die meisten Gebiete voraussetzt. Er wendet sich gegen die Annahme von der Waldfeindlichkeit des Löß und weist auch hin, daß der Löß Mitteldeutschlands ein ausgezeichneter Eichenboden sei. Er wirft so auch die entscheidende Frage auf, ob die Steppenheide wirklich eine Reliktflora darstellt und betont, daß bisher nur die Tatsache feststeht, daß freie Siedlungsflächen Waldflächen gegenüberstanden, ohne daß damit schon bewiesen ist, daß die ersten Siedler diese Gebiete waldfrei antrafen. In seiner Arbeit über Schleswig zeigte Mager (1930), daß dieses Gebiet damals bewaldet war, und daß der Wald erst durch den Menschen vernichtet wurde. Auf den dadurch degenerierten Böden breiteten sich Heideformationen aus, die von vielen Forschern für urwüchsig gehalten wurden. Auf Grund seiner Ergebnisse wendet sich Mayer gegen die Auffassung, daß der prähistorische Mensch nicht gerodet habe. Gams wandte sich 1938 gegen die Auffassung von der baumfreien Steppe. Er sagte, daß in ganz Ostmitteleuropa auf Löß und Schwarzerde Baumwuchs möglich ist. Ohne die Vernichtung des Waldes durch die Menschen wären die ostmitteleuropäischen Schwarzerdegebiete sicher lichtes Waldland. Der Waldsteppencharakter einiger Landschaften wird dadurch hervorgerufen, daß Steppengesellschften weit ir die Waldgebiete hineinreichen. Das belegt er an Hand vo Beispielen aus Thüringen und aus den Karpathen.
Auch Schott glaubt nicht (1939) an das Vorhandensein steppenähnlicher Vegetationsformen. Wie Tüxen so bezeichnet auch er die Steppenheide als zur Bodenflora des Eichen – Kiefernwaldes gehörig, wobei er noch betont, daß sie topographisch-edaphisch bedingt sei.

In Bezug auf die Steppenheidetheorie Gradmanns sagt Firbas, daß die Altsiedelgebiete sicherlich dichter bewaldet waren, als Gradmann das angenommen hat. steppenheideähnliche Vegetationsformen seien aber zweifellos vorhanden gewesen, nur nicht in dem großen Umfang, wie Gradmann vermutete. Daraufhin änderte Gradmann 1936 seine Auffassung und entwarf einen Erklärungsversuch, in dem er auf die Bodengüte bestimmter, grade in den Steppenheidelandschaften Eichenmischwälder und ihre Vorzüge für die vorgeschichtliche Landwirtschaft hinwies.

eines Urwaldes nicht fähig gewesen sei, und daß daher die alten Siedlungsräume waldfrei oder waldarm gewesen sein müßten, und das war natürlich nur unter anderen klimatischen Verhältnissen möglich.

Die durch Pollenuntersuchungen gewonnenen Kenntnisse der nach eiszeitlichen Waldentwicklung führten aber nunmehr zu immer größeren Zweifeln an dem Grundgedanken der Gradmannschen Erklärung, nämlich der entscheidenden Bedeutung eines offenen Zustandes der Vegetation, im Gegensatz zu einer geschlossenen Urwalddecke, für die ursprüngliche Besiedlung. Vor allem Nietsch, Tüxen, Mager, C. Schoot u.a. betonten, daß Mitteleuropa zu Beginn des Neolithikums bereits ein weitgehend geschlossenes Waldland war, die Auseinandersetzung der neolithischen Siedler mit der verschiedenen Siedlungseignung der vorhandenen wälder bestanden haben muß. Dabei wird sowohl an die Waldvegetation selbst wie an die Waldtypen als Ausdruck einer bestimmten Bodengüte gedacht.

Nietsch versuchte als einer der ersten, das Bild des mitteleuropäischen Urwaldes zu rekonstruieren. Er kam auf Grund der vergleichenden Betrachtung verschiedener echter europäischer Urwaldgebiete, vor allem der Karpathen im Ostmitteleuropa zu der Erkenntnis, daß einzelne Waldformen eine verschiedene starke Siedlungsfeindlichkeit besessen haben müssen. Er wendet sich gegen die Auffassung von der Unwegsamkeit der Urwälder und weist vor allem auf die große Bedeutung der Eichen für die wirtschaft des prähistorischen Siedlers hin. Gerade Eichenwälder hält er daher für besonders siedlungsfreundlich und erwägt die Möglichkeit der Entwicklung einer Kultur, in einem echten Waldland, bedingt durch die besondere Ausbildung des Waldes und nicht nur durch des Waldes in einzelnen Gebieten. Er hält es für möglich, daß die von Gradmann nachgewiesenen Siedlungsräume mit Eichenmischwälder bedeckt waren, und äußert daher starke Zweifel an Gradmanns Theorie.

Tüxen wandte sich 1931 ebenfalls gegen die Auffassung Gradmanns. Auf Grund pflanzensoziologischer Untersuchungen vertrat er die Ansicht, daß der Eichenhainbuchenwald eine der verbreitetsten Waldformen Deutschlands war, und er kommt auch zu einer Einteilung, der Waldgesellschsften in siedlungsfeindliche und siedlungsfreundliche. Er rechnet daher den Eichen-Hainbuchenwald zu den Siedlungsfreundlichen und ist

ders die Lößböden, im norddeutschen Flachland vor allem die Laubholzböden der Jungmoränenlandschaften and der Ostseeküste besiedelt. An diese altbesiedelten Landschaften hielt sich die Beseidlung im wesentlichen bis ins Mittelalter und mied die zwischenliegenden, damals sicher noch von geschlossenen Urwäldern bedeckten Landschaften. Diese jungbesiedelten Waldgebiete wurden erst im Mittelalter, im wesentlichen zwischen dem 7. and 13. Jahrhundert, durch großzügige Rodungen erschlossen. Der Gegensatz zwischen altbesiedelten und jnngbesiedelten Landschaften ist zunächst in Südwestdeutschland aufgefallen und besonders von Robert Gradmann seit 1901 voll erkannt und verfolgt worden. Er hat gezeigt, daß sich die süd-und mitteldeutschen Altsiedlungsgebiete weitgehend mit dem heutigen Verbreitungsgebiet der Steppenheide decken, d.h. jenen Fels-Schutt-und Trockenrasengesellschaften und lichten, von einzelnen Bäumen durchsetzten Gebüschen. Gradmann schluß nun aus der weitgehenden (nicht vollständigen) Übereinstimmung der Verbreitungsgebiete der Steppenheide und der vorgeschichtlichen Siedlungsgebiete und aus dem Umstand, daß diese Steppenheiden in ihrem heutigen, sehr beschränkten natürlichen Umfang eine Bevorzugung durch die neolithische Bevölkerung kaum verständlich machen, daß diese die Altsiedlungsgebiete auf weite Strecken noch in natürlich waldfreiem oder waldarmen Zustande vorgefunden hat, daß damals also eine steppenheideähnliche Vegetation auch auf den tiefgründigeren, ebenen, im Neolithikum in Kultur genommenen Böden vorkam. Die neolithische Bauerbevölkerung sei gleichsam noch gerade vor Torschluß in diese Lücken eingedrungen, in diese Überreste der spätdiluvialen Steppenzeit, und habe diese Siedlungsflächen frei erhalten können, auch als das Klima dem Waldwuchs günstiger wurde.

Schlüter als Siedlungshistoriker schloß sich Gradmanns Auffassung an. Auf Grund historischer Untersuchungen und der Ortsnamenforschung stellte er das Ausmaß der frühen mittelalterlichen Rodung in Mitteldeutschland genau fest. Die Tatsache, daß fast alle Ortsnamen dieser Rodungsperiode auf Waldvorkommen und Rodung hinwiesen, während die älteren Ortsnamen dies in keinem Falle tun und sich hier nirgends sprachliche Nachweise für eine frühere Waldbedeckung fanden, bestärkte Schlüter gleichfalls in der Annahme, daß früher hier nicht gerodet worden war, sondern die Siedler das Land bei der Landnahme waldfrei angetroffen hatten. Auch Schlüter war der Meinung, daß der prähistorische Mensch zur Rodung

auf den heutigen Schwarzerdeflächen, weder beweisen noch widerlegen (Nach Müller 1953).

Firbas hat 1949 geschrieben, daβ die Existens der neolithischen Steppe in Mitteldeutschland pollenanalytisch bisher noch nicht bewiesen ist; und im selben Jahr hat er auch schon erwähnt, daβ die Pollenuntersuchungen seit der jüngeren Wärmezeit nur über die Waldzusammensetzung derjenigen Böden etwas aussagen können, auf denen der Wald nicht vernichtet worden ist.

Firbas beweist, daβ die Moore, die sich zur Gewinnung von Pollendiagrammen eignen, in Trockengebieten Selten sind. Ihr Pollengehalt ist infolge von Zersetzungserscheinungen oft nicht verläβlich. Gröβere Mengen etwa angetroffener Waldbaumpollen können aus waldreichen Landschaften der weiteren Umgebung eingeweht sein.

Thomsen hat 1946 durch Pollenuntersuchungen festgestellt, daβ das Warthegebiet während der Vorwärmezeit wenig bewaldet war. Erst für die Nachwärmezeit konnte er eine dichtere Bewaldung nachweisen. Auf den Grundmoränenböden Kujawiens müssen in der mittleren Wärmezeit Steppengebiete vorhanden gewesen sein, während die Sandgebiete der Urstromtäler schon mit Kiefernwäldern bedeckt waren.

Weitere Untersuchungen liegen aus dem Gebiet Östlich der Oder vor aus dem Raum zwischen Stettin und der unteren Warthe. Hier hat Nietsch (1934) eine gründliche Untersuchung ausgeführt, die vor allem den Landschaftszustand zur Zeit der neolithischen Besiedlung klären sollte. Denn der Weizacker ist ein ausgeprägtes Trockengebiet mit Jahresniederschlägen unter 500 mm und mit Böden, die mehrfach als Schwarzerden angesprochen wurden. Da hier auch neolithische Siedlungen vorhanden sind, versuchte Nietsch in diesem Gebiet zu einer Überprüfung der Steppenheidetheorie zu gelangen.

Er kam zum Schluβ, daβ eine unmittelbare Verknüpfung der Waldentwicklung mit vorgeschichtlichen Funden leider noch nicht gelungen ist. Es waren sowohl das Moränengebiet wie das heute durch steppenartige Böden ausgezeichnete Gebiet des Weizackers während der mittleren und späten Wärmezeit mindestens bis in die Bronzezeit hinein reich bewahrt.

III. Kritik an der Steppenheidetheorie Gradmanns'.

In Süd- und Mitteldeutschland wurden vorwiegend, aber nicht ausschlieβlich, warme, trockene Tieflagen und in Ihnen beson-

Fichtenwälder im Türinger Wald, im Erzgebirge und im Altvater sowie im Böhmerwald eingezeichnet.

d. Die Waldgebiete der Tieflagen innerhalb der Mittelgebirgslandschaften.

Nach Hueck würden von den Eichen—Hainbuchenwäldern als natürliche Gesellschaften den größten Teil der thüringisch—sächsischen Tieflandschaft, des meist lößbedeckten schlesischen Flachlandes links der Oder, Nordböhmens und Innermährens bedecken.

Was läßt sich nun auf Grund der pollenanalytischen Untersuchungen zur Frage nach dem Vorkommen von waldfreien Landschaften im Spät—und Postglaziel aussagen?

Bereits im Laufe des Spätglazials dürfte die Vegetation Allmählich einen steppenähnlichen Charakter angenommen haben, d. h. an gehölzarmen Vegetationstypen trockener Böden reich geworden sein. Dafür sprechen vor allem die Pollenwerte von Artemisia und Gramineen. Für die Zeit kurz vor Beginn der allerödzeitlichen Bewaldung ist im Untersuchungsgebiet mit einem Vorherrschen einer an Artemisia und Gramineen reicher Vegetation zu rechnen. Da die NBP auch in den allerödzeitlichen Ablagerungen noch wesentlich höhere Werte als im Präboreal beibehalten, müssen in diesem Abschnitt ausser den Kiefer-und Birkenwäldern noch weite gehölzfreie Flächen existiert haben. Während der Jüngeren Tundrenzeit weisen hohe Artemisia-Werte darauf hin, daß trockenere artemisiareiche Tundrentypen oder eine noch steppenähnlichere Vegetation eine erhebliche Rolle gespielt hat.

Für die postglazialen Abschnitte läßt sich feststellen, daß die NBP- Werte in limnischen Ablagerungen aus Landschaften mit einem ausgesprochenen Waldklima wenigstens bis zum Beginn der neolithischen Besieldung in der gleichen Größenordnung liegen, wie im Gebiet des ehemaligen Gaterslebener und auch des salzigen Sees (nach Müller, 1953). Danach wäre es möglich, daß das mitteldeutsche Trockengebiet bis zu Beginn der späten Wärmezeit so waldreich, d.h. annähernd von geschlossenen Wäldern bedeckt war ohne das mögliche, gleichzeitige Vorhandensein von kleineren Steppeninseln ausschliessen zu konnen.

Es läßt sich also durch Pollenuntersuchungen aus dem Anteil und der Zusammensetzung der NBP das Vorhandensein größerer gehölzfreier Gebiete, etwa von natürlichen Steppen

d. Bergmischwaldgebiete, wie das Buchen-Fichtengebiet des Harzes, der Thüringer Wald und der Erzgebirge-Mischwald, so wie das sudetische Bergmischwaldgebiet.

e. Die Eichen- und Buchenmischwaldgebiete der tieferen Lagen, wie das thüringische-sächsische Gebiet, schlesische Gebiet, innerböhmische Gebiet und das innermährische Gebiet.

Das immer noch reichliche Vorkommen der Buche in warmen Tieflagen die heute z.T. nur 550 mm Niederschlag empfangen, schließt die natürliche Erhaltung waldloser Steppen auch dort aus, wo die heutigen Niederschläge noch geringer sind, nämlich nur zwischen 450-550 mm liegen. Es handelt sich um Teile des thüringisch - sächsischen Trockengebietes, Nordwest-Böhmens und Südmährens. Das gleiche ist auch für die niederschlagärmsten Teile des östlichen Flachlandes anzunehmen.

9. Die jüngere Nachwärmezeit:

Die heutige Bewaldung ist von jener der älteren Nachwärmezeit sehr verschieden. Der auffälligste Unterschied liegt in einem sehr starken Rückgang aller Laubhölzer und einer entprechenden Zunahme der Nadelhölzer, vor allem der Fichte und Kiefer. Dieser jüngste Wandel in der Zusammensetzung der Wälder ist in erster Linie eine unmittelbare oder mittelbare Folge der Nutzung der Wälder durch den Menschen. Wir besprechen nun die Waldgebiete in dieser Periode:

a. Die Waldgebiete der baltischen Jungmoränenlandschaften.
Sie werden von Hueck von Schleswig bis an die untere Weichsel und über diese hinaus bis zur Elbinger Höhe als ein natürliches Gebiet vorherrschender Buchenwälder aufgefaßt.

b. Die Kiefern—Eichengebiete des inneren Flachlandes, in der heute sehr waldarmen Weichsel—Warthe—Ebene nimmt Hesmer eine ursprüngliche Vorherrschaft der Eiche auf den Geschiebelehmböden an.

c. Die Bergmischwaldgebiete : Rubner, Hesmer, und Meyer sehen heute die Waldzusammensetzung dieser Gebiete als natürlich, besonders das südböhmische Hochland als Buchengebiet an. Hueck hat natürliche

senden Moränengebiete. Der Anteil des Artemisia- Pollens am Gesamtpollenniederschlag ist stellenweise noch merklich höher als in der älteren Nachwärmezeit.

7. Die späte Wärmezeit:

   Die späte Wärmezeit ist eine ausgesprochene Übergangszeit. Der große Wandel des Waldbildes, der durch die Massenausbreitung der Buche, in geringerem Maß auch der Tanne und Hainbuche herbeigeführt wurde, hat sich zum größten Teil während dieser Zeit vollzogen.
   Das wichtigste Merkmal der spätwärmezeitlichen Vegetation der Mittelgebirgslandschaften ist der Umstand, daß sich ihre höheren Lagen als Inseln vorherrschender Buchen oder Bergmischwälder von den trocken-warmen Tieflagen viel schärfer abzusetzen beginnen als das bisher der Fall war.

   Im Flachland änderte sich demgegenüber die Waldzusammensetzung vorerst nur wenig.

8. Die ältere Nachwärmezeit:

   Es ist die eigentliche Buchenzeit oder Buchen-Tannenzeit der meisten Landschaften. Das Waldbild der älteren Nachwärmezeit wird daher oft als der auch dem heutigen Klima entsprechende natürliche Waldzustand angesehen, der ohne die Eingriffe des Menschen heute noch bestehen und sich nach deren Ausschaltung wieder einstellen würde. Ähnlich wie in der mittleren Wärmezeit kann man folgende, in erster Linie klimatisch bedingte Gebiete unterscheiden:

   a. Das kiefernarme Buchengebiet Schleswig-Holstein und Westmecklenburgs.

   b. Das Buchen-Eichen-Kieferngebiet der mittleren Jungmoränenlandschaften. Es umfaßt große Teile Mecklenburgs, Pommerns und der nördlichen Mark.

   c. Das Hainbuchen-Mischwaldgebiet beiderseits der unteren Weichsel. Es reicht von Pommern bis ins westliche Ostpreußen.

   d. Das ostpreußische Fichten-Hainbuchenmischwaldgebiet.

   e. Die Kiefern-Eichengebiete des inneren norddeutschen und polnischen Flachlandes.

ostdeutschen Diagramme auf die Einwehung von Pinus-Pollen von den bewaldeten Sandböden in waldarme Nachbargebiete zurückgeht. Aber im Madüseegebiet in Pommern, das heute ungefähr 500 mm Niederschläge erhält, ist der Anteil der Hasel auf den fruchtbaren Böden des Weizackers höher als im benachbarten Moränen- und Sandgebiet und spricht somit gegen das Vorhandensein großer waldloser Flächen auf den fruchtbaren Böden. Auch der hohe Haselwert von Aschersleben am Rande der Magdeburger Börde spricht gegen das Vorhandensein eines Steppengebietes.

6. Die mittlere Wärmezeit:

   Die Entwicklung der Wälder wurde während der mittleren Wärmezeit durch folgende Vorgänge gekennzeichnet:

   a. Der EMW[1] breitete sich stark aus und errang in vielen Landschaften die unbestrittene Herrschaft, so daß die Periode seit langem schlechtweg als Eichen oder EMW-Zeit bezeichnet wird.
   b. Die Kiefer zog sich aus den westlichen, ozeanischen Landschaften des Flachlandes und aus den westlichen Mittlegebirgen zurück und blieb in größerem Umfang nur in den kontinentalen Gebieten des östlichen Flachland herrschend.
   c. Die Hasel ging im allgemeinen ebenfalls zurück.
   d. Die Fichte breitete sich besonders in den höheren Lagen aus, von den östlichen Mittelgebirgen bis zum Allgäu, zum Thüringer Wald und zum Harz.

Durch diese Vorgänge machte die Gliederung der Waldgebiete folgende Fortschritte:

Es kam wie schon Rudolph (1930) betont hat, sowohl im Flachland wie im Mittelgebirge zur Scheidung in ein westliches Laubholz- und ein östliches Nadelholzgebiet; dieser Gegensatz ist seither das auffälligste Merkmal der ostmitteleuropäischen Waldgliederung geblieben.

Ob und wo sich während der mittleren Wärmezeit außerhalb der Fels- und Schuttfluren noch Waldlücken mit einer steppenartigen Vegetation erhalten konnten, bleibt weiter zu verfolgen. Daß der allergrößte Teil des Landes bewaldet war, unterliegt keinem Zweifel. Dies gilt nach den Untersuchungen von Nietsch auch noch für das Trockengebiet des pyritzer Weizackers, das noch denselben Pollenniederschlag aufweist, wie die anschlies-

1. EMW=Eichenmischwald.

c. Ein Kiefernwaldgebiet mit geringen Birkenanteilen.

Die Walddecke war sicher schon weitgehend geschlossen. Die NBP-Werte betragen in limnischen Ablagerungen jetzt vielfach nur noch einige wenige Prozent.

Losert verzeichnet auch in der innerböhmischen Elbniederung, wo man bei heutigen Niederschlägen unter 600 mm noch am ehesten mit größeren Steppengebieten rechnen könnte, in den Ablagerungen kleiner Wasseransammlungen durchweg weniger als 15% NBP. Wir haben daher nur in den Trockengebieten, die heute weniger als 500 mm Niederschlag erhalten, d.h. in Teilen des ostdeutschen und polnischen Flachlandes, im Regenschatten des Harzes, in Thüringen und an der unteren Saale, in Innermähren und in den trockensten Teilen Innerböhmens mit ausgedehnten Steppengebieten rechnen dürfen, für deren Vorhandensein Beweise aber erst zu erbringen sind.

5. Die frühe Wärmezeit:

In der Entwicklung der Wälder sind vor allem folgende Vorgänge bezeichnend:

a. Die starke Ausbreitung der Hasel. Es umfaßt Schleswig-Holstein und Ostpreußen.

b. Eine kräftige Zunahme der Kiefern in den während der Vorwärmezeit noch birkenreichen Landschaften, besonders im inneren norddeutschen und polnischen Flachland.

c. Darauf folgend oder in anderen Landschaften gleichzeitig die beginnende Verdrängung der Kiefer durch Eichenmischwälder, und zwar vor allem durch Eichen und Ulmen.

d. Die beginnende Ausbreitung der Fichte in den südöstlichen Mittelgebirgen. Die hohe Pollendichte und die verhältnismäßig geringen Anteile der NBP beweisen, daß unser Untersuchungsgebiet während der frühen Wärmezeit schon zum allergrößten Teil, in den meisten Landschaften zu weit über 90% von geschlossenen Gehölzen bedeckt gewesen sein muß.

Es wäre denkbar, daß in den heutigen Trockengebieten mit viel geringeren Niederschlägen noch ausgedehnte Steppen vorhanden waren. Sie zu erfassen ist bisher nicht gelungen. Man könnte zwar vermuten, daß der hohe Kiefernanteil mancher

3. Die jüngere Tundrenzeit:

Die Verdrängung der Wälder durch den Klimarückschlag der jüngeren Tundrenzeit ging überraschend weit. Die subarktischen Birken — und Kiefernwälder der Allerödzeit wurden nicht nur im nordwestdeutschen Flachland und in Ostpreußen, wo die Julimittel heute um 17° oder zwischen 17—18° liegen, wieder weitgehend vernichtet, sondern sehr wahrscheinlich auch in den sommerwärmeren südlicheren Teilen des ostdeutschen und polnischen Flachlandes mit heutigen Julimitteln zwischen 18—19°. Alle sommerkühleren Gebiete besaßen hingegen während der jüngeren Tundrenzeit keine geschlossene Waldbedeckung. Von einer noch unbekannten Höhe an müssen wir außerdem mit einer gegenüber der Allerödzeit sehr viel ausgedehnteren, völlig oder nahezu völlig waldlosen Stufe rechnen. Über die waldlose Vegetation der jüngeren Tundrenzeit geben u.a. die NBP einige Auskunft. Ihre Zusammensetzung ähnelt jener der älteren Tundrenzeit. Im Altmoränengebiet des Flachlandes belegen Empetrumwerte von 16 - 19° der NBP in limnischen Ablagerungen das Vorhandensein ausgedehnter Empetrum-Heiden. Eine große Bedeutung kommt wieder dem Pollen von Artemisia zu. Aber auch in Innerböhmen und im Untereichsfeld weisen Werte um 10% der NBP auf eine beträchtliche Bedeutung der Gattung hin. Geschlossene Wälder blieben in der innerböhmischen Elbeniederung, in Mähren, im Thüringer Becken und in den wärmsten östlichen Tieflagen erhalten. Nacheiszeit = Postglazial.

4. Vorwärmezeit:

Im Laufe der Vorwärmezeit haben sich in unserem Gebiet überall, wo Untersuchungen vorliegen, die Wälder völlig oder fast völlig geschlossen. Die Wälder der Vorwärmezeit waren noch völlig von Birken und Kiefern beherrscht. Man kann drei Waldgebiete abgrenzen:

a. Ein Birkenwaldgebiet mit spärlicher Kiefer. Es umfaßt Schleswig -Holstein und Landschaften an der Unter-Elbe.

b. Ein Birkenmischwaldgebiet mit wechselnden Kiefernanteilen. Hierzu gehören große Teile des norddeutschen und polnischen Flachlandes und die Lößgebiete am Fuß der Mittelgebirge, wie das die Untersuchungen bei Liegnitz in Schlesien zeigen.

a. An Gramineen, und an verschiedenen staudenreichen, gehölzfreien oder gehölzarmen Gesellschaften, die die Hauptmassen der NBP geliefert haben.[1]

b. Bestände von Strauchweiden.

c. Bestände von Zwergbirken. Sie wurden in einer so tiefen und heute so warm - trockenen Lage wie der innerböhmischen Elbniederung (Losert), weiter im Bereich der Löβböden des Untereichsfelds (Steinberg) und anderwärts gefunden.

d. Sanddornbestände. Sie treten da und dort in wechselnder Häufigkeit auf, so bei Lissa in der innerböhmischen Elbniederung.

e. Artemisia — reiche Gesellschaften. Ob man sie als Steppe bezeichnen kann, der Tundren zurechnen soll oder besser mit (Erdmann) vorläufig nur von einer Pioniervegetation spricht, muβ noch nähr untersucht werden.

Wesentlich ist, daβ die erste Wiederausbreitung der Wälder nordwestlich einer Linie, die sich zur Zeit vom Bodenseegebiet durch Sachsenlins südliche Ostpreuβen ziehen läβt, durch Birkenwälder eingeleitet worden ist, während südöstlich dieser Linie Kiefern und Birken wenigstens stellenweise (Kolbermoor, innerböhmische Elbniederung) ungefähr gleichzeitig und unter deutlicher Bevorzugung der Kiefer von dem Boden Besitz ergriffen haben. Wir dürfen danach vermuten, daβ Mitteleuropa schon vor der Allerödzeit eine Gliederung der Wälder in einen Birkengürtel im Norden und Westen und ein dahinter gelegenes Kieferngebiet aufweist.

2. Die Allerödzeit:
Die Wälder waren im allgemeinen um so birkenreicher und um so kiefernärmer, je weiter gegen Nordwesten und Norden zu die betreffende Landschaft lag. Aus der Höhe der NBP wird vor allem von Gross in Ostpreuβen gefolgert, daβ die Wälder der Allerödzeit noch nicht völlig geschlossen waren, während (Schütrumpf 1943) in Holstein mit dichteren Beständen rechnet. Möglicherweise gab es in den Mittelgebirgen (Firbas) waldlose Landscaften.

1. NBP=Nichtbaumpollen.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

4. Weitflugniederschlag aus Entfernung von 10 - 100 km
5. Fernflugniederschlag aus Entfernung über 100 km.

Die Untersuchungen von Oberflächenproben lehren, daβ in bewaldeten Gebieten bei mäβiger Ausdehnung der untersuchten Moore der Umgebungsniederschlag und jener aus dem Nahflug im Vordergrund stehen, wenn nicht sogar der örtliche Niederschlag am stärksten ist. Wie weit ein örtlicher Niederschlag fossil zu erwarten ist, läβt sich vielfach durch gleichzeitige stratigraphische Untersuchungen der Moor - und Seeablagerungen beurteilen. Unter besonderen Umständen können aus groβen Waldgebieten durch Weit - und Fernflug erhebliche Pollenmengen in andere Gebiete vertragen werden. Es ist daher in dicht bewaldeten Gebieten oft schwierig, die Herkunft des fossilen Pollens richtig zu beurteilen. Noch viel schwieriger wird dies, wenn man mit einer waldarmen Landschaft zu rechnen hat, da dann natürlich die Pollenzufuhr aus grösseren Entfernungen stärker hervortreten muβ. (Baumpollen wird natürlich auch weit in waldlose Gebiete hinein verweht.)

Die Gesetzmäβigkeiten der Pollenverbreitung hat zunächst der Meteorologe W. Schmitt (1918-1925) bei seinen Untersuchungen über den Massenaustausch der Luftmassen zu erfassen versucht. Rempe konnte 1937 bei seinen über Kassel und Göttingen durchgeführten Untersuchungen zeigen, daβ der Pollengehalt der Luftschichten bis in Höhen über 2000 m überraschend hoch ist. Daraus muss man schliessen, daβ ein grosser Teil des gebildeten Pollens in so hohe Luftschichten gerät, daβ er erst in Entfernungen von vielen Kilometern von seinem Ursprungsort niedergeschlagen wird. Schon hierdurch und durch Pollenvermischungen, die innerhalb der Luftschichten zustande kommen, muss also ein beträchtlicher Teil des Pollenniederschlags einen regionalen Charakter annehmen, d.h. aus einem weiteren Umkreis stammen und dessen durchschnittlicher Waldzusammensetzung entsprechen.

Ein von Rudolph aufgestelltes Diagramm eines Hochmoores im obersten Erzgebirge läβt deutlich verschiedene Abschnitte erkennen, nämlich von den älteren zu den jüngeren Schichten:

1. Eine Kiefernzeit mit etwas Birke und Weide
2. Eine Kieferen - Haselzeit
3. Eine Fichtenzeit, und zwar einen älteren, als Eichenmischwald - Fichtenzeit abgrenzbaren Teil mit verhältnis-

A. Das Ergebnis der Pollenuntersuchungen :

Das wichtigste Ergebnis der Pollenuntersuchungen ist die Feststellung außerordentlicher großer und gesetzmäßiger qualitativer und quantitativer Schwankungen im Pollenniederschlag während der Bildungszeit der europäischen Moore und Seeablagerungen. Sie können nur als Ausdruck eines tiefgreifenden Vegetationswandels gedeutet werden, im besonderen einer schrittweisen, von gleichzeitigen Klimaschwankungen mitbestimmten Wiederausbreitung der durch das Klima der letzten Eiszeit verdrängten oder zurückgedrängten Gehölze. Es erhebt sich die Frage: Wie weit entspricht der Pollenniederschlag der Zusammensetzung der Vegetation und wieweit ist der fossile Pollenniederschlag ein Ausdruck für die Vegetationsverhältnisse der engeren und weiteren Umgebung seiner Erhaltungsstätte?

Für eine Gliederung und Verknüpfung der erdgeschichtlichen Vorgänge in der Spät - und Nacheiszeit und für alle Altersbestimmungen von vorgeschichtlichen und anderen Funden mit Hilfe pollenführender Ablagerungen genügt die Feststellung, daß der fossile Pollengehalt im Laufe der Zeit gesetzmäßige Schwankungen aufweist, die sich über größere Räume gleichsetzen lassen. Es ist von vornherein selbstverständlich, daß der Pollenniederschlag nur ein mehr oder weniger verzerrtes Bild der pollenerzeugenden Vegetation geben kann. Eine verschiedene spezifische Pollenerzeugung, verschiedenes Alter beim erstmaligen Blühen und verschiedene Blühhäufigkeit der einzelnen Holzarten, Schwankungen der Pollenerzeugung mit den klimatischen Verhältnissen, mit den Standortsbedingungen, mit dem Vorkommen in geschlossenen oder offenen reinen oder gemischten Beständen, eine verschieden leichte Verwehung des Pollens, der Einfluß der wechselnden Ausdehnung und Entfernung der Bestände, von denen der Pollenniederschlag an einer bestimmten Stelle herrührte, und im fossilen Pollengehalt Schliesslich auch noch eine verschiedene Erhaltungsfähigkeit verschiedener Pollenarten und Unregelmäßigkeiten bei der Sedimentation u.a. müssen in einer nur sehr schwer übersehbaren Weise mit- und gegeneinander wirken.

Bei der Pollenverbreitung unterscheidet man nach den Herkunftsgebieten des Pollens folgende Bereiche:

1. Örtlicher Niederschlag
2. Umgebungsniederschlag aus Entfernung bis 500 m
3. Nahflugniederschlag aus Entfernung von 500 m bis 10 km

Zuerst erbrachten Sernanders Schüler in Schweden, C.A. und H.A. Weber in Norddeutschland und H. Schreiber in Böhmen und den Ostalpen eine grosse Zahl stratigraphischer Belege für die Klimawechsellehre.

Später und durch die aufblühenden Baumpollenanalyse wurden unter den Moorstratigraphen (Bertsch 1926 - 29, Paul von Ruoff 1927-32, Rudolph 1928-30, Gross 1931, W. Thomson 1947, H. Müller 1953 u.a.) immer mehr Stimmen laut, welche bei alter Anerkennung der von allen bestätigten postglazialen Wärmezeit doch eine subboreale Austrocknung entweder ganz ablehnten oder gegenüber den Annahmen Sernanders, Webers, Schreibers usw. sehr erheblich einschränkten.

Nachdem ich die Auffassungen der beiden Gruppen, gegensätzlicher Natur, gezeigt habe, möchte ich mit einer kurzen Darstellung der Arbeitsweise beginnen.

Bereits vor über 100 Jahren war bekannt, dass die Pollen-Körner der Pflanzen wie viele Sporen sehr verschieden geformt sind und sich fossil erhalten. Daher sind sie teilweise sogar für einzelne Arten, häufiger für Gattungen oder auch nur für Familien bezeichnend.

Schon H.R. Göppert und C.A. Ehrenberg haben in den Jahren zwischen 1836 und 1841 fossilen Pollen gefunden und Abgebildet und der erstere hat auch seine weitere Beachtung als Zeugen für die Anwesenheit bestimmter Pflanzen besonders empfohlen. Zuerst hat C.A. Weber 1893 das Mengenverhältnis einzelner Arten im fossilen Pollen bestimmt und zwar in der klar ausgesprochenen Erwartung, daß der aus einem größeren Gebiet stammende, von Wind vertragene Blütenstaub "ein besseres Durchschnittsbild" der allgemeinen Vegetation der Umgebung abgeben müsse als Funde fossiler Hölzer und Früchte. Damit ist Weber zum Begründer der Quantitativen Pollenanalyse geworden. Doch hat er solche Untersuchungen leider nur an einzelnen Stichproben durchgeführt, dann allerdings immer eine sehr grosse Zahl von Pollenkörnern abgezählt.

Erst die regelmäßige Ausführung von Pollenzählungen an Probenreihen, die in dichter Folge aus verschiedener Tiefe von Moor - und Seeablagerungen entnommen wurden, verlieh ihr jene Durchschlagskraft, die sie innerhalb weniger Jahre zu einer der wichtigsten Methoden der Vegetationsgeschichte gemacht hat.

Schlüter hat sich eingehend über den Begriff der "Urlandschaft" geäußert. Er unterscheidet die theoretische Urlandschaft, d.h. die Landschaft, wie sie heute wäre, wenn der Mensch nie seinen Fuß in sie hineingesetzt hätte, von der "historischen Urlandschaft" wie sie tatsächlich zur Zeit der ersten Besiedlung gewesen ist.

Eine Rekonstruktion der theoretischen Urlandschaft wird immer mit einer grossen Unsicherheit belastet sein, während die historische Urlandschaft sehr verschieden war, je nach dem welches Stadium in der vorgeschichtlichen oder geschichtlichen Besiedlung einer Landschaft wir ins Auge fassen.

Firbas ist der Meinung, daß man das vieldeutige Wort Urlandschaft vermeiden sollte. Das Ziel der Landschaftsgeschichte muß es doch wohl sein, den Landschaftszustand zu den verschiedenen Zeiten festzustellen und für jeden Zeitpunkt anzugeben, wieweit der damalige Zustand natürlich, wieweit er durch den Menschen bedingt war. Dann spricht man aber am besten z.B. von der neolithischen oder bronzezeitlichen Landschaft vor Beginn oder von der Landschaft vor Beginn der neolithischen Besiedlung. Selbst diese wird, mag der Einfluß der neolithischen Bevölkerung auch nur gering gewesen sein, keine völlige "Urlandschaft" mehr gewesen sein.

II. Die Vegetationsgeschichte ergibt sich aus den paläontologischen und Stratigraphischen Untersuchungen.

Eine sichere Beurteilung und Verwertung der Grundlagen der waldgeschichtlichen Kenntnisse ist möglich, wenn man weiß, auf welchen Wegen sie gowonnen worden ist.

Folgende Autoren haben sich mit oben genannten Untersuchungen beschäftigt: Areschoug (1867) in Schweden, Blytt (1876) in Norwegen, Loew (1878) in Norddeutschland, Kerner (1870/79) in den Ostalpen und Briquet (1891-1905) in den Westalpen haben auf Grund der heutigen Pflanzen-verbreitung einen mehrfachen Klimawechsel seit der Vergletscherung gefordert und zuerst Nehring (seit 1875/77), dann auch Blytt, Kerner und in Schweden besonders Sernander (seit 1892) haben ein ansehnliches paläontologisches Beweismaterial für das Vorhandensein mindestens einer trocken warmen Periode zusammengetragen. Der Norweger A.M. Hansen (1904) kam zu ähnlichen Ergebnissen.

GAB ES WALDFREIE LANDSCHAFTEN IN DER URLANDSCHAFT OSTMITTELEUROPAS ?

Dr. Nafi Nasser Al-Kasab
Ph.D., M.A. in Geography
College of Arts
Baghdad-University

I. Die Urlandschaft als Ausdruck des Urzustandes.

Über den Begriff Urlandschaft möchte ich mich zunächst auf die Ausführungen von Tüxen stützen. Das Wort "Urlandschaft" umschreibt eigentlich den Urzustand, d.h. also den ersten Zustand der Landschaft. Es kann daher nur eine Urlandschaft geben. Ihre zeitliche Lage muß dort angesetzt werden, bevor der erste menschliche Einfluß das Landschaftsbild, d. h. in erster Linie die Vegetation einschneident verändert hat. Seitdem ist das Landschaftsbild gewissermassen die Resultierende aus der natürlichen Entwicklung der Landschaft oder der Vegetation der Naturlandschaft und der Wechselnden anthropogenen Einwirkung auf sie gewesen. Die eigentliche Urlandschaft fällt mit einem frühen Stadium der Naturlandschaft zusammen. Von dem Augenblick der ersten intensiveren menschlichen Umgestaltung der ursprünglichen Naturlandschaft beginnt die Entwicklung der Kulturlandschaft. Um bestimmte Stadien dieser Entwicklung der Kultur- oder Naturlanschaft zu bezeichnen, würde es genügen, von denen des Neolithikums, der Bronzezeit oder der Eichen - Mischwaldzeit usw. zu sprechen. Der Mensch hat nicht nur ganze Vegetationseinheiten aus dem Landschaftsbild ausgemerzt, sondern er hat auch andere physiognomisch sehr wichtige und stabile, der Naturlandschaft weiter Gebiete fehlende (Heide, Trockenrasen) neu geschaffen, und er hat endlich natürliche Gesellschaften durch seine Maßnahmen in ihrer Zusammensetzung und ihrem Bild umgewandelt (viele Wälder und Wiesen). Läßt sich also durch die heutige Pflanzensoziologie die Naturlandschaft leicht rekonstruieren, so ist es andererseits auch möglich, etwas über den natürlichen Entwicklungsgang der heutigen Vegetation, d.h. also der Naturlandschaft auszusagen, und damit zu dem Stadium der Urlandschaft zu kommen. Es wird also nötig sein, daß der Pollenanalytiker seine eigenen Ergebnisse mit denen der Bodenkunde und der Pflanzensoziologie kombiniert.

ولم يقتصر بحثنا على مناقشة نتائج علم المتحجرات وعلم طبقات الارض فقط ، بل تعداه الى تفحص النظريات التي تدور حول بداية الاستيطان وتاريخه وأين بدأ ؟ أفي مناطق عشبية محدودة وجدت متفرقة على شكل جزر متباعده في بحر اقليم الغابات الطبيعي نتيجة أنتشار الترب اللوسية والرملية تحت ظروف مناخية جافة كما يدعي (Gradmann) في نظريته — وقد ثبتتها الحقائق العلمية النباتية التي جاء بها كل من (Müller) و (Firbas) وأيدها (Schlüter) على ضوء نتائج ابحاثه التاريخية المبنية على اساس استقصاء واستقراء أسماء الاماكن الاثرية — ؟ أم في اقاليم غابية مفتوحة كما يفترض العلماء (Mortensen, Mager, Tüxen, Nietsch) و Schott في كتاباتهم وابحاثهم المتعلقة بالموضوع • حيث جاءت نتائج دراسات هؤلاء الجغرافيون بنظريات تتضمن صلاحية المناطق الغابية القليلة الكثافة لسكنى أنسان العصر الحجري الحديث على النقيض مما ادعاه (Gradmann) في نظريته •

وليس هذا فحسب بل اشترك في هذا النقاش طائفة اخرى من علماء التربة أمثال (Wilhelmy) للتحقيق في امر هذا الموضوع • وقد ثبت لديه علمياً ان مناطق الترب السوداء المنتشرة اليوم في اقاليم وسط المانيا واكرانيا قد نشأت منذ البداية (Spätglazial) في نطاق السهوب العشبية •

وفي محاولة لتحديد زمن بداية اقاليم السهوب يتساءل هو ما إذا كانت أقاليم وسط وشرق اوربا العشبية هي من بقايا العصر الجليدي •

وقد حاول علماء الآثار في حفرياتهم ان يتبينوا العلاقة بين مواضع الاسكان القديمة المندثرة وانتشار الترب السوداء • وقد جاء Schwarz بنتائج حفرياته التي أجراها في اقليم وسط المانيا لأثبات ذلك •

الدكتور نافع ناصر القصاب
المدرس في كلية الآداب
قسم الجغرافية

هل وجدت اصقاع عديمة الغابات في الاقليم الطبيعي القديم لوسط وشرق اوربا ؟

هذا السؤال لا تصح الأجابة عنه بكلمة نعم ، أو ، لا وانما يحتاج الجواب الى دراسات علمية تحليلية ذات الوان مختلفة • والغاية من هذا البحث هو معرفة ما اذا كان انسان العصر الحجري الحديث (Neolithikum) قد وطئت قدماه اقاليم غابية ام خالية من الغابات عند استيطانه لاول مرة هذا الجزء من العالم • وهل مكّنته طبيعة هذه الأقاليم ان يستثمر خيراتها لسد قوته اليومي أو وقفت الغابات الكثيفة حائلاً دون نفوذه إليها واستغلاله لها ؟

فبعد دراسة مستفيضة لآراء من كتب حول شرح وتفسير مفهوم الأقليم الطبيعي القديم (Urlandschaft) الذي اختلف الجغرافيون في تعريفه وتحديد معالمه وزمن بدايته امثال Schlüter, Firbas, Tüxen رأينا من الضروري ـ للتوصل الى معرفة هذه الحقيقة العلمية ـ ان نتتبع تطور الاقليم الطبيعي وتاريخ غطائه النباتي بصورة عكسية مع الزمن حتى نهاية العصر الجليدي (Postglazial) • ولايسعنا لتحقيق ذلك إلاّ أن نجرّ إلينا أبحاث علم المتحجرات الحيوانية والنباتية (Paläontologie) وعلم طبقات الارض (Stratigraphie) لمجيئها بنتائج علمية طيبة حددت على ضوئها فترات التطور النباتي وبالتالي نوعية الظروف المناخية التي كانت تسود كل فترة من هذه الفترات •

وقد قام الجغرافيون الألمان بعدد من الأبحاث العلمية لاجزاء متفرقة من اقليم وسط وشرق اوربا مبنية على أساس نتائج فحوص بقايا المتحجرات النباتية لهذا الاقليم واستطاعوا بذلك ان يتثبتوا من وجود تسع فترات مناخية في تاريخ الغطاء النباتي مبتدأة منذ فترة تراجع الغطاء الجليدي من القارة الأوربية أي قبل حوالي ٢٠٫٠٠٠ سنة حتى قبل ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ سنة وهي الفترة التي سادت فيها ظروف مناخية مشابهة لما عليه القارة الاوربية اليوم •

(122) Hasan, **Tārīkh al-Islam al-Siyāsī,** 1935, Dūrī, **al-Judhūr al-Tārikhiyya Li'l Shu'ūbiyya,** p. 38; A Rustam, **al-Manṣūr,** p. 276.

(123) See D. Sourdel, **La Vizirat Abbaside,** vol. 1, pp. 65 — 125.

(124) Khaṭīb, **op. cit.** III, p. 105.

(125) Ya'qūbī, **Buldān,** p. 249; Tab., III, p. 371.

(126) Ya'qūbī **Buldan,** pp. 243, 247; 405, idem, **Tārīkh,** II, p. 16; Tab., III, p. 274; Khaṭīb **op. cit.,** vol. 1, pp. 87, 89.

(127) Ibn al-Dāya, **al-Mukāfāt,** Cairo, 1914, p. 52.

(128) See Jahshiyārī, **op. cit.,** pp. 100 — 102, 151.

(129) Tab., III, p. 495, citing Muḥammad b. al-Ábbās.

Dr. F. Omar,
Department of History.

(112) Tab., III, p. 444, citing al-Haytham b. Ádī. —

وانظر الى مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشـــدة ان نزلت بك

Recommending the **Mawāli** to him, he advised him to make use of them against his rivals especially the Álids (Tab., III, 449, citing Úmar b. Shabba).

(114) Tab., III, p. 414; Khaṭib, op. cit., 3, 171; The **Mawla** Muḥammad b. Ṣawl tried to do the same task in the revolt of Ábdallah b. Álī in 136 A.H. but was killed by the rebel. (Balādhūrī, **op. cit.,** vol. 763; Azdī, **op. cit.)** fol. 142.

(115) Tab., III, 523, 575, 599; **F.H.A.,** p. 286 f., Khaṭīb, op. cit, IV, 393.

(116) Balādhurī, op. cit., fols. 528 f., 572, 530, 579; Tab., III, pp. 456, 597, citing al-Haytham b. Ádī, 597; Iṣbahānī, **Aghānī,** 21, 123; F.H.A., 267; Masūdī **Murūj,** VI, pp. 265 — 6; Khaṭīb, **op. cit.** vol. 8, p. 414; Ibn al-Taqtiqa, **al-Fakhrī,** ed. Cairo 1317, p. 156.

(117) Ibn Sa'd, **op. cit.,** V, p. 306.

(118) Tab., III, p. 531. —

« قال الموصلي ، قال عبدالصمد بن علي قلت للمهدي يا أمير المؤمنين إنّا أهل بيت قد اشرب قلوبنا حب موالينا وتقديمهم وانك قد صنعت من ذلك ما افرطت فيه ، قد وليتهم أمورك كلها وخصصتهم في ليلك ونهارك ولا أمن تغير قلوب جندك وقوادك من أهل خراسان ، قال يا أبا محمد ان الموالي يستحقون ذلك ليس أحد يجتمع لي فيه ان أجلس للعامة فأدعو به فارفعه حتى تحك ركبته ركبتي ثم يقوم من ذلك المجالس فاستكفه سياسة دابتي فيكيفها لا يرفع نفسه عن ذلك الا موالي هؤلاء فانهم لا يتعاظمهم لي ذلك ولو اردت هذا من غيرهم لقال ابن وليك وابن من سبق الى دعوتك لا ارفعه عن ذلك » .

See also Jāḥiz, **Majmu'a al-Rasā'il,** ed. M. Sāsī, p. 13.

« قال وتقول الموالي لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع الثقة عند الشدة »

(119) Jahshiyārī, **op. cit,** p. 147.

(120) Tab., III, p. 545.

(121) Jahshiyārī, 159; Iṣbahānī, **Aghānī,** vol. XXI, p. 122; **F.H.A.,** pp. 273 — 5; Tab., III, pp. 462 — 6, 488 — According to Jahshiyārī the prominant man of the conspiracy against Abu Úbaydallah were al-Rabī' and Ya'qūb b. Dā'ūd which shows the struggle for power and influence within the **Mawālī** themselves.

and the Fatimid rebel Muḥammad Dhu'l Nafs al-Zakiyya took the same Arab aristoeratic view.

(103) **Risāla fī Banī Umayya, Rasa'il** ed. Sandūbī, pp. 299 f. — Dr. W. Najim attributes Jāḥiz's view point on the **Mawālī** to his inclination to indulge in controversies and contradictions an intrepretation hardly acceptable. She states.

وفي الواقع يصور الجاحظ الموالي وكأنهم لا يوالون احداً لا من الفرس ولا من العرب بل هم يفخرون على كلا الجانبين معاً لكن ليس من المستغرب ان يكون هذا التخريج ناتجاً عن ولع الجاحظ بالمناقضة والمجادلة

(See Najim, **al-Jāḥiz wa'l ḥaḍara al-Ábbāsiyya)**, Baghdad, 1965.

(104) **Haywān,** 1, p. 5; Najim, **Studies on the writings of Jāḥiz,** Ph. D., London University, 1958, p. 26.

(105) **Rasā'il** ed. Sandūbī, pp. 292 — 299; see also Ibn Khaldūn, **Muqaddima,** II, pp. 433 f.

(106) **Thalāth Rasā'il,** ed. Van Vloten, pp. 5 — 6, 18 — 19; **Majmū'at** ..., ed. Sāsī, p. 7. Jāḥiz himself was born at Basra about 160/766 in an abscure family of **Mawālī** from the Banū Kināna and probably of Abyssinian origin. **E.I.**(2) (al-Djahiz). History indeed confirms al-Jāḥiz's view point. It is reported that Abu Ja'far (al-Manṣūr) asked an Umayyad **Mawla,** after the fall of Wāsit, whether he was an Arab, and the **Mawla** answered "If Arabisim is a tongue we have talked it, if it is a religion we have been converted to it". (Balādhurī **op. cit.,** fols. 788b—789a).

ان كانت العربية لساناً فقد نطقنا بها ، وإن كانت ديناً فقد دخلنا فيه .

(107) Ya'qūbī **Tārīkh,** II, p. 462, idem **Mushakalat** ..., p. 55; Jāḥiz **Manāqib al-Turk,** ed. Vloten, pp. 13 — 14.

(108) Mas'ūdī **Murūj,** VII, pp. 291 — 2 Maqrīzī **al-Sulūk,** vol. 1, pt. 1, p. 14.

فأمتثل بذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها

(109) **Maqaddima,** II, pp. 462 f, 508, 545.

وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها برجالات العرب

(110) Balādhurī, **op. cit.,** vol. 707b, citing Abū Ubayda.

انكم تقلدون الأمر مواليكم فموالي أمير المؤمنين احق بالقيام به

(111) Ya'qūbī **Tārīkh,** II, 462; Jahshiyārī, pp. 100 — 101.

(112) Ibn Qutayba, **Úyūn al-Akhbār,** vol. 1, p. 290; see also Ibn Ásākir, **Tārīkh** Dimashq, vol. 3, p. 18.

(84) Tab., III, p. 531.

(85) Ibn Ábdal-Ḥakam, **Futūh Miṣr,** ed. Torrey, 1920, p. 240; al-Kindī, **op. cit.** p. 356.

(86) The names of individual Khurasānis as well as terms such as Ru'āsa al-shī'a, quwwād, Anṣar which, in all probability, all mean Khurasānis, are oftenly mentioned in sources ... see Tab., III, 4471 — 476.

بما اجمع عليه اهل بيته وشيعته وقواده وانصارهم وغيرهم من اهل خراسان

(87) Balādhurī, **Ansāb,** fol. 363; Tab., III, 338 — 344, Azdī **op. cit.,** fol. 171.

(88) Ya'qūbī **Buldān,** p. 240 f., 246 f., Khaṭīb, **op. cit.,** I, 83 ff.

(89) **Buldān,** p. 240.

(90) **Ansāb,** fols. 540 — 543; Tab., III, pp. 132 — 137.

(91) Tab., III, pp. 296, 328, 353; Ya'qūbī, **Buldān,** p. 242.

(92) Tab., II, p. 2001, III, pp. 46, 49, 254, 302, 380, 495.

(93) Op. cit., II, 1950, 1963, 2001, III, 20, 68, 131, 324; 518; 52, 605, 740.

(94) Op. cit., II, 1964, 2001, 2002, 2004; III, 9, 72, 75, 81, 84; 183, 549, 470.

(95) Op. cit., II, 1962, 2001, III, 20, 65, 110, 131, 655.

(96) Huḥammad b. Sālih al-Fazārī lived in the Khwarezmiya quarter (Khaṭīb, V, p. 37); so did the Basrite Ábdallah b. al-Nadr op. cit. X, p. 110). The Kufite Úthmān b. Ja'far al-Subā'ī inhabited the Marwaziyya quarter (op. cit., VI, 296).

(97) Many eunuchs were at the same time **Mawālī** and there was much overlaping between the **Mawālṭ, Khadam** and **ghulmān** (See Tab., III p. 562; Khaṭīb, **op. cit.,** vol. 1, pp. 85, 96; Ya'qūbī, **Buldān,** p. 252).

(98) Ya'qūbī, **Mushākalat al-Nās lī Zamānihim,** Teheran 196, p. 55; idem **Tārīkh,** II, p. 462.

(99) Balādhurī, **op cit.,** fol. 573; Kūfī, op. cit., fol. 235b; **Ibn** Iṣfandiyār, **Tārīkh-i Tabaristān** trans by Browne, vol. 2, p. 118; Tab. III, p. 367; Khaṭib, **op. cit.** vol. 3, p. 171.

(100) Jāḥiz, **Manāqibal-Turk,** ff. 13 — 14.

(101) Ibn Khaldūn, **Muqaddima,** English trans, by F. Rosenthal, vol. 1, p. 726; see also 1957 edition vol. 2, p. 507 — On **Walā' al-Iṣṭinā',** see **Muqadaddima,** Beirut, 1876, pp. 153, 159 ff.

(102) It is worth noteing that the Umayyads excluded the sons of non-Arab mothers (e.g. Maslama b. Ábdal-Malik) from the succession,

skills. It is also worth noteing that the Turks seem to have been introduced in the Ábbāsid service long before al-Mu'tasim and as early as al-Manṣūr's reign (see Ibn Iṣfandiyār, **Tārīkh-i Tabaristān,** vol. 2, p. 118; Balādhurī, **Ansāb,** Ms. Iṣtanbul, fol. '73; **Muqaffa,** fols. 107a — 107b; Tab., III, pp. 562, 684, ed. De Goeji; Jahshiyāri, **op. cit.** ..., ed. 1938, p. 151; see also Jāḥiz **Manāqib al-Turk,** pp. 36, 4; Khalifa b. Khayyāt, Tārīkh, Ms. fol. 308; Tha'ālibi, **Latā'if al-Ma'ārif,** p. 20; It is also worth noteing that al-Manṣūr himself started the practice of introducing **Mawālī** into the army, though their rôle was not conspicuous in his time. A little later, however, under al-Mahdī, Hādī and al-Rashīd numerous **Mawālī** figured as military commanders. Minor units in the army were the the Sudān (**Afariqa**) and Zunūj. According to Azdī and Ibn al-Athir the new governor of Mosul Yahya b. Muḥammad was accompanied with an army which contained a regiment of 4,000 **Zunūj**. Tabarī also mentions the **Sudān** in al-Manṣūr's army at the time of Ibrahim's revolt in Basra. Similar to have been the use the Ábbāsids made of the tribal element especially in regions such as al-Jazīra, Syria and Úmān. Some influential Arab commanders such as Khāzim al-Tamīmī, Úqba al-Hunnā'ī and Ma'an al-Shaybānī appear to have taken with them supplementary units to reinforce their regular army. However, the rôle of the **A'rāb** in the army became more evident in the struggle between Amīn and Ma'mūn (see Azdī, **Tārīkh al-Mausil,** Ms. in the chester Beatty Library, Dublin, fol. 129; on the **Sudan** see Tab. III, pp. 305, 881, 1005— on the **Árāb** see Tab., III, 840, 1005).

(77) Tab., III, pp. 129 ff, 271 f, 364 — 7.

(78) Tab., III, pp. 430f.; Mas'ūdī **Murūj,** pp. 203 — 7.

(79) Tab., III, p. 444.

(80) Tab., III, p. 453 ff citing Álī b. Muḥammad al-Nawfalī.

(81) Ya'qūbī **Buldān,** pp. 240, 246 — 247.

(82) Tab., III, p. 77,

ان له طاعة وسابقة وهو يحتمل له ما صنع فان شيعتكم من اهــل خراسان قــد اثروكم على الاقارب والاولاد والاباء والاخوان وقتلوا من خالفكم .

This episode also indicates the existence of internal strife and Jeolousies within the Khurasānis themselves, as Ábdal-Jabbār al-Azdī sided with Banī al-Ḥarith against Khāzim. (Tab. III, 76).

(83) Balādhurī, **op. cit.,** fol. 765a; Maqrīzī, **Muqaffa,** fol. 916.

(61) Tab., III, p. 143.

(62) Ibn Ásākir, **Tārīkh Dimashq,** ed. Damascus 1329, vol. 2, p. 110.

(63) Balādhurī, **Futūh,** ed. 1956, vol. 1, p. 6, citing Waqidi and Madā'nī; idem, **Ansāb,** IV, B., p. 169; Ya'qūbī, **op. cit.,** II, pp. 476 — 7; Dinawārī, **al-Akh-bār al-Tiwāl,** ed. W. Guirgass, 1888, pp. 280, 382; Ibn Qutayba, **al-Imāma Wa'l Siyāsa,** Cairo, 1904, vol. 2, pp. 275, 285; Tab., III, pp. 486, 521.

(64) **E.I.**(2) (Hadjdj).

(65) Balādhurī, **op. cit,** fol. 513; Ibn Qutayba, Imāma, vol. 2, p. 285; Hamadānī **Mkhtasar Kitāb al-Buldān,** ed. De Goeje, 1885, p. 20; **Fragmental historicorum arabicorum,** 1, leyden, 1869, p. 227.

(66) Al-Zubayrī, **Nasab Quraysh,** p. 242; Isbahānī, Aghānī, vol. 3, pp. 94 — S; Tab., III p. 483; Dhahabī, **Duwal al-Islā,m** ed. Haydar Abād, 1364, vol. 1, p. 83; al-Qalqashandī, **op. cit.,** vol. 2, p. 185.

(67) Balādhurī, **Futuh,** vol. 1, p. 203; Yaqūbī, **Tārīkh,** II, p. 484; Tab., III, p. 486.

(68) Tab., III, p. 483; see also Ibn Qutayba, **Imāma,** vol. 2, p. 228.

(69) Tab., III, p. 483; Khaṭīb, **op. cit.,** vol., 1, p. 88.

(70) Ya'qūbī, Tārīkh, II, p. 478; Azdī, **op. cit.,** fols. 149, 152, 186, 187, 189, 190 ff, 254; Tab., III, pp. 394 f, 367 — 368; Ibn al-Athīr, **al-Kāmil,** vol. V, p. 462.

(71) See for example Jāḥiz, **Manāqib al-Turk,** pp. 12 — 13; Ibn al-Muqaffa' mentions the Arab origin and character of **Ahl Khurasān** when he reminds the caliph al-Manṣūr of the close interrelationship between **Ahl Khurasan, Ahl al-Baṣra** and **Ahl al-Kūfa** (op. cit., p. 124).

(72) Tab., III, pp. 365 — 367.

(73) Jāḥiz, **Mamāqib al-Turk,** p. 4.

(74) Tab., II, p. 1967. — In al-Manṣūr's time there was a separate **diwān** called **diwān Jund Khurasān** (Khalīfa, Tārīkh, fol. 303). Ibn al-Muqaffa', **op. cit.,** p. 119.

(75) Balādhurī, **op. cit.,** fol. S. 514, 576; Azdī, op. cit. fol. 196; Tab. III, p. 366.

(76) Tab., III, p. 363. — Though this is not a study of the structure of the Ábbāsid army it should be noted that the Ábbāsid army was probably the first genuinely professional army in Islam with a strong sense of regimented loyalty and solidarity. They are long service trained regulars, with important professional

(43) There was a fierce competetion for the post of governors in the empire between the Yamanites and the Qaysites. At one **civilization of Islam,** London, 1962, pp. 63 ff; idem, An inter-nated governors were Yamanites, protested against it to al-Manṣūr (Azdī, op. cit., fol; 190; see also al-Qalqashandī, **Ma'āthir al-Ināfa fī Ma'ālim al-Khilāfa,** Kuwait, 1964, vol. 2, pp. 168 ff.

(44) Gibb, The social significance of the Shu'ūbiya, **in Studies in the civilization of Islam,** London, 1962, pp. 63 ff; idem, An interpretation ..., op. cit., p. 12; Dūrī, **al-Judhūr al-Tārikhiyya li'l Shu'ūbiyya,** Beirut 1962, pp. 19, 39; Al-Áli, Baghdad in the times of al-Manṣūr (a paper delivered at the conference on Islamic cites, Oxford, 1965. A copy of this paper was put at my disposal by the kindness of professor S. al-Ālī) p. 18.

(45) It is interesting that although the Arabs could not complain of neglect in this early Ábbāsid period they raised their voices against the appointment of a **Mawla** to a high administrative post. One incident of this kind is said to have occured when Muḥammad b. Ṣawl nominated governor of Mosul in 133/751, and another when al-Manṣūr appointed his **Mawla** Tāriq to an administrative post in Syria (Azdī **op. cit.,** fol. 120; Balādhurī, **op. cit.,** fol. 586; Maqrizī, **Muqaffa,** fol. 91a).

(46) Ya'qūbī, **Buldān,** p. 247.

(47) Al-Khaṭīb, **op. cit.** vol. II, p. 146.

(48) **Op. cit.,** p. 233.

(49) **Op. cit.,** vol. p. 268; vol. II, p. 393.

(50) **Op. cit.,** vol. 1, p. 81; vol. II, p. 255; vol. VI, 276; vol. IX, p. 482.

(51) Balādhurī **op. cit.** fol. 794 b — 795 a, citing Madā'inī.

(52) **Op. cit.** 804 a, 806 a citing Abū Úbayda.

(53) **Op. cit.,** fol. 806 a citing Abū Úbayda.

(54) Tab., III, p. 439, citing Ibrāhim b. 'Isā. — There is also of course the question of mutilation. Al-Manṣūr must have had reservations concerning the legality of castrating an Arab.

(56) Tab., III, p. 414.

(57) Azdī, **op. cit.,** fols. 155 — 6, citing Madā'nī, fols. 202 — 3.

(58) **Op. cit.,** fol. 169.

(59) **Op. cit.,** fol. 201.

(60) Balādhurī, **op. cit.,** fols. 548 — 9, 553; 571; Azdī, **op. cit.** fols 201 — 204; Tab., III, 143.

Balādhuri, **op. cit.** fols. 515, 516, 527, 564, 570, Ibn Ḥazm, op. cit. Qutayba, **Uyun al-Akhbar,** vol. 1, pp. 26, 30, Iṣbahanī, **Aghānī,** ed. Bulāq, 1285, vol. 2, p. 188; Azdī, **op. cit.,** fol. 172; al-Maqrizī, **al-Muqaffa,** Ms. B.N. Paris, fols. 78a, 90a—91b, 244a, 271a; al-Khaṭib, **op. cit,** vol. 13, p. 225; **Ámilī, A'yān al-Shī'a,** ed. Damascus 1935, vol. 20, p. 108.

(28) Ibn Sa'd, **Tabaqāt,** vol. VII, pt. 1, ed. leyden 1322 — 29, p. 71. see further Jahshiyārī **al-Wuzara' Wa'l Kuttā,b** ed. Cairo 1938, p. 129; Tab., III, p. 439.

(29) Ibn al-Muqaffa', **op. cit.,** p. 128.

(30) Ibn al-Kalbī, **Nasab Ma'ad,** fol. 47a; Ibn Ḥazm, op. cit., pp. 113, 124; see Tab., III, pp. 567, 796; Balādhurī cites Abu Daqāqa al-Absi as one of the Ṣaḥāba of al-Mahdī. (Balādhurī, **op. cit.,** fol. 570 citing Madā'nī).

(31) Balādhurī, **op. cit.** fol. 799a.

(32) Jāḥiz, **Bayān,** ed. Hārūn 1948, vol. 1, p. 339; idem, **Haywān,** ed. A. Hārūn, 1938, vol. 1, p. 24; Masūdī, **Murūjal-Dhahab,** ed. Paris 1861 — 77, vol. VI, p. 136; Iṣbahānī, **op. cit.,** vol. 3, pp. 20, 27, 54, 141, 94; al-Khaṭīb, **op. cit.,** vol. IX, p. 160.

(33) **Op. cit.,** pp. 1, 39.

(34) **Op. cit.,** pp. 1 — 2; vol. 1, pp. 86 — 87, Ibn Khallikān, **Wafayāt al-A'yān,** ed. Bulāq 1882, vol. 2, p. 269.

(35) Tab., III, pp. 440, 441; Masūdī, **op. cit.,** vol. VI, pp. 250 -- 251.

(36) Jahshiyārī, **op. cit.,** pp. 146, 155; al-Khaṭīb, **op. cit.,** vol. III, p. 254.

(37) Balādhurī, **op. cit.,** fols. 515 f, 526, 527; Ya'qūbī, **Tārīkh,** vol. I? pp. 472, 456; Tab. III, p. 379.

(38) Maqrīzī, **al-Muqaffa,** fol. 916.

(39) Tab., III, p. 487.

(40) Ya'qūbī, **Buldān,** p. 243; al-Khaṭīb, op. cit., vol. III, p. 105, vol. IV, p. 325.

(41) Although **Ahl Khurasān** who brought the Ábbāsids to power were predominantly Arabs, they will be dealt with later on as a separate group because they were in fact kept a distinct group even after the establishment of the Ábbāsid régime.

(42) Tab., III, p. 366. — The Arab units in the army were called **Árab al-dawla** (**B. Lewis, the Arabs in history,** London, 1958, p. 85).

(10) Ibn al-Muqaffa', **Risāla fi'l Ṣaḥāba,** ed. M. Kurd Ali in **Rasā'il al-Bulagha,** Cairo, 1946.

(11) Jāḥiz, **Rasā'il** ed. Sandubi, p. 81, see also Tab., III, pp. 72, 73, 75, 121, 142—3, 327—8, 605.

(12) Tab. III, p. 444; see also Balādhurī, op. cit, fols. 557, 577, 568.

(13) Balādhurī, **op. cit.,** fol. 578; see also al-Sābī, **Rusūm dār al-Khilāfa,** Baghdad, 1964, p. 31.

(14) **op. cit.** fol. 557; Azdī, **op. cit.,** fol. 169; Tab., III, pp. 223, 332, al-Khaṭib al-Baghdādī **Tārīkh Baghdād** , ed. Cairo, 1349/1931, vol. 2, p. 147.

(15) Tab., III, pp. 420—21; see also Balādhurī, **Ansāb,** fol. 573; Ya'qūbī, **Tārīkh,** vol. II, p. 466; **Tha'ālibī, Laṭā'if al-Ma'ārif,** ed. al-Ibyārī 1960; p. 21; Ibn Ḥamdūn, **Tadhkira,** Cairo, 1927, p. 98.

(16) Tab., III, pp. 533, 522.

(17) Ya'qūbī, **Buldān,** p. 240.

(18) Ya'qūbī, **Buldān,** pp. 242, 245; idem, **Tārīkh,** II, pp. 22, 60, 69; al-Khatīb, **op. cit.,** vol. 1, pp. 86, 91; vol. V, p. 479, vol. X, p. 39; vol. XI, pp. 58, 149, 234, 365, vol. XII, p. 388.

(19) Ya'qūbī, **Buldān,** p. 243; see also al-Khaṭīb, **op. cit.,** vol. 1, p. 86, vol. 8, p. 316; Ibn Ḥamdān, **op. cit.,** p. 116.

(20) Ibn al-Muqaffa', **op. cit.,** pp. 125, 129 ff; Ya'qūbī, **Tārīkh,** vol. II p. 472; Tab., III, pp. 429, 476, 487; see also Balādhurī, **op. cit.,** fol. 564.

(21) Ibn al-Muqaffa', **op. cit.,** p. 131.

(22) Ibn Ḥamdūn, **op. cit.,** p. 116.

(23) Balādhuī, **op. cit.,** fols. 795b, 799a, Khalīfa b. Khayyāt, **Tabagāt,** ed. S. Zakkar, Damascus, 1967, pp. 388, 390, 398, 533; Yaqūbī, Tārīkh, vol. II, p. 433; Bayhaqi, **al-Maḥāsin wa'l Masāwi',** ed. Beirut, 1960, p. 94.

(24) Al-Kindī, **Wulāt,** ed. Beirut 1908, p. 101; al-Maqrizī, **Khiṭaṭ,** ed. Cairo, 1270, vol. 2, p. 89.

(25) Al-Kūfī, **Futūh,** Ms. Istanbul, fols. 229b, 234a; al-Zubayrī, **Nasab Quraysh,** ed. Cairo, 1952, p. 218, see also Ibn Hazm, **Jamharat al-Nasab,** ed. Cairo, 1950, p. 118; Tanūkhī, **al-Mustajad** ..., ed. Damascus, 1956, p. 25.

(26) Tab., III, p. 394; see Yaqūbī, **Tarīkh,** vol. II, p. 372.

(27) Ibn al-Kalbī, **Ansāb,** Ms. B.M., fols 217b, 221b, idem, **Nasab** Ma'ad, Ms. B.M., fol. 13b; al-Zubayrī **op. cit.,** pp. 218, 248;

Mozyad al-Shaybānī in the reign of al-Mahdī (127) or a Wazīr would welcome the influence of the Arab **Saḥāba** against the growing rôle of the Mawālī. Rivalries are also evident between the Khurasānis and the **Mawāli**, the Khurasānis and the **Ṣaḥāba**, the **Mawāli** and the **Ṣaḥāba** and the **Mawāli** and the **Wazīrs.** Scattered accounts(128) confirm this assumption, however it would be sufficient here to quote one account which illustrates how influential these groupings were and how decisive was the role of other prominant figures in shaping and administering the realm of al-Mahdī. Tabarī(129) relates that when Hārūn left Baghdad in 163/779 to lead a campaign against the Byzantines, al-Mahdī ordered both al-Ḥasan b. Qaḥtaba al-Tā'ī and al-Rabī' b. Yūnus to accompany him, where upon al-Ḥasan drew the attention of al-Mahdī to the fact that it was advisable that one of them al-Ḥasan or al-Rabī' should stay behind with the Caliph while the other was away.

Footnotes

(1) **E.I.**(1) (Ábbāsids); Sadighi, **Les mouvements Religieux Iraniens,** Paris 1938; Weit L'empire nes-by Zentin des Omayydes ..., **Cahiersd, histoire mondiale,** 1, 1953, pp. 63—71; H.I. Hasan, **Tārīkh al-Islam al-Siyasi;** Cario, 1935; Arberry, **Shiraz,** Norman, 1960; S. Mustafa, **fi'l Tārīkh al-Ábbāsī** Damascus, 1957, A. Rustam, **Abu Ja'far al-Manṣūr,** Cairo, 1965, p. 9; J. Saunders, **A history of Medieval Islam, London.** 1965, pp. 96, 100 ff.

(2) Ya'qūbī, **Buldān,** leyden 1892, pp. 240—254; Tabarī, III ed. M.J. De Goeje, Brill 1885. pp. 322—26; al-Khatīb-al-Baghdādī, **Tārīkh Baghdād,** ed. Cairo, I, pp. 58 ff.

(3) **E.I.**(2), (Hāshimiyya).

(4) Tab., III, p. 467.

(5) Ibn Quṭayba, **Úyūn al-Akhbār,** ed. Cairo, 1925, vol. 2. p. 252; Ya'qūbī, **Tārīkh,** ed. leyden 1883, vol. II, p. 461; Azdi, **Tārīkh al-Mauṣil,** Ms. in the chester Beatty library, Dublin, fols. 154 — 155.

(6) Balādhurī, **Ansāb al-Ashrāf,** Ms. Istanbul, fols. 767a—767b; Khalīfa b. Khayyāt, **Tārīkh,** Ms. al-Maghrib, fol. 289; **Tab., III,** pp. 328—331.

(7) Tab., III, pp. 498, 518; Azdī, **op. cit.,** fol. 210.

(8) Yaqūbī, **Tārīkh,** II, p. 514; Tab., III, p. 688.

(9) Balādhurī, **op. cit.,** fol. 576a; Azdī, op. cit., fols, 154—155.

inquired about him. The Caliph answered "He is Úmāra b. Ḥamza my **Mawla".** **The Mawālī** are mentioned with the Ábbāsids and close relatives of al-Mahdī in receiving favours from the Caliph. Moreover it is important to point out that when al-Mahdī set out to Jurjān in 169/785, he left his **Mawla** al-Rabī' b. Yūnus to deputize for him in Baghdad.(120) It was mainly due to the envy of al-Mahdī's **Mawālī** that both Abū Úbaydallah and Ya'qūb b. Dā'ūd lost their offices as **Wazirs.** Indeed, Abū Úbaydallah tried his best to curtial the infleunce of the **Mawālī** by increasing the number of Arabs in the retinue of al-Mahdī.(121)

Numerous were the **Mawālī's** who held administrative and military posts, or distinguished themselves in politics in the reign of al-Mahdī and his sons. Considering the **Mawālī** not as a social-political coccus but as a racial one, some historians allege that it was a well planned and carefully thought Ábbāsid scheme of choosing the **Wazīrs** from amongst the "Persians" as a smbol of a persian-Arab partnership in the new regime.(122) There is nothing in the sources to indicate that administrative posts were distributed according to racial considerations. It has been shown that the **Mawālī** neither considered themselves persians nor were they looked upon as persians. The **Wazirs** of the early Ábbāsid period were in the main either men of obscure origin brought up in the Ábbāsid court or **Mawālī** who had been trusted for a long time and had proved their efficiency. They were appointed partly for their administrative professionalism and partly for their political affiliations. It must be added that the caliphs never found any difficulty in dismissing them for suspecious or genuine considerations.

In Baghdad the **Mawālī** occupied a certain quarter reserved for them which was called **darbal-Mawālī.**(124) Other **Mawālī** were alloted tracts either individually or in grouos such Ábbād al-Farghānī and the **Faghāniyya.**(125) Ḥasan al-Sharawī and the **Sharawiyya,**(126) al-Rabī' b. Yūnus, Sulaymān and Suwayd etc. The **Sharawiyya,** it should be pointed out, were the Mawālī of Muḥammad b. Álī b. Ábdallah b. Ábbās and then the **Mawālī** of Ábbāsid caliphs.

Conclusion :

Rivalries and Jealousies between different groupings and occasionally within each other did exist. The **Mawālī** would ally themselves, for reasons of interest with a prominant Arab-e.g. The **Mawala** Harthama b. A'yan drew for sometime closer to Yazīd b.

a better claim to it". Ya'qubī supplies a liest of names of the **Mawāli** entrusted by al-Manṣūr. Among them Ámara b. Ḥamza, Marzūq Abū al-Kasīb, Wāḍiḥ, Manāra, al-Álā' and al-Rabī'.(111) According to Ibn Qutayba al-Manṣūr was furious when he heard that Salm b. Qutayba al-Bāhilī the governor of Baṣra had punished his **Mawla** and he considered it as a personal charge. علىّ تجرا لاجعلنه نكالاً (112) He also recommended them to his son al-Mahdī, who considered that he had left his son three important things= Money, **Mawālī** and Madīnat'l Salam.(113)

The **Mawāli** also undertook vital tasks in critical circumstances, they were employed in the Caliph's information services. It was the **Mâwla** Khallād who was entrusted with spying on the rebel Muḥammad Dhul' Nafs al-Zakiyya by pretending to be his partisan.(114) Among the supervisors at the construction of Baghdad were **Mawālī.** In the court ceremonies the **Mawālī** always figured alongside the Ábbāsids, the Ṣaḥāba and the **Quwwād.**(115) They played a prominant part in the dynastic problem of succession. At al-Manṣūr's death bed there were only his Khadam and his most trusted Mawla al-Rabiī b. Yūnus. The latter is a striking example of a typical **Mawla** who due to his obscure origin and up bringing at the court was completely dependent on the Caliph. He put the interest of the Caliph above all others and he played a brillient rôle in securing the succession of al-Mahdī. (116) Provincial governors also attracted **Mawālī** to government services. According to Ibn Sa'd,(117) Ábdal-Ṣamad b. Álī the governor of Madīna invited the sons of Khālid b. Dīnār the **Mawālī** of **Banī al-Ábbās** to take up administrative posts but they declined on the ground that they were merchants and did not want to be involved in state affairs. « نحن قوم تجار ولا حاجة بنا بالدخول في عمل السلطان فاعفنا »
Clearly well-to-do people preferred stable career to the uncertainties of politics.

The **Mawālī** influence seem to have exceeded the limit during the reign of al-Mahdī. According to Tabarī,(118) the Caliph was approached by his uncle Ábdal Samad b. Álī who warned him that this intimate relation with Mawālī would alienate the Khurasānis. Al-Mahdī replied that the **Mawālī** deserved that, as they would perform every task he wanted them to do. Others would take offense if they received such orders and would boast of being the sons of those who supported the Ábbāsid **da'wa,** and would not budge an inch from their position. Furthermore according to Jahshiyāri(119) al-Mahdī once showed such esteem to Ūmāra b. Ḥamza that his Qurayshite visitors

between the Arabs and non-Arabs are not the same as the difference between the Arabs and the **Mawālī.** It is likely that Jaḥiz is referring here to that group of Mawālī whose ties with the Caliph had over shadowed their racial ties if any and whose status in the court and administration distinguished them from both the Arabs and the Ájam who were their rivals. Jāḥiz recognizes that the **Mawālī** attained that elevated status only due to the favour of the Ábbāsid Caliphs who with their mostly non-Arab mothers would have a strong appeal from this important element in the population.(105)Jaḥiz utterly rejects the idea of race as a criterion of classification and considers the environment and culture as the essential elements. Culturally, linguistically and environmentally, those **Mawālī** are represented by Jaḥiz (106) as Arabs.

According to Jaḥiz and Ya'qūbī al-Mansūr was the first Ábbāsid Caliph to make use of the **Mawālī** and **ghilmān.**(107) But according to Masūdī followed by Maqrīzī(108) al-Manṣur did not only employ them but also preferred them to the Arabs. The latter seems to be a sweeping statement. If the Caliph favoured his **Mawāli** it was certainly not at the expense of the Arabs as the Arabs were still holding the key positions. What Masūdi's statement indicates is that the Arabs lost their position in later times. Ibn Khaldun(109) never questions the pre-emenence of the Arab element throughout the early Ábbāsid period. He puts it explicity that Arabs lost power altogether when the sons of al-Rashīd succeeded to the throne, and the Arab Áṣabiyya fell into decay in the reign of Mu'tasim. In his analysis of this early period in the Islamic history, Ibn Khaldūn looks upon the whole issue as an Arab affair for which the Arabs bore the whole responsibility until it gradually got out of their hands.

The **Mawālī** as a group began to grow in importance at the court and in the administration in al-Mansūr's reign, but while the latter was able to keep the balance between the different groupings al-Mahdī vacillated in his treatment of them. Indeed our sources clearly point to **Mawālī** infilteration in governmental services and their influence on al-Mahdī himself. A glance at their situation in the early Ábbāsid period shows the gradual development of their influence according to Balādhurī.(110) The task of supervising the **Siqāya** and the **Rufāda** at Mecca was entrusted to Ábbāsid figures who in turn entrusted it to their **Mawālī.** When al-Mansūr noticed that he put a **Mawla** of his incharge of the task and told the Ábbāsids "Since you are delegating the job to your Mawālī" (not doing it personally) then the **Mawālī** of the commander of the Faithful have a

to denote not a racial group of mainly persian composition, but a multi-racial group to whom loyalty to the Ábbāsid Caliph was the supreme consideration and whose bonds with the court were stronger than the claims of their Arab or non-Arab origin.

From the very beginning of his rule, al-Manṣūr felt the need for such devoted support at the court, in the administration and the army.(98) He embarked on a plan to form from these heterogenous elements. who had been brought together by the chance of war or trade, or attracted the Caliphs attention in one way or another. a solid organised body on which he could entirely rely.(99) Once in the royal entourage of **Mawālī** were entirely dependent on and, therefore, blindly devoted to the Caliph.

In the words of Jāḥiz, (100) "the Ábbāsids favoured their **Mawālī,** trusted them, and let them feel at ease with them. They recommended them to their elder sons and prayed at their funerals." Moreover, speaking of the **Mawālī** and **Mustana'iyīn,** Ibn Khaldun(101) states "They share in the group feeling. By taking special place within the group feeling, they participate to some extent in the (Common) descent to which (that particular group belongs)." As the Caliph chose individuals or groups regardless of their racial origin, bestowed on them favours and ranks and entrusted them with important tasks, this new kind of **Walā'** was called **Wala' al-Iṣtinā'.** Hence one can notice the emergence of men of mixed origin as a self-conscious and articulate group to which, what is quite significant, the Caliph himself belonged.(102)

The Mawālī grouping, indeed, regarded itself as different from both the Arabs and non-Arabs. In this respect Jāḥiz(103) states that the **Mawālī** claimed that they were better than the Arabs because of their origin in the **Ájam** and better than the **Ájam** themselves because of their new bond with the Arabs. The implications of Jāḥīz's words is immediately abvious. The **Mawālī** were but a mixed group of Arab as well as non-Arab origin who had all one thing in common: They considered themselves a distinct bodv different from Arabs and **Ajam.** Jāhiz describes the status of the **Mawālī** in comparison with the Arabs and **Ájam,** and shows rather significantly that they claimed to be better than both of them This is again confirmed bv Jāhiz(104) who describes his book on the Arab and the Mawālī (**Kitāb al-Árab wa'l Mawālī**) as different from the book on the Arabs and Ájam (**Kitāb al-Árab wa'l Ajam**). Defending himself against a critic who accused him of being repetitious Jāḥiz says that the differences

were settled in the Ḥarbiyya quarter. But they were not exclusively concentrated there. Due to the great services rendered by them it seemed only natural that al-Manṣūr gave them land not only outside the city but within it too. A particularily priveleged part of them the **Marwaziyya** resided in a quarter within the walls of the city. (89) Among the Khurasāni prominant figures who were alloted plots were: Ȧbd'l. Jabbār b. Abd'l. Raḥmān al-Azdī;(90) Ḥarb b. Ȧbdallah al-Balakhī al- Rāwandī,(91) after whom the whole quarter in the north west of the city was named **al-Ḥrbiyya;** Ȧmir b. Ismā'īl al-Mosulī,(92) one of the earliest Ȧbbāsid dā'īs who played a prominant rôle in crushing Marwān's resistence n Egypt. When he died in 157 A.H. al-Manṣūr attended his funeral and honoured him by a burial in the cementry of **Banī Hāshim;** al-Faḍl b. Sulaymān al-Tūsī;(93) Ȧbd al-Malik b. Yazid al-Ȧtkī(94) and Ủthmān b. Nahayk al-Ȧkki.(95) These few examples are intended to prove that land in and around Baghdad was distributed according to a careful plan, so that only the most trusted men were alloted plots. Prominant Khurasāni figures who received plots seem to have settled with their relatives, followers probably coming from their own tribe, **Mawālī** and fellow citizens. Thus settlers in Ȧbdal Malik al-Ȧtki al-Jurjāni's plot must have been his relatives, his own tribe as well as citizens from Jurjan, those who dwelt in the qaṭī'a of Ḥumayd b. Qaḥṭaba al-Tā'ī al-Tūsī must have been Tayites and **Ahl Tūs.** The same was the case with others. The settlers were, therefore, racially mixed and although groups derived their names from their places of origin such as Jurjāniyya, Marwaziyya, Baghyīn, Farghāniyya and Khwarizmiyya, it is evident that they were still Khurasānis and multi-racial. Opposing Persians to Arabs or stressing the predominance of Persians over Arabs is useless since it was an uncommon thing for an Arab chief to lead a predominantly alien following. Moreover, it can be ascertain that Arabs did live in districts such as Khwarizmiyya and Marwūziyya quarters.(96)

5. The Mawālī :

The term **Mawla** is, like other terms in this period, very flexible. Though **Walā'** was a social and legal relationship, the **Mawālī** of the Caliph enjoyed a special status in their relationship with the soverign whom they served in many capacities. Among the **Mawālī** there was always a large proportion of manumitted slaves of different racial origin. Many of the Mawālī were Arabs too.(97)

It is not the concern of this study to trace the changing content of the term **Mawālī,** nor the various functions which they performed in Muslim society. The term **Mawālī** is used, in this study,

prominant figures were known not by reference to **Ahl Khurasān** but by the names of villages and districts they came from. Examples are numerous and found in Khāzim al-Tamīmī al-Marwazi, Qaḥtaha al-Tā'ī al-Jurjānī and al-Fadl b. Sulaymān al-Ṭūsī. It can be infined from the above that it is, to say the least, unexact to classify the **Marwaziyya** followers of Khāzim al-Timīmī or the Jurjāniyya followers of Ábd al-Malik b. Yazīd al-Átkī as persians.

Abu'l Ábbās and al-Manṣūr gave priority to the interests of **Ahl Khurasan** before others. The Khurasānīs on their part always stood up for their rights. It is reported that when Khazim al-Tamīmī, in his pursuit of the rebel Bassām b. Ibrāhīm in 134 A.H., killed a number of Banī al-Ḥārith who were the maternal uncles of Abu'l Ábbās, the caliph had the intention to have him executed but was later dissuaded by other Khurasānis from it.(82) Nor did al-Manṣūr execute a Khrasāni Ábd al-Ḥamīd b. Rab'a al-Ṭā'ī who had joined the rebellion of Ábdallah b. Álī because of his relation with the family of Qaḥṭaba al-Ṭā'ī. Al-Manṣūr, is also said to have, conciliated the Khurasānis who had been antagonized when the Caliph attended the funeral of Isḥaq b. Muslim al-Úqalī.(83) Moreover Ábd al-Ṣamad b. Álī aprominant Ábbāsid warned al-Mahdī that the Khurasānis were dissatisfied because he showed so much favour to the Mawālī.(84) The Khurasānis seemed to have felt a sense solidarity with each other. It is related, for example, that when a judge gave a verdict on the basis of which a Khurasāni soldier in Egypt was imprisoned, the Khurasāni governor Ábd al-Malik b. Yazīd al-Azdī defied the verdict and released the prisoner, giving the judge not option but to resign.(85) There are many other instances of Khurasāni intervention in the matter of succession and politics. Their names are mentioned throughout the sources and their rôle most valuable.(86) When al-Mansūr wrote to 'Isā b. Mūsa in 147/764 asking him to step down in the line of succession in favour of al-Mahdī, he urged him "to bow to the wish of God and the people of Khurasān whose affection for him (al-Mahdī) had reached a point when they spoke of nothing but his virtue, nor praised anything but his name, or recognized anything except his right."(87)

The Khurasānis, as individuals and groups, received plots within th walls of the city as well as in its outskirts. A great proportion of them occupied plots north of the round city, especially in the **ḥarbiyya** quarter where they were settled according to their cities and districts of origin that is to say on a regional rather than ethnical basis.(88) The plots were known by the name of a leader or a group. Thus, Ahl Marw, Balkh, Bukhara, al-Khatl, Kabul Shah, Khwarezm etc.

doing they did not edhere to the policy of detribalization they had applied to the Khurasānis. It had suited the d'wa period to perfection, but once the struggle was over, it became necessary to play out the tribes against each other. Therefore, the new units were organized on tribal basis. Moreover though the Caliphs strusted the Khurasānis and were careful not to infringe their privileges, they still kept in mind the possibility of mutiny or defection, and sought insurance against it in the creation of the new units.(76) According to Tabarī,(77) the mutiny of **al-Rawānidiyya** in 141 A.H. had made al-Manṣūr aware of the expediancy of dividing his army by stationing part of it in al-Rusafa and the other part in Baghdad, so that he could use one against the other in case revolts arose. Prominant Khurasānis held high positions under al-Manṣūr. The latter was always anxious not to destroy their loyalty to the régime. It was to them he appealed in his critical moment facing the Ḥasanid rebels. He stated: "Oh **Ahl Khurasan** you are our partisans, our supporters and the people of our d'wa(78)
« يا اهل خراسان انتم شيعتنا وانصارنا واهل دعوتنا »

He is also said to have recommended them to his son al-Mahdī. According to the Tabarī he once said to him: "I recommend **Ahl Khurasan** to you; they are your supporters **(Anṣaruka)** and partisans **(Shī'atuka)** who spent their money for (the establishment) of your régime and shed their blood for your sake. Their love for you will not disappear from their hearts. You should favour them and forgive those who have transgressed and give them rewards for what they have done and care for the families of those who have died".(79)

Again in his **Waṣiyya,** al-Manṣūr called upon his family **Banī Hāshim** and his Shī'a the Khurasānīs not to let dissensions take root among them and to unit behind al-Mahdī and help him with the affairs of the state.(80)

The fact that the term **"Ahl Khurasan"** is so rarely used in the sources in connection with politics in the post-victory period might lead to the erroneous conclusion that their rôle as a political group which fought for its own interests and formed part of coalitions was then finished or substantially weakened. But it must be remebered that **"Ahl Khurasan"** was not the only name under which the Khurasānis were Known. Several different names were applied to them in the sense. They were called by the name of **Shī'a,** i.e. partisans; **Anṣār al-dawla; Ru'āsa' al-Shī'a and Quwwād.** As they were from the beginning registered according to villages and districts, they were also Known as **Marwaziyya, Baghīyyīn, Ahl Belkh, Ahl Bukhāra and Ahl Farghāna** etc.(81) Accordingly, as has already been mentioned, many

Ábbāsid times. Al-Manṣūr put less stress on tribal loyalty than loyalty to the Ábbāsid régime, never the less, political necessity made him play powerful tribal confederations against each other as a matter of policy. His reign abounds in maneuvers of this kind. He endeavoured successfully to break off the old established alliances between Rabī'a and al-Yaman by instigating the governor of the Yemen Ma'an b. Zā'ida al-Shayboni to stage a massacre of the unruly Yemenites. Shortly after, the Caliph encouraged the governor of al-Yamāma and Baḥrayn Úqba b. Salm al-Hunnā'ī to retaliate upon the Rabi'ite population of the province.(70)

4. **Ahl Khurasan :**

It is hardly the place to discuss the nature of the Khurasānī striking force which brought about the Ábbāsid victory and its predominantly Arab character.(71) However it should be pointed out that as those tribes had lived in Khurasān for a prolonged period, they spoke Persian in addition to Arabic, used to marry Persian women and had adopted Persian customs. After their return to Iraq, the Khurasānī, went through a process of re Arabization especially as the Caliphs themselves were great promoters of Arabic culture and Arab spirit. The Khurasāniyya unit was one of the four units of al-Mnaṣūr army. The other three were: Muḍar, al-Yaman and Rabī'a.(72) This is indicative of the great proportion of the Arab element in the early Ábbāsid army. Speaking of a little later period Jāhiz,(73) classifies the units of the Ábbāsid army as follows: Khurasānis, Turks, **Mawālī,** Arabs and **Abnā'.** Even at Jāḥiz's time the Arabs and Arabized Khurasānis and Abnā' were still to be found. In fact the introduction by al-Mu'tasim of the Mamluks into the army was as strongly opposed by the Arabs as by the Khurasānis.

The Khurasāni military unit seems to have been kept intact by the Ábbāsids. The fact that they were, from the early days of the da'wa, registered according to their villages and towns and not tribes(74) corroborates this statement. Ibn al-Muqaffa' describes the Khurasānis as loyal generous, incorruptible and obedient to authorities. He adds "These characteristics do not exist in others."(75) In critical moments, they defended the régime against rebels. Several Khurasānī contigents used to be stationed, for a long or a short period as the case may need, in turbulent or Anti Ábbāsid regions such as Basra, Mosul, Syria, Ifriqiyya, and occasionally to wage the **Jihād** against the Byzantimes. The Khurasanis however were not the only element in the army as the Ábbāsids created other units on tribal basis. In so

It is also rather important that when al-Manṣūr went in 144/761 — 62 to peform his pilgrimage he left the Arab Khāzim b. Khazayma al-Tamīmī as his deputy in charge of the army and provision at al-Hāshimiyya.(61) Further more the account of Ibn Ásākir indicates how much strength there remained in the hands of tribal chiefs even as late as al-Ma'mūns reign. In this account Ábdallah b. Ṭaḥir accused an Arab chief Muḥammad b. Ṣāliḥ b. Baihas of boasting of the help he gave to al-Manṣūr as if he had been equal to Ṭahir b. al-Ḥasain, a charge which Muḥammad refuted with the following words "Ṭahir fought for the state of the Commander of the faithful with the money and men of the state Commander of the faithful while I fought for the state of the commander of the faithful with my own money and my own men."(62)

Yet another indication of the Arab orientation of the early Ábbāsid Caliph is their great interest in the Ḥijāz(63) which was motivated a part from the importance of the Holy places and the political, social and economic significance of the pilgrimage(64) also by political considerations. It was besides, in line with the general policy of the Ábbāsids who always posed as the exponents of the **Sunna** and restorers of Orthodoxy from which the Umayyads had deviated. / Al-Manṣūr endeavoured to win their support by several methods: by trying to win the confidence of religious men such as Ja'far al-Sādiq and Mālik b. Anas; by political marriages with influential tribes; by giving the people of Madīna a full **'atā'** in 140/757; by enlarging the mosque of the prophet.(65) This favouritism reached its peak during the reign of al-Mahdī who resumed the **'atā'**, seemingly discontinued after Muḥammad Dhu'l Nafs al-Zakiyya's revolt of 145/762 — 3. According to Mus'bal-Zubayrī,(66) the beneficiaries under the **'Atā'** scheme were devided into grades: Banī Hāshim who received the highest **'Atā'**, Quraysh the **Anṣār** and finally the **Mawālī.** He also resumed supplies of provisions from Egypt which had been stoped after Dhu'l Nafs al-Zakiyya's revolt. He had repairs made to the pilgrimage route between Baghdad and Mecca and appointed an official supervisor to look after it. He even appointed a Qāḍī of Madīna who was the first Qāḍī of the city to be appointed by Caliph himself.(67) The latter also selected 500 Anṣārs (the people of Madīna) and brought them with him as guards and supporters.(68) They enjoyed special status with regular pay eked out by frequent gifts and were alloted a qaṭī'a which took its name from them qatīat'l Anṣar.(69)

Although the attempt to foster among the Arabs a feeling of solidarity with the régime rather than with their own tribes can be traced back to the Umayyad period, they grew in intensity in early

The Ábbāsid Caliphs realized the tremendous influence the tribal chiefs had on their tribes and treated them with a resepect which was directly proportional to the following they commanded. Abu'l Ábbās refused to punish Isḥāq b. Muslim al-Úqalī on the ground that this would displease the Qaysites.(51)

« اترى قيساً ترضى بأن نضرب سيدها حدّاً ، لو دعوته بالبينه لجاء مائه من قيس يشهدون ان القول قوله » .

He also accorded spontaneously Salm b. Áqba al-Bāhilī the **Aman** though he openly defied the Ábbāsids in Basra and did not seek pardon.(52) Salm al-Bāhilī became later involved in a dispute but according to Balādhurī, the governor of Baṣra Sulaymān b. Álī refained from punishing him owing to his great tribal influence.(53)

« ما كان سلم ليقول شيئاً الا شهد له الف نزاري

When the governor of Kūfa executed an Arab on the charge of **Zandaqa,** al-Manṣūr was enraged and said "An Arab had been killed without my knowledge".(54) « ايقتل رجل من العرب بغير علمي »
The account that al-Manṣūr once dismissed a **Khādim** of his ḥarem(55) when he learned that he was an Arab has been quoted as an indication of an anti Arab attitude on the part of the Ábbāsids. But surely this is rather indicative of the high esteem in which Arabs were held by al-Manṣūr who may have regarded the menial job of harem attendant as unsuitable and even humiliating for an Arab. This opinion finds confirmation in an other episode related by Tabarī namely that al-Manṣūr wanted to employ Ábbāsids in his information service but later desisted from the idea as this might humiliate them.(56) Other numerous but scattered events point out that al-Manṣūr held the Arabs in high esteem. After the intercession of some prominant Yamanites,(57) he pardoned Qays b. Walī'a al-Kindī. He also pardoned Ábd al-Azīz b. Ábdullah b. Úmar b. Ábd al-Azīz despite his participation in Muḥammad Dhu'l Nafs al-Zakiyya's revolt stating "If I killed the like of this man from Quraysh whom do I spare"(58) « إذا قتلت مثل هذا من قريش فمن استبقي »
Speaking of Ábdallah al-Hamdānī, Azdi(59) states that he was one of the Arab men who enjoyed the favour of the Caliphs

وهو أحد رجال العرب ومن له الهمم والتقدم عند الخلفاء

Madā'nī (60) say the same of Ibrāhim b. Jibilla b. Makhrama al-Kindī, Ismā'īl b. Ábdallah al-Qaṣrī, Mis'ar b. Haddam al-Hilālī and Ábdullah b. Ábbās al-Hamdāni.

the Saḥāba, for a while, seem to have influenced al-Mahdī even more than his Wazīr Abu Úbaydallah. As a group they were given **qaṭi'a** on the Ṣirāt river.(40)

3. **The Arabs :**

The importance for the Ábbasids of Arab tribes became more evident during the struggle against the Syrian army in Irāq.(41) In its advance through Irāq, the Khurasani army was helped by various tribal elements. The fall of Kūfa, Wāsit, Mosul, Basra and Damascus was due to the help of various tribal chiefs who sided with the Ábbāsids. These decisive events testify to the great importance of the tribes and the role they played at the beginning of the new regime. They indeed constituted a great proportion of the army which according to Tabarī (42) was composed of Muḍar, al-Yaman, al-Khurasāniyya and Rabī'a. This accounts for the fact that the majority of army commanders in this period were Arabs who not only led campaigns against rebels but also played an increasingly important rôle in politics especially as regards to the problem of succession. The Arab element also figured continuously and prominantly at the court and administration(43) together with other elements and occupied the highest position in the administration with the non-Arabs limited to the lower rungs of the administrative ladder such as the **Kuttāb** and the officials of the **diwāns**. The sources teem, in fact, with names of Arab governors of the provinces many of whom proved loyal and capable. The Knowledge of Arabic, the language of the court and the administration was the necessary pre-requiste for those who desired good positions in the hierarchy of the state. It was not the Ábbāsids who imitiated the process of the employment of the non-Arabs in the administration. In fact, when the Ábbāsids came to power, employment of non-Arabs was already common practice.(44) This process had progressed so far that the Ábbāsids endeavoured to check it and establish a balance between various elements, an endeavour in which the early Ábbāsids at least proved successful.(45)

There is evidence that the early Ábbāsids encouraged Arabs to settle in the Capital. In addition to the plots granted to Arab individuals, the **Anṣār** and the **Saḥāba,** there were settlements of the Yamāniyya(46) and quarters **(darb)** of Khazā'a(47) the tribe which produced the first Ábbāsid partisans in Khurasā, of Anbāriyīn(48) and of al-A'rāb.(49) There are also other indications that groups from Wāsit, Baṣra and from the tribe of Banī Zūrayq and Ashā'itha had plots in or around Baghdad.(50)

Ȧbdullah b. al-Rabī' al-Ḥarithī, Mu'awiya b. Bakr al-Bāhlī, Ja'afar b. Handala al-Bahrānī, Ḥajib b. Qudāma al-Hanafī, Hārūn b. Sa'd b. Ủqba, al-Ḥajjāj b. Arṭa'a al-Nakha'ī and Abū Bakr al-Hadhalī. The Caliph also attached a number of Ṣaḥāba to his heir al-Mahdī. According to Ibn Sa'd,(28) al-Manṣūr gave him as campanion the Quḍā'ite Abū Sa'īd Muḥāmmad b. Muslim who is later found in the entourage of al-Mahdī's son Ȧlī, obviously to play beside the son the same rôle he had played beside the father. Although Ibn al-Muqaffa' (29) used the term ;**Khāssa** to denote the **Sahaba** as early as the reign al-Manṣūr, it only came into constant use in the reign of al-Mahdī and al-Rashīd. Salm b. al-Ḥārith, al-Mughīra b. Khabīb al-Zubayrī and Isḥāq b. Uzayr al-Zuhrī were among al-Mahdī's Khāṣṣa.(30)

The Ṣaḥāba who were nearly all Arabs, gave early Ȧbbasīd court a predominently Arab character. Their assemblies at the court resounded with Arab historical and literary tales.(31) Abu'l Ȧbbās liked discussions on **Mufākharāt** al-Ȧrab between the Yamanites and the Mudarites.(32) According to Hamdānī(33) he was generous to Orators and men of letters. Before his accession to power al-Manṣūr used to attend literary cicles in Basra and Madīna. As a Caliph he was interested in the **Akhbar and Ayyām al-Ȧrab.**

Though less manificent in this respect than other Caliphs he rewarded their narrators and gave lavishly to poets and even alloted to a number of them plots on the outskirts of Baghdad(34) He appointed Arab literary men such as al-Shargī b. al-Quṭāmī to his heir al-Mahdī ordering them to teach him Arab history and poetry.(35) Al-Mahdī followed his father's footstops in appointing Arab **Ṣaḥāba Mu'addibiyn** to his son Musa (later al-Hadī).(36)

Politically they also played an active part. They figured beside the Caliph at political crises offering their advice. They were present at ceremonies such as army inceptions and **Bay'as.** They competed with both **Ahl Khurasān** and the **Mawālī** for the Caliph's favour and consequently for better states and more influence. It is reported that al-Manṣūr attended the burial services of one of his **Saḥāba** Isḥāq al-Ủgaylī which is said to have infururated **Ahl Khurasān.** When a Khurasānī, Mūsā b. Ka'b al-Tamīmī informed him of the feelings of the Khurasānīs al-Manṣūr cleverly replied "I did that to thank God that he (Ishāq) had preceded me" According to Ṭabarī(39) Abū Ủbaydallah Mu'āwiya noticing the influence exerted by the **Mawālī** on al-Mahdī, chose four cultured Arabs and recommended them as Ṣaḥāba to the Caliph so that to counter act the Mawālī's influence on him. Subsequently

AlManṣūr only allowed his junior sons to reside within the walls of the city. There is also the avenue i.e. **Sikka** bearing the name of al-Ábbās b. Muḥammad. (17) However, a number of the Ábbāsids were alloted qatāi'in the outskirts of the city. Ábd'l Wahhāb b. Ibrāhīm had one facing the Kūfa gate at the bank of the Ṣarāt. Al-Ábbās b. Muḥammad received a plot on which he established a farm called Ábbāsiyya. 'Isā b. Ālī had a **qati'a** south of the city. The plots alloted to the Caliph's sons Suleymān, Ṣālih and Ja'far were situated in the east of the city close to the Tigris, while al-Mahdī had the whole quarter of **al-Ṣharqiyya** in south east of the city. Later in 151/769 al-Raṣāfa was built for the purpose of accomodating him and his retinue. (18)

2. **al-Ṣaḥāba :**

The **Ṣaḥāba** were mainly close Arab associates of the Caliph. Ya'qūbī states that they "Came from many Arab tribes such as Quraysh, the Anṣār (people of Madina), Rabī'a and Yaman." At the court they frequently appeared together with the **Ahl al-Bayt,** the **Mawālī,** and the **Quwwād** (i.e. Commanders). (20) Ibn'l. Muqaffa' describes them as "The Spokesmen (lit. tongues) of the Caliph's subjects and his helpers in his judgements and the elite **(al-Khaṣṣa)** of his people. (21) According to one of al-Manṣūr's **Ṣaḥāba,** it was their task to give companionship to the Caliph, receive delegations visiting the court and lead expeditions against rebels. (22)

Abu'l Ábbās had many Ṣaḥāba such as Abū Bakr al-Hadhalī, Khālid b. Ṣafwān, Ábdullah b. Shabrama and Ibrāhīm b. Jibilla al-Kindī. (23) The first Ábbāsid governor of Egypt Ṣālih b. Ālī sent a number of prominant Arabs such as al-Aswad b. Nāfi' al-Fahrī, Ábd'l-Raḥmān al-Ma'āfrī and 'Iyād b. Ḥarbiyya al-Kalbī as Sahaba to the Caliph.(24) Other names of the Ṣaḥāba of Abu'l Ábbās are scattered in different sources. Al-Kūfī cites two Arab namely Firās b. Ja'da al-Makhzūmī and Ábdallah b. Sa'ad al-Sa'dī, while Muṣ'ab al-Zubayrī states that the Qurayshite Talha b. Ábd al-Rahmān was a close associate of the first two Ábbāsid Caliphs.(25)

The Ṣaḥāba became both more distinct and more active in the reign of al-Manṣūr. According to Ma'an b. Zā'ida al-Shaybānī, who was one of them, there were 700 Ṣaḥāba in the time of al-Manṣūr. They used to enter the court in a certain order of precedence.(26) Sources(27) give a number of their names such as: Ishāq b. Muslim al-Áqaylī, 'Isā b. Ábdullah al-Nowfalī, Ibn Áyyāsh al-Mantūf,

in 136/754 but was later arrested and in 147/764 murdered in prison (6) al-Mahdī (158/775 — 169/785), in his turn, suspected Ábd'l Ṣamad b. Ālī, and put him in prison where he remained until 166/782.(7) He obviously considered him a potential danger to his own and his sons' authority. It should be born in mind that his suspicions were not unfounded, as Ábd'l Ṣamad did join his brothr's rvolt against al-Manṣūr's authority in Syria in 136/753. Hārūn al-Rashīd warned Ábd'l Malik b. Ṣāliḥ in the words: "By God, were it not to preserve **Bānī Hāshim,** I would have cut your throat". (8)

Contrary to what has been said smouldering dissension (9) existed between the family's two main branches, the sons of Ālī b. Ábdllah b. al-Ábbās and the sons of Muḥammad b. Ālī (the ruling branch). But despite these dissensions which rarely became acute, early Ábbāsid Caliphs managed to keep the Ábbāsid family united. Banī'l Ábbās maintained a certain Solidarity in their opposition to other rivals or rebels. In fact, early Ábbāsid Caliphs depending mainly on Ábbāsids for the administration of the empire and army command. In his Risāla fī'l Ṣaḥaba, (10) probably addressed to the Caliph al-Manṣūr, Ibn'l Muqaffa' recomends them to the Caliph praising their integrity and ability. (11) Jāḥiz states explicity that the Ábbāsids were in charge of campaigns of great importance, thus, e.g. it was Dā'ū b. Ālī who advised Abu'l Ábbās to consult Abū Muslim before killing Abu Salama al-Khallal. It was the Banī Hāshim who wrote persuasive letters to Abū Muslim to meet al-Manṣūr before returning to Khurasan in 137/754. The Ábbāsids were placed first in order of importance among the groups recommended by al-Manṣūr to al-Mahdī. He stated: "I recommend your family **Ahl Baytika** to you. You ough to respect them, exalt them and put them beforre others. Then you should be generous towards them and submit the people to their authority and put them in charge of the pulpit. Your glory is theirs and if they are praised it is as if you had been praised." (12) Most Ábbāsids attended the assemblies at al-Manṣūr's court and were on intimate terms with him as they used to come to the court in the evening without bothering to don formal clothes. (13) Naturally, they were not all equally trusted, some, such as 'Isā b. Ālī, Muḥammad b. Sulaymān and 'Isā b. Mūsā in his early years gained the special confidence of al-Manṣūr and were consequently favoured by him. (14) According to al-Haytham b. Ádī, al-Manṣūr was the first Caliph to distribute 10 million dirhams among his uncles assigning one million to each. (15) Al-Mahdī assigned a monthly payment of 500 dirhams to each member of his family and allotted to them the crops of the lands irrigated by Nahral Sila and it was for this rason that the river was called **Ṣila** i.e. gift. (16)

The Composition of Ábbāsid Support in the early Ábbāsid period 132/749 — 169/785

Dr. Farouk Omar

Adopting the out dated but still recognised interpretation of the Ábbāsid revolution (Persian Versus Arabs) several modern scholars (1) have described the early Ábbāsid period as the period of Persian influence. This generalization has to misconception on the character of the early Ábbāsid regime. An intensive examination of the sources reveals the tendency of the early Ábbāsid Caliphs to favour Arabs and Arabian Spirit, and it would be utterly erroneous to assume that the rule of the early Ábbāsid Caliphs was "Persian" in character or tendency and influence. On the contrary, one can observe various groupings and caucuses at the court and in the administration whose common interests and ties with the Caliph had a greater importance than their racial, territorialor social origin. Consequently, they should, therefore, be judged, not in ethnical terms but as groups whose interests and circumstance determined the strength of their allegiance to the Caliph. The lists of the beneficiaries of land distribution in and around Baghdad under al-Mansūr bear witness to this fact. In examining there lists (2) one notices that plots were alloted to individuals or groups who varied among each othr ethnically, terretorially and socially and had only one thing in common, namely their loyalty to the new regime. As the Caliph gave plots in Baghdad only to devoted partisans, the early settlements provide the most **authentic** information of the composition of the early Ábbāsid support. The privileges as well as the rôle played by these groupings will be examined in the following pages:

1. Banī Hāshim :

The term **Banī Hāshim** was, like that of **Ahl al-Bayt,** far from rigid. It was, however, commonly applied during the Ábbāsid period to the Ábbāsids themselves. (3) The Ábbāsids took great interest in the politics of the time and in the problem of succession to the Caliphate. Reigning Caliphs themselves exploited their name(4) by pretending that they had brought pressure on them to nominate a certain successor in order to justify their own choice of a heir apparent.

Some prominant Hashimites even aspired to the Caliphate or were ambitious enough to be suspected by the Caliph. Thus al-Mansūr (136/754 — 158/775) suspected his uncles Dā'ūd b. Álī, Sālih b. Álī, Ismā'īl b. Álī and Ábdallah b. Álī. (5) The latter rose against al-Manṣūr

FOOTNOTES

(1) Keith, **Jonson's Every Man In His Humour** (Oxford 1962), p. 11.

(2) Eleanor P. Lumley, **The Influence of Plautus on the Comedies of Ben Jonson** (New York, 1901), pp. 54 — 55.

(3) Herford and Simpson, **Ben Jonson, The Man and His Work,** I (Oxford, 1954), 353.

(4) William Shakespeare, **I Henry IV,** ed. A.R. Humphrey **The Arden Shakespeare** (London, 1960), p. 43.

(5) **Ibid.,** pp. 39 — 41.

(6) In his famous work, **An Essay on the Dramatic Character of Sir John Falstaff** (1777), Maurice Morgann strongly defends Falstaff against the charges of cowardice.

(7) E. E. Stoll, **Shakespeare Studies** (New York, 1927), pp. 433—434.

(8) William Shakespeare, **I Henry IV,** Act II — Sc. II — L. 71 — 72.

(9) **Ibid.,** Act V — Sc. II — L. 144.

(10) A.C. Bradley "The Rejection of Falstaff", **Oxford Lectures on Poetry** (1909).

(11) William Shakespeare, **I Henry IV,** Act II — Sc. II, stage directions.

(12) Ben Jonson, **Every Man In His Humour,** Act IV — Sc. VII L. 130 — 135.

(13) H. B. Charlton, **Shakespearean Comedy,** (London, 1959), p. 178. He says Falstaff is so adept in the art of extrication that "he revels in creating dilemma for himself to enjoy the zest of coming out triumphantly".

(14) **Ibid.,** p. 178.

(15) Shakespeare, **I Henry IV,** Act II — Sc. IV — L. 241.

(16) **Ibid.,** Act III — Sc. III — line 155.

(17) J. C. Dent, **Shakespeare's Henry IV,** (Oxford, 1962), p. 24.

(18) Shakespeare, **I Henry IV,** Act II — Sc. IV — line 308.

(19) Jonson, **Every Man In His Humour,** Act IV — Sc. VII — Ll. 53 — 55.

(20) Shakespeare, **I Henry IV,** Act III — Sc. I — L. 532.

against the charge of cowardice, and try to look at it from a different perspective. The scene is Board's Head Tavern and Falstaff is now enjoying his part as the moralizing King in the 'play extempore'. He is chastising the young prince for his association with the "fat, old knight". Suddenly this burlesque is interrupted by a knocking at the door, and Bardolph re-enters with the news that "the Sheriff with a most monstrous watch is at the door". "Out, ye rogue", cries Falstaff, who is now preoccupied with his fun, "play out the play: I have much to say in the behalf of that Falstaff."[20] He is aware of his danger, yet he gets angry at Bardolph, because — for his own sake — the latter interrupts him while he is having fun and is thoroughly absorbed in his own world of make-believe. After all, what can you think of someone who, in the battle of Shrewsbury, arms himself with a bottle of sack, while the safety and honour of the Kingdom is in a great danger ? Certainly, he can not fight the stern enemies with drinks. Indeed, it is true that "fighting, to him, is a little more than a game".

The difference between the two men becomes even more obvious, if we take into consideration the intention of the two dramatists. Shakespeare's purpose is to draw a character from real life, whom he expects us to laugh with and admire. He has, certainly, fulfilled this task. We can not but admire Falstaff's readiness of mind, his spontaneity of humour and the high level of his intelligence. Jonson's aim is to draw a satirical portrait of the bragging officer whom he expects us to laugh at and scorn. Jonson has equally succeeded in fulfilling his task. We do not find in Bobadil half the admirable qualities we have seen in his counterpart, Falstaff.

To conclude, Falstaff and Bobadill are two of the most interesting characters in the Elizabethan drama. Both occupy the same position in the plays in which they appear. To the audience, they are a perpetual source of fun, laughter, and merriment. Both have — in different degrees — some characteristics of the Miles Gloriosus type. Falstaff is closer to life than Bobadill, or any of the Elizabethan comic characters. Jonson is trying to portray a type character, with a single dominant passion. On the other hand, it is very difficult to reduce Falstaff to a humour character.

Falstaff's playful humour and his unlimited capacity for fun serve two purposes; the first is that they provide us with boisterous laughs and set us in a happy, carefree mood; the second, which is no less important, is that they establish and secure our sympathy for him. Although he imposes upon the generosity of an ignorant woman, participates in a robbery, uses his official position to make money at the expense of the King's military service, and in an old acquaintance sees nothing more than further opportunity of sefish profit, we do not reject the man as does the young King Henry V. Moreover, we feel sorry, and sympathize with him, forgiving him all his transgressions and debauchery. Indeed, we forgive the man who makes us laugh.

In the case of Bobadill, our attitude is wholly different. He has admittedly, fewer "vices" than Falstaff. Unlike the latter, who soliloquizes and betrays his real character, Bobadill has no soliloquy to expose himself to contempt. Yet, we do not sympathize with him. We laugh at him heartily enough — or as heartily as we can laugh at that which we despise.

Bobadill is, no doubt, an object of satire. It seems that Jonson is even more intent that Downright to humiliate Bobadill. Jonson ever fights pretenders to wit, misers, hypocrites, and other representatives of human foibles, and the type of comedy practised by him is usually called "Comedy of Humours." The word "humour" means a natural bias of the mind. However, Bobadill's "humour" or "ruling passion" is affectation and hypocrisy. Like other Jonsonian characters, who are possessed by humours, hypocrisy and affectation have so possessed him that they have become part of his very soul. His peculiar oaths and military phraseology, his affected reserve and dignity, and even the tobacco he smokes are all but manifestations of his hypocrisy — his dominant passion.

Falstaff, on th other hand, like all true Shakespearean characters, is too human to be a type or to be ruled only by one passion. If we cast a general look at his behaviour throughout the two parts of *Henry I,* an inherent quality in his character will immediately be recognized; his perpetual infatuation with the joy and gusto of youthful life, and his unlimited love for fun and jests. His merry youthful spirit goes beyond that of Symon Eyre of *The Shoemakers' Holiday.* This is, indeed, Falstaff's supreme passion. Let us take one incident which has always been studied to defend Falstaff

insist on hearing Falstaff's explanation, he shouts: "What, upon compulsion - 'Zounds, an I were at the strappado, or all the racks in the world, I would not tell you on compulsion. Give you a reason on compulsion!" If I am not imagining what is not there, Falstaff, when withholding his explanation, is thinking, and at the same time, looking for his way out. Since he can not think of a good extemporaneous justification he pretends to be angry and rages as if he were a truthful man set on fire upon learning that he is not believed: "What, art thou mad ? Is not the truth the truth ?"

Probably, a better example of Falstaff's readiness of mind is the witty answer he makes, when asked by the Prince if the latter owes him a thousand pounds — which he does not. "A thousand pound, Hal", he says, "A million, thy love is worth a million".[15] One can not easily conceive of Bobadill making such a waggish reply when caught in a similar situation.

Just as Falstaff and Bobadill differ in handling difficult situations, they tell their lies for different purposes, and consequently with different results. Falstaff lies with the facility of a man who does not care whether his lies are believed or not, because he does not care for his reputation. He lies with the generous ease of a man who does not expect to be believed by his listeners and cares nothing so long as his lies create laughter. But if they do, by any chance, believe him, the laugh is his, if they do not, the laugh is theirs, and he is too ready to join with them in their mirth.[17] He tells the Prince and Poins a story different from the Gadshill roberry, the event which they themselves had witnessed. He starts his story by telling them that he has killed only "two rogues in buckram suit", then he raises the number till he ends with elven. Nobody can really believe such a "gross, open, palapable" lie, and when, later, all his fables are betrayed, he laughs them off and asks for more fun: "What, shall we be merry ? Shall we have a play extempore"[18] Bobadill, on the other hand, tells young Edward Knowell and the rest a big lie about his past exploits in a rather Falstaffian fashion. He, too, keeps raising the number of those whom he fought: "They have assaulted me some three, four, five, six of them together" [19] While the two characters compare in the way they narrate their "adventures". the great difference lies in their intentions and motivations. Falstaff lies to please the prince and the company. His lies are aimed at creating laughter and mirth, whereas Bobadill's lies are dry. and void of any humour, in the modern sense. He brags and lies to impress other people, in particular the two gulls, Mathew and Stephen, "who are lost in admiration for the great man." It is this lack of humour that widens the gulf between the two men.

A minute later and to Bobadill's panic, Downright re-enters. He loses no time to challenge "Paul's man".

Downright: O, Pharoah's foot, have I found you ?
Come, draw, to your tools; draw gipsy, or I'll thresh you.

Bobadill: Gentlmen of valour, I do believe in thee; hear me —

Downright: Draw your weapon then.

Finally, when Downright finds that Bobadill will not fight, he disarms and beats him leaving him stammering out his ridiculous excuses: "Well, gentlemen, bear witness, I was bound to the peace, by this good day." or again "Sure I was struck with a planet thence, I had no power to touch my weapon".

It is not only Bobadill's cowardice that has just been exposed. Another trait in his character has also been revealed; he is unable to extricate himself from predicaments, and he cannot face embarrasing situations — an ability for which Falstaff has been given much credit.[13]

Upon realizing that he is in a difficult situation, Falstaff leaves no stone unturned to save himself and find his way out. "Circumstance hems him at the corner of a room, and, as his opponents stretch out their hands to lay hold of him, this huge mountain of flesh slips through the key-hole".[14] When the Chief Justice meets him, Falstaff tries to dissemble and divert his attention; when Hal and Poins face him with his big lies about the Gadshill robbery, he cleverly says: "By the Lord, I knew ye, as well as he that made thee". Moreover, he pretends to be dead in order to save his life.

Bobadill can not even cover his retreat properly. His attempts to save his face have the reverse effect. His excuses do nothing except expose more and more his absurdity and cowardice. His unconvincing excuse that a "planet struck" him reveals a superficial and childish way of thinking. He has such a shallow mind that it is almost an abuse to compare it with that of Falstaff. Let us now watch Falstaff's mind in action, and see how it works.

Falstaff tells Hal and Poins about his "exploits" at Godshill: "Seven of the eleven I paid".[15] A minute later, he adds that: "It was so dark, Hal, that thou couldst not see thy hand". There is, undoubtedly, some discrepancy, if not contradiction, in his story. When Hal and Poins

deceives his enemy, that sprightly Scot of Scots, Douglas, "that runs a-horseback up a hill perpendicular", by feigning death when his life is in danger. He, therefore, passes this test. Falstaff's attitude towards war, death, and honour throws some light on the question of his courage. His memorable statement that "honour is a mere scutcheon" [9] is not that of a coward because it was said after careful calculations and consideration.[10] Fasltaff's sole objective is to enjoy life in every possible way, therefore he is not prepared to throw away his life for honour's sake. Indeed, there is a good deal to say ăgainst that honour which endangers one's life.

But Falstaff does not keep his arms folded when he realizes that he has to fight. Of all the robbers at Gadshill he is the last one to run away when the Prince and Poins attack them. He exchanges "a blow or two" [11] before he leaves the plunder behind him. It is rather unfair to blame Falstaff for his escape. He has no other alternative. Bardolph, and Peto leave him alone to fight two men. A Bobadill, placed in Falstaff's situation, would, probably have collapsed or asked the two disguised men to respect the law! Bobadill does not fight even if he is forced to. One needs not look hard for evidence to prove his cowardice. One obvious proof is his fall when Downright rushes in, and beats him, leaving him humiliated.

While Bobadill was bragging of his swordmanship and offering to settle the affairs of Europe by associating with himself nineteen other Bobadills, and challenging any army of forty thousand men, in comes the valiant Downright. Earlier in the play, Kitely interceded with Downright and prevented him from laying hands on Bobadill. There is no Kitely this time! Bobadill's courage is brought to the test. And in order to pass test, he has either to fight or make his way out of this ordeal: Let us watch the scene as closely as possible:

"E. Knowell: 'God's so, look where he (Downright)
is! Yonder he goes.
(Downright walks over the stage)
Donwright: What peevish luck have I, I can not meet with
these bragging rascals?
Bobadill: It's not he, is it?
E. Knowell: Yes, faith, it is he."[12]

However, when both Mathew and Stephen assure our Captain that it was Downright whom they just saw, Bobadill tries his utmost to hide his cowardice. He boasts that "Had I thought it had been he, he must not have gone so: but I can hardly be induced to believe it was he yet".

Others think that Falstaff, ultimately, derives from the parasite of tradition. "Iago has been called the culmination of the fatal parasite, Falstaff of the comic."[4] Still, others qualify him as a Fool for his comic braggadocio, inventiveness of idea, dexterity with words, mock moralizing, absurd actions and his liberation from convention. Other source-seekers go a step further, and identify Falstaff with a man from real life, Sir John Oldcastle (1378 — 1417), High Sheriff of Herefordshire, who became Lord Cobham by marriage in 1409.[5]

Although there is a good deal of truth in each of these interpretations, Falstaff does not wholly belong to any of them. He is, indeed, a "rich amalgam", and any attempt to classify him, in the way Bobadill is classified, will not stand the test. It has been said that it is does not apply to the question of his origin, it certainly does to the never-ending debate about his courage. We are going to test Falstaff's never wise to talk too confidently about Falstaff. If this statement courage and contrast it with that of Bobadill.

Since the days of Maurice, Morgann,[6] literature on the question of Falstaff's courage has steadily increased. Indeed, with the possible exception of Hamlet, Falstaff is the most discussed and debated character in Shakespearean drama. It seems that there will never be a final word about this man ! However, it is difficult to claim courage for Falstaff. Yet, he is not a traditional coward, though he shares some qualities with the Miles Gloriosus type and is placed by Shakespeare in similar situations.[7] His bragging of his exploits after the Gadshill robbery is identified with the Miles Gloriosus braggadocio. At Shrewsbury he, once more, brags of his imaginary fight with Percy which made him "down and out of breath". Falstaff takes "Colville" a prisoner though "it was more of the (latter's) courtesy than (Falstaff's) deserving. He quarrels with a woman, the ignorant hostess of the tavern." These situations are particularly traditional.

Yet, Falstaff has many qualities that detach him most sharply from the braggart soldiers of tradition. Unlike them, he has enough courage to acknowledge and declare his own cowardice and even jest about it. He frankly tells the Prince that he has more frailty than other men, and when Hal once calls him a coward, Falstaff readily replies: "Indeed, I am not John of Gaunt, your grandfather"[8] If we agree that cowards do not admit their cowardice, Falstaff is then on the safe side, or at least he is not an ordinary coward.

War is but a trick, and a man who can deceive his enemy in the war and escape a possible death is no coward. Falstaff victoriously

Critics and literary historians, who are anxious to stress the classical origin of English drama, tend to give both Falstaff and Bobadill a common ancestor in the Miles Gloriosus of Latin comedy. In the case of Babadill they are, admittedly, correct, for Jonson's comedies are, certainly, of the classical type. His aim is realistic, satirical; it is to expose and ridicule various laughable types of humtnity. "As Aristophanes exhibited the litigious old gentleman in *The Wasps* as Moliere devoted one play to the Miser, another to the Hypocrite, a third to the Misanthrope; so Jonson in *Every Man In his Humour* follows his master, Plautus, in holding up to scorn the Miles Gloriosus".[1]

In her brilliant dissertation on *The Influence of Plautus in the Comedies of Jonson*, Eleanor P. Lumley asserts that Jonson was familiar with the plays of Plautus and that he had him continually in view. However, to Lumley, Captain Bobadill is a tasteful moderate and inventive imitation of the extravagant Miles Gloriosus[2] He is, indeed, one of the best known of the characters that owe their creation to the bragging officer. He belongs to that army to which the Miles Gloriosus of Plautus, the Traso of Terence and the Ralph Roister Doister of Udall belong.

But, it must be admitted, that Bobadill is not a "replica" of the Miles Gloriosus. He has certain qualities that distinguish him among or rather detach him from the traditional braggart; the affected reluctance in response to persistent questioning about his impressive feats, the icy cold with which he delivers his boasts, and the good citizen's plea for submission to law and order, instead of the noisy swagger, are some of the new qualities that Jonson introduced to the bragging soldier of tradition.[3] It is for these innovations that Herford calls and classifies Bobadill as a new-style Miles Gloriosus.

While Bobadill can be classified as a type, Falstaff, on the other hand, transcends arbitrary classifications, and probably has no source other than life as Shakespeare saw it. Many attempts have been made to trace his character back to its origin. Critics have different views about it and there have been many theories about the immediate ancestor of this man.

Apart from the Miles Gloriosus type to which many critics attribute — most of them with reservations — the broad lines of the character of Falstaff, some critics hold that his character is sketched in the morality tradition, so that the Elizabethan audience would recognize in him the familiar vice-qualities of gluttony, idleness and lechery.

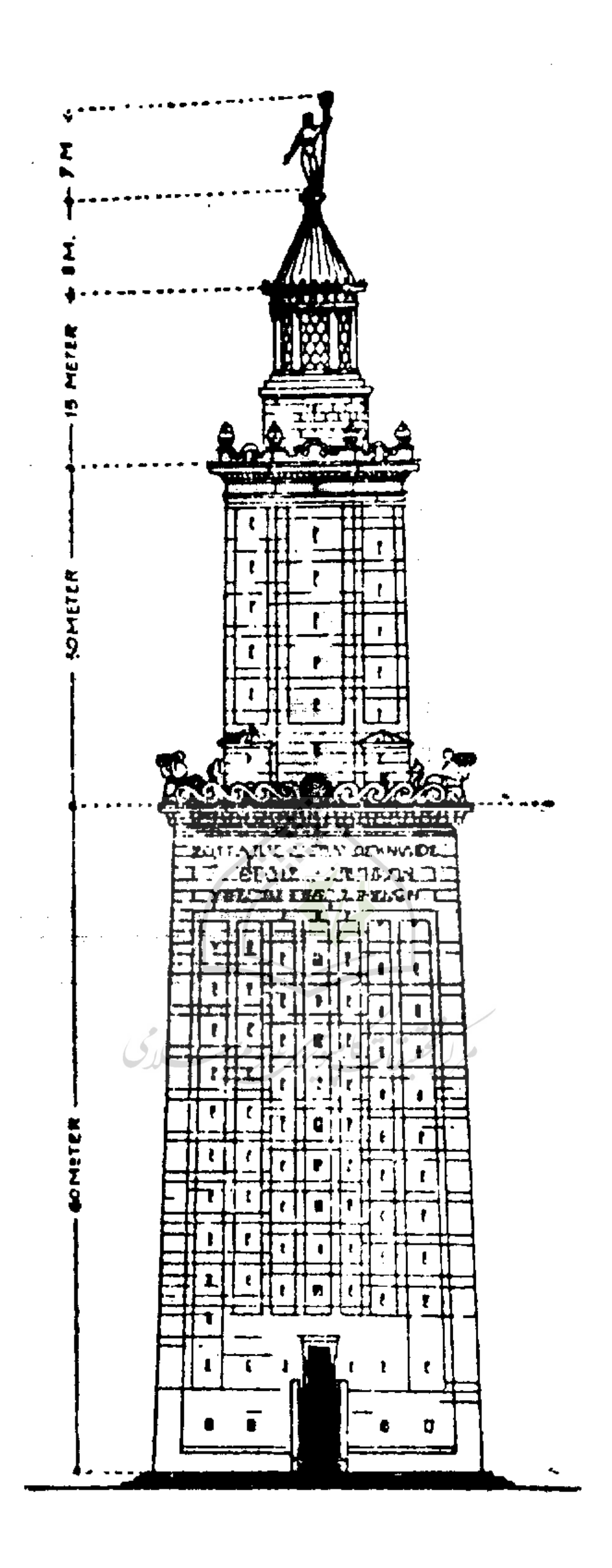
BOBADILL AND FALSTAFF
A COMPARATIVE STUDY

Dhia Aljubouri
English Department

This study is primarily intended as a comparison and contrast between two great characterts: the first is Jonson's most living character, Bobadill, and the second is a Shakespearean giant, Sir John Falstaff, with whom almost everyone who knows Shakespeare is acquainted. I shall try to show what each character does, when the light is turned upon him, and how each reacts when palced in difficult situations. In this way, we can make a fair evaluation of their characters.

Undoubtedly, the two characters share some common traits. Both of them tell lies and brag: Bobadill is the first man that enters the breach at Strigonium, and puts the Moorish gunners one and all "pell-mell to the sword", Falstaff fights at Gadshill with the men in buckram suites who, within five minutes, increase in number from two to eleven. The two men are parasites; they manage to eat and drink at the expense of other people. Bobadill has his "Tib", who has lent him money "out of her purse, six pence a time"; Falstaff has his "Quickly" who has lent him "four and twenty pounds", his "Shallow" who has lent him a thousand pounds which Falstaff promises to pay back when the young King sends for him "in private." The two men hold our major interest in the plays in which they appear, although they are not meant to be the protagonists.

But the two characters are entirely different. There is as much difference between them as there is between Shakespearean and Jonsonian comedy. While Bobadill is a dramatic creation, Falstaff is dramatic as well as real. The appeal of Flastaff's character to the reader is far stronger than that of Bobadill's. This is due to Shakespeare's mature artistry and great skill of fusing the dramatic with the real. Bobadill is a "humour" character, not of life; Falstaff — despite his infatuation with fun and jests, an inseparable quality in Falstaff's character that brings him close to the "humour" characters — is human, a character of life. However, the similarities between the two characters do not go beyond the surface. It is my intention, here, to point out and illustrate the great differences between these two characters.



The Pharos, as restored by Thiersch.



Qayrawān : **Minaret of Great Mosque** (Creswell)

was 124 m. The square storey was 60 m., the octagonal 30 m., and the cylindrical was 15 m.[1]

Thiersch noted the influence of the Pharos on this minaret [2], especially in the receding storeys, but his statement that the stages of the two towers were similar, and that the upper reconstructed part of the minaret might have had the same cylindrical shape as that of the Pharos does not seem to be acceptable.[3] There is no similarity in the storeys, except for the base which was of quadrangular shape. All the Medieval sources as well as Thiersch himself admit that the storeys of the Pharos were: squared, octagonal, and cyllndrical respectively, while this minaret is all of one squared shape. Even if the upper part was cylindrical, the similarity would still not exist. It seems very likely that such influence was restricted to the individual storeys as well as to the huge base. However, Syrian influence can also be detected in this minaret. It is a plain tower similar to most Syrian ones, and the treatment of its entrance, a lintel surmounted by a relieving arch, the span of which is blocked, is a feature to be found in numerous examples in pre-Islamic towers in Syria.[4]

The inclination which is found in the lower storey of this minaret may also be due to Syrian influence, though it also could have come from the Pharos. This feature can be found in various types of Syrian towers. The crenellations installed on this minaret may also indicate Syrian influence.[5]

---

(1) Cf. Creswell, **op. cit.,** II, p. 242; Schneider **(Op. cit.,** p. 123) records the heights as to have been 370 ft. or 590 ft.

(2) This theory has been opposed without satisfactory evidence. Cf. Creswell, op. cit., I, p. 329; **The Muslim Architecture in Egypt** (Oxford 1952 — 59) II, p. 246.

(3) Thiersch, H. **Pharos, Antike, Islam und Occident** (1909), pp. 123 — 6.

(4) Butler, H.C. **Ancient Architecture in Syria** (Leiden 1907 — 15) II, B. pp. 12, 21, 65 f., 103 f., ills. 8 f., 65 f., 122, Cresswell, **E. M. A., I,** p. 328.

(5) Cf. De Vogii, C.J.M., **Syrie centrale : architecture civile et religieuse** Paris 1865 — 77), Plates: 107, 120, 138, 140.

"Approximately half of it is squared in shape, built with white stone forming about 110 cubits. Beyond that it is octagonal, built with bricks and stucco for more than 60 cubics, and round it there is a space in which one can roate. Its top is cylindrical".[1]

This description may refer to the restoration of Ibn Tūlūn. However, in Ramadān (955 / 956), a severe earthquake removed about 30 cubits of its height.[2] It seems to have been restored since Ibn al-Shaykh who died in 1208 A.D. described it as having three storeys. The last two storeys had staircase instead of plain ramp.[3] This tower was again restored in 1274 A.D., and 1303 A.D.[4] At his second visit to Alexandria, Ibn Battūtah (1349) records:

"It was so badly damaged that it was impossible to inter it or ascend up to its door".[5]

This was not the end of the Pharos, as Cresswell explains.[6] Al-Maqrīzī records that in 1375 A.D., another earquake removed its upper part.[7] This may suggest its restoration between Ibn Baṭṭūṭah's visit (1349), and the latter earquake. The square part, at least, was standing at the time of al-Maqrīzī (1427).[8]

In his monumental book, the Pharos, Thiersch dealt with all the available material, and made reconstruction of the tower at different periods throughout the Middle Ages. He suggested that the total height

---

(1) **Op. cit.,** p. 47.

(2) **Op. cit.,** p. 48.

(3) De Asin, Art, "The Pharos of Alexandria" **Preceedings of the British Academy,** (1933), XIX, p. 7.

(4) Maqrīzī, **Khiṭaṭ** (Būlāq 1270), I, p. 158.

(5) **Riḥlah** (Paris 1853 — 1858), I, p. 30.

(6) **E. M. A.,** II, p. 246.

(7) **Op. cit.,** I, 156; Bulter. A.J. The Conquest of Egypt (Oxford 1902) p. 397.

(8) **Op. cit.,** I, p. 158.

THE ORIGINS OF AL-QAYRAWĀN MINARET

Ghazi Rajab Muhammad
(Ph. D.)

The shape of this minaret seems to be innovation as compared with the early Syrian minarets. It is more comparable with a pyramid of three receding individual storeys built one above the other, the lowest one of which is higher than the height of the above ones together. It is very probable that the new shape was influenced by the Pharos of Alexandria which was well known at that epoch.

Before proceeding further, it is relevant to examine the condition of this outstanding tower, the Pharos. There is no doubt that the Pharos was in a dilapidated state when the minaret of al-Qayrawān was built, but it was still standing there and the Arabs were greatly effected by its characteristics.

Several of the Arab writers have fully described the Pharos as to have been built of three successive storeys, namely: squared, octagonal, and cylindrical. It was started by Ptolemy I, and completed by Ptolemy II in 280 — 279 B.C.[1] It seems to have been perfect at the time of the Arab conquest, but in al-Walid's time, it was probably badly damaged.[2] However, in 796 A.D. the upper part was destroyed by a severe earthquake.[3] In 875 A.D., Ahmad b. Tūlūn "restored part of it, and made a simple wooden dome on it. The ascent to this dome from inside is tiresome without steps".[4] The western corner of this tower fell into ruins, and was restored by Khumārawayh.[5] Al-Mas'ūdī in 934 A.D. described the Pharos as to have been of three storeys :

---

(1) Schneider, W. **Babylon is Everywhere,** Trans. from German (London 1963), pp. 123 f.

(2) Mas'ūdī, **Murūj al-Dháhab** (Paris 1861 — 1871), II, pp. 434 ff.

(3) Ibn 'Idhārī, **Al-Bayān al-Mughrib** (Paris 1930), I, p. 89; Ibn al-Athīr, **al-Kāmil,** VI, pp. 104 f.

(4.) Mas'ūdī, **Al-Tanbīh wa al-Ishrāf** (Leiden 1894), p. 48.

(5) **Op. cit.,** p. 48.

ever be able to evolve to a more mature state of being. Yet if Golding has written his book after being inspired by the events prior and after World War II, we expect him now to make his protest more aduible to those governments and institutions who are practising all sort of savagery, perhaps more freely than ever before.

BIBLIOGRAPHY:

1. J.J. Gindin-Postwar British Fiction. Cambridge University Press.
2. J.J. Karl. A Reader's Giude to Contemporary English Novel. Thames and Hudson.
3. Peter Green. The World of William Golding. A review of English Literature, April 1960.
4. The novels of William Golding. International Literary annual, III, 1961.
5. C.B. Cox. The Lord of the Flies (Critical Quarterly vol. II, No. 2, Summer 1960).

him forget the matter. Whereas Ralph here is trying to convince himself that Jack cannot be as bad as that. Ralph's good-heartedness is the reason why he thinks well of others. But this alone is not adequate to abolish evil. Although the boys were leading a chaotic life, Jack remained an absolute power and authority. He gave orders and was obeyed. No one ever dared to question his orders. But when at the end the naval officer asked them who was the officer, Ralph loudly replied that he was. Jack here, no more than "a little boy who carried the remains of a pair of spectacles at his waist",[32] moved forward to challange Ralph's supremacy but he changed his mind and stood still. The force of law and order which Ralph represents are once again in control. But this happened only because an adult was present. To Ralph the adult world was majestic, and adult supervision was a necessity to restore order on the island. He very well knew that Jack's authority was not legal and that he was leading the boys to something brutal, but he kept quiet and was unable to show Jack that he was wrong. Jack too, knew that Ralph was protected by the officer and bitterly accepted the fact which was once pronounced by Piggy, 'What's right's right'. He might have also realized the defects of his behaviour when he began with Ralph and the others to shake and sob. Ralph wept 'for the end of innocence and the darkness of man's heart and the fall of the true, wise friend called Piggy.'[33] Ralph was of course sorry to see his 'good' island has turned into a burning wreckage, and sad to remember his good friend who always helped him with his ideas. But he was quite unconscious of the fact that his existance as well as the others' was perhaps more threatened after the rescue. the rescue ironically explains that such a destructive force as this warship is to rescue the boys from an expected ruin.

Golding, as I have said before, offers no solution to the problem he presents. Human nature is what it is and there is no way to change it. His vision may somehow be accurate for the great wars of the century are proof enough. We may not agree to all he says, but knowledge of the problem is a great step towards finding a solution. Therefore such reminders as Golding's are sometimes necessary, and it is only through paying attention to the warnings of such people that we shall

---

(32) Ibid P. 247.
(33) Ibid P. 248.

some saints and prophits. Even his death may also bear the implication of a sacrifice. Like other saints and prophits he has sacrified his life so that others may live.

Shortly after Simon's death another boy, Piggy, is to die too. He represents the power of thinking in man. But because of his physical defects, (his being fat, his shortsightedness and his asthma) his voice is never heard. He is always bein laughed at and is always subject to Jack's attacks and cruelty. When Jack and his followers steal his glasses he becomes furious. He realizes Ralph's physical incapability and tells him that Jack "is the only one who ever got anything done."(27) Then a plea for right and justice is made: "I am going to him [Jack] with the conch in my hands. Look I am going to say; you're stronger than I am and you haven't got asthma. You can see, I'm going to say, and with both eyes. But I don't ask for my glasses back, not as a favour. I don't ask you to be a sport, I'll say, not because you're stronger, but because what's right's right. Give me my glasses, I'm going to say-you got to!"(28)

Unfortunately Piggy proves unequal to the task. And this may indicate the inability of reason to confront the irrational in our big world. It may also imply that reason must be combined with other faculties to operate effectively. Piggy is rejected because of his physical unatttractiveness. Similar excuses are given in the adult world such as race, colour, and religion, for any sort of rejection and persecution. Piggy is killed and the conch is destroyed by a big rock levered by Roger from the top of the mountain. Jack witnesses the murder and threatens Ralph, his rival, to keep away: "That's what you'll get! There isn't a tribe for you anymore. The conch is gone and I'm chief."(29)

Ralph sadly sees that ideals are crushed and evil triuphs, and in his suffering he asks himsel; "Gosh what have I done? Cos I had some sense!"(30) It is also an irony that he should use Piggy's words "It was an accident"(31), when the latter was killed. But when Piggy told Ralph that Simon's death was an accident, he simply tried to comfort Ralph and help

(27) Ibid P. 209.
(28) Ibid P. 211.
(29) Ibid P. 223.
(30) Ibid P. 229.
(31) Ibid P. 227.

is that he traces all the defects to man's nature without giving any solution. To him man is "heroic and sick".[24] Man's heroism is shown in displaying physical ability and prowess. Jack is a hero and is able to sustain his life and the lives of his followers on physical basis. Yet they all live in fear. Mentally and spiritually they remain sick. Religiously, this may indicate that human soul, regardless to man's physical capability is unable to free itself from fear without faith and reliance upon God or any spiritual help and guidance. Unconsciously, Jack feels that they should leave the head of the sow as a gift to appease the beast, which may stop him from harming them. This primitive sacrifice does prove that even the strongest of all men may often seek refuge in matters of such nature. Killing a sow while suckling her babies is savage; it is a violation of nature, and leaving the head on a pole is repulsive though, it does show a spiritual and superstitious servitude. The head becomes later a symbol of man's cruelty and corruption. When Simon sees the head he becomes sick. While having one of his fainting fits, he hears the head's wodrs, "I am part of you ... and I am the Beast, aren't you afraid of me. We are going to have fun on this island! So don't try it on, my poor misguided boy, or else we shall do you."[25] This is a warning of man's cruelty and is also a very grim prophecy. The pronoun 'we' does include everyone. Simon later climbs the mountain in the dark and discovers that the bulging figure they all feared is only a decayed man in aparachute, "ugly but harmless".[26] Exhauseted and unable to carry himself on his feet, he crawls down to tell the boys about his discovery. The boys at this time are dancing and having their usual ritual while the blows of rain and thunder are falling on them like a gigantic whip. They are shouting hysterically, and their screams are mixed with the noise of rain and thunder. Simon stumbles into the circle, his cries are faint against the abominable noise. Seein the crawling figure inside the circle the boys fall on it with their sticks and barbarously kill it. Simon's body rolls down the steep rock into the sea.

Simon represents mysticism in man. His quiet submission, his fits, and his solitary walks are things which remind us of

(24) Ibid P. 128.

(25) Ibid P. 178.

(26) Ibid P. 181.

away. Ralph asks him whether it is safe to go hunting a beast with sticks, which Jack takes as a joke, makes fun of him, and accuses him of being a coward.

To the frightened boys, Jack then is a perfect leader who promised to protect them. Ralph rational ideas and plannings are not effective; they are not heard by the frightened children. Instead they are reduced to cowardice. Jack later finds out that playing on the children's fear of the unknown is perhaps a good means to win the children's support. At first he laughed at them when they started dreaming and imagining things. He told them, "You're a lot of cry babies and sissies,"(21) Later, and after Simon's death, he told them to be on the watch for the beast might come disguised. When one of the little boys doubtfully asks him, "But didn't we kill the beast?" Jack sharply answers "No! How could we kill it? Remember how he crawled?"(22) The children remain in doubt and they find themselves tied up to Jack, their only protector. Doubt and fear of the unseen are normally harmful to individuals, and this may often cause an irrational attachment to a person or to a force which, in their view, is capable of protecting them, though this force may often engulf and destroy them . Jack represents this force and thus he appeals to the boys on emotional rather than rational basis. Playing on the children's fear of the unknown and later creating and enemy which does not exist, he was able to win more followers. Their chanting, "Kill the beast, cut its throat....", which becomes later a kind of ritual is also a good means to bring the boys together when they become distorted. This may somehow reveal Jack's disability to control the boys except by whipping them into such a noisy and frenzied ritual. This primitive and irrational way of emotionally stirring up the mob is the practice of some politicians and leaders. Golding perhaps is attacking such institutions and indirectly, has pictured them as an obvious return to the law of the jungle. Jack is somehow of such a mould. In his attempt to destroy the imagined beast or enemy he succeds in making the boys follow him blindly. But who is the enemy? this may find an answer in Simo's words, "Maybe its only us."(23) The author is able to show the defects and shortcomings of such political tricks. But what makes his attack more biting

---

(21) Ibid P. 103.

(22) Ibid P. 198.

(23) Ibid P. 111.

rather some aspects of human personality, and collectively demonstrate the functioning faculties of a single human being. Ralph, for example, after being able to wound a pig admits that "hunting was good after all".[17] When he and Piggy know that Jack and his followers are having a feast, try, with dribbling mounths, to find an excuse to go to them and ask for some meat, forgetting that they have always been against the idea of hunting. Such weakness is normal and it is charming to see that even the most sensible and the most rational may at times find himself unable to defeat such instincts. The children's behaviour up to this moment is normal; their games and their disputes are things characteristic of all children regardless to nationality, race and background. But the real problem starts when the children start having bad dearms and nightmares. Here Jack's physical ability asserts his superiority. To the little children, he is a better leader. He who was able to kill a pig and give them meat may be able to confront the imagined beast and kill it. Jack overmastering urge to lead finds an occasion to operate. The arrival of the dead parachutist (another symbol of destruction and brutality) is another factor which helps Jack advance to absolute power. At a moment of distress, Ralph, Piggy, and Simon, wish to have something grown-up to settle their problems. "If only they could send us a message. If only they could send us something grown-up, a sign or something,[18] Ralph desperately says. The wish, however, is answered and a message comes in the shape of a dead man. Ironically enough it conveys the brutality of the adults who, to these children, have always been perfect.

The twins, Sam and Eric see the dead man caught in the trees and because it is dark, they only see a bulging figure which frightens them. When they report the news to Ralph and the others, they all become frightened and distorted. The two boys give the bulging figure claws and teeth. They even imagine that it followed them and almost touched them.[19] When Jack hears this, he cries. "This will be a real hunt!"[20] and invites the boys to follow him and start the hunt right-

(17) Ibid P. 140.

(18) Ibid P. 117.

(19) Ibid P. 124.

(20) Ibid P. 125.

evil may sooner or later be defeated and that the good may regain power as Ralph did at the end of the novel. Although the author has shown enough of the evil in man represented by Jack, yet he has given us hope by making his good characters, Ralph, Piggy and Simon, stand so firmly in the face of evil, and made them immune against it. This may somehow contradict the view of some modern thinkers who believe that civilization has a corrupting influence upon some individuals. Although the boys were brought to this island as a result of a nuclear war and were rescued by a warship engaged in a most savage manhunt, yet Ralph was able to achieve a higher ethical standards by sticking to the civilized codes he has learned at home. The standards of civilized behaviour, though sometimes deficient, are the only thing which restrain human individuals from a life of utter barbarism and degeneration. The orderly and refined instincts remain with Ralph and his good friends until the end. Ralph's statement, "The rules are the only thing we've got", is a sufficient proof. Almost all the boys show traits which make us convinced that they are products of a civilized society. Ralph and Piggy blew the conch (a symbol of law and order) to call other children. This however may remind us of the school bell. Later they elect a leader by voting, a very mature and refined way of organization. In other words they are abe to make use of their experience as school children. Even Jack shows a sense of decency and refinement when he apologizes for letting the fire out, and also by telling the boys, "We've got to have rules and obey them, after all we are not savages. We're English; and the English are best at everything."(15) Being English is then synonymous with being refined. It later appears in the officer's words, "I should have thought that a pack of British boys -you're all British aren't you? -would have been able to put a better show."(16)

The officer is shocked to hear that two boys were killed and a third, Ralph, is now chased to the same end. He is completely unconscious of the fact that he himself is conducting a most savage hunt. This sort of dualism has appeared in the character of some of the boys, which may efficiently prove that each human individual is an assemblage of opposites. The boys then are not representing types of individuals, but

---

(15) Ibid P. 55.
(16) Ibid P. 248.

may here represent two distinct archetypes of mankind in relation to food economy, the food gatherers and the hunters. Food gatherers are equated with civilzation, reason and democratic organizations. The animal-killing hunters, on the other hand, are equated with barbarism and tyranny. Man cannot remain peaceful and flesh eater at the same time. As his hunger grows, so does his aggression and ambition; and eventually he plots against man and becomes man's enemy.[13] The fact that Ralph has been chief means that Jack has to destroy him in order to establish his chieftainship permanently. It was then his ambition which motivated his vicious acts. But Jack is not to be blamed for wanting to be chief, for he actually was a head boy and a prefect when he left home, and he wanted to be so ever after. He did have his choir with him and those were expected to elect him because they knew him. Ralph was a complete stranger to all, but he was liked specially by the little ones. when the election took place, the choir boys raised their hands for Jack with "dreary obedience" while the rest wanted the "one with the trumpet thing."[14] Ralph is elected, and as a sort of compensation, appoints Jack the head of the army which the latter angerly accepts, and later suggests that he and his choir are to be called 'Hunters' instead of 'Army'. The hunters are also responsible of keeping a fire on the top of the mountain as a signal for the passing ships which might come to rescue them. These boys demonstrate all kinds of human traits and ambitions while struggling to survive. Their behaviour may seem shocking to some readers who do not like to see their children the way Golding has pictured them. Religious readers do not want to contradict the essential idea of Christianity that "Child is incarnation of innocence". Yet it may not be as shocking to those who, like Golding, believe that evil is with us from the moment of birth; it is not learned or sufficiently restrained by law and civilization since such laws has proved ineffective. It is true that the wars and the political tension may somtimes make it difficult for us to argue with Golding thesis that 'Man is inherntly evil'. But we cannot possibly look at it only from one angle, and thus label all humanity with what is characteristic of some individuals. The wars are threatening our life and our children's future, and those who encourage them are evil. Yet we have to be more optimistic and hope that such

(13) **Study Master:** notes on Lord of the Flies.

(14) **Lord of the Flies,** Faber Ed., P. 30.

self consciousness and become at liberty to do things which have in the past been subject to the rules and inspection of their civilized background. Jack represents evil and tyranny in man, and very actively demonstrates such vicious traits. But if man is evil, he is also good. Ralph here represents the good in man, and stands, with his two friends Simon and Piggy as an antithesis to Jack. In their effort to confront Jack, they demonstrate what is good and rational in man. They remain clothed and always try to tidy up themselves and be different. Ralph once looked at the filthy boys and sighed, "We ought to comb our hair. Only it's too long."(6) He sadly said when he realized his failure that the rules were the only thing they've got. Piggy bitterly told the boys about the importance of discipline, "What are we? humans? Or animals? Or savages?"(7) These boys understood too well the liberation that the concealing paint brought. "Well we won't be painted . . . because we aren't savages," Ralph said.(8) Later, Ralph tears off his colthes violently, the last physical connecting link with civilization, but this may not carry with it the accusation of the return to savagery, for he puts on his clothes almost as quickly as he has removed them. Despite the inconvenience of putting on the old filthy clothes, he finds, "to put on a grey shirt once more is strangely pleasing."(9)

Little by little, the boys are completely won over by Jack, and ofter the death of Simon and Piggy, Ralph's position is reduced to that of an outlaw. Jack plans to chase and kill him for he is now the only object which threatens his authority. But before he does that a naval officer suddenly appears and rescues them

The boys are rescued but it was Jack's fire which was seen by the officer not Ralph's. Rescue was the most important thing to Ralph; his first dispute with Jack was because the latter was more interested in hunting. "They Let the bloody fire out,"(10) he furiously tells the boys after seeing a ship in the horizon. He also tells the boys, "Can you see we ought-ought to die before we let the fire out?"(11) Jack with audible antagonism answeres, "but we want meat."(12) Ralph and Jack

(6) Ibid P. 212.
(7) Ibid P. 113.
(8) Ibid P. 212.
(9) Ibid P. 20.
(10) Ibid P. 85.
(11) Ibid P. 101.
(12) Ibid P. 65.

"Lord of the Flies" is a story in which a group of English schoolboys aged between five and twelve are evacuated by air to a place of safety during a nuclear war. Their plane crashes and the boys are stranded on an uninhabited tropical island. The author then demonstrates how he thinks these children would behave while completely cut off from the supervision and protection of grown-ups. At first, the boys are able to maintain and organize themselves under their elected leader, Ralph. The island is exciting to all of them; it is full of things they have read about in books. There are plenty of fruits on the trees which the smallest boy can reach without difficulty, and which remain for sometime the only food supply available. They seem to be content and happy, but soon most of them relapse into a form of primitive savagery under the leadership of Jack, a very aggressive and arrogant boy. For reasons lying deep within his personality, he challanges Ralph's leadership and succeeds in userping power and establishing a tribe based upon his own unquestioned principles. The island excites him in a different way." We'll hunt and feast and have fun," he cries.(3) The daily routine suggested by Ralph, and the duty assigned to him become boring and colourless. The fruits become sickening and diarrhetic and not a sufficient substitute of the meat they were used to have at home. The idea of rescue loses its urge and meaning. Jack's enthusiasm for adventure carries him and his followers beyond anything civilized and human. Slowly and horribly, they degenerate into savagery; the school codes give way to war paint, bestiality and ritual slaughter, and the book of childhood magic slide into a shocking allegory. Jack and his choir who once sang like angels become hunters and killers. He, who at first found it difficult to stab a pig "because of the enormity of the knife descending and cutting into a living flesh..", finds later that slaughtering pigs is a lot of fun.(4) When rules and dsicipline are discussed he appears no less civilized than any of the boys. He so openly says, "I agree with Ralph, we've got to have rules and obey them, after all we're not savages. We're English."(5) But he, later, is the first one to disregard the rules and the conch (a symbol of order). In other words, Jack and those who followed him become naked except for the paint of their new existence. By painting their faces they free themselves from shame and

---

(3) **Lord of the Flies,** Faber school Edition. P. 174.

(4) Ibid P. 41.

(5) Ibid P. 55.

"EVIL IS INHERENT IN MAM"

An Interpretation of William Golding's Novel "Lord of the Flies".

By: SUHAILA ... AD NIAZI, College of Arts, University of Baghdad.

This novel which was first published in 1954, is perhaps the most widely discussed book in the last twelve years. It is one of those uncommon books which can be given several interpretations and be subject to controversial levels of analysis. The book is symbolic in nature, and the author admits that it has a profound psychological and philosophical overtones, but declines to discuss anything in detail.

It is possible to say that what makes the book so unusual is Golding's uncompromising treatment of evil, a subject of so much concern to the twentieth century man who has survived two world wars and lives in continued fear of a third. He may be credited with raising such a problem, and classed with writers like Emile Zola, Upton sinclair and George Orwell, who have awakened the public conscience to the problems of their time. In an iterview with a reporter from the *New York World Telegram and Sun,* printed on December 3, 1963, Golding insisted that the novel's primary purpose is to serve as a warning of man's potential for brutality to his fellow man. He said, "I learned during World War II just how brutal people can be to each other; not just Germans and Japanese, but everyone."(1) Golding here is looking back to the times he lived and fought through in the Second World War, when he witnessed all kind of inhumanity and persecution. He later wrote in a questionaire for Coward McCann, his american publisher, that the theme of his book is an attempt to trace the defects of society back to the defects of human nature.(2) To him the shape of a society must depend on the ethical nature of the individual and not on any political system however apparently logical. But what Golding himself has said should not affect our own investigation, for what an artist thinks of his work is not what he actually achieves. Golding's book, I may say, does not very much support his thesis that "Evil is inherent in man", for he does show us, whether consciously or unconsciously, that man is not always evil.

---

(1) **Notss on chosen English texts.** (General Editor: N.T. Carrington M.A.) J. **Brodie Ltd.**

(2) **Study Master Publication. Lord of the Flies. New York, N.Y.**

canto of the "Fairie Queene" might vivify this thesis.

Milton- "O fountain *Artheuse*, and thou *honored flood*,
Smooth-sliding Minicus, crowned with vocal reeds,"

and Spenser- "Had warned once, that *Phoebus fiery car*."

are once again shown at their best in building up new expressions, as in the underlined compound epithets, but what concerns us here is the directness of imagery and tangibility of the figures involved. In Milton's verse, the image is reinforced by the union of several subordinate images, whereas in Spenser's, it stands by itself, The mythology of Milton connotes stronger pathos and feelings than Spenser's does. It is undeniable that even Milton had drawn upon Spenser in his vocabulary composition and such other devices, but these devices are blended with the flavour of intellect.

The topic under consideration is inexhaustible, and it is impossible for a poor lover of the language like myself to go any further. Furthermore, it would take a competent scholar an unpredictable span of time to do justice to this topic.

Within the limited scope of this investigation, we have seen what the diction of poetry should be, and we have discussed two great poets whose credit to the poetic diction of English is indisputable. Spenser as a craftsman has built up the magnificent edifice of poetic diction, and Milton has gone further in expanding it on a different line as to its nature.

BIBIOGRAPHY

Auden W.H. and Pearson N.H. ed. — *Medieval and Renaissance Poets, Langland to Spenser*, The Viking Press, New York, 1957.

Bush, Douglas ed. — *The Portable Milton*, The Viking Press, New York, 1955.

Winstanely, Lilian ed. — *Spenser's Faerie Queene, Cambridge* University Press, Cambridge, 1928.

with a wide range of associations reinforced by a pictorial imagination. Milton practises an individual freedom in his use of poetic diction, but this freedom is restricted by reason. His intellect is simultaneously engaged in other tasks. His aim is to produce delight through novelty, and through the emergence of unanticipated ideas and feelings associated with the use of such a compound epithet as the "remorseless deep". It isn't only the epithet 'remorseless' that is alien to the English content, but its form and manner of usage which are outlandish to the structure of English. Milton is an expert in playing with words, and building them up in such patterns that they become novel, melodious and rich. It is interesting to note that it is not only the handling of these devices that counts, but the fact that the poet is meanwhile engaged in other tasks. The practice of elision as in "o'er" is accomplished for an imperative purpose. It is achieved to help the flow of rhythm. The addition or dropping of a functional element in the language is achieved either to provide a required syllable or drop an unnecessary one. The placement of a specific affix rather than another is mostly carried out for the supply of a wanted accent.. Quantity and accent come to play their part even when the poet's concern is the embellishment and effective use of his vocabulary. This is evident in the line:

"Alas! what boots it with uncessant care".

Two stresses are needed besides the final one on 'care',. Hence the use of 'un' in 'uncessant' rather than 'less' in 'ceaseless' provides the accent in a convenient way. The effect is the elevation of the tone to provide dignity rather than deteriorating it. The tone is immensely elevated in 'uncessant care'. The pause after 'alas' provides another third division in the line to achieve variety. Comparing Milton's line:

"Where were ye, Nymphs, when the remorseless deep"

with Spener's:

"But lo, my lord, my liege, whose warlike name"

as it appears in the third canto of the "Fairie Queene", the observer can see the distinction between the two. Where conciseness is the ultimate result, as in Milton's line, redundence is the case with Spenser. Words associated with mythological allusions are more vigorously impressive and effective in Milton than in Spenser, because while the former's aim is to expand their majestic connotations, the latter is in general more concerned with the musical effects. The two quotations cited here — the first from Lycidas and the second from the second

feeling of melancholy and depression of spirit. The vocabulary used in this poem almost resembles that of the 'Shepherd's Calendar', for they have the same pastoral setting, although the theme of 'Lycidas' is the blaming of love instead of the blaming of death.

Quoting a passage from *Lycidas*, is, as I conceive, requisite to demonstrate Milton's use of diction here:

> "Together both ere the high lawns appeared
> Under the opening eyelids of the morn,
> We drove afield, and both together heard
> What time the gray-fly winds her sultry horne,"

The lines cited here exhibit Milton's careful and accurate observation of natural events as they exist. The words he uses are vehicles that convey the impression of the senses. His building up of epithets is parallelled to that of Spenser, for a beautiful example of this device can be remarked in the 'opening eyelids' of the morn, which resembles the 'trickling tears' of Spenser in 'The Shpeherd's Calender'. The language Milton uses here is the rustic speech, the everyday common language, though with a sprinkle of archaism as in 'ere.' The words 'sultry' and 'afield' attest the European influence on him especially Latin, Greek and Italian. The word 'afield' seems to be composed after the French form.

One of the traits of Milton's diction which distinguishes it from Spenser's is its compactness and conciseness of expression. This effect is achieved through the use of diverse devices such as the change of function of words, the elliptical form of a word, the dropping out of particles and the use of a Latinism because of its capacity of communicating a meaning not so easy to express by the use of a group of native words. The lines quoted below are cited to the effect that they illustrate these devices. In two lines quoted from 'Lycidas':

> "Where were ye, Nymphs, when the remorseless deep
> Closed o'er the head of your loved Lycidas,"

we can detect the conciseness of expression denoted by the "remorseless deep". It is a descriptive phrase for naming the 'river', but it is not only the communication of this meaning that it assumes as its function, it is the feeling associated with it. The periphrasis employed here exercises many effects. It is descriptive as well as ideal. It conveys a meaning but

diversity of style, vocabulary and themes is very conspicuous. The flow of the rhythm and the placement of accent in this stanza gives the words a different effect distinct from that sensed in the one above. Here the words are sharp-edged and rough. They express the raggendness of the scene they portary.

> "Ah for pittie, will rанckle Winters rage,
>
> These bitter blasts neuer ginne tasswage?
>
> The kene cold blowes through my beaten hyde,
>
> All as I were through the body gryde.
>
> My ragged rontes all shiver and shake,
>
> As doen high Towers in an earthquake:
>
> They wont in the wind wagge their wrigle tailes,
>
> Perke as Peacock: but nowe it auales."

The fall of the accent on 'rankle' and 'range' and in such other positions changes the effects of the sounds of words into harshness. Words such as 'never' 'through' 'were' 'gryde' 'routes' 'shiver' and 'shake' impart the raggedness and shabbiness of the pastoral scene, but they are not failures because they are adequate to the theme. To the readers of the Tewentieth Century poetry, 'Lycidas' does n't probably appear to be a good poem, and in its vocabulary the expert critic might find no satisfaction, but who knows if these same words in their own context did not enormously appeal to Milton's contemporary audience? It is true that such words as 'myrtles brown' 'with ivy never sere', particularly the epithets, 'brown' for 'myrtles' and 'sere' for 'ivy' 'collected' for the 'laureles' make no sense, and seem to be unsuccessfully handled, but I doubt if they are not really successful in their effect and have to be so handled, or they would have failed in their suggestions. Because, since the theme is a pastoral elegy, we can't expect the common person who is supposed to be the mourner here, to have enough mastery of the language. Meanwhile, man in grief, sometimes, grows inarticulate. Therefore no wonder, if the mourner here confuses and muddles his epithets or wrangles his speech. "Berries' to him are 'harsh' and 'rude'. Isn't a person blinded by grief expected to see them in this manner? The same applies to 'forced fingers rude'. Strong passion blurs reason. The tone is that of a tortured anguished mind. The tone of the words ending the lines is mostly falling instead of being elevated, and I think they have to be so to convey the

Tell me good *Hobbinall*, what *garres* thee *greate*?
What? hath some *Wolfe* thy *tender lambes ytorne*?
Or is thy Bagpype broke, that sounds so sweet?
Or *art* thou of thy *loved laes forlorne*?

The conversation going on is between two shepherds. The pastoral touch is all through. Since the persons involved are only shepherds, the vocabulary used in the questions should be true to the situation. It is simple but still sweet and smooth, because the subject of the conversation is music and love. The diction has to be musical in its smoothnes as in the liquid L's and r's of the underlined words above. Every device is interwoven with the vocabulary to make it sound smooth and soft. Even the other spirants of 'th' and 's' add more to the music. There is the device of alliteration in the musical sounds of 'bagpype broke' and 'sounds so sweet' and 'loved lass'. Even the smooth movement of the verse adds to this music. The transposition of some words in a shifted word order is another rhetorical device to attract more attention by emphasizing the shifted word itself as in the line:

"What hath some wolfe thy tender lambs *ytorne*?"

The vocabulary as has already been said is simple English vocabulary except for the Latin loans "tender and forlorne", but in "thy loved lass forlorne". The syntactic position of the epithet 'forlorne' is not English but Latin. This shows the tendency in Spenser and Milton after him to borrow from the European literatures, modern and ancient, not only the vocabulary but also the way the vocabulary was built up and handled syntactically. There is also the archaic element in such words as 'lass' 'broke' 'art thou', 'kenst', 'eke', 'thilke' and 'ybent', but isn't the use of these beautifully-sounding words more effective than those used in the current ordinary speech? Aren't 'thy' 'thou' and 'art' more pleasant to the ear than 'you' and 'are'? Combined with these devices is the device of musical rhythm and the elevated tone at the end of the words 'greete' 'ytorne' and 'sweete' if pronounced as they are written or as they were pronounced at his time. Another instance of his innovations is the compounding of new epithets some of which are very impressive in their metaphoric sense and the image they portray such as his 'sea-shouldering whales', which is one of his original formations. A passage from the February Eclogue demonstrates very vividly another variety of use of vocabulary to fit the theme. Spenser's

As long as these characteristics exist in diction, it can without undue bias be called the diction of poetry, but if, later, by repeated imitation and adoption as a traditional convention, it loses its novelty, it, as Groom states, becomes 'poetic diction'; that is, it becomes a sort of convention, a blunt device that has lost its sharp edge by repeated handling, and in place of its shining luster, it is dulled by rust.

The poet to be examined here is Milton. He is of interest to me as one of the poets whose handling of the language was in some ways identical to that of Spenser. Spenser's treatment of diction has set an ideal for successive and contemporaneous poets to follow. His novelty of usage, adequacy of language to the theme, and skill in innovating and composing or, as the Elizabethan poets call it, 'making poetry' had an established tradition long sustained even after him. Spenser is considered as the master of building up vocabulary and devices, and interweaving these devices and vocabulary into unity.

Both Spenser and Milton were influenced by the forms of ancient languages as well as by the highly developed forms of the European vocabularies. Latin, Greek and Italian were the centres of gravitation to them. In the pre-existing forms of these languages, they found new fields of exploration and invention as will clearly be seen in the passages displayed below. The following are paragraphs selected from 'The Shepherd's Calendar' and 'Lycidas' both early poems of these two poets, to show the points of concord and divergence in their treatment of vocabulary. The diction of 'The Shepherd's Calendar' is a sign of Spenser's own note, so is 'Lycidas' with Milton. It is a unique song of Milton's individual note. Spenser got the feel of the language and set out expanding it. He conceived it his duty to enrich the language. Perhaps, he was influenced by Dante whose notable statement is: "Every use of a word in a poem is a fresh invention", i.e,. every word has to be put in the context it fits in. In 'The Shepherd's Calendar', as a whole, one can perceive Spenser's virtuosity in handling the vocabulary. There is artifice and innovation going on everywhere. In his eclogues of June and July and several other months he uses a country dialect, whereas in that of April for instance, the language is more refined. This practice is justifiable if the language must fit the theme. The passages below are from the April Eclogue. They convey little sense, but marvellous music. The music is not divorced from the sense, but it is the predominant element.

we cultivate in reading and feeling poetry, comes from the poet's endeavour to satisfy either his likes or the likes of his age. In either case, he is restrained to a certain degree by the spirit, traditions, conventions and ways of thought prevalent in his society. The language the poet enjoys handling is that which his society cherishes, for, if it is not drawn from the current spoken language of his epoch, it must be governed by the general trend of taste.

It is very hard to be fair and impartial in our judgment of whether the words a poet uses fall within the realm of poetic diction or not, for what is considered poetic today may not be so tomorrow. Words change and so does the taste of their contemporaneous speakers. A word that twinkles today in the sky of poetry may fade and vanish for ever; while another may suddenly appear in the morning horizon to give new light and announce the birth of a new thought. It is not necessary for a word used by a poet with a certain signification at a particular time to maintain that sense perpetually, for a remarkable number of words tend to change either in the direction of deterioration or elevation, specialization or generalisation. Furthermore, the emotional and moral sense a word possesses might change with the changes in the values of a particular culture or different cultures. All these facts must be borne in mind when giving our judgment on the diction of poetry. The fact that the language, style and rhythm of poetry are interwoven together in one texture should not be overlooked. It is impossible to discuss the language of poetry without allusion to tone, style and syntax, because none of these can be so isolated from the rest.

The language to be used in the epic form is entirely distinct from that used in the lyrics. For the same reason, the language intended for dramatic effect tends to be more conversational than that employed in the narrative form. Thus, the poet, in his manipulation and selection of words has to bear in mind that he should be true to his theme and that he has several responsibilities to his readers and fellow-poets. Diction should be adequate to the theme of the poet. Where the theme is noble and sublime, the diction should consequently be elevated to meet the demands of such a theme. On the contrary, if the theme is rustic and vulgar, the language should also be rough and unrefined. To be pure, in addition to the characteristics already enumerated, poetry should be effective in conveying the theme whether in its sound, structure or imagery.

MILTON AND THE SPENSERIAN TRADITION OF POETIC DICTION

By

Abdul Kadir Said El-Bettar

In order to be effective in conveying the whole spirit of poetry, language has to be selected, but selection does not necessitate the omission of all the words of a certain category of language. A word from common speech may possess a very pleasing sound. Nevertheless, the masterly arrangement of ordinary spoken words in a certain syntactical structure might reinforce their suggestions and create a whole world of new meaning. Loftiness may lend enchantment to words. Some elements of archaic vocabulary might produce the effect of magic in poetry through the novelty of the context in which they appear. The diction of poetry does, to a certain extent, if not thoroughly, bear the characteristic individuality of the poet utilizing it. It should, in some sense, and to a certain extent, reflect the poet's endeavour at creativness. There is no such ready-made selection of words from which a poet can draw at will, if it were not for their poetic reminiscences. Words, as they stand independently, are poor and powerless There is no poetry, no overflowing feeling of life in words unless they fall within a certain context. It is only in the context of meaning, sound, melody and syntactical structure, that words assume life and energy. A word in a characteristic position might possess such a variety of senses that it can never possess elsewhere. It is the novelty of connotations a word possesses that strikes us.

To be poetic, words have to possess the richness of imagination and passion that is characteristic of poetry. Perfection of the effect a word conveys is one reason why it is poetic. Another reason is its adequacy in the particular context. Novelty in diction is indispensable. Novelty in its placement, formation, coining, compounding, and other techniques that embellish it, determines to a great extent whether a word is poetic. There is a latent element in words which, once used in creative poetry, become conspicuously distinct from other ordinary words. It is an indisputable fact that poetry always reflects the spirit, thought and culture of its age, for the delight

Thus one can see that the annual growth rates for children is higher than that for the total population and for the economically active population. The implications for the future of Iraqi society are many. The society will be directly affected by the growth, dynamics, composition, distribution, and control of population.

The purpose of this analysis of the social characteristics of the population of Iraq is to present the latest information concerning population in order that those responsible for the planning and operation of the society may use this information in order to build a sound program for the immediate present and for the future. The study illustrates one of the aims and purposes of sociology; that of basic research. The purpose and function of basic sociological research is to discover answers to questions through the application of scientific procedures. These procedures have been developed over a period of time to increase the likelihood that the information gathered will be relevant to the questions asked and will be reliable and unbiased. This study is a statistical description and analysis of the population of Iraq and as such forms a small part of the present basic sociological research currently underway in Iraqi society

Here we have examined the histoical development of census procedures, the difficulties involved in obtaining census information, the composition of the past and present population, the dynamics of population with special reference to birth rates, death rates, and population movements and migrations. In addition we have utilized projections for the future of Iraqi population, and pointed out the social and economic implications of the continued growth of population. It is the hope of the author that the study will serve as a small step in the direction of continued population studies in Iraq. It is felt that such population study is essential for the planning of present and future changes for the society. As the reliability and validity of census data continue to increase it will be possible to undertake more and more detailed studies of the population for the purpose of social planning. This initial study should serve as an outline to be expanded and developed as more data becomes available.

For comparison purposes let us take a look at the projected economically active population age 15 and over for the same period; 1965—1990. This is seen in the table below:

Projected Economically Active Population
Age 15 and Over 1965—1990
(High Variant)

Year	Total	Male	Female
1965	2,032,970	1,964,395	68,575
1970	2,433,247	2,350,282	82,965
1975	2,875,733	2,778,416	97,317
1980	3,378,942	3,264,722	114,220
1985	3,995,692	3,861,313	134,379
1990	4,817,790	4,656,474	161,316

It is to be noted that the number of men far exceed the number of women in the economically active population. The reason for this is the fact that the majority of women still do not engage in productive labor outside the home in urban areas. This does not include the number of women who engage in agricultural work alongside their husbands in rural areas. In Iraq today the economic burden for the support of the population falls to the men aged 15 and over. This means that the economically active population of approximately five million will support the total population of approximately 21 million in 1990.

Let us now take a look at the annual growth rates for the total population, the economically active population, and for children reaching age of seven. These growth rates are revealed in the following table:

Annual Growth Rates, Percent, of Projected Population
1965—1990

Year	Total Pop.		Eco. Active Pop.	Children Age 7	
	High	Low		High	Low
1965—70	3.2	2.8	3.7	2.7	2.4
1970—75	3.6	3.4	3.4	3.7	3.0
1975—80	3.9	3.7	3.3	5.4	5.3
1980—85	4.0	3.7	3.4	4.9	4.5
1985—90	4.0	3.7	3.8	4.1	3.7
1965—90	3.8	3.5	3.5	4.2	4.2

Percentages of Broad Age Groups in Projected Population 1965—1990

Age Groups	1965	1970	1975	1980	1985	1990
			HIGH VARIANT			
0—14	46.5	45.2	46.3	48.0	49.4	49.7
15—44	38.3	40.3	40.2	39.9	39.5	39.7
45—59	9.2	8.8	8.2	7.2	6.4	6.2
60 & Over	6.0	5.7	5.3	4.9	4.7	4.4
			LOW VARIANT			
0—14	46.5	44.9	45.7	47.1	48.4	48.6
15—44	38.3	40.6	40.8	40.8	40.5	40.7
45—59	9.2	8.9	8.3	7.3	6.5	6.4
60 & Over	6.0	5.6	5.2	4.8	4.6	4.3

In either the high variant or low variant approximately one-half of the population of the future will be 14 years of age or under. There is a corresponding decrease in the total proportion of the population in the 60 and over age group. This is important for social and economic planning purposes, particularly for the educational institutions. With increasing urbanization and modernization an individual does not become productive until after the age of 14 and in many cases not until after the age of 20. This means that a heavy burden of economic support will reside with the 15—44 and the 45—59 age groups. To emphasize this point further let us take a look at the projected number of children becoming seven years of age during the period 1965 to 1990. This is seen in the following table:

Projected Number of Children Becoming 7 Years Old 1965—1990

	HIGH VARIANT			LOW VARIANT		
Year	Total	Male	Female	Total	Male	Female
1965	244,158	125,525	117,633	244,158	126,525	117,633
1970	279,350	141,099	138,251	275,460	139,175	136,285
1975	335,354	169,621	165,733	318,198	161,052	157,146
1980	437,351	221,791	215,560	412,386	208,793	203,593
1985	554,612	281,586	273,026	513,463	260,076	253,387
1990	677,766	344,534	333,232	616,726	312,761	303,965

In using the high variant two assumptions are made concern ing the fertility rate and the mortality rate. For example age specific birth rate of 55 per1,000 remains constant while expection of life for both sexes of 55 years of age in 1965 increased by 2½ years in each five years. In using the low variant the age specific birth rate of 55 per 1,000 reduces by 1 percent a year from 1980 and the expectation of life of those 50 years of age for both sexes in 1965 increases by 2½ years in each five years. Therefore the population projection tables for Iraqi population contain figures for both the high variant and the low variant. This is seen in the following table:

Project Population to 1990

Year	HIGH VARIANT Total	Male	Female	LOW VARIANT Total	Male	Female
1970	9,649,689	4,904,677	4,745,012	9,503,134	4,828,634	4,674,500
1975	11,528,803	5,850,054	5,678,749	11,208,491	5,685,168	5,523,323
1980	13,972,415	7,082,224	6,890,191	13,401,215	6,787,480	6,613,735
1985	17,010,632	8,616,897	8,393,735	16,087,236	8,141,007	7,946,229
1990	20,734,602	10,501,555	10,233,047	19,321,650	9,774,235	9,547,415

The projected population for Iraq in 1990 is estimated to be between 19 and 20 million. In past population projections the actual population has been greater than that estimated by the variant. This means that in all probability the population for Iraq for 1990 will exceed 21 million. It is wise to point out at this time that these statistics are merely projections for one cannot determine what will happen to the annual growth rates for the population of Iraq. The future trend in the birth rate is in doubt. If Iraq follows the pattern developed in the West then with increasing urbanization and modernization the birth rate will decline. If it does not follow the pattern in the West then the birth rate will continue to reflect the persistence of traditional reproductive institutions. It should also be kept in mind that in the early stages of urbanization and modernization in the West, the birth rates increased at an ever increasing rate. This may also happen in Iraq which would mean a much larger population than 21 million in 1980. In the final analysis the future of population growth in Iraq or in any other country is the problem of the future of the culture. It is to be remembered that population characteristics are not only biological facts, but even more importantly they are cultural factors and these are subject to change. With these precautions in mind let us continue to look at the population projections in more detail. First, let us take a look at the percentage of broad age groups in the projected population of Iraq. This is seen in the following table:

Liwa Population by Urban, Rural & Sex Division

LIWA	URBAN Male	Female	Total	RURAL Male	Female	Total	Liwa Total
Mosul	200,788	188,892	387,780	288,501	275,976	564,477	954,157
Sulaimaniya	69,663	61,585	131,248	140,599	136,373	276,972	408,220
Arbil	67,940	66,277	134,217	119,455	106,613	226,068	360,285
Kirkuk	116,572	107,433	224,005	121,465	116,557	238,022	462,027
Diyala	70,914	66,013	136,927	133,736	129,386	263,122	400,049
Ramadi	62,821	60,579	123,400	102,236	93,753	195,889	319,289
Baghdad	576,449	532,048	1,108,497	518,598	497,228	1,015,826	2,124,323
Kut	52,580	51,269	103,849	112,237	119,409	231,646	335,495
Hilla	83,647	80,086	163,733	141,663	142,627	284,290	448,023
Karbala	122,234	124,549	246,783	46,376	46,533	96,909	339,692
Diwaniya	89,783	91,270	181,053	182,012	185,765	367,777	548,830
Amara	53,335	50,921	104,256	121,628	120,779	242,407	346,663
Nasiriya	68,234	67,668	135,902	177,540	186,591	364,131	500,033
Basrah	215,017	207,990	323,007	124,999	125,617	250,616	673,623
TOTAL	1,849,977	1,756,580	3,606,557	2,331,045	2,283,107	4,614,152	8,220,709

Of basic importance in the study of the social characteristics of a country's population is the projection of the population into the future. This is important for planning purposes in the society. In this way the social institutions of the society are prepared for either increase or decrease of the current population. It is quite useful to know whether there will be an increasing number of people in either the younger age groups or the older age groups in the population. Using the census material of the 1965 census it is possible to construct population projections for the future. Using the official 1965 census of population as the base it is possible to project the size of Iraqi population to the year 1990. The method of calculating the projected population is that used by the United Nations.[45] In population projection analysis it is usual to use both a high variant and a low variant. In using these variants it is assumed that the actual population will be placed mid-way between the high and low variant. It is to be noted, however, that most population estimates have erred on the conservative side rather than the radiocal side. This has been particularly true in population studies in the United States and in the population projections made by the U.S. Bureau of the Census from time to time.

45—Methods for Population Projections by Sex and Age, ST/SAO/Series A, Population Studies No. 25.

In the above ranking by percentage of total urban population Baghdad Liwa ranks third rather than first. In the table below Baghdad Liwa retains its first rank since the rank order is based by population size and the percent of the total population resident in the liwa.

Rank Order of Liwa By Population Size & Percentage of Iraqi Total Population Resident in Liwa

Liwa	Pop. Size	Rank Order	Percent Iraqi Pop. Res. in Liwa
Baghdad	2,164,323	1	26.32
Mosul	954,157	2	11.60
Basrah	673,623	3	8.19
Diwaniya	548,830	4	6.67
Nasiriya	500,033	5	6.08
Kirkuk	462,027	6	5.62
Hilla	448,023	7	5.44
Sulaimaniya	408,220	8	4.96
Diyala	400,049	9	4.86
Arbil	360,285	10	4.38
Amara	346,663	11	4.21
Karbala	339,692	12	4.13
Kut	335,495	13	4.08
Ramadi	319,289	14	3.88

One can therefore see that approximately one-half of the total population 46.11% of the country is concentrated in the liwas of Baghdad, Mosul, and Basrah. These three cities are the Chief urban areas of the Ccountry in terms of size of population. Within the three liwas the population is concentrated in the city centers of the liwas. A summary table of liwa population is found below.

Rank Order of Liwa Centers By Perecentage of Populatoin in Center

Liwa	Rank Order	Percent Liwa Pop. Res. in Center
Baghdad	1	52.2
Basrah	2	46.5
Kirkuk	3	36.2
Mosul	4	25.4
Arbil	5	25.1
Karbala	6	24.5
Sulaimaniya	7	21.0
Hilla	8	18.9
Amara	9	18.7
Kut	10	12.5
Nasiriya	11	12.0
Diwaniya	12	11.0
Ramadi	13	9.0
Diyala	14	8.6

Thus the ranking of liwas by size of population and by percentage of the total population resident in the liwa centers reveals a slight variation. Even more revealing is the rank order of liwas by percentage of total urban population and rank order by populatnon size and percentage of the total population resident in the liwa. This is seen in the following two tables:

Rank Order of Liwa By Percent of Total Urban Population

Liwa	Percent Urban Population	Urban Population	Rank Order
Karbala	72.6	246,783	1
Basrah	62.9	423,007	2
Baghdad	51.2	1,108,497	3
Kirkuk	48.5	224,005	4
Mosul	40.8	389,680	5
Ramadi	38.6	123,400	6
Arbil	37.2	134,217	7
Hilla	36.5	163,733	8
Diyala	34.2	136,927	9
Diwaniya	33.0	181,053	10
Sulaimaniya	32.1	131,248	11
Kut	30.9	103,849	12
Amara	30.1	104,256	13
Nasiriya	27.2	135,902	14
TOTAL	43.9	3,606,567	

taken into consideration is the nature of the land surrounding the larger cities of a liwa. In Karbala Liwa, for exafple, the percent urban is 72.6 and the percent rural is 27.4 This is a larger urban percentage than Baghdad Liwa, however, the land adjacent to Karbala is not suitable for large rural concentrations of population. Hence the people in Karbala Liwa tend to concentrate in the city ofKarbala rather than in the surrounding area as is true in Baghdad Liwa. To further emphasize the uniqueness of the meaning of the rural-urban distribution of population in the above table it is important to compare the liwas by size of population and by percentage of the total population resident in the liwa centers. This is to be seen in the following table.

Rank Order of Liwa Centers by Size of Population

Liwa	Number of Population	Percent Pop. Res. in Ctr.	Rank
Baghdad	1,108,497	52.2	1
Basrah	313,327	46.5	2
Mosul	243,311	25.4	3
Kirkuk	167,413	36.2	4
Arbil	90,320	25.1	5
Sulaimaniya	86,822	21,0	6
Hilla	84,717	18.9	7
Karbala	83,301	24.5	8
Amara	64,847	18.7	9
Diwaniya	60,553	11.0	10
Nasiriya	60,405	12.0	11
Kut	42,116	12.5	12
Diyala	34,575	8.6	13
Ramadi	28,723	9.0	14

Urban-Rural Distribution of Population by Liwa 1965

Liwa	Total Population	Urban	Rural	Percent Urban	Percent Rural
Mosul	954,157	389,680	564,477	40.8	59.2
Sulaimaniya	408,220	131,248	276,972	32.1	67.9
Arbil	360,285	134,217	226,068	37.2	62.8
Kirkuk	462,027	224,005	238,022	48.5	51.5
Diyala	400.049	136,927	263,122	34.2	65.8
Ramadi	319,289	123,400	195,889	38.6	61.4
Baghdad	2,164,323	1,108,497	1,015,826	51.2	48.8
Kut	335,495	103,849	231,646	30.9	69.1
Hilla	448,023	163,733	284,290	36.5	63.5
Karbala	339,692	246,783	92,909	72.6	27.4
Diwaniya	548,830	181,053	367,777	33.0	67.0
Amara	346,663	104,256	242,407	30.1	69.9
Nasiriya	500,033	135,902	364,131	27.2	62.8
Basrah	673,623	423,007	250,616	62.9	37.1
TOTAL	8,220,709	3,606,557	4,614,152	43.9	56.1

Several unique factors must be taken into consideration in the analysis of the above table. The percentage of rural population ranges from a 69.9% in Amara Liwa to a low of 27.4% in Karbala Liwa. Baghdad Liwa contains 48.8% of its population as rural while Basrah Liwa contains only 37.1% rural population. One would except that Baghdad Liwa would contain the lowest percent of rural population rather than Basrah Liwa. Size of liwa must be taken into consideration in the comparison of rural and urban population concentrations. For example Baghdad Liwa is much larger than Basrah Liwa and this permits a concentration of rural population in and around the city center whereas this is not the case in Basra Liwa. There the majority of the inhabitants of the liwa are concentrated in the city center. According to the liwa distribution of Population the country's urban population represents 43.9% of the total population. However this should be compared with the earlier table giving the percent of the liwa population resident in the city center. This figure for the total population, it is to be recalled, is 30.0%. Another factor to be

Liwa City Centers of Population, 1965 Census

City Center	Male	Female	Total	Percent of Liwa Population Resident in City Center
Mosul	125,060	118,251	243,311	25.4
Sulaimaniya	45,488	41,334	86,822	21.0
Arbil	45,437	44,883	90,320	25.1
Kirkuk	86,691	80,722	167,413	36.2
Diyala	17,661	16,914	34,575	08.6
Ramadi	14,994	13,729	28,723	09.0
Baghdad	576,449	532,048	1,108,497	52.2
Kut	21,300	20,816	42,116	12.5
Hilla	43,429	41,288	84,717	18.9
Karbala	41,485	41,816	83,301	24.5
Diwaniya	30,361	30,192	60,553	11.0
Amara	33,313	31,534	64,847	18.7
Nasiriya	31,108	29,297	60,405	12.0
Basrah	159,942	153,385	313,327	46.5
TOTAL	1,272,710	1,196,217	2,468,827	30.0

As indicated in the above table precentage of the liwa population which reside in the city centers range from 8.6% in Diyala Liwa to 52.2% in Baghdad Liwa. A total of 30.0% of the total population of the country resides in the city centers. This 30% represents the concentration of population in Iraqi urban centers and would correspond to the concentration density of population for the country.

A continuation of the emphasis upon rural and urban distribution is the breakdown of population according to its urban and rural distribution. This is seen in the following table from the 1965 census.

motivating the salaried middle class in the direction of change is the effect of the growth of educational opportunities on its own job security. The expansion of university education has produced a surplus of recruits for this class. Their numbers are much larger than the number of salaried opportunities available. The tremendous pressure of university graduates for jobs is a most unsettling element of Iraqi society. In Iraq between 1950 and 1955, approximately 10,000 graduated from the colleges of law, commerce, arts, and sciences, but only 1,250 of them found jobs in government and business.(43) Conditions suitable for the realization of their espirations do not presently exist. The class finds itself in a strained economic circumstance, aggravated by a rising cost of living. Despite its many frustrations the new salaried middle class is destined to play an ever increasing important new role in Iraqi society.

Let us turn now to an analysis of the 1965 census material in order to describe the general characteristics of the population. Of particular importance will be the rural-urban distribution of population by liwa, the liwa center population, the rank order of liwa centers by size of population, the rank order of liwa centers by percentage of total population in the liwa center, the rank order of liwas by percent of total urban population, the rank order of liwas by population size and percent of total population resident in the liwa, and liwa population by urban, rural, and sex divisions. This information is contained in the following table.

43—Manfred Halpern, The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa, Princeton Univ. Press, 1963.

44—University of Baghdad Report, Feb. 5, 1967 University enrollments were as follows: 1962—3 13,336; 1963—4 16,828; 1964—5 20,703; 1965—6 23,676 and 1966—7 30,282.

mechanism of transient labor and city relations. Since city-village and city-rural area contact is continuous and relatively easy material goods and ideas move from from the city to surrounding areas with relative ease.

Based on observation and analysis it would be possible to group Iraqi urban population into three main strata: the upper class, the workers, and the salaried middle class. The members of the upper class have obtained their wealth from inheritance, operation of businesses and from political power. Power led to wealth far more often than wealth led to pwoer. The urban workers may be divided into three groups: employees of modern factories and government owned services such as telephone, electricty; the craftsmen, and the unemployed. The most fortunate are those regularly employed in factories and governmental services. They earn higher wages than the average, benefit from such policies as free medical care, subsidized food, insurance, and in some instances transportation costs to and from work.

A second group of urban workers are the ones engaged in the older style handicraft industries. The industries are small, pay low wages, and are characterized by crowded, unsafe, and unsanitary working conditions. Instabilities of the handicraft industries often lead to business failures and resulting employment.

A third category includes the unskilled and the unemployed who have come from rural areas without being able to find a regular position of employment. These workers are often illiterate and have no specific skill to sell. It is from this group that many social problems of the cities arise.

The salaried middle class is at present a small new group, but one which will bear careful observation for the future development of the society. The members of this class grouping have been exposed to a Western-style education. These individuals are chiefly concerned with action rather than ideas and they are unclear about ideological matters, however, they are certain of the need for change. They are aware of their own aspirations and hopes and feel that the great gap now existing between their aspirations and the reality must be drastically altered. They envisage a new society, industrialized and bureaucratic, in which they may achieve their hopes and goals. One basic factor

ceremonials, (3) regular exchange of gifts, and (4) commuting on a monthly, weekly, or even daily basis. The villages surrounding the major cities in Iraq are not the same type as are the suburbs of western cities. These villages have usually been located at some distance from the cities, however due to the rapid growth of Iraqi cities these villages have either been incorporated into the city or are adjacent to it. This means that there is now a constant and close contact between the cities and their surrounding villages. Instead of wide discrepancies between village and city cultures there is instead great similarity and continuity. In many aspects of Iraqi culture there is no clear-cut rural and urban differences. According to one source there is little difference between the two cultures in the following factors: (1) household and kinship structure, (2) factionalism, (3) religious behavior and belief, and (4) various types of group identity and the means of asserting them.[42] This does not mean that there are no differences between village and city life. The city provides a greater amount and variety of job opportunities and it is a focal point of religious, educational, and political institutions. The city is also the place of residence of the elite social classes which exercise political and economic power and control.

The cities of Iraq are the focal points of change. Most social and economic change begins among the upper classes and spreads downward to the traditionally inarticulate lower classes and outward to the rural areas. These cultural innovations of urban areas have prestige attached to them. It is in the cities that the intellectual, political, and economic elite have their headquarters and where new ideas of government and economic polity are evolved. The cities are important centers of cultural changes, particularly in the field of education, new forms of business organization, new administrative practices and new techniques. The cities of Iraq, particularly Baghdad and Basrah are half east and half west, half ancient and half modern. Because of this intermadiate position, because of their contract with world markets, and their lack of many traditional bonds they are eminently suited as the innovators of new ideas and techniques. The cities have acted as catalysts for social and economic change and as channels through which the material goods and ideas of the West have increasingly penetrated into the rural areas. New ideas and attitudes and changes in style of life pass from the city to the surrounding town and rural areas through the

42—John Gulick, "The Continuity of Villages and Urban Cultural Pattern in 20th. Century Middle Eastern Cities", Unpublished paper, October 1966.

the city as the city is to it. The city relies for its food and agricultural produce from the rual community and the basic decisions affecting much of the life of the villagers are made from ouside the villages. This was true in the past as it is today. This rural culture places heavy burdens on those who wish to live by its rules. Yet it also provides the devices whereby, within the traditional framework, the individual is able to reach some degree of security. This behavior is the product of centuries of experience. It serves as an effective protective device in a relatively unchanging and hostile world. It is becoming less effective in a rapidly industrializing world and ultimately becomes a serious hindrance to the social changes emanating from the urban centers of the country. These changes from the urban centers are gradually being felt in the rural communities of Iraq as communication and travel tend to link the rural and urban area into a new and interdependent relationship.

In 1957, the population of Iraq was estimated to consist of 68% villagers, 30% city dwellers, and 2% pastoral nomads. These proportions are essentially the same as that have been claimed for the Middle East as a whole.(39) The present population is a predominantly rural one only a very minor segment of which, however, consists of pastoral nomads. There is sufficient evidence that some former pastoralists have become village farmers and that many village farmers have become city dwellers.(40) These shifts in residence and economic adaptation appear to have been continuous processe generally in Iraq and throughout its history. There is also evidence of the city dwellers' moving to villages and of villagers' becoming pastoralists. While some of the cities have, at times, been virtually depopulated there are also areas along both the Tigris and the Euphartes which have been continuously occupied by villagers throughout recorded history. Al-Wardi, for example, points out that present-day Iraqis are descended primarily from pre-Islamic, sedentary Mesopotamians, mixed with a smaller number of Arab nomads.(41)

Despite the influx of rural migrants into the three principal cities of Iraq: Baghdad, Basrah, and Mosul, there is a maintenance of village ties implying such as: (1) communication, (2) city dwellers regularly returning to the home village for

39—Abdul-Razzak Al-Hilali, Migration of Rural Folk to Towns In Iraq, Al-Najah Press, Baghdad, 1958.

40—Ali Al-Wardi, A Study In the Society of Iraq, Al-Ani Press, Baghdad, 1965.

41—Ibid., p. 152.

loyalty, identity, and obligation. For many people the the village is the only social unit outside the family of which the rural population is at all conscious. The demands of village society are most intense. Everyone's reputation is under strict and constant surveillance of other members of the village and everyone is concerned to maintain that reputation. The situation is made more intense by the influence of ancient rules of behavior and the sanctions against lapses from these are harsh indeed.

The typical village is a collection of houses surrounded by farm lands and are often inaccessible by road. Individual ownership by the farmer is only a recent phenomena. The village as a unit was traditionally responsible for payments for taxes and its land was farmed collectively. The various families grouped themselves together in order to protect themselves from raids by beduins. Dispersed settlements and isolated farmsteads were impractical because of scarcity of water. Not every village has a mosque or school and cafes are found only in the more highly developed villages. Many villages have an open square which serves as a social meeting place and market center. Women gather at the spring, well, or water tap and the affairs of the village are discussed at length. There is also the mudif (guest house) which serves as a social center for the men of the village. There are indications that this institution is declining with the appearance of local officials and merchants. The religious factor is as important as the family in regulating life in the village. Communal and religious membership determines custom and law in various spheres of life, particularly personal status. All matters of personal status are under religious-communal jurisdiction. With the beginnings of land reform in the late 1950's there has begun to emerge in rural inhabitants, beginning of class consciousness. With the increasing mobility of young people from rural areas to the cities of Iraq, changes are occuring in the rural areas particularly since contact is maintained between individuals who migrate to the cities and their families in rural areas.

Iraqi rural dwellers are not only farmers but are artisan as well. They produce much of their own food and are able to make their own food and are able to make many of the material items they need in their intimate relationship with cities and towns They depend on town markets to sell surplus produce and to buy items which they cannot make for themselves. The Iraqi rural community demonstrates an enduring way of life, as essential to

A sceond basic characteristic of the family is the existence of patriarchal rule; the father is the master of the immediate family and the head of the extended family. Young people do not make their own decision in the matter of marriage. Although the family is partriarchal in structure, an actual analysis of the interactions occuring within the family reveals the fact that women actually control the family and it is the son's mother who actually makes the marriage arrangements. In the formal sense the family structure is patriarchal; in the interactional sense the family in Iraq is controlled by the woman as is true in the western world. This is an aspect of family sociology which is still not formally recognized in either the western nor the eastern world. For example the American family is always presented to students of sociology as being traditionally patriarchal in nature when an analysis of the interactions within the family of the present time as well as in the past reveals that the family was actually controlled by the female members and not the male head. Further research on this topic is important in Iraq.

A third basic characteristic of the family in Iraq is that it is endogamous. Where possible marriage is supposed to occur between cousins (sons and daughters of two brothers). In beduin society the custom of marriage between cousins has become so ingrained that a young man has rights over his female cousin and may claim compensation if he waives these rights.

As mentioned above the majority of the population of Iraq is rural despite the designation of urban made in the official censuses. In order to differentiate in a significant manner between rural and urban concentrations of population the centers of population of 25,000 or more are considered urban for centers as large as 10,000 or 15,000 are primarily rural in their economy, orientation, and social characteristics. In Iraq there is a unique dimension of rural life not to be found in other areas of the world and this is the existence of a marked detachment of the farmer from his land. He is noted for his contempt for land and for agricultural work. Many of the rural dwellers have no feeling for the land or respect for it. This originates from the beduin contempt for settled centers of population and for the agricultural career.

Village life has always been collective rather than individualistic in nature. The village provides a strong focus of social

There are specific and unique reasons for the inaccuracy of population characteristics in Iraq. In any analysis of the social characteristics of the population these reasons must always be kept in mind. These are as follows: (1) unsettled nature of the population; for instance the number of beduins have to be estimated by census-takers. (2) The basic fact of illiteracy has the effect that many people do not understand the questions asked and often falsify the results. There is often no conception of accurate numbers. Age is often stated in "round figures". There is little appreciation of objective truth and replies are designed to please the census-takers. (3) There is the presence of traditional mistrust on part of rural dwellers when confronted with representatives of the central government. It is suspected that any correct information will be used to their disadvantage. (4) fear of conscription and taxes often leads to inaccurate responses. (5) opposition on the part of beduins and rural dwellers who resent interference in their affairs. There is also the inflation of numbers for the sake of family prestnge. There may be silence on the subject of new-born sons as a precaution against the evil eye. There is also silence on the subject of girls for the reason that little or no importance is attached to them, or on the subject of wives which is considered a completely private matter. At times sons are declared as daughters for fear of the evil eye. In addiaion the existence of an unmarried daughter over the age of 15 is considered shameful. For these reasons it is quite difficult to obtain unbiased information concerning a simple count of population on the basis of age and sex groups.

The divorce rate is high in the upper classes and among the better educated in cities. Polygamy is frequent at the two extremes: among the very wealthy who can afford more than one wife, and the very poor, who require a second wife as an additional member of the labor force. The family is still the economic and property-owning unit. The family is also the fundamental social unit. The participation of the invidual in wider groups, such as a religious sect or even a political party, is through the family. The traditional family structure is the extended family. One household unit contains the father, his wife or wives, unmarried daughters, unmarried sons, and his married sons with their wives and children. However, there is emerging in urban areas the conjugal family where sons leave their family after marriage. This is occuring at a rapidly increasing rate in the urban aeas of the county.

The majority of divorces in the Iraqi family occur in the 21—25 year age group. Considering the age of marriage as approximately 20 for both sexes this means that the majority of divorces occur within five years of marriage. This characteristic is in keeping with the world-wide phenomena of the majority of divorces occuring within the first five years of marriage. The Iraqi family like its counterpart in other cultures remains without divorce if it survives the difficult first five year period. The ages of divorce are seen in the following table.

AGE OF DIVORCE BY SEX, 1956—1960

Divorce Initiated by Wife

Age	1956	1957	1958	1956	1960
20 & Under	56	277	279	221	164
21—25	115	265	290	304	193
26—30	187	245	258	236	166
31—40	132	158	219	169	87
41—50	101	61	95	66	21
51—60	67	15	30	3	1
61 & Above	5	1	6	3	1
Unknown	51	57	13	32	40
Divorce Initiated by Men					
20 & Under	1960	292	236	233	214
21—25	139	318	288	346	245
26—30	250	363	410	327	316
31—40	370	303	391	342	198
41—50	195	134	165	132	55
51—60	66	29	58	40	16
61 & Above	13	5	17	8	7
Unknown	138	178	282	200	409 (38)

38—General Census, 1960

divorce tends to be underreported and many are simply not registered whereas registration of divorce is a characteristic urban phenomenon.

In addition, the rural male often does not divorce his wife but merely marries another woman if he so chooses. As a result the statistics on both marriage and divorce for Iraq are quite unreliable and in order for adequate trends to be established the problem needs further careful study. Since all aspects of family life are considered matters of private rather than public concern it is extremely difficult to obtain sufficient information concerning marriages and divorces.

Of particular interest to students of divorce statistics is the difference in rates of divorce between the Shi'a and Sunni sects. Approximately one half of the population of Iraq consists of Shi'as and for members of this sect divorce is more difficult to obtain than it is among the Sunni sect. This characteristic is often given as an explanation for the lower divorce rates for the Shi'a. However, there is a possibility of another explanation for their lower divorce rates and this is due to the fact that the majority of the Shi'as live in the rural regions of southern Iraq where there is a tradition to marry and divorce without recourse to official registration procedures. Evidence at this indicates that the latter explanation holds true raher than the former. A comparison of the differences in the registered divorce rates for the Shi'a and Sunni sects of Islam are as follows:

Registered Divorces Shi'a and Sunni Sects
1941—1946

Year	Shi'a	Sunni
1941	201	282
1942	152	261
1943	146	486
1944	274	536
1945	426	542
1946	434	519

(37)

37—General Census, 1950.

Comparison of Plural Marriages, Iraq 1947—1957

	Number of Husbands With			
One Wife	Two Wives	Three Wives	Four Wives	
1947				
738,515	56,283	5,304	1,131	
1957				
2,176,757	73,292	7,606	1,600	(34)

Extent of Marriages, Rural & Urban Population, 1953

One Wife		Two Wives		Three Wives		Four Wives		
Rural	Urban	Ruarl	Urban	Rural	Urban	Rural	Urban	
1,333,698	843,059	48,928	24,364	4,843	2,762	958	642	(35)

From the above it is evident that the number of plural marriages has been declining and that existing plural marriages are more characteristic of rural than urban areas.

Not only does the marriages rate, plural marriages, and distribution of population affect the fertility rates, but divorce also effects the fertility rate. Although divorce is relatively easy in Iraq and the ease of divorce has a long tradition in Islam, the statistics on divorce are quite unreliable. According to the 1957 census a total of 30,462 divorces occured. The 1957 figure is compared to the 1947 figure in the following table.

Number of Divorces (Registered) 1947—1957

Year	Male	Female	Total	
1947	2,860	6,933	12,793	
1957	7,642	22,820	30,462	(36)

According to statistics there is little difference between rural and urban divorce rates since the 1957 census reveals 15,167 rural divorces and 15,167 urban divorces. One expalanation for the lack of difference between the two rates is the fact that rural

34—Vital Census, 1957.

35—Ibid.

36—General Census, 1957, p. 47.

With the decline in the infant mortality rate the end result has been a natural increase in population. In addition Iraq has a high fertility rate and is included in the high fertility nations with a rate of 100 or more per year. In 1957 for example the fertility rate for Iraq was 450. The early age of marriage is one factor which contributes to a high fertility rate. Iraqi society is characterized by early marriages with the majority of marriages taking place prior to age 20 for the female and age 25 for the male. Early marriage is also more characteristic of rural areas than it is for urban areas. In Iraq it is very much against tradition for women to remain unmarried. This is in spite of the fact that with women entering higher education, this has usually meant that they delay marriage until a later age. Such is not the case at present in Iraq for women marry and drop out of both university training and even secondary school before completion of their course of study. The following table gives some indication of the age of marriage for the population for 1958, 1959, and 1960.

Age of Marriage Iraqi Population
1958, 1959, and 1960

	HUSBANDS			WIVES		
Age	1958	1959	1960	1958	1959	1960
20 & Under	3,882	4,925	6,372	8,369	10,126	11,276
21_25	5,675	7,194	5,660	5,859	6,931	5,916
26_30	5,872	6,696	5,069	5,298	5,367	3,299
31_40	4,881	4,818	3,327	838	1,114	1,900
41_50	2,092	2,494	1,425	227	412	700
51_61	648	969	520	20	87	261
61 & Over	115	274	181	35	83	99
Unknown -	892	281	710	383	300	705 (33)

Another factor concerning marriage in Iraq is the existence, particularly in the past of plural marriages. Although there is some disagreement concerning the effect of plural marriages on the fertility rate the fact that plural marriages do exist in Iraq must be taken into consideration when studying the fertility rate. while in recent years the number of plural marriages has been decreasing in the country, there is still the tradition for the practice, particularly in rural areas. The following tables indicate the extent of plural marriages within the recent past as well as in rural and urban areas. It should be kept in mind, however, that not all marriages are registered, and particularly not all plural marriages are registered.

33_Vital Census, 1960, p. 19.

result of an increasing population. An indication of this decrease is seen in the following table of the recorded death rates for children in Baghdad, Basrah, and Mosul from 1929 to 1934.

Registered Death Rates for Children Under One Year

of Age in Three Principal Cities 1929—1934

BAGHDAD

Year	Number Infant Deaths	Proportion Inf. Deaths Per 1,000 Deaths
1929	1,964	349
1930	1,664	227
1931	1,955	282
1932	2,625	342
1933	2,402	312
1934	2,026	252

MOSUL

Year	Number Infant Deaths	Proportion Inf. Deaths Per 1,000 Deaths
1929	786	260
1930	709	237
1931	704	230
1932	1,006	331
1933	808	258
1934	773	229

BASRAH

Year	Number Infant Deaths	Proportion Inf. Deaths Per 1,000 Deaths
1929	573	633
1930	399	473
1931	480	509
1932	426	591
1933	422	365
1934	433	328

(32)

31—Hassim Jowad, The Social Structure of Iraq.

32—Sa'id Hamada, The Economic System In Iraq, p. 38.

in the three chief cities are reported to be accurate since births in cities are more apt to be registered than they are in smaller towns and in the rural areas. This is seen in the following table.

Registered Births for Three
Principal Cities of Iraq
1927 — 1960

Year	Baghdad	Basrah	Mosul
1927	4,571	790	2,128
1928	5,167	980	2,763
1929	5,625	904	3,018
1930	7,317	843	2,993
1931	8,563	942	3,063
1932	8,681	1,086	2,063
1933	7,699	1,154	3,127
1934	8,865	1,321	3,369
1954	20,748	7,962	9,338
1955	23,472	8,549	10,530
1956	26,235	8,364	9,693
1957	27,874	7,154	7,312
1958	34,775	17,312	9,884
1959	45,480	26,210	9,893
1960	70,752	20,581	10,925 (30)

Even in these three urban areas there appear various inaccuracies in the statistics. Of the three cities, reporting on Baghdad is more accurate than in either Basrah or Mosul. The reasons for the incrrease in the number of births in Iraq has been discussed above. As a review at this point these factors include : the high rate of poverty and illiteracy in rural areas, the encouragement of early marriages, the religious teachings of Islam, the positive value of many children, the absence of birth control information, and the usefulness of children in the rural labor force. Coupled with the continued high birth rate is the declining death rate due to the introduction of more adequate health measures. Prior to the introduction of health measures the death rate was quite high and one estimated that approximately 35% of the children died before reaching one year of age.(31) In addition a total of 26% used to die before reaching theif fifth year. The infant mortality rate has been decreasing with the end

30—Vital Census, 1958, 1959, and 1960.

Such a procedure also negates the Malthusian view that every increase in population necessarily presses harder on the food supply. In Iraq an increase in population may well result in needed workers whose labor will increase the well being of the total population. The increase in population does not result in a total expansion in all age groups, but rather changes the proportion of age groups in the population. For example the proportion of children is much greater during the initial period of population increase than it is in a population which has already passed the stage of early population increase. More children are alive who, at an earlier period, would have become victims of various diseases. This means that the costs of education for the non-productive children and youth comes at a time when there is a smaller percentage of the population in the middle-age group; the productive age in any population.

Let us now turn our attention to a more detailed analysis of the dynamics of population in Iraq based on available sources of information. The following table reveals the extent of the increase in birth rates in the country from 1951 to 1960. The figures are based on the number of registered births.

Registered Births Iraq 1951 — 1960

Year	Total Number of Births
1951	38,127
1952	45,530
1953	65,154
1954	64,365
1955	74,567
1956	80,395
1957	64,758
1958	77,675
1959	169,916
1960	197,455 [29]

It must be emphasized that not all births in Iraq are registered and this is particularly true for the rural areas where the majority of birth are not registered. This would account for the lack of births reported for 1954 and 1957. A study of registered births in the principal cities of Iraq reveals a continuing increase in the number of births from 1927 to 1960. These registered births

29—Hasham Mitwalli, Economics of Iraq, p. 16.

in the status of women in society and the family contributes to a decline in the birth rate. The upper classes first begin to limit the number of children and the lower classes follow their example. At the present time Iraq is in the second stage of population development. In Iraq the birth rate continues to be high because of the following factors: (1) poverty and fatalism of rural dwellers. They are indifferent to limiting births, (2) the child is an essential part of the family working force, (3) the larger the family the more respected its place in society. In someareas bordering on the desert, a large family is a defensive asset. Women are also anxious to have many children as a protection against divorce, and finally (4) marriage at an early age is a tration founded on early sexual maturity, requirements of chasity, and segregation of the sexes. In addition the status of an unmarried woman is very low in the rural areas.

According to government sources the crude birth rates in Iraq was 27 per 1,000 in 1950. The crude death rate at the same time was 12 per 1,000 and the infant mortality rate was 97 per 1,000 babies born.(28) Current evidence points to the fact that the mortality rate is still declining from the 1950 figure and it appears that the rate of decline will accelerate rapidly over the next few years. With new public health measures underway it is evident that the mortality rate will greatly decrease. By world comparisons it is evident that the Iraqi birth rate is high. Traditional beliefs continue to encourage a high fertility rate and the end result will be a continued population increase for some time. There is no danger, however, of immediate overpopulation since the resources can support a much larger population than is now present. Iraq will continue to have a youthful and fast growing population for the predictable future. Although the country is not immediately threatened by population pressure, the rapid rate of expansion presents the possibility that at some time in the near future, unless agricultural and industrial developments are maintained or accelerated, overpopulation may result.

On way in which Iraq can increase the level of living of its population is to manage an increase in production which would be greater than the increase in population. This would aid in solving the problem of the increasing pressure of population so characteristic of many underdeveloped areas of the world.

28—Directorate General of Health, Annual Bulletin of Health and Vital Statistics for 1950, Baghdad, 1952.

continued with the end result of an increased toatl population. In some areas this increase is spectacular and rapid and in other areas it is gradual but continuous. Population increase may be a precondition for industrialization but by itself, it does nothing to increase production. The usual pattern is rapid population increase, slow industrialization and a continued gap between population and the ability of economic planning to meet the needs of the increased population. Fortunately for Iraq at this time overpopulation is not an immediate nor pressing problem as it is in many countries in Africa, Asia, and Latin America.

According to demographers there are five stages in the development of population. These stages are based on studies of European population over the past 300 years. The first stage is characterized by a high birth rate unlimited by any artificial means to control the number of births. The death rate, however, is also high and fluctuates because of epidemics, starvation, etc. The end result is that the population remains almost static or increases at a very slow rate.

In stage two there is a decrease in the death rate as a result of overcoming epidemics and other afliction. The birth rate remains high and there is consequently a rise in population. In stage three the death rate continues to fall, but the birth rate now begins to decline because of control and some degree of further fall in both birth and death rates. In the fifth and final stage of development there is a renewed increase in the birth rate and hence in the natural increase. The death rate remains fixed or declines still further. What are the reasons for these changes ? According to present studies the decline of the death rate beginning in stage two is due to: (1) development of medical services and hygiene,, (2) development of preventive and curative health services, (3) improvement in personal hygiene, (4) cultural development, and (5) general development in the level of living index. The changes in the birth rate are usually contributed to the follwing factors: (1) as the death rate falls the number of persons increases and economic pressure begins to be felt. (2) Expenses incurred per child rises with the rise in the cultural level and level of living. These expenses include the cost of education and health. (3) With the changes from agriculture to industry, children cease to be a source of income when young and instead become unproductive up to an advanced age. (4) There is a weakening of religious beliefs representing a change from a fatalistic approach to a rational attitude. Finally (5) the change

Only 25% of the slum dwellers were employed in permanent jobs. Their income was inadequate and a number of serious social problems began to emerge.

Although the problem of the sarifa dwellers of Baghdad has been solved migration to the city continues. In summary it can be stated that economic factors acted to both push the people from the rural areas and to pull them to the cities where they hoped to gain a better livelihood. It is to be expected that such migration will continue to characterize Iraqi life until such time as agricultural reform will better the conditions in rural areas. This can be accomplished by further reclaimation of the land, the furnishing of adequate irrigation services, and the introduction of scientific agriculture in order to raise the level of living in rural areas.

The Dynamics of Population

The population of any area is determined by three factors: the birth rate, the death rate, and migration. In recent years the death rate has dropped drastically in many areas of the world and the birth rate has remained approximately stationary. The extent to which the death rate has declined is evidenced by the following table indicating changes between 1930 and 1950.(27)

Death Rate in Underdeveloped Countries

Crude Death Rate	Number of Countries	
	1930	1950
Per 1,000		
Under 10.0	—	4
10.0 — 14.9	4	17
15.0 — 19.9	9	4
20.0 — 24.9	13	2
25.0 or More	3	—

In this 20 year period, the highest death rate category disappared whereas the shift to lower categories was pronounced in all cases. Since 1950 the trend toward lower death rates has

27—Demographic Yearbook, 1951, United Nations, N.Y., 1952, Table 14.

An analysis of the source of origin of migrants to Baghdad in 1957 revealed that the majority came from the southeastern liwa of Amara. This is revealed in the following table.

Origin of Migrants to Baghdad, 1957

Liwa	Percent
Amara	73.4
Kut	10.4
Nasiriya	3.8
Diwaniya	3.8
Hilla	3.6
Others	3.0

(25)

Since 73% of the migrants to Baghdad came from Amara Liwa one must seek to understand the reasons for this large scale out-migration. Part of the explanation lies in the fact that the government had rented much of the land to large landowners who for all practical purposes acted as actual owners of the land and exploited the peasants. The government attempted to reform the situation in 1952 by reclaiming the land in order to distribute it to the peasants. However, because of the large number of peasants and a limited amount of land, the actual allotment made to the peasant was too small for an adequate livelihood. As a result many of the peasants left the land and migrated to Baghdad where they lived in mud hut villages referred to as Sarifas. In addition many of the peasants were indebted to their former landlords and an easy solution to this problem was for them to move away.

According to one study the sarifa dwellers of Baghdad totaled 184,000 persons or 18.4% of the city population in 1958.(26) Living conditions in the sarifas were of a very low standard with an average of 15.5 persons (three families) sharing one courtyard with a common oven, w.c., and pit for rain water drainage.

25—Ibid.

26—The Sarifa Dwellers of Baghdad, Bulletin 1, Ekistic Center, Boxiadis Associates, July 1958, Baghdad.

There have been estimates concerning migration in Iraq and one can obtain a picture of migration by the analysis of the 1947 census figures. Both Basrah and Kirkuk recovered large numbers of migrants. In 1947 25% of the people born in Amara Liwa lived outside of the liwa; 101,242 out of a total population of 396,722. One estimate in 1955 stated that the migration from Amara Liwa was approximately ten lorries per day.(24) According to this estimate the migration from rural areas to towns and cities between 1947 and 1957 was approximately 330,000 with 159,000 going to Baghdad and 43,000 going to Basrah. The following table reveals the extent of the migration from rural areas to three selected liwas of Iraq.

Rural Migration to Three Selected Liwas
1947—1957 (In Thousands)

Liwa	Population	Birth	In-Migrants	Percent of Migratns
			1947	
Baghdad	788	615	173	22.0
Basrah	355	297	59	16.3
Kirkuk	285	262	23	8.1
TOTAL	1469	1174	255	17.8
			1957	
Baghdad	1313	981	322	25.2
Basrah	503	440	63	12.5
Kirkuk	389	377	12	3.0
TOTAL	2205	1798	407	16.9

24—Mohammed Salman Hassen, Development of Economy of Iraq.

over nation-wide growth in Iraq. The population of cities in Iraq is increasing at a higher rate than that of the country as a whole. In 1957, for example, 57% of the industrial workers in Baghdad were rural migrants. They are described as preferring city life to the life in villages which they had left.(22)

The present picture is that of rapidly growing and overcrowded cities coupled with declining rural areas, empty land, and a basic population imbalance. Migrants continue to come from sparesely settled rural areas to densely populated urban areas. It should be kept in mind that Iraqi rural areas are composed of farmers who live in villages which serve as small regional trading centers. Farming graually grades off into pastoral nomadism and the two ecologies interpenetrate each other as ways of life. Although the Iraqi cities have been growing at very rapid rates in the 20th. century, it should be kept in mind that the Iraqi population as a whole is still chiefly rural. The consequences of rapid growth in cities in Iraq are not entirely the same as they are in the West. For example in 1966, agricultural production constituted the mojor economic activity of the country. Approximately 70% of the population is engaged directly or indirectly in agriculture and 24% of the national income is derived from agriculture.(23) Historically Iraqi cities have fluctuated greatly in population during their long periods of existence.

The beginning of recent immigration from rural areas to the cities is to be observed during the 1930's when the pressure of the Shiekh landlords upon the peasants increased. During this time the government increased the power of the shiekhs by making them members of parliment and the laws passed by parliment resulted in supporting landlords against the peasants and increasing the former's incomes. Discontent with this pressure and the desperate economic conditions in the rural areas led the migrants in the steady stream to the three major urban centers of Baghdad, Basrah, and Kirkuk. This migration beginning in the 1930's continued to increase during the 1940's and 1950's and continues at a rapid pace at the present time. Selected Studies of the 1947 and 1957 censuses enables one to see the extent to which urban growth depended upon this rural migration.

22—Abdul-Razzak Al-Hilali, Migration of Rural Folk to Towns in Iraq, Baghdad, Al-Najah Press, 1958.

23—The Role of Agricultural Planning in Economic Development of Iraq, Report of the Delegation of Iraq for the International Seminar on Agricultural Development Planning in Economy, July 18 to August 13, Berlin, West Germany.

not only movement into Iraq, but also an extensive amount of internal migration from time to time. When the Persian government established its Manothers form of government in Iraq and made Hira its capitol the chief reason was to put a stop to the bedowin immigration into Iraq as well as the internal movement of the tribes in the southwestern portion of the country. Later during the Islamic period bedowin immigration was considerably reduced.

However, during the weakening of Islamic civilization by internal conflict and external invasions bedowin strength increased. During this period there was little population stability since the bedowin was not characterized by either attachment to land nor patriotism. As pointed out above the deterioration of irrigation and disasterous flooding of the two rivers forced many segments of settled population groups dependent on agriculture to leave their lands and move from place to place. The population shifts contiued until the end of the 19th. century at which time there tended to develop more stable population centers, the establishment of agrarian law, and the development of better means of communication. By the end of the Turkish rule Iraqi tribes were in control of large tracts of land and the sheikh of each tribe managed the land for the tribe. In 1932 the first land settlement law was passed which resulted in large individual land holdings. This was the beginning of large scale attempts to rehabilitate land for extensive agricultural and settlement purposes. On the basis of the estimated 1930 census of population the total number of unsettled rural inhabitants reached 1,351,000, nomadic tribesmen reached 234,000, and the number settled in rural centers reached 895,000. By comparison the combined population of Mosul, Baghdad, and Basrah was 344,000.[21] Although the number of unsettled bedowins are constantly decreasing, at present they constitute approximately 4% of the total population.

Of basic concern is the movement of population from rural areas to towns and cities in Iraq. There can be no question as to the motivation behind these movements: it is overwhelmingly economic. This is particularly true of the migration from the rural villages of southestern Iraq. Here as elsewhere the lure of greater monetary rewards in the city attracts a large number of ruralites. The end result has been an excess of urban growth

---

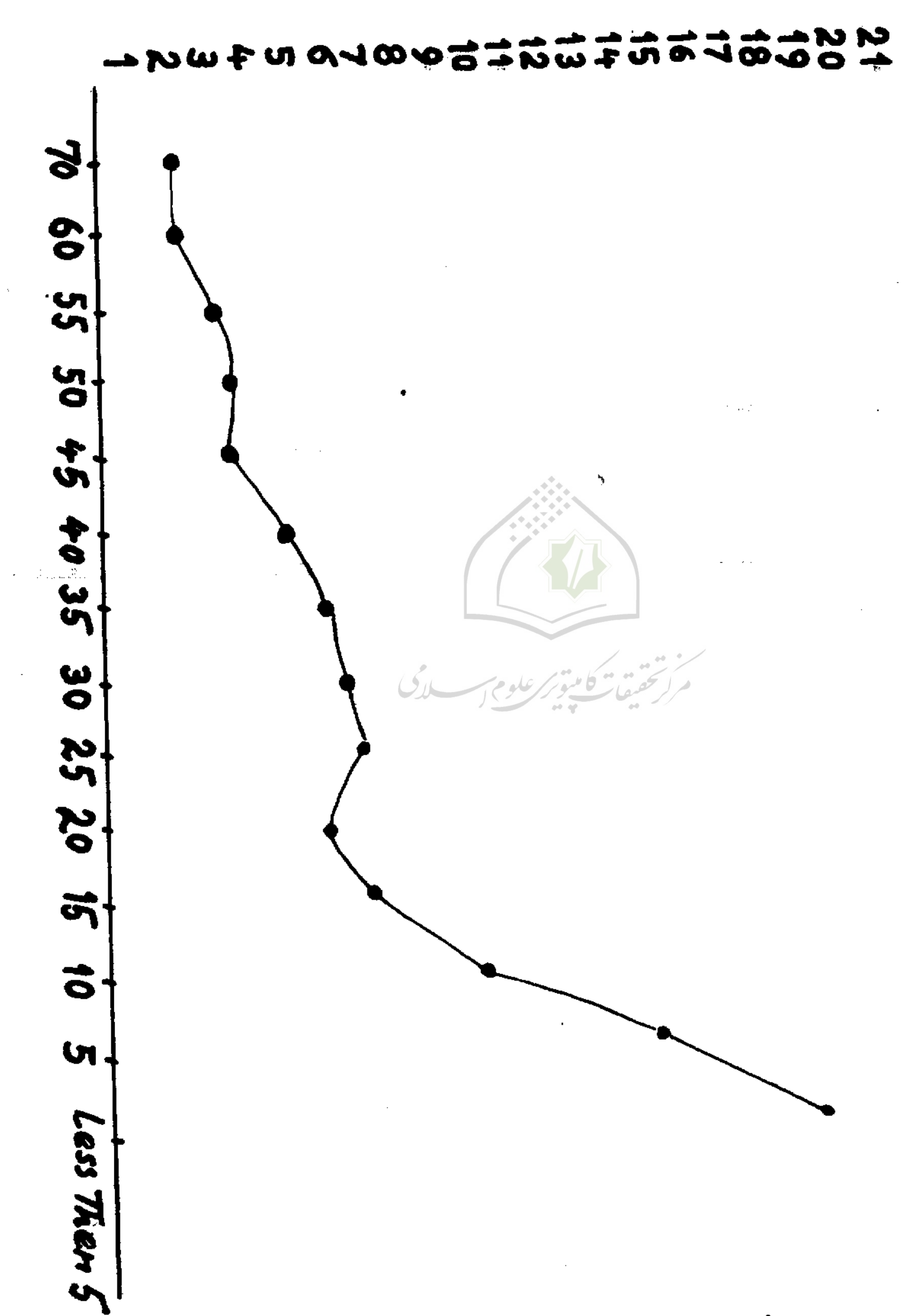
21—Sa'id Hamada, Economic System in Iraq.

is low when compared to many other countries. For example the per capita income of most European countries for the same period was approximately 380 pounds sterling and that of the United States approximately 1,000 pounds sterling.(18) It is hoped that the pace of development in Iraq can be increased by planning and by encouraging the consumption of national products in the internal market. As far as population is concerned Iraq can also increase its production by adequately preparing youth in general and by providing the necessary specialized education for technical and vocational skills. While training and education clearly complement each other, there has been so much emphasis on higher academic study that the practical training needed to provide competent technical and vocational practices has been badly overlooked. It is not true that multiplying the number of individuals receiving higher education results in economic progress. If a man is educated beyond the needs of his job, and if his education is not supplemented by sound training for that particular job, he ends up being both dissatisfied and unqualified to handle his job responsibilities. More attention has to be directed to the need to develop educated and trained manpower at the various levels a developing country requires. In the past the majority of young men and women enter secondary school with the sole aim of continuing on to college. They have had the expectations of future jobs unrelated to the realities of their country's economy. The society must become more aware of the extent to which the level of economic productivity depends upon the level of its trained as well as educated manpower.

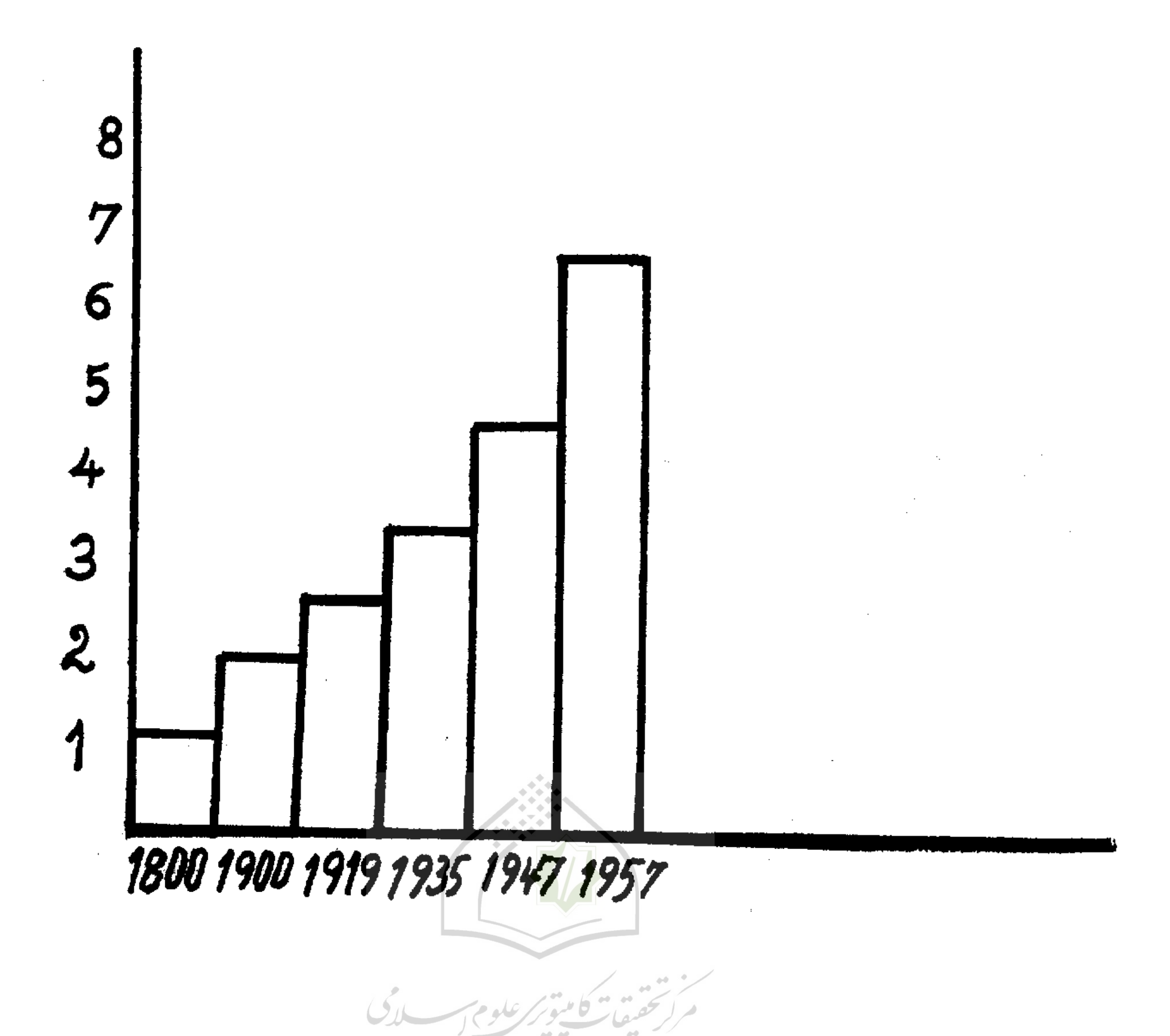
Population Movement

From time immemorial Iraq has been an attractive land for migrations, large and small. It has seen a constant stream of movement originating at all points of the compass and focusing on the rich land of the twin rivers. Azawi has claimed that the Keldans were the first Arabs who inhabited Iraq.(19) Ali Wardi mentioned in his book, *A Study In The Nature of Iraq Society,* that there has been a continuous ebb and flow between the desert bedowins and the urban population in Iraq.(20) Shifts in residence and economic adaptation appear to have been continuous processes in Iraq throughout its historical development. There has been

18—Mohammed Salman Hassen, Economic Development in Iraq, pp. 62—5.
19—Al-Azzawi, Tribes of Iraq, Vol. I, p. 38.
20—Ali Al-Wardi, A Study in the Nature of Iraq Society, Baghdad, 1966, p. 13



Percent of Age Groups For Total Population
(1957)



Population Increase (1800—1957)
(In Millions)

The population pyramid as well as the above table indicates that the Iraqi population is a young population; characterized by activity and an increasing birth rate. The indications are specific that workers between the ages of 15 and 60 support the majority of the work load and sustain approximately one-half of the total population. This applies to both men and women, however in Iraq women seldom work in jobs outside to home. The figures also indicate that the majority of women are in the period of child-bearing ages. The rather large base of the pyramid indicates the existence of a large number of children and this explains the continued increase of population which will continue in the future. It should be pointed out that this population is similar to the population of other undeveloped countries. It represents agricultural countries such as the U.A.R., India, and various South American countries which are experiencing population explosions. These countries do not as yet practice a policy of birth control or population planning.

It should be added that although Iraq has a high potentiality for development because of the high proportion of younger age groups unless social, health, education, and economic development also occurs, the increasing number of children will create difficulties for the total society and its institutions. Unless these other aspects of development also occur economic and social progress will not automatically occur with an increasing population. Plans must be made to care for the increasing number of children characteristic of the society.

Although it is important to realize the meaning of the variation between male and female members of the population, it is even more important to compare the ages of workers and the ages of non-workers. In 1947 the proportion of population which was able to work was approximately 54.5%. Of this number approximately 28.2% were females. The comparison of the proportion of people who are able to work with those not able to work gives a good indication of the actual labor force. It is the male labor force which must support the remainder of the population since women seldom work outside the home.

In Iraq the per capita income has gradually increased since 1950 at which time it was approximately 32 ID per year. In 1964 this had increased to 70 ID per year. However, the national income during the past 10 years has been increasing at an estimated rate of 6% including increases from oil revenues. This increase

can be explained by differential rates of migration between the sexes. The tendency to overrepresent females in an area rather than males is understandable since males would then become eligible for conscription into the armed forces. The latter can be especially seen in relation to the lowering of age by males in order to escape conscription. The 1947 census revealed that 50% of the population was include in the 1 to 19 year are group. This is seen in the following table :

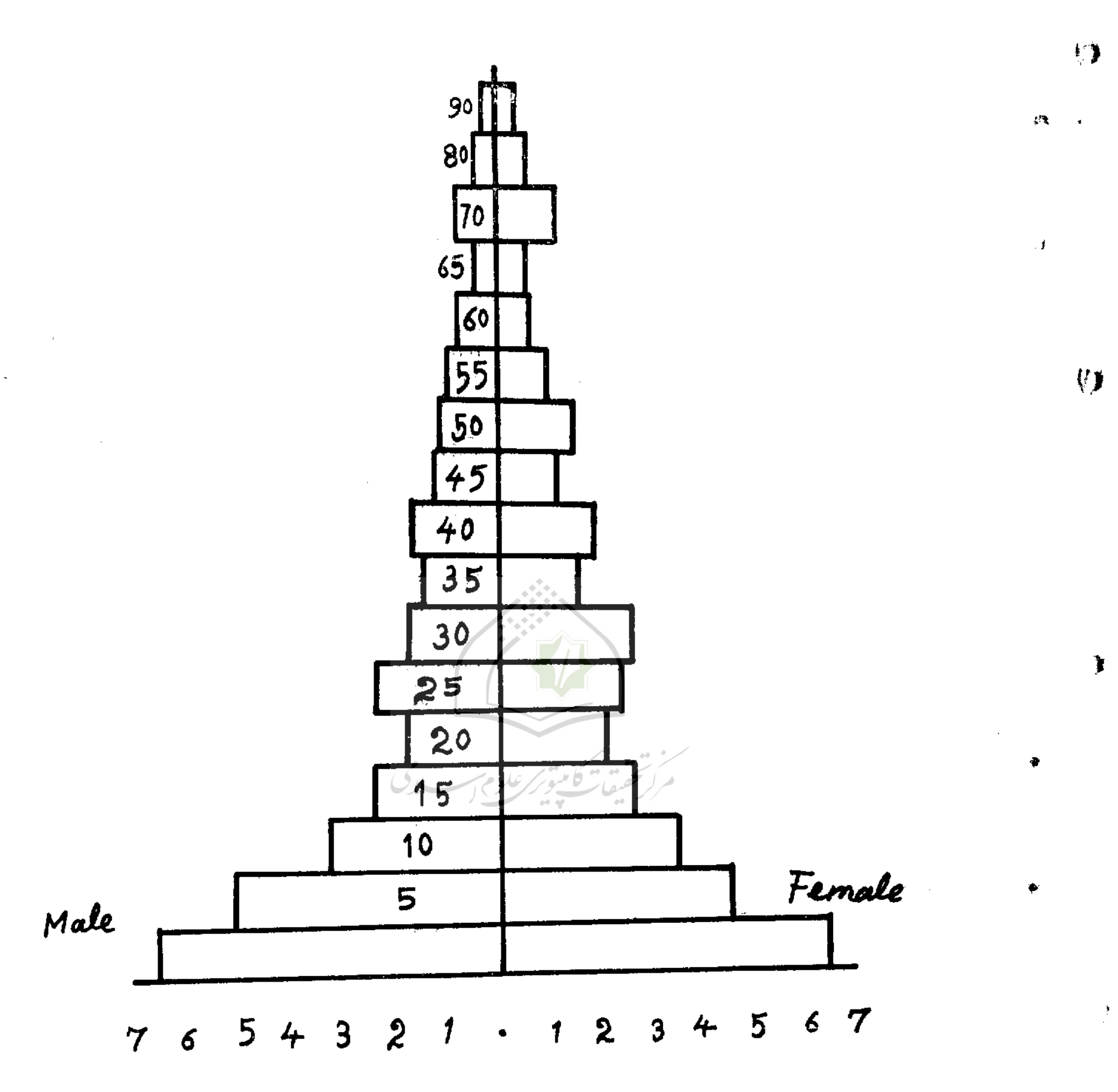
Percentage of Population According
To Age Groupings, 1947

Age	Percentage of Population
01—09 years	34.0
10—19	16.0
20—29	10.5
30—39	13.0
40—49	10.5
50—59	6.0
60 & Over	10.0

A population pyramid, constructed from data of the 1957 census reveals essentially the same basic pattern as that found in the 1947 census, with the younger age groups forming the large base of the structure. The same data in tabular form is revealed in the following table :

Iraqi population By Age Groups 1957

AGE GROUPS	NUMBER			PERCENT		
	Male	Female	TOTAL	Male	Female	TOTAL
Less than 1 year	112,408	96,067	208,475	3.5	3.0	3.3
Less than 5 year	510,032	505,300	1015,332	16.0	16.0	16.0
5	504,926	458,856	693,782	15.8	14.1	15.0
10	334,650	319,684	654,334	10.4	10.1	10.0
15	241,030	258,894	499,924	7.9	8.1	7.9
20	184,412	211,266	395,678	5.8	6.7	6.2
25	219,682	228,787	448,469	6.9	7.1	7.0
30	187,368	214,036	401,904	5.8	6.6	6.0
35	154,692	145,070	299,762	4.9	6.8	5.9
40	165,385	150,806	316,191	5.1	4.8	4.9
45	124,495	99,296	223,701	3.9	3.1	3.5
50	117,318	119,235	236,553	3.7	3.8	3.7
55	97,909	104,089	201,998	3.7	3.3	3.5
60	67,047	71,926	187,973	2.1	2.3	2.2
65	48,388	49,789	98,177	1.5	1.6	1.5
70	70,422	73,419	143,814	2.2	2.3	2.2
80	29,646	32,265	61,911	1.0	1.0	1.0
90	6,847	7,385	14,232	0.2	0.2	0.2
100 & Over	2,749	3,010	5,759	0.9	0.5	0.6
Unknown	5,711	5,663	11,374	0.2	0.2	0.2
TOTAL	3,185,117	3,154,843	6,339,960	100	100	100



Population Pyramid 1957 Census

Liwa	Sex	1947	1957	Difference	Percentage Increase
Mosul					
	Male	288,199	382,955	94,756	32.9
	Female	306,991	372,492	65,501	21.3
	TOTAL	595,190	755,447	160,257	26.9
Sulaimaniya					
	Male	101,767	158,624	56,857	55.9
	Female	124,533	146,271	21,638	17.4
	TOTAL	226,400	304,895	78,495	34.7
Arbil					
	Male	108,488	137,957	29,469	27.2
	Female	131,288	135,426	4,138	3.2
	TOTAL	239,776	273,383	36,607	14.0
Kirkuk					
	Male	129,365	198,112	68,747	53.1
	Female	156,640	190,727	34,087	21.8
	TOTAL	286,005	388,839	102,834	36.0
Diyala					
	Male	133,749	167,746	33,997	25.4
	Female	138,664	162,090	23,426	16.9
	TOTAL	272,413	329,836	57,423	21.1
Ramadi					
	Male	96,534	130,765	34,231	35.5
	Female	96,449	122,258	25,809	26.8
	TOTAL	192,983	253,023	60,040	31.1
Baghdad					
	Male	408,404	677,465	269,061	65.9
	Female	408,801	635,547	226,746	55.5
	TOTAL	817,205	1313,012	495,807	60.7
Kut					
	Male	103,987	140,349	36,362	35.0
	Female	130,951	155,550	24,599	18.8
	TOTAL	234,938	295,899	60,961	26.0
Hilla					
	Male	124,897	176,380	51,483	41.2
	Female	136,309	178,399	42,090	30.9
	TOTAL	261,206	354,779	93,573	35.8
Karbala					
	Male	132,116	105,654	26,462	20.3
	Female	142,148	111,721	30,427	21.4
	TOTAL	274,264	217,375	56,889	20.7
Diwaniya					
	Male	159,875	253,538	93,663	58.7
	Female	218,243	266,932	48,689	22.3
	TOTAL	378,118	520,470	142,352	37.7
Amara					
	Male	138,207	162,307	24,100	17.4
	Female	168,814	167,533	—1,281	—.7
	TOTAL	307,021	329,840	22,819	7.4
Nasiriya					
	Male	148,034	212,167	64,133	43.3
	Female	223,833	246,681	22,848	10.2
	TOTAL	371,867	458,848	85,981	23.4
Basrah					
	Male	183,734	251,030	67,307	36.6
	Female	185,076	252,300	67,224	36.3
	TOTAL	367,799	503,330	134,531	36.5

The differences in rate of increase between the sexes can be accounted for by social and economic factors rather than by biological factors such as birth and death rates. These differences

1957 censuses. Prior to the 1957 census there were attempts to register males as females in order to escape conscription. This is seen by an examination of the following Table for selected years :

Distribution of Population by Sex

Year	Male	Female	Total
1934*	1,688,239	1,692,292	3,380,531
1947	2,257,345	2,558,840	4,816,185
1957	3,294,073	3,244,036	6,538,109
1965	4,181,022	4,039,687	8,220,709

*—Estimate.

According to the 1934 estimate of population, the number of women in the population exceeded the number of men. This reversed itself in the 1957 and 1965 census when the number of men exceeded the number of women.

The population by age and sex for 1947 is seen by examination of the following table :

	Male	Female	TOTAL	%Male	%Female	TOTAL
Under 5	409,039	430,101	839,140	9.0	9.4	18.4
5_09	337,433	399,231	736,664	7.4	8.7	16.1
10_19	317,967	415,448	733,415	7.0	9.1	16.1
20_29	201,224	285,468	486,692	4.4	6.3	10.7
30_39	250,650	301,695	522,345	5.5	6.6	12.1
40_49	252,224	232,262	484,486	5.5	5.1	10.6
50_59	148,224	144,576	292,752	3.2	3.2	6.4
60 and over	209,561	228,980	438,541	4.6	5.0	9.6
TOTAL	2,126,274	2,437,761	4,564,035	46.6	53.4	100.0

(Source: 155 Statistical Abstract, Date based on 1947 Census)

According to the following table the population increase in each Liwa from 1947 to 1957 was significant despite the continued migration from rural to urban areas :

According to the above table the urban population represents 38% of the total population compared to 34% in 1947. Included in the 1957 rural population figures are the two categories: Iraqis Abroad and Delayed Registration. It is highly unlikely that these two categories contain no urban population. Therefore the population of the total population classified as urban in 1957 is somewhat higher than is revealed in the official population statistics. A Liwa by Liwa comparison of the percentage of urban population for 1947 and 1957 is seen in the table below:

Proportion of Population Classified as Urban
1947 and 1957

Liwa	1947 Percent Urban	1957
Mosul	35	38
Sulaimaniya	24	38
Arbil	21	26
Kirkuk	33	39
Diyala	19	23
Ramadi	20	27
Baghdad	60	65
Kut	22	24
Hilla	28	41
Karbala	42	78
Diwaniya	21	24
Amara	20	25
Nasiriya	15	18
Basrah	40	46
TOTAL	34	38

In considering the distribution of population according to age and sex there appears some degree of inconsistency in the data from year to year. This is particularly apparent in the 1947 and

Iraqi Population by Liwa. Sex and Rural-Urban Distribution 1957

L I W A	URBAN			RURAL			TOTAL	TOTAL	GRAND
	Male	Female	TOTAL	Male	Female	TOTAL	Male	Female	TOTAL
Mosul	139,356	133,261	272,617	223,975	220,908	444,883	363,331	354,169	717,500
Sulaimaniya	41,299	37,969	72,268	114,866	105,844	220,710	156,165	143,813	299,978
Arbil	39,084	33,746	72,830	98,518	101,178	199,696	137,602	134,927	272,526
Kirkuk	78,648	74,524	153,172	117,900	117,840	235,740	196,548	192,354	388,912
Diyala	39,246	37,025	76,271	127,260	126,282	253,542	166,506	163,307	329,813
Ramadi	31,951	30,861	62,812	87,355	84,095	171,450	119,306	114,956	234,262
Baghdad	441,777	405,285	847,062	228,384	231,158	459,542	570,161	636,443	1,306,604
Kut	34,648	35,216	69,864	102,784	117,422	220,206	137,432	152,638	290,070
Hilla	52,987	51,258	104,245	124,556	124,813	249,369	177,543	176,071	253,614
Karbala	83,779	89,794	173,573	21,568	21,874	43,442	105,347	111,668	217,015
Diwaniya	60,088	62,386	122,474	186,379	198,695	385,074	246,467	261,081	507,548
Amara	42,027	41,291	83,318	120,161	126,168	246,329	162,188	167,459	329,647
Nasiriya	41,406	43,517	84,923	169,248	201,473	370,721	210,654	244,900	455,644
Basrah	119,764	115,445	235,209	132,618	135,057	267,675	252,382	250,502	502,884
Deserts	—	—	—	37,059	31,503	68,562	37,059	31,503	68,562
Iraqis Abroad	—	—	—	30,750	11,714	42,464	30,750	11,714	42,464
Dlyd. Regr.	—	—	—	124,632	96,434	221,066	124,632	96,434	221,066
T O T A L	1,264,060	1191,578	2437,638	2048,013	2052,458	4100,471	3294,073	3244,036	6,538,109

A corresponding classification of the population for eight cities for the 1947 census reveals the following distribution:

City	Total	Male	Female
Baghdad	523,870	270,685	253,185
Basrah	101,535	53,762	47,773
Mosul	133,625	67,392	66,233
Kirkuk	68,308	36,852	31,456
Najaf	56,261	25,683	30,578
Amara	48,110	23,719	24,391
Kazimain	48,676	24,390	24,286
Karbala	44,150	20,964	23,186

According to the 1947 census approximately half a million people live in a hundred or so towns of less than 15,000 population. These towns are the administrative and market centers of minor political sub-divisions. In reality many of them are no more than large villages. They make up a semi-rural population category intermediate between the rural village and the town.

Since the 1947 census was the first official census it is necessary to compare its results with the second official census in 1957. The summary table for the 1957 census follows. It is to be noted that the general breakdown of population statistics are more detailed for the 1957 census than was true for the 1947 census. Also included in the 1957 census are the following categories: (1) Deserts (2) Iraqis Abroad and (3) Delayed Registration.

characteristic of Iraq and in all probability will continue in the near future. Amara Liwa, for example, has lost approximately 50,000 within the past years. It is expected that industrial expansion in urban areas will continue to drain the surplus populationn no longer needed in agricultural areas. This is particularly true of Baghdad which has greatly increased its population from 1950 to 1965. There continues to be a steady migration from rural areas to urban centers such as Baghdad and Basrah. Factors important in this migration to the cities include the following: the expectation of higher wages and advancement, pleasures of city living, greater freedom for the individual, depressed living conditions in rural areas, and the possibilities of a better and higher level of education with the desire to obtain a "desk" or "white-collar position" upon completion of education.

According too the 1947 census the total population reached 4,816,185 of which 34% was classified as urban. It should be kept in mind that urban is defined by the census of 1947 as the population living within municipalities. These figures are to be seen in the following Table:

Iraqi Population by Liwa, 1947

Liwa	Total	Male	Female	Nomads	Percent Urban
Mosul	595,190	288,199	306,991	70,000	35
Sulaimania	226,400	101,767	124,633		24
Arbil	239,776	108,488	113,288		21
Kirkuk	285,005	129,365	156,640		33
Diyala	272,413	133,749	138,664		19
Ramadi	192,983	96,534	96,449	25,000	20
Baghdad	817,205	408,404	408,801		60
Kut	224,938	103,987	120,951		22
Hilla	261,206	124,897	136,309		28
Karbala	274,264	132,116	142,148	125,000	42
Diwaniya	387,118	159,875	218,243		21
Amara	307,021	138,207	168,814		20
Nasiriya	371,867	148,034	223,833	30,000	15
Basrah	368,799	183,723	185,076		40
TOTAL	4,816,185	2,257,345	2,255,840	250,000	34

present overpopulated. It is readily apparent that Iraq cannot at this time support a great increase in population. It is also apparent that the country is not characterized by population pressure typical of other Middle Eastern countries. The current rate of population increase appears to be from 1.5% to 2% per year. The density of the present cultivated areas is reported to be approximately 130 per square km. However, there are quite wide local variations. The largest area empty of sedentary population is the desert south and west of the Euphrates. Other large areas without settled inhabitants lie west of a line running southward from Mosul and an area east of the Tigris from Baghdad to the Iranian frontier. On the other hand the most densely settled region lies along the two rivers. In the northern plain the rural population is fairly heavy between Mosul and Kirkuk. In the mountains settlement is largely confined to a series of valleys and the Liwa center of Sulaimania. Settlements thin out as the terrain becomes higher and more mountainous. Approximately two-thirds of Iraq's population is located in rural villages and approximately 80% of these are cultivators. Even in centers of population of 20,000 inhabitants, a large proportion of the population is employed as agricultural workers.

There is a continuous migration from the villages and towns to the larger cities of Baghdad, Basrah, and Kirkuk.

In any event what has to be taken into consideration as far as density of population is concerned is the proportion of Iraq's land which is suitable for agriculture. According to one source approximately 15% of the land area is suitable for agricultural purposes.[16] The source breaks down the agriculturally suitable lands into the following categories: irrigated land 2.7%; rain-fed land 3.5%, and pastureland 7.9=. A report issued by the Ministry of Agricultural Reform in 1965 stated that approximately 1,811,600 marshes had been re-claimed for agricultural purposes.[17] Although improvement in the productivity of the land often results in increasing the density of population in agricultural areas, it is expected that increased productivity more agricultural workers will leave the rural areas for work in the emerging urban and industrial centers in Iraq. This exodus of workers from agricultural areas to urban centers is presently

16—Mohamed Hamid Hassen, The Ability of Iraq for Agricultural Production, p. 7.
17—Ministry of Agricultural Reform, Statistical Report, August 1965, p. 7.

demonstrate a fluctuation of population; an actual decrease in population frm 1947 to 1957, but in 1965 the general trend inthe two Liwas again demonstrates a population increase. A more accurate indication of the distribution of Iraqi population based on the three latest official censuses is revealed by the analysis of the following table.

Population Density by Liwas 1947 to 1965

Liwa	1947 Population	1947 Density	1957 Population	1957 Density	1965 Population	1965 Density
Mosul	595,190	11.1	717,500	14.1	954,157	18.7
Sulaimaniya	226.400	18.8	299.978	25.8	408.220	34.0
Arbil	239,776	15.6	272,526	17.7	360,285	23.5
Kirkuk	285.005	14.5	288.912	19.9	462.027	23.6
Diyala	272,413	17.3	329,813	20.9	400,049	25.4
Ramadi	192,983	1.3	234,262	1.6	319,689	2.3
Baghdad	817,205	41.5	1306,604	65.5	2164,323	108.8
Kut	224,938	15.1	290,070	19.5	335,495	22.6
Hilla	261,206	37.9	253,614	36.8	448,023	65.1
Karbala	274,264	38.2	217,015	30.2	339,692	47.3
Diwaniya	378,118	4.5	507,548	6.0	548,830	6.5
Amara	307,021	17.1	329,647	18.8	346,663	18.9
Nasiriya	371,867	25.7	455,644	31.5	500,033	34.5
Basrah	368,799	20.4	502,884	27.9	673,623	37.3
TOTAL	4816,185	11.0	6206,017*	14.2	8580,709**	19.7

*__Excludes the following categories: (1) Iraqis Abroad (2) Deserts (3) Delayed Registration: Total 332,092.

**__Excludes the following categories: (1) Iraqis Abroad: Total 40,818.

From 1947 to 1965 there has been a general increase in population density for each Liwa as well as for the country as a whole. A word of caution, however, is necessary in interpretating the density figures for the country as a whole if one is to avoid some of the common errors characteristic of the past concerning the density of the population of Iraq. Two extreme claims were made concerning the density of Iraq's population. One claim stated that Iraq could provide food for more than forty million people as it had once done thousands of years ago.(15) The other extreme point of view states that Iraq is at

15__Sayid Marir, A Report on Agriculture and Agricultural Policy in the Iraq Republic, p. 7.

contain a population density of from 25 to 50 persons per square km. and are located in the extreme east, central, and southern portions of the country. The present areas of heavy concentration of population follow quite closely the population concentration during ancient times. This concentration today as well as in the past reflects not only the physical characteristics of the land and water system but reflect as well the cultural and social characteristics of Iraqi culture and its developing urban pattern of population concentration. Although the physical and geographical characteristics continue to play a significant part in the distribution of Iraqi population, the cultural and social factors have begun to play an ever greater role in the distribution of population. The distribution of population by Liwa from 1919 to the present is seen in the following table.[14]

Population Increase by Liwas for Selected Years 1919—1965
(Thousands)

Liwa	1919	1930	1932	1934	1935	1942	1947	1957	1958	1960	1965
Mosul	350	320	393	375	235	516	595	717	722	755	954
Sulaimaniya	155	94	103	115	175	164	226	300	300	313	408
Arbil	106	106	107	144	169	202	240	273	273	281	360
Kirkuk	92	160	138	167	180	250	285	388	390	417	462
Diyala	104	240	87	185	118	246	273	329	332	349	400
Ramadi	250	147	131	101	170	139	192	234	235	249	319
Baghdad	250	388	358	437	750	894	817	1307	1316	1411	2164
Kut	107	170	120	124	225	164	225	290	290	303	335
Hillah	173	103	210	203	200	233	261	254	335	376	448
Karbala	—	90	107	95	120	116	274	217	217	237	340
Diwaniya	204	238	341	254	268	324	378	507	508	520	549
Amara	300	238	265	269	250	310	307	330	330	336	347
Nasiriya	320	320	227	215	208	252	372	456	456	468	500
Basrah	165	190	248	247	284	336	369	503	508	542	674

One immediately notes the flucuations in population in the various liwas over the period from 1919 to 19665. Part of this fluctuation and lack of steady increase in the population is due to the fact that with the exception of the 1947, and 1965 figures, the remaining figures were merely estimates of population from various sources. Since 1947 only Karbala and Hilla Liwas

14—Table composed of estimates from various sources as well as official census figures for 1947, 1957, and 1965.

A summary of population increase for Iraq from 1800 to 1963 also reveals a steady increase as a result of natural increase and a bettering of health and sanitary conditions.[13]

1800	1867
1,000,000	1,280,000

1900	1905	1919
2,000,000	2,250,000	2,849,000

1935	1942	1947	1957
3,353,7777	4,146,000	4,816,000	6,206,000

1961	1962	1963	1965
6,696,000	6,802,000	6,937,000	8,580,000

Distribution of Population

The present as well as the past distribution of the population of Iraq has always been greatly influenced by the physical characteristics of the country. The locations of ancient cities are obvious indicators of early population distribution and the location of present day cities and towns correspond quite closely to the sites of ancient cities. In the past as well as in the present wherever there is irrigation there is settlement, for the population is dependent upon the food supply. Generally speaking, the settlement and the growth of centers of population have always followed the twin rivers and the interconnecting irrigation systems. The present distribution of population, according to the 1965 census, can be seen by looking at Map I. An inspection reveals the heavest concentration of population located in the central part of the country; the Baghdad Liwa. The second heavily concentrted population area lies immediately to the south of Baghdad Liwa; in Hilla Liwa. The Liwas with the lightest concentration of population are located in the extreme northern and western portions of the country. They contain a density of 25 of fewer persons per square km. compared to the Baghdad Liwa with a density of just over 100 persons per square km. The Liwas of Kerbala, Nasiriya, Basrah, Sulaimania, and Diyala

13—These figures represent a summary of various sources plus the official census of 1947, 1957, and 1965.

In terms of rough geographical areas the population of the northern zone increased sevenfold during the above period of 1857—1957, the middle zone approximately sixfold, and the southern zone had increased by almost fourfold. According to an analysis of population statistics the rate of increase of the population from 1919 to 1957 was at the rate of 1.3% per year. From 1890 to 1905 the annual rate of increase was 1.8%. The rate of increase from 1905 to 1935 revealed a slight decrease from 1.8% to 1.7%. After 1935 the rate of increase was between 2.4% and 2.8% and the percent increase reached its peak during the middle of the present century. In terms of the three general geographical areas the percent of increase was as follows: 1.8% for the northern zone from 1867 to 1890; 1.7% for the middle zone and 1.5% for the southern zone. In the period 1947 to 1957 the rates of increase were 2.5% for the northern zone; 4.5% for the middle zone, and 2.4% for the southern zone. This in general reflects the movement of population to Baghdad which is located in the middle zone. The following table gives an indication of the increase in population for each zone from 1867 to 1957.(11)

Zone	1867	1890	1905	1919	1935	1947	1957
North	360,000	401,000	540,000	703,000	1041,000	1327,000	1733,000
Middle	491,000	575,000	855,000	966,000	1319,000	3043,000	3764,000
South	534,000	750,000	855,000	1179,000	1345,000	1436,000	1813,000

The Table of increase indicates that prior to 1935 the southern zone continued the largest proportion of population. However, beginning in the 1930's the largest proportion of population has been concentrated in the middle zone in which Baghdad is located. This supports another study which indicates that the rate of urban growth in Iraq has in the latter part of the 20th. century exceeded that of Europe or North America.(12) This current rate of urban growth may be expected to remain at a high level in response to the efforts being made to achieve higher levels of economic development, including increased industrialization. Although both the northern and southern zones of the country have demonstrated an increase in population due to the rural to urban migration to Kirkuk and Mosul in the north and to Basrah in the south, the middle zone has shown a greater increase in population from 1935 to the present.

11—Mohammed Salman Hassen, The Economic Development of Iraq.

12—J. S. McCrary, Urbanization in Iraq, Unpublished manuscript, Univ. of Baghdad, 1966.

In considering these various estimates of population from different sources it should be kept in mind that in general population statistics for Iraq are quite unreliable. No two estimates tend to agree on size of population. Although present population statistics are still unreliable despite the censuses of 1957 and 1965, the explanation for this inaccuracy lies in the attitude of the local population toward statistics of any kind. This was early reflected in the classic example of a letter from the Qadi (Judge) of Mosul. In reply to an inquiry from an English traveler as to the size of Mosul, the number of inhabitants, commerce, history, etc., he wrote:

> My Illustrious Friend, and Joy of My Liver! The thing you ask of me is both difficult and useless. Although I have passed all my days in this place, I have neither counted the houses nor have I inquired into the number of inhabitants; and as to what one person loads on his mules and the other stows away in the bottom of his ship, that is no business of mine. But, above all, as to the previous history of this city, God only knows the amount of filth and confusion that the inhabitants may have eaten before the coming of the Sword of Islam. It were unprofitable for use to inquire into it.(10)

Unfortunately the same general attitude is still maintained by large numbers of the present population concerning population statistics.

In spite of the inaccuracies of the various estimates of population from the earliest times to the present, one fact is established: the steady increase of the population during the 20th. century despite the man-made and natural disasters which have occured from time to time. For example, the population of Baghdad in 1831 was estimated as 20,000. In 1900 the population had increased to 145,000; in 1936 it was 300,000; in 1947 it was 817,000; in 1957 the population had increased to 1,307,000, and according to the latest census of 1965 the population had reached 2,165,000. The total population of Iraq has also demonstrated a general increase from the beginning of the middle of the 19th. century to the present time. From 1857 to 1957 the total population increased fivefold while it increased three times from 1900 to 1957.

10—A.H. Layard, Discoveries Among the Ruins of Nineveh & Babylon, N.Y., G.P. Putnam & Co., 1853, p. 663.

Other estimates of the population for the entire country in 1800 place the population figure at approximately one million.(5) It should be pointed out, however, that these are only estimates for the borders were not fixed at this time. During this period the normal population is given as 35% of the total. The rural population as 41%, and urban population as 24% of the total. Almost nothing is known about the birth and death rates during early period, however, it can be estimated that the birth rates were high Eeveral factors account for this estimate: (1) early age of marriage. (2) absence of birth control measures, and (3) the positive social value of having many children. On the other hand the death rate was also high because of poor health conditions and the presence of many diseases. Many writers refer to the presence of bilharzias in the period from 1847 to 1899. Other diseases such as cholera also spread throughout Iraq resulting in excessively high death rates from time to time.(6)

Abdul Razak al-Azzawi estimated the Iraqi population to be approximately 1,250,000 at the end of the 19th. century and Fisher estimated the population to be 2,000,000 in 1900.(7) In 1919 when Iraq came under British control its population was estimated at 2,849,282. This, however, is an incorrect estimate for the primary census of 1934 reported the population at 2,930,384 and this number did not include nomadic tribes nor the semi-settled peasants. The exhaustive report, *A Handbook of Mesopotomia* published by the British Admiralty in 1916 reported the absence of anything like a systematic census and gave only the following statistics as indications of an estimate: Vilayet of Mosul 250,000, Vilayet of Baghdad 719,000, and Vilayet of Basrah 792, 000.(8) Another estimate gives the primary population of Iraq during this period as follows(9) :—

Population of the Three Cities of Baghdad, Basrah, and Mosul.	344,000
Nomadic Tribes	234,000
Settlements	895,000
Villages and Unsettled Tribes	1,351,000
Total:	2,824,000

5—Economic Development of the Middle East.

6—Al-Azzawi, Iraq Between Two Mandates, Vol. 7.

7—Fisher, S.N., The Middle East; A History, N.Y. A. Knopf, 1951.

8—Admiralty War Staff, A Handbook of Mesopotamia, August 1916.

9—Saiyd Hamada, Economic Institutions in Iraq, 1938.

province until the end of World War I. In 1920 Iraq was awarded to British as mandate territory. The announcement of the mandate was followed by a four month general uprising resulting in approximately 10,000 casualties and immense damage to property. On June 30, 1930 a new Anglo-Iraqi treaty was signed which recognized the full independence of Iraq. On October 3, 1932 Iraq was admitted as a full-fledged member of the League of Nations Prior to the gaining of independence there was some difficulty concerning the eastern and northern borders of Iraq. The eastern border question with Persia was settled in 1914 and finally the liwa of Mosul became part of Iraq in 1926. Prior to that time Turkey claimed the liwa as part of Turkish territority. The northwestern Iraqi border was fixed with Syria in 1933.

In general the population of Iraq suffered a decline from the time of the Mongol invasions to the 19th. century. One historian makes the claim that had the economic progress of the Abbassid period continued, the industrial revolution would have occured in Iraq in the 11th. or 12the. century instead of in Europe in the 17th. century.(2) Whether such a statement can be supported, it is clear that many factors worked to decrease the population of Iraq during the period from the 13th. to the 19th. century. Not all of these factors were the result of destruction, wars, and conflicts for severe plagues and floods of the twin rivers sided in reducing the population at various times. There are many early written accounts of foreign tourists in Iraq at various times and these accounts, inaccurate as they are, always refer to population estimates. In the mid 1800's, for example several such estimates place the population of Baghdad at 50,000 to 80,000. According to the English traveller, B. Frasier who visited Baghdad a short time after the flood and plague of 1848, the estimated population of Baghdad was 80,000. Prior to the time of destruction of Baghdad by the Mongols, the population of the city was estimated to be 150,000.(3) Various other estimates of the population of Baghdad in 1848 place the number between 50,000 and 60,000. Another account describes the population of Basrah of 1881 as having decreased by at least one-half during the Ottoman rule from 22,000 to 11,000 due to continuous floods, unhealthy climate of the marshes, and lack of any interest or incentive on the part of the Turkish authorities to improve standards of living.(4)

2_Abdul Al-Hussain, Agricultural Reform inIraq.

3_Ahmed Sousa, The Floods of Baghdad In History.

4_Ibid.

three outlying Arab possessions of the Ottoman Empire comprised the basis for modern Iraq in 1918 with the breakup of several centuries of Turkish rule. During the glorious past of the Abbasid Caliphate (754—1258) Baghdad became the cultural and economic centre of the civilized world. The present country of Iraq is said to have supported a population of some twenty million people. There was in existence an intricate irrigation system and Iraq was the granary of a great empire. Since the early civilization center in what is now Iraq was located in an extremely arid area, large scale agriculture and a dense population were possible only if an irrigation system of agriculture was practiced. It is this area which offers the earliest and fullest body of data pertinent to a study of the generalized historical processes by which civilization came into being. On the basis of what scant archeological evidence is available the land of the twin rivers developed from a simple dry-farming subsistance pattern of agriculture to a complex stratified urban society with a wide range of specialized technologies based on intensive irrigation agriculture under a centralized control. These cities became cultural centers and had profound effects on later civilizations. In time there emerged dynastic systems of control characterized by militarism and a city-state political organization. Such a social structure depended upon a very heavy expenditure of labor under a strong central authority. Undoubtedly population increase was very substantial during the period from 3500 B.C. to 1500 B.C. with the greater population increases characteristic of southern Iraq rather than in the northern areas. This population increase depended ultimately upon the effectiveness of the irrigation system.

In 1258 Iraq was invaded by Mongols who reduced its splendor to dust. The canal system was destroyed, the desert encroached on the farmlands, security was absent, the population decreased rapidly, and nomadism spread. The studied destruction of the irrigation system was so complete that only in recent years has the country begun to recover from the effects of the Mongol invasion of 1258. This heritage of disorder and destruction is at the present being slowly and surely overcome by a series of repairs and reconstructions of the water system controls of the two rivers. But for many years the country was characterized by few and small villages and towns completely surrounded by grazing tracts dominated by various nomadic groups.

In 1534 the Ottoman Turks under Sulaiman the Magnificent invaded Iraq. The country remained an insignificant Ottoman

Iraq, generally speaking, is a great depression sloping in a south-easterly direction. Physically the country falls into three principal divisions: the plains, the uplands, and the highlands.

The Plains :— This area consists of the delta of the two rivers, Tigris and Euphrates, and extends from the Arab Gulf in the south to a line running from a point near Ramadi on the Euphrates to Balad on the Tigris. The plain is the largest of the three divisions of the land: Approximately 300 miles long with an average width of 100 miles.

The Uplands :— These lie to the north of the plain and extend north beyond Mosul and north-west to the foot of the Tarsus mountains. The southern boundary of the uplands coincide with the northern boundary of the delta. Whereas the plain does not rise higher than 150 feet above sea level, the average height of the uplands is about 1000 feet. Mosul, Arbil, and Kirkuk, for instance are 703, 1250, and 1087 feet above sea level respectively.

The Highlands :— These lie to the north-east of the uplands and are formed by a series of mountain ranges rising in parts to 14,000 feet and extending in a generally south-eastern direction. The valley here also for the most part run from north-west to south-east, which helps to make the area a single unit.

The climate of Iraq is continental although the country is situated in the temperate zone. In the highlands the climate is cold while the extreme south is very hot and humid. Over the plains the temperature is more or less uniform ranging from maximum shade temperature between 100 and 130 degrees F. to a winter temperature as low as 25 degrees F. The rainfall varies from one year to another and from one part of the country to another, but in general it averages between 20mm and 100mm per year. These conditions combine to produce an arid, almost desert climate for the extreme dryness and heat rapidly evaporate the moisture. Iraq would be a complete desert but for the water from its twin rivers.(1)

The present boundaries of Iraq were unknown in the ninth century, but it can be stated that modern Iraq is a result of a gradual process of economic, social, and political integration of the three Turkish vilayets of Baghdad, Mosul, and Basrah. These

1_ Hashim Jawad, The Social Structure of Iraq, New Publishers Press, Baghdad, 1945.

THE SOCIAL CHARACTERISTICS OF THE POPULATION OF IRAQ

Since society is composed of people it is necessary to first cnosider the basic data of a society's population in order to understand the basic characteristics of the society and its particular culture. The study of population deals with such matters as the number of people, the dynamics of human growth, the birth and death rates, age and sex composition, the distribution of the people, and the extent to which these factors can be directed or controlled. Society is directly affected by the growth, dynamics, composition, and control of population. For example, the central fact of population is human procreation. The extent to which the procreative tendency is actually exercised in a given society at a given time is referred to as the fertility of the population. Fertility is at all times a social and cultural phenomena as well as purely biological. The fertility of a society is a reflection of the culture, with such factors as technology, marriage, the family, and religion vitally and immediately affecting the birth rates. Historically, the actual physical safety of a given tribe or society was directly related to their numbers. Today this is still to some areas constitute important changes in the social structure of the of developing countries.

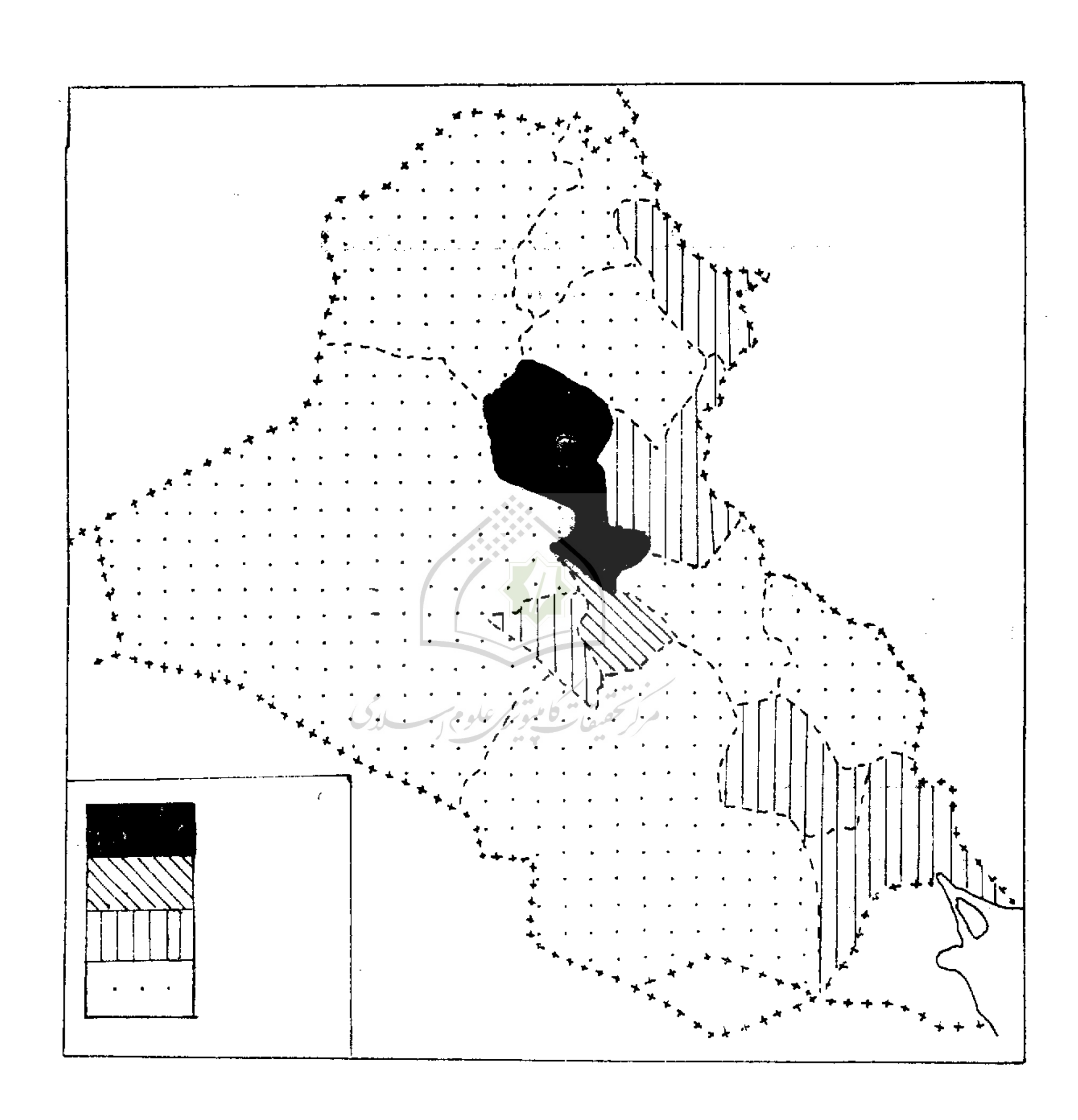
Not only is the quantity of population important in the study and analysis of a society and its culture, but the implications of the quality of population is equally important. If a society is characterized by a large proportion of its members in the youger age brackets, the needs and demands of the society are quite different from one with a greater proportion of its people in the older age groups. The distribution of the population determins many of the characteristics of social relationships. The way of life of a predominantly rural population will differ in many ways from one that is primarily urban. The growth of urbanization and the increasing proportion of the population living in urban areos constitute important changes in the social structure of the society.

Iraq, or as the ancient Greek referred to it: "Mesopotamia, the land between the two rivers", is for the most part made up of the area of the Tigris and Euphrates valleys. The northern boundary extends to Asia Minor and the Armenian highlands. To the east a range of mountains forms the frontier with Persia, a frontier which runs down to the Shatt-Al-Arab on the Arabian Gulf. The western and southern frontiers of Iraq lie in the Syrian and Arabian deserts.

THE SOCIAL CHARACTERISTICS OF THE POPULATION OF IRAQ

Dr. Jack S. McCrary
Department of Sociology
Hanover College, Hanover, Indiana.

Mr. Mustafa Sa'eed
Department of Sociology
Arts College
University of Baghdad
Baghdad, Iraq.



4. Plans and Progress; city Plan Commission:
June, 1956

5. H.M. Mayer: Chicago: City of Critical Decisions:
(Chicago Geographical Society, 1956), P. 15

6. Daniel Seligman: The Battle for Chicago;
Fortune, June 1955 (Unpaged)

7. Ibid (Unpaged)

8. Plans and Progress (City Plan Commission):
June, 1956 P. 2

9. H.M. Mayer: The Port of Chicago (Economic Geography,
Vol. 31; No. 2; U.S.A.) P. 103

10. Daniel Seliman: Op. Cit. (Unpaged)

11. H.M. Mayer: Chicago: Op. cit. P. 15

Acknowledgements.

The basic theme of this paper had been envisaged long back. The innumerable field-trips conduced by the Department of Geography, The University of Chicago, had offerred an inspiring insight into the intricate urban operations of a great metroiopis, — Chicago, and its metropolitan area. The author wishes to acknowledge his indebtedness to all his teachers, specially Prof. Harold M. Mayer and Prof. Channcy D. Harris, for a basic appreciation of urban Chicago.

Some of the information incorporated in this article had been collected from various sources in the field, too numerous to itemize individually. However, the Planning Commission of the City of Chicago has been the single largest source of relevant information and data. Figures 1 and 2 have been reproduced from the author's **Manufacturing Structure and Pattern of Waukegan and North Chicago,** Research Paper No. 46, Dept. of Geography, The University of Chicago, Chicago, Ill., U.S.A.

tial, commercial and Industrial activities were located. The concentric rings of growth have pushed the frontiers of the city limits outward, and yet the entire city looks to the centrally-placed core, — the Central Business District, as its focus. The Central Business District is firmly anchored within certain well-defined limits. Other land uses have radiated outwards: industries along the arteries of water and railroad transportation, residences following the arteries of easy accessibility, primarily the intra-city railway services, and commerce following the highways.*

4. Despite the spectacular development in recent years, the Central areas of the city of Chicago are experiencing a fair degree of congestion of residences, obselete to near-obselete buildings, and traffic bottle-necks which call for important projects of urban re-development. A relatively lesser degree of such congestion is also obserable on the outer margins of the city.

5. With the growth of the city, there are two processes at work; one of them is the physical extentions of its city limits, and the other is the internal re-organization of its urban region. The centripetal and centrifugal forces are at work. By this process of concentration and de-concentration, centralization and de-centralization, the city of Chicago has been dynamicall readjusting itself. The process continues.

6. The city of Chicago, not the political but the functional city area, presents a functionally harmonious geographical unit. The inter-relationships and the mutual inter-dependence among its various urban components: citizenry, commerce, transportation, and industries weave together the city of Chicago into an unified geo-economic entity. Chicago is justifiably the towering metropolis of the midwest, — the heartland of America.

REFERENCES IN THE TEXT

1. Emmet Dedmon: Fabulous Chicago (Random House; New York, 1953) P. 5
2. Ibid P. 70
3. Ibid P. 72

* For a discussion on Chicago, specially with regard to the theories of internal structure, see R.E Dickinson, *City Region and Regionalism*, London, 1960. Pages 112 — 116.

The city faces a series of problems with regard to the existing industreis. Of these, the most pressing problem is the lack of suitable land for industrial development which could attract new industries. The re-development of the existing industrial areas specially in the Central Industrial areas need urgent attention. Many other industries have moved out of Chicago due to lack of enough land for expansion of their plants. The old age of the industrial buildings, traffic congestion, and an occasional higher wage-rate have also discouraged a few industries from locating within the city.

Nevertheless, Chicago developed a novel industrial area, the first of its kind in the world, — the Organized Industrial District, providing all facilities, from transportation to banking, for industrial development and efficiency.

The only available land zoned for industry which was vacant in 1952 was in the south (Calumet Area) and south-west. Of these, the Calumet area, already fairly developed, has a bright industrial future.

Conclusion :

1. By way of conclusion, it may be pointed out that the urban pattern of the city of Chicago is intricate in detail, complex in organization, and extensive in magnitude. It is intricate because of the high degree of specialization of each of the various functions performed by the city for itself and for its region; in part, this is typified by its various land uses. The pattern is complex because of the interplay of the series of subtle and direct inter-relationships between its various components; this is further increased by the complexities arising out of the distribution of its huge population of different calling and characteristics. The pattern is extensive as can be witnessed by the great areal delimitations, the great proportion of its multi-storeyed structures and the magnitude of its cultural and economic activities.

2. The youthfulness of the city of Chicago, characterized by its dynamicy, is reflected in the increasing number of housing, industrial and commercial projects; their planning and execution is not as-a-matter-of-course progress but as a timely realization of its pressing demands.

3. The cjty of Chicago presents a discernable radial pattern and its nucleus has been throughout its history, the area at the confluence of the Chicago river with the Lake Michigan, where its earliest residen-

public service and 513 in transportation. Yet the industrial development within Chicago is proceeding with a fast rate. Between 1947 — 1951 more than 800 factories and warehouses were erected in the city; between 1948 — 1952 more than 1000 acres of industrial land were developed. These statistics, in part, explain the accelerated rate of industrial activity.

The most significant aspect of the Industrial pattern of Chicago is its location along the north and south branches of the Chicago river, along the railroad lines, and in the Calumet area to the south of the city. In 1952 a total of 8,800 acres of land in the city was devoted to Industrial purposes exclusive of the midway airport, railroad yards and truckage. Two thirds of the Industrial acrage is devoted to manufacturing. The Central Industrial area, about 40 Sq. miles is located almost equi-distant north-south from the harbour and stretches for about 4 miles west. This area accounts for more than 58% of all industrial establishments, but a large number of the industries, approximately 1/3 are scattered throughout much of the residential and commercial areas of the city. A manufacturing belt within the city exists which is almost centrally located, bound on the east by Michigan avenue, on the west by the city limits and from Belmont avenue on the north to 55th street on the south. Its importance can be appreciated from the fact that it accounts for 500,000 (80%) of the city's manufacturing employment. Manufacturing employment densities rise as high as 28,000 employees per Sq. mile (specially around the Central Business District). The major manufacturing industry groups are:

1. Food and Kindred Products.
2. Printing and Publishing.
3. Primary Metal Industries.
4. Electrical Machinery.
5. Apparel & Kindred Products.
6. Machinery except electrical.
7. Fabricated metal products.
8. Transportation Equipment.

There has been a decentralizing movement for the industries located within the city to move out into the metropolitan area. Between 1941 — 1950, 285 establishments moved out of the city of Chicago to within the Chicago Metropolitan Area; within the same period 102 manufacturing establishments moved out of the Central Industrial Area to the outer zone of Chicago within the city of Chicago.

New Express-ways have been constructed to the central-west of the city (notably the Congress Expressway) which will bring an increasing number of automobiles into the Central Business District. As a measure to alleviate the existing and the potential automobile traffic congestion, the city has already completed a number of multi-storey automobile parking garrages in the immediate vicinity of the Central Business District. 5 Multi-storey and under-ground parking garrages were constructed at a cost of $27,000,000 in mid-fifties.

The trans-continental and the inter-city Passenger Business Services are another feature. These services ensure quick and regular travel with light passenger-luggage to and from Chicago.

Industrial Development:

The importance of Industrial functions of Chicago has already been stated previously. A series of factors helped the industrial development of the city. The development of the railroads and the improved facilities of water-transport created by the Lakes-to-Gulf Seaway have been Phenomenal not only in accelerating the industrial development but also in giving Chicago its present industrial pattern. Added to these, the availability of a large number of raw and semi-processed materials, availability of labour, and the ever-increasing zone of marketting potential have been other important factors. The industrial history of Chicago dates back to about 85 years and during this period, Chicago, beginning from a meagre start, has occupied a leading place in the nation's industrial development.

Various measures can be adopted to appreciate the industrial importance of the city of Chicago. In 1954 the value of industrial production in the city stood at 17 billion dollars, Chicago accounts for 5% or more of the nation's total value added by manufacture in 9 out of 20 major groups of manufacturing. Furthermore, 83% of the manufacturing establishments and 70% of the employment of the Chicago Metropolitan Area were concentrated with in the city of Chicago in 1947. In 1950, 36% of Chicago's gainfully employed residents were engaged in manufacturing. To quote one specific example, in mid-fifties, the iron and steel production in Chicago exceeded that of any other country in the world except U.S.A. and U.S.S.R.

The city of Chicago accounted for a total of 10,394 establishments of which 6975 were engagd in manufacturing (with an employment of 0.6 million), 1745 were engaged in storage, 1161 in

a total of 23 million tons of waterborne traffic was handled by the Port District in Chicago. The port of Chicago (Illinois, Indiana) handled more than 60 million cargo short tons of water-borne traffic.

Railroads: Chicago is served by 26 railroad trunk lines terminating, radiating or passing through it. In mid-fifties it had more than 165 railroad yards within the city which facilitated loading, unloading and assembling of railroad cars. It had 2 major railroad belt lines that cut across all the incoming and outgoing railroad lines; they were the Indiana Harbour Belt Line and the Elgin Joliet and Eastern Railway. The railroads in Chicago have developed a cellular pattern and are a good indication of the sequential stages of the city's developmen. This pattern was developed because the railroads while entering the built up areas of the city followed the streets and became cellular, and, after crossing the built up area, they radiated to their destinations following the shortest route. The importance and the number of raiways reaching Chicago is in part indicated by the solid band of steel that lies through the southern portion of the city. The intracity pattern of railroads, normally running north-south, largely stimulated the residential development both in the north and the south of the city. Furthermore, there is a wide range of commuter-trains connecting Chicago with the adjoining cities within the Chicago Metropolitan Area. These are the fast trains and are scheduled to suit the large number of commuters, both factory labour and white-collar, employed in the city.

Chicago is a major inter-regional trucking centre; it operates various trucking lines both for its immediate hinterland and also across the nation. A large number of these centres are on the west, and a few just northeast of the Central Business District. As a measure of the fast and quick truck-service, it may be pointed out that overnight delivery of goods can be effected for a distance of about 400 to 500 miles from Chicago. An interesting pattern of trucking is the loading and unloading facilities, where long distance cargo is loaded and unloaded and from where special delivery trucks deliver the con signments to the various consigness in the city. This circumstance, at any rate, minimizes, the traffic harads and congestion in the streets of Chicago. It should, however, be mentioned that the through passenger traffic intending to by-pass Chicago is facilitated by the presence of the Lake Shore Drive, — a multi-line highway running parallel to the shore of Lake Michigan.

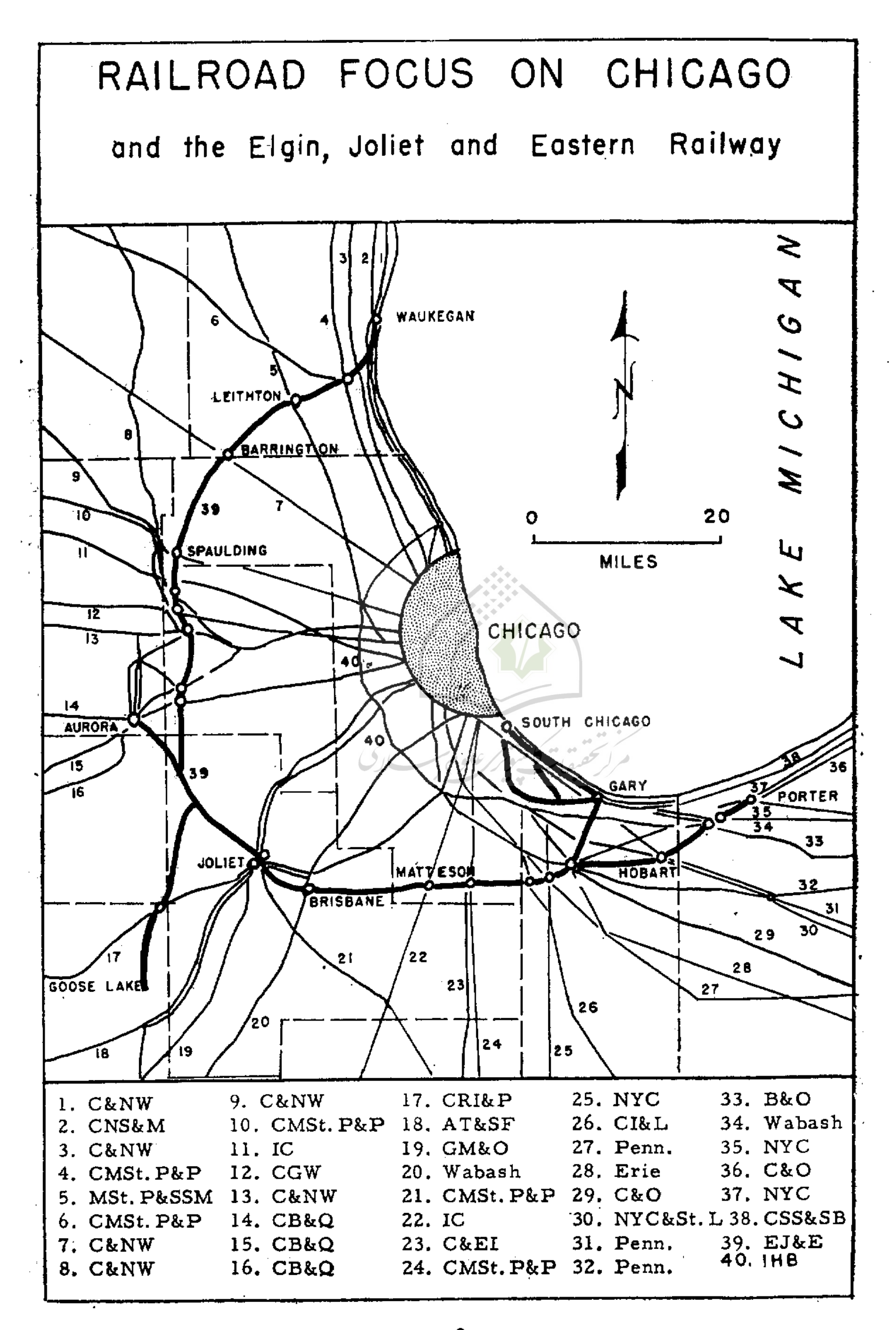

RAILROAD FOCUS ON CHICAGO
and the Elgin, Joliet and Eastern Railway
WAUKEGAN
LEITHTON
BARRINGTON
SPAULDING
AURORA
JOLIET
GOOSE LAKE
BRISBANE
MATTESON
CHICAGO
SOUTH CHICAGO
GARY
HOBART
PORTER
LAKE MICHIGAN
N
0 20
MILES
1. C&NW
2. CNS&M
3. C&NW
4. CMSt. P&P
5. MSt. P&SSM
6. CMSt. P&P
7. C&NW
8. C&NW
9. C&NW
10. CMSt. P&P
11. IC
12. CGW
13. C&NW
14. CB&Q
15. CB&Q
16. CB&Q
17. CRI&P
18. AT&SF
19. GM&O
20. Wabash
21. CMSt. P&P
22. IC
23. C&EI
24. CMSt. P&P
25. NYC
26. CI&L
27. Penn.
28. Erie
29. C&O
30. NYC&St. L
31. Penn.
32. Penn.
33. B&O
34. Wabash
35. NYC
36. C&O
37. NYC
38. CSS&SB
39. EJ&E
40. IHB

Fig. 2

Elsewhere, there are planned shopping centres with concentrated commercial development, and parking facilities for the customers. This stands out as a contrast to the scores of miles of poorly developed commercial land uses.

Aside from these commercial facilities, there is the ubiquitous convenience-goods store with the nearby-located professional service establishments: the drug store, the laundry and the saloon. These establishments constitute the neighbourhood commercial centres, and are widely spread out throughout the city.

Transportation :

The city of Chicago combines in itself the locational adventages of land, water and air transportation. The growth of the various media of transportation from time to time has produced far reaching effects in the urban pattern of Chicago. It may be emphasized that the ease of transportation in Chicago and Chicago's role as the major transportation centre of an inter-regional and even national significance have been one of the chief contributory factors in the general economic prosperity of Chicago.

Re-emphasizing its importance, Chicago has the world's largest railroad centre, has the world's busiest airport, and is connected with a 7000-mile system of river and barge inland waterways, and operates as the largest inland port handling the Great lakes and sea-borne traffic; besides, it is a major focus for transcontinental trucking traffic. Chicago harbour and Calumet harbour together are the great outlets for the the gateways through which passes a viariety of goods and raw materials. The Chicago harbour specially handles large amount of traffic in a variety of raw materials needed for the industries located on the north and south branches of Chicago river; in addition, it handles a large amount of package goods and occasional passenger traffic. The Calument harbour handles a large proportion of heavy raw materials, — coal, iron, sand, limestone, etc. needed for the industries located on the south side. The completion of the St. Lawrence seaway opened in 1959 marked a new epoch in the navigational history of Chicago. In 1964, the number of foreign-ports ships arrived in Chicago was 674.

A direct consequence of the Chicago River traffic for industrial and other purposes is the often opening up the road-bridges; across the Chicago river. Since the river passes through almost the heart of the city, this circumstance causes serious traffic congestion. In 1951,

from time to time both as a consequence of the internal growth of the population of the city and as an inter-regional centre with multifarious commercial inter-connections. It was faced with the challenge of either to cope up with the increasing prosperity of the city and the region and effectively discharge its commercial function, or to fade into insignificance and allow some other competitor within or without to take its place. It has been mentioned earlier that the Central Business District could not grow outwards for it is bound by the four formidable barriers, water on the two sides and railroad yards on the third side, and railroad yards on the fourth. The Central Business District, however, kept pace with the times and observed a vertical growth; it credits itself with a group of huge sky-scrapers.

The highest densities of pedestrian traffic are generated in the Central Business District, a direct reflection of the large retail outlets in the loop. Private automobile traffic and public transit agencies bring in an ever-increasing number of persons in the Central Business District, as potential customers, clientele, and employees in the various establishments and offices of the loop, observable specially during the rush hours. It has been estimated that more than 12,000 pedestrians pass by each store-frontage in the loop. To facilitate the in-bound and out-bound passengers to the railroad operate all through; the street cars ply on the roads. In spite of these facilities, there is an ever-continous stream of automobiles flowing up and down the loop, creating as they do, serious traffic congestions. The small number of underground and multi-storey parking garrages and the absence of parking lots further add to traffic congestion; occasionally an automobile crawls through in this area more slowly than the horse-drawn carriage of the earlier days.

The street pattern in the Central Business District is, as it is for most of Chicago, rectangular in pattern, and accordingly commercial densities have particularly developed at the intersections of these streets. Part of the Central Business District appears to resemble a rectangular canyon area with the streets flanked by huge vertically-rising multi-storey structures.

In other parts of the city, the rectangularily of the street-pattern has largely influenced the ribbon-like (linear) pattern of commercial establishments. Since these are main streets alternating a distance of one mile, they have largely developed linear type of commercial land uses. At intersections of these streets, there is a criss-cross pattern of commercial land uses.

lake front Gold Coast Area, north of the Chicago Harbour. On the other hand, however, certain areas of lower densities in the neighbourhood of industrial areas might not be the higher income, higher literacy and comparably attractive homes.

In general, it may be safely remarked that the residential areas to the north, north-east and north-west of the city, central south-east and southwest show higher income, higher literacy and a greater proportion of attractive single-family houses.

It may, however, be mentioned in passing that 15% of Chicago's population is foreign born. The foreign population is, in many instances, concentrated in certain definite localized areas, each group distinguishable from the other on the basis of nationality, or in some cases race and culture, China Town, Little Sicily, Arab community, Greek community, and German community are some of the multifarious exmples. Of all, the highly concentrated Negro area, known as the "Black Belt" is located north-south, beginning a little distance south of the Central Business District of Chicago presenting a ribbon pattern of occupance.

Commercial Functions of Chicago

Commerce has played an exceedingly important part in shaping the city's pattern. Chicago is by far the largest wholesale and retail trade centre of the midwest. It prides itself with an extremely intricate pattern of the various media of transportation which facilitate the movement of the Voluminous amount of goods, both for wholesale and retail distribution within the city and its expanding inter-regional hinterland. Added to these, Chicago itself is a major manufacturing centre whose products range from the huge agricultural machinery to small delicate electrical fittings, and accordingly, the commercial establishments of the city act as the outlets for many of its products.

The Central Business District of Chicago is known as the Loop, because the overhead railways circle around it. It is usually bound by the Michigan avenue to the east, Chicago river to the north and the west, and the railroad yards to the south. One of the most characteristic features of the loop has been its stability since the earliest times of the growth of Chicago. It has been permanently fixed at the place which the Geographers term as "the original point of attachment", meaning thereby the original nuclens from which the city radiated spatially outwards. The Central Business District grew in importance

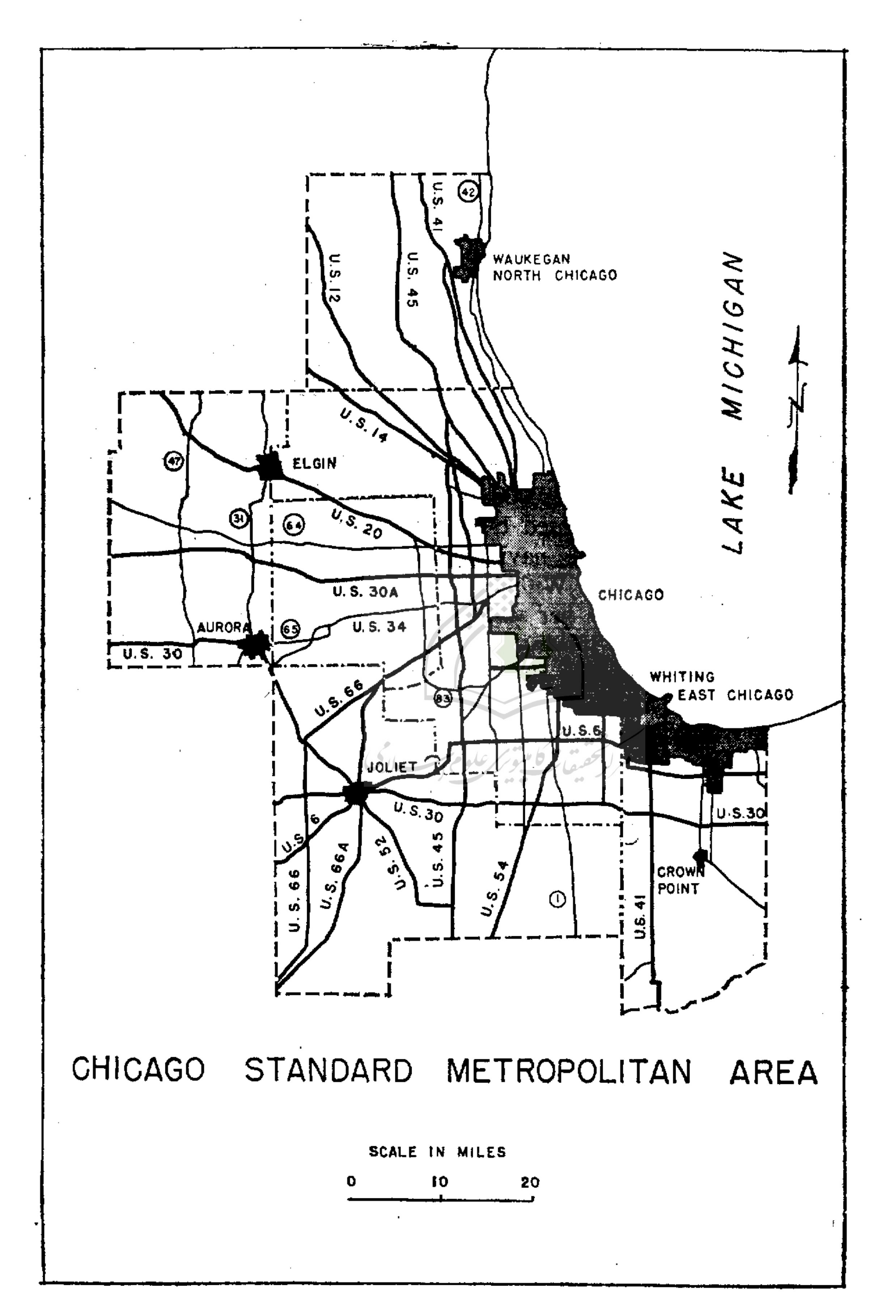

WAUKEGAN
NORTH CHICAGO
LAKE MICHIGAN
N
ELGIN
CHICAGO
AURORA
WHITING
EAST CHICAGO
JOLIET
CROWN
POINT
U.S. 41
U.S. 12
U.S. 45
U.S. 14
U.S. 20
U.S. 30A
U.S. 34
U.S. 30
U.S. 66
U.S. 6
U.S. 66A
U.S. 52
U.S. 54
CHICAGO STANDARD METROPOLITAN AREA
SCALE IN MILES
0
10
20

Fig. 1

In 1950, the average density of population within the city was estimated at 17,000 persons per square mile. It is, however, implied that there are many differences in densities within the city. Densities of over 70,000 persons per square mile stand out in typical contrast to densities, in some other areas, of as low as a 1000 persons (and in some instances even below that figure) per square mile. At any rate, the outstanding features of population distribution in Chicago are summarized below.

In the neighbourhood of the Chicago Harbour (the intersection of east-west Madison and North-south State, — the base lines), an area roughly about 8 square miles, semi circular in shape (as it is bound by Lake Michigan to the East) shows low densities of population, with a maximum of 21,000 to a low of about 10,000. Encircling this area, a much larger area, roughly about 16 miles long and 6 miles wide, shows, as a general rule, high densities of population ranging from about 70,000 to about 30,000 per square mile. The last mentioned area, wherever it is crossed by the north and south branches of the Chicago river, and the navigational canal, shows appreciably low densities of population. With increasing distance from these areas, the densities of population per square mile decrease. There is, however, a marked tendency for increasing densities of population to lean toward the Eastern margin than the Western margin of the city, and this is easily explained on the basis of the much attractive lake-frontage on the eastern side of the city. Furthermore, there are considerable parcels of land to the north-west, mid central-west, southwest, and particularly to the south of the city which hold prospects for more residential development.

Interesting as the pattern of the distribution of population densities appears, there are marked differences among them with regard to the nature of residential buildings, the degree of literacy, and the range of annual income of the inhabitants. As an extreme generalization, though not void of basic truth, a large number of densely peopled areas are also at the same time relatively lower income areas, deteriorated physical buildings, and lower density literacy groups. Reversing the statement, the lower density areas are, at the same time, the higher income, higher literacy and more attractive residential areas. The general exception to this statement is that some areas may stand out conspicuous among their neighbours such as the huge apartment buildings (especially with the lake frontage as in the Hyde Park area east of the Illinois Central tracks) which may account for high densities, but they may not necessarily be otherwise poor areas in income or literacy. A similar circumstance appears to operate in the case of the

was called upon to discharge as the metropolis of the prosperous mid-west that further heightened its prestige as an urban centre and helped evolve its present pattern. In like manner, the development of the Burham plan and the continued city planning programmes were concieved of, and implemented, in relation to the localized features of the terrain, the physical build of the site of Chicago, the over all economic and cultural potentials of the city, and the crystallization of the living aspirations of a city, bold and great.

POPULATION GROWTH AND DISTRIBUTION

The following table gives the total population and the city area of Chicago for the period 1900 — 1960.

Population growth in Chicago.

Years	Population	Square miles
1900	1,698,575	189.51
1910	2,185,283	189.51
1920	2,701,705	189.27
1930	3,376,438	207.07
1940	3,396,808	212.89
1950	3,620,962	212.92
1960	3,550,404	

It is seen from the above table that there is a phenomenal increase in the population of Chicago during the 50 years (1900 — 1950) with 1.6 millions in 1900 to 3.6 millions in 1950, a total net increase of roughly 2 million. As a comparison to the city's population in 1830, with a modest total of 50 individuals to a record of 3.6 millions, 120 years later, the city could well be said to have grown by leaps and bounds almost every year of its existence. The rate of growth, however, has not been uniform. From 1900 — 1930, there has been a total increase in population in the neighbourhood of 5 to 600,000 a decade. Between 1930 — 1940 only a low of 20,000 was added; from 1940 — 50 a total increase of nearly 22,000 has been marked.

A significant feature of the city's population growth is further illustrated by the fact that the city's municipal limits covered an area of 189.51 square males in 1900, and a total of 212.92 square miles in 1950, adding a modest total of roughly 23 square miles over a period of 50 years. Thus, while the municipal limits of the city have made only a nominal addition, the city's population has made a surprising addition of roughly 2 millions over the period 1900 — 1950.

2. The selection of the strategic site of Fort Dearborn. It was the fore-runner of Chicago, was located at the mouth of the Chicago river, and contained the prospects of the interconnection between lake Michigan and the Mississippi waterways. This was, however, possible after the Indians ceded 6 square miles of land at the mouth of the river Chicago.

3. The decision of the railroads to make Chicago their midwest centre. Beginning from 1848, — with a modest 15 miles, Chicago had through connections with the east in 1856, and in 1869, it was connected with the first trans-continental railroad from San Francisco to New York.

4. The Burnham Plan for the city of Chicago of 1909. It was a comprehensve and bold plan incorporating the advanced ideas of the time in regard to an orderly and beauteous urban form, and a metropolis in regard to size.

5.. The establishment of Planning agencies. These were intended as permanent bodies to promote city interests and comprehensively plan for the orderly and efficient development of the city of Chicago.

It is significant that the above five decisions did influence in envolving a specific urban pattern of the city of Chicago. But it appears that no city is built up and evolves on the basis of decisions alone, despite the features of its terrain, its geomorphologic and hydrographic aspects. It should largely be conceded that these decisions metaphorically were a drama that could have been enacted on a befitting stage. More specifically, certain definite aspects of location and site did enter as the indirect influencing factors and largely yielded to the implementation of these decisions. To examine some of these decisions, it may be pointed out that the rectangular street pattern of Chicago was as much as part of a decision as it was a circumstance of the dead-level of the Lake plain on which the city of Chicago was built up. Furthermore, it depended on the unforessen economic development of the midwest as the agricultural heartland of the states that largely increased the economic prosperity of Chicago. It was the availability of unlimited water supply, and the ease of water and land transportation that stimuated industrial development. Furthermore, the location of Chicago on the route of the movement of iron from the nort-west and coal from the east (and south) that facilitated the location and development of heavy industry. Added to these, the varied functions which Chicago

centre, marketting place, re-routing station and a shipping outlet for many of the products of these agricultural regions.

As in the field of farming, so in the field of industrial operation, Chicago is inter-related with an extremely large region both at emerges from New York in the east and ends up broadly in Milwankee to the north of Chicago. Chicago, by itself a major industrial and manufacturing centre, handles large amounts of bulk commodities, such as iron ore, limestone, coal, gypsum, ingots, news-print, sand and gravel for varied destinations in its vast hinterland, and ships a variety of manufactured good. As a general measure, the Port of Chicago in 1951, handled over 34,000,000 cargo short tons of water-borne traffic which originated or terminated there.[9] 80% of the lake-wise shipments consist of fuel and allied products. On the strength of these transactions, Chicago is inter-related with an extremely large region region both at home and outside.

Besides, Chicago is ideally situated in the midst of a populous region of U.S.A.; it is the foremost city of the American heartland, a city which is within 500 miles of 72% of all American cities having a population of over 60,000.[10]

Thus, viewed at from the land, river, lake and air transportation, from its agricultural and industrial interconnections, and from its strategic location in the American Midwest, Chicago is inter-related by a series of economic and cultural relationships that bind Chicago not only with its vast hinterland but with a large number of distant places over the globe.

MAJOR DECISIONS AFFECTING CHICAGO'S GROWTH AND PATTERN

It has been pointed out, that 5 major decisions, though arbitarily selected, have influenced Chicago to assume its present urban pattern.[11] They are as follows:

1. The Federal Land Survey enacted in 1785. It prescribed square-mile land sections with rectangular pattern of streets and land sub-division, — a characteristic of land division and settlement in the midwest. Chicago accordingly was so sub-divided and typically it has 8 blocks per mile north to south and 16 blocks east to west.

In general, most of the ground surface of Chicago is a drained marsh land; the relatively levelled land is the product of enormous ground glacial deposits, known as till, which has filled in the original layers of topography. The parent rocks lay hidden beneath the glacial deposits, — till of a varying depth. A site, like the above, offered a challenge for huge building construction, for the building-foundation could hardly penetrate to the parent rock. Chicago accepted this sital challenge. It inserted a steel frame into its yielding mud and built up on it in 1880, for the first time in architectural history, the sky-scraper which has revolutionised urban skylines all the world over.

Thus, the lacustrine plain, the water divide, the muddy (silty to clayey) soil, the lake-shore and the river-pattern are the major elements of site on which stands the city of Chicago.

Situation of Chicago : Certain aspects of the situation of Chicago have been previously touched upon while narrating the city's growth historically; only a few points will here be discussed.

Of the greatest consequence to Chicago's situation is the location of Chicago at the southewestern —most extremely of lake Michigan, a circumstance which has been well demonstrated by its role as the point of break of bulk between the 7000-mile long of river and barge route of inland waterways and the Great Lakes, and, through this, the St. Lawrence Seaway to overseas ocean traffic. Furthermore, over-land transportation originating in the whole of the mid-western region of the US. focuses on Chicago, for it is the nearest outlet for them for the Great Lakes port, or even beyond. This circumstance operates with an equal emphasis when, through the same means, foreign imports are handled for these regions by Chicago. The railroads both from the north-west and the north-east faced the barrier of lake Michigan and, therefore, swing to the lake's south-western-most point of the lake, — the city of Chicago. Unlike many cities which prospered in the early days of river transportation and later on faded away owing to the competition of railroads, Chicago has all along grown from strength to strength both in the important days of river transportation and the railroad age. Added to these, air transportation furthered the transportational links of Chicago with an ever-widening zone, both at home and abroad. These transportational arteries opened up a vast and rich area: the agricultural belts of the midwest. It appears that Chicago is surrounded by the fruitbelt to the east, the cornbelt to the south, the diary belt to the immediate north and north-west, and the wheat belt to the distant west and north west. Chicago is the collection

THE SITE AND SITUATION OF CHICAGO

The Site of Chicago: The city of Chicago is located on the lake plain carved out by the then Chicago lake (and afterwards known as Lake Michigan). For most part it is a lacustrine plain. To the west of the city there are small rounded hills stretching over a small area, the remants of the terminal moraines of the last glaciation. The two outlets for the melt- waters of lake Michigan were, first, in the north the Chicago river (also known as the Portage) and, second, in the south the Calumet river. Oft and on, there is a small rise in the land in the western and southern part of the city, which are the terraces out by the lake in its series of jerky recession,* the lake shore stretching almost north-south and taking an eastern bend farther south.

During the Indian occupation of the site of Chicago, it was largely swanpy and marshy. The Indians crossed it by paddling through in canoes in the marsh land; during winter, they used sledges and skis. These early uses of the land left behind their marks; the Central Business District of the present-day Chicago had innumerable gullies which were later on filled in by carting mud from the relatively higher southern side. Even the Fort Dearborne was torn down to fill in the Randolph Street, now an important artery in central Chicago.

The muddy streets, a direct reflection of the site, were elevated, and in some instances to a height of 10 feet, so that convenient means of transport may be constructed, but this had an adverse effect on the adjacent two-storey housing which looked depressed and buried. To meet this challenge, a dexterious method was employed; this was to raise the houses en-masse to look taller and dignified. The Chicagoans, not knowing how high the streets would go at a later date, built up their ground floor (first floor) at the second floor level. Such a design gave rise to "The Chicago Cottage", which outlived the uncertainties of the rising Chicago Streets.

The site of Chicago, it has been previously remarked, occupies a strategic point of an important water-divide. Just a little distance to the west of the city, the drainage of water is towards the Mississippi river, but Chicago itself was drained by the north and south branches of the Chicago river flowing down into lake Michigan. With the growth of Chicago this natural feature offered immense possibilities. The direction of the flow of the Chicago river was reversed, the water divide was channelled, and a direct river route was established between lake Michigan and the gulf of Mexico, through the Mississippi.

* In a practical demonstration, this feature of landscape was brought home to the author by the late Professor R.S. Platt of the University of Chicago near his home in Beverly Hills.

ever 500 factories between 1945 — 1955; it created over 20,000 production jobs annually, and it had a total of over 1,000,000 manufacturing jobs. In 1954, Chicago's total industrial production stood at 17 billion dollars.[7] In Commerce, excluding the Central business District, Chicago's hundred's of neighbourhood shopping centres did a gross business of over 1 billion Dollars, employed 60,000 persons and paid over 10,000,000 Dollars in real estate taxes[8]

The year 1959 marks another epoch in Chicago's history. The St. Lawrence Seaway was opened which made Chicago the major part for Overseas Shipping. It linked the Atlantic with the Gulf through Illionois-to-Gulf-Water-way and the Mississippi River.

Chicago retains its status as the Second largest American city with a population in 1960 of 3,550,404 persons. The estimation by the Chicago Chamber of Commerce and Industry of the Chicago Metropolitan population was 7,304,000 for 1965.

Chicago is the nations' largest food producer with the total sales amounting to 4.6 billions of Dollars in 1964; it is the nations' largest Steel producer with a production of 24,080,256 tons in 1964. It is the nations' largest rail-road centre with 20 trunk lines and handles about 34,000 freight Cars daily. Furthermore, Chicago O'Hare International Airport is the World's busiest airport with 19 major airlines. In 1964, the air traffic at Midway and O'Hare Airport was: arrivals 9,123,847 and departures 9,074,972.

The aim of this historical introduction is to present the dynamicy of the urban growth of Chicago. It explains the immensity of the size of Chicago as a centre of varied and numerous functions. At once, both the magnitude of the operations and the unending variety of its multifarious functions point out certain important aspects of the Urban Complex of Chicago. The trend of population growth in the fifties, both in the city and the metropolitan area, form the basis for population projection for the year 1980 as 4,146,000 for the city and 8,000,000 for the Metropolitan area. The present trends shows a probable greater population growth by 1980 than projected earlier. This calls for greater and careful programmes of city planning, mighty projects of city renewal, and an increased provision of economic opportunities and Community facilities. Mighty as these tasks are, their realization will cost billions of dollars for the city.

mile system of Federally improved river and barge routes. Chicago, amically, could be reached from Pittsburg (on the Ohio) to Omaha (on the Missouri), and from Minneapolis in Minnesota to New Orleans in Lousiana, and to the Mexican borders. Since the same year, Chicago has enjoyed all-water services to and from Chicago.

It needs hardly be mentioned that the Chicago Merchant Community always lent a helping hand from time to time, both in beautifying and in civic improvements as also in large philanthrophies that did inspire Chicago's growth.

For a period of two decades,roughly coinciding with the economic depression of the twenties to well after World War II, Chicago's dynamic growth was at a low ebb; its modest growth, however, was in accordance with that of any large city, though bereft of any ostensible energetic achievements. Federally sponsored projects became relatively more important.

The postwar period, however, has been once again one of active growth. The 1950's have been all the more remarkable in Chicago's growth as can be witnessed by its swelling, spilling, and sprawling population, its reactivated commercial and industrial development, and its rationally planned and expertly executed community facilities. In 1950, Chicago covered an area of 212.89 square miles. The population of the Chicago Standard Metropolitan Area stood at 5,495,000 in 1950, and the population of the city was enumerated as 3,621,000. It ranked as the second largest city in U.S.A. In 1950, the gross population density of the city of Chicago was 17,000 persons per square mile. Between 1930 — 1955 the number of dwellings added to Chicago proper were calculated to be 170,165. The city accounted for over 10,000 acres of recreational space which consisted of playgrounds, play-lots, smallparks, and forest preserves within the city. Inspite of the huge number of private automobiles (one automobile per 4.4 persons) more than 1,184,000 persons employed in the city daily depended on public transportation.[4] Furthermore, Chicago is the largest railroad center in the world; it possessed 250 freight yards, 6 major trunk lines railroads, and handled 4,000,000 carloads of freight every year.[5] The Midway Airport, occupying a square mile of area within the city of Chicago, was the world's busiest civil airport measured by the number of commercial aircraft using the airport. More than 200 scheduled and, more than 150 non-schduled flights were observed on an average day; it handled more than 7,600,000 passenger movements every year.[6] In the field of Industrial development Chicago area added

of houses along the lake shore; 4-storeyed standard hotels cropped up; the numerous gullies which ran through the muddy land of Chicago's central area were filled in; streets and side-walls were constructed; and more important than these, the first railroad (second-hand locomotive and two cars) made its appearance and run for a magnificient distance of 5 miles towards the west of Chicago.

In 1855, its population rose up to 156,000[2]. In 1866, Chicago made way for the location of the stockyards, outside its then-southern limits, only to realize that before long it came to occupy the central place with the evential growth of the city. In 1871, a great fire, lasting for over 25 hours almost razed a large part of the city of Chicago to a heap of ashes; the fire destroyed 2,124 acres in central Chicago, burnt 17,450 homes, made 90,000 homeless, and destroyed property worth 200,000,000 dollars which incidentally was 1/3 of the entire wealth of Chicago.[3]

No misfortune obstructed the onward march of Chicago; with a befalling calamity its citizenry showed greater determination, not only to bear and overcome it, but even to strain every nerve to achieve something more grand, more beautous, and more lasting. The growth of Chicago can be measured from the fact that its population rose from 50 individuals in 1830 to over a million in 1890, an increase of 20,000 times in a brief span of 60 years.

1893 marks another epoch in Chicago's history, for in that year, the World Columbian Exposition was arranged, Daniel Burnham, whose name for ever is associated with the original plan of Chicago, directed the building operations. The exposition, aside from its other laudable influences in world contacts, itself laid the foundation for a new approach to architecture and a new growth of permanent buildings.

By 1900, Chicago was far ahead of many of its competitors; it was the second largest city in U.S.A., conceding the first position only to New York. In the same year, the Chicago sanitary and Ship canal closely followed the Illionois and Michigan canal and inter connected the Mississippi with Lake Michigan. In 1922, the Calumet Sag channel connected the Mississippi with Lake Michigan, thereby adding another artery of transportation to the fast growing Chicago area. But the year 1933 marks an important era in the navigational history of Chicago, for in that year the Chicago Sanitary and Ship canal, which had reversed the flow of the Chicago river, was connected with the Lakes-to-Gulf waterway, which connected Chicago with 7000

BRIEF HISTORICAL SKETCH

Before the white man's advent on the scene, the site of Chicago had served the Indians as a vantage point at which the lake craft on the Lake Michigan loaded and unloaded its cargo and carried it overland to the Des Plaines river which flows down two the Mississippi river. Thus, even before the Americanization of Chicago, its importance had been realized as a focal point on which converged the most important inland waterways of North America. But the early French explorers were also not too late to discover the strategic site of Chicago. Attracted by future prospects of the area, the early explorers secured a big concesion in the year 1795, when the Indians ceded 6 square miles of land at the mouth of the river Chicago. As a military strategy, Fort Dearborn was erected on it. By 1827, the plans for constructing a canal between the Chicago river flowing to lake Michigan and the Des Plaines flowing into the Mississippi were being actively considered. Yet in 1830 Chicago chiefly consisted of a few log cabins which occupied land outside the Fort Dearborn. The maximum extention of Chicago was for a single solitary mile from the mouth of Chicago river in Lake Michigan to the confluence of the north and south branches of the Chicago river; even this single mile was intermittently developed. Its population consisted of only 50 individuals. In 1833, Chicago was incorporated as a village, and the same year saw the earliest navigational improvements which was the clearance of a sand bar which threatened to choke the mouth of the Chicago river. Yet Chicago always feared insecurity, and the occupation of the surrounding land by the Indians, with whom the relations were occassionally strained, persisted as an open challenge. Finally, an agreement was signed on the 26th of September 1833 between 76 Indian Chiefs and the Government by which Indians agreed to move west of the Mississippi River, in 1835, which year however, marks the turning point in Chicago's history. At the time of finally vacating Chicago, more than 4 to 5 thousand Indians gathered in Chicago, and made a festive war dance with open arms; the Indians far out-numbered the local citizenry, and if only desired, the Indians could have easily massacred the whole white population "without a living soul to tell the story."

Once security was established, Chicago embarked on an energetic career of a boom city. Year by year, and decade by decade, it progressed; in 1848 it had been linked with eastern U.S.A. with telegraph, and the Illionois and Michigan canal connected the Mississippi with Lake Michigan; by 1850 it had firmly established itself with a fair number

It is aimed in this study:

1) to present a brief historical sketch of the city of Chicago,

2) to analyse the significance of the site and situation of Chicago and their influence on the growth of the city,

3) to examine critically the major decisions which have contributed to the development of the urban pattern of Chicago,

5) to synthesise an over-all picture of the primary functions of Chicago.

It is intended that an interpretation of the above features of the city will help disclose the complexity of the urban pattern of Chicago. It will at the same time, unfold certain major factors that have influenced Chicago in assuming its present position as a major city of world-wide significance.



THE URBAN PATTERN OF CHICAGO.

By

Dr. Ghouse Munir Ahmed

M.A., LL.B., M.Sc., Ph.D. (Chicago)

Associate Professor of Geography,

College of Arts,

B a g h d a d.

The growth of world urbanization in recent years has been one of the most spectacular aspects of man's occupance of the Earth. A large number of economic and sociological factors, among various others, have been the chief contributory accelerators to the rejuvenation of old urban centres and the evolution of the new ones. With the increasing growth in technology, the age old economic institutions of production, distribution and exchange of national and inter-national wealth are experiencing a fast metamorphosis; a large number of older urban centres have already shed off their older garb and have dressed into the newer ones. The miracle of fast, economic, and efficient means of transportation has enabled even the remotest areas to establish worldwide inter-connections.

Cities have not escaped the effects of changing economic and social environments. On the contrary, cities have grown in importance with these changes. Cities have been called upon to discharge an ever-increasing domain of multifarious functions. They are the focal points on which converage the trade routes; they are the seat of learning, art, and religion; they are the abode of commerce, work and residence.

Since Geography is primarily concerned with the interpretation of areal differences, Urban Geography assumes a specialized approach of intepretating the areal differences as applied to cities. Urban Geography takes a comprehensive view of both the processes and products of urbanization. It is interested in analysing the sequential development, site and situation, form and function, and the problems and solution of urban centres.

You shall surely be tried: Muslims are addressed after the losses of the battle of Uhud.

Who were given the Book: I.e. the Jews.

God took compact: A reference to the Qur'anic doctrine that the Jews falsified their holy texts, cf. e.g. II, 77ff. and notes thereon.

Who remeber God, standing and sitting and on their sides: This is a hint probably at various corporal movements in an Islamic ritual prayer — except in the last case, i.e. 'on their sides'. Even this latter posture could be considered in case that the prayer--maker is ill or wounded. Otherwise, the sense of the whole passage may be general, since A Muslim has to remember God in all his acts and thoughts, cf. e.g. II, 147.

The Fire: I.e. Hell.

A caller: This is apparently a reference to M.

Thy Messengers: I.e. M. and other divine Messengers like Moses and Jesus.

The one of you is as the other: ba'dukum min ba'd: This may also mean that men and women have a common origin, i.e. all are created from one single soul, cf. IV, 1 and note thereon. Or, that men are as much a cause for the creation of women as women are a cause for the creation of men.

Who emigrated: I.e. the Muslims who left with M. in 622 A.D. and chose to make Medina their centre for propagating Islam.

And were expelled: This is a reference to the state of fear and persecution under which Muslims and M. lived in Mecca before their emigration to Medina, cf. the previous note. This Muslim emigration starts a new era in the call of M., it starts also the Islamic calender, the **Anno Hegirae** in 622 A.D.

Gardens: jannat: Or in the singular form **jannah,** i.e. garden; in both forms the reference is to Paradise.

Let it not delude thee: The reference is apparently to M.

People of the Book: I.e. Jews and Christians.

Sent down unto you: The reference is to the Q. and the Muslims. Cf. II, 3 and note thereon.

Not selling the signs of God: 'Signs', i.e. verses. For the explanation of this cf. note on v. 184.

O believers: The reference is to Muslims.

The people have gathered: The reference is to the Meccans who called for the battle of Uhud.

That is Satan frightening his friends: A hint at the non-Muslim groups of Medina, who tried to dissuade the Muslims from fighting in Uhud.

170—200 **Let them not grieve thee:** M. is addressed, he is told that he should not be grieved by any sarcastic or inimical remarks on the battle of Uhud by the Hypocrites of Medina, Jews and pagan Arab and half-hearted Muslims are all included.

The indulgence: The Qur'anic word is **numli,** which can also mean, 'respite', the reference in both cases is to the deferring of punishment till the Judgement Day.

Awaits them: I.e. on the Judgement Day.

The state *in* which you are: I.e. the situation in which devoted Muslims were mixed with Hypocrites, cf. note on v. 161 above. The reference may also be to the whole situation in which the Muslim community in the III year A.H. (625 A.D.) found itself.

The Unseen: Cf. note on this expression in II, 3.

Who are niggardly: As a statesman as well as a Prophet M. in Medina needed more and more money to run the administration and other needs of a personal nature. The institution of fixed alms in the form of **zakah,** see **index** on this term, is Meccan, but it is in Medina that expenditure in various forms become urgent for the reasons given above, and other reasons related to the Medinan social structure.

Surely God is poor: For the occasion of this passage it is related that the Medinan Jews made fun of the fact that God needs to be helped by way of spending in His name; cf. the previous note.

Slaying the Prophets: This is an often repeated argument against the Jews in which there is a hint at the death of Jesus.

A sacrifice devoured by fire: This is retold on behalf of the Medinan Jews who used to argue against M.'s mission by various Biblical arguments. The reference in the passage is to burnt offerings

Before me: I.e. M.

Signs: I.e. miracles; otherwise the word means 'verse'.

To thee: I.e. M.

Psalms: zubur: This word is usually understood to mean, 'Scriptures' or Scrolls, as is the case in XXVI, 196. The Qur'anic word **zabur** is what is to be rendered, 'Psalms', as in IV, 161 and XVII, 57.

You had visited twice over: This is either a camparison between Badr and Uhud as regards the number of causualties and prisoners, or a comparison between the two battles just named in that in Badr Muslims completely won, and in Uhud Muslims were the winners at the beginning of the battle, and even at the end of the battle Muslims were only partly losers; since when the Meccans withdrew at the end of Uhud, M. asked his army to follow them as a gesture of being still able to fight.

Say: M. is addressed.........

And what visited you: See notes above.

The hypocrites: Derivates of **n f q** in such words as **nifaq, nafaqa,** and **munafiq** mean 'hypocrisy' or 'hypocrite'. One of these words is being used now for the first time. But, as was said in the introductory to sura II this is a well known class that the Q. refers to in Medina for the first time, a class which is referred to in certain cases by various other expressions, cf. e.g. II, 8—13.

Or repel: Cf. note on v. 118 above. After Uhud, the class of hypocrites referred to in the previous note above, and the Muslim doubters who were not whole-hearted for fighting, all these take their fair share of the blame. Ibn Ubayy, indeed, is said to have lost all his former attraction that he had had until the battle of Uhud took place.

How to fight: qital: This is told on behalf of the Hypocrites, cf. the previous two notes above. The passage can also be read as follows: 'real fighting'. This latter version cannot be told of Ibn Ubayy and his followers who went out first to fight and changed their mind later on just before the beginning of the battle, cf. note on v. 118 above.

Who said of their brothers: qalu li: Lit. said to. This said on behalf of the Hypocrites, cf. the previous notes above, 'brothers' may refer to the Medinan Muslims who were killed in Uhud, or the reference may be to those Medinans who participated in Uhud.

God's way: That is, the fighting for the cause.

Joyful in those who remain behind: This is retold on behalf of those Muslims who died (as martyrs) for the cause. They are said to be alive with God expecting good news of the Muslims of this earthly world, i.e. expecting them to die also for the cause.

Who answered: Or responded. The reference is to those who followed M. and fought with him in Uhud.

The people said: The reference is to the non-Muslim population of Medina.

Security: A reference to the retiring of the enemy at the end of Uhud, a fact that gave the tired Muslims great relief and peace.

Thinking of God: This is a hint at those doubting Muslims who were half-hearted.

The pagans: al-jahiliyah: This is a word derived from **j h l,** i.e. to be stupid or to behave in a barbaric way. The term **al-Jahiliyah** is used in the Q. in a technical term to mean, 'the times, the men and the institutions of pre-Islamic Arabia'; hence, the word here can, as it is generally understood to, mean, 'paganism'.

A part in the affair: I.e. the decision to fight within Medina and not outside the city, a decision that was discarded.

The thoughts in the breasts: The 'heart' is usually the sanctuary of thoughts and thinking, cf, e.g. XXII, 45, 'hearts to understand with ... hearts within the breasts'.

The day of the two hosts encountered: That is the Muslims and the Meccans at the battle of Uhud.

150—69 **Be not as the unbelievers:** A reference to the non-Muslim faction of Medina who did not want any fighting for a cause they did not believe in.

Thou wast gentle: The reference is to M.

Take counsel with them: M. is advised here to give consideration to the opinion of others a characteristic that he displayed in the Medinan period quite naturally.

To be fraudulent: yaghulla: Some Muslims were discontented with whatever share they received from the battles or the fighting they took part in. It is also related that some were thinking loudly about what they considered injustice. Both the Arabic expression and its English rendering mean not only material but also moral, in this case religious, deceiving.

Gehenna: One of many names for Hell used in the Q.

Homecoming: masir: Lit. end, destiny or destination.

His signs: I.e. the verses of the Q. that are revealed by God

In manifest error: A reference to the state of paganism, **cf**. note on v. 148 above.

Faint not: A reference to the loss of Uhud by the Muslims.

A like wound: I.e. the battle of Badr, cf. sura VIII.

Days: ayyam: Sing. **yawm,** the word means 'battle'.

Struggled: jahadu: This word and other derivatives of the same root are used in the Q. in their primary sense. In post-Qur'anic times **jihad,** from the same root **j h d** was used in a technical sense to mean, 'holy war'.

Longing for death: Jews and Hypocrites of Medina may have slendered the Muslims that God forsake them at Uhud, even some of the Muslims must have felt sorry for their losses. The present verse argues on the basis that what else could Muslims expect from entering a battle other than killing and being killed.

Muhammad is naught but a Messenger: The enemy at Uhud believed or simply spread the rumours that M. was killed, a fact that added to the misfortunes of the Muslims.

Turn about on his heels: This is metaphorically meant, it says that Muslims should not leave Islam even if M. passed away.

The other world: I.e. life after death.

Thousands: ribbiyun: Az-Zamakhshari and ar-Raghib in his al-Mufradat and other authorities believe the word here to be another form like **rabbaniyun,** i.e. masters (of the Jewish law), cf. note on v. 78 above. It is possible that the word points merely to the quantity. The word under consideration, like few other words in the Q., is mentioned only once, however,

O believers: I.e. the Muslims of Medina.

Blasted them: This is a reference to the partial Muslim victory at the beginning of Uhud.

That you longed for: The reference is to the Muslim victory that was missed, cf. the previous note above.

That desire this world: A hint at those archers who left their places and went to plunder the enemy.

He turned you from them: A reference to the parting of the archers from their places, cf. the previous note above.

You were going up: A reference to the fleeing of the Muslim army in the middle of Uhud.

Grief on grief: A reference to various sad events in Uhud, such as the loss of the battle, the loss of many dead, the confusion in the Muslim army that resulted for a while in killing fellow-Muslims and so on.

Their riches ... children: Cf. note on v. 8 above

The likeness of that they expend: In the Constitution of Medina M. made it an obligation on the Jews and the pagan Arab faction of the city to help materially in such urgent cases like an attack on the city. Such contributions are being slendered in the passage above.

Take not for your intimates: Cf. notes on vv. 94ff. above and esp. note on v. 108.

All of it: Cf. e.g. notes on II, 3, 85, 130 and III, 75.

Their guile: The reference is to the Jews.

When thou wentest forth: The reference is to M. and to the battle of Uhud, cf. notes on Uhud in the introductory to the present sura.

Two parties: A hint at the wavering of two clans to retire before the beginning of Uhud, and how they changed their mind and stayed with M. Out of the thousand that went out of Medina to fight at Uhud, some three hundred under the leadership of Ibn Ubayy retired, justifying the withdrawing by claiming that there was going to be no real fighting, cf. III, 161. The real reasons are that Ibn Ubayy advised to stay in Medina, yet he was over-ruled by the hot-headed, as is mentioned in the introductory note to this sura, and because Ibn Ubayy and his followers never were whole-hearted Muslims, they are referred to as 'the Hypocrites'.

120—49 **With three thousand angels:** The battle of Badr, cf. sura VIII, is hailed in the Q. as being won with the help of the angels.

No part of the matter is thine: On M.'s loss of a tooth and his face being wounded in the battle of Uhud he seems to have exlaimed how his own people should do that to him, whereas he only wants their good. According to another tradition M. may have even cursed and asked God to punish the Meccans; hence, the present verse could be even read to be as a blame against M.

Doubled: ad'af: Sing. **di'f,** i.e. doubled; hence the plural form should be taken to mean, 'doubled several times'. As to 'usury' see note on II, 276.

The Messenger: I.e. M.

Garden: This is one of many names applied to Paradise in the Q.

Institutions: sunan: Sing. **sunnah,** i.e. tadition or institution.

The land: ard: This word when met conjoined to the word 'heaven' is usually understood to mean, 'earth', otherwise, it simply means, 'land' or even a mere 'plot'.

His Messenger: The reference is to M.

In surrender: muslimun:

God's bond: 'Bond' stands for **habl,** lit. cord or string.

Do not scatter: I.e. as disunited and warring tribes.

You became brothers: I.e. as fellow-Muslims between whom all fighting is barred, cf. e.g. IV, 94.

A pit of Fire: A reference to the pre-Islamic animosity between the two Arab tribes of Medina and their continuous wars.

100—19 **One nation:** See notes on **unmmah** in II, 135 and **imam** in II, 118.

Fell into variance: This is a well-known Qur'anic doctrine that former believing communities, esp. Jews and Christians, are separated into parties and sects, hence the need for Islam, cf. e.g. XXIII, 55.

The day: I.e. the Judgement Day.

To thee: I.e. M.

You are the best nation ever brought forth to men: 'Nation' stands for **ummah,** on which see note on v. 100 above and the references given there. As Islam is the most perfected form of the divine messeges, then the Muslim community is the best, cf. notes on Islam and Muslim in vv. 30 and 75ff. above in this sura.

Ungodly: fasiqun: Cf. note on II, 93.

They will not harm you: A reference to various ideological and social frictions between Jews and Muslims of Medina, frictions that are mentioned with some detail in this and the previous sura.

A bond of the people: 'Bond' **habl,** lit. cord or string. Here it is a reference to the state of alliance between the Jewish tribes of Medina and stronger Arab tribes in pre-Islamic times.

Slew the Prophets: A reference to the killing of Jesus, cf. note on v. 47 above.

God's sign: I.e. the verses of the Q., the reference is to those Jews who were converted to Islam; or verses of the Bible, if the reference is to those Jews (and Christians) who are good and pious in the eyes of God.

Bowing themselves: This is a reference to one of the corporal movements in a ritual Islamic prayer. 'Bowing' here stands for **yasjudun,** which is otherwise translated by Arberry as 'prostrating'. In v. 38 above both movements of **ruku'** and **sujud,** i.e. bowing and prostrating respectively, are mentioned; in **ruku'** the head does not touch the ground, whereas in **sujud** it does.

Whoso desires another religion than Islam: Cf. the previous note above, and note on III, 30. As **islam** is surrendering one's will to God, hence followers of other divine messages are also Muslims, though only in the most general sense of the term.

How shall God guide a people: The reference is to the Jews, cf. the previous verses. 'People' translates **qawm,** which stands for a group of men of any size.

The creed of Abraham: Cf. note on III, 30.

The first House establishtd for the people: This is a reference to the sanctuary in Mecca. As said in the note on II, 108 the sanctuary of Mecca is gradually to become, in the Medinan period, a centre of attention. Here it is declared to be the 'first House' for worshipping God. This holy House is directly related to Pilgrimage, and indirectly related to the daily ritual prayer; thus, two out of five articles of faith are related to Mecca, cf. also notes on II, 136ff. Mecca is related to another doctrine, namely 'the creed of Abraham', cf. v. 30 above and commentary, and notes on vv. 75ff. above. 'Peoole' translates **an-nas,** i.e. men or mankind, sing. **insan,** i.e. man. Thus, Abraham being made the first pure Muslim, and M. the last Messenger to preach the same pure form of Abraham's Islam, it is no wonder then that the Meccan sanctuary should be the 'first House' for **all** men, i.e. for all Muslims. As the verse ends: 'A guidance to all beings **al-'alamin,** one gathers that **an-nas** in the passage means a bigger number than the followers of Muhammad.

Bekka: I.e. Mecca. The 'b' and 'm' are replaceable in certain words in Arabic. A linguistic possibility makes Bekka another name for the sanctuary of Mecca; Bekka as being derived from **tabākk,** i.e. **get crowded,** a reference to the crowding at the time of pilgrimage in pre-Islamic times.

In security: A reference to the sacredness of the Meccan territory before and in Islam. Cf. notes on II, 139ff.

Duty of all men: Cf. notes on II, 192f. 'Men' **an-nas,** i.e. the Muslims.

Why do you bar from God's way: For the occasion of this it is related that the Jews of Medina used to arouse former enmities between the two main Arab tribes of Aws and Khazraj.

O believers, if you obey a sect: 'Sect' **fariq,** lit. part or section. Cf. the previous note above.

Before your Lord: I.e. on the Judgement Day.

The common people: Cf. notes on II, 73 and III, 19. The term **ummiyun** (pagans ?) is retold by God on behalf of the Jews.

Those that sell God's convenant: For the occasion of this verse, there seem to be two possibilities: One general, that is the Qur'anic doctrine that the Jews changed their divine texts; the other is particular: It is related that two Medinans disputed regarding a certain well. M. asked the accused to make an oath to prove his case, the other said: 'Should he then make the oath and get away with it'. Hence, the verse warns against such false oaths, declaring that an oath is like a convenant with God. But if the next verse were revealed with the one under consideration, and in which one reads about the Jews 'twisting their tongues with the Book' — then the first possibility is the more likely.

Be you masters: rabbaniyun: The Jews here are addressed. The term used here is related to **rabb,** i.e. Lord. It is actually equal to the word rabbin, i.e. an authority on the Jewish law. The Q. in this verse admonishes the Jews, however, or the religious authorities at least, not to belie M.

75—99 **A Messenger confirming what is with you:** The 'Messenger' here is M. On the notion of 'confirmation' see note on v. 2 in this sura. Cf. also other passages, e.g. that Jesus fortold the message of M. (LXI, 6) and that Islam is the perfection of the divine message (V, 5) and that M. is the last of the Prophets of God (XXXIII, 40).

You shall help him: The Jews (and Christians) are called upon by God to 'help' M. After M. came to Medina both he and the Q. called the Medinan Muslims 'the Helpers'; so also the Apostles of Jesus are called the same (III, 45). The term used in all these cases is derived always from the same root **n s r.**

My load: isri: From **isr,** lit. knot or load, the word is used here metaphorically to mean compact or covenant **(mithaq** and **'ahd** respectively), indeed, the word 'compact' is used in the same verse.

To Him has surrendered: aslam: I.e. became Muslim.

To Him they shall be returned: I.e. on the Judgement Day.

Mary, God has chosen thee: The Islamic tradition from very early times kept in mind four women being the foremost in Heaven, namely, the mother of Moses, Mary, the first wife of M. and their youngest daughter.

The Unseen: Cf. note on this expression in II, 3.

To thee ... thout: The reference is to M.

Jesus, son of Mary: This is the usual appellation of Jesus in the Q., the sonship of Jesus to God is categorically denied.

Near stationed to God: al-muqarrabīn: I.e. one of the highest rank in the eyes of God.

Our submission: muslimun: Cf. note on Islam in v. 17 above. See also note on II, 106.

The Messenger: I.e. Jesus. M. is also called a Messenger.

They devised: A hint to Jewish attempt of killing Jesus. Cf. also not on IV, 156, below.

I will set thy followers above the unbelievers: Christianity coming after Judaism is a higher religion than the latter. Hence, Islam, coming last is the highest divine religion, cf. v, 5.

50—74 **We recite to thee:** God addresses M.

The likeness of Jesus: The reference is to the Islamic belief in the Q. that Jesus is like the rest of men, except he is created by a special act of God, without God being a father to Jesus.

Whoso disputes with thee: I.e. the disputation of Christians with Muhammad regarding the human nature of Jesus.

Come now: It is generally said by Muslims that this verse is occasioned by the presence of a group of Christians from Najran, in South Arabia, who raised a number of theological questions for M. As the discussion could not reconcile the two parties on all matters of difference, M. was asked —by God— to enhance the curse of of God on the party that cries lies. Cf. vv. 45ff. and v. 57 of this sura.

Why do you dispute concening Abraham: Cf. note on v. 30 above.

On what you know: The Jews (and possibly the Christians) are addressed; 'what' refers to the Torah (and the Gospel).

Why then dispute you: Cf. note on v. 30 above.

This Prophet: I.e. M.

Those who believe: I.e. the Muslims.

On v. 65: Cf. note on II, 7—9.

20—9 **And slay such men as bid to justice:** This deals with the Jewish Biblical history, though the passage may be calling also for sympathy for the killing of Muslims by their pagan opponents in the battles and the skirmishes of the Medinan period.

Do thou ... Hast thou: The reference is to M.

A portion of the Book: Cf. note on II, 77ff. The Jews of Medina are slendered and declared to know their holy texts only partially.

Thou gives the Kingdom: The pronoun refers to God. It is said by the Muslims that this passage is occasioned by the growing political power of M. Muslim commentators even say that this passage fortells the later Muslim victories after M.

Let not the believers: A reference to personal and tribal friendships and alliances between Muslims and non-Muslims of Medina.

Unless you have fear of them: tattaqu: This is the Qur'anic origin of the Islamic **taqiyyah,** i.e. the permission to a Muslim, being under great fear of being hurt or killed, to renounce only verbally the belief in Islam.

30—49 **The House of Abraham and the House of Imran:** Arab genealogists before Islam made Abraham the father of both Arab and Jews. From the Meccan period of the Q. Abraham was praised as a man of pure faith **hanif,** XVI, 121. 126, and M. was simply said to follow the example of his father Abraham, XXII, 77, 'the creed of your father Abraham'. This creed of Abraham is stressed especially in the Medinan period against a background of Jewish opposition and continuous criticism, **āl,** the house or the family of so and so. **The wife of Imran:** 'The wife' stands for **imra'ah,** which is the proper word that translates 'woman', thus 'the House of Imran' standing for 'all the series of prophets starting with Moses and ending in Jesus, **imra'ah** in the text can mean 'the woman belonging to the House of Imran' in the same sense that Abraham is made **father** to M. and to all Muslims, cf. the previous note and XXII, 77. 'The woman of Imran' in the passage under consideration is the mother of Mary, i.e. the grandmother of Jesus.

The male is not as the female: Muslim commentators believe that Mary's mother wished a son instead of Mary.

At evening and dawn: This may be a hint to two of the Islamic five daily ritual prayers, i.e. the fifth and the first respectively.

passage that is understandable in its meaining and its very wording'.
Essence: Lit. mother.

Sewerving: The Q. actually mentions, "those in whose hearts is sickness', the reference here may be to the Jews of Medina who used to ridicule the teachings of Islam. All other occurences of this expression are Medinan, cf. e.g. II, 9; V, 57; VIII, 51. The well-known class of 'Hyporcrites' **manufiqun,** despite the reference at certain places to the Jews, is composed of that group of half-hearted Muslims or declared pagans who followed Ibn Ubayy, who neither accepted Islam in the beginning nor was politically able to oust M. off the position he got, when he arrived Medina in 622 A.D. as a prophet and gradually as the sole political leader.

A day whereon is no doubt: I.e. the Day of Judgement.

Their riches ... children: This is an oft repeated phrase in the Meccan stage of the Q. in which the Q. argues against the pride of the Meccans in their riches and their tribalist attitude towards their sons, **awlad,** sing. **walad,** i.e. son.

10—19 **The two companies:** The reference is to the battle of Badr, cf, sura VIII. As the Muslims were victorious, the Q. refers to the loss of heart among Meccans by imagining the Muslim army as twice as what it was, or, according to how we understand the pronoun, as twice as what the Meccan army was.

The Fire: A Qur'anic name for Hell.

At the daybreak: A hint to the first of the five daily ritual prayers of a Muslim.

Islam: Lit. surrender or submission, cf. XXVII, 31. 38, the word is used here technically to mean the religion brought by M. See further note on II, 106. Cf. II, 125ff. The word **muslim** which is another derivative of the same root like Islam is used as early as the middle Meccan period and applied to M. and his followers in what seems to be a technical sense, cf. XXVII, 93 & XXVII, 83.

Those who were given the Book: This is an equal expression to 'the People of the Book', i.e. the Jews and the Christians.

I have surrendered my will: See note on Islam above.

The common folk: al-ummiyun: I.e. the Arab pagans, cf. note on II, 73.

And slay the Prophet: Cf. note on II, 82. This is a common accusation against the Jews.

He has sent down: nazzala or **anzala:** This is one of Qur'anic expressions meaning, **revelation** of a divine message. **awha** is the proper word that is applied technically for revelation.

The Book: I.e. the Q., cf. note on II, 1.

Confirming: Cf. comments on 'A midmost nation' in II, 138. This is another reference to the Qur'anic theory that Islam is a 'confirmation' of previous divine message, cf. also II, 3 and III, 2f. Passages in the Q. where Islam and other words of the same derivation occur show further this theory of confirmation and basic relationship to other religions of divine origin.

Salvation: Cf. II, 50 and commentary.

Signs: ayat: I.e. verses of the Q. (or other divine Scriptures), or miracles. The text must confirm which of these senses is meant.

He who forms you in the womb: The reference is either to the creation of God of either of the two sexes, or to the various stages of development of man in the womb, cf. LXXV, 37ff., XXIII, 12 ff.

Verses clear that are the Essence ... and others ambiguous: This is a reference to the problem of commentary and interpretation of the Q. that was felt as early as the Q. itself. On the passage II, 100 it was said above in the commentary how the opponents of the Prophet found loopholes in the fact of abrogation. The Qur'an being revealed in the clear Arabic of Quraysh of Mecca, it could not really be so under stood by other tribes and localities. Above and beyond this the Q. envolves or refers to varieties of theological, social and moral theories that needed then and even today a special understanding. Besides, the very literary form of the Q. leads to varieties of interpretations, some of which can be really misleading. Above all this, the Q. was commited to memory generally and not probably until the Medinan period that it was systematically put in black and white. With all these the criticisms and the gibing of the opponents, cf. e.g. note on II, 98 above, can be added, then one can visualize the problematic situation of the Q. then or today.

In the passage under consideration, 'clear' stands for **muhkam**. From other passages in which words of the same roots are used (XI, 1; XXII, 51; XLVII, 22) one gathers that the meaning of **muhkam** in the present case is as follows: 'A well formulated

AN INTERPRETATION OF

Sura III The House of Imran [1]

By Dr. Saleh H. al-Shamma

This is another long sura, yet it is not as composite as many other long suras are. It has two main themes, first discussing Christianity against a background of arguing against the Jews, especially the Jews of Muhammad's time in Medina; second the battle of Uhud that took place in the third year of the Hijrah (625 A.D.) Hence, it can safely be said that sura III belongs to the date just mentioned.

Both themes of sura III mentioned above are dealt with elsewhere in the Qur'an, though the second one, i.e. Uhud, is best mentioned here. Uhud is the name of a mount outside Medina where the battle took place. It was the second main battle between M. and his enemies, the first is the battle of Badr which will mainly be dealt with in sura VIII. In Badr the Muslims were victorious. In Uhud after a sure victory for Muslims first, the battle ended with a near victory for the pagan Meccans. Many factors are involved and some of them are discussed in the sura. The Muslims were too sure of themselves, some of the hot-headed Muslims did not agree to fight in the city instead of meeting the enemy out of the city, some of the archers defending the back of the Muslim army left their places too soon, despite strong warning to stay, in order to run after the fleeing enemy and get some spoils, the watching eyes of the later Muslim Khalid, then at the head of the Meccan cavalry, and many other factors, all contributed to a partial though not real defeat.

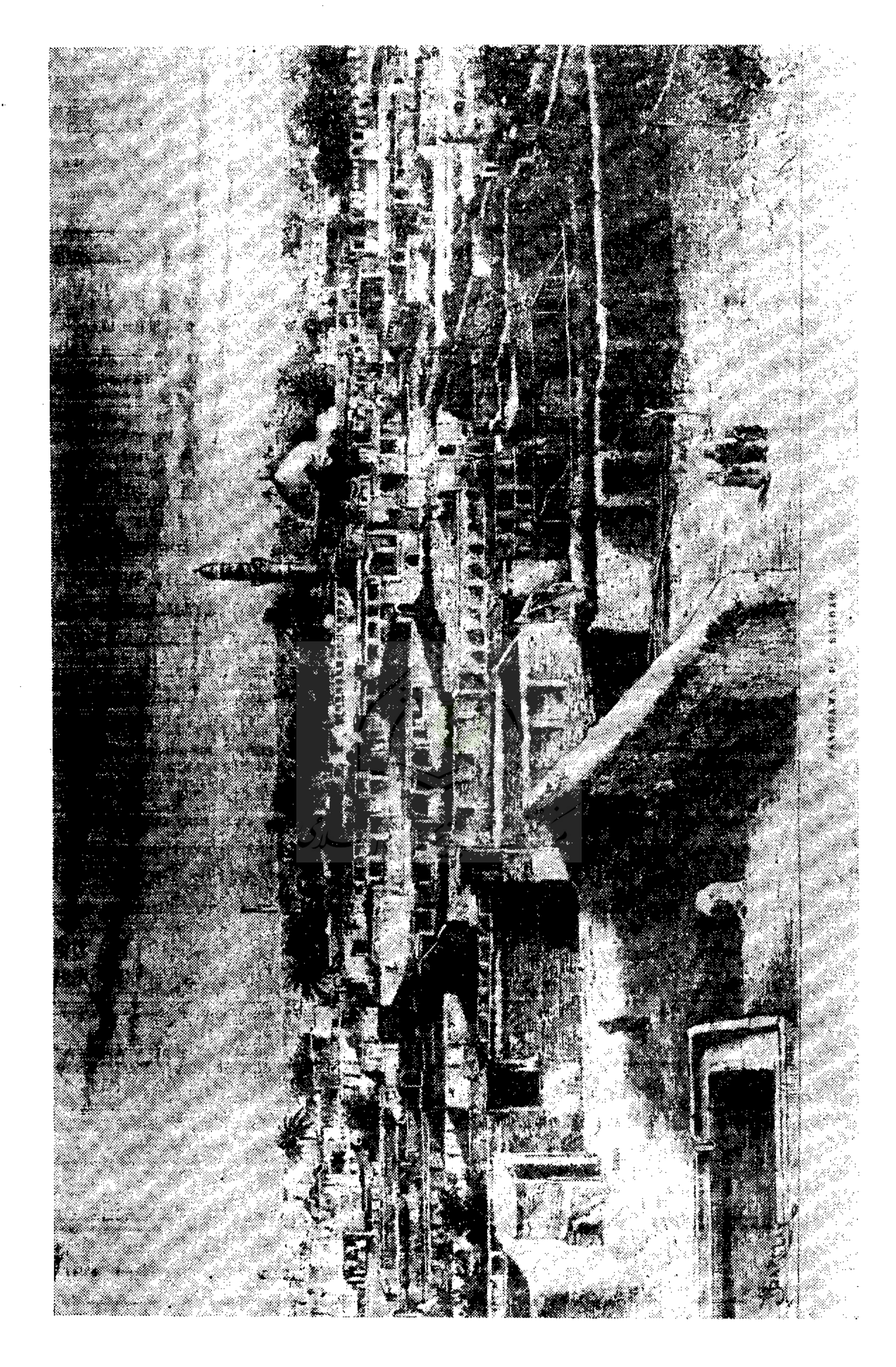
The first part of the sura gives the name to the sura. By the family or the House of Imran the Q. means the series of Jewish Prophets that started by Moses and ended in Jesus Christ.

On the formula 'In the Name of God ...', cf. note at the end of sura I. [1] As to the group of letters prefixed to this sura, cf. note at the beginning of sura II. [1]

... ...

1—9 **There is no god but He:** This expression repeated in this or other forms throughout the Q. consists of the first part of the first and most important article of faith in Islam, the other part is the doctrine that M. is God's (last) Messenger.

(1) See the previous volume of this bulletin, vol. 10, pp. 37 — 62.



ILLUSTRATIONS

View of River Front from the West Bank.	Felix Jones. Transactions of Bombay Goegraphical Society, ix, x, xi, (189 to 1856)
Interior of British Residency.	Felix Jones.
Ground Plan of Baghdad (Site of Residency Marked)	
Interior of British Residency in Colonel Tweedie's Day.	Sir Wallis Budge. By Nile and Tigris.
General View of Baghdad.	Madame J. Dieulafoy. La Perse, la Chaldee, et La Susiane. Paris. 1887.
The Residency, Baghdad.	F. C. Webb. Up The Tigris To Baghdad.



10. Travels of Dr. and Mme. Helfer. Vol. I. P. 264. — Mme. Helfer. London 1878.
11. Autobiography and Letters. Vol. I. P. 340. — A. H. Layard. London Edited by W.N. Bruce. 1903.
12. Narrative of a Tour through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia. Vol. II. P. 187. — Rev. H. Southgate. London 1840.
13. By Nile and Tigris. Vol. I. P. 230. — Sir Wallis Budge. London. 1920.
14. Through Turkish Arabia. P. 248. — H. Swainson Cowper. London. 1894.
15. From Batum to Baghdad. P. 312. — W.B. Harris Edinburgh 1886.
16. On a Raft and Through the Desert. Vol. II. P. 30. — Tristram. J. Ellis. London. 1881.
17. Personal Narrative of the Euphrates Expedition. Vo. II. P. 283. — W. F. Ainsworth. London. 1888.
18. A Memoir of Major-General Sir Henry Creswicke Rawlinson. P. 139. — C. Alexander, London 1928.
19. Baghdad in Bygone Days. P. 63. — G. Rawlinso. London 1898.
20. Expedition Scientifique en Mesopotamie. Book I. P. 104. — M. Oppert. Paris. 1854.
21. A Lady's Voyage Round the World. P. 202. — I. Pfeiffer. New York. 1852.
22. La Vie en Irak Il Ya Un Siecle. P. 60. — P. De Vaucelles. Paris 1963.
23. Voyage en Turquie d'Asie, Armenie, Kurdistan et Mesopotamie. — Le Cte. de Cholet. Paris 1892.
24. London to Persepolis. P. 412. — J. Ussher. London 1865.
25. Arabistan or the Land of the Arabian Nights. P. 324. — W. Perry Fogg. London 1875.

REFERENCES

A. General

1. Four Centuries of Modern Iraq. S.H. Longrigg. Oxford. 1925.
2. Baghdad. The City of Peace. R. Coke. London. 1927.
3. Layard of Nineveh. G. Waterfield. 1963.
4. Foundations in the Dust. S. Lloyd. 1947.
5. Telegraph and Travel. Sir F. J. Goldsmid. London 1874.
6. Road to Nineveh. N. Kubie. London 1965.
7. Loghut al Arab. Edited by Father Anastase. 1929.
8. Explorations in Bible Lands during the Nineteenth Century. H. V. Hilprecht. Edinburgh 1903.
9. La Vie en Irak Il Ya Un Siecle. P. De Vaucelles. Paris 1963.

B. In the Text.

Baghdad in Bygone Days. P. 34. C. M. Alexander. London. 1928.

2. Travels in Mesopotamia. Vol. II, P. 211. J. S. Buckingham. London 1827.
3. Baghdad in Bygone Days. P. 46. C. M. Alexander. London 1928.
4. Travels in Mesopotamia. Vol. II P. 210. J. S. Backingham. London, 1827.
5. Explorations in Bible Lands. P. 36. H. V. Hilprecht. Edinburgh 1903.
6. Letters From the East. Footnote. P. 34. H. J. Ross. London 1902.
7. Travels in Georgia. Persia, Armenia, Ancient Babylonia ... Vol. II. P. 254. Sir R. K. Porter. London 1822.
8. Up The Tigris to Baghdad. P. 45. F. C. Webb. London 1870.
9. Sixty Years in the East. P. 261. Sir W. Willcock. Edinburgh 1935.

"Dinner to an Englishman is always the event of the day, and if at the Residency it means full dress ——— Dinner over whist always follows which lasts until mid-night. Each person has his own personal servant, who accompanies his master when he goes out to dinner, waits upon him at table, prepares and lights his nargileh, and when the party breaks up, escorts him back home through the dark and narrow streets carrying a lantern." [25]

But change was in the air in the last decades of the nineteenth century. Britain had to face competion for the increasing volume of trade the plans for a Berlin-Baghdad Railway had to be countered, Russian moves allowed for, the Euphrates Company's interests protected as much as possible; and it is perhaps symbolic of these 'winds of change' that the Residency moved to new quarters in 1905. These were in Sinaq. Spacious, with large gardens, even a tennis court, they were the property of the Nawab. Crossed by what is today called 'Rashid Stree', and used by the retreating Turks as a militry hospital, they are actually occupied on the river side by the southern branch of the Rafidain Bank and what was formerly the Custaoms, now a Tourist Restaurant, and on the other side by the Telephone and Telegraph Offices. The opening of the new Residency led to a considerable development of the city southwards from Sayyid Sultan Ali to Bab al Shargi, and several distinguished houses were built close by.

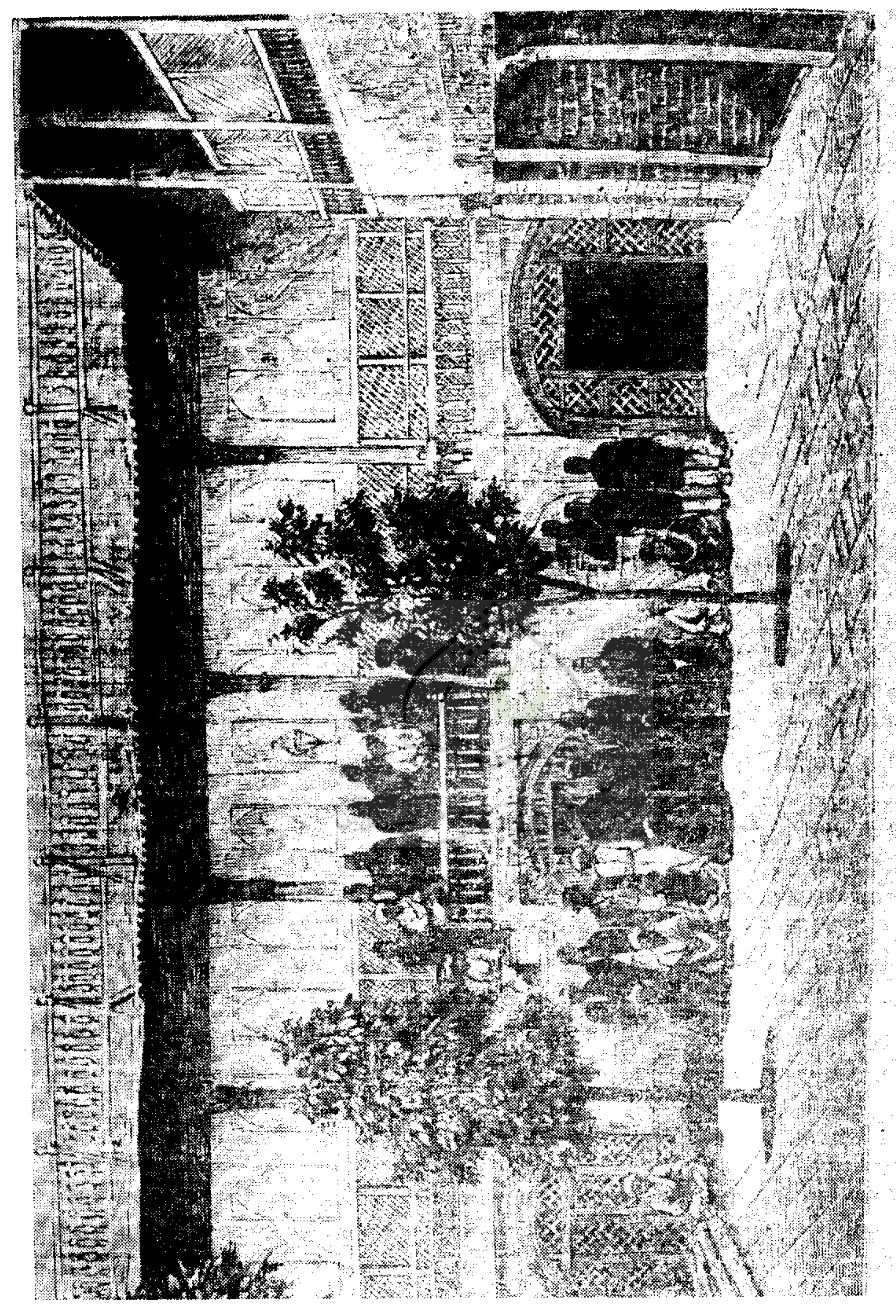
Numerous episodes were typical of a changing era — the Lynch boats were challenged by the Khederi line, Sir William Willcocks found his irrigation schemes hampered by the authorities, and broke his contract after only two and a half years, complaints were lodged against the Residency's 70 strong sepoy Indian guard and boat on the river. Symbolic of the changing position of the Residency was the incident of Nedhim Pasha and the cutting of New Street. All Baghdad waited to see what would happen to the Residency grounds. The Germans had already lost their tennis court. In point of fact, the demolition suddenly stopped short of he Residency, but a point had been made, and the era of modern Iraq as opposed to Turkish Arabia was soon to be born.

accompaniment of songs; Mr. Ross was able to make his farewells to Colonel Rawlinson, but on his return journey to Mosul was more than happy with a diet of eggs and dates fried in a little butter, and remarks that he was certain that a month of such festivities would have finished him. The experiences of John Ussher, F.R.G.S. in 1865, were in very similar vein, and in the absence of the Resident and Consul-General, Colonel Kemball, Dr. Hyslop the acting Resident assembled all the English residents and employees at Baghdad for Christmas dinner where

> "The usual Christmas fare of Old England was not wanting, and the orthodox roast beef and plum pudding was placed before us in the heart of the City of Haroun al-Rashid."[24]

In 1888, Colonel Tweedie was pleased to invite Sir Wallis Budge, the British Museum's Representative, to eat with him whenever he pleased, and added that he could provide a new kind of curry every night for a month at a stretch, so good a cook had God given him!

The foreign community of Baghdad was so small in the nineteenth century that the British Residency tended to form the pivot for social activities of all kinds, and typical of the round of amusements is the programme arranged by Colonel and Mrs. Kemball in 1865 for the visit of Mr. Webb a Telegraph Engineer. He was invited to a cricket match in the desert, taken on a ceremonial visit to Namik Pasha, was a fellow guest at a local wedding where celebraties of the Crimean War were presented in sugar confectionery, taken for a trip up the river in the Comet, and finally shared in a game of croquet. Yet then, as now, the main entertainment was 'dining out', often in the hospitable house of His Excellency Ikbal al Dowlah, the exiled Indian prince who had been King of Oude for a few days before retiring ino honourable exile in Baghdad on a generous pension from the Government of India. William Perry Fogg, who dedicated his book, 'Arabistan or The Land of the Arabian Nights', to the 'English Residents of Baghda and Bassourah whose unbounded hospitality and kindness to their 'American Cousin' will ever be held in Grateful Remembrance', has given us a picture of the life of the foreign resident which belongs very firmly to an age that has passed for ever. He describes the wakening an hour before sunrise with a chiboukh of Persian tobacco and tea or coffee, then a ride in the desert, and the return for a light meal of bread, eggs and tea. He says "Now we are ready for the day's work, provided we have anything to do! At noon came the regular breakfast consisting of several courses of meat and vegetables washed down by Bass's ale. Then a siesta until two, after which another hour or two devoted to business, the horses again or a walk, followed by a game of croquet or a saling party." He concludes:



INTERIOR OF ENGLISH RESIDENCY.

From a photograph in possession of the Author.

relaxed in the harem of the Pasha, dividing her time equally between the new favourite and the older wife, although the energetic Madame Pfeiffer who accompanied her was rather shocked at the careless abandon, and the lack of any occupation except the pursuit of pleasure that was so much in evidence.

The background of life in the Residency remained constant throughout the century: plague and cholera were endemic, flood was a constant threat, and the city was often cut off from the surrounding country-side by the atacks of raiding tribes. In 1831, Colonel Taylor had to close the Residency, and take his household by yacht to Basra. The faithful Reverend Groves, an English Protestant missionary who lost his wife in the terrible outbreak of cholera tells us how the guards left behind at the Residency all succumbed to the disease, and how parts of the Residency wall fell in the river in the great flood which followed the plague. In 1846, the French consul bitterly criticises his English colleague for leaving the city and going to camp in the desert when cholera again struck the town.[22] Severe floods such as the one which demolished the wing of the existing facade of Ctesiphon often turned the city into an island, and at times the maintenance of of law and order sank to such a low level that the British Resident is known, on one occasion, to have supplied an Indian guard for the Lynch residence which had been burgled in daylight, as we hear from the reminiscences of the Count de Cholet's [23] stay in the last decades of the century. On another occasion, after the Christian massacres in the Lebanon in 1860, the British Representative thought it wise to move to a camp outside Baghdad, together with the employees of the English Steamship Company, many of whom were married to local Christian wives. M. Tastu, the French consul general was very scornful of such a move, which was soon cancelled. The British Resident was sometimes called on to conduct the Sunday service in the Residency for the Protestant community.

But to end on a lighter note, we should not fail to remark the sumptuous table kept at the Residency. Mr. Ross who was invited to Christmas dinner in Rawlinson's day tells us that Major Rawlinson had a very good Bombay Portuguese cook, and everything was done according to Indian fashion; cheese and ale was served after the sweets — and when the table was cleared of fruit and wine — a tureen of smoking punch appeared and scattered about the table were devilled herrings and turkey's legs. Captain Felix Jones of the 'Nitocris' did the honours as the Resident had asked to be excused on account of a hunting accident. Round after round of toasts were drunk to the

from men only, with excuses from the women. And so, the grand fete, to which it was said men, women, children, even cats and dogs had been invited, was cancelled. A more conventional type of entertainment is that described by Layard, given to celebrate the birth of the Prince of Wales when the British steamer on the river was addressed with flags and fired a Royal Salute, and in the evening, the Resident's house was illuminated, and the street known as 'the Street of the English' hung with flags. On the 24th. May, Madame Pfeiffer who was staying in Baghdad in the course of an adventurous tour carried out on very slender resources was invited to attend a fete in honour of the Queen's Birthday, given by Rawlinson. She describes it:

> "At dinner we had only Europeans, but of the evening party there was a large assembly of the Christian community of Baghdad, Amenians, Greeks, etc. The fete was held on the beautiful terraces of the house, which, as well as the courtyards and gardens, were splendidly illuminated. The blaze of lamps made it as light as day; and there were soft carpets, elastic divans, and refreshments of the finest kind, that might have made us fancy ourselves in Europe, but the style of the two bands of music were so undoubtedly oriental in the style of their performance as to prenew any such mistake. Among the women and girls were some strikingly beautiful, and all had such eyes as few young men could gaze into without paying the penalty."[21]

Time for the Resident's Lady must at time have hung very heavy on her hands. In the first half of the century, she could not leave her house except in Turkish dress — Mary Rich rode her white donkey wearing a black gauze veil, while covering her completely was a large blue-checked sheet, and her feet were hidden completely in a pair of yellow half boots. The ladies of Colonel Taylor's establishment, his wife an Armenian from Isfahan, and his two daughters, one of whom was married to Captain Lynch in charge of the Euphrates Expedition after Colonel Chesney's return to England, also did not venture outdoors unless covered in the blue or rose-checked izhar, but Layard notices that their fotwear was European. It is Layard also who comments thatt the first European women to venture in the streets of Baghdad wearing the rather ugly straw bonnet of the period were greeted with cries of 'Ya Mother of the Dirt basket!' On their side, as on their husbands, certain visits would have to be paid, and we hear of Mary Rich receiving a diamond spray from the wife of a new Pasha, while Mrs. Taylor seems to have been quite

who was attempting to establish river communication between Syria and the Gulf, a camel post was worked between Baghdad and Damascus. This post was managed by the British Consl-General at Baghdad. and was subsidised to some extent by the Indian Government. The desert tribes received an annual subsidy, and the mails were carried by Argeil Arabs who performed the distance, some 500 miles in 10 to 14 days.

Another side of official Residency life was the organisation of Fetes and official functions which were often on a lavish scale and aroused rather sour comments from the official representatives of France who were themselves always handicapped by financial difficulties. In the early years of the century, Mary Rich describes one such official Fete held in 1810 to celebrate the King's birthday. In a letter sent to her sister she says:

> "My loyal husband is amusing all Baghdad in honor of His Majesty. I verily believe George's birday (June) is nowhere more wished for or enjoyed than here. I now hear a tremendous noise, occasioned by jugglers, dancers, wrestlers, and singers of amusing subjects———. We are to have grand illuminations and fireworks in the evening, and a party at dinner of Christians, at which I must preside, though I believe there will be upward of three dinners for Turks, Persians, and Arabs, who of course are not admitted to the honor of seeing me."[19]

On the First of January, 1853, Rawlinson gave a fete in honour of the Christian New Year which created a major scandal in Baghdad — a scandal preserved with relish in M. Oppert's[20] account of the French Government's Scientific Expedition to Mesopotamia which was delayed in Baghdad for some months because of the disturbed state of th surrounding tribal countryside. Rawlinson sent invitations to the whole European community, many members of whom were married to local Christian wives, and also to leading members of the Christian community. He hoped to dispose of the theory that the veil is essential to an honest woman. But very few women, even those who 'received' in the presence of their husbands would consent to eat, and few to take the arm of a European. At the ball, the men danced together, and the singer was the Jew, Saleh, whose songs were to say the least, rather immodest for mixed company. When the time came to repeat the experience the following year, the priests intervened and when the consul-general sent his clerk with invitations, acceptances were received

the Residency; then four kawasses in scarlet uniform on foot; lastly the officers of the Expedition, protected by a file of Sepoys on either side, and (the officers) mounted on horses gaily decorated with a profusion of scarlet and purple satin saddle-cloths, and harness glittering with bright brass ... "[17]

For the incumbent of the Baghdad Residency, the burdens of office can not have been too arduous. Canon Rawlinson, the biographer of his famous nephew who found time to solve the riddle of Behistun during his Residency at Baghdad from 1844 — 1855 comments: that although the Political Agency in Turkish Arabia was not so weighty a post as an Indian appointment "It would enable him to resume an uniterrupted study and complete a half-accomplished work, it would give him a sufficient income, very light political duties and ample leisure to devote to those occupations in which during his past life he found the greatest pleasure and most solid satisfaction.[18]

It is true that there were frequent despatches to be written, both to Sir Stratord Canning, the British Ambassador at Constantinople and to the India Government, that the Pasha of the day required to be continually interviewed since all persons who had any claim to make against either the authorities or Turkish subjects, preferred complaining through the Resident. It is also true that he did present careful political schemes for the occupation of Mesopotamia by a detachment of the Indian army, and that 1848 was a year of intrigue all over Persia and Turkish Arabia, with half a dozen pretenders to the Persian throne active in the area, and that from 1852 — 1855, the whole of the archaeological activities financed by the Trustees of the British Museum were under his supervision; yet he found time to begin the serious study of Arabic and Hebrew, spent long hours in a little camel-thorn summer house constructed at the bottom of the Residency garden working on his 'Memoirs', and for recreation indulged in the petting and taming of wild animals such as his mongoose, Fahad the leopard, and the lion who died at his feet.

One of the more picturesque functions of the Residency was the organisation of the Desert Camel Post. In the alarms and excursions of the Napoleonic period, a double service for the consular mail had been organised from Basra to Constantinople via both Baghdad and Aleppo. With the opening of the Suez-Red Sea route to India, interest had waned, but urged strongly by Colonel Chesney

ceilings are often beatifully moulded and picked out with like designs in these gem-like atoms of glass, ———. No description can convey even an approximate idea of the delicacy of the design of this style of decoration, which must be seen to be appreciated. It speaks much for the original workmen that this equisite and fine work remains today intact."[15]

Mr. Tristram Ellis, an official artist for the Countess of Strangford's fund-raising campaign for the relief of famine gives us an exact description of the dining room, and since he is particularly sensitive to form and colour, it is perhaps worth quoting his description in some detail:

"Interior decoration is sometimes extremely elaborate, with the introduction of mirrors in the ceiling a speciality of Baghdad. The dining room of the Residency, has not only the ceiling thus covered, but the side walls down to about eight feet from the ground — the wall is recessed all round, the upper part of the recesses being covered with stalactite work all in mirror facets. The effect is very bright and sparkling."[16]

But apart from the outward trappings of luxe and splendour, official life continued in much the same pattern — a round of ceremonial visits and the receiving of visits — with due attention to the niceties of rank and position. The British Resident insisted on the letter of all ceremony due to his position, so much so, that he is often described as keeping greater state than the Ambassador in Constantinople. Incoming British visitors were met in style, their entry was managed with a flair which pleased or vexed the traveller according to his temperament. One such description will suffice for many, and it is interesting to notice that it took place as late as 1895. J.D. Peters, leader of the first American archaeological expedition says that thanks to the British Resident 'our entrance resembled a triumphal procession'. William Francis Ainsworth, Surgeon and Geologist to the Euphrates expedition comments in Volume II of his Personal Narrative :

"Upon one occasion we paid a state visit to the Pasha. The whole get-up constituted the height of the ridiculous. We proceeded through the bazars which constitute the chief thoroughfare from the south to the north end of the city, in procession. First a kawass, with cane and silver knob and scarlet coat; second, a green-silk garmented gentleman, secretary to the Residency; next the terjiman or dragoman of

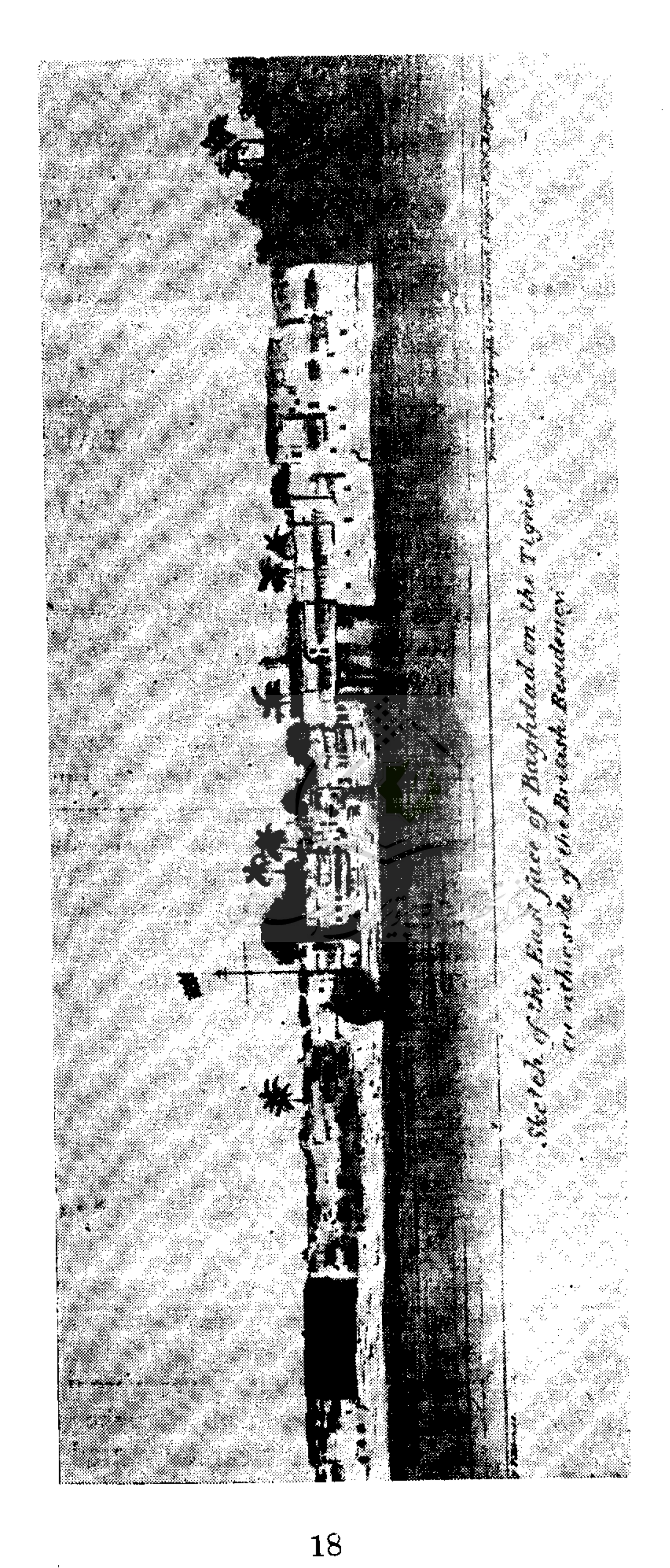
was specially reserved for the 'harimat', or ladies who belonged to visitors, servants, etc."[13]

Other interesting descriptions of the British Residency are given by travellers who stayed there in the second half of the nineteenth century. H. Swainson Cowper, a pleasure traveller in Baghdad in 1892 has this to say :

> "The British Residency, situated on the Tigris in the southern part of the town, is a fine example of the style. (Persian) Its exterior is mean and uninteresting, and the entrance is through a doorway opening straight on to the narrow street ———. The room I occupied was the state bedroom of the place, and is worth a little description. It was in plan a sort of T-shape, and the walls for about half their height were white washed stone, above which was a stalactite dado. Round the walls were stalactitie-ornamented niches, or recesses, between each of which was a small mirror, the stone about which was gracefully carved in a patter. Above, in the cross part of the T the wall above the dado was stone, on which were picked out in mirror work, vases, stars, and scrolls. The celing was entirely decorated, in mirror work, chiefly in diamond patterns, with a mirror stalactite border, and the front part of the room was supported next to the wall by two stone columns with capitals of the same description. The effect was striking and handsome, and had a charmingly cool appearance, admirably adopted for a climte like that of Baghdad."[14]

His description is amply confirmed by W.B. Harris in 1895, who again describes the house as the finest in Baghdad and gives an interesting description of one of the rooms in the harem :

> "One court-yard, which in the days of its Moslem owners served as the harem, possesses some beatiful rooms, the decoration of which has fortunately been allowed to remain. Here one can obtain some idea of the magnificence and art of the early Arab and Perso-Arabic work. The walls of most of the rooms contain niches of various designs, answering to cupboards in our modern life, the contents of which were no doubt hidden by small curtains of brocade and embroidery. Above these recesses, which are always small, runs a frieze in various styles of decoration, sometimes in bold designs of flowers in clear colours, at others of minute inlaid mirrors. The plaster



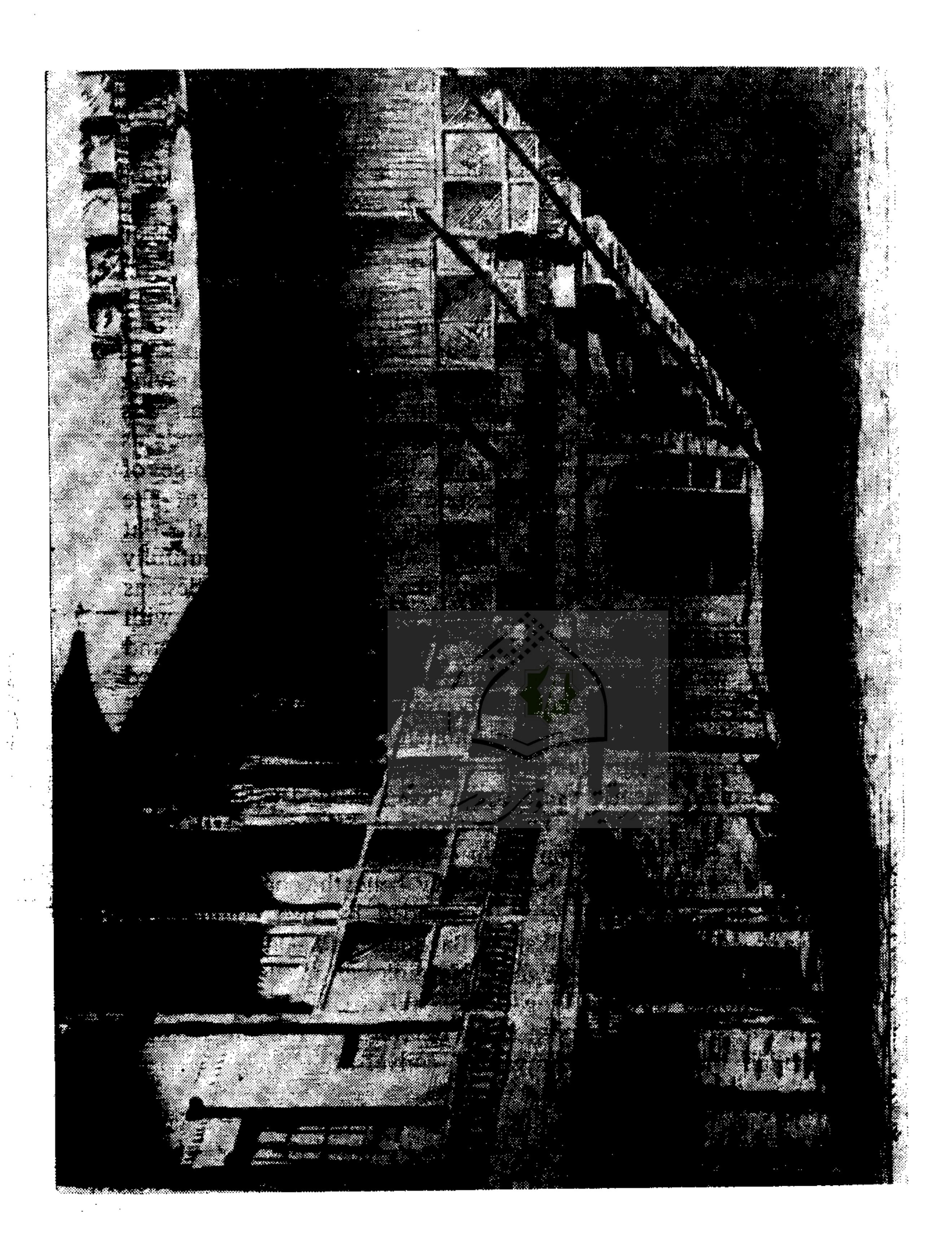
Sketch of the East face of Baghdad on the Tigris
on this side of the British Residency

much time and labour to the introduction of foreign fruits and plants, and, notwithstanding the great difficulty of obtaining anything in a sound state where the mode of transportation is so rude, he had succeeded in procuring a very large variety of fruit trees, flowers and useful plants. Among the first were almonds, applies, peas, the quince, grape, and apricot. I noticed, with much interest, a small and singular kind of willow, which, when set out, was a slip taken from a tree growing upon the ruins of Babylon ———. In the kitchen garden was a more familiar acquaintance — the potato, which was one of the exetice introduced by Colonel Taylor."[12]

This terrace of the British Residency seems to have been a particularly favoured spot, and is commented on with whole-hearted approval as the 'finest ever in Baghdad' by such discriminating travellers as Lady Anne Blunt, Baron Thielmann, and the painstaking Dutch tourist M. Nijeholt, all of whom enjoyed the hospitality of the establishment as well as its fine view.

The courtyard of the British Residency is one of the rather clumsy engravyings in Captain Felix Joness' Survey of Baghdad and his map, reproduced here, gives us its exact position, the photograph of the corty-yard in Sir Wallis Budge's 'By Nile and Tigris' show how little it had changed in the 80's of the century during Colonel Tweedie's period of office from 1885 — 1891. Colonel Tweedie was a bachelor, and in his day, parts of the Residency were closed so that the arrival of a telegram from the Government of India announcing the transit through Baghdad of Ayub Khan and his relatives posed a serious problem for the Colonel since their stay at the Residency would have involved opening all the closed rooms as well as preparing the harem and the stables for their use. Parts of the Residency not then in use contained furniture and curios dating back to the time of Rich and Rawlinson, and Sir Wallis Budge was able to admire the divans on which Rawlinson entertained the Wali and his notables, in front of which were still standing the official pipes. He says :

"The stems of the office pipes were decorated with Persian enamel, agates, turqoises and silver bosses, and the mouthpieces were of old very red amber, bound with silver were used by the Resident and the Wali Pasha, or someone of higher rank, and the less splendid pipes were always carefully graded by the master of the ceremonies. From this part of the Residency an arch led over "Residency Street" to another building, which



"The Residency was a vast building, divided into Divan Khaneh and anderun or harem.——— His table was spread for every meal with the most profuse hospitality and there were places for all the English in Baghdad who were welcome to it whenever they thought fit to dine or breakfast with him and his family. The service was performed by a crowd of Arabian and Indian servants in their native costumes, moving noiselessly about with naked feet, and attending promptly and well to the wants of the guests. At breakfast the Indian non-commissioned officer in command of the guard of the Sepoys always appeared, and after drawing himself up in military fashion, and giving the prescribed salute, announced in Hndiustani that 'all was well'. When the meal was ended, an army of attendants brought in kalleons, the Persian hookah or water-pipe of silver and exquisite enamel, one for each person at the table———. The evenings were spent in the harem on the flat roof of the house if the heat was great or in a most beautifully domed chamber, decorated with the most exquisite designs in colour, and inlaid in ivory and precious woods, and with mirrors and innumerable pieces of glass let into the walls and ceilings, which reflected the lights on every side and produced the most charming effect. The house had belonged, I believed, to one of the families of the Mameluks. ——— It had been fitted up in the most luxurious and elegant fashion, with baths and fountains, nearly every room being painted with exquisite Eastern designs in rich but harmonious colours ———. The windows of the reception room overlooked the Tigris, whose rapid stream, sweeping benevolently beneath, cooled and refeshed the air. They were surrounded by two comfortable divans covered with silks of Baghdad and Damascus and with much embroidery in gold. Narguiles after Aleppo fashion were smoked through long flexible tubes coiled on the floor, and the somewhat monotoncus bulbling of the air passing through the water accompanied conversation."[11]

The Reverend H. Southgate, a missionary from Persia, whose account of Baghdad is interesting since it shows the first stirrings of life after the terrible disasters of 1831-I has given us an intimate description of Colonel Taylor's garden which was evidently a rareoty in Baghdad. He says:

"I found the garden connected with the Residency one of the greatest curiosities in the city. The Resident has devoted

The luxe of the new river establishment is well described by Madame Helfer, who may count as an independent witness since she and her husband, a doctor by profession, a naturalist by inclination, had only joined the Euphrates Expedition by chance, and neither were English. She comments:

> "The English consuls took the rank of Asiatic princes, and their opinion was so much valued on all matters of importance, that the Turkish officials did not deem it advisable to undertake anything without a previous understanding with them. To maintain this influence and the dignity of the British nation the East India Company expended large sums.
>
> The consul's residence is on the most magnificent scale. It comprises two courts, a large number of splendid apartments, massively built terraces for sleeping in the open air serdaps (vaulted chambers half below and half above ground, with galleries on the river side, used in the hot season), government offices, stables and domestic offices. It houses a numerous retinue of servants, each one, after Indian fashion, having one special duty to perform, and presenting a curious medley of nations and languages — secretaries, interpreters, medical men, janissaries, and a company of sepoys, as a bodyguard, who go on duty with military music and honours, and accompany the Resident on all ceremonial occasions. An elegant yacht, manned by Indian sailors, lies always in readiness at the palace quay, and the stable contain splendid horses. All this splendour, however, though at first it dazzles the eye and pleases the fancy, is rather oppressive to the stranger; the palace, with all its luxury, seems to him like a prison, from which the sooner he can make his escape the better."[10]

It was Colonel Taylor's unpleasant duty to tell the Helfers that they had been badly cheated by two 'Afghan princes' who turned out to be Anglo-Indian imposters, and the jewels left with the Helfers as security, clever imitations. But Colonel Taylor readily provided them with the sum of £100 for their immediate expenses, and refused any written acknowledgement. Another intimate picture of Colonel Taylor's establishment is provided by Layard himself who enjoyed its hospitality on his first visit to Baghdad when he was still intending to continue his journey to Ceylon with his travelling companion, Mitford. In his autobiography written many years later he says:

The British Residency in Iraq was the centre for Englishmen in that country for whatever reason, scholars, explorers, missionaries, ordinary travellers or merchants. Time after time, we have their gratitude for this 'open door' policy; from Mr. Wolff a missionary sent to convert the Jews, who would have died from exposure in the desert without the medical comforts of Colonel Taylor's establishment, from Layard who spent a welcome break from his labours in Nieveh with Rawlinson in Baghdad, from the same Mr. Ross who declared that a month of such hospitality would have finished him, from a Mr. Webb, an engineer in charge of the Persian Gulf Telegraph Cable, who visited Baghdad in March, 1865, and was invited to join Colonel Kemball's table each day at breakfast, tiffin and dinner during the whole of his stay at Baghdad. He comments:

> "Judging by my own experience, I am inclined to believe that there must be something in the air of Baghdad which has the effect of rendering those who live there unusually hospitable, kind-hearted, genial and sociable; for much as I have travelled, and often as I have found myself dependent to a great extent on the kindness of my fellow-countrymen in foreign climes, it has never been my lot to meet with so much warm-hearted, yet courteous, attention as was shown us at that city."[8]

Similar sentiments are echoed by the distinguished and the un-distinguished— from Mr. Ussher, a Fellow of the Royal Geographical Society, from Mr. Tristram Ellis, official artist for the Countess of Strangford's fund-raising campaign for the relief of famine, from Ida Pfeiffer, an original German lady traveller who enjoyed Rawlinson's hospitality before joining a caravan to Mosul with only a little calico sack of local bread, white cheese and a few cucumbers for provisions, on into the twentieth century, when Sir William Willcocks adds his quota to the paen of praise:

> "The hospitality of the British Residency at Baghdad has always been proverbial in the Tigris-Euphrates delta. The first half of the two and a half years during which I served the Turkish Government, Colonel and Mrs. Ramsay occupied the Residency and kept up the best traditions of the place, while for the latter half Mr. and Mrs. Lorimer did the same. In addition to throwing open a comfortable house with a well-kept garden and tennis court, both Residents took infinite pains to smooth all our difficulties with the authorities, and were always ready with advice and information."[9]

Kurdistan, not relieved the monotony of his days in Baghdad, but form the bridge between eighteenth and nineteenth archaeological studies. Hilprecht in his 'Explorations of Bible Lands in the Nineteenth Century' gives us a definitive summary of the value of Rich's work as follows:

> "After the fundamental work of Rich little was left for the average European traveller to report on the ruins of Babylon and Nineveh, unless he possessed an extraordinary gift of observation and discrimination, combined with experience and technical training, archaeological taste, and a fair acquaintance with the works of the classical writers and the native historians and geographers." [5]

We can only regret that his project history of western Asia never materialised.

Rich's successor was Colonel Taylor, formerly Resident at Basra. Described by Henry James Ross, a well-known sporting personality at Mosul, business partner of Christian Rassam the British Vice-Consul, and collaborator with Layard; we learn that Colonel Taylor was so "good an Arabic scholar, that when the Cadi or the Mufti met with a difficult passage in some old manuscript and were not sure of the correct reading, they sent or went to him. He never left his house and was always to be found in his study poring oevr his Arabic books".[6]

Colonel Taylor was to spend thirty years in the East without ever setting foot in England, and it is not surprising that during his period as Resident, the traditions of hospitality were well and truly upheld. Sir Robert Ker Porter, the famous painter, who had been a welcome visitor to the hospitable Rich household has this to say of the obligations of European residents in the east:

> "To such persons, delegated from their country as its representatives, to aid and shelter, when required, those of its people who go forth on errands of commerce or investigation, every traveller of that description turns his eyes as to a sure refuge." [7]

with the ruling Pasha, and on one occasion in 1820, his house was surrounded by Daoud Pasha's troops. Earlier, while camping at Garaa and entertaining Sir John Malcolm who was returning from a diplomatic mission to the Shah, Rich had to organise a counter-attack against a party of marauders and also provided asylum for one of the Pasha's ministers in fear for his life.

But such excitments were not an everyday affair and life at the Baghdad Residency usually followed a leisurely pace which left Rich ample time to follow his private scholarly inclinations. A good description of the rhythm of life is given by Buckingham who was nursed back to health by Mary Rich. He says :

> "Our mode of living here, was to rise at the first peep of day, and take a ride and a bath, after which we all met at breakfast about eight o'clock. Mr. Rich then held a public divan until ten, which was regularly attended by all the officers of his own establishment, and by the heads of the chief departments of government in the city. In these visits of ceremony, every thing was conducted with great decorum, and nothing could be more evident than the high degree of respect for the Resident with which these interviews inspired the visitors. On the breaking-up of the divan, the mebers of the establishment generally retired to pass away the heat of the day in the serdaubs below; the only places indeed, in which existence was tolerable. At sun-set, we again met together, and dined on one of the terraces in the open air; when, after continuing at table generally till ten o'clock, we separated to our beds, on other enclosed terraces, to sleep; the heat of the weather scarcely suffering us to bear the light covering of a sheet, or even the still lighter one of a mosquitoe muslin, though we lay on the highest part of the house-top, and had nothing above us but the starry canopy of heaven." [4]

Rich's passion was for collecting, and as he had an early start in Baghdad before the undignified scramble for antiquities had begn, he had soon amassed a valuable hoard of coins, antiquities, and rare manuscripts, especially those relating to the various Christian sects which were largely unknown in the England of his day. After his untimely death of cholera in Shiraz, his widow, whose hair was said to have turned white overnight, sold his collection to the British Museum for £7,000. But Rich was more than a mere 'collector" and his serious researches in Babylon and Nineveh, and his pioneer journey to

The Assistant to the Resident on horseback in uniform.

The Residency Dragoman on horseback.

Native Officer of Cavalry.

The Resident's Bodyguard of Horse.

The procession moved through the outer court of the Palace in which of the Pasha's Guard of regular Mosqueteers was paraded — to the gate of the Inner Court, where the Resident's Guard formed and saluted as he rode through them. The Resident here alighted, and was preceded by the Master of the Ceremonies and an officer of the Janissaries, and followed by the Assistant and Dragoman through two lines of Georgians in full dress, up to the Hall of Audience, at the upper end of which sat the Pasha, and at the lower the Members of Council, who rose at his entrance. ——— After the usual complements, sweetmeats and coffee were handed round, and soon after the proper officers brought a pelisse of cloth of gold lined with sable for the Resident, and other inferior pelisses for the Assistant and Dragoman. Which being put on, and bowing again to the Pasha they retired in the same order, the Members of Council rising as at their entrance. At the gate the Resident, instead of his own horse, found one caparisoned in the Turkish manner, and held by the Pasha's Master of the Horse as a present from his Excellency. This he mounted and proceeded to the Kiahya's or Prime Minister, who rose to receive him. ————
From the Kiahya's the procession returned in the same order, accompanied by some of the Kiahya's officers. Amongst the acclamations of the crowd and after arriving at the Residency, the Resident sat down in the verandah to receive the compliments of all those who came to kiss his hand and pay respects to him on this occasion, the Guard being drawn up and the drums and fifes playing. After which largesses were distributed amonst all who attended, and the ceremony ended ! "[3]

In his early days in Baghdad, Rich was occupied with organising a regular system of Tatar services to travel to Constantinople via Baghdad and Basra, with the collection of information from agents scattered throughout the principal towns of Asia Minor, and the relaving of news to Bombay and Calcutta. His duties also included the sending of reports to the British Ambassador in Constantinople and to the Foreign Office, since we must rember that although a servant of the East India Company, he was also England's representative in one of the Turkish provinces. His protection of British trading interests and the vicissitudes of local politics involved him at times in conflict

Rich believed firmly that the best way to impress the official Turkish world was to keep up a display of stae that would equal if not outshine that of the three-tailed Pasha himself. He organised the Residency on a sumptuous and luxurious scale in Indian style, the upkeep of which was a continuing source of friction between himself and the Directors in Bombay during his tenancy of office in Baghdad. The British Resident had already been granted the right of a guard of 30 Indian sepoys in charge of a subadar or Indian non-commissioned officer, as well a as yacht stationed in the Tigris. Rich decided to enlarge his 'state' by recruiting a small troop of Hussars of verying European nationalities — soldiers of fortune of whom M. Deveaux the commander of Daoud Pasha's artillery is an outstanding example. Pietro, a Slav from Constantinople was appointed as a major-domo of the household, Mr. Charles Bellino, a young German, as private seceretary and second dragoman, and only Mary Rich's fund of plain common sense stopped his plan of surrounding her with a bevy of women attendants as befitted the dignity of the wife of a high raking Baleos.

Rich had a keen eye for the niceties and timing of ceremonial visits as the following description of a visit to the Pasha described with a charmingly artless pride by Mary Rich in a letter to her sister so well illustrates. She writes: "The procession set out in the following manner:

Three Chaoushes or Turkish Officers of the Residency with silver-gilt maces in their hands, mounted on managed horses with housings of silver gilt, to clear the way. Five led horses caparisoned in velvet housings that reached to their tails, covered with a mosaic of silver gilt; their stirrups, headpieces, breast-plates, forehead-piece, etc., also of silver gilt. Each horse led by a man in a scarlet dress mounted on another horse.
Native Officer of Infantry with his sword drawn.
The Bodyguard of Sepoys with their drum and fife playing.
Four Yasakjees or Chubdars in scarlet and silver. silver-mounted knives in their girdles and silver sticks in their hands.

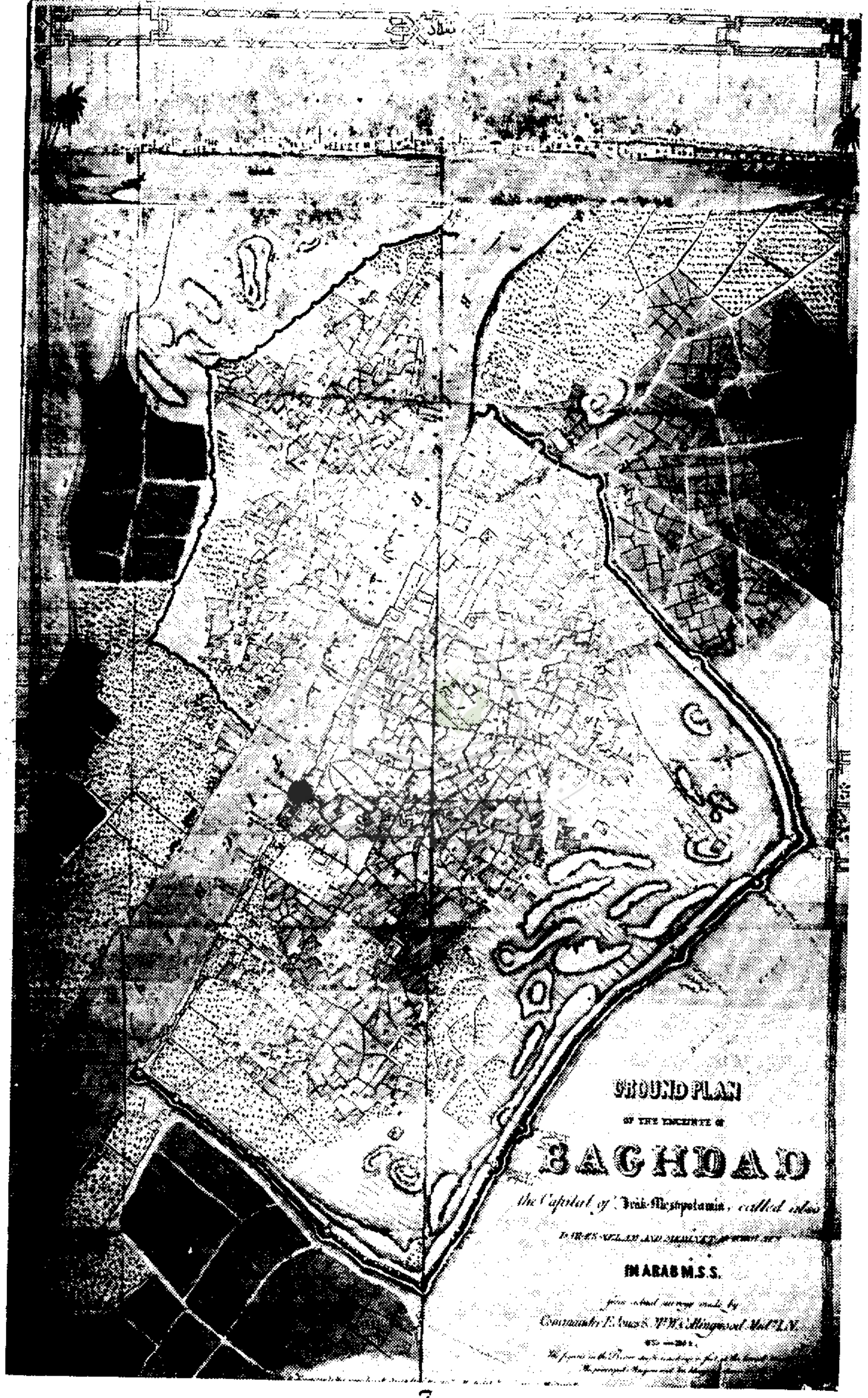
THE RESIDENT,

on horseback, in a full dress uniform, with his Master of the Horse on foot, and the servants of the Residency in scarlet cloaks on each side of him.

appearance. There is nothing at all splendid in Baghdad".[1]

The first house occupied by the Riches is well described by James Silk Buckingham, a professional traveller, who stayed in the hospitable Rich household in 1816, and described it as follows: "The house occupied by the establishment, is formed of a number of dwellings thrown into one, and, as a residence, is certainly one of the largest, best, and most commodious in the city. It consists of two large courts, one of them used as a riding ground, having numerous rooms and galleries around it, with walled terraces for sleeping at night in the open air; and a set of vaulted subterranean cellars, called serdaubs, for avoiding the intense heat of the summer during the day; besides spacious and good stables, kitchens, and offices of every description. ——— Attached to Mr. Rich's establishment were an English surgeon, an Italian secretary, several dragomen or interpreters, and a number of janissaries, grooms, and servants, all filling their proper offices and performing separate duties, as in India, and composed of Turks Arabs, Georgians, Persians, and Hindoos. A company of sepoys furnished a body-guard, and their drums and horses sounded the regular 'reveillie' and 'call' of a camp or garrison. A large and commodious yacht was always kept ready for excursions on the river, under the care of an Indian Serang and crew. The stud of horses was large and choice; and everything belonging to the Residency was calculated to impress ideas of great respect on the minds of the inhabitants, who were witnesses of the manner in which it was supported and conducted".[2]

An interesting article about the site of the Residency in Rich's time is available in Father Anastase's magazine, 'Loghat ul Arab' for the year 1929. The author of the article entitled 'Quarters of Baghdad a Century Ago, is Abdul Hamid Abadah, who, as an employee of the Sunnite Tribunal of Baghdad had access to official documents passing through the court which he used to make interesting studies on the history and topography of the city. He refers to the Lynch Quarters and its adjacent buildings which formed at the time a spacious Khan, purchased on the 28th Rabi al-Awal. 1262 March 1846, by Awaness al-Magdesi, a notable Armenian Catholic merchant from the British Consul. This evidence — in view of any to the contrary — would seem to indicate the site of the first house occupied during the Rich Residency. He was, however, to change Residencies in 1818, to a larger, more palatial residence overlooking the river, the property of Nawab Iqbal al Dowleh, said to have belonged at one time to a leading Mameluke, situated in what is today called Mustansir Street.


GROUND PLAN
OF THE ENCEINTE OF
BAGHDAD
the Capital of 'Irak-Mesopotamia, called also
IN ARAB M.S.S.
from actual survey made by